

مناهج التأليف المعجمي عند العرب

معاجم المعاني والمفردات

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم مجاهد مرداوي

أستاذ اللغويات العربية - الجامعة الهاشمية



مناهج التأليف المعجمي
عند العرب
معاجم المعاني والمضردات

المملكة الأردنية الهاشمية/رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (2009/5/1713)

413,3

مرداوی، عبد الکریم

مناهج التأليف المعجمي عند العرب: معاجم المعاني والمفردات // عبد الكريم مجاهد مرداوي - عم - دار الثقافة - 2010
رقم الإيداع: (2009/5/1713)
الوصفات: / معاجم المفردات // القواميس // اللغة العربية // أساليب الكتابة /

● أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

ISBN 9957-16-362-4

Copyright ©

All rights reserved

جميع حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى 2010م - 1431هـ

يُحظر نشر أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي وجه، أو أية طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو بأية طريقة أخرى، إلا بموافقة الناشر الخطية، وخلاف ذلك يُعرض لطائلة المسؤولية.

No part of this book may be published, translated, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or using any other form without acquiring the written approval from the publisher. Otherwise, the infractor shall be subject to the penalty of law.



المركز الرئيسي، عمان - وسط البلد - قرب الجامع الحسيني - عمارة الحجيري
هاتف: 6 4646361 (962 +) فاكس: 6 4610291 (962 +) ص.ب 1532 عمان 11118 الأردن

فرع الجامعة، عمان - شارع الملكة رانيا العبدالله (الجامعة سابقاً) - مقابل بوابة العلوم - مجمع عريبات التجاري
هاتف: 6 5341929 (+ 962) فاكس: 6 5344929 (+ 962) ص.ب 20412 عمان 11118 الأردن

Website: www.daralthaqafa.com e-mail: info@daralthaqafa.com

تصميم وانتاج
مكتب دار الثقافة للتصميم والانتاج

مناهج التأليف المعجمي عند العرب

معاجم المعاني والمفردات

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم مجاهد مرداوي

أستاذ اللغويات العربية - الجامعة الهاشمية

دار الثقافة

للنشر والتوزيع

1431هـ - 2010م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

المقدمة ١١

الوحدة الأولى مفهوم المعجمية

- ١ - ١ تعريف المعجم لغة واصطلاحاً ١٧
١ - ٢ التعريف بعلم المعاجم والصناعة المعجمية ٢٣

الوحدة الثانية معاجم الترتيب الموضوعي

- ٢ - ١ معاجم المعاني المختصة ٢٩
٢ - ١ - ١ معاجم غريب القرآن الكريم ٢٩
٢ - ١ - ٢ معاجم غريب الحديث ٩٨
٢ - ١ - ٣ الرسائل اللغوية ١٣٩
٢ - ٢ معاجم المعاني العامة ١٦٠
٢ - ٢ - ١ معاجم غريب اللغة ١٦٠
٢ - ٢ - ١ - ١ الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ١٦٣
٢ - ٢ - ١ - ٢ المنتخب من غريب كلام العرب - لكراع النمل ١٨٢
٢ - ٢ - ١ - ٣ نظام الغريب في اللغة لعيسى الربيعي ١٩٩
٢ - ٢ - ٢ معاجم الموضوعية الشاملة ٢٠٦
٢ - ٢ - ٢ - ١ فقه اللغة للثعالبي ٢٠٦
٢ - ٢ - ٢ - ٢ المخصص لابن سيده ٢١٩

الوحدة الثالثة

معاجم المفردات ومدارسها

- ٢٤٩ ٣ - ١ مدرسة الترتيب الصوتي الصرفي التقليبي
- ٢٤٩ ٣ - ١ - ١ الأبعاد اللسانية لنظرية التقليب الخليلية
- ٢٧١ ٣ - ١ - ٢ معجم العين للخليل بن أحمد
- ٢٩٣ ٣ - ١ - ٣ تهذيب اللغة للأزهري
- ٣١٤ ٣ - ١ - ٤ المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده
- ٣٤٠ ٣ - ٢ المدرسة الألفبائية الصرفية التقليدية
- ٣٤٠ جمهرة اللغة لابن دريد
- ٣٧٦ ٣ - ٣ مدرسة الترتيب الألفبائي الصرفي التدويري
- ٣٧٦ مقاييس اللغة لابن فارس
- ٤٠٨ ٣ - ٤ مدرسة الترتيب الألفبائي الجذرية
- ٤٠٨ ٣ - ٤ - ١ معجم الجيم للشيباني
- ٤٢٦ ٣ - ٤ - ٢ أساس البلاغة للزمخشري
- ٤٣٦ ٣ - ٤ - ٣ المصباح المنير للفيومي
- ٤٥٢ ٣ - ٤ - ٤ محيط المحيط للبستاني
- ٤٧٤ ٣ - ٤ - ٥ المعجم الوسيط
- ٤٨٧ ٣ - ٤ - ٦ المعجم الكبير
- ٥١٣ ٣ - ٤ - ٧ المعجم العربي الأساسي
- ٥٣٠ ٣ - ٥ مدرسة الترتيب الألفبائي الهجائية الحديثة
- ٥٣٠ ٣ - ٥ - ١ المرجع للعلايلي
- ٥٤٠ ٣ - ٥ - ٢ الرائد لجبران مسعود
- ٥٤٦ ٣ - ٥ - ٣ المعجم العربي الحديث - لاروس لخليل الجر
- ٥٥٨ ٣ - ٦ مدرسة التقفية (الباب والفصل)
- ٥٥٨ ٣ - ٦ - ١ معجم التقفية في اللغة للبندنيحي

- ٥٧٤ ٣ - ٦ - ٢ تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري
- ٥٩٥ ٣ - ٦ - ٣ لسان العرب لابن منظور
- ٦١٧ ٢ - ٦ - ٤ القاموس المحيط للفيروز أبادي
- ٦٢٩ ٣ - ٦ - ٥ تاج العروس للزبيدي

الوحدة الرابعة

تحرير النص المعجمي عند العرب

- ٦٥٩ ٤-١ أولاً : الجانب الصوتي
- ٦٦٥ ٤-٢ ثانياً : الجانب التصريفي
- ٦٨١ ٤-٣ ثالثاً : الجانب المعنوي (طرق أداء المعاني وترتيبها)
- ٦٨٧ ٤-٤ رابعاً : المعلومات الموسوعية
- ٦٨٧ ٤ - ٤ - ١ البحوث الدلالية والنحوية والصرفية
- ٦٨٩ ٤ - ٤ - ٢ الشواهد وتنوعها
- ٦٩٣ ٤ - ٤ - ٣ ذكر الأعلام
- ٦٩٤ ٤ - ٤ - ٤ الرموز المستعملة
- ٦٩٥ ٤ - ٤ - ٥ تميمات وتوضيحات
- ٦٩٧ ٤-٥ خامساً : النتائج والتوصيات

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين وبعد:
فإنه بفضل من الله قد تيسر لي شرف العمل بجوار بيت الله الحرام في جامعة أم
القرى بمكة المكرمة، ففضيت فيها إجازة التفرغ العلمي التي منحتها لي الجامعة الهاشمية في
الأردن، وعند قدومي لها حملت أوراق هذا الكتاب مع ما استطعت أن أحمله معي من
معاجم ومراجع بعد إعداد خطته. ويحمل هذا الكتاب اسم «مناهج التأليف المعجمي عند
العرب» الذي أقمته على منهج مغاير، نوعاً ما، للمعهود في التأليف المعجمي؛ إذ ركزتُ
فيه على أساليب تأدية المعاني، وتعريف الوحدات المعجمية بما يسند هذا المعنى ويلزمه من
عناصر، حرص المعجميون العرب على الأخذ بها في نصهم المعجمي.

فاللغة قول يفصح عن معنى، والمعاجم هي مكانز الثروة اللغوية بما تحتويه من
المفردات ودلالاتها وعناصر التعريف بها؛ بما يدل على قدرة اللغة على أداء مختلف
التصورات، وعليه فإن هذا المصنّف دراسة وصفية تحليلية غير نقدية لهذه المعاجم بوصفها
مدونات لغوية.

والمدونة اللغوية، كما يذكر الدكتور محمد رشاد الحمزاوي^(١) في مفهوم اللسانيات
الوصفية الحديثة "هي مجموعة معيّنة من النصوص المكتوبة أو المقولة أو مجموعة من
المراجع المختارة، تؤخذ سنداً أسس لوضع لغة ما أو معجم أو مؤلف في موضوع من
المواضيع". وقد يكون كلام إبراهيم بن مراد^(٢) أقرب إلى ما نحن بصده حين يحدّد أحد
مفهوم المعجم بقوله «والمعجم هو مجموع ما دوّن مؤلف من المفردات المستعملة التي
استطاع جمعها كلسان العرب، وهذا المفهوم هو الذي يسمح بإطلاق مصطلح قاموس
عليه Dictionary، ويضيف الكتاب نفسه^(٣): «فالمعجم يدوّن على الأقل المفردات
الأساسية في اللغة، ومن الواضح أن مفهوم المعجم Lexicon مرتبط بمفهوم المعجم المدوّن

(١) المعجم العربي، إشكالات ومقاربات: المؤسسة الوطنية وبيت الحكمة، تونس، ١٩٩١، ص ٢٧٥.

(٢) مقدّمة لنظرية المعجم: دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٩٧: ص ٨.

(٣) السابق: ص ٩٦.

Dictionary وكأنه في كل ما سبق يوضح ما قاله في الكتاب نفسه^(١) في حديثه عن المفهوم الخاص للمعجم من أنه «مدونة (Carpus) المفردات المعجمية في كتاب مرتبة ومعرفة». وعليه فقد استوى لدي أن المعجم مدونة لمفردات اللغة مرتبة مصحوبة في الدرجة الأولى بمعانيها من خلال استعمالاتها التي تحققت في الشواهد والسياقات المضروبة لها، أي عن طريق الاستخدام الفعلي للكلام، إضافة إلى ما تزود به القارئ من معلومات متصلة بالمدخل؛ فتوافر بذلك للنص المعجمي العربي عناصر عدة «يجب أن تؤدي الوظائف التي نتخولها من أي نص معجمي، وهي الوظائف المعرفية والتعليمية والتربوية والثقافية والحضارية»^(٢).

هذه الوظائف قد حصرها باختصار الدكتور أحمد مختار عمر^(٣)، وهي:

١- ذكر المعنى. ٢- بيان النطق. ٣- تحديد الرسم الإملائي.

٤- التأصيل الاشتقاقي. ٥- المعلومات الصرفية والنحوية.

٦- معلومات الاستعمال. ٧- المعلومات الموسوعية.

أما الشرح أو أداء معاني المدخل المعجمية فقد قسم أساليبيها إلى قسمين أو مجموعتين^(٤) هما:

الأولى وهي مجموعة الطرق الأساسية وهي:

أ- الشرح بالتعريف.

ب- الشرح بتحديد المكونات الدلالية. (ومن خلال شرحهما لا يوجد فرق كبير بين التعريف وتحديد المكونات الدلالية).

ج- الشرح بذكر سياقات الكلمة.

د- الشرح بذكر المرادف أو المضاد.

أما الثانية: فهي مجموعة الطرق المساعدة وتتضمن:

(١) ص ٧.

(٢) المعاجم اللغوية العربية : د. أحمد محمد المعتوق، الجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩: ص ٢٠.

(٣) صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط ١، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١١٥.

(٤) المصدر السابق : ص ١٢٠.

- أ - استخدام الأمثلة التوضيحية.
- ب - استخدام التعريف الاشتمالي.
- ج - اللجوء إلى الشرح التمثيلي أو التعريف الظاهري (ب و ج قليلا في المعاجم العربية وقد استعملهما الخليل في العين).
- د - استخدام الصور والرسوم.
- ومن الطبيعي أن تتفاوت المعاجم في عرض نصوصها المعجمية من حيث الجمع والتعريف والدلالة حتى بين تلك التي تتفق في مناهج ترتيب مداخلها. وتتبع في نصوص المعاجم المدروسة المعلومات المتصلة بضبط المداخل وبيان دلائلها ووسائل شرحها، ورصدت مسار المدخل اللغوي والثقافي وما يعلق به من معلومات لهجية، أو تأصيلية أو معرفية أخرى.
- واقصر البحث على معاجم المعاني والمفردات، وكان من الطبيعي أن يبدأ هذا الكتاب بمعاجم المعاني لتقدمها زمنياً في التصنيف على معاجم المفردات أو الألفاظ. فغطى البحث معاجم الترتيب الموضوعي من معاجم المعاني المختصة: كمعاجم غريب القرآن الكريم، ومعاجم غريب الحديث ومعاجم غريب اللغة والمعاجم الموضوعية الشاملة؛ أي التي تشمل الواضح والغريب كفقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده، وهذه هي الوحدة الثانية. أما الوحدة الثالثة فاختصت بمعاجم المفردات بطرق ترتيبها المختلفة: مدرسة الترتيب الصوتي التقليدية بمعاجمها العين والتهذيب والمحكم، ومدرسة الترتيب الألفبائي التقليدية الخاصة بمعجم الجمهرة لابن دريد، وتليها مدرسة الترتيب الألفبائي التدويرية التي يمثلها معجم المقاييس لابن فارس، فمدرسة الترتيب الألفبائي الجذرية التي اكتفيت منها بمعجم الجيم للشيباني وأساس البلاغة للزمخشري والمصباح المنير للفيومي وفي العصر الحديث محيط المحيط والمعجم الوسيط والمعجم الكبير والمعجم العربي الأساسي، ثم انتقلت إلى أحدثها ترتيباً وهي مدرسة الترتيب الألفبائي الهجائية الحديثة - الترتيب حسب النطق

لا حسب الجذر (الطريقة الفرنجية) كما سماها صاحب المرجع العلايلي الذي بدأها، وبعده معجم جبران مسعود (الرائد) وآخرها المعجم العربي الحديث (معجم لاروس) لخليل الجر. أما مدرسة التقفية فتبدأ بالتقفية في اللغة للبندنجي ويليه صحاح العربية للجوهري ثم لسان العرب لابن منظور فالقاموس المحيط وآخرها تاج العروس للزبيدي: وختمت الكتاب بالوحدة الرابعة وهي بعنوان تحرير النص المعجمي عند العرب.

وياربي لك الحمد على ما أسديت وتفضلت بما أكرمتني وقدّرت لي أن أقوم بتصنيف هذا الكتاب في الرحاب الطاهرة بجوار بيتك المحرم والكعبة المشرفة، في مكة المكرمة، فأسألك يا حيُّ يا قيوم أن تبارك لي فيه وتجعل، بفضل منك، نفعه عميماً للعربية وأبنائها، وأن تجعله خالصاً لوجهك الكريم، وتحتسبه في ميزان حسناتنا، وأن تكتب الشفاء بفضلك ومنّك أيضاً لابني خالد بسبب منه، واللهم بارك لنا فيما أعطيت، وأدخلنا في رحمتك أنا ووالديّ، وأتمّ نعمتك علي وعلى زوجتي وأبنائي نائل ومحمد وأحمد وخالد، وعلى ابنتيّ منال ومرام وزوجيهما وأولادهما وبناتهما، واهدنا صراطك المستقيم جميعاً، وآتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة إنك سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين.

مكة المكرمة - الجمعة في ١٨/٥/١٤٢٩هـ

أ.د. عبد الكريم مجاهد مرداوي

الوحدة الأولى

مفهوم المعجمية

● ١ - ١ تعريف المعجم لغة واصطلاحاً.

● ١ - ٢ التعريف بعلم المعاجم وفن الصناعة المعجمية عند العرب.

الوحدة الأولى

مفهوم المعجمية

١-١: تعريف المعجم لغة واصطلاحاً

لقد جاء في لسان العرب، في مادة عجم: "العجم خلاف العرب والعجم جمع الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين في كلامه وإن كان عربي النسب، والأنثى عجماء... والأعجم الذي في لسانه عجمة والعجماء البهيمة.. " ويبدو أن العجمة في اللغة تدور حول الخفاء وعدم الإبانة بدليل إطلاقهم على البهيمة التي لا تتكلم لفظ العجماء، وكذلك قولهم في العين واللسان (مادة عجم): "عجمت العود إذا عضضته لتعرف صلابته من رخاوته " ومنه قول الحجاج في خطبته الشهيرة يخاطب أهل العراق " وإن أمير المؤمنين قد عجم عيدانه فوجدني أصلبها عوداً فرماكم بي " يكني عن الرجال بالعيدان والقادة الذين كانت قدراتهم خافية وبفحصهم واختبارهم ظهر للأمير تميز الحجاج على أقرانه، وقد تنبه ابن جني لمعنى الإبهام في هذه المادة بقوله في سر الصناعة " اعلم أن (ع ج م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح ^(١) ".

ولا يخفى على ما يديه هذا المعنى من تناقض بينه وبين الدلالة التي يجب أن يتضمنها اصطلاح معجم؛ ألا وهي بيان معاني المفردات؛ وإزالة هذا التناقض الظاهري أقول إنه قد زيد على الفعل "عجم" وهو أصل المادة، الهمزة التي تسلب الفعل معناه الأصلي وتفيده معنى مناقضاً له، فقسط مثلاً دلالتها الأصلية بمعنى ظلم بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ^(٢) فأخذ منها العرب أقسط لتدل الكلمة على معنى "عدّل" بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ^(٣). ومثل هذا الأمر حدث مع مادة (عجم)، وفي اللسان ينقل عن ابن جني: "أعجمت الكتاب

(١) سر صناعة الإعراب: لابن جني، دراسة وتحقيق د. حسن هندراوي، ط ١، دار القلم، دمشق ١٤٠٥ هـ /

١٩٨٥ م: ٣٦/١.

(٢) ١٥ - سورة الجن.

(٣) ٩ - سورة الحجرات.

أزلت إعجامة " وكان الإعجام في بدايته يتم بنقط الحروف المتشابهة في الرسم فقد جاء في اللسان أيضاً: " أعجم الكتاب وعجمه: نقطه؛ أي أزيل إجمامه بنقط الحروف المعروفة في العربية فقد نقل صاحب اللسان عن ابن الأثير " سميت حروف المعجم بذلك من التعجيم وهو إزالة العجمة بالنقط " أي نقط الحروف لإزالة هذا التشابه الشكلي في رسمها الذي يولد إجماماً وغموضاً فيما بينها؛ ولذلك سميت الحروف المنقوطة عند العرب معجمه؛ وهكذا دخلت الهمزة على الفعل عَجَمَ فصار أَعَجَمَ وانقلبت دلالة من معنى الخفاء والإجمام إلى ما يناقضه فيتميز الحرف عن غيره من الحروف ويزول خفاؤه عند إعجامة ويصبح اصطلاح معجم كما يقول المبرد^(١) مصدراً بمنزلة الإعجام الذي يزيل الغموض عن المفردات والالتباس فيما بينها خاصة ذات الجذر أو الأصل الواحد.

وقد يكون المعجم اسم مكان للألفاظ التي أزيلت عجمتها بتبيان معانيها أو اسم مفعول أي كتاب مُزلة عجمة مفرداته بما حدث لها من تفسير وشرح. وبقي احتمال آخر أن يكون العنوان على تقدير الكتاب المعجمه حروفه أو حروف الخط المعجم بدليل ما أورده صاحب كشف الظنون^(٢) " في حديث عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال: يا رسول الله، أي كتاب أنزل على آدم عليه السلام؟ قال: كتاب المعجم، قلت: أي كتاب المعجم؟ قال أ ب ت ث ج. قلت: يا رسول الله كم حرفاً؟ قال: تسعة وعشرون حرفاً.. " كأن المعجم يعني الكتاب الذي أعجمت حروفه أو رتب على الحروف المعجمية.

وهناك ثلاثة أبعاد لا بد أن ينتظمها المعجم عند تعريفه في الاصطلاح أولها قوائم المفردات، وهي ما اصطلح على تسميته بالمداخل اللغوية، التي يجب أن يكون لترتيبها نظام خاص، وهذا الترتيب هو ثاني الأبعاد؛ لتسهيل أداء معانيها وشرحها، وأداء المعاني هو البعد الثالث الذي من أجله صُنِّفت المعاجم وجعلت مكانز اللغة وخزائن لثروتها من الألفاظ بما تحمله من معان وأبعاد ثقافية وحضارية تجعل اللغة مرآة لفكر أصحابها وحضارة أهلها في أطوار حياة الأمة، فالكتاب الذي يفتح للناس ما استبهم من الكلام، ورتبت المعلومات فيه بترتيب حروف الهجاء يسمى عند الناس معجماً " هذا ما أصبح

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، دار الفكر، ط ٣: مادة عجم.

(٢) ص ٢٥/١ كشف الظنون: لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

العرب يفهمونه من كلمة معجم كما قال د. عدنان الخطيب^(١). ويبدو أن في هذا تضيقاً لمفهوم المعجم عند العرب وغيرهم؛ فالمصنفات المعجمية العربية لا تقتصر على بيان معاني الكلمات بل تشتمل أيضاً على النواحي الاشتقاقية والتصرفية والنحوية والبيانـية والأسلوبية للكلمات مقرونة بالشواهد على الاستعمالات، بل إن معاجنا اللغوية القديمة أقرب إلى الموسوعات بما تتضمنه من معلومات دينية وتاريخية ولغوية وثقافية أخرى.

وأعتقد أن هذا المفهوم الشامل للمعجم كان في ذهن الفيروز آبادي حين أطلق على معجمه "القاموس المحيط" وهي التي تعني البحر أو وسطه أو قعره أو معظمه أو أعمقه^(٢) فكأنه يقصد الامتداد اللغوي الرأسي والأفقي للمفردات في جميع نواحي الحياة. وشاعت هذه الكلمة وصارت تطلق مرادفة لكلمة معجم، هذا عدا خلو عناوين المعاجم العربية القديمة من كلمة معجم كالعين والبارع وجمهرة اللغة وتهذيب اللغة وصحاح اللغة والمصباح المنير ومقاييس اللغة بل إن هناك عناوين يصر أصحابها على الإحاطة والشمول والسعة من خلال العناوين كالحيط في اللغة وديوان الأدب والمحكم والمحيط الأعظم والعباب.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اصطلاح معجم أول ما استعمل عند العرب حقيقة لا حكماً، عنواناً لكتب التراجم التي رتبت فيها أسماء الرجال من المحدثين وغيرهم على حروف المعجم، ومن أوائل من قرأت أن لهم معجماً، ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) فقد ورد في الجزء السادس^(٣) من سير أعلام النبلاء في ترجمة الأعمش شيخ المقرئين والمحدثين في عصره، أن ابن الأعرابي ذكر في "معجمه" سمعت الدقيقي، سمعت علي بن الحسن بن سليمان، سمعت أبا معاوية، سمعت الأعمش يقول: "... إلخ". كذلك أورد الذهبي في الجزء العشرين^(٤) من كتابه الأنف الذكر ما يقطع بأنه كان لابن الأعرابي معجم، حيث يقول: "قال ابن الأنماطي: أخرج إلينا شيخنا الحراني بخطه وحدثني قال: رأيت على ظهر الجزء

(١) انظر المعجم العربي بين الماضي والحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧م، ص ٣٠، ص ٣٢.

(٢) انظر مادة قمس في اللسان وفي القاموس المحيط.

(٣) سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، الجزء السادس، تحقيق حسين الأسد؛ بإشراف شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م: ٢٣٢/٦.

(٤) انظر المصدر السابق ٢٠ / ص ٤٣٧.

الثاني من حديث الزعفراني ثبت كتب سمعها شيخنا عبد الله بن غدير السعدي، سمع جميع كتاب السنن لأبي داود علي الخلعي... قال: وسمعوا عليه " السيرة " تذيب ابن هشام، وجميع أحاديث الزعفراني وأحاديث يونس، ومعجم ابن الأعرابي... " وفي الجزء ذاته، وفي صفحة سابقة^(١) جاء في ترجمة بهجة الملك، علي بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الصوري الدمشقي، قال أبو سعد السمعاني: قرأت عليه معجم ابن الأعرابي وهكذا يبدو أن هناك معجماً سابقاً لمعجم أبي يعلى أحمد بن المثنى الموصلي المتوفى (٣٠٧ هـ) الذي ذكره صاحب كشف الظنون^(٢)، تحت عنوان معجم الصحابة وفي سير أعلام النبلاء^(٣) في ترجمته لأبي يعلى قال عنه محدث الموصلي، صاحب المسند والمعجم ولم يتحدث في الترجمة كلها إلا عن مسنده مما يوهم بالخلط بين الاصطلاحين، وذكر الذهبي^(٤) وحاجي خليفة^(٥) لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت ٣١٧ هـ) معجماً للصحابة باسم " معجم الصحابة " وألف أبو بكر محمد بن الحسن النقاش (ت ٣٥١ هـ) معجماً في أسماء القراء^(٦) وللطبراني (ت ٣٦٠ هـ) معجم رتب فيه أسماء الصحابة على الحروف، وذكر نحو ثلاثين عالماً ممن صنف تحت عنوان معجم الشيوخ، وألف إبراهيم بن أحمد البلخي المعروف بالمستملي (ت ٣٧٦ هـ) معجماً للشيوخ غير معجم الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) الذي رتب فيه أسماء الشعراء على الترتيب المعجمي ومعجم الأدباء ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ومعجم ما استعجم للبكري. وواضح أن ليس واحد منها معجماً لغوياً.

وقد أحصيت في فهارس سير أعلام النبلاء (٧٤٥/٢٥-٧٤٧) نحو خمسة وسبعين مصنفاً بعنوان معجم ولا يقصد بواحد منها المعجم اللغوي، ويبدو أن الذهبي قد فاتته الترجمة لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله ابن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران مؤلف كتاب الصناعتين، وفاته مع فوات الترجمة أن يذكر كتابه " المعجم في بقية الأشياء "

(١) السابق: ص ١٠٨.

(٢) ١٧٣٦/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/١٧٤.

(٤) السابق ١٤/٤٤٢.

(٥) الكشف نفسه: ١٧٣٦/٢.

(٦) الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦: ٦/٣١٠.

الذي طبع مرتين (في برلين ١٩١٥م، وفي القاهرة ١٩٣٤م، وللأسف لم أستطع الحصول على واحدة منهما) ويأتي على ذكره مسفر الثبتي في كتابه المراجع المعجمية العربية " ص ١١٨، ويصنّفه مع معاجم المعاني في ص ١٥٨ (ط مكتبة لبنان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) وتجدر الإشارة إلى أن القفطي لم يذكر هذا الكتاب في الإنباه ولا ياقوت في معجم الأدباء ولا حاجي خليفة في كشف الظنون وبالضرورة لم يذكر في هدية العارفين لاسماعيل البغدادي، ولم يذكره كذلك صاحب خزانة الأدب. وتتبع بعض التراجم من أصحاب المعاجم فلم أجد الذهبي قد ذكر اصطلاح معجم على أي من معاجمهم كالعين للخليل والتهذيب للأزهري والصحاح للجوهري والمجمل لابن فارس وأساس البلاغة للزمخشري. وأخلص من التحقيق البسيط السابق إلى أن إطلاق اصطلاح معجم كان في البداية على كتب التراجم، خاصة رجال الحديث، ثم عُُمِّم إطلاقه على كتب التراجم عامة كالأدباء والشعراء وعلى الأماكن والبلدان بعد ذلك، وحديثاً يبدو لي أن أول معجم لغوي أطلق عليه عنوان بهذا الاصطلاح هو "معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية" لمؤلفه جرجس همام الشويري الذي صدر في بيروت عام ١٩٠٧م في ١٢٧٢ صفحة، كذلك ظهر في بيروت عام ١٩٥٤م "المعجم - موسوعة لغوية علمية فنية" للشيخ عبد الله العلايلي ويظهر في دمشق عام ١٩٥٨م "المعجم المدرسي" لزيد الدين التونسي، وكذلك المعجم الكبير الذي بدأه فيشر الذي توفي عام ١٩٤٩م قبل أن يصدر جزء منه في حدود ٥٠٠ صفحة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٥٦م واستكمل الجزء الأول منه وصدر عام ١٩٧٠م أيضاً المعجم الوسيط عن مجمع القاهرة عام ١٩٦٠م. والآن، بعد هذا التتبع التاريخي نستطيع أن تنتقل إلى التعريف الاصطلاحي لكلمة معجم، ومن الإنصاف أن نذكر أن أول من اعتنى حديثاً بوضع تعريف بالمعاني الأساسية التي يجب أن تتوفر في المعجم اللغوي هو الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في المقدمة التي وضعها عند تحقيقه تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري وسمّاها مقدمة الصحاح فقد جاء فيها^(١): "المعجم: كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها".

(١) مقدمة الصحاح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت ١٩٨٤: ص ٣٨.

ولم يستطع معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب^(١) أن يخرج من إهاب هذا التعريف حيث جاء فيه عن المعجم: "مرجع يشتمل على مفردات لغة ما مرتبة عادة ترتيباً هجائياً، مع تعريف كل منها وذكر معلومات عنها من صيغ ونطق واشتقاق ومعانٍ واستعمالات مختلفة".

وتعريف الأستاذ عبد الغفور يكاد يلتقي مع تعريف المعجم الذي أورده د. حلمي السيد من معجم وبستر الثالث ونصه^(٢) أن المعجم "مرجع يحتوي على كلمات مرتبة في الأغلب ترتيباً أبجدياً مصحوبة بمعلومات عن بنيتها، وطرق نطقها، ووظائفها وإتمو - لوجيتها -، ومعانيها وموقعها في الكلام واستعمالاتها الاصطلاحية".

وأرى أن تعريف معجم وبستر أقرب إلى فحوى المعاجم العربية خاصة القديمة منها؛ إذ يكاد يحيط بالنواحي التي اهتم مصنفوها بها من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وثقافية أو علمية أخرى؛ مع التنويه بأن تعريف الأستاذ عبد الغفور يوجه النظر إلى ما ينبغي أن يبني عليه المعجم العربي من: أ- مفردات، ب- مرتبة هجائياً أو موضوعياً، ج- مصحوبة بالشروح الضرورية الدلالية والصوتية والنحوية مع أدلتها من نصوص اللغة؛ وذلك من أجل أن يتعد المعجم العربي عن صورته الموسوعية القديمة التي جعلت منه كما يقول الشدياق^(٣) "كتاب لغة وفقه ونحو وصرف وشرح للحديث وتفسير القرآن" وألوان معرفية تراثية أخرى أدبية وتاريخية وجغرافية وفلكية ونباتية وحيوانية وغيرها.

وهناك نوع آخر من المعاجم، وهي المعاجم اللغوية المتخصصة أو كما يطلق عليها المعاجم الاصطلاحية التي تضم قائمة من المفردات أو المصطلحات الخاصة بعلم من العلوم وهو الذي عرفه معجم الاصطلاحات العربية من أنه "مرجع به قائمة مرتبة ترتيباً أبجدياً لمصطلحات موضوع أو علم معين مع ذكر معانيها وتطبيقاتها المختلفة"^(٤) وأول ما ظهر هذا النوع من المعاجم كان عامّاً أحادي اللغة كالتعريفات للجرجاني، أمّا المختصة فغالباً ما تكون ثنائية اللغة وظهرت في العصر الحديث كمعجم الألفاظ الزراعية فرنسي - عربي لمصطفى الشهابي عام ١٩٥٧م.

(١) لصاحبه مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩: ص ١٥٨.

(٢) نقلاً عن المعجم الانجليزي بين الماضي والحاضر للدكتور حلمي السيد، ط ١، ١٩٧٨: ص ١٣.

(٣) الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ: ص ٧٩.

(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩،

٢-١ التعريف بعلم المعاجم والصناعة المعجمية

ومن الاصطلاحات التي استجذت علينا في علم اللسان الحديث مصطلح Lexicology الذي قد يطلق عليه في العربية علم المفردات وفسره د. الخولي بقوله: دراسة مفردات اللغة من حيث الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية والتاريخية والاشتقاقية^(١) أو الدراسة الشاملة للمفردات^(٢) أو علم المعاجم النظري^(٣) ولا وجود مستقلاً لهذا العلم في العربية فهو يهتم بدراسة المفردات من حيث اشتقاق صيغها أو أبنيته ودلالات هذ الصيغ ووظائفها الصرفية والنحوية وهو شق يدخل في باب علم الصرف في العربية أكثر من دخوله في غيره، أما الشق الثاني لهذا العلم وقد أشار إليه الدكتور حلمي خليل^(٤) فرأى أنه دراسة العلاقات الدلالية كالترادف والاشتراك اللفظي والتضاد مما يدخل في علم الدلالة.

والاصطلاح الثاني هو Lexicography وأميل إلى اطلاق اصطلاح علم التصنيف المعجمي، مقابلاً له ويعني، في نظري، أمرين: الكتابة في تاريخ التأليف المعجمي عند العرب مثلاً، والأسس التي أقيمت عليها المعاجم العربية من حيث الدواعي والمناهج ووظائف المعجم ورجال التصنيف المعجمي وطرق أداء المعنى والاستشهاد وتحرير النص المعجمي وهذا هو الشق النظري في هذا العلم أما الشق العملي فهو الصناعة المعجمية أي عملية تصنيف المعاجم بتطبيق الأسس النظرية التي يجب أن تتضمنها المعاجم التي تقوم، كما حددها بعضهم^(٥)، على خمسة عناصر هي: أ- جمع المعلومات والحقائق ب- اختيار المدخل ج- ثم ترتيبها طبقاً لنظام معين د- وأداء المعاني والشروح هـ- ثم نشر كل ذلك في مرجع يسمى معجماً أو قاموساً.

(١) معجم علم اللغة التطبيقي، مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٨٦: ص ٦٨.

(٢) انظر: صناعة المعجم الحديث للدكتور أحمد مختار عمر، ط ١، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨: ص ٢١.

David Crystal: Lexicology: إنه مصطلح يشير أحياناً إلى الدراسة الشاملة للمفردات اللغوية بما

فيها تاريخها. أما Lexicography فتعني صناعة المعاجم ومنها (١٧٩-١٨٠) وانظر كذلك:

Crystal: A Dictionary of Linguistics, 2nd edition: P.179/180.

(٣) مقدّمة لدراسة التراث المعجمي العربي للدكتور حلمي خليل، ط ١، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٧: ص ١٣.

(٤) السابق نفسه.

(٥) انظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، الرياض، ١٩٧٥: ص ٩، وحلمي خليل: السابق:

ص ١٣، ١٤.

وهي العناصر التي تحقق الوظائف والغايات المستهدفة من تصنيف المعاجم والوسائل اللغوية التي يجب أن يستعين بها مؤلفو هذه المعاجم لأداء هذه الوظائف وتحقيق هذه الغايات.

وقد صنف العرب المعاجم في بواكير الحضارة العربية الإسلامية، قبل أن يمتلكوا الأسس النظرية لصناعة المعاجم؛ أي لم يكن لديهم علم للمعاجم يحكمون إليه، فحرصهم على نقاء اللغة والحفاظ على الفصح فيها وتصديهم للحن، دفعهم إلى جمع الثروة اللغوية وتدوينها وتنظيمها باجتهادهم التي لم ينسجوا فيها على منوال سابق، مما سنفصل القول فيه في الوحدة التالية؛ بحيث يمكننا القول إن الصناعة المعجمية عند العرب سبقت التنظير لهذه الصناعة، إذ كان همهم في بداية التأليف المعجمي هو جمع فصح اللغة بين دفتي كتاب لخدمة القرآن والتشريع وهي غاية جعلت كل مصنف معجمي يتدع وسيلته الخاصة لجمع المادة وترتيبها، مختلفاً أو متفقاً مع سابقة أو لاحقه؛ لأنه لم يكن بين أيديهم معايير منهجية موحدة لصناعة معجمية عربية؛ مما سنبينه في فصل تحرير النص المعجمي عند العرب.

ولا يظنّ ظانٌّ أن المعاجم العربية هي عبارة عن تجميع اعتباطي لمفردات اللغة محتجاً بأن التأليف المعجمي كان فناً خاضعاً للتجريب من المعجميين العرب فلم تكن الصناعة المعجمية عندهم علماً يتقيد بنظريات لغوية عامة يحتكم إليها صناع المعاجم بصورة موضوعية عند تأليف المعاجم؛ فلا جدال في أن جمع اللغة كان عشوائياً ولكن اللغويين، خاصة المعجميين أعادوا ترتيب هذه الثروة وفرزها في صورة رسائل لغوية، كل رسالة منها تختص بموضوع، وقد أصبحت هذه الرسائل إحدى القواعد التي أقيم عليها هذا التنوع في التأليف المعجمي الذي صار أشبه بالمهارة الفنية التي تخضع للتجريب عند الممارسة وبالتنظير الخاص من كل مؤلف على حدة. وخرج التأليف المعجمي من ضيق الرسائل اللغوية إلى أفق أوسع وأشمل في التصنيف؛ بجمع ما تتضمنه هذه الرسائل اللغوية وما قام أصحاب المعاجم بجمعه وحفظه خلال ارتحالهم إلى البادية كالخليل والأزهري والجوهري. وانتظم التأليف المعجمي في مسربين متوازيين أولهما مسرب معاجم المفردات الذي تنوع فيه الترتيب والتنظيم منذ معجم العين إلى يومنا هذا مما سيظهر تفصيله في صفحات الكتاب القادمة.

وأما الآخر فتمثله معاجم المعاني التي تعتبر امتداداً طبعياً للرسائل اللغوية بما اشتمل عليه الغريب المصنف والمخصص وغيرهما من أبواب وموضوعات.

ويظل الخلط والاضطراب سائدين في المعاجم العربية القديمة والاختلاف فيما بينها في ترتيب المشتقات والجموع والمعاني والأعلام، إلى أن يقوم بطرس البستاني بمحاولة التخلص من مثل هذه المآخذ والسلبيات سنة ١٨٦٦م في معجمه محيط المحيط الذي يعد أول معجم عربي محدّد يصدره مؤلف منفرد في العصر الحديث. أما التأليف الجماعي للمعاجم فكان في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية؛ إذ تهيأ لهذا المعجم من وسائل التجديد ما سد به نقصاً ظلّ سائداً في المحاولات المعجمية السابقة؛ نظراً لاحتكام لجنته إلى منهج وضعته ينظم الترتيب الداخلي لمشتقات مداخله.

ومن الحقائق التي ينبغي ألا تضيع عند سرد المآخذ على التصنيف المعجمي العربي، خاصة القلدم منها، هي أن هذه المعاجم القديمة كانت متميّزة ومتفوقة ومتفردة قبل عصر النهضة الأوروبي وقبل أن يحدث هذا التطور في الصناعة المعجمية عندهم وبشهادة اللغوي الإنجليزي هيود Haywood الذي يقول: "إن العرب، مع نهاية العصور الوسطى قد امتلكوا معاجم تحظى بقبول واسع... ويحتلون، حقاً، في الصناعة المعجمية، كما هو الأمر في حقول أخرى، موقعاً مركزياً، زماناً ومكاناً، قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً" (١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى التنوع في التأليف المعجمي عند العرب، فصنّفت المعاجم الأحادية اللغة التي تتكون فيها المفردات بالعربية ومعانيها باللغة نفسها، وهو التصنيف الذي برع فيه العرب قديماً وحديثاً سواء في معاجم المفردات بدءاً بالعين للخليل ابن أحمد وما تلاه من معاجم إلى يومنا هذا، أو في معاجم المعاني بدءاً بالرسائل اللغوية وما تلاه من معاجم كالمنخصص. كذلك صنّفت المعاجم الثنائية، أي بلغتين، إحداها لغة المتن كالإنجليزية مثلاً والأخرى لغة الشرح (إنجليزي - عربي) وظهرت معاجم ثنائية أو ثلاثية بين العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والعبرية والفارسية والتركية وغيرها. ويغلب عليها أن تكون العربية فيها لغة الشرح مقابل مفردات المتون في اللغات الأخرى، خاصة معاجم الاصطلاحات.

(١) Arabic Lexicography, E. J. Brill, Leiden: 1960 Haywood (John) : p. 2.

المراجع:

- ١- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٢- الجاسوس على القاموس: أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩هـ.
- ٣- سر صناعة الإعراب: ابن جني، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق ١٤٠٥هـ.
- ٤- سير أعلام النبلاء: للذهبي، الجزء السادس، تحقيق حسين الأسد بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ٥- صناعة المعجم الحديث: أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٦- علم اللغة وصناعة المعجم: علي القاسمي، الرياض، ١٩٧٥م.
- ٧- كشف الظنون: حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ٨- لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، دار الفكر، الطبعة الثالثة.
- ٩- المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر: للدكتور حلمي السيد، ط١، ١٩٧٨م.
- ١٠- المعجم العربي بين الماضي والحاضر: د. عدنان الخطيب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٦م - ١٩٦٧م.
- ١١- معجم اللغة التطبيقي: للدكتور محمد الخولي، ط١/ مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.
- ١٢- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩م.
- ١٣- مقدّمة الصحاح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ١٩٨٤م.
- ١٤- مقدّمة لدراسة التراث المعجمي العربي: حلمي خليل، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٧م.

15- Arabic Lexicography: Haywood (John), E.J.Brill, 1960.

16- A Dictionary of Linguistics: David crystal, 2nd edition.

الوحدة الثانية

معاجم الترتيب الموضوعي

● ٢ - ١ معاجم المعاني المختصة.

٢ - ١ - ١ معاجم غريب القرآن الكريم.

٢ - ١ - ٢ معاجم غريب الحديث.

٢ - ١ - ٣ الرسائل اللغوية.

● ٢ - ٢ معاجم المعاني العامة.

٢ - ٢ - ١ معاجم غريب اللغة.

٢ - ٢ - ١ - ١ الغريب المصنف.

٢ - ٢ - ١ - ٢ المنتخب من غريب كلام العرب.

٢ - ٢ - ١ - ٣ نظام الغريب في اللغة.

٢ - ٢ - ٢ المعاجم الموضوعية الشاملة.

٢ - ٢ - ٢ - ١ فقه اللغة للثعالبي.

٢ - ٢ - ٢ - ٢ المخصص لابن سيده.

الوحدة الثانية

معاجم الترتيب الموضوعي

١-٢ معاجم المعاني المختصة

١-١-٢ معاجم غريب القرآن الكريم

بدأت الدراسات اللغوية العربية في أحضان القرآن الكريم بوصفه النص الشرعي الذي ينظم حياة العرب الجديدة ومعاملاتهم وعبادتهم، فيجب فهمه وتقريب غامضه. ويبدو أن أول ما استرعى انتباه اللغويين فيما وقع بين أيديهم من ثروة لغوية هو ما اعتبروه غريباً من ألفاظ الشعر والقرآن الكريم والحديث الشريف. وتوجهت العناية إلى غريب القرآن فأصبح موضوعاً للدرس والبحث، ومن بعد ذلك أصبح علماً وُضعت فيه الكتب المستقلة قديماً وحديثاً واحتار المنظرون لتاريخ العلوم القرآنية في تصنيفه بوصفه علماً مشتركاً بين علوم القرآن وعلوم التفسير، وإذا جرى تصنيفه تحت علوم التفسير فهل يمكن تصنيفه علماً مستقلاً بعنوان علم غريب القرآن أم يجري إدراجه تحت علم التفسير؟ وأكتفي هنا بالخلاصة التي وصل إليها الدكتور مساعد الطيار في مبحثه المنشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية وهو بعنوان: (علوم القرآن - تاريخه - وتصنيف أنواعه)، حيث يقول^(١): (فإنك لو جعلت علم غريب القرآن مندرجاً تحت علم التفسير دون أن تفرده بمبحث مستقل فإن ذلك الأمر صواب بلا ريب، ولو أفردته وجعلته علماً مستقلاً من علوم القرآن فإن الأمر محتمل....) وإذا كان في هذا الجزء من مقالته لم يحسم الأمر فإنه في موضع آخر حسم أمر استقلاله، وذلك حين قسم علوم القرآن قسمين رئيسيين^(٢) هما:

القسم الأول: العلوم الناشئة من القرآن الكريم: (وعَدَّ منها علم نزول القرآن، وعلم القراءات.... وعلم التفسير، فقد بلغت عنده ستة عشر علماً).

(١) العدد الأول - ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ / مايو ٢٠٠٦ م : ص ١٠.

(٢) السابق : ص ١١٦ - ١١٨.

القسم الثاني: العلوم المشتركة مع غيره، وهي على قسمين: الأول: العلوم المرتبطة به كنص شرعي، تؤخذ منه الأحكام الشرعية، ويشاركه فيها الحديث النبوي.. (وعدها ستة علوم كعلم الناسخ والمنسوخ وغيره). الثاني: العلوم المرتبطة به باعتباره نصاً عربياً وهذه العلوم تعتبر من العلوم الخادمة له. (وأحصاها ستة علوم منها علم غريب القرآن، إضافة إلى علم متشابه القرآن، وعلم معاني القرآن وعلم لغات القرآن، وعلم إعراب القرآن، وعلم أساليبه) وألحظ في تصنيفه زيادة متشابه القرآن وعلم معاني القرآن في هذا القسم لأن الأول أورده برقم ٦ مع القسم السابق له مباشرة وهو علم المحكم والمتشابه، والآخر وهو علم معاني القرآن فهو من علم التفسير فمعاني القرآن جزء جوهري من تفسيره فلا لزوم لتصنيفه علماً مستقلاً إلا إذا كان الدكتور مساعد قد وضع في اعتباره كتب التفسير التي عنونت بمعاني القرآن ككتب الأخفش والفراء والزجاج.

وما يمكن أن أضيفه هنا هو أنه عند التصنيف في أي علم لابد من الإحاطة بموضوعه، وموضوع علم غريب القرآن هي هذه الألفاظ القرآنية التي تحتاج إلى بيان معناها اللغوي فقط، دون الخوض أو الالتفات إلى جوانب لغوية أخرى كالوظائف النحوية والتحليلات الصرفية.

ومن هنا تكون كتب غريب القرآن أقرب إلى المعاجم منها إلى كتب التفسير القرآني؛ وبناء عليه فيني أرى أن تُضمَّ كتب غريب القرآن، وكتب غريب الحديث إلى كتب غريب اللغة لتصبح جزءاً من علم المعاجم، والأولى أن يكون عنوانها الرئيس هو معاجم غريب القرآن ومعاجم غريب الحديث مثلها مثل كتب غريب اللغة التي هي في حقيقتها معاجم موضوعية. وموضوع كتب غريب القرآن هو بيان معاني مفردات السور القرآنية، وهو تفسير لغوي محض يتعامل مع ألفاظ القرآن بوصفها وحدات معجمية دالة ذاتياً ووظيفياً يقوم المؤلف بترتيبها في نسق (نظام) معجمي هجائي أو موضوعي؛ وبذلك يتوافر لهذه الكتب، أقصد كتب غريب القرآن، المراكز التي يقوم عليها أي معجم أو نظام معجمي من قوائم المفردات (وحدات معجمية)، ونظام الترتيب (الموضوعي، الهجائي)، ووضع الدلالات الخاصة بهذه المفردات، وهي المهمة التي صنعت من أجلها المعاجم. وبوضعها المعجمي هذا تصبح خزائن للثروة اللغوية ينتفع بها المفسر واللغوي وغيرهما.

والحركة العلمية التي أود أن أصفها بالمعجمية، بدأت تتناول غريب القرآن منذ القرن الأول الهجري على يد عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) الذي رُوِيَ عنه أجوبته على مسائل نافع بن الأزرق عن ألفاظ قرآنية، بيّن معناها ابن عباس مستدلاً على هذه المعاني بما جاء في شعر العرب، وسيأتي ذكرها فيما بعد.

واتخذ التصنيف في جمع غريب ألفاظ القرآن الكريم وترتيبها مساراً أكثر تنظيماً، يمكن تقسيمه إلى منهجين: وأولهما وأوسعهما انتشاراً الجمع والترتيب لغريب القرآن حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، حيث يبدأ المصنّف بغريب الفاتحة ويثني بغريب سورة البقرة، وهكذا حتى ينتهي إلى آخر سورة في القرآن؛ ومن الذين ساروا على هذا المنهج واتبعوه: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) في كتابه مجاز القرآن، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك الزبيدي (اليزيدي) (ت ٢٣٧هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه تفسير القرآن، وأبو عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ) في ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، ومكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) في كتابه العمدة في غريب القرآن، وكتابه تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم، وابن المطرف الكناني (ت ٤٥٤هـ) في كتابه القرطين (كتابي مشكل القرآن وغيره لابن قتيبة) والمارديني - ابن التركماني - ت ٧٥٠هـ) في كتابه بهجة الأريب، وشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت ٨١٥هـ) في التبيان في تفسير غريب القرآن. أما من المعاصرين فقد اتبع هذا المنهج الشيخ حسين محمد مخلوف في معجمه القرآني بعنوان "كلمات القرآن، تفسير وبيان" صدر بمصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، والأستاذ علي عودة في معجمه المسمى الوافي في تفسير غريب القرآن الكريم صدر في عمّان - الأردن ١٩٧٥م، وللدكتور محمد محسن وللدكتور شعبان إسماعيل كتاب الكافي في تفسير غريب القرآن الكريم صدر في القاهرة بدون تاريخ.

والمنهج الآخر سار في مسرين:

أ- ترتيب الألفاظ هجائياً على صورتها اللفظية - الألفبائية التي لا تُراعى فيها جذورها ودون اعتبار للأصلي والزائد، وهي الطريقة المتبعة في معاجم الاصطلاحات كالتعريفات للجرجاني، وهي أحدث المناهج في ترتيب معاجم المفردات عند العرب كالمرجع والرائد والمعجم العربي الحديث وهي التي أطلق

عليها صاحب المرجع الطريقة الفرنجية في الترتيب. وريادة هذا المنهج لأبي بكر السجستاني (ت ٣٣٠هـ) في غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب التي لم يكتفَ بالالتزام بالحرف الأول من اللفظة في صورتها المنطوقة بل التزم بترتيب حركته فيبدأ في باب الهمزة بالهمزة المفتوحة ثم المضمومة فالمكسورة وهكذا مع جميع الحروف التي جعل لها أبواباً. واتبع هذا المنهج حديثاً دون الالتزام بالحركات شيخ الاسلام موسى القليبي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) في التحفة القليبية في غريب القرآن حيث يقول في المقدمة^(١): "وأما الأبواب فرتبتها على حسب ترتيب حروف الهجاء" كذلك المحامي عبد الرؤوف المصري (أبو رزق) من مدينة نابلس له قاموس مفردات القرآن وغريبه ويقول في تعريفه به^(٢): "أخذت الكلمة من القرآن بحالها من غير نظر إلى ذكر أصلها المشتقة منه، مثلاً - المنشآت - أخذت هذه الكلمة بلفظها، ولم أنظر إلى أصلها المشتقة منه وهو فعل نشأ.."، أي نجدها في حرف الميم وليس في حرف النون واتبع هذا الترتيب كذلك محمد وهبي سليمان في "معجم تفسير كلمات القرآن" الصادر عام ١٩٩٦م.

ب- ويتطور هذا المنهج على يد أبي عبيد الهروي (ت ٤٠١هـ) في كتاب الغريين "غريب القرآن والحديث" الذي التزم فيه بالترتيب الجذري الألفبائي مما سببته فيما بعد، وعلى يد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في معجمه "المفردات في غريب القرآن" الذي وضعه كما يقول^(٣): "على حروف التهجي، فنَقَدَّم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم معتبراً فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد" وكأنها عودة إلى طريقة العرب الأولى في الترتيب المعجمي الاشتقاقي التي ترد فيها المداخل إلى جذورها وترتب هذه الجذور حسب أصولها الأوائل. واتبع من القدماء هذا المنهج أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب

(١) التحفة القليبية لموسى القليبي : ص ص ١٤ - ١٥.

(٢) معجم القرآن، قاموس مفردات القرآن وغريبه : ص ٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ص ٤.

وقيّد نفسه بمراعاة الحرفين الأصليين الأول والأخير دون مراعاة الحشو. ويتقيد حديثاً الشيخ عبد العزيز السيروان بمنهج الأصفهاني في المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن (ط ١-١٩٨٦م) إذ يقول^(١): "ثم رُتبت ذلك حسب حروف المعجم بإعادة كل كلمة إلى مادتها اللغوية فمثلاً كلمة منزلاً" مادتها اللغوية "ن ز ل" ويفعل الشيء نفسه حسن بن صالح بن عمر الحبشي في البرهان في غريب القرآن (ط ١-١٩٩١م) وحسن الجمل في مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن (طبعة الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠٣م).

وبعد هذا الإجمال لمناهج التأليف في غريب القرآن، سأتبع الكتب المصنفة فيه بالتفصيل حسب التسلسل الزمني وأبدأ بعبدالله بن عباس (ت ٦٨هـ) ترجمان القرآن الذي أول من رويت عنه رسالة جمعت فيها أجوبته عن أسئلة في ألفاظ غريب القرآن، وجهها نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس ونشرها ببغداد الدكتور إبراهيم السامرائي عام ١٩٦٨م / ١٩٦٩م تحت عنوان (سؤالات نافع بن الأزرق)، في مجلة رسالة الإسلام (العددان ٥، ٦ / السنة الثانية) مطبعة المعارف - بغداد، ونقلها محمد فؤاد عبد الباقي عن الإتيقان وذيل بها كتابه معجم غريب القرآن، وطبعت أيضاً بعنوان غريب القرآن في شعر العرب بتحقيق محمد عبد الرحيم وزميله وهو مرتب عشوائياً حسب الحروف الهجائية دون التقيد بترتيب الحروف الألفبائي، وقد رأى السيوطي في مسائل نافع أنها^(٢) "أول ما يُرجع إليه في ذلك (يقصد غريب القرآن) ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه؛ فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة" وقد أورد السيوطي في الإتيقان^(٣) حكاية هذه المسائل وهي الحكاية نفسها في كتاب سؤالات نافع بن الأزرق^(٤) إلى عبد الله بن عباس فقال: "بينما عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة...، إذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن وعن الحلال والحرام، وإذا

(١) المعجم الجامع : ص ٧.

(٢) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي : ٢ / ٢٤٥.

(٣) السابق : ٢ / ٥٥ - ٥٦.

(٤) ص ص ٨ - ٩.

هو لا يتعيا بشيء يسألونه عنه قال نافع بن الأزرق لنجدة بن عريم: قم بنا إلى هذا الذي يجتريء على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه.... وقال نجدة: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عز وجل فتفسرها لنا وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما.. "ومن جملة ما سأله نافع^(١) أن قال: "أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾^(٢) قال: ارتفعت عظمة ربنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء أعلى منك جداً وأمجداً

وقال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ...﴾^(٣) قال: ولد الزناء، قال وهل تعرف العرب ذلك قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر: (هو الخطيم التميمي)

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِغُ

والرواية عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن^(٤): وسأل رجل عكرمة عن الزنيم قال: هو ولد الزنى، وتمثل بيت شعر:

زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ أَبَوِهِ بَغْيُ الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لئِيمِ

وعنه أيضاً الزنيم: الدَّعِي الفاحش اللئيم، ثم قال:

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ.....

فرواية القرطبي تُثَبِّتُ للزنيم معنيين، ولكل منهما شاهده الشعري الذي قد يختلف في الاحتجاج وبإسناد المعنى لكل شاهد منهما، عن رواية مسائل نافع بن الأزرق. ويُعَدُّ اعتماد ابن عباس في بيان معاني غريب القرآن على دلالاته في شعر العرب ونثره مسلكاً منهجياً دقيقاً ربط فيه تفسير اللفظ القرآني بمفهومه في الاستعمال العربي،

(١) السابق : ص ٢٣.

(٢) ٣ - الجن.

(٣) ١٣ - القلم.

(٤) ٢١ / ١.

وهو المنهج الذي طَبَّقَ فيه مقولته المشهورة^(١) " إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب".

وعَدُّ مثل هذه الألفاظ من غريب اللغة في عصر الفصاحة ليجب علينا أن نبين المقصود من إطلاق مصطلح الغريب على مثل هذه الألفاظ في كلام العرب، وهو ما نقله صاحب كشف الظنون في الفصل الذي فتحه لعلم غريب الحديث والقرآن عن أبي سليمان الخطابي البستي من كتابه غريب الحديث الذي رجعت إليه واقتبست منه قوله^(٢): " الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، والغريب من الكلام يقال به على وجهين، أحدهما: أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها " وأما غريب القرآن الكريم فيوضح المقصود منه أبو حيان الأندلسي بقوله^(٣): " لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسمّوه غريب القرآن".

ويبدو لي أن اصطلاح الغريب قد أطلق على كل لفظ قرآني أو أي لفظ من كلام العرب له أدنى درجة من الغموض وليس له شيوع عام على ألسنة العرب بدليل تكرار سؤال نافع بعد كل إجابة من ابن عباس: وهل تعرف العرب ذلك؟ وذلك لقلة استعماله مع شيوع نظيره بين الناس: كلفظ عَزِينَ في قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾^(٤) فإن نظيره الشائع الاستعمال هو الجماعات المتفرقة، ويقل استعمال عَزِينَ في كلام العرب على فصاحتها حتى يغيب معناها واستعمالها عند السامع، ويجدهما ابن عباس عند أحد الشعراء العرب وهو عبيد بن الأبرص في قوله:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عَزِينَا

(١) السابق : ١ / ٢٠ المقدمة.

(٢) غريب الحديث للخطابي : ١ / ٧٠.

(٣) تحفة الأريب : ص ٢٤.

(٤) ٣٧ - المعارج.

وقد يصيب اللفظ شيء من الغموض من السياق الذي جاء فيه، فلفظ الوسيلة يتداوله العرب بمعنى الطريقة والوصلة والقربى كما في اللسان —، ولكن ابن عباس يفسرها بالحاجة في سياق قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١). (انظر فيما سبق: غريب القرآن في شعر العرب — سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس ص ٢٨-٢٩) على أنه يجب التنبيه على أن الغرابة خاصة في القرآن ليست "منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه.. " كما يقول الرافعي^(٢).

ويتوالى التأليف في غريب القرآن الكريم وقد أحصى صاحب معجم المعاجم أحمد الشرقاوي إقبال ثلاثة وخمسين كتاباً أو رسالة في تفسير غريب القرآن الكريم^(٣). بما فيها مسائل نافع أو غريب القرآن لابن عباس. ويرى الشرقاوي^(٤) أن المعجمية العربية بدأت انطلاقاً من غريب القرآن، بينما بلغ مجموعها، حسبما أورده محقق غريب القرآن للسجستاني^(٥)، ٢٠٥ كتب ما بين مطبوعة ومخطوطة ومجهولة المؤلف، قديماً وحديثاً وبغير العربية، وأقدمها غريب ابن عباس، بينما أحصى محقق كتاب العمدة لمكي القيسي ٨٥ كتاباً قديماً وحديثاً^(٦) وتُعزى كتب في غريب القرآن لأبان بن تغلب بن رياح البكري (ت ١٤١هـ)، ولأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ)، ولأبي جعفر بن أيوب (في القرن الثاني الهجري)، ولأبي محمد بن يحيى المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) وللنضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ) مصنفات في غريب القرآن. وكذلك غريب القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) وهو الذي حققه الدكتور فؤاد سزكين باسم مجاز القرآن؛ مع أنه قد ورد له أكثر من عنوان عند ابن النديم ففي (ص ٣٤) ورد ضمن الكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله بعنوان كتاب معاني القرآن، وفي ص ٣٥ ورد ضمن الكتب المؤلفة في

(١) ٣٥ - المائدة.

(٢) تاريخ آداب العرب، ط القاهرة، ١٩١١: ص ٧١.

(٣) معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي: ص ٥ - ص ١٦.

(٤) السابق: ص ٥.

(٥) غريب القرآن على حروف المعجم: ص ٤٣ - ٦١.

(٦) العمدة في غريب القرآن: ص ١٩ - ٣٧.

غريب القرآن بعنوان غريب القرآن لأبي عبيدة، وفي ص ٣٨ ورد ضمن الكتب المؤلفة في معاني القرآن بعنوان كتاب المجاز وفي ص ٥٣ يذكر ابن النديم أن له كتاب مجاز القرآن وكتاب غريب القرآن وكتاب معاني القرآن. كما ذكر المحقق^(١) فإن نسخ "المجاز" تحمل هذا الاضطراب في اسم الكتاب... ففي نسخة اسماعيل صائب بعنوان "كتاب مجاز القرآن" في أول الجزء الأول، وفي آخره "النصف الأخير من كتاب غريب القرآن وفي نسخة مراد مثلاً يوجد عنوان الكتاب هكذا: "كتاب المجاز لتفسير غريب القرآن". ومنهجه في الكتاب كما يذكر سزكين^(٢) أنه "عني بالناحية اللغوية في القرآن وأكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي"، فقد أصاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن كبدا الحقيقة في المجاز المقصود في كتاب أبي عبيدة حين ذكر^(٣): "والمجاز القرآني عنده لا يعدو أن يكون تفسيراً لألفاظ القرآن ومعجماً لمعانيه" وهي طريقة ابن عباس في تفسير ألفاظ القرآن التي سأله نافع عنها وللتدليل على ذلك أقتبس من المجاز^(٤): ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٥): لا شك فيه، وأنشدني أبو عمرو الهذلي لساعدة بن جؤية الهذلي:

فقالوا تركنا الحيَّ قد حَصَرُوا به فلا ريب أن قد كان ثمَّ لحيم

وفي ١-١٠٢: ﴿آنَاءُ اللَّيْلِ﴾^(٦): ساعات الليل، واحداً إنِّي، قال أبو أثيلة:
حلَّوْمرُّ كعطف القدح مرَّته في كلِّ إنِّي قضاء الليل يتعل

وفي موضع آخره (١-١١١): ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾^(٧): أي لم يلتفتوا إليه، قال أبو الأسود الدؤلي:

نظرت إلى عنوانه فنبذته كنبيذك نعلأً أخلقت من نعالكا

(١) فؤاد سزكين: ص ١٨.

(٢) مجاز القرآن: ١ / ١٩.

(٣) تلخيص البيان: ص ٥٠.

(٤) مجاز القرآن: ١ / ٢٨.

(٥) ٢ - البقرة.

(٦) ١١٣ - آل عمران.

(٧) ١٨٧ - آل عمران.

وفي موضع آخر (١-٢١٩): ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ (الأعراف - ٨٤) مجازة: لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوها وقالوا في المثل: "نحسبها حقاً وهي باخسة" أي ظالمة.

وهكذا يستعمل كلمة (مجازة) غالباً بديلاً عن كلمة معناه؛ أي يقصد المعنى اللغوي لكل كلمة، ولا يقصد بلفظ المجاز الاصطلاح البلاغي الذي قد يعني الاستعارة أو المجاز المرسل مثلاً. وبناء عليه حصل الاضطراب في عنوان الكتاب؛ فهو من أوائل كتب معاني القرآن التي اهتمت بالتفسير اللغوي لألفاظ القرآن الكريم التي قد يكتنفها غموض ما، فعدت لذلك من الغريب ويمكن تصنيفه ضمن كتب معاني القرآن الكريم التي اعتنى بتصنيفها اللغويون كالفرأء (ت ٢٠٧هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ)، ولكن منهجه في التفسير أقرب إلى منهج ابن عباس في إجاباته عن مسائل نافع بن الأزرق في غريب القرآن، الذي هو أقرب إلى التصنيف المعجمي؛ بعنايته فقط بالمعاني اللغوية للمفردات القرآنية دون العناية بالجوانب اللغوية الأخرى الصوتية والصرفية والنحوية، وهي الجوانب التي لقيت اهتماماً عند الفرأء والأخفش في كتابيهما المعنويين بـ "معاني القرآن". ولتوضيح هذا الأمر أطلع القارئ على ما جاء في تفسير "لا ريب فيه" في كتابي معاني القرآن ليقارنه بما جاء آنفاً في "مجاز القرآن" لأبي عبيدة. فالفرأء يقول^(١): "وأما قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾^(٢) فإنه رفع من وجهين ونصب من وجهين؛ إذا أردت بـ "الكتاب" أن يكون نعتاً لـ "ذلك" كان الهدى في موضع رفع لأنه خبر لـ "ذلك"؛ كأنك قلت: ذلك هدى لا شك فيه. وإن جعلت (لا ريب فيه) خبر ورفعت أيضاً (هدى) تجعله تابعاً لموضع "لا ريب فيه". وهكذا يشغله موضع "لا ريب فيه" النحوي أو الوظيفة النحوية، ويأتي التفسير اللغوي عَرَضاً وفي أثناء حديثه النحوي حيث يقول: ذلك هدى لا شك فيه؛ أي لا شك فيه هي معنى لا ريب فيه.

وأما الأخفش فيقول^(٣): ﴿لا ريب فيه هدى للمتقين﴾^(٢) و ﴿فلا إثم عليه﴾^(٤) فنصبها بغير تنوين؛ وذلك أن كل اسم منكور نفية بـ "لا" وجعلت "لا" إلى جنب

(١) معاني القرآن: ١ / ١١.

(٢) ٢ - البقرة.

(٣) معاني القرآن: ١ / ٢٣.

(٤) ٢٣ - البقرة.

الاسم فهو مفتوح بغير تنوين؛ لأن " لا " مشبهة بالفعل، كما شبّهت " إن " و " ما " بالفعل، وفيه في موضع خيرها.. " وهكذا يهتم الأخفش بالصنعة النحوية الشكلية، ولا يلتفت إلى المعنى اللغوي؛ إذ لا غرابة فيه عنده ولا غموض، كما هو الأمر عند الفراء. ولا ضرورة لبيان أبعاد الفرق في التناول بين أبي عبيدة وبين الفراء والأخفش اللذين لو قلبت صفحات كتابيهما لوجدت أنهما ينتقلان بين التعليقات الصوتية والصرفية والنحوية والمعاني اللغوية حسب الحاجة والسياق، في نظرة أشمل وأعمق إلى تفسير النص القرآني.

وأخلص من ذلك إلى أن وصف الغرابة يقتصر، حين يطلق، على اللفظ الغامض المعنى؛ أي إن كتب غريب القرآن هي التي تهتم بالمعنى اللغوي للمفردة القرآنية؛ أي اللفظ ومعناه، ولا تهتم بالجوانب اللغوية الأخرى: النحوية والصرفية والصوتية؛ وهي بهذا الوصف أقرب إلى المعجم اللغوي منها إلى كتب التفسير التي تتبع الألفاظ في حالي الأفراد والتركيب، صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة وبلاغة، وقد تنطرق إلى الاستنباطات الفقهية والدلالات الشرعية والسياقات التاريخية؛ لذلك أستغرب أن يوضع كتاب معاني القرآن للأخفش ضمن كتب غريب القرآن في كشف الظنون^(١) ويتابعه في هذا التوجه الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي^(٢) وصاحب معجم المعاجم^(٣) مستنداً إلى وروده في الفهرست ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان وهدية العارفين، وعندما رجعت إليها وجدت أن صاحب الفهرست لم يصنفه ضمن كتب الغريب التي فتح لها فصلاً بعنوان الكتب المؤلفة في غريب القرآن (ص ٣٥) وإنما وضعه في فصل الكتب المؤلفة في معاني القرآن (ص ٣٤) وفي أخبار الأخفش (ص ٥٢) باسم كتاب تفسير معاني القرآن. وهو نفس الاسم الموجود في معجم الأدباء لياقوت الحموي^(٤) ووفيات الأعيان لابن خلكان^(٥) أما في هدية العارفين لإسماعيل البغدادي^(٦) فقد ورد بعنوان معاني القرآن وهو عنوانه الصحيح

(١) التهانوي : ٢ / ١٢٠٧.

(٢) ٤٠ / ١.

(٣) ص ٩.

(٤) ٣٨٥ / ٣.

(٥) ٣١٨ / ٢.

(٦) ٣٨٨ / ٥.

الذي ظهر فيه الكتاب محققاً من الدكتور فائز فارس وقد ذكر إنه من كتب التفسير أو من كتب معاني القرآن التي تهتم بالجوانب اللغوية كلها^(١)، ولم يعده من كتب غريب القرآن؛ وعليه لا أوافق من جعله منها؛ خاصة أن المراجع التي ذكرها صاحب معجم المعاجم لم تصنفه تحت اسم غريب القرآن، باستثناء كشف الظنون، فضلاً عن أن منهجه الأشمل في التفسير يختلف عن المنهج المعجمي الضيق المتبع في كتب الغريب، الذي يقتصر في جوهره على إيراد الكلمة القرآنية في سياقها مقترنة بمعناها اللغوي مع الاستشهاد لهذا المعنى بكلام العرب شعراً أو نثراً، إذا اعتبرنا غريب القرآن لابن عباس ومجاز القرآن لأبي عبيدة أنموذجين لمثل هذا التصنيف، مع ما بين الكتابين من فروق في الترتيب والحجم والانتقائية. وتُنسب كذلك كتب في غريب القرآن للأصمعي ولأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ومحمد بن سلام الجمحي، ولأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك العدوي المعروف باليزيدي^(٢). ويذكر القفطي في إنباه الرواة على أنباه النحاة^(٣) أنه "قد صنف كتاباً في غريب القرآن حسناً في بابيه، ورأيت في ستة مجلدات، يستشهد على كل كلمة من القرآن بأبيات من الشعر... " ويبدو أن هذا الكتاب ليزيدي آخر هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد اليزيدي العدوي المعروف بابن اليزيدي أيضاً، الذي ترجم له القفطي في الإنباه^(٤) وذكر أنه صنف كتاباً في (غريب القرآن) وفي النحو مختصراً، وكتاب الوقف والابتداء وكتاب (إقامة اللسان على صواب المنطق)، وينقل عن ثعلب قوله (ما رأيت في أصحاب الفراء أعلم من عبد الله بن محمد اليزيدي)؛ أقول ذلك لأنني وجدت محمد سليم الحاج وهو محقق هذا الكتاب (أقصد غريب القرآن) قد نسبه إلى عبد الله بن يحيى مستنداً أيضاً إلى ما جاء في ترجمة الأخير في الإنباه^(٥) من أنه صنف هو الآخر كتاباً في غريب القرآن حسناً في بابيه) ولكن هذا المحقق لم ينقل العبارة التي أوردها القفطي، كاملة؛ لغاية في نفسه وتكملتها هي: (حسناً في بابيه ورأيت في ستة مجلدات يستشهد على كل كلمة

(١) معاني القرآن للأخفش : ١ / ٥٧.

(٢) معجم المعاجم : ص ٣٥.

(٣) ١٥١ / ٢.

(٤) ١٣٤ / ٢.

(٥) ١٥١ / ٢.

من القرآن بأبيات من الشعر، ملكته بخطه،... وصنف عبد الله أيضاً كتاباً في النحو مختصراً وكتاب الوقف والابتداء وكتاب إقامة اللسان على صواب المنطق، روى عنه أخوه الفضل ابن محمد اليزيدي وقال أحمد بن يحيى النحوي: ما رأيت في أصحاب الفراء أعلم من عبد الله بن محمد اليزيدي وخاصة في القرآن ومسائله" وهذه الترجمة توافق ما جاء في تاريخ بغداد. وأفهم من هذه العبارة أن الكتاب الذي حققه محمد سليم الحاج ليس لعبد الله بن يحيى وقد يكون لعبد الله بن محمد؛ لأن الوصف الذي ذكره القفطي لا ينطبق على الكتاب الذي بين أيدينا فهو ليس ستة مجلدات، وكذلك الاستشهاد فيه بالشعر نادر فلم تبلغ الأبيات التي استشهد بها عشرة، ولم يكن الاستشهاد على كل كلمة، هذا غير أن القفطي قد نسب الكتب نفسها لعبد الله بن محمد، وعبد الله بن يحيى فيكون المحقق قد قام بتزييف عبارة القفطي التي نقلها عن ثعلب وهي "ما رأيت في أصحاب الفراء أعلم من عبد الله ابن محمد اليزيدي" التي جاء بهذا النص في الترجمتين ١٣٤/٢، ١٥١/٢ ولكن المحقق (محمد سليم الحاج) زاد فيها وقال^(١): أعلم من عبد الله بن أبي محمد اليزيدي بدلاً من عبد الله بن محمد لأن كنية يحيى والد عبد الله هي أبو محمد؛ لأنه رأى الاكتفاء باسم محمد لا يتوافق مع ما أراده من أن الكتاب لابن يحيى وليس لابن محمد. على كل حال لم يضع مؤلف هذا الكتاب مقدمة لكتابه، وكان ترتيبه حسب تسلسل السور القرآنية بأسلوب أقرب إلى الإيجاز منه إلى الإسهاب في شرح المفردات القرآنية نحو قوله^(٢) في شرح ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(٣): (أي شك وتفاق). ولم يخلُ شرحه من التفصيل كما في شرحه معني ﴿وَقَوْمَهَا﴾^(٤) إذ يقول^(٥): (قال المفسرون هو الخبز والحنطة ويحكي عن أهل اللغة أنهم يقولون: فوموا لنا اخبزوا. وقالوا: الفوم الحبوب. وقال آخرون الفوم هو الثوم بعينه إلا أن العرب تُبدل مكان الثاء كما قالوا: جَدَفَ وجَدَثَ).

ولابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) كتاب عنوانه "تفسير غريب القرآن" حققه السيد أحمد صقر وقد طبع مرتين الأولى في القاهرة ١٩٥٨م، والثانية في بيروت ١٩٧٨م،

(١) غريب القرآن وتفسيره : ص ١٩.

(٢) السابق : ص ٦٥.

(٣) ١٠ - البقرة.

(٤) ٦١ - البقرة.

(٥) نفسه : ص ٧١.

ويبين موضوعه ومنهجه في مقدمته بقوله^(١): " قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: نفتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسن، وصفاته العلا، فنخير بتأويلها واشتقاقها، ونتبع ذلك ألفاظاً أكثر ترددها في الكتاب لم نر بعض السور أولى من بعض، ثم نبتدىء في تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله.... وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونحمل، وألا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وألا نحشو كتابنا بالنحو والحديث والأسانيد... وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، ولم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة، وأشبهاها بقصة الآية، ونبذنا منكر التأويل ومنحول التفسير؛ أي إنه سيكتفي بذكر معنى المفردة الذي يفرضه سياق الآية التي تذكر فيها المفردة مستعيناً بأقوال المفسرين واللغويين، دون التطرُّق إلى الجوانب اللغوية الأخرى. وقد رتب الألفاظ حسب ترتيب السور في القرآن مع رقم الآية في السورة، فيبدأ بسورة الفاتحة واختار لها من أسمائها المعروفة سورة الحمد، ومن غريبها^(٢) جاء: ٤ - و (يوم الدين)^(٣) يوم القيامة... " سمي بذلك لأنه يوم الجزاء والحساب، ومنه يقال: دثته بما صنع: أي جازيته، ويقال في مثل: " كما تدين تُدان " يراد كما تصنع يُصنع بك، وكما تجازي تُجازى ".

ومن غريب سورة البقرة جاء^(٤): ٢ - " لا ريب فيه " : لا شك فيه، ﴿ هدى للمتقين ﴾^(٥) أي رُشداً لهم إلى الحق... " وكذلك^(٦): ٧ - " ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾^(٧) بمنزلة طبع الله عليها، والخاتم بمنزلة الطابع، وإنما أراد: أنه أقفل عليها وأغلقها؛ فليست تعي خيراً ولا تسمعه، وأصل هذا: أن كل شيء ختمته فقد سدده وربطته " .

(١) ص ٣ وما بعدها.

(٢) نفسه : ص ٣٨.

(٣) ٤ - الفاتحة.

(٤) نفسه : ص ٤٠.

(٥) ٢ - البقرة.

(٦) نفسه : ص ٤٠.

(٧) ٧ - البقرة.

وجاء كذلك^(١): ١٠ - " ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ^(٢) أي شك ونفاق. ومنه يقال: فلان يمرض في الوعد والقول؛ إذا كان لا يصححه، ولا يؤكد. وفي الصفحة نفسها ١٥ - : ﴿ وَيَمْدَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ ^(٣): ويمدّهم أي يتمادى بهم، ويطيل لهم. ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ أي في عُتُوهم وتكبرهم: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ ^(٤): أي علا والأرقام ٤، ٢، ٧، ١٠، ١٥ تشير إلى أرقام الآيات التي تشتمل على الألفاظ، في السور. ويحسن التنويه هنا بأنه في تفسيره يبادر إلى ذكر المرادف اللغوي للفظ الغريب، كوضعه (لا شك فيه) مقابل (لا ريب فيه) و الجملة ترادف جملة، وقوله (علا) مقابل (طغى)، و(شك ونفاق) مقابل (مرض) (كلمة مرادف لكلمة) و(في طغيانهم): أي (في عتوهم وتكبرهم)، شبه جملة مقابل أخرى.

وقد يستعين بالسياق اللغوي لبيان المعنى كقوله: ومنه يقال: فلان يمرض في الوعد والقول إذا كان لا يصححه ولا يؤكد. وقد يلجأ إلى البنية الصرفية برد الكلمة إلى أصلها في تفسيره يوم الدين بقوله: يقال دنته بما صنع أي جازيته، وكما تدين ثدان يراد كما تصنع يُصنع بك وهنا تتداخل طريقة السياق اللغوي في أداء المعنى مع الاعتماد على الأصل الصرفي.

يجعل صاحب معجم المعاجم^(٥) كتاب المفضل بن سلمة (ت ٢٩٠هـ) وهو بعنوان " ضياء القلوب في معاني القرآن " ضمن كتب غريب القرآن معتمداً على الفهرست^(٦) وعلى معجم الأدباء^(٧) وعلى وفيات الأعيان^(٨)؛ وهذه المراجع تثبت أن هذا الكتاب من نيف وعشرين جزءاً وهل يعقل أن يُشغل غريب القرآن كل هذه الأجزاء؟!

(١) نفسه : ص ٤١ .

(٢) ١٠ - البقرة.

(٣) ١٥ - البقرة.

(٤) ١٢ - الحاقة.

(٥) ص ١٠ .

(٦) ابن النسيم : ص ٣٤ .

(٧) ٥ / ٥١٤ .

(٨) ٤ / ٥٢ .

وما يشير إليه العنوان بوضوح هو أن هذه الأجزاء في تفسير القرآن بشكل شامل وجامع لكل ما تعنيه كلمة تفسير من جوانب لغوية ودينية وفقهية وشرعية وبلاغية وأخلاقية وتاريخية، والشاهد على ذلك هذه التفاسير القرآنية التي بين أيدينا للطبري والقرطبي والرازي وابن كثير وغيرها بأحجامها أو أجزائها التي نعرفها، ولم يدع أحد أنها مختصة بالفاظ الغريب، ولم تصنف ضمن كتب الغريب، وما ينطبق عليها ينطبق على كتاب المفضل أيضاً؛ وعليه لا محل لتصنيفه ضمن كتب الغريب لا عقلاً ولا نقلاً.

كذلك نسبت كتب في غريب القرآن لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)، ولأبي العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحول (ت في القرن الثالث الهجري)، ولأبي جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري^(١) وللأخفش الصغير (ت ٣١٥هـ) ولأبي بكر عبدالله ابن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣١٦هـ)، ولابن دريد (ت ٣٢١هـ) ولأبي زيد البلخي (ت ٣٢٢هـ) وللجعد الشيباني (ت ٣٢٢هـ)، ولنفظويه (ت ٣٢٣هـ) التي يبدو أنها فقدت. ومن الكتب ما كان علامة فارقة بمنهج بين كتب الغريب، كتاب غريب القرآن المسمى نزهة القلوب للإمام أبي بكر محمد بن عزير السجستاني (ت ٣٣٠هـ) الذي حظي بنشره مرات عدة، من أشهرها التي عني بتصحيحه فيها محمد بدر الدين النعساني، وطبع على نفقة محمد أمين الخانجي، ١٣٢٥ هـ. بمطبعة السعادة بمصر. ومنها كذلك الطبعة التي عني بتصحيحها وضبط ألفاظها وتعليق حواشيها ومراجعتها على أصولها مصطفى العناني، وما بين يدي منها الطبعة الثانية التي قام بنشرها سيد موسى الشريف صاحب المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م التي يبدو أنها إعادة طبع للأولى التي تمت على نفقة محمد علي صبيح وأولاده بمطبعة حجازي - القاهرة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، وهذه الطبعة تكررت إعادتها ١٩٥٢م، و ١٩٦٣م عن محمد صبيح وثالثة عن دار الرائد العربي في بيروت ١٩٨٢م وأهمل فيها اسم المصحح. ومن الطبعات التي تصرف بمنهج في الترتيب ما تم على يد محمد الصادق قمحاوي الذي أعاد ترتيب ألفاظه على ترتيب سور القرآن، وأضاف كلمة تفسير إلى عنوانه فأصبح تفسير غريب القرآن معللاً ذلك بقوله في المقدمة^(٢) "ولما كان كتاب غريب القرآن للسجستاني

(١) معجم المعاجم : ص ٣٥.

(٢) تفسير غريب القرآن لأبي بكر السجستاني، بتحقيق محمد الصادق قمحاوي : ص ٥ - ٦.

وماله من شهرة عالية في توضيح الكلمات الخفية من القرآن الكريم إلا أنه غير مرتب على سور القرآن مما يشق على الطالب استخراج معاني بعض الكلمات من سورها حسب التلاوة، وقد أردت ترتيبه على ترتيب سور القرآن؛ ليسهل على من يريد فهم كلمة قرآنية الرجوع إليها دون عناء ولا تعب، فقامت بذلك الترتيب المذكور مع تكملة ما فيه من نقص وقصور سميته تفسير غريب القرآن لأبي بكر السجستاني " وأستغرب مما كتب على الصفحة الثالثة لغلاف الكتاب من أنه تحقيق وتهذيب وترتيب؛ أما الترتيب الجديد فنعم؛ لكن ليس له من أصول التحقيق صورة سوى إعادة كتابة النص الذي عني بتصحيحه الأستاذ العناني، مع بعض الزيادات التي كان الأولى به أن يضعها في الهامش كما في ص ٨ مثلاً دون ضبط لألفاظ الشرح، ولم يعقد أي مقابلة بين المخطوطات التي من المفروض أن تكون أصل النص، ويحق لي أن أتساءل عن معنى التهذيب هنا؟! لأن النص الأصلي مهذب ولا يحتاج إلى تنقيح وإلى إعادة صياغة.

ويحظى هذا الكتاب أخيراً بتحقيق علمي يليق بوسطيته بين كتب الغريب القرآني، وقد حافظ هذا التحقيق على متن الكتاب وضبطه بالشكل، وخرّج آياته وأحاديثه وأشعاره والأمثال مع توثيق الاقتباسات والتعريف بالأعلام، وذكر ما يلزم من أسباب النزول ولغات العرب وشرح المفردات، وغير ذلك مما يلزم من التحقيق كالفهارس الفنية المتنوعة، وكان ذلك على يد أحمد عبد القادر صلاحية، الذي حصل على درجة الماجستير عن هذا التحقيق. أما وسطية هذا الكتاب فلأنه كان لا يوجز إلى حد الابتسار والخلل ولا يسهب إلى درجة الإطناب والإملا؛ إذ كان يستعين بأقوال اللغويين والعلماء إذا احتاج الأمر إلى توضيح. ولا يتردد في ذكر من ينقل عنهم من المفسرين واللغويين كعبد الله بن عباس وأبي عبيدة معمر بن المثنى، مع استعانه بالشواهد الشعرية.

أما منهجه في ترتيب غريب القرآن فقد كان جديداً على ترتيب ألفاظ غريب القرآن التي كان ترتيبها حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، وفي بيان منهجه في هذا الكتاب يقول في مقدمته^(١): " هذا تفسير غريب القرآن أُلّف على حروف المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه على من أراد.. " وتأتي سهولة التناول من أن الدارس لا يحتاج إلى ردّ اللفظ الغريب إلى جذره من أجل البحث عن معناه بل يبحث عنه كما هو في سياقه

(١) غريب القرآن على حروف المعجم للسجستاني، تحقيق أحمد عبد القادر صلاحية : ص ٩٦.

وعلى ظاهر لفظه من حروف زائدة أو محذوفة؛ أي يقوم على مراعاة الحرف الأول وحركته في منطوق الكلمة، دون عناية بالحرفين الثاني والثالث فالأسباط في باب الهمزة، وليس الهمزة فقط بل بتحديد أكثر الهمزة المفتوحة؛ لأنه فتح لكل حرف مع حركته باباً، أي جعل لكل باب حركته. فكان أول الأبواب باب الهمزة المفتوحة ومن أمثلته: ألم، أنذرهم، أنداداً، آل فرعون، آيات، أماني، أيدينا، أسلمت لرب العالمين.... إلخ، ومن هذا الباب نقتطف المثال الآتي:

الأسباط: في بني يعقوب وإسحق كالقبائل في بني إسماعيل، واحدهم سبط، وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ولداً ليعقوب عليه السلام، وإنما سُمُوا هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل، ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحق عليهما السلام ويظل مع باب الهمزة المفتوحة حتى ينتهي من الألفاظ التي تبدأ بالهمزة المفتوحة من غريب ألفاظ القرآن. ثم ينتقل إلى باب الهمزة المضمومة:

الهمزة المضمومة

﴿أَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾^(١): أي يشبه بعضه بعضاً، فجاءت أن يشبه في اللون والخلقة، ويختلف في الطعم وجاءت أن يشبه في الثبل والجودة فلا يكون فيه ما يُنفى ولا ما يفضله غيره.

﴿أُمِّيُونَ﴾^(٢): الذين لا يكتبون، الواحد أُمِّيٌّ، منسوبٌ إلى الأُمّة (الأُمِّيّة) التي هي على أصل ولادات أمهاتها، لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها.

الهمزة المكسورة

﴿إِهْدِنَا﴾^(٣): أرشدنا.

﴿أَسْتَوْقَدُ﴾^(٤): بمعنى أوقد.

﴿إِبْلِيسَ﴾^(٥): إفعيلٌ من أبلس (من رحمة الله) أي يئس، ويقال هو اسم أعجميٌ فلذلك لا ينصرف.

(١) ٢٥ - البقرة.

(٢) ٧٨ - البقرة.

(٣) ٦ - الفاتحة.

(٤) ١٧ - البقرة.

(٥) ٣٤ - البقرة.

ولم يفت محقق الكتاب أن يبين الأسباب والعوامل التي كانت سبباً في شهرة الكتاب، ومنحته نوعاً من التميز، في محتواه ومنهجه، وقد عدّ في الصفحتين ٧٦،٧٥ عشرين سبباً لذلك، ويحسن أن أسجل ما يتميز به من إيجابيات:

وأولها: ريادته في منهج تأليف غريب القرآن بترتيب المفردات على حروف المعجم دون الرجوع إلى الجذر؛ مما يجعل الرجوع إليه أسهل، وهذا ما تفرّد به.

وثانيها: مراوحته في شرح معاني المفردات بين طريقتي الإيجاز غير المخل والإسهاب غير الممل بحيث يكتفي أحياناً بالكلمة ومعناها نحو: وأيدناه^(١): قويناه. وهذه الطريقة هي الغالبة على كتب الغريب فابن قتيبة في تفسير غريب القرآن كان ينحو هذا النحو من الإيجاز ولا يردف المعنى أو الشرح بأية لفظة أخرى، كما يراده لا شك فيه (فقط) تفسيراً لقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢)، ولكنه في أكثر الأحيان لا يكتفي بهذه الطريقة بعكس صاحب ياقوتة الصراط وهو أبو عمر الزاهد (٣٤٥هـ) الذي كان في أكثر الأحيان يلجأ إلى الإيجاز في المتن لشرح الذي يكتفي به من الآية الكريمة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ بكلمة الريب ويضع أمامها الشك فقط. وأجد كتباً أخرى في الغريب بعد السجستاني قد انتهج أصحابها هذا النهج مع جميع مفردات غريب القرآن دون استثناء كالعمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ). أما الإسهاب أو التوسع في الشرح من أجل التوضيح ودون إطناب فهو نهجه الذي مال إليه في أكثر الأحيان، خاصة إذا كان السياق يقتضي ذلك في مثل شرحه لكلمة "أماي" فيقول^(٣) في شرحها جمع أمنية، وهي التلاوة، ومنه قوله: ﴿إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾^(٤) أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته. والأماي الأكاذيب أيضاً، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت؛ أي ما كذبت، وقول بعض العرب لابن دأب وهو يحدث: أهذا شيء رويته أم شيء تمنيته؟ أي افتعلته، والأماي أيضاً ما يتمناه الإنسان ويشتهي. هكذا يسهب رغبة منه في ألا يترك في

(١) ٨٧ - البقرة.

(٢) ٢ - البقرة.

(٣) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب للسجستاني : ص ٤.

(٤) ٥٢ - الحج.

نفسه وفي نفس السامع شيئاً. وكان هذا النهج مطروحاً ممن سبقه من قبل كابن قتيبة في غريبه نحو تفسيره "يخادعون" من قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾^(١) إذ يقول^(٢): " يريد: أنهم يخادعون المؤمنين بالله، فإذا خادعوا المؤمنين بالله؛ فكأنهم خادعوا الله. وخداعهم إياهم، قولهم لهم إذا لقوهم: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ أي: مَرَدَقَم؛ ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾^(٣) وما يخدعون إلا أنفسهم: لأن وبال هذه الخديعة وعاقبتها راجعة عليهم، وهم لا يشعرون " ولا أرى أي فرق في الأسلوبين، وهو أمر مفهوم حيث يتبع اللاحق السابق، وهذه هي الوسطية في التأليف المعجمي لغريب القرآن. وسرى في النماذج القادمة من مؤلفات غريب القرآن من يتوسع في الإسهاب كالراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن، ومن يتشدد في الإيجاز كالعمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي.

وثالثها: تَعْرِضُهُ لِلتَّعْرِيفِ بِالْأَعْلَامِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْحَيَوَانِ وَالْأَدَوَاتِ اللَّغَوِيَّةِ.

ورابعها: التَّنَوُّعُ فِي الِاسْتِشْهَادِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَالشَّعْرِ وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاللَّغَوِيِّينَ.

وخامسها: ذِكْرُ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالِاهْتِمَامُ بِالضَّبْطِ وَالِاشْتِقَاقِ وَالْمَعْرَبِ وَالدَّخِيلِ.

وتذكر بعض المصادر^(٤) كذلك أن هناك كتاباً في غريب القرآن لأحمد بن محمد العروضي (ت ٣٣٦هـ)، ويعد بعضهم معاني القرآن للنحاس (ت ٣٣٨هـ) من كتب الغريب وهو غير صحيح لأنه من كتب التفسير الشاملة. ولكن ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لصاحبه أبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بـ غلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ) الذي حققه الدكتور محمد بن يعقوب التركستاني، هو الذي يستحق أن يكون من مصنفات الغريب. بمنهج في الشرح والتفسير لما يسوده من إيجاز في إيراد المتن ومعناه، فضلاً عن أنه رُتِّبَ كتابه الترتيب التقليدي المعهود لألفاظ القرآن الكريم،

(١) ٩ - البقرة.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص ٤٠.

(٣) ١٤ - البقرة.

(٤) الفهرست لابن النديم: ص ٣٧.

وهو ترتيب الألفاظ حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، مبتدئاً بالفاتحة ومثنياً بسورة البقرة، وهكذا إلى آخر سورة في القرآن، بمنهج انتقائي؛ وأقصد بذلك تعمد اختيار لفظة واحدة دون غيرها من سورة الفاتحة وهي الصراط منفصلة عما يسبقها ويليها من الآية الكريمة. ويحسن صنعاً المحقق بما أورده في هوامش الكتاب مما اقتبس من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة والعمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي، مع ما أضافه من تعليقات وزيادات على المعاني من اقتباسات عن العلماء، وأنقل إلى القارئ ما جاء في الكتاب في تفسير لفظ الصراط.

فاتحة الكتاب

أَنَا تَعَلَّبْتُ؛ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ؛ قَالَ:
﴿الصَّارِطُ﴾^(١): الطَّرِيقُ.

ومع نهاية القرن الرابع الهجري يظهر نوع جديد في تأليف كتب الغريب، إذ صُنِّف أول كتاب جمع بين غربيي القرآن الكريم والحديث الشريف، وهو "كتاب الغريبين غربيي القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ) الذي طبع بتحقيق محمود محمد الطناحي ١٩٧٠ م، الذي وصفه ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر^(٢) بقوله "فلما كان زمن أبي عبيد أحمد الهروي صاحب الإمام أبي منصور الأزهري اللغوي، وكان في زمن الخطابي وبعده وفي طبخته، صُنِّف كتابه المشهور السائر في الجمع بين غربيي القرآن العزيز والحديث، ورتبه مقفًى على حروف المعجم على وضع لم يُسَبَق في غريب القرآن والحديث إليه. فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها وأثبتها في حروفها وذكر معانيها؛ إذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمة الغريبة لغة وإعراباً ومعنى، لا معرفة متون الحديث والآثار وطرق أسانيدھا وأسماء رواھا، فإن ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله " إنه يبيّن الغرض من الكتاب وهو جمع غريب القرآن وغريب الحديث في كتاب واحد ويذكر المنهج الذي رُتِّب فيه ألفاظ الغريب وهو الترتيب الأبجائي الجذري وهو ما يوضحه بتفصيل أكثر المصنّف نفسه،

(١) ٦- الفاتحة.

(٢) ٨ / ١.

أقصد الهروي، بقوله^(١): " وكتابي هذا لمن حمل القرآن وعرف الحديث ونظر في اللغة، ثم احتاج إلى معرفة غرائبهما وهو موضوع على نسق الحروف المعجمية، نبدأ بالهمزة فنفيض بها على سائر الحروف، حرفاً حرفاً، ونعمل لكل حرف باباً، ونفتتح كل باب بالحرف الذي يكون آخره همزة ثم الباء، ثم التاء إلى آخر الحروف، إلا أن لا نجده فنتعده إلى ما نجده على الترتيب فيه، ثم نأخذ في كتاب الباء، على هذا العمل، إلى أن ننتهي بالحروف كلها إلى آخرها، ليصير المفتش عن الحرف إلى إصابته من الكتاب، بأهون سعي وأجث طلب " ولتوضيح ذلك أقول: إنه قد عقد لكل حرف كتاباً، فكان عدد الكتب فيه على عدد الحروف فبدأ بكتاب الهمزة، فكتاب الباء، فكتاب التاء، فكتاب الثاء، إلى أن يصل إلى الياء؛ أي يفتح للحروف ثمانية وعشرين كتاباً، ثم يقسم كل كتاب إلى سبعة وعشرين باباً، فيجعل مثلاً باباً للهمزة مع الباء (أب)، ويذكر تحته الكلمات التي يبدأ جذرها بالهمزة وثانيها الباء والثالث مع الباء (أ ب ب) ثم الثالث مع التاء فإذا لم يجد ينتقل إلى التاء وهكذا حتى يصل إلى الدال، ونقتطف مثلاً للتوضيح، من كتاب الغريين^(٢):

كتاب الهمزة

باب الهمزة مع الباء

قوله تعالى: ﴿وفاكهةً وأباً﴾^(٣)، قال ابن اليزيدي: الأب: المرعى. قال غيره الأب للبهائم كالفاكهة للناس. وقال شمر: الأب: مرعى للسوائم، وأنشد:

فأنزلت ماءً من المَعَصِرَاتِ فأنبتت أباً وغلب الشجر

في الحديث: "إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش"، الأوابد: التي قد تأبدت؛ أي توحشت ونفرت من الأنس".

ونلاحظ هنا انتقاله من باب الهمزة مع الباء فالباء (أ ب ب) التي وجد لها لفظاً غريباً في القرآن الكريم، ويبدو أنه لم يجد لفظاً مماثلة في الأحاديث الشريفة، وكان عليه، بناء على ما اختطه من منهج، أن ينتقل إلى الهمزة مع الباء / والتاء والثاء والجيم والحاء والحاء ويبدو كذلك أنه لم يجد غريباً من هذه الجذور فانتقل إلى الهمزة مع الباء والدال

(١) كتاب الغريين، غريبي القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي : ١ / ٦.

(٢) السابق : ١ / ٧.

(٣) ٣١ - عبس.

وهو أمر لم يفته أن ينوّه به حين قال في مقدّمته، وهو في الجزء المقتبس آنفاً: "إلا أن لا نجده فنتعدها إلى ما نجده على الترتيب فيه" وهو ما فعله بانتقاله إلى الهمزة مع الباء والذال فذكر الأوابد من جذر أبد كما اقتبسنا ثم ينتقل إلى أبر (الهمزة مع الباء والراء) فيقول^(١): "في الحديث: خير المال مُهْرَةٌ مأمورة أو سَلَّةٌ مأبورة" المأبورة: الملقحة... "ثم ينتقل إلى تأبط وإلى أبل فأبْن فأبه. ويفتح بعدها باباً للهمزة مع التاء (أتب) فيقول^(٢): "في الحديث: وعليها إئب وإزار" الإتب: البقيرة، وهي بردة تُشَقُّ فتلبسها المرأة من غير كمّين ولا جَبِّب "ثم يقفز إلى الجذر أ ت ي، لأنه لم يجد غريباً يستحق الشرح في الجذور التي تقع بين (أ ت ب) و(أ ت ي)، فيقول^(٣) في (أ ت ي): "قوله تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾"^(٤)؛ قال أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة نفطويه: تقول العرب: "أتاك الأمر" وهو متوقع بعد، أي أتى أمر الله وعداً، فلا تستعجلوه وقوعاً"، ويتابع مع هذا الجذر (أ ت ي) حتى يأتي إلى نهايته، وينتقل إلى باب الهمزة مع التاء... وهكذا حتى يصل إلى باب الهمزة مع الياء وما يثلثهما، ثم يعقد كتاباً للباء ويفتح فيه أبواباً ويبدوها بالباء مع الهمزة ثم الباء مع الباء، فالباء مع التاء، وهكذا كالذي حصل مع كتاب، الهمزة، وهكذا لكل حرف كتاب وكل كتاب يقسم إلى أبواب يبدأ فيه حرف الباء مع الهمزة، وأعتقد أن هذا ما يعنيه بقوله^(٥): "ونفتح كل باب بالحرف الذي يكون آخره همزة".

وهكذا اتبع منهجاً معجماً التزم فيه الترتيب الألفبائي الأصولي أو الجذري باعتماده الحرف الأصلي الأول كتاباً ثم توزيعه إلى أبواب مع الحرف الثاني ثم بتتابع الحرف مع ما يثلثهما مع بقية الحروف بالترتيب: أ / أب / أ ب ب / أ ب ت.... أ ب ي، وهو منهج أفادت منه معاجم مفردات اللغة وأوها أساس البلاغة للزمخشري. ولا بد من الإشارة، عند الحديث عن منهج الغريبيين، إلى أنه كان يبدأ بتفسير غريب القرآن الكريم وكان يتتبع اللفظ القرآني أيضاً في القراءات وينبّه إلى ما يستتبع ذلك من معان

(١) نفسه : ١ / ٨.

(٢) نفسه : ١ / ١٢.

(٣) نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) ١ - النحل.

(٥) نفسه : ١ / ٦.

ودلالات، ويثني بغريب الحديث إلا إذا لم يجد في القرآن فإنه يبدأ بالحديث، وقد يتطرق إلى اللفظ نفسه عند الصحابة أو التابعين، فعند حديثه عن "تأبط" مثلاً ينقل حديثاً شريفاً ثم ينقل قول عمرو بن العاص^(١): "إني والله ما تأبطتني الإمامة" أي لم يحضنّه، ولم يتولّين تربيته". وينقل أقوالاً عن عمر وعثمان وأبي الدرداء وابن عباس وغيرهم. ويدعم تفسيره بالنقل عن أئمة اللغة والتفسير كاليزيدي وشمر (ج ١-ص ٧) والفراء (ج ١-ص ١١) وعن نفطويه (ت ٣٢٣هـ) (ج ١-ص ١٢) وعن أستاذه الأزهري (ت ٣٧٠هـ) (ج ١-ص ١٤، ١٥، ٢٥، ٢٧) وينقل عن الأخيرين بكثرة لا حد لها، حتى إن محقق الكتاب (ج ١-ص ٢٦، ٢٧) ينبّه إلى كثرة استعانة الهروي بنفطويه بقوله: "وقد أكثر المؤلف من النقل عنه كثرة مفرطة، وكأنه وقع له كتابه في غريب القرآن الكريم فملاً منه عيبه". ويلاحظ قلة ركونه إلى الاستشهاد بالشعر على المعاني التي يوردها لغريب الألفاظ؛ ففي الصفحات من ٧-٢٨ في الجزء الأول استشهد بستة شواهد شعرية مع غزارة المادة المبذولة في هذه الصفحات، ويخالف في نهجه هذا الربط التقليدي الثابت منذ ابن عباس بين غريب اللفظ القرآني وبين الشعر.

وتبدو أهمية الكتاب واضحة بين كتب الغريب بما لقيه من العلماء واللغويين من اهتمام فأقاموا حوله ما يمكن أن يكون حركة علمية^(٢) "نقدًا واختصاراً وزيادة وتذيلاً" مقدمة التحقيق، ومنهم من اختصره كمختصر الغريبين لمجد الدين أبي المكارم النحوي (ت ٥١٦هـ) في مختصر الغريبين، ومنهم من نبّه على خطئه كالتنبيه على خطأ الغريبين لأبي الفضل بن أبي منصور البغدادي (ت ٥٥٠هـ)، ومنهم ما جمع ما فاته كالمجموع المغيث في غربي القرآن والحديث لأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني (ت ٥٨١هـ) الذي ستحدث عنه في مكانه. وقد جمع ابن الأثير بين الغريبين وبين كتاب المغيث في كتابه النهاية فيما يخص الحديث طبعاً، ومنهم من زاد عليه كالمشروع الرّوي في الزيادة على غربي الهروي "لمحمد بن علي بن الخضر المالقي المعروف بابن عساكر (ت ٦٣٦هـ). ولا شك أن ترتيب ألفاظ الغريبين قد ترك أثراً واضحاً فيما جاء بعده من كتب الغريب

(١) نفسه : ١ / ٩.

(٢) نفسه : ١ / ٣١.

ومعاجم اللغة كالمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني والفاائق في غريب الحديث وأساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

ويتوالى التأليف في غريب القرآن فيظهر كتابان لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) أولهما بعنوان كتاب تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم، وهو الذي يقول في مقدّمته بعد أن يحمّد الله ويصلي على نبيّه^(١): "هذا كتاب جمعت فيه تفسير المشكل من غريب القرآن، على الإيجاز والاختصار مع البيان، نفع الله به". أما الآخر فسمّاه العمدة في غريب القرآن ولم يكتب له مكّي مقدّمة، ولكن في مقدّمة التحقيق يذكر المحقّق^(٢): "إن كتاب العمدة في غريب القرآن هو مختصر من كتاب "تفسير المشكل من غريب القرآن" للمؤلف نفسه، هدّبه فيه واختصره، واختار أولى الأقاويل التي رجح صحتها على ما أذاه إليه اجتهاده، مع طول باعه، وجعله كتيباً صغيراً". والكتابان مرتّبان على ترتيب سور القرآن الكريم؛ إذ يبدأ كلاهما بغريب سورة الفاتحة ثم سورة البقرة.. الخ. ومن ينظر إلى الكتّابين تأخذه الدهشة لأن المشكل كما يقول صاحبه إنه جُمع على الإيجاز والاختصار؛ أي لا توسع فيه فكيف يتم اختصاره؟! وتشغل هذه القضية محقق كتاب العمدة الأستاذ يوسف مرعشلي، فيقوم بعقد مقابلة بين الشرح في الكتّابين؛ والحقيقة التي أستطيع أن أخرج بها من المقابلة هي أن الشرح الذي توسع فيه المشكل اختصره في العمدة وهو أمر قليل إذا كان الغالب على الكتّابين الإيجاز والاختصار، خاصة إذا عرفنا أن هناك كلمات لم ترد لا هي ولا معناها في تفسير المشكل، ووردت معانيها بإيجاز في العمدة. نحو: الحمد، والعالمين، ومَلِك، ومالِك، المستقيم، أنعمت عليهم، مرتبة حسب أرقام آياتها في الفاتحة وتقابلها معانيها على التوالي: الشكر، الخلق، السلطان الباقي في ملكه، القادر الحاكم بما يرى، المستوي (يعني الاسلام)، يعني النبيين ومن أسلم معهم. وبقية مفردات السورة نحو يوم الدين والصراط والمغضوب والضالين وردت في المشكل والعمدة. وأحس هنا بأن القيسي قد جمع في تفسير المشكل ما رآه مشكلاً بينما في العمدة جمع الغريب والمشكل، وليتسع العمدة لأكثر عدد من هذه المفردات قام باختصار ما توسّع فيه المشكل نحو: ألم "من سورة البقرة التي توسّع في شرحها في تفسير المشكل إذ قال في البيان عنها:

(١) تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم : ص ١٥.

(٢) العمدة في غريب القرآن : ص ٥.

" وفواتح السور قد كثر الاختلاف في ذلك. فقليل: هي فواتح. وقيل: أحرف مأخوذة من أسماء الله تعالى كالصاد من صادق، والعين من عليم، ونحوه. وقيل: هي أقسام. وقيل: هي أسماء للسور. وقيل: هي مما لا يعلم تأويله إلا الله، وقيل: تنبيه. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ألم. الألف واللام جبريل، والميم محمد. روى ذلك عنه عطاء والضحاك. وكل ما ذكرنا من تفسير أوائل السور عن ابن عباس فهو مما رواه عنه عطاء والضحاك. ولكنه في العمدة لم يذكر شيئاً وقال الله أعلم.

وفي العمدة^(١) يختصر ويوجز إلى حد أن يمتنع عن إعطاء معنى لـ " ألم " بل يقول: الله أعلم. وأختم الحديث عن العمدة بما وصفه به المحقق في تصديره^(٢) من " أنه يمتاز عن غيره من كتب الغريب بإيجازه الشديد، فهو مختصر في فنه كما أنه شديد الآراء يختار أولى الأقاويل وأرجحها عند أهل التفسير واللغة، ولا ينجح للشاذ من الأقوال ولا للمنحول من التفسير.. " وهو وصف يليق تماماً بتفسير المشكل للمؤلف نفسه، إضافة إلى اتفاقهما في منهج الترتيب على السور، ولا فرق بينهما سوى ما ذكر آنفاً.

وإذا انتقلنا إلى كتاب " القرطين " لابن مطرف الكناي (ت ٤٥٤هـ) فسنجد أنه قد جمع بين كتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ). والكناي قد يعرف بالطرفي أو القرطبي لأنه كان إمام مسجد طرفه بقرطبة تلقى القراءة التي أتقنها عن مكّي وعن غيره. ويذكر في خطبة الكتاب ومقدمته أسباب إقباله على الجمع بين كتابي ابن قتيبة لما فيهما من فوائد، ولما بينهما من تناسب بحيث يكمل أحدهما الآخر، ويبين منهجه في ترتيبهما على ترتيب السور في القرآن الكريم، وقد رمز إلى الغريب بحرف الغين وإلى المشكل بحرف الشين، ولنقرأ معاً ما كتبه عن منهج الكتاب وأسباب تأليفه وخطته في الجمع^(٣): "وبعد فإني - لم أزل أسمع أساتيد العلماء... يفضلون كتابي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله في المشكل والغريب، ويفردونهما بالحسن والتهديب، لا سيما كتاب المشكل.... فأحببت أن أنظم الغريب مع المشكل في عقد، وأضم الفائدتين في سرّد، فأورد كل شيء من المشكل في موضعه من الغريب... لأني رأيت قد تعلّق كل

(١) ص ٦٩.

(٢) ص ٤.

(٣) كتاب القرطين : ص ٢٢١.

واحد من الكتابين بصاحبه تعلق الابتداء بالخبر... وربما لم أتمم الباب من أبواب المشكل في موضع فاستوفيته في موضعه، ولم أحل الكلام في كلا الكتابين عن جهته، ولا غيرته عن لفظه، ولا زدت فيه، فلما يسر الله الجمع بين التأليفين، سميت المجموع بكتاب القرطين، وميزت المشكل عن الغريب، بعلامة تقتضي حسب الترتيب فجعلت مع الغريب غيناً، ومع المشكل شيناً " ويبدو أنه لم يتقيد تماماً، خاصة في الترميز للكتابين، ولناخذ أنموذجاً من غريب فاتحة الكتاب ومشكلها من القرطين^(١)، حيث يبدأ بالرمز غ (إشارة إلى تفسير الغريب):

" غ قال أبو محمد، رحمه الله، في صدر الغريب (بسم الله الرحمن الرحيم) اختصار كأنه قال أبدأ بسم الله، أو بدأت بسم الله " ثم ينتقل إلى لفظ " الحمد لله ". ولم يضع رمزاً معها، وظننت أنها من كتاب الغريب الذي بدأ برمزه ولكن بالرجوع إليه في سورة الحمد أو الفاتحة لم أجد لفظ " الحمد لله " فيه، ولا رب العالمين ولا " الرحمن الرحيم " اللاتي يبدو أنه أتى ببيانها من المشكل، ولكنه لم يضع رمزاً يشير إلى ذلك، وننقل ما ورد عنده للإيضاح^(٢): " (الحمد لله) حمد الله الثناء عليه بصفاته الحسنى، وشكر الله الثناء عليه بنعمته وإحسانه. تقول حمدت الرجل، إذا أثنت عليه بكرم وحسب وشجاعة وأشباه ذلك، وشكرت له إذا أثنت عليه بمعروف أو لأكفه، وقد يوضع الحمد موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد " وينتقل بعد ذلك إلى تفسير رب العالمين وينقل تفسيرها كاملاً من المشكل دون الإشارة إليه برمز ش، وينقل معنى لفظ (العالمون - أي العالمين) عن تفسير الغريب دون الإشارة بالرمز غ والنص كما هو في الغريب^(٣) (العالمون) أصناف الخلق الروحانيين وهم الإنس والجن والملائكة، كل صنف منهم عالم "، ثم ينتقل لبيان (الرحمن الرحيم) ولم يضع رمزاً لما نقله مع أنه المفروض أن يضع رمز ش لأن ما نقله ليس موجوداً في الغريب.

ونأتي إلى الكتاب الذي جرى الإجماع على أنه أحسن كتب الغريب (كشف الظنون ١٢٠٨/٢، والبرهان للزركشي ٢٩١/١) وهو كتاب المفردات في غريب القرآن

(١) السابق : ص ٣.

(٢) كتاب القرطين : ص ٣.

(٣) تفسير المشكل : ص ٣٨.

لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني^(١) (ت ٥٠٢هـ). وربما يكون مرجع هذا الشئ إلى ما أورده الراغب من تفصيل في معاني المفردات فهو يقلّب الكلمة على جميع معانيها المستفادة من تصريفاتها وسياقاتها القرآنية وغير القرآنية؛ فالمفردة عنده وحدة معجمية دالة تتمتع بالحوية صوتياً وصرفياً ونحويّاً واجتماعياً وتاريخياً وتشريعياً فإنه لا يعد التفسير اللغوي المحدود، الذي يقابل الكلمة بكلمة، بأنه أعطى التفسير حقه، وعلى حد قوله في المقدمة^(٢): " فيقدّر أنه إذا فسّر الحمد لله بقوله الشكر لله ، ولا ريب فيه بلا شك فيه فقد فسّر القرآن ووفاه التبيان " فإنه لا يخفي غايته من هذا العلم ولا يوارى فلسفته من معالجاته بل يعبر بوضوح عن مقاصده، وعن منهجه في التفسير الذي يربط اللفظ بعلوم القرآن والشريعة وعلوم اللغة والأدب والبلاغة وغير ذلك مما يعرض له من شؤون الحياة فهو يقول^(٣): " إن أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن، العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللّبن في كونه من أول المُعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزُبدَتُهُ، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكَمِهِم، وإليها مَفْزَعُ حُذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم.. " وبعد هذا البيان عن ضرورة علم مفردات القرآن وتحصيل معانيها إلى علوم الشريعة والفقه والأدب واللغة ينتقل إلى بيان منهجه في ترتيب الألفاظ فيقول (ص ٦): " وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفي فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدّم ما أوّله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم معتبراً فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد " أي حاد عن الترتيب

(١) له من الآثار الأدبية غير المفردات : تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين، والذريعة إلى مكارم الشريعة، ومختصرات الأدباء. وقد طبع كتاب المفردات أكثر من مرة، على هامش غريب الحديث والأثر في القاهرة ١٣٢٤هـ، وطبع بتحقيق سيد الكيلاني بالقاهرة ١٩٦١م وبتحقيق محمد أحمد خلف الله ١٩٧٠م وبإعادة ترتيب من نلسم المرعشلي ١٩٧٢م.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ص ٦.

(٣) السابق، الصفحة نفسها.

حسب السور القرآنية، وانحاز إلى الترتيب المعجمي حسب الترتيب الأبجائي، ملتزماً بحروف الجذر بوصفها المداخل إلى المفردات وجعل لكل حرف كتاباً أولها كتاب الألف (الهمزة)، وتبدأ الألف مع الباء وما يثلاثهما ثم الألف والتاء وما يثلاثهما، فالألف والتاء، ثم الألف والجيم وما يثلاثهما نحو: (٤/ص ١١) أج: قال تعالى: ﴿هَذَا عَذَبَ فِرَاتٍ، وَهَذَا مَلَحَ أَجَاجٍ﴾^(١) شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيح النار، وأجّتها وقد أجّت، وائتجّ النهار، ويأجوج ومأجوج منه شُبّهوا بالنار المضطربة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم، وأجّ الظليم إذا غدا أجيحاً تشبيهاً بأجيح النار.

أجر: الأجر والأجرة ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٢) - وآتيناه أجره في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين^(٣) - ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا^(٤) والآخرة في الثواب الدنيوي، وجمع الأجر أجور. وقوله: ﴿آتَوْهُمْ أَجُورَهُنَّ﴾^(٥) كناية عن المهور، والأجر والأجرة فيما كان عن عقد، وما يجري، وما يجري بجرى العقد ولا يقال إلا في النفع دون الضرر نحو قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٧) والجزاء يقال فيما كان عن عقد وغير عقد، ويقال في النافع والضرار نحو قوله: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^(٨) وقوله: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾^(٩) يقال أجر زيد عمراً يأجره أجراً أعطاه الشيء بأجرة. وأجر عمر وزيداً، أعطاه الأجرة قال تعالى: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ﴾^(١٠) وأجر كذلك، والفرق بينهما أن أجرته، يقال: إذا اعتُبر فعل أحدهما،

(١) ٥٣ - الفرقان.

(٢) ٧٢ - يونس.

(٣) ٢٧ - العنكبوت.

(٤) ٥٧ - يوسف.

(٥) ٢٤ - النساء، ٢٥ - النساء، ٦ - الطلاق.

(٦) ٢٦٢ - البقرة.

(٧) ٤٠ - الشورى.

(٨) ١٢ - الإنسان.

(٩) ٩٣ - النساء.

(١٠) ٢٧ - القصص.

وَأَجَرْتُهُ يُقَالُ إِذَا اعْتَبِرَ فَعَلَاهُمَا وَكِلَاهُمَا يَرْجِعَانِ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَيُقَالُ أَجَرَهُ اللَّهُ وَأَجَرَهُ اللَّهُ، وَالْأَجِيرُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٌ أَوْ مَفَاعِلٌ، وَالِاسْتِجَارُ طَلَبُ الشَّيْءِ بِالْأَجْرَةِ ثُمَّ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِالْأَجْرَةِ نَحْوَ الْإِسْتِجَابِ فِي اسْتِعَارَتِهِ الْإِيجَابِ، وَعَلَى هَذِهِ قَوْلُهُ: ﴿اسْتَأْجَرَهُ إِنَّ خَيْرَ مِنْ اسْتَأْجَرْتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١).

وهكذا يأخذنا الراغب مع المادة اللغوية ويطلعنا على استعمالاتها باشتقاقاتها المعروفة مع الشواهد والآراء المختلفة، وإذا كان لم يستشهد على المادة المقتبسة بالشعر فإنه استشهد به في مواضع أخرى كمادة إثم ومادة أجل ومادة أحد على سبيل المثال. ولا تتوقف حركة التأليف في غريب القرآن عند حدٍّ معين كالمؤلفات التي ذكرناها آنفاً حول كتاب الغريين للهروي ومنها المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث الذي امتدحه ابن الأثير في كتابه^(٢) بقوله عن أبي موسى الأصفهاني: "قد صنف كتاباً جمع فيه ما فات الهروي من غريب القرآن والحديث يناسبه قدراً وفائدة... وذهب فيه مذهبه، ورثته فهو مكملٌ ومتممٌ لكتاب الهروي...". ويعترف موسى الأصفهاني نفسه بتأثره بكتاب الهروي، موضوعاً ومنهجاً بقوله في مقدمته^(٣): "أما بعد فإنني لما طالعت الغريين للهروي... استحسنته جداً.. غير أنني وجدت كلمات كثيرة شذت عن كتابه فلم أزل أتتبع ما فاتته، وأكتب ما غفل عنه إلى أن وقفت على كراسة غير كبيرة جمعها بعض علماء خراسان.. لم يُسمَّ فيها مصنفها، قد شحنتها بما شذَّ عن كتاب أبي عبيد مما أورده العزيزي (يقصد السجستاني) في كتاب غرائب القرآن... فأضفت تلك الألفاظ إلى كتابي، وربما أشير إلى قوله في أثناء ما يمرُّ من ذلك.. وخرَّجت كتابي على ترتيب كتاب أبي عبيد سواء بسواء، وسلكت طريقه حذو النعل بالنعل" وييدي الأصفهاني تواضعاً بقوله عن كتابه "ليس لي في هذا التنصيف إلا الجمع والترتيب". وعليه فالأصفهاني، وإن لم يفصل، يكون قد سلك في ترتيب مفردات القرآن الكريم والحديث الشريف مسلك الهروي فكتابته مكملٌ للغريين موضوعياً؛ أي يسد ما نقصه، وهو في الوقت نفسه امتداد له منهجياً، فرتب المجموع ألفبائياً فبدأه "بكتاب الهمزة التي تسمى مجازاً ألفاً" ويفتحه بـ "باب الهمزة

(١) ٢٦ - القصص.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٥.

(٣) المجموع المغيث: ١ / ص ٣، ٤ وما بعدها.

مع الباء" تماماً كما فعل الهروي. ويبدأ الباب بمفردة قرآنية أو بمفردة حديثية، أي يبدأ باللفظ المتوفر لديه من الحرف المعقود له الباب، ففي باب الهمزة مع الفاء مثلاً من الجزء الأول، يبدأ بلفظ حديثي^(١):

ومن باب الهمزة مع الفاء

(أفد) - في حديث الأحنف: "قد أفد الحج": أي دنا وقته وقرب، قال النابغة:

أَفَدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا نَزَلَ بِرَكَابِهَا وَكَأَنَّ قَدِ

ورجل أفد: أي مستعجل، وخرجنا موفدين: أي في آخر الشهر والوقت، وأفد أبطأ، والأفد: الأجل، والأمد. ومن باب الهمزة مع القاف يذكر لفظاً قرآنياً كما في قوله^(٢):

ومن باب الهمزة مع القاف

(أقت) - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقَّتْ﴾^(٣).

ويقرأ بالواو أيضاً ومعناها واحد، وهو من الوقت، غير أن كل واو انضمت ضمة لازمة جاز إبدالها همزة" وهو مثال يوضح أن الأصفهاني المديني لم يكتفِ ببيان المعنى اللغوي بل زاد عليه ما صح له من تحليل صرفي، انظر كذلك في باب التاء مع الحاء ٢٢٠/١ حيث يتحدث عن أصل التحفة. كذلك يهتم أيضاً بالجانب النحوي، إن عرض له ما يمكن الحديث فيه ففي باب الهمزة مع النون ١٠١/١ يذكر (إن) في قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ)^(٤)، ويفصل القول في إن ووظائفها النحوية مستشهداً لكل وظيفة بآية فيقول "النحويون يسمون ما كان من هذا النحو شرطاً، وقال علي بن الحسين بن واقد: إن، يعني في القرآن على خمسة أوجه: إن بمعنى ما النافية، كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾^(٥).

(١) السابق: ٧٩ / ١.

(٢) نفسه: ٨١ / ١.

(٣) ١١ - المرسلات.

(٤) ٢٣ - البقرة.

(٥) ١١٧ - النساء.

الثاني: إن بمعنى لم كقوله تعالى: ﴿وَلئن زالتا إن أمسكهما﴾^(١)، أي لم يمسكهما أحد.

الثالث: إن بمعنى قد، نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾^(٢).

الرابع: إن بمعنى إذ.. فذلك قوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾^(٣).

الخامس: يخاطب الكفار بذلك، وهو قوله تعالى: ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾^(٤)، يعني إن آمنتم. ثم يذكر بعد ذلك آراء نحوية لأبي عبيد وسيبويه والكسائي والفراء، وكثر عنده الاستشهاد بآراء علماء اللغة. كذلك يهتم ببيان السمات اللهجية العربية كقوله في باب الهمزة مع الباء ١١٦/١ في حديث وردت فيه كلمة (إيمن). وهو من قولهم آمن يأمن: أي لا آمن، وإنما هو من لغة بني أسد، يكسرون أوائل الأفعال المستقبلية إذا كانت على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ.. ويقولون: أنا إِعْمَل، ويستشهد لذلك من الشعر ثم يتحدث بعد ذلك عن لغة تميم بقوله "وبنو تميم يكسرون أيضاً حروف المضارعة في الأفعال كلها على أيّ وزن كانت..".

ويصنف في الفترة نفسها أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن عبد الحق الخزرجي (ت ٥٨٢هـ) من علماء الأندلس، كتاب "نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه" جمع فيه، كما هو واضح من العنوان، علمين من علوم القرآن هما غريب القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم؛ رغبة منه في رفع الغموض عن غريبه، وإزالة الالتباس بين ناسخه ومنسوخه. ويفتح فصلاً بعد خطبة الكتاب يتحدث فيه عن نوعين من غريب القرآن بقوله^(٥): "إن من غريب ألفاظ القرآن حروفاً يكثر دورها فيه، وتحتاج باتساع معانيها إلى الزيادة في بيائها، وهي على ضربين: منها لفظة تقال بمعنى واحد أبداً، ومنها لفظة تقال على معانٍ مختلفة..". ويعني ذلك أنه يتميز بين نوعين من غريب (الألفاظ التي يكثر دورها في القرآن الكريم، أحدهما: الألفاظ التي تستعمل بمعنى واحد، وتتبعها

(١) ٢٦ - الأحقاف.

(٢) ٩٧ - الشعراء.

(٣) ١٣٩ - آل عمران.

(٤) ٨٦ - هود.

(٥) نفس الصباح : ١ / ١٦٤.

حسب أحزاب القرآن فيعطي لكل حزب عنواناً من أول آية فيه مثل قوله^(١): الحزب الأول: ألم ذلك الكتاب، وإن بدأ الحديث في هذا الحزب عن سورة الحمد (الفاتحة). وفي جـ ١-١٨٥: "الحزب الثاني ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾"^(٢). وفي جـ ١-١٩٧: "الحزب الثالث: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾"^(٣).

ويقسم كل حزب إلى قسمين أولهما بعنوان: غريبه؛ أي غريب ألفاظ هذا الحزب من خلال سياقاتها في الآيات والسور طبعاً. والآخر بعنوان: منسوخه وتحت يذکر: في هذا الحزب من الآي المنسوخة. ومما يوليه اهتمامه مع الغريب بيان نوع السورة: مكية أو مدنية، وقد يتعرض للقراءات في أثناء بيان معاني الغريب. وقد يأتي على ذكر أسباب النزول، ويستعين بآراء العلماء والمفسرين واللغويين ويستشهد بالآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين استشهاده بالشعر، ويظهر ذلك من خلال الأنموذج المقتطف.

وأما الآخر فهو ألفاظ تحمل معاني مختلفة بحاجة إلى شرح واستيعاب وقد عبر عنها بقوله^(٤) "ومنها لفظة تقال عن معان مختلفة... فأنا اختلس ذكرها عندما أمر عليها في مواضعها من غريب الأحزاب، ثم أفرد لها باباً أختتم به هذا الكتاب يكون على حروف المعجم، أستوفي ذكرها فيه استيفاء كافياً، وأستوعب معانيها..." فهي ألفاظ انتقاها من السور ورتبها ترتيباً معجمياً ألفبائياً حسب نطقها لا حسب جذورها، وقد جمع محقق الكتاب محمد عز الدين المعيار الإدريسي هذه الألفاظ وعددها "٧٥" ورتبها في معجم سماه معجم باب ختم الكتاب من مثل: إسرائيل، الأصال، أف، بهتان، لا جرم، حنفاء، الحواريون، الراجفة، تزكى سباتا، شعائر، الطاغوت، عَنَتُم، فسق، القدوس، كافة، لهو الحديث، المساكين، ننسخ (البقرة - ١٠٦).

الأنموذج من الحزب الثالث والعشرين / سورة هود، وهي مكية^(٥).

غريبه:

(أَحْكَمْتُ) أي: لم تنسخ.

(١) السابق، الصفحة نفسها.

(٢) ١٤ - ٧٦ - البقرة.

(٣) ١٤٢ - البقرة.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه : ٤٠٠ - ٤٠٢.

و(تُمْ فَصَلَتْ) أي: بالحلل والحرام.

و(يُمَتَّعُكُمْ) أي: يُعمركم، وكل طويل يسمى ماتعا.

و (يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ) أي يطوون ما فيها.

و (يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ) أي يستترون بها.

وأوقف بعد ذلك عند الكتاب الذي يقول عنه مؤلفه ابن الجوزي^(١) (ت) ٥٩٧هـ) في مقدمته^(٢) " وهذا الكتاب يتميز عن كل كتاب يصنف في الغريب؛ لأن تلك تشتمل على غريب اللفظ فقط، وهذا على غريب اللفظ والمعنى، وقد حوى ما صح من المنسوخ، إلى غير ذلك من الفوائد التي تجتمع في مثله، مع المبالغة في الاختصار " والكتاب هو (تذكرة الأريب في تفسير الغريب) الذي يأخذ محققه الأستاذ الدكتور علي البواب على عاتقه توضيح تميز الكتاب الذي عناه ابن الجوزي بقوله (أقصد الدكتور البواب) إنه^(٣) " سلك مسلكاً يكاد يكون مختلفاً، فليس الكتاب في مفردات القرآن وغريبه ككتب أبي عبيدة وابن قتيبة والراغب وأبي حيان، ولا هو مكثّر من النحو والقراءات ككتب الفراء والأخفش والزجاج، بل هو كتاب وسط بين هذه المناهج جميعاً وكتب التفسير؛ فإن شئت قلت: هو كتاب مختصر في التفسير".

ويضرب أمثلة للظواهر المميزة التي تجعله يجمع بين كتب الغريب وكتب التفسير كعنايته باشتقاق المفردات الغامضة ودلالاتها باختصار وهذا تمثيل جانب الغريب فيه وأما عنايته بالتراكيب والنحو والقراءات وأسباب النزول والأحكام الفقهية فهذا يمثل منهج التفسير. وأعتقد أن الأستاذ المحقق قد جانبه الصواب في تصنيفه للكتاب الذي لا يعبده شيء عن كتب الغريب، ويستحق هذا الوصف بكل جدارة فإن الظاهرة التي ذكرها المحقق ورأى أنها تبعده عن كتب الغريب فإنها مختصرة فضلاً عن قلتها، فهي لا تغطي جوانب التفسير المعهودة فهي لا تعدو أن تكون إشارات ضرورية يوضح بها المؤلف معناه،

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد البغدادي، صاحب التصانيف في عدة فنون أدبية في القرآن وعلومه والحديث وعلومه والمذاهب والأصول والفقه والعقائد، والوعظ والأخلاق والطب والشعر واللغة (انظر مقدمة المحقق ص ٩-١١).

(٢) تذكرة الأريب لابن الجوزي : ص ٥٠.

(٣) السابق : ص ١٤.

ويترسخ لدينا أنه من كتب الغريب إذا قمنا مثلاً بمقابلته بكتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني فإن التوسع والتفصيل الذي يورده الراغب يكاد يخرج منه من كتب الغريب لو طبقنا معايير الأستاذ المحقق. والحقيقة إن كتاب تذكرة الأريب هو من الكتب النموذجية في تفسير الغريب لما يغلب عليه من إيراد الكلمة ومعناها، وهي السمة المميّزة في الدرجة الأولى لكتب الغريب وقد اطلعت على الصفحات من ٥١-٦١ وقد وجدت أن المؤلف قد فسر فيها ١١٨ مفردة، تسعون منها اكتفى بالكلمة ومعناها، بل إنه قد يورد كلمة واحدة في معنى جملة، وبقية المعنى يكون في جملة، قلماً تزيد عن سطر. والأمثلة توضح المقصود، ولعله من الضروري أن نثبت أن المؤلف قد رتب المفردات حسب ترتيب السور القرآنية فمن سورة البقرة أورد (ص ٥١-٥٢):

٢- (الريب): الشك.

١٠- (المرض): الشك.

١٤- قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ رؤوسهم في الكفر.

١٥- (يستهزئ بهم) أي يجازيهم على استهزائهم.

(ويعلمهم) أي يملئ لهم.

(يعمّهون) يتحيرون.

ومن طريف ما يصادف المتبع لكتب غريب القرآن أن نجد كتاباً ينظم معاني غريب القرآن الكريم، شعراً، وهو كتاب التيسير العجيب في تفسير الغريب لناصر الدين أبي العباس أحمد بن محمد المالكي الاسكندراني المعروف بابن المنير^(١) (ت ٦٨٣هـ) وقام بتحقيقه سليمان قلا إبراهيم أو غلو، الذي يبين في تقديمه، منهج المؤلف في ترتيب الألفاظ الذي كان حسب ترتيب السور، ومصادر المؤلف والمعلومات التي أوردتها في شرحه، إذ يقول عن ابن المنير وكتابه ص ٦-٧ " وشرح فيه ألفاظ القرآن الغريبة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس في ٢٤٨٢ بيتاً، وجمع في هذا المصنّف بين الرواية والدراية، وأورد الآراء

(١) قضى حياته في الاسكندرية، وكان عالماً في الفقه والتفسير والقراءات وعلم البلاغة والإنشاء، وولي القضاء كان محل فخر من الشيخ العز بن عبد السلام، وله من التصانيف البحر الكبير في بحث التفسير، والانتصاف من الكشف وغيرهما.

المختلفة في شرح الألفاظ دون التنبيه على قائلها، وطبق فيه طريقته الخاصة التي اختارها لنفسه في هذا التأليف، واهتم بالقراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغير ذلك من علوم القرآن " ولنقتطف مثلاً يوضح طريقة الشرح من تفسير غريب البقرة:

- ١- الأحرف التي أوائل السور أسماء أعلام هنّ تشتهر
أو قسم أظهر فيها الشرفا
أو هي من أسمائه جلّ اسمه
كالكاف من كاف وهاء من هاده
٣- معنى " يقيمون الصلاة " يوفون
حقوقها من واجب ومسنون
٧- و"الختم" طبعٌ و "الغشاوة" الغطا
وذو الضلال في ظلام خبطا

وتصل بنا مسيرة التأليف في غريب القرآن إلى كتاب " تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب " لأحد أقطاب العربية وأبرز علمائها في النحو والتفسير، صاحب البحر المحيط في تفسير القرآن والتذيل والتكميل في شرح التسهيل في النحو، إنه أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) الذي اختصر خبرته العريضة في التفسير في كتابه المذكور الذي يقول عنه المحققان^(١): " واقتصر أبو حيان في كتابه على الشرح اللغوي، وما يتصل بالمعنى القرآني مباشرة، ولم يذكر الآيات التي فيها الكلمات المفسّرة ولا الآراء المختلفة فيها، كما لم تشر إلى اللغويين والمفسرين؛ وبذلك جاء الكتاب مختصراً ينفع في تحديد معنى الكلمة تحديداً دقيقاً دون الخوض في الاختلافات والوجوه الكثيرة التي تغني الباحثين أكثر مما تغني الراغبين في فهم غريب القرآن " وهو منهج مختلف تماماً عما جاء في البحر المحيط الذي يعتبر موسوعة في اللغة وعلومها وفي القرآن وتفسيره وقراءاته. ولا يفوته أن يوضح المقصود من الغريب الذي سيكون موضوع كتابه ومن أجل ذلك يقسم ألفاظ القرآن إلى قسمين^(٢) قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم كمدلول السماء

(١) تحفة الأريب : ص ١٠.

(٢) السابق : ص ٢٤.

والأرض. وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنّف أكثر الناس فيه، وسمّوه غريب القرآن، والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم (يقصد قسم الغريب). وبعد ذلك يذكر منهجه في ترتيب المفردات التي يرتبها ألفبائياً إذ يقول بعد أن يَنْعَتَ كتابه بالمختصر^(١): " وأن نرتبه على حروف المعجم، فأذكر في كل حرف منها ما فيه من المواد، معتبراً في ذلك الحروف الأصلية لا الزائدة، مقتصرأً في ذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن العزيز " إنه، كما قلت، يُرتب الألفاظ ألفبائياً، وليس على ترتيب السور، وحسب جذور الكلمات دون اعتبار للحروف الزائدة ويبدأ بحرف الهمزة ويبدأ بسرد الكلمات مع معانيها كالاتي:

أ ب ب:

الأب: ما رعته الأغنام، وقيل: هو للبهائم كالفاكهة للناس.

أ ر ب:

الإربة: الحاجة.

أ و ب:

أواب: رجّاع

أوبي: سجي

ولم يعدم تحفة الأريب من يتعرض لاختصاره، رغم أن صاحبه يعدّه مختصراً، وهو على حق، إذ يؤلف الشيخ قاسم الحنفي كتاب: مختصر كتاب التحفة في غريب القرآن " يهذب فيه كتاب أبي حيان ويسّره ويبيّن في مقدمته سبب تأليفه ومنهجه وينقل محقق التحفة في تقديمه (١٤/١٠) عن صاحب المختصر قوله: " لما رأيت كتاب التحفة في غريب القرآن عقداً تناثرت دُرّره أحببت أن أنظمه في أقرب سلك، وهو الحرف الأول والثاني من الحروف الأصلية مميّزاً مما زدت ب "قلت". ولم يغيّر شيئاً من عبارة المؤلف ما عدا الترتيب والقليل الذي زاده ".

ومن أعيان القرن الثامن الهجري تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله القرشي اليماني الأصل، المكي المولد، الذي ارتحل إلى اليمن ودمشق وحلب ومصر والقدس التي درّس واشتغل فيها وعاد إلى مصر وتوفى فيها سنة ٧٤٣هـ، واشتغل

(١) نفسه : ص ٢٤.

في كثير من علوم الشرع والأدب والتاريخ واللغة وترك فيها مصنفات ومنها "الترجمان عن غريب القرآن" (انظر في ترجمته: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر ١/١٩٢). وقد قام بتحقيق كتاب الترجمان موسى بن سليمان آل إبراهيم ونشرته مكتبة البيان بالطائف عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. وقد صَدَّرَ المحقق الكتاب بنبذة عن حياة المؤلف وعصره، وبتعريف إجمالي لعلم غريب القرآن، ويتبعه بأحاديث عن جهود المؤلف في كتاب الترجمان وكيفية أدائه المعاني كتفسير غريب القرآن بالقرآن وبالحدِيث وبأقوال الصحابة والتابعين ويستشهد بالشعر، وعن عنايته بذكر القراءات وبأسباب النزول، وبتعريف الاصطلاحات، والاستنباطات العلمية والدلالات الفقهية وبالتحليلات اللغوية الصرفية والنحوية، واعتنى كذلك بذكر العلماء الذين نقل عنهم. ولم يكتفِ المحقق بذلك وإنما فتح فصلين فيما سماه قسم الدراسة، ويشتمل كل فصل على مباحث، فالمبحث الأول من الفصل الأول تحدث عن الفاصلة القرآنية، ويتحدث في المبحث الثاني عن قراءات النبي ﷺ، وكان المبحث الثالث بعنوان لا مجاز في القرآن والفصل الثاني فيه مبحثان عن المترادفات، ولا ترادف في ألفاظ القرآن (انظر من ٣-٥٩ من كتاب الترجمان).

ولم يتضمن الكتاب المحقق مقدمة يبيِّن المؤلف فيها منهجه في ترتيب ألفاظ غريب القرآن، كذلك لم يعتنِ المحقق بذكر أي إشارة تخص مخطوطة الكتاب أو مخطوطاته، ومكانه، زمانها، حالها، ولم يثر أي شك بشأن مؤلفها، واكتفى بنقل صفحتين من مخطوطة الكتاب، وبعد التدقيق فيهما أرى أن إحداها وهي التي على اليمين، هي مقدمة الكتاب التي يبدو أن المحقق أهملها لصعوبة قراءتها كاملة فهي تبدأ بـ: بسم الله الرحمن الرحيم.. (خط غير واضح) كتابه العزيز (الجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (ويلي ذلك عشرة سطور اختلط فيها الواضح بالمطموس) إلى أن يقول: أما بعد فإن الله تعالى أخطر ببالي أن (كلمة غير واضحة قد تكون اصطفاي) لغريب لغة القرآن العزيز.. وبعدها سطور غير واضحة الكلمات، وبعد ذلك كلام أميل إلى تصنيفه مدحاً لأحد الأمراء، وأما الورقة الثانية على اليسار فهي في غريب سورتي الفلق والناس وهي نهاية المخطوطة التي ينهيها بقوله: والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين. حسبنا الله ونعم الوكيل. وهذه الصفحة واضحة خالية من السقم والفراغات والطمس. على كل حال فإن المؤلف قد رتب الألفاظ حسب

السور القرآنية، أي يأتي بالسورة وتحتها غريبها، وبدأ الكتاب بسورة البقرة ولم يبدأ بسورة الفاتحة. وينتهي الكتاب بغريب سورة الناس.

(الأنموذج هي سورة الدخان)^(١)

(فَارْتَقِبْ): تقول رَقِبْتُ الشيء وارتقبتَه أرقبه رقوباً ورقبة ورقباناً بالكسر فيهما إذا رصدته.

(الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى): البطش: السطوة والأخذ بالقوة والعنف. وقد بطش به يبطشُ ويَبْطِشُ بَطْشاً. قيل المراد بها يوم بدر.

(أَنْ أَدُّوا): أي سلموهم إليّ وأرسلوهم معي مأخوذ من أَدَّتِ الناقة إذا رجّعت الحنين في جوفها.

(وَأَنْ لَا تَعْلُوا): أي ترتفعوا. أو لا تتكبروا.

(وَإِنِّي عُذْتُ): أي لُذْتُ من العيافة. أي استجرت به والتجأت إليه.

(وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْواً): فيه وجهان أحدهما أنه الساكن.

قال الأعشى:

يمشين رهوا فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصدور على الأعجاز تتكل

أي يمشين ساكناً على هينة. والثاني أن الرهو: الفجوة الواسعة، وعن بعض العرب أنه رأى جَمَلاً فالجاً فقال سبحان الله رَهُواً بين سنامين، أي اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً.

(وَنِعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ): النعمة بالفتح من التمتع وبالكسر من الإنعام وقرئ فاكهين وفكهين. نعمة: تنعم أو نضارة عيش ولذاته. إلى آخر سورة الدخان.

وفي الفترة نفسها يظهر كتاب آخر لعلي بن عثمان بن مصطفى المارديني^(٢) (ت ٧٥٠هـ) أو ابن التركماني بعنوان " بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من

(١) الترجمان عن غريب القرآن : ص ص ٣١٠ - ٣١١.

(٢) نشأ في بيت اشتهر بالعلم والدين فقد كان أبوه رئيس مذهب الأحناف في مصر، وعمه كان مفتياً. فمن الطبيعي أن تكون نشأته علمية أهّلته أن يكون إمام عصره في علوم الشريعة واللغة، وقد ترك عدة مصنفات علمية مثل : الجوهر النقي في الرد على البيهقي وتخريج أحاديث الهداية، الكفاية في مختصر الهداية ومختصر كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، عدا كتاب بهجة الأريب.

الغريب " ويذكر المارديني دواعي تأليفه هذا الكتاب وهو اشتغال الناس في عصره بتلاوة القرآن وحفظه مع جهلهم بفهم مقاصده وتدبر معانيه فأراد أن يضع بين أيديهم كتاباً صغير الحجم سهل التناول يجمع فيه غريب ألفاظ القرآن ويبين معانيها، وكان أميناً في الكشف عن مصادره، حيث يقول في المقدمة^(١):

" اشتغل الناس بتلاوة ألفاظه (يقصد القرآن الكريم)، وغفلوا عن المقصود الأعظم، وهو فهم مقاصده وأغراضه، وهذا وصف كثير من حفاظه، فلو سألت عن غريبة من غرائبه لوجدت أكثرهم لها جاهلاً، وعن تدبر معناها ذاهلاً؛ فحملني ذلك على أن جمعت في غريب القرآن كتاباً غريباً مسلكه، قريباً مدركه، صغيراً حجمه، غزيراً علمه، يسهج خاطر ويروق الناظر. ألفته من: غريب أبي بكر العزيزي، وأبي محمد بن قتيبة، وأبي عبيد الهروي، وتفسير جار الله الزمخشري). غريب أبي بكر هو الكتاب المسمى أيضاً نزهة القلوب لأبي بكر السجستاني (ت ٣٣٠هـ) المرتب على سور القرآن المرتب ألفبائياً، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) له كتاب " تفسير غريب القرآن، " فلعله أفاد منه ومن كتبه الأخرى، ولأبي عبيد الهروي (ت ٤٠١هـ) كتاب الغريبين، غريب القرآن والحديث المرتب ألفبائياً، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) فله كتاب الكشف في تفسير القرآن غير كتاب المفردات في غريب القرآن وله الفائق في ألفاظ الحديث، ولا غرابة في أن يستفيد من جهودهم جميعاً، فهم قد أفادوا ممن سبقهم، بلا شك.

وبيّن منهجه في ترتيب كتابه بقوله " ورأيت ترتيبه على السور مقللاً لألفاظه، ومسهلاً له على حفاظه " فكأنه ارتضى ترتيب ابن قتيبة دون الآخرين من مصادره، لسهولة تناول هذا الترتيب وبعده عن التعقيد. ويميل إلى الإيجاز والاختصار في شرح الألفاظ ولم يمنعه ذلك من أن يورد أكثر من رأي. وكذلك استعان بالشعر للاستشهاد على معاني الغريب، وهو النهج التقليدي منذ أيام ابن عباس، فقد أحصى الأستاذ علي البواب أحد الذين حققوا الكتاب ثلاثة وستين شاهداً شعرياً وبضعة وثلاثين من شواهد الحديث والأمثال^(٢). ولم يبق سوى أن نقتطف نماذج متنوعة من شروحه، من سورة البقرة، ونبدأ بأنموذج من شرحه الموجز وهو الشرح الغالب:

(١) بمحة الأريب، ص ص ٨١ - ٨٢.

(٢) السابق : ص ٦.

ص ٢١ - من الآية ٢ - ريب: شك

٧- ختم: طبع، غشاوة: غطاء

ص ٢٣: ١٨ - بُكْم: خُرْس

وأوسع من النماذج الآتية الذكر مع الاستشهاد بالشعر:

ص ٢٢ من الآية ١٤: شيطان من شطن: أي بُعد، ومنه نوى: شَطُون، قال أمية بن

أبي الصلت في سليمان عليه السلام:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ^(١) ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ

ومن النماذج الأكثر توسعاً مع الاستعانة بالأقوال والاستشهاد:

ص ٤٦ من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة: (قروء) وأقراء جمع قروء وهو الحيض عند

أهل العراق، قال عليه الصلاة والسلام في المستحاضة: "تقعد عن الصلاة أيام إقرائها".

والطهر عند أهل الحجاز قال الأعشى:

فِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غَزْوَةً تَشْدُ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَ

مُورِثَةٌ مَالاً وَفِي الْحَيِّ رَفْعَةٌ لَمَّا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَ

وكل منها أصاب، إذ القروء خروج من شيء لشيء، فخرجت من الطهر للحيض

وبالعكس، قال أبو عبيدة: وقيل: أصله الوقت، فكلّ منهما يأتي لوقت، يقال: رجع

لقروئه وقارئه: أي وقته الذي يرجع فيه، قال الهذلي:

كَرِهْتَ الْعَقْرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيحُ

ويذكر أن هذا الكتاب قد قام بتحقيقه الأستاذ الدكتور علي البواب وصدر في

ثلاث طبعات مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، وعن مكتبة المنار بالزرقاء -

الأردن ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، وفي مصر عن مكتبة الثقافة الدينية ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

وقام بتحقيقه أيضاً الأستاذ مرزوق علي إبراهيم وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٢م، ولم يشر إلى اطلاعه على تحقيق الدكتور البواب.

ومن المؤلفات التي ظهرت في هذه الفترة أيضاً كتاب عمدة الحفاظ في تفسير

أشرف الألفاظ لشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ -)

(١) عكاه: شدّه وأوثقه.

صاحب كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون وقِيض لكتاب العمدة أن يصبح موضوعاً لنيل درجة الدكتوراه دراسة وتحقيقاً في رسالة تقدّم بها صالح مهدي عباس/ الجامعة المستنصرية - بغداد ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. وقد أحصى معدُّ الرسالة سبعة وثمانين مصنفاً في غريب القرآن والحديث حتى ١٠٨٥هـ.

وفي مقدّمة الكتاب يتعرض السّمين الحلبي للدواعي التي كانت وراء تأليف العمدة ومن أهمها قصور المؤلفات السابقة في نظره عن بلوغ الغاية وإتمام الفائدة، مع استثنائه السجستاني صاحب نزهة القلوب، بما تتضمنها من اختصار وإيجاز، وإغفال بعضهم لألفاظ كثيرة من القرآن الكريم فيقول^(١):

"... غير أنهم لم يتمموا المقصود (يقصد أصحاب المؤلفات السابقة عليه) من ذلك، لاختصار عباراتهم، وإيجاز إشارتهم، على أن الراغب رحمه الله قد وسّع مجاله وبسط مقاله بالنسبة إلى من تقدّمه، وحذا بهذا الحذو رسمه، غير أنه رحمه الله تعالى قد أغفل في كتابه ألفاظاً كثيرة لم يتكلم عليها، ولا أشار في تصنيفه إليها مع شدة الحاجة إلى معرفتها، وشرح معناها ولغتها... " عاب الإيجاز والاختصار من السابقين عليه واستثنى أبا بكر السجستاني الذي أخذ عليه هو الآخر إغفاله ألفاظاً وتزيّد في أخرى، فدفعه هذا الحال إلى أن يأخذ على نفسه سد الخلل في النقص والزيادة، في كتاب ألفه على وجه الخصوص لمن يتمتع بقدر وافر من علوم العربية وليس لعامة الناس إذ يقول^(٢): " فلما رأيت الأمر على ما وصف، والحال كما عرف، ورأيت بعض المفسرين قد يفسر اللفظة بما جعلت كناية عنه... استخرت الله القوي الذي ما ندم مستخيره، واستجرت بكرمه الذي ما خاب مستجيره، في أن أحذو حذو القوم لتتم عليّ بركتهم، وألحق بالحشر في زمركم^(٣)... وهذا الموضوع إنما وضعته لمن شرد ألباً من علم النحو إعراباً وتصريفاً فهو الذي يعرف قدره، وأما من عداه فلا ينتفع منه إلا بمجرد لفظ نحو معرفته إن (الأب) هو المرعى، والزبانية هي الأعلام، إلى نظائر ذلك".

(١) عمدة الحفاظ : ١ / ٢٧٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) نفسه : ١١ / ٢٧٦.

أما عن ترتيب الكتاب فقد أقامه على الترتيب الأبجائي، حسب جذور الكلمات دون اعتبار للحروف الزائدة "فأنعمت" في "نعم" أي في باب النون وليس في باب الهمزة، لذلك قسم كتابه إلى ثمانية وعشرين على عدد حروف الألفبائية العربية، وبدأ بباب الهمزة، فباب الباء، فباب التاء وهكذا إلى أن يصل إلى باب الياء، قسم كل باب إلى فصول حسب الحرف الأصلي الثاني، ففي باب الهمزة يفتح فصلاً للهمزة مع الباء، وفصلاً للهمزة مع التاء وهكذا إلى فصل الهمزة مع الياء. ويبدو أنه قد جمع في منهجه هذا بين منهج الهروي (ت ٤٠١هـ) في الغريين الذي يفتح باباً لكل حرف ثم يقسم الكتاب إلى أبواب بعدد الحروف (كتاب الهمزة وتحت باب الهمزة مع الباء، وباب الهمزة مع التاء وهكذا إلى باب الهمزة مع الياء، وبين منهج الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في مفردات غريب القرآن الذي جعل أيضاً لكل حرف كتاباً ككتاب الهمزة وهو أول كتاب في معجم الأصفهاني ثم الهمزة مع الباء بوصفها حرفين أصليين مع يثلاثهما من الحروف الأصلية. وكل كتاب أو باب يحتوي على الألفاظ التي أولها الحرف الأصلي المعقود له، ولندعه يعبر بنفسه عن منهجه في الترتيب ونردفه بمنهجه في التفسير (٢٧٦-١/٣٥): "وربت هذا الموضوع على حروف المعجم بترتيبها الموجودة هي عليه الآن، فأذكر الحرف الذي هو أول الكلمة مع ما بعده من حروف المعجم إلى أن ينتهي ذلك الحرف مع ما بعده، وهلم جرا إلى أن تنتهي إن شاء الله تعالى حروف المعجم جميعاً، ولا أعتمد إلا على أصول الكلمة دون زوائدها، فلو صدرت بحرف زائد لم أعتبره بل أعتبر ما بعده من الأصول مثل "أنعمت" تطلبه من باب النون لا من باب الهمزة... وكذا لو عرض في المادة حذف أولها فإني أعتمده دون ما بعده مثل "يعدم" يطلب من باب الواو، لأنه من الوعد، لا من العين...".

أما منهجه في شرح المفردات وتفسيرها فيعكس ثقافته التخصصية ومعرفته العريضة والعميقة في علوم العربية والعلوم الإسلامية خاصة علوم القرآن من تفسير وقرآيات، فلم يقف عند المعنى اللغوي الضيق للألفاظ القرآنية فقط بل تعداه إلى سعة المعنى القرآني واحتمالاته من خلال قراءاته، وبما تتيحه تصاريف المادة اللغوية واشتقاقاتها، ومن خلال ما تحتمله الألفاظ والتراكيب من صور بلاغية وتنوعات إعرابية، فضلاً عن الاستعانة بآراء غيره من المفسرين وعلماء اللغة، مع تعزيز كلامه بأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وآثار أصحابه وشعر العرب ونثرهم.

أعوذج من عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ

من (فصل الهمزة مع الباء)

(أ ب ب) الأبُّ من قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (٣ أ) هو المرعى مطلقاً.

وقال شمر: مرعى السوائم وأنشد:

٤- فَأَنْزَلَتْ مَاءً مِنَ الْمُعْصِرَاتِ فَأَبَّتْ أَبًّا وَغُلِبَ الشَّجَرُ

وقيل: هو للبهائم بمنزلة الفاكهة للناس.

وقيل: هو المرعى المتهى للرعي والجز من أب لكذا: أي تهياً أباً وأبابة وأباباً.

وأب إلى وطنه: أي نزع إليه، وتهياً لقصده.

وقيل: هو التبن خاصة، قاله الضحّاك، وأنشد:

٦- فَمَا لَهُمْ مَرْتَعٌ لِلسَّوَا مِ وَالْأَبُّ عِنْدَهُمْ يُقْـدَرُ

(فصل الهمزة مع الياء)

(أ ي ك): الأيْك: جمع أيكة وهي الشجر الملتف.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هم أصحاب غيضة كانوا فيها

فأرسل إليهم شعيب فكذبوه فهلكوا. وقد قرئ ﴿لَيْكَةِ﴾ ف قيل: هي بمعناها.

ويظهر كتاب التبيان في تفسير غريب القرآن الذي سار فيه مؤلفه ابن الهائم^(١)

(ت ٨١٥ هـ) على ما شاع في زمنه من طريقة في التأليف وهي إعادة إنتاج الكتب

المؤلفة بتكميلها كما أكمل الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) في كتابه التكملة، النواقص في

صحاح الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) أو باختصارها أو شرحها أو التحشية عليها أو جمعها

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد بن علي القرافي المصري المقدسي المعروف بابن الهائم، أفتى

ودرس بالقدس وتوفي بها ٨١٥ هـ، ومن أشهر تلاميذه ابن حجر العسقلاني، وله من المصنفات ما يربو

على عشرين مصنفاً منها إبراز الخفايا في فن الوصايا، العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد، الفصول المهمة

في علم موارث الأمة، ومختصر الجمع والتبيان في تفسير غريب القرآن.

كاختصار الرازي (ت ٦٦٦هـ) للصباح واختصار ابن منظور (ت ٧١١هـ) لكتاب الأغاني للأصفهاني، وتاريخ دمشق لابن عساكر والعقد الفريد لابن عبد ربه والذخيرة لابن بسام وجمعه لسان العرب من خمسة معاجم سابقة، وكمزج الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) بين محكم ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) وعباب الصاغاني (ت ٦٥٠هـ) في القاموس المحيط. ويبدو أن ابن الهائم في كتاب التبيان قد أراد استكمال غريب القرآن للسجستاني كما يلاحظ محقق كتاب التبيان الذي يصرح^(١): "الغرض الجوهرى لابن الهائم من تأليف كتابه "التبيان" هو تهذيب غريب القرآن للسجستاني وتحرير عبارته وترتيب الغريب فيه حسب السور وزيادة أشياء نافعة على الأصل" وعليه فقد كان ابن الهائم ابن عصره في إنتاجه العلمي وإن نظرة إلى قائمة مؤلفاته التي أوردها المحقق لتؤكد ذلك فهي ما بين شرح (كالبحر العجاج في شرح المنهاج) وتلخيص كخلاصة الخلاصة في النحو. واختصار كالعجالة في استحقاق الفقهاء أيام البطالة ومختصر تلخيص ابن البناء المسمى بالحاوي، ومختصر اللمع. ولا يخفى غرضه من كتابه التبيان من أنه يريد أن يستكمل ما يلحظه من نقص في غريب السجستاني ويبدأ ببيان ما يجب على متعلم القرآن من معرفة معاني ألفاظه ويقبح الجهل بمدلولها ثم يوجه النظر إلى تفسير غريب القرآن للسجستاني الذي يعده من أفضل الكتب التي يمكن الاستفادة منها في تدبر آيات القرآن، وهو ما يعبر عنه بقوله^(٢): "....، وإن من أنفس ما صنف في تفسير غريب القرآن مصنف الامام أبي بكر محمد بن عزيز المنسوب إلى سجستان، إلا أنه يحوج المستغرب لكلمات سورة إلى كشف حروف وأوراق كثيرة لا سيما السور الطوال؛ فرأيت أن أجمع ما تفرق من غريب كل سورة فيما هو كالفصل مع زيادة أشياء في بعض المواضع على الأصل، لتسهيل مطالعته، وتتم فائدته.... حريصاً أن آتي بعبارته في الأكثر، وألا أدخل منه بشيء إلا ما تكرر، والمزيد وإن ارتبط بالأصل في العبارة فيكفيه للتمييز بينهما: زاي وداره (زه)، وسميته "التبيان" في تفسير غريب القرآن" ومما يجدر ذكره أنه خالف السجستاني في

(١) كتاب التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم : ص ٣١.

(٢) السابق : ص ٤٩.

ترتيب الألفاظ إذ قام بترتيبها على ترتيب السور القرآنية وانحصرت الزيادة التي قام بها ابن الهائم على نص السجستاني في نوعين كما لاحظها محقق الكتاب^(١):

أ- زيادة على الأصل الموجود مثل: " اهدنا " ارشدنا - زه - وقيل ثبتنا على المنهاج الواضح (قيل: غير ذلك، والهداية: الدلالة، قال ابن عيسى: الدلالة على طريق الحق، انظر التبيان ص ٥١).

ب- زيادة كلمات مفسرة جديدة مثل الحمد والملك ونعبد ونستعين وآمين في سورة الفاتحة (وهي كلمات غير موجودة في التبيان عند تفسيره ألفاظ الفاتحة ص ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣).

وحرص المحقق أيضاً - أثابه الله - على بيان منهج ابن الهائم في شرح المفردات بأن ميّز بين عبارته وعبارة السجستاني برمز - زه -، وينقل من عبارة السجستاني ما يرغب في التعليق عليه، مع اهتمامه بلغات العرب في القرآن، وقد يعرّج بعد تفسير الكلمة، على اشتقاقها وأصول معانيها، واستعان أحياناً بالشواهد الشعرية ولم يفته الاعتماد على بعض المصادر كالصحيح البخاري وسر الصناعة، وختم كتابه ببعض الفوائد والتنبهات.

أ نموذج من كتاب التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم من سورة الفاتحة

- ١ - ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾: اختصار، المعنى: أبدأ بسم الله أو بدأت باسم الهه - زه - أو باسم الله أبدأ أو ابتدأت أو ابتدائي أو أتلو " أو ما شئت " .
- ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾: ذي الرحمة ولا يوصف به غير الله.
- ﴿ الرَّحِيمُ ﴾: الراحم - زه - (وهي صفة) تظهر في القلب وهي هنا: إرادة الحنين بالعباد وقيل: الإنعام على المحتاج.
- ٢ - ﴿ رَبُّ ﴾: السيد والمالك وزوج المرأة - زه - والمُصلح والمربي والملك والمعبود ولا يستعمل معروفاً بأل إلا معه تعالى.

(١) نفسه : ص ٣٢.

سورة البقرة

- ١- ﴿الْم﴾: وسائر حروف الهجاء في أوائل السور: كان بعض المفسرين يجعلها اسماً للسورة تُعرف كل سورة بما أُفتحت به، وبعضهم يجعلها أقساماً.
- ٢- ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة - ٢): لَا شك - زه - وقيل الريب: الشك مع تهمة المشكوك فيه.

وفي القرن العشرين أحصى محقق غريب القرآن للسجستاني الأستاذ أحمد عبد القادر صلاحية نحو سبعة وثلاثين كتاباً في غريب القرآن، وأبدأ منها بالتحفة القليبية في حل الحملولة في غريب القرآن للشيخ موسى بن محمد بن موسى بن يوسف القليبي العمري المالكي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) وقام بتحقيقه والتعليق عليه الشيخ كامل محمد عويشة (ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ومع الأسف لم يزودنا بشيء ذي بال عن حياة القليبي، أي مؤلف الكتاب سوى أنه مفسر قرآني، ثقة، صاحب سنة، وكان أفقه أهل زمانه.

وعن منهج ترتيب الألفاظ في الكتاب ذكر المؤلف في مقدمته^(١): "وأما الأبواب فرتبها على حسب ترتيب حروف الهجاء، لسهولة الكشف والمراجعة" وقسم كتابه إلى مقدمة وتحدث فيها على حد قوله^(٢) عن "تعريف علم اللغة وموضوعه وثمرته" وتناول خلالها الحديث عن المعرب في القرآن الكريم، ثم أنهى الكتاب بخاتمة وأما شرح المفردات، وهو موضوع الكتاب ففتح له ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف العربية، وراعى مع الحرف الأول المعقود له الباب الحرفين الثاني والثالث حسب ترتيبهما الألفبائي فمثلاً في باب حرف الهمزة يسرد الكلمات التي تبدأ بالهمزة مع مراعاة الحرفين الثاني والثالث هجائياً فيبدأ بآلاء، أي الهمزة وتليها همزة: أ ثم اللام. وبعدها الائتمار: الهمزة فالهمزة ثم الميم، ثم الأباييل: الهمزة فالباء فالباء (أ ب ب) الإبادة: الهمزة فالباء فالبدال (أبد) ثم الأباريق: الهمزة فالباء فالراء (أبر) فإنه بذلك يرتب الكلمات على صورتها اللفظية الكاملة آخذاً في الاعتبار الترتيب الألفبائي للحروف الثلاثة الأولى، أقصد الحرف المعقود له الباب ثم الحرفين التاليين له دون اعتبار لأصالتها أو زيادتها، ويبدو أنه لم يلتزم تماماً إلا في الحرف

(١) التحفة القليبية: ص ص ١٤ - ١٥.

(٢) السابق: ص ١٤.

الأول، أي الحرف المعقود له الباب ثم الحرف الثاني ففي (ص ٢١) يلتزم بالحروف الثلاثة الأولى في الأبايل (أ ب ب) والإبادة (أ ب د) والأباريق (أ ب ر) ثم يذكر بعدها الأب وفي (ص ٢٢) مع أنه يجب أن تكون قبل الأبايل، وبعد الأب يذكر (ص ٢٢) الابتهاال فالأبتر فالابتغاء؛ أي لم يلتزم بالترتيب الألفبائي بين الهاء والراء والغين فالأولى بالترتيب الأبتر فالابتغاء فالابتهاال مما يعني أنه التزم بالهمزة والباء. وأدلل على ذلك بما جاء في (ص ٢٤) بالإثارة والإثخان، والأجاج والاجتثاث والأجنة والإجماح، وفي (ص ٢٨): الاستحواذ فالاستحسار، وفي (ص ٢٩): الاستغناء والاستعصام والصحيح في الاستعناء الاستعانة، وأضع بين يدي القاريء نماذج من الكتاب من حرف الهمزة:

أخذ من كتاب التحفة القليبية

الأب: بالقصر والتشديد الحشيش الذي ترعاه البهائم بلغة البربر، وقيل: هو التبن بلغتهم ومنه: ﴿ وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (عبس: ٣١-٣٢) ففي الآية لف ونشر مُرْتَب كما لا يخفى.

الابتهاال: التضرع في الدعاء، ومنه: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهْل ﴾ (آل عمران: ٦١) أي نتضرع إلى الله... إلخ.

الأبتر: المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب، ومنه ﴿ إن شانتك ﴾ (الكوثر: ٣) الخطاب للمصطفى ﷺ، هو الأبتر أي المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب، ونزلت في العاص بن وائل حين قال في حق المصطفى: هو أبتر عند موت ابنه القاسم عليه الصلاة والسلام.

الأتراب: بفتح الهمزة جمع ترب بكسر التاء، وهو المساوي في السن يقع على الذكر والأنثى، ومن الأول قولك: فلان ترب فلان أي مساو له في السن، ومن الثاني: ﴿ وكواعب أتراباً ﴾ (النبا: ٣٣) أي على سن واحد في صورة بنات ثلاث وثلاثين سنة.

الأجاج: شديد الملوحة لا يُمكن شربه، ومنه ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب ﴾ (فاطر: ١٢) أي حلو فرات سائغ مُمكن شربه، وهذا ملح أجاج لا يمكن شربه لشدة ملوحته.

الإخبات: الطمأنينة، ومنه: ﴿ فتخبت له قلوبهم ﴾ (الحج: ٥٤) أي تطمئن له قلوبهم.

وتظهر الطبعة الأولى ١٩٤٥م من كتاب معجم القرآن - قاموس مفردات القرآن، وغريبه للمحامي عبد الرؤوف المصري من مدينة نابلس، الذي يرتب المفردات فيه على صورتها وهيئتها التي تلفظ بها دون النظر إلى حروفها الأصلية فإنه يعرف بمنهج قاموسه بقوله (٣/ص ٧): "أخذت الكلمة (من القرآن) بحالها من غير منظور إلى ذكر أصلها المشتقة منه، فمثلاً: المنشآت، أخذت هذه الكلمة بلفظها، ولم أنظر إلى أصلها المشتقة منه، وهو فعل نشأ وأنشأ ثم منشأة ومنشآت " أي تفتح على حرف الميم دون اعتبار لأل التعريف أو حروف الجر أو العطف. ويراعى مع الميم (في منشآت) الحرفين التاليين لها وهكذا مع كل الألفاظ حيث يقول (ص ٨): "اعتبرت في ترتيب الكلمات الحروف الهجائية مرتبة ترتيباً مثلثاً: أي الهمزة مع الهمزة وما يليها، والباء مع الهمزة وما يليها ثم الحرف تاء ثم ثاء.. إلخ " مثال ذلك: آبائك، آتت، أثرك، آذناك، آزر، الآزفة، آسفونا، آسن، آسى، آلاء وهكذا. وقد نصّ على أنه وضع بجانب كل كلمة اسم السورة ورقم الآية التي منها الكلمة. وتظهر طبعة ثانية من هذا المعجم في دمشق عام ١٩٥٥ بعنوان معجم الجيب في تفسير غريب القرآن.

أمثلة من معجم القرآن - عبد الرؤوف المصري

(الهمزة مع الألف وما يليها)

آبَائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَسْحَقَ: أي جدّك وعمك وأبيك.
والمقصد، نَعْبُدُ بِعَدِكَ إِلَهَكَ وَإِلَهُهُمْ، وأصل الأبّ هو المرجع المتولّد منه، لأنّه إنسان تولّد من نطفته إنسان آخر، ولا يمكن تصوّره دون تصوّر الابن الذي يُبنى كما بُني أبوه. (البقرة ١٣٣).

آتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ: أعطت ثمرًا ضعفيّ ما يُثمر غيرها بسبب الوابل (البقرة ٢٦٥ والكهف ٣٣) وأصل الاتيان المجيء بسهولة.

آزَرَهُ: أعانه من المؤازرة وهي المظاهرة والمعاونة، وأصله من شدّ الإزار وتمكينه، ومنه أخذَ فَعَلَ لآزَرَ، والأزُرُ في (به أزرى) هو العون أي عوني وظهري (الفتح ٢٩).

الآزِفَةُ: القيامة (النجم ٥٧).

آسِنَ (غَيْرِ آسِنٍ): غير متغيّر الطعم والرائحة. يعني ماء الجنة لا يتغير كماء الدنيا تغيراً منكراً (محمد ١٥).

آلاء الله: نَعَمَ الله أي فاذكر نَعَمَ الله تعالى بالشكر والتوحيد، ومفردتها، ألى وإلى وإلي، أي نعمة وهي الحالة الحسنة (الأعراف ٦٨).

معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية / القاهرة

ويدخل التأليف الجماعي المؤسسي إلى ميدان التأليف في غريب ألفاظ القرآن الكريم حين استجاب مجمع اللغة العربية في القاهرة لاقتراح الدكتور محمد حسين هيكل عضو المجمع النظر في وضع معجم خاص بألفاظ القرآن الكريم، وشكل المجمع لجنة لوضع المنهج العلمي لإنشاء هذا المعجم من الشيخ أحمد إبراهيم والشيخ عبد القادر المغربي والدكتور محمد حسين هيكل والأستاذ هاملتون جب، وفي سلسلة من الاجتماعات اتخذت قرارات بتكوين لجنة من أعضاء المجمع لوضع نماذج مبدئية للمبادئ التي اقترحتها اللجنة السابقة، وهؤلاء الأعضاء هم:

الشيخ إبراهيم حمروش والأستاذ إبراهيم مصطفى والشيخ عبد الوهاب خلاف والأستاذ علي عبد الرازق والدكتور محمد حسين هيكل والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد القادر المغربي، وعرضت على المجمع نماذج أعدتها لجان فرعية، ومن خلال النماذج استقر المؤلفون على وضع معجم ألفاظ القرآن الكريم بحيث ترتب ألفاظه ألفبائياً حسب جذورها الأصلية نحو:

أ ب ب، أ ب ذ، أ ب ر، أ ب ق، أ ب ل، أ ب و، أ ب ي وتوضع تحت هذه الجذور الألفاظ المشتقة منها؛ فتحت الجذر (أ ب ب) وضعت كلمة "أبأ" فقط وتحت الجذر (أ ب د) وضع لفظ "أبدأ" وتحت جذر (أ ب ل) وضع لفظاً "الإبل، والأبابل" ويطلع الجزء الأول منه ١٩٥٣م لحروف الهمزة والباء والتاء والياء، أي بدأ بالألفاظ التي يبدأ جذرها بحرف الهمزة حتى إذا انتهى منها بدأ بالجذور التي يبدأ بالباء وما يشتق منها وهكذا. ولم يفت اللجنة أن تورد الآية الموجود فيها اللفظ وبعدها رقمها والسورة، وإذا وردت في أكثر من آية وسورة، توضع بعدها أرقام الآيات مع السور. وسيتضح ذلك كله في النماذج المنقولة.

أما كيفية إيراد المعنى فقد فصلت طريقتها في الصفحتين د، وهـ في التمهيد من الجزء الأول فكانت كالآتي:

أولاً: إذا كانت الكلمة القرآنية ترد في القرآن بمعنى واحد:

- أ- تشرح الكلمة شرحاً لغوياً أولاً فإن كانت فعلاً مجرداً ذكر بابه ومصدره ومشتقاته إن كان لها ورود في القرآن الكريم كذلك الأمر مع الفعل المزيد ويكتفي بمعنى الأسماء والمصادر مع ذكر فعل المصدر.
- ب- بيان مواضع ورود الكلمة وأنها جاءت في كل هذه المواضع بالمعنى الذي ذكر أولاً.

ثانياً: إذا كان للكلمة القرآنية معان لغوية مختلفة:

- أ- ينص على المعاني اللغوية كلها مع المشتقات
- ب- يؤخذ أولاً أكثر المعاني دوراً في القرآن الكريم، وينص على معاني الكلمة في مواضعها، ويذكر مثالين من الآيات مع اسم السورة ورقم الآية، ثم يكتفي بعد ذلك بما جاء من هذا المعنى بذكر السورة ورقم الآية.
- ج- تذكر المعاني الأخرى معنى بعد آخر، ويذكر بعد كل ذلك معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة بهذا المعنى.

ثالثاً: إذا كان للكلمة أكثر من معنى يبدأ بالمعاني في القليل ثم بمعاني الكثير.

رابعاً: إذا كان للكلمة معنى لغوي واحد، ولكنها استعملت كذلك مجازاً أو غيره نص على المعنى اللغوي البحت وقيل إنها ترد بمعنى كذا ثم تذكر الآيات وأرقامها على النحو السابق.

أ نموذج من معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية

أ ب ب

(أبأ)

الأب: العشب ترعاه الأنعام، أو هو كل ما ينبت على وجه الأرض.

أبأ: " فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

متاعا لكم ولأنعامكم " عبس ٢٧-٣٢ .

أب: انظر: أ ب و

أبت: انظر: أ ب و

أ ب د

(أبدأ)

أبدأ: ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ ٩٥ / البقرة
 ﴿لهم فيها أزواج مطهرة﴾ ٥٧ / النساء ١٢٢ / ١٦٩ / النساء ١١٩ المائدة ٢٢
 / ٨٣ / ٨٤ / ١٠٠ / ١٠٨ التوبة ٣ / ٢٠ / ٣٥ / ٥٧ / الكهف ٤ / ١٧ /
 النور ٥٣ / ٦٥ / الأحزاب ١٢ / الفتح ١١ / الحشر ٧ / الجمعة ٩ / التغابن ١١ /
 الطلاق ٢٣ / الجن ٨ / البينة.

كلمات القرآن - تفسير وبيان

للشيخ حسنين محمد مخلوف

وهو معجم يقع في ٥٢٦ صفحة من القطع الصغير، ألفاظه مرتبة على سور القرآن
 الكريم، وليس حسب الترتيب الألفبائي، وعلى يمين كل كلمة رقم آيتها، وعن يسارها
 تفسيرها في دقة وإيجاز مع سهولة ووضوح. ولم يفسر الحروف المقطعة في فواتح السور،
 ووضع تفسير كل كلمة حسب سياقها القرآني سواء أكان المعنى حقيقياً أم مجازياً، مع
 ضبط الكلمات حسب رواية حفص بن سليمان الأسدي الكوفي، وقد حرر هذا المعجم
 عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

أمثلة من كلمات القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف

سورة الفاتحة

- (١) سورة الفاتحة مكية (آياتها ٧)
- ٢ - رَبِّ الْعَالَمِينَ: مُرَبِّيهِمْ وَمَالِكِهِمْ وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ
- ٤ - يَوْمَ الدِّينِ: يَوْمَ الْجَزَاءِ، وَالْحِسَابِ
- ٧ - الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: الْيَهُودَ
- ٨ - الضَّالِّينَ: النَّصَارَى وَكَذَا أَشْبَاهُهُمْ فِي الضَّلَالِ

سورة البقرة

- (٢) سورة البقرة مدنية (آياتها ٢٨٦)
- ٢ - ذَلِكَ الْكِتَابُ: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ
- ٢ - لَا رَيْبَ فِيهِ: لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
- ٢ - لِلْمُتَّقِينَ: الَّذِينَ تَجَنَّبُوا الْمَعَاصِيَ وَأَدَّوْا الْفَرَائِضَ فَوَقَّوْا أَنْفُسَهُمُ الْعَذَابَ
- ١٠ - مَرَضٌ: شَكٌّ وَنِفَاقٌ أَوْ تَكْذِيبٌ وَجَحْدٌ
- ١٦ - طُغْيَانِهِمْ: مُجَاوَزَتِهِمُ الْحَدَّ وَغُلُوبِهِمْ فِي الْكُفْرِ

ويظهر عام ١٩٧٥م كتاب الوافي في تفسير غريب القرآن الكريم للسيد علي عودة في عمّان وقد رتب مفردات الغريب حسب ترتيب السور؛ أي غريب الفاتحة يظهر في سورة الفاتحة، وغريب سورة البقرة فيها. وقد أورد المعاني بإيجاز واختصار وغالباً بأسلوب الكلمة ومعناها، وقد يكون هذا المعنى في صورة جملة.

أتمودج من الوافي في تفسير غريب القرآن الكريم - علي عودة ١٩٧٥م
سورة الفاتحة

الحمد لله - الشكر له والثناء عليه
رب العالمين - خالق جميع المخلوقات
الرحمن الرحيم - المتصف بالرفقة والعطف
يوم الدين - يوم القيامة وهو يوم الجزاء والحساب
اياك نعبد - لا نعبد غيرك

سورة البقرة

الكتاب - القرآن الكريم
بما أنزل إليك - بما أوحى إليك كالقرآن
وما أنزل من قبلك - وبالكتب المنزلة على من قبلك من الأنبياء
يوقنون - يعتقدون اعتقاداً جازماً، يؤمنون

وقام الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان (١٩٨٦م) بجمع غريب ألفاظ القرآن الكريم من بضعة مصادر وسمّاه المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، وهو منهج قدّم في تأليف المعاجم اللغوية العامة كلسان العرب، ومعاجم غريب القرآن خاصة كبهجة الأريب للمارديني الذي جمعه من تفسير الغريب لابن قتيبة ونزهة القلوب للسجستاني والغريبين للهروي والكشاف للزمخشري. وأما مصادر الشيخ السيروان فهي معجم غريب القرآن لابن عباس المستخرج من صحيح البخاري ورمز له بكلمة (بخاري) وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ورمز له بـ (قتيبة)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ورمزه (القرطبي) وتحفة الأريب لأبي حيان ورمزه (تحفة)، والعمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب ورمزه (عمدة) ومشكل غريب القرآن لمكي أيضاً ورمزه (مشكل)^(١).

(١) انظر : المعجم الجامع للسيروان : ص ٧، ص ٣٣.

وقد اتبع في ترتيب الألفاظ التي جمعها الترتيب الألفبائي الجذري فأببيل في أبـل وتأثيم في أثم وتأجرني في أجر، ومن أجل ذلك بوب معجمه إلى أبواب بعدد حروف العربية وعنون كل باب باسم الحرف الأصلي الأول من الكلمات التي ترد فيه أو حسب تعبيره^(١) "أرتبهن وأنظمتهن (أي الكلمات) حسب أوائل حروف المادة التي فيها اللفظة العربية" كحرف الألف وحرف الباء وحرف التاء إلى حرف الياء. ويضع على يمين كل كلمة جذرها بحروفه الأصول، وعلى يسار الكلمة اسم السورة بجانبها رقمها الأول لرقم السورة في القرآن الكريم والآخر لرقم الآية في السورة، والمثال يوضح:

أفمؤذج من المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم

إعداد الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

حرف الألف

أ ب ب ﴿أبَا﴾ عبس ٨٠: ٣١

بخاري: ما تأكله الأنعام. قتيبة: المرعى. تحفة: هو للبهائم كالفاكهة للناس

أ ب ل ﴿أبَابِيل﴾ الفيل ١٠٥: ٣

بخاري: متتابعة مجتمعة. قتيبة: جماعات متفرقة. عمدة: زمراً زمراً. تحفة: واحدها

إِبَالَةٌ وَإِبُولٌ وَإِبِيلٌ

أ ت ل ﴿يَأْتِلُ﴾ النور ٢٤: ٢٢

قتيبة ٣٠٢: لا يأتل: لا يحلف وهو يَفْتَعِلُ من الألية، وهي اليمين. عمدة ٢١٩:

من الحلف.

أ ث م: ﴿تَأْثِمًا﴾ الواقعة ٥٦: ٢٥

بخاري ٢: كتباً. تحفة ٥٠: إثم. عقبة ٢٩٧: إثمًا.

﴿اجترحوا﴾ انظر ج ر ح

أ ج ج: ﴿أَجَاجٌ﴾ فاطر ٣٥: ١٢

عمدة ٢٤٨: ملح. تحفة ٤٣: المر الشديد الملوحة.

﴿أَجَاجًا﴾ الواقعة ٥٦: ٧٠

قتيبة ٤٥١: الشديد المرارة

(١) السابق: ص ٣١.

ويُنشَر في العام نفسه أقصد ١٩٨٦م معجم بعنوان " شرح وتفسير كلمات القرآن
للشيخ محمود شكري، دون مقدّمة من المؤلف يبين فيها منهجه، الذي رُتّب فيه الألفاظ
بترتيب السور في القرآن الكريم، بادئاً بسورة الفاتحة، ثم البقرة وهكذا...

أ نموذج من شرح وتفسير كلمات القرآن للشيخ محمود شكري سورة الفاتحة

الكلمة	التفسير
السورة	قطعة مستقلة من القرآن الكريم جمع سُور والفاتحة هي أم الكتاب وفاتحة الشيء أوله الذي يفتح به ما بعده جمع فواتح
الرحمن الرحيم	اسمان من أسماء الله تعالى مشتقان من الرحمة التي هي في اللغة رقة في القلب تقتضي التفضل والاسمان من رحمه يرحمه رحمة ورحما بضم الحاء وسكونها رقّ له وغفر وتعطف. وتؤول الرحمة في حق الله بالنسبة لغايتها وهي الإحسان.

رب العالمين الرب السيد والمالك والمربي والعالمون جمع عالم بفتح اللام
ويشرح الدكتور محمد محمد محسن في تأليف الكافي كما يذكر في مقدمته^(١) في
تفسير الكلمات الغريبة من القرآن الكريم ليوضح معاني المفردات؛ ليكون زاداً للمسافر
وصديقاً للمقيم، ومذكراً للعلماء والمتعلمين، وطلاب العلم والمشتغلين بعلوم القرآن،
وسميته " الكافي في تفسير غريب القرآن الكريم " وقد وصل في تفسيره هذا إلى آخر سورة
الكهف ويعهد إلى الدكتور شعبان محمد اسماعيل بتكملته، ورُتّب ألفاظ الكافي على
ترتيب سور القرآن، وتطبع الآيات القرآنية في وسط الصفحة وفوقها وتحتها وعلى يمينها
أو شمالها، توضع الشروح وتفسير الكلمات على طريقة المطبوعات الحجرية لبعض الكتب
القديمة كالبحر المحيط في التفسير والتصريح على التوضيح للأزهري من كتب النحو وعادة
ما يكون موجزاً ومختصراً، ويبدو أنه أعيدت طباعته في القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م باسم
الهادي إلى تفسير غريب القرآن، والنموذج الآتي يوضح:

(١) الكافي في تفسير غريب القرآن : ص ١.

أغوذج من الكافي في تفسير غريب القرآن الكريم

تفسير سورة البقرة

(ألم) هذه الحروف وأمثالها التي وردت في فواتح السور اختلف في تفسيرها: ف قيل: لا يعلم معناها إلا الله تعالى. وقيل: إنها جاءت هكذا لإقامة الحجة على الذين يقولون إن القرآن من عند "محمد" ﷺ وليس من عند الله، فكأن الله يقول متحدياً لهم: إن القرآن مركب من الحروف وهي: الألف والباء والتاء.. إلخ فإذا كان القرآن من عند "محمد" كما تزعمون فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين وادعوا أيضاً من تعرفوهم من دون الله ليساعدوكم في ذلك، ولكنهم عجزوا عن ذلك فقامت الحجة عليهم وثبت أن القرآن من عند "الله" وأن محمداً نبي الله ورسوله (الكتاب) القرآن (لا ريب فيه) لا شك فيه (هدى) هاد ومرشد إلى الخير (بالغيب) بما غاب عنهم مثل البعث والجزاء إلخ. (ويقيمون) الصلاة يؤدونها تامة بشروطها وأركانها (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) يتصدقون (بما أنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) وهي الكتب المنزلة على الأنبياء الذين جاءوا من قبلك كالطوراة، والزبور، والإنجيل (وبالآخرة) أي يوم القيامة (يوقنون) يصدقون.

وتنشر مكتبة وهبه بالقاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م كتاب " البرهان في غريب القرآن " الذي يقوم بجمعه وتأليفه حسن بن صالح بن عمر الحبشي الذي يقول عنه في تصديره^(١): " هذا الكتاب القيم كتاب " البرهان في غريب القرآن " جمع أصول العربية للفظ العربي.. " وفي مقدمته يتكلم عن القرآن وفضائله وإن التمسك به من أشرف الأعمال في الدنيا والدين، ومن أجل ذلك أسهر طرفه وأشغل فكره وواصل أوقاته في جمع ألفاظ العربية التي شرفها الله ورفع مكانتها بإيرادها في القرآن الكريم. وهذا هو مضمون هذه المقدمة (انظر ٥-٧) التي كنت أظن أنه سيكشف فيها مصادره ويبين منهجه في ترتيب الألفاظ، ولكنه لم يفعل.

وقد تبين لي، بعد ملاحظة الجمع والشرح التي اتبعها، أنه قد رتب الألفاظ حسب جذورها أو أصولها، وبوّب الكتاب على حروف الألفبائية العربية وبدأها بحرف الألف (الهمزة) وأورد الألفاظ التي يكون حرفها الأصلي الأول هو الهمزة فالباء الحرف الأصلي الثاني مع ما يثلاثهما حسب الترتيب الألفبائي أيضاً، ولكنه ينقض التزامه بهذا الترتيب، في نظم يرتب فيه الكلمات ألفبائياً يبدأ به الباب نحو:

(١) البرهان في غريب القرآن : ص ٣.

أمودج من البرهان في غريب القرآن
من جمع وتآليف: حسن بن صالح بن عمر الحبشي
حرف الألف

أبأ أبي أب أبـد وأثر أبـق إبل وأتى وأجر

الأب: الوالد، ومثناه أبوان، وجمعه آباء، قال تعالى: ﴿ قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً ﴾ (يوسف: ٧٨).

وقال الله تعالى: ﴿ وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً ﴾ (الكهف: ٨٢).
وقال الله تعالى: ﴿ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ﴾ (النور: ٦١).

أبي: الأبى: شدة الامتناع، قال الله تعالى: ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (البقرة: ٣٤).

أب: الأب العشب ترعاه الأنعام، أو هو كل ما نبت على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وفاكهة وأباً. متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (عبس: ٣١، ٣٢).

أجر: الأجر والأجرة، ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو آخروياً، ولا يقال إلا في النفع دون الضرر، والأجرة تكون في الثواب الدنيوي، وجمع الأجر أجور، وتسمى مهور النساء أجوراً.

قال الله تعالى: ﴿ وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ونعم أجر العاملين ﴾ (آل عمران: ١٣٦).

قال الله تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

واستأجره: اتخذ أجيراً يخدمه بعوض. قال الله تعالى: ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ (القصص: ٢٦).

وقال الله تعالى: ﴿ فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن ﴾ (الطلاق: ٦).
وكناية عن المهور في قوله تعالى: ﴿ فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ﴾ (النساء: ٢٤).

ويلاحظ أنه أدخل " أثر " قبل أن يستكمل جذور الهمزة مع الباء، ثم يذكر "أجر" ومشتقاتها والمفروض أن يأتي بالهمزة مع الثاء قبلها التي يذكرها في نظم تال:

أث وأثل إثم أج وأجل أحد أخذ إذا أدا أمل

وفي عام ١٩٩٦م يصدر " معجم تفسير كلمات القرآن " من إعداد محمد وهي سليمان بإشراف محمد عدنان سالم، عن دار الفكر في دمشق ودار الفكر المعاصر في بيروت. وفي المقدمة يبين المعد سلبيات منهجي تفسير الألفاظ حسب تسلسل الآيات والسور، وحسب جذورها ويخلص إلى منهجه الذي اختاره بقوله^(١): " من هنا كان جديدا أننا جمعنا الكلمات التي رأينا أنها تحتاج إلى بيان وإيضاح كما هي، دون النظر إلى مكان ورودها حسب تسلسل الآيات والسور ودون إعادتها إلى جذورها، بل أخذنا اللفظة كما هي سواء أكانت اسماً أو فعلاً، ورتبنا هذه الألفاظ ترتيباً ألقائياً حسب حروف المعجم، باعتبار أوائلها.. ثم ننظر إلى الحرف الثاني والثالث ".

ويدعي بعد ذلك بأنه يقدم منهجاً^(٢) " يخرج به عما ألفه الناس " وكأنه لا يعرف أن هذا المنهج قد اتبعه السجستاني (ت ٣٣٠هـ) في نزهة القلوب، والمحامي عبد الرؤوف رزق المصري في معجمه الذي ظهر عام ١٩٤٥م.

ويبدأ بحرف الألف أو الهمزة، ويضع تفسيره في صورة جدول في عموده الأول على اليمين الكلمات ومقابلها في العمود الأوسط تفسيرها وفي عمود ثالث على اليسار يضع الآية أو الشاهد الذي وردت فيه الكلمة.

أخذ من معجم تفسير كلمات القرآن

إعداد محمد وهي سليمان

حرف الألف

الكلمة	تفسيرها	الآية / الشاهد
آتَوْا	أَعْطَوْا	وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ (المؤمنون ٦٠/٢٣)
آتَى الْمَالَ	أَعْطَى	وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ (البقرة ١٧٧/٢)
آثَارَهُمْ	مَا سَنُوهُ مِنْ حَسَنٍ أَوْ سِيِّئٍ	إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ (يس ١٢/٣٦)
آثَرَكَ	اخْتَارَكَ وَفَضَّلَكَ	قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (يوسف ٩١/١٢)
آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا	مَالِكُهَا وَقَادِرٌ عَلَيْهَا	مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا (هود ٥٦/١١)

(١) معجم تفسير كلمات القرآن : ص ٤.

(٢) السابق : ص ٦.

وتنشر الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٣ م مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن يرتب الكلمات فيه حسب جذورها الأصلية ويبدأ بكلمات القرآن، من مادة أ ب ب ويذكر تحتها كلمة واحدة وهي كلمة "أبا" ثم ينتقل إلى "أ ب وأبت" ويذكر انظر أ ب و أي إنهما موجودتان حسب الجذر في أ ب و، أي ليس مكانها حسب الترتيب الألفبائي الجذري. ثم ينتقل إلى أ ب د ويذكر كلمة "أبدأ" ثم إ ب ر ي ق (أي أ ب ر) ثم أ ب ق ثم أ ب ل و: أ ب و، وأخيراً أ ب ي. ويبدأ بالألف مع التاء وما يثلاثهما ألفبائياً وهكذا.

أنموذج من مخطوطة الجمل

حرف الهمزة

أ ب ل

٣ كَلِمَات...

أ ب و (١١٧)

الأب: الوالد ومشناه أبوان وجمعه آباء.

ويقال في نداء الأب: يا أبي ويا أبت.

ويطلق على الأجداد أو الأعمام: آباء.

وقد جاء لفظ الأب في القرآن الكريم مفرداً ومثنى على أبويه وجمعاً على آباء.

١- الأب (مفرداً) بمعنى الوالد.

أباً: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ (٧٨/ يوسف)
أبيهم: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ (٦٣/ يوسف)

٢- وأطلق المثنى (أبوان) على الأب والأم.

أبواه: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلَأُمُّهُ الثَّلَاثُ﴾ ﴿وَأُمُّ الْغُلَامِ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (١١/ النساء)
و ٨٠/ الكهف

أبويه: ﴿وَلَأَبْوَاهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء - ١١)

٣- وأطلق المثنى على الجددين:

أبويك: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾
(٦/ يوسف)؛ لأن أبا يوسف هو يعقوب، وأما إسحق فهو أبو يعقوب،
وإبراهيم هو أبو إسحق.

٤- وأطلق المثنى على آدم وحواء:

أبويكم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ (٢٧/ الأعراف)

وفي عام ٢٠٠٣م تخرج إلى النور "موسوعة الألفاظ القرآنية" لمختار فوزي النعال
وبتقديم الاستاذ الدكتور بكري شيخ أمين، وتصدر عن مكتبة دار التراث حلب، واليامة
للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت. وقد بدا لي من المقدمة والفهارس والموسوعة
أنها معجم موضوعي تقسم فيه ألفاظ القرآن الكريم على حقولها الدلالية أو موضوعاتها
حيث يقول في مقدمته^(١) أنه سيقوم: "بجمع ألفاظ مواضيع القرآن بحيث يكون لكل
موضوع معجمه الخاص، كمعجم ألفاظ الآل والأصحاب والقبائل والشعوب، وما يلحق
بها من جماعات وفئات ومعشر ونفر وآل وأهل وأصحاب وعشيرة وسواها، ومعجم
ألفاظ الزمان وما فيه من أزل وأبد وأجل، وأمس ويوم وغد، وشهر وسنة وحول وعام،
وعشي وضحي، وسحر وأبكار، ومعجم ألفاظ الإنسان وما يلحق به من أعضاء كاليد
والعضد والساق والرجل والعين والأذن وما يلحق به من قرابة ونسب كالأب والأم
والأخ والأخت وسواهم. ومعجم ألفاظ الحيوان وما يتفرع عنها من دواب وزواحف
وحشرات، وطير وأنعام وسباع... وريش وأوبار.. وما في المياه من حوت وشفدع
وغيرها. ومعجم ألفاظ المصنوعات التي يصنعها الإنسان... ذكرها القرآن كالمتاع...
والزراعي والنمارق والسرر والأباريق، وما في البنيان من حصون وصياص وبيوت
وغرف... ومعجم ألفاظ الكون... كالجبال والبحار والسماء والأنهار والكواكب...
والجنة والنار" ولكنه لم يعرض المفردات حسب موضوعاتها وإنما عرضها وفق منطوقها
الألفبائي حيث يعرض لفظ الآخرة من ألفاظ الزمان والكون مع لفظ الآل من ألفاظ
الأهل والأصحاب، والرابط بين اللفظين (الآخرة والآل) هو أنهما يبدأان بالهمزة. وكذلك

(١) موسوعة الألفاظ القرآنية : ص ص ١٠ - ١١.

- يعرض التأويل مع التنور والتين لاشتراكهما في الحرف الأول وهو التاء بغض النظر عن موضوع كل لفظ فيها، وقد بين المنهج الذي أقام عليه موسوعته ص ١٢ بقوله:
- وكان المنهج الذي أقمت عليه الموسوعة في تصنيف مفرداتها كما يلي:
- ترتيب الألفاظ ترتيباً ألفبائياً وفق منطوقها القرآني، دون الرجوع إلى الأصل الثلاثي المجرد.
 - ذكر عدد المرات التي ورد فيها اللفظ في القرآن مشيراً إلى مكانه في السورة والآية.
 - اختيار نص قرآني ورد فيه اللفظ ثم شرح ألفاظ هذا النص بإيجاز، والتركيز والإسهاب في شرح اللفظ المراد، مع ما قاله المفسرون واللغويون ثم الترجيح.
 - تذييل الموسوعة بالفهارس العامة.. التي بلغت ثمانية. بعدد الموضوعات أو المعاجم التي احتوتها الموسوعة.
- أما مصادره ومراجعته فقد ذكر أنها من كتب تفسير ومعاني القرآن القديمة والحديثة وغريب القرآن كتفسير الطبري والقرطبي ومعاني القرآن للأخفش والفراء والمفردات للراغب الأصفهاني، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، والمعاجم اللغوية القديمة كالتهذيب واللسان ومقاييس اللغة الذي كان له كما قال المنار المضيء. والمعاجم الحديثة كالمعجم الوسيط والمعجم العربي الأساسي ومن عجب أنه لم يأت على ذكر المخصص لابن سيده أو غيره من المعاجم الموضوعية العربية القديمة ولم تفته الإشارة إلى هذه المراجع في الهوامش.

أنموذج من موسوعة الألفاظ القرآنية

١٨٦ - التأويل

ورد اللفظ في القرآن الكريم...

في اللغة:

التأويل: مصدر وهو المرجع والمصير، وأول الشيء تأويلاً: أرجعه، وأول

الكلام: دبره وقدره وفسره.

وقال الجرجاني: (التأويل شرعاً: هو صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى

يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ

الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴿١﴾، فإن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر تأويلاً.

وقيل: (التأويل: هو نقل ظاهر اللفظة من وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل، لولاه ما ترك ظاهر اللفظ).

وجاء التأويل في القرآن الكريم على أكثر من وجه ومعنى؛ منها:

- بمعنى التفسير والتعيين: كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿٢﴾، أي: حقيقة تفسيره وتعيينه.

- بمعنى العقابة وتنفيذ الوعد كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ ﴿٣﴾، أي: لما يأتيهم عاقبة ما وعد الله وما أُنذِرهم من عذاب، أو قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٤﴾، أي خير عاقبة.

- بمعنى تعبير الرؤيا: كقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ ﴿٥﴾، مثلها: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ ﴿٦﴾، أي: عبر لنا الرؤيا.

وفيما استعرضناه أو ذكرناه من كتب غريب القرآن ومعاجم مفرداته بمناهجها ونماذجها المقتبسة مندوحةً وغنى عن كتب أخرى لم نستطع الحصول عليها، فكتب غريب القرآن مهما ضاقت واتسعت واختلفت في ترتيبها ومنهجها فكأنها كتاب واحد فيما تؤديه من معانٍ وشروح لألفاظ القرآن.

نتائج البحث

توجهت عناية اللغويين إلى غريب القرآن بوصفه جزءاً من غريب اللغة، وتعاملوا مع كتب الغريب بوصفها معاجم لغوية؛ لأن الغرض من هذه الكتب كان وما يزال بيان المعاني اللغوية للمفردات القرآنية، دون الوقوف عند الوظائف النحوية والتحليلات

(١) ٢٧ - آل عمران.

(٢) ٧ - آل عمران.

(٣) ٣٩ - يونس.

(٤) ٥٩ - النساء.

(٥) ١٠١ - يوسف.

(٦) ٣٦ - يوسف.

الصرفية لهذه المفردات وإن مال بعضهم لذلك. ودللت على صدق هذه النتيجة بأن كتب الغريب اكتمل لها ما يتوافر في الأنظمة المعجمية من قوائم من المفردات (وحدات معجمية) مع الترتيب الموضوعي الهجائي (موضوعياً أو هجائياً) مقترنة بمعانيها، وعليه فعدها معاجم لا يتناقض مع مقولة من عدها علماً مستقلاً مساعداً لتفسير القرآن الكريم. واتخذت كتب غريب القرآن منهجين معجميين في ترتيبها وتنظيمها، أولهما هو ترتيب ألفاظ الغريب حسب ترتيب السور في القرآن الكريم حيث يبدأ المصنف بغريب الفاتحة ويثني بغريب سورة البقرة حتى ينتهي إلى آخر سورة في القرآن وهي سورة الناس. وتتوالى ألفاظ السورة الواحدة حسب ترتيب الآيات في السورة حتى إن بعضهم كان يضع رقم الآية متلوّاً بالكلمة كما فعل مثلاً ابن الجوزي في تذكرة الأريب والمارديني في "بمجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب"، وابن الهائم في كتاب التبيان في تفسير غريب القرآن"، والشيخ حسين محمد مخلوف في كتابه كلمات القرآن - تفسير وبيان، في حين بعض المصنفين لا يذكر رقم الآية ويكتفي بذكر اسم السورة ويسرد الكلمات ومعانيها في عمودين (الكلمة - التفسير [المعنى]) كما فعل الشيخ محمود شكري في شرح وتفسير كلمات القرآن وغيرها. وقد عالج البحث ثمانية عشر كتاباً سارت على هذا المنهج في الترتيب، عرضتها بتسلسل تاريخي، حسب وفاة مؤلفيها أو حسب صدورها.

وأما المنهج الآخر فهو ترتيب الألفاظ ألفبائياً على صورتها المنطوقة، وحسب جذورها. أما الترتيب الألفبائي على صورة اللفظ المنطوقة دون مراعاة للأصل فكان رائده أبا بكر السجستاني في غريب القرآن المسمى نزهة القلوب الذي التزم بالحرف الأول من اللفظ، وبترتيب الحركات مع كل لفظ فيفتح باباً للهمزة مرة وهي مفتوحة وأخرى وهي مضمومة وثالثة وهي مكسورة. واتبع الترتيب على الصورة المنطوقة للفظ كذلك الشيخ موسى القليبي في التحفة القلبية وعبد الرؤوف المصري في قاموس مفردات القرآن وغريبه. أما الترتيب الألفبائي حسب جذر المفردة أو أصلها فقد اتبعه أبو عبيد الهروي في كتابه الغريبين، غريب القرآن والحديث، والراغب الأصفهاني في معجمه "المفردات في غريب القرآن" وأبو موسى الأصفهاني المديني في المجموع المغيث، وأبو حيان الأندلسي في "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" الذي راعى الحرفين الأول والأخير من الأصل وترك الحشو. والشيخ عبد العزيز السيروان في المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن، وحسن بن

صالح بن عمر حبشي في البرهان في غريب القرآن وغيرها فقد عالج البحث أيضاً ستة عشر كتاباً رُتبت فيه ألفاظ غريب القرآن ألفبائياً، كذلك عرضتها بتسلسل تاريخي حسب وفاة مؤلفيها القدامى، وحسب زمن صدورها من المعاصرين، ولم يفتني أن أبين المقصود من اصطلاح الغريب فعرضت ما قاله أبو سليمان الخطابي البستي في كتابه غريب الحديث " هو الذي رأى أن الغريب من الكلام هو الغامض البعيد عن الفهم، ونقلت رأي أبي حيان الأندلسي الذي لم يرسم له حداً بل وصفه وصفاً عاماً بقوله إنه قسم من لغات القرآن يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية وسمّوه غريب القرآن" واستخلصت أن اصطلاح الغريب قد أطلق على كل لفظ قرآني أو أي لفظ من كلام العرب له أدنى درجة من الغموض، وليس له شيوع عام على ألسنة العرب. وكتب غريب القرآن هي التي اهتمت بالمعنى اللغوي للمفردات القرآنية دون العناية بالجوانب اللغوية الأخرى الصوتية والصرفية والنحوية، وهي بهذا الوصف أقرب إلى المعاجم اللغوية منها إلى كتب التفسير. وقد بلغت كتب غريب القرآن التي عالجها البحث أربعة وثلاثين كتاباً مطبوعاً وتنقسم حسب منهجها في ترتيب ألفاظ الغريب إلى قسمين:

أحدهما: معاجم غريب القرآن التي رتبت حسب ترتيب السور في القرآن الكريم:

- ١ - بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، لعلي بن عثمان بن مصطفى المارديني.
- ٢ - التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري.
- ٣ - تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي.
- ٤ - الترجمان عن غريب القرآن لعبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني.
- ٥ - تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة.
- ٦ - تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم، مكّي بن أبي طالب.
- ٧ - التيسير العجيب في تفسير الغريب، لناصر الدين أبي العباس أحمد بن محمد المالكي (ابن المنير).
- ٨ - شرح وتفسير كلمات القرآن، للشيخ محمود شكري.
- ٩ - العمدة في غريب القرآن، مكّي بن أبي طالب.
- ١٠ - غريب القرآن وتفسيره: عبد الله بن يحيى بن المبارك الزيدي.

- ١١- الكافي في تفسير غريب القرآن الكريم، للدكتور محمد محيسن، والدكتور شعبان إسماعيل.
- ١٢- كتاب القرطين، لابن مطرف الكناني.
- ١٣- كلمات القرآن، تفسير وبيان، الشيخ حسنين محمد مخلوف.
- ١٤- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى.
- ١٥- ومشكل غريب القرآن لابن قتيبة أيضاً.
- ١٦- أما كتاب نفَس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد بن عبد الحق الخزرجي فقد رتب ألفاظه على ترتيب أحزاب القرآن الكريم ومن ثمَّ سورة.
- ١٧- الوافي في تفسير غريب القرآن الكريم، علي عودة.
- ١٨- يا قوَّة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد (غلام ثعلب).
- والقسم الآخر معاجم غريب القرآن التي رتبت فيها الألفاظ هجائياً أو ألفبائياً:**
 - ١- البرهان في غريب القرآن، حسن بن صالح بن عمر الحبشي.
 - ٢- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي.
 - ٣- التحفة القليبية في غريب القرآن، لموسى القليبي.
 - ٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي.
 - ٥- غريب القرآن على حروف المعجم للسجستاني، تحقيق أحمد عبد القادر صلاحية.
 - ٦- قاموس مفردات القرآن، عبد الرؤوف المصري، (ط القدس، ١٩٤٥).
 - ٧- كتاب الغريبين، غريب القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي.
 - ٨- المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني المديني.
 - ٩- مختصر التحفة في غريب القرآن للشيخ قاسم الحنفي.
 - ١٠- مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي، حسن الجمل.
 - ١١- المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن، لعبد العزيز السيروان.
 - ١٢- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
 - ١٣- معجم تفسير كلمات القرآن، محمد وهبي سليمان.

١٤ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني.

١٥ - موسوعة الألفاظ القرآنية، مختار فوزي النعال.

١٦ - نزهة القلوب في غريب القرآن لأبي بكر السجستاني، تصحيح محمد بدر

الدين العناني، طبعت على نفقة محمد أمين الخانجي مطبعة السعادة مصر.

وقد ذكر في أثناء البحث كتب في غريب القرآن ولكنها لم تصل إلينا لأبان البكري

وأبي فيد السدوسي والنضر بن شميل وللأصمعي، وغيرها قد تربو على عشرين مصنفاً.

تُت المراجع:

١ - الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٢ - إنباه الرواة على أنباه النحاة: لأبي الحسن علي القفطي، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣ - البرهان في غريب القرآن: حسن صالح بن عمر الحبشي، مكتبة وهبة،

القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٤ - بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، للمارديني (ابن

التركماني) تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، ٢٠٠٢م، وقد طبع ثلاث مرات بتحقيق الدكتور علي البواب في

الرياض، والأردن، ومصر.

٥ - تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق خديجة

الحديثي، وأحمد مطلوب، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٣١٧هـ / ١٩٧٧م.

٦ - التحفة القليبية في غريب القرآن: للشيخ موسى القليبي، تحقيق وتعليق

الشيخ كامل محمد عويشه، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ط ١.

٧ - تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي، تحقيق علي البواب، مكتبة

الثقافة الدينية، مصر ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

- ٨- الترجمان عن غريب القرآن لتاج الدين أبي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، دراسة تحقيق موسى بن سليمان آل إبراهيم، مكتبة البيان، الطائف، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط ١.
- ٩- تفسير غريب القرآن لأبي بكر السجستاني، تحقيق وتهذيب محمد الصادق قمحاوي، مصر.
- ١٠- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
- ١١- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: يوسف المرعشلي وهدى الطويل، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. وحققه كذلك على البواب، الرياض، مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ١٢- تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، والمقدمة لمحمد عبد الغني حسن، القاهرة ١٩٥٥م.
- ١٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٧ - ١٩٩٦م، ط ٥.
- ١٤- سؤالات نافع بن الأزرق: لعبد الله بن عباس، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مجلة رسالة الإسلام العددان ٥، ٦، السنة الثانية، بغداد، ١٩٨٦م.
- ١٥- شرح وتفسير كلمات القرآن، للشيخ محمود شكري، ١٩٨٦م.
- ١٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، تحقيق: محمود محمد الدغيم، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ١٧- العمدة في غريب القرآن: لمكي بن أبي طالب، تحقيق يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ١٨- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي البستي، تحقيق عبد الكريم الغزباوي، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٩- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لأبي بكر السجستاني، بتصحیح مصطفى عناني، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

- ٢٠- غريب القرآن على حروف المعجم، لأبي بكر السجستاني، تحقيق: أحمد عبد القادر صلاحية، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٣م.
- ٢١- غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى الزيدي، حققه محمد سليم الحاج، عالم الكتب، بيروت.
- ٢٢- الفهرست لابن النديم، تحقيق فلوجل، مكتبة خياط، بيروت.
- ٢٣- الكافي في تفسير غريب القرآن، الدكتور محمد محمد محسن، والدكتور شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٢٤- كتاب التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٢٥- كتاب الغريبين، غريب القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي، تحقيق محمود محمد الطناحي، ١٩٧٠م، ط ١.
- ٢٦- كتاب القرطين لابن مطرف الكتاني،...، الخاني، مصر، ١٣٥٥هـ.
- ٢٧- كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، اسطنبول، ١٩٤٣م.
- ٢٨- كلمات القرآن، تفسير وبيان، للشيخ حسنين محمد مخلوف، مصر، ١٣٥٥هـ / ١٩٥٦م.
- ٢٩- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر.
- ٣٠- المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، لأبي موسى محمد بن أبي عيسى الأصفهاني، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار المدني، جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ط ١.
- ٣١- مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.
- ٣٢- معاني القرآن للأخفش، تحقيق الدكتور فائز فارس، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م، ط ١.
- ٣٣- معاني القرآن للفراء، بتحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

- ٣٤- معجم الأدباء لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ط ١.
- ٣٥- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- ٣٦- معجم تفسير كلمات القرآن، محمد وهي سليمان، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م.
- ٣٧- المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، عبد العزيز السيروان، ١٩٨٦م، ط ١.
- ٣٨- المعجم العربي، للدكتور حسين نصّار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٣٩- معجم المعاجم، أحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط ١.
- ٤٠- معجم القرآن، قاموس مفردات القرآن وغريبه، عبد الرؤوف رزق المصري، القدس، ١٩٤٥م.
- ٤١- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، نشر مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٢٤ هـ، ومكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ٤٢- موسوعة الألفاظ القرآنية، مختار فوزي النعّال، مكتبة دار التراث - حلب، واليماطة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٤٣- نفّس الصّباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، دراسة وتحقيق محمد عز الدين الإدريسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ٤٤- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق محمود الطنّاحي، نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- ٤٥- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، طهران، ١٩٥٧م.
- ٤٦- الوافي في تفسير غريب القرآن، علي عودة، عمّان، ١٩٧٥م.
- ٤٧- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٧١م.

٢-١-٢ معاجم غريب الحديث

لقد وردت تعريفات عدة لغريب الحديث تختلف في لفظها وإيجازها ولكنها تتفق في المعنى، والمقصود منه وهو: "علم ما خفي من ألفاظ حديث الرسول ﷺ على كثير من الناس أو ما غمض من ألفاظ المتون واستعصى على الناس فهمها لقلة استعمالها أو لدقة معانيها"^(١). وأختار لتعريفه أوسع التعريفات لفظاً؛ لوضوحه واكتماله ولوفائه بالمطلوب، وهو التعريف الذي ساقه الدكتور حسين محمد شرف في مقدمة تحقيقه لكتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي^(٢) الذي يرى أن علم "غريب الحديث، هو تفسير وتوضيح ما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ وأحاديث صحابته، وتابعيهم - رضوان الله عنهم - من ألفاظ غريبة، وكلمات مشككة، والتعريف بمعانيها، وضبط بنيتها، والوقوف على تصرفها، واشتقاقها، وتأليف حروفها" وهو غير الحديث الغريب "الذي ينفرد بروايته أو رواية زيادة راو واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند والمتن".

ونظراً للأهمية التشريعية لأحاديث الرسول ﷺ بما كانت تفصح عنه وتفصله من قواعد العقيدة وأحكام التشريع المحملة في القرآن الكريم، اتجهت عناية علماء اللغة والمحدثين إلى أحاديثه ﷺ وعمدت إلى تفسير ما غمض أو خفي من مفرداته فكانت البدايات تقوم على جمع جملة من الأحاديث احتاجت مفردات منها إلى الشرح والتفسير. واختلفت المصادر في تحديد أول من جمع كتاباً في غريب الحديث؛ والفصل في هذه المسألة ليس له آثار عملية في مسيرة هذا العلم ويمكن لذلك الاكتفاء بأسماء من أتت على ذكرهم المصادر مرتبين تاريخياً، خاصة أنه لم يحفظ لنا الزمن من كتبهم إلا اسمها من أمثال أبي عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي النحوي البصري من أهل القرن الثاني الهجري كما يقول صاحب معجم المعاجم (ص ٢٣) وذكره ابن النديم (ص ٤٥) وصاحب تاريخ بغداد^(٣) أنه "ذكر فيه الأسانيد، وصنّفه على أبواب السنن والفقه، إلا أنه ليس بالكبير"، وأبي الحسن النضر بن شميل المازني (ت ٢١٠هـ) (الفهرست - ص ٥٣)، ومحمد بن

(١) غريب الحديث: لابن قتيبة، تحقيق رضا السويسي، ص ١٤ (المقدمة).

(٢) انظر: المقدمة: ص ١.

(٣) انظر: تاريخ بغداد: ج ٢/ص ٤٠٣.

المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ) (معجم المعاجم / ٢٣)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) الذي قال عنه ابن الأثير في مقدمته على النهاية^(١) "فقل إن أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات"، وأبي عمرو إسحق بن مرار الشيباني (ت ٢١٠هـ)، (الفهرست ص ٦٨) والأصمعي (ت ٢١٦هـ) وكتابه كما في الفهرست (ص ٥٥) في "نحو مائتي ورقة"، وذكره ابن الأثير في مقدمة النهاية^(٢) بقوله: "ثم جمع عبد الملك بن قريب الأصمعي - وكان في عصر أبي عبيدة وتأخر عنه - كتاباً أحسن فيه الصنع وأجاد، ونيف على كتابه وزاد". والسمة الغالبة على كتب هذه المرحلة هي صغر حجمها وقلة أوراقها وقد علّل ذلك ابن الأثير في مقدمته^(٣) بأمرين: "أحدهما أن كل مبتدئ لشيء لم يُسبق إليه، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر وصغيراً ثم يكبر. والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عمّ"، ويصف كذلك كتاب النضر بن شميل بأنه "أكبر من كتاب أبي عبيدة، وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه"^(٤) ويذكر كتاب قطرب وغيره ثم يصف كتبهم بأنهم "جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها في أوراق ذوات عدد ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر"^(٥).

ومهما كثرت هذه المؤلفات وتتابعت وامتدت حتى منتصف القرن الرابع الهجري من المبرد (ت ٢٨٥هـ) وثعلب (ت ٢٩١هـ) وابن كيسان (ت ٣٢٠هـ) والقاسم الأنباري (ت ٣٠٥هـ) وابن دريد (ت ٣٢١هـ) وابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) تظل، لقلة أوراقها وصغر حجمها، رهينة هذه المرحلة التي تجمع فيها الأحاديث القليلة ويشرح غريبها وهي كما وصفها الخطابي^(٦) (ت ٣٨٨هـ) بـ "إن هذه الكتب على كثرة

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ١/ص ٥.

(٢) المرجع السابق: ١/ص ٦.

(٣) السابق: ١/ص ٥.

(٤) نفسه: ١/ص ٥ - ٦.

(٥) نفسه: ١/ص ٦.

(٦) غريب الحديث: ١/ص ٥٠.

عددها إذا حُصِّلت كانت كالكتاب الواحد، إذ كان مصنّفوها لم يقصدوا بها مذهب التعاقب كصنيع القتيبي في كتابه (يقصد ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث)، إنما سبيلهم أن يتوالوا على الحديث فيعتوروه فيما بينهم، ثم يتباروا في تفسيره، ولم يكن من شرط المسبوق أن يفرج للسابق عما أحرزه، وأن يقتضب الكلام في شيء لم يفسّر قبله على شاكلة مذهب ابن قتيبة وصنيعه في كتابه الذي عقّب به كتاب أبي عبيدة^(١). ويفصل الخطابي القول عن هذه المؤلفات بأنها بين إيجاز واختصار إلى حد الخلل والتقصير وإلى إطالة إلى حد التكلف بقوله^(٢): "إنما هي وعامتها (يقصد المؤلفات التي ذكرنا طرفاً منها) إذا انقسمت وقعت بين مقصّر لا يورد في كتابه إلا أطرافاً وسواقط من الحديث، ثم لا يوفيهما حقها من إشباع التفسير وإيضاح المعنى، وبين مُطيل يَسْرُدُ الأحاديث المشهورة التي لا يكاد يشكل منها شيء، ثم يتكلف تفسيرها ويطنّب فيها، وفي بعض هذه الكتب خلل من جهة التفسير، وفي بعضها أحاديث مُنْكَرَة لا تدخل في شرط ما أنشئت له هذه الكتب"، وللأسف ليس لدينا منها نماذج حتى نتبين دقة هذا الحكم على هذا النوع من الكتب، لأنه لم يصلنا منها شيء.

وتبدأ مرحلة منهجية جديدة في التأليف في الظهور على يد أبي القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) في كتابه غريب الحديث الذي يقول فيه ابن الأثير^(٣): "واستمرت الحال على زمن أبي عبيد القاسم بن سلام وذلك بعد المئتين، فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار الذي صار - وإن كان أخيراً - أولاً، لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة... وصار هو القدوة في هذا الشأن...". وكأني بآبن الأثير يريد أن يقول إن أبا عبيد في كتابه "غريب الحديث" قد تلافي النقصان والقصور الذي اتسمت به المؤلفات الأولى، ويبدو لي كذلك أن أبا عبيد قد جمع ما استطاع من المؤلفات السابقة من غريب الحديث وأعاد ترتيبها وتنظيمها، فهو كما جاء في تاريخ بغداد^(٤) نقلاً عن ابن درستويه: "جمع أبو عبيد عامة ما في كتبهم (يقصد أبا عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل) وفسّره وذكر الأسانيد، وصنّف المسند على حدته، وأحاديث

(١) المرجع السابق: ٥٠/١.

(٢) النهاية: ١/٦، المقدمة.

(٣) ج ٤٠٣/١٢.

كل رجل من الصحابة والتابعين على حديثه وأجاد تصنيفه، فرغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه " وهي طريقته نفسها في الجمع والنقل عمن سبقه؛ إذ أن كتابه الغريب المصنف قد روى عامة مادته من رسائل رواة اللغة والغريب السابقين عليه في الجمع والتأليف وقام بترتيبه موضوعياً واستدل على ما سقته مما ذكره ابن درستويه نفسه في تاريخ بغداد الذي قال عن أبي عبيد^(١): " وقد سبق إلى جميع مصنفاته، فمن ذلك الغريب المصنف - وهو من أجل كتبه في اللغة - فإنه احتذى فيه كتاب النضر بن شميل المازني الذي يسميه الصفات، وبدأ فيه بخلق الانسان.. فذكر صنفاً بعد صنف حتى أتى على جميع ذلك، وهو أكبر من كتاب أبي عبيد وأجود ".

ويبدو لي أن حديث ابن درستويه أقرب إلى الحقيقة منه إلى التحامل والافتئات، فإن النظرة الأولى لا تخطيء في إثبات أن عامة شروح أبي عبيد وتفسيراته في الكتابين هي رواية ونقل وسماع عن علماء اللغة ورواتها، ولكن طريقته في جمع الغريب المصنف أكثر اتساعاً ووضوحاً واعتماداً في النقل عن غيره من علماء اللغة ورواتها إلى درجة يطغى فيها الإحساس بأن أبا عبيد مجرد جامع ومنظم للمادة لقلة اعتماده على رأيه الخاص ففي باب تسمية خلق الانسان ونعوته^(٢) يتنقل في سماعه وروايته من لغوي إلى آخر، أذكر منهم على التوالي أبا عمرو الشيباني والأصمعي وأبا عمرو والأصمعي وأبا زيد (ص ٣١)، الكسائي، والفراء والأموي وابن السكيت، والتوزي عن أبي عبيدة والأصمعي وأصحابه، الأصمعي، الكسائي، والأموي والفراء والأحمر وأبا عمرو وأبا عبيدة (ج ٣٦/١) وأبا عبيدة والفراء وأبا عبيدة وأبا عمرو والأصمعي وأبا زيد وابن الاعرابي وأبا عمرو وأبا زيد وتظل أسماء هؤلاء العلماء تتردد حتى آخر الباب (ج ١/ص ٤٦)، ولا يذكر اسم أبي عبيد سوى ثلاث مرات (١/ص ٣١، ص ٣٦، ص ٤٠). أما في كتابه غريب الحديث فقد ركن أيضاً أبو عبيد إلى جمع آراء اللغويين خاصة أبا عبيدة معمر بن المثنى الذي طغت الرواية عنه على غيره في هذا الكتاب من مثل أبي زياد الكلابي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، ولكنه لم يتخل عن دور الباحث فظهرت شخصيته في عرضه للحديث، متلوّاً بسنده، ثم تعيينه لغريب المفردات في كل حديث، والبحث عن معانيها عند علماء اللغة كأبي عبيدة والأصمعي، ثم ما يبادر إليه

(١) تاريخ بغداد: ج ١٢/٤٠٢.

(٢) الغريب المصنف: ٢٩/١ - ٤٦،٠.

أحياناً (أقصد أبا عبيد) من ربط وتعليق وتوضيح وتغليب لرأي واستهجان لآخر، مع الاحتجاج لكل معنى من شعر العرب ونثرهم وهو ما كان يتم مع غريب القرآن. ويبدو أنه قد قام بتصنيف كتاب غريب الحديث قبل كتابه الغريب المصنف الذي تميّز بالتبويب مما يسهل الرجوع إليه فهناك مثلاً باب لخلق الانسان وآخر لنعوت خلقه، وباب لنعوت دمع العين، وباب لنعوت الطّوال من الناس... إلخ؛ مما يفتقر إليه غريب الحديث الذي تساق فيه الأحاديث دون تبويب أو ترتيب مما يجعل البحث عن الألفاظ ومعانيها، غير ميسور مما يظهر حاجة ماسة إلى الفهارس في مثل هذه الكتب، فكل ما فعله في ترتيب مادته أنه بادر بأحاديث الرسول ﷺ، ثم أحاديث الصحابة، وبعدها أحاديث التابعين كل على حدة. وطريقته في شرح المفردة اللغوية وتفسيرها بأن يذكر الحديث ويتبعه بسنده، ويعين بعدهما المفردة التي يراد تفسيرها فينقل آراء العلماء واللغويين في معناها، وقد يدلي برأيه ويقوم بالاحتجاج لذلك من شعر العرب ونثرهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً. وكل هذا البيان لا يغني عن اقتباس أنموذج من الكتاب وليكن مثل:

وقال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ إن " قريشاً " كانوا يقولون: " إن محمداً صُنُورٌ ".

قال: حدّثناه محمد بن أبي عدي - لا أعلمه إلا عن داود بن أبي هند - الشك من أبي عبيد - عن الشعبي، عن النبي ﷺ -.

قال أبو عبيدة: الصُنُور: النخلة تخرج من أصل النخلة الأخرى لم تُغرس. وقال الأصمعي: الصُنُور: النخلة تبقى منفردة، ويدق أسفلها. قال: ولقي رجلٌ رجلاً من العرب، فسأله عن نَخْلِهِ فقال: صُنْبَرٌ أسفلهُ، وعشش أعلاه: يعني دقّ أسفلهُ، وقل سَعْفُهُ، وَيَيْسُ.

قال أبو عبيد: فشَبَّهوه بها، يقولون: إنه فرد ليس له ولد ولا أخ، فإذا مات انقطع ذكره.

قال أبو عبيد: وقول الأصمعي في الصنوبر أعجب إليّ من قول من أبي عبيدة؛ لأن النبي ﷺ لم يكن أحد من أعدائه من مشركي العرب، ولا غيرهم يطعن عليه في نسبه ولا اختلفوا فيه أنه أوسطهم نسباً ﷺ.

قال أبو عبيد: وقال أوس بن حَجَر، يعيب قوماً: مَخْلُفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ غَسُّ الْأَمَانَةِ صُنْبُورٌ فَصُنْبُورٌ

... وقال أبو عبيد: والصنوبر أيضاً في غير هذا: القصبة التي تكون في الإداوة من حديد أو رصاص يُشرب منها.

يوضح النموذج السابق من كتاب غريب الحديث النسق الذي أطرد في هذا الكتاب لبيان معنى المفردات الذي يمكن تحديده بما يأتي:

- ١- اختيار الحديث الذي يتضمن المفردة الغريبة.
- ٢- استخراج المفردة الغريبة في الحديث.
- ٣- بيان معاني هذه المفردة من خلال أقوال علماء اللغة.
- ٤- رأي أبي عبيد في تعليق أو ربط أو تغليب أو توضيح أو إضافة.
- ٥- الاحتجاج للمعنى بشاهد شعري أو نثري.

وقد اعتمد أبو عبيد ثلاثة أساليب في تأدية معاني مفردات هذا الكتاب (أقصد غريب الحديث):

أولها: بالمرادف نحو: زويت: جمعت (١/ص ١١٧)، والترعة: الدرجة، الترعة: الباب (١/ص ١١٩)، الجبهة: الخيل، والنخعة: الرقيق، والكسعة: الحمير (١/ص ١٢٣)، التابع: التهافت في الشيء (١/ص ١٣١)، أزلت إليه: أسدّيت إليه (١/ص ١٣٣).

وثانيها: بالاعتماد على سياق لغوي توضع فيه المفردة نحو: انزوى القوم بعضهم إلى بعض: إذا تدانوا (١/ص ١١٧) وانزوت الجلدة في النار: إذا انقبضت (١/ص ١١٧) ويقال للرجل إذا كلّت ركابه، أو عطبت وبقي منقطعاً به: قد أبدع به، ويقال أبدعت الركاب: إذا كلّت، وأبدعت به راحلته: إذا ظلعت (١/ص ١٢٦)، وقد يكون هذا السياق شعراً أو قولاً مأثوراً.

وثالثها: إبراز المعنى ببنية نحوية تعريفية كقوله: الترعة: الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة، فإذا كانت في المكان المطمئن فهي روضة (١/ص ١١٨)، الهيعة: الصوت الذي تفرع منه، وتخافه من عدو (١/ص ١٢١)، الصنوبر: النخلة تخرج من أصل النخلة الأخرى لم تغرس (١/ص ١٢٧).

وينتمي إلى هذه المرحلة في التصنيف في غريب الحديث كتاب غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، وهذه المرحلة التي بدأها أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث الذي انصبَّ اهتمامه فيه على شرح غريب الحديث وغاب عنه عنصران أساسيان في التأليف المعجمي وهما التبويب والترتيب فكان الجمع عشوائياً؛

ويبدو أن ابن قتيبة في غريبه قد فطن إلى التبويب فقسم كتابه إلى فصول، وكل فصل إلى أبواب فكان الفصل الأول في ذكر الألفاظ في الفقه والاحكام واشتقاقها وقسمه إلى أبواب: الوضوء وألفاظه، الاستنجاء، الاستحجار، الاستنثار، التيمم، القلّة، المدّ، الصاع.

ثم باب الصلاة كالركوع، السجود، التحيات، سبحان الله، وبحمده، وتعالى اسمك، وتعالى جدّك وإليك نسعى ونحفد، والقنوت، الوتر، الأذان، التبويب... إلخ.

ولم يفته التنبيه في افتتاحية الكتاب إلى منهجه هذا في التبويب والتقسيم بقوله^(١) "ورأيت أن أفتح كتابي هذا بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه، والفروض وأحكامها، ليعرف به من أين أخذت تلك الحروف، فيستدل بأصولها في اللغة على معانيها كالوضوء، والصلاة، والزكاة، والأذان، والصيام، والعنّاق، والطلاق، والظّهار وأشباهها مما لا يكمل علم المتفقه والمفتي إلا بمعرفة أصوله، ثم أتبع ذلك تفسير ما جاء في الحديث من ذكر القرآن وسوره وأحزابه، وسائر كتب الله ثم ما جاء في الحديث والكتاب من ذكر الكافرين والظالمين والفسّاقين والمنافقين والفاجرين والملّحين، ومن أين أخذ اسم كل اسم منها. ثم ما جاء في الحديث من ذكر أهل الأهواء الرافضة والمرجئة والقدرية والخوارج".

أما طريقته في شرح مفردات غريب الحديث أو الوحدات المعجمية، كما يذكر محقق الكتاب التي أحصاها فبلغت ١٠٩٢ مفردة، وقام برصد شروح هذه المفردات ووزعتها إلى أربعة أنماط^(٢):

١- الشرح بالترادف: أي يقابل اللفظ الغريب بمرادفه اللغوي نحو:

الركوع: الانحناء، الوتر: الفرد

والأذان: هو إعلام الناس للصلاة.

بيع المزبنة: هو التمر في رؤوس النخل.

مرملين: يريد أنه قد نفذ زادهم

٢- الشرح بالاعتماد على الصيغة الصرفية: وقد يكون بإرجاع المفردة إلى أصلها

كالأذان أصله من الأذن، والسوائم وهي التي تسوم أي ترعى.

(١) غريب الحديث لابن قتيبة: ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) المرجع السابق: ص ٧٠ وما بعدها.

وقد يعتمد إلى بيان الصيغة لتوضيح علاقة المعنى باشتقاق المفردة، كما في شرحه "تبارك اسمك" الذي يقول فيه^(١): "وتبارك اسمك تفاعل من البركة، كما يقال تعالى اسمك في العلو، يراد أن البركة في اسمك وفيما سمي عليه"

وقد يذكر إن الصيغة جمع ويأتي بمفرده أو العكس نحو:

الأكباء جمع كِباً وهي الكناسة (٣٤٠) وامرأه نُفَسَاء وجمعها نفاس (٣٤١)

٣- وقد يعتمد الشرح على البنية النحوية إذ يتم تحديد معنى الوحدة المعجمية (مفردة الغريب) بوضعها في تركيب نحوي نحو، وبحمدك (٣٤٢): مختصر وكأنه يراد وبحمدك أفتتح وأسبح.

وأما بيع الخيار فإن العرب في الجاهلية كانت تدعوه صفقة الخيار (٣٠٠).

٤- وقد يعتمد الشرح على السياق عن طريق التوضيح بالشواهد الشعرية أو النثرية من أقوال وأخبار كقوله في شرح وتفسير لفظ التحيات^(٢):
والتحيات: المُلْك، وأصله أن المُلْك كان يُحْيَا فيقال: أنعم صباحاً، وأبيت اللعن، ولا يقال ذلك لغيره قال الشاعر:

وكل ما نال الفتي قد نلته إلا التحية

يريد إلا أنني لم أصر ملكاً أحياً بتحية الملوك: فيقال لي: أبيت اللعن، وأنعم صباحاً. ثم سُمِّي المُلْكُ تحية، إذ كانت التحية لا تكون إلا للملوك، قال عمرو بن معدي كرب:

أسيرها إلى النعمان حتى أنيخ على تحيته بجندي

وأما الشرح بالاعتماد على شاهد نثري فيظهر في شرحه لمعنى الوضوء^(٣) بقوله: "الوضوء للصلاة هو من الوضوء النظافة... والوضوء في اللغة، على ما أعلمتك، قد يكون للعضو الواحد، يدل على ذلك حديث حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن الأصفهاني عن أبي عبيدة عن الحسن أنه قال: "الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللئيم"، فسمى غسل اليد وضوءاً.

(١) السابق: ص ٣٣٧.

(٢) السابق: ص ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) نفسه: ص ١١٣ وما بعدها.

ولا يفوتنا أن ننبه هنا إلى أن الأنماط الأربعة قد تتداخل في بيان معاني مفردات غريب الحديث عند ابن قتيبة ويتجلى ذلك على سبيل المثال في شرحه للفظ الموضوع.

وأورد التنويه أن ابن قتيبة قد اعتمد منهجاً تدريجياً في تعيين المفردات وشرحها إذ يقوم أولاً باستخراج اللفظ من الحديث أو غيره ثم يبين معناه بواحدة من طرق الشرح السالفة، ثم يحتاج لهذا المعنى بشاهد شعري أو نثري، وإذا كان هناك رأي لأحد اللغويين فإنه يسوقه، ولا يفوته التنبيه على المعاني المتفرعة عن المعنى الأصلي، ثم تعميم المعنى، وقد ضرب المحقق أمثلة لهذا التدرج الذي قد لا يتحقق بكامله (انظر ص ٨١-ص ٨٤).

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن ابن قتيبة في كتابيه غريب القرآن وغريب الحديث؛ بما يقدمه فيهما من تنويع في شرح مفردات الغريب بالترادف أو بالاعتماد على الصيغة الصرفية أصلاً واشتقاقاً، وعلى البنية النحوية أو على السياق اللغوي، قد ساهم في وضع منهجية معجمية قوامها قلب المفردة أو الوحدة المعجمية في الاصطلاح الحديث، في سياقات عدة حتى يظهر معناها الاصطلاحي بعد معناها اللغوي في هذا الوقت، أي القرن الثالث الهجري الذي طغى فيه التصنيف في غريب القرآن وغريب الحديث وغريب اللغة، أي التصنيف الموضوعي للمفردات، على التصنيف المعجمي العام للمفردات الذي لم يعرف له كتاب سوى معجم العين للخليل وكتاب الجيم للشيباني، ولم يحظيا بالذیوع والانتشار في وقتها. ولا أشك في انتفاع المعجميين العرب بمنهجية كتب الغريب في القرن الرابع الهجري وهو قرن المعاجم إذا صح التعبير فقد شهد فورة في التأليف المعجمي المفرداتي فقد ظهر فيه جمهرة اللغة والبارع في اللغة وتهذيب اللغة وصحاح العربية ومختصر العين، والمحيط في اللغة ومجمل اللغة ومقاييس اللغة.

وتمتد هذه المرحلة بمنهجها في جمع غريب الحديث إلى أواخر القرن الرابع الهجري الذي يصنف فيه أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت ٣٨٨هـ) كتابه "غريب الحديث". وهو ثالث ثلاثة كتب عدّها ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) أمهات كتب الغريب بقوله^(١): "فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والأثر أمهات الكتب" والكتابان الآخران هما كتابا أبي عبيد وابن قتيبة السابقان.

(١) النهاية: ج ١/ص ٨.

وأما عن أسباب تأليف الخطابي لكتابه رغم ثنائه على غريبي أبي عبيد وابن قتيبة فيرى أنه^(١) "بقيت بعدهما ضبابة للقول فيها مُتَبَرِّضٌ توليت جمعها وتفسيرها مستعينا بالله مسترسلاً إلى ذلك بحسن هدايتهما وفضل إرشادهما، وما نخوته من التيمم لقصدتهما والتقيّل لآثارهما.. " فكأنه أراد أن يجمع ما فاقهما جمعه مع سيره على منهجهما في معالجة الألفاظ الغريبة التي لا أصل لها في كتابيهما، فكأنه الحلقة المكملّة لهما، خاصة أن الخطابي يرى في كتب الغريب المصنفة قبل غريبي أبي عبيد وابن قتيبة: "على كثرة عددها إذا حُصِّلت كانت كالكتاب الواحد؛ إذا كان مصنّفوها لم يقصدوا بها مذهب التعاقب كصنيع القتيبي في كتابه، إنما سبيلهم أن يتوالوا على الحديث فيعتوروه فيما بينهم، ثم يتبارون في تفسيره"^(٢) أي إنهم تداولوا الأحاديث نفسها وفسّروا غريبها دون أن يعقب اللاحق على السابق بعكس ما فعله ابن قتيبة بتعقيبه على أبي عبيد، وكأنه أراد أن يعقب على أبي عبيد وابن قتيبة باستكمال ما لم يرد في كتابيهما فسار في تأليفه على طريقتيهما أو على نحو من كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه حيث^(٣) "يورد الحديث ثم يتبعه بسنده ثم يفسر الكلمات اللغوية ويستشهد لهذا التفسير بآية أو حديث أو شعر وهو منهج يكاد يتطابق مع منهج أبي عبيد: إذ يبدأ أبو عبيد الحديث بقوله: قال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ والخطابي يبدأ بقوله: قال أبو سليمان في حديث النبي ﷺ: ثم يذكر كل منهما الحديث وبعده سنده، وبعده اختيار اللفظ الغريب وبيان معناه، ويستعين كل منهما بأقوال اللغويين والعلماء، وتأييد ذلك بالشعر أو بحديث أو آية، وقد يأتي بالشاهد الشعري على المعنى ويتبعه بأقوال أو آراء علماء اللغة.

أمّوذج من كتاب غريب الحديث للخطابي^(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير غريب حديث رسول الله

* قال أبو سليمان في حديث النبي ﷺ "إنهم كانوا معه في سفر فأصابهم

بُغْيَشٌ، فنأدى مناديه: من شاء أن يُصَلِّي في رحله فَلْيَفْعَلْ."

(١) المرجع السابق: ٤٨/١.

(٢) غريب الحديث للخطابي ٥٠/١.

(٣) السابق ٢٧/١.

(٤) ج ١/ ص ٧٢، ٧٦.

أخبرناه ابن الأعرابي، نا الحسن بن علي بن عفان العامري، نا أبو أسامة، عن عامر بن عبّدة الباهلي، نا أبو المَلِيح الهذلي، عن أبيه:
قوله: بُغِشَ تصغير بُغَش، وهو المطر الخفيف. قال الأصمعي: أَخَفُّ المطر وَأَضْعَفُهُ الطَّلُّ، ثم الرِّذَاذُ، ثم البَغَشُّ. يقال: بُغِشَتِ الأرضُ إذا نَدِيت بالمطر، فهي مَبْغُوشَةٌ، قال رؤبة:

سَيِّدًا كَسِيدَ الرِّذَاهَةِ الْمَبْغُوشِ

قال: ويقال: أرض مَبْغُوشَةٌ / مَن البَغَشُّ، وأَرْضٌ مُرَذَّةٌ: عليها من الرِّذَاذِ، ولا يقال مُرَذَّةٌ ولا مَرْدُودَةٌ، قال الكسائي: يقال: أرض مُرَذَّةٌ من الرِّذَاذِ، ومَطْلُولَةٌ مِنَ الطَّلِّ، ومَوْبُولَةٌ مِنَ الوَابِلِ، ومَجُودَةٌ مِنَ الْجُودِ.
* وقال أبو سليمان في حديث النبي صلى الله عليه " أنه كان منهوش الكَعْبَيْنِ ".

حدثناه أحمد بن عبدوس، نا محمد بن يونس الكدّيمي، نا وهب بن جرير، أنا شعبة، عن سِمَاك بن حرب، عن جابر بن سمرة، ورواه غُندَرُ، عن شعبة فقال: " منهوس العقبين ". وروى زهير بن حرب، عن وهب بن جرير، عن شعبة، عن سِمَاك، عن جابر: " أنه كان مَبْخُوصَ الْعَقَبَيْنِ ".

قوله: مَنُهِوشُ الكَعْبَيْنِ: أي نائى الكعبين معروقهما. يقال: رجل مَنُهِوشٌ إذا كان مجهوداً سيء الحال. قال رؤبة:

كَمَ مِنْ خَلِيلٍ وَأَخٍ مَنُهِوشٍ مُتَعَشٍ بِفَضْلِكُمْ مَنَعُوشٍ

فأما المنهوس فإن شُعْبَةَ قال: قلت لسماك: ما مَنُهِوسُ الْعَقَبَيْنِ. قال: قليل لحم العقب، وهو مأخوذ من النَّهَسِ؛ وهو عَرَقُ الْعَظْمِ وأخذ ما عليه من اللَّحْمِ، والنَّهَسُ أبلغ من النَّهَشِ، والمَبْخُوصُ قريب منهما. والبَخْصَةُ (والبَخْصُ): لَحْمٌ أسفل القدمين، وقيل للقليل منه مَبْخُوصٌ، على معنى أن ذلك قد نيل منه وأخذ فعري مكانه من اللحم. (قال ابن السكيت: البَخْصُ: مصدر بَخَصَتْ عينه بَخْصاً، والبَخْصُ: لحم القدم ولكم الفرسين) وفيه وجه آخر إن وافقته الرواية. وهو منحوس العقبين أي قليل لحم العقبين، يقال: نَحَضْتَ الْعُضْوَ إذا أخذت عنه لحمه. والنَّحَضُ: اللحم.

وبما قدّمناه من حديث عن كتب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة والخطابي التي تمثل المرحلة الوسيطة في جمع غريب الحديث والتصنيف فيه؛ إذ كانت

المرحلة السابقة عليها يغلب على كتبها كثرة العدد وقلة الحجم وتتناول الأحاديث نفسها دون أن يتعقب أحدهم سابقه، أي يتعاورون الأحاديث نفسها ويتنافسون في تفسيرها فتقاربت في المضمون والمنهج. وهي المرحلة التي صَنَّفها الخطابي بين مقصّر في التفسير والايضاح، وبين مُطَنِّب متكلف في تفسير ما لا إشكال فيه فضلاً عن حاجتها إلى التبويب والترتيب. ويبدو أنها اندثرت إذ لم يصلنا منها شيء.

وارتقى أبو عبيد وابن قتيبة والخطابي بالتأليف في غريب الحديث إلى درجة أكثر تنظيماً ومنهجية في تبويب الأحاديث وإن كان هذا التبويب فضفاضاً كصنيع أبي عبيد الذي قسم الأحاديث، مُفَرِّداً كل قسم على حدة، كأحاديث الرسول ﷺ ثم أحاديث الصحابة ثم أحاديث التابعين^(١)، وصنيع ابن قتيبة الذي قدّم الأحاديث الدائرة ثم الأحاديث القصيرة، ثم الأحاديث الطويلة، ثم أحاديث الصحابة والتابعين.

ومن التنظيم المنهجي كذلك التدرّج في عرض المادة وشرحها بذكر الحديث متلوّاً بسنده، فاختيار اللفظ الغريب يقابله معناه، وعرض أقوال علماء اللغة والاستشهاد للمعنى من شعر العرب ونثرهم. ولكن ظلّ ينقصها التبويب الدقيق والترتيب السهل لمفرداتها.

وبالرغم من دور مصنفات هذه المرحلة التأسيسية في ترسيخ علم غريب الحديث، إلا أن اعتمادها على الأبواب الفضفاضة والمسانيد في منهجها جعل العثور على الحديث وغيره صعباً وغير ميسور؛ وظهرت الحاجة ماسة إلى اتباع منهج مختلف في التصنيف والترتيب السهل للمفردات خاصة، مع اتساع كتب غريب الحديث التي يتطلب الكشف فيها طريقة أسهل فكان الترتيب الألفبائي الجذري الذي ارتاده وتبنّاه أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١هـ) في كتاب الغريين، غربي القرآن والحديث الذي أتينا على ذكر منهجه في الترتيب عند الحديث عن كتب غريب القرآن وهو الكتاب الذي أثنى عليه ابن الأثير وسوّغ له منهجه بقوله^(٢): " فلما كان زمن أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي.... وكان في زمن الخطابي وبعده وفي طبقة، صَنَّف كتابه المشهور السائر في الجمع بين غربي القرآن العزيز والحديث ورّبه مقفى على حروف المعجم على وضع لم يُسَبِّق في غريب القرآن والحديث إليه؛ فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها وأثبتها في حروفها

(١) غريب الحديث: ٥٢/١.

(٢) النهاية: ج ١/٨-٩.

وذكر معانيها؛ إذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمة الغريبة لغة وإعراباً ومعنى، لا معرفة متون الأحاديث والآثار وطرق أسانيدھا وأسماء رواتھا، فإن ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله، ثم إنه جمع فيه من غريب الحديث ما في كتاب أبي عبيد وابن قتيبة وغيرهما ممن تقدّمه من مصنفي الغريب، مع ما أضاف إليه مما تتبعه من كلمات لم تكن في واحد من الكتب المصنفة قبله، فجاء كتابه جامعاً في الحسن بين الإحاطة والوضع."

في هذا البيان المقتطف أرى أن ابن الأثير قد أجاد تقديم كتاب الغريبين وأبرز دوره في الجمع والوضع حتى صار عمدة في غريب الحديث والآثار على حد تعبيره، ويمكن أن أستنتج من تقديمه ما يأتي:

- ١- تزامن تأليف كتابي الخطابي وأبي عبيد الهروي، مع اختلاف منهجيتهما.
 - ٢- التصنيف المشترك بين غريبي القرآن والحديث، وهو نهج جديد في التصنيف.
 - ٣- التصنيف في غريب الحديث بمنهج جديد ومختلف في ترتيب المفردات ألفبائياً فأجاد الوضع.
 - ٤- تحديد الغاية من كتب الغريب بالعثور على مفرداته وبيان معانيها وإعرابها.
 - ٥- يستبعد من كتب غريب الحديث أسانيد الأحاديث وأسماء رواتھا؛ لأن الأخيرة لها علمها المستقل.
 - ٦- اعتماد الهروي في غريب الحديث على كتابي أبي عبيد وابن قتيبة مع استفادته من غيرهما، إضافة إلى نقله عن الأزهري.
 - ٧- عدم اكتفاء الهروي بما جاء في الكتب السابقة من مفردات غريب الحديث وتمكن من إضافة ما استطاع جمعه؛ فأحسن الجمع.
 - ٨- بجمع الهروي بين إجادة الوضع بترتيبه الألفبائي السهل، وإحسان الجمع بإحاطته بما جمعه غيره وإضافته إليه، صار الكتاب عمدة لما جاء بعده.
- وعليه يكون الهروي بكتابه الذي جمع فأوعى ورُتب فيسر، قد عبّد طريقاً جديداً في الترتيب المنهجي لمفردات غريب الحديث الذي يوضحه بقوله^(١): "الموضوع على نسق الحروف المعجمية نبدأ بالهمزة فنفيض بها على سائر الحروف، حرفاً حرفاً، ونعمل لكل

(١) كتاب الغريبين: ٦/١.

حرف باباً، ونفتتح كل باب بالحرف الذي يكون آخر الهمزة ثم الباء، ثم التاء إلى آخر الحروف، إلا أن لا نجده، فنتعده إلى ما نجده على الترتيب فيه، ثم نأخذ في كتاب الباء، على هذا العمل، إلى أن ننتهي بالحروف كلها إلى آخرها.. " فيبدأ بكتاب الهمزة ويفتح لها باباً مع الهمزة: أي أ، ب: ويبدأ بالكلمة القرآنية (أب) من خلال آية قرآنية فإذا انتهى من شرحها انتقل إلى مفردة غريبة في الحديث الشريف فيذكر الحديث ويختار الكلمة منه نحو أوابد من أبد وقد يجد حديثاً آخر فيه كلمة أخرى يبدأ جذرها بالهمزة ويثني بالباء ويثلاث بحرف آخر غير الدال كالراء نحو كلمة مأبوره وجذرها أبر، وبعدها يأتي إلى جذر أبط في حديث قد يكون لصحابي فيه مفردة تأبط، وبعد شرحها ينتقل إلى جذر أبل ويورد مثلاً له مفردة قرآنية وهي أباييل مستخرجة من آيتها " طيراً أباييل "، وإذا وجد مفردة حديثة لها الجذر نفسه ذكر الجزء المشتغل عليها من الحديث وشرحها مثل تأبل.. وهكذا مع أبـن وأبه. وبعد ذلك ينتقل إلى باب الهمزة مع التاء وما يثلاثهما بالترتيب الألفبائي ويبدأ بـ: أ ت ب. ولقد أبدى الهروي تواضعاً جماً في مقدمته عند حديثه عن كتابه فيعرف الغريين بقوله^(١): " ليس لي فيه (الغريين) إلا الترتيب والنقل من كتب الأثبات الثقات، طلباً للتخفيف، وحذفاً للتطويل، وحصرأً للفائدة.. " مع أنه في موضع سابق ينوّه بطريقة جمعه وترتيبه وأنه لم يسبقه أحد إليهما بقوله^(٢): " فإن اللغة العربية إنما يحتاج إليهما لمعرفة غربي القرآن وأحاديث الرسول عليه السلام، والصحابة والتابعين.... وكنت أرجو أن يكون سبقني إلى جمعهما، وضم كل شيء إلى لفقه منهما، على ترتيب حسن واختصار كاف، سابق، فكفاني مؤونة الدأب وصعوبة الطلب، فلم أجد أحداً عمل ذلك إلى غایتنا هذه ".

من كتاب الغريين

كتاب الهمزة

باب الهمزة مع الباء

ء ب د في الحديث: " إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش " الأوابد: التي قد تأبدت؛ أي توحشت ونفرت من الإنس. وقد أبدت تأبد وتأبد، وتأبدت الديار: أي توحشت وخلت من قطائها ومنه قولهم:
جاء بآبدة: أي بكلمة أو خصلة يُنفَر منها ويُستوحش.

(١) السابق نفسه.

(٢) نفسه ١/ص ٥.

ء ب ر في الحديث: " خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ " المأبورة: الملقحة.

يقال: أَبْرَتْ النَّخْلَةَ آبَرُهَا، فَأَبْرَتْ وَتَأَبَّرَتْ
ومنه الحديث: " مَنْ بَاعَ نَخْلًا قَدْ أُبِرَتْ "، أي لُقِحَتْ. أراد: خَيْرُ الْمَالِ نِتَاجٌ أَوْ ذَرْعٌ.

وفي حديث الشورى: " وَتَوَبَّرُوا آثَارَكُمْ "، قال الرياشي: أَي تَعَفَّوْا عَلَيْهَا.
وقال: ليس شيءٌ من الدَّوَابِّ يُؤَبِّرُ أثره حتى لا يُعْرِفَ طريقه إِلَّا التَّفَّةُ، وهو عناق الأرض.

ء ب ط: في الحديث: " كَانَتْ رِدْيَتُهُ التَّابُطُ " هو أَنْ يُدْخِلَ الرَّجُلُ الثَّوبَ
تحت يده اليمنى فيلقيه على مَنْكبه الأيسر.
وقال عمرو بن العاص: " إِنِّي وَاللَّهِ مَا تَأَبَّطُنِي الْإِمَاءُ "، أي لم يَخْضُنْهُ وَلَمْ يَتَوَلَّنِ تَرْبِيَتَهُ.

باب الهمزة مع التاء

ء ت ب في الحديث: " وَعَلَيْهَا إِثْبٌ لَهَا وَإِزَارٌ "، الإِثْبُ: البَقِيرَةُ، وهي بُرْدَةٌ تُشَقُّ فتلبسها المرأة من غير كُمَيْنِ وَلَا جَنَبٍ.

لقد قلت عن منهج الترتيب الألفبائي أنه ارتاده وتبنّاه الهروي في الغريين لأن ابن الأثير قد صرّح بوضوح (ج ١/ص ٨) أنه قد ربّبه على حروف المعجم على وضع لم يسبق في غريب القرآن والحديث إليه " وأعتبر ذلك تراجعاً منه عن إثبات الأسبقية للحري التي أشار إليها في مقدمته بقوله^(١): " إن الكتب المصنفة في غريب الحديث، لم يكن فيها كتاب صُنِفَ مرتباً ومقفى... إلا كتاب الحري، وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه إلا بعد تعب وعناء " وبعد الاطلاع على جزء من كتاب الحري (المجلدة الخامسة) بتحقيق الدكتور سليمان العايد، تبين أن الحري قد أراد أن يسلك مسلكاً وسطاً فهو لم يتخل عن طريقة المسانيد وأضاف إليها نظام التقاليب والمخارج: أي إنه انتوى أن يجمع بين طريقة المحدثين في الإسناد وبين إحدى طرق اللغويين وهي الطريقة الصوتية التقليدية من نظرية الخليل المعجمية وهي أصعب وأشق طرق التأليف المعجمي عند

(١) النهاية: ج ١/ص ٨.

اللغويين؛ لأنها تقوم أولاً على ترتيب الحروف صوتياً حسب مخارجها، بدءاً من الحلق وحروفه التي تبدأ بالعين إلى الحروف الشفوية كما رتبها الخليل، رحمه الله، وتوضع الكلمة في أول باب يصادف حرفاً فيها فقعد مثلاً توضع في باب العين فالعين سابقة على القاف والدال في الترتيب الصوتي ثم يقلب قعد. ويروي الأحاديث التي ترد فيها هذه التقليل ويجعل لكل تقليل باباً، ولكنه لم يحافظ على الترتيب الصوتي للحروف. ففي الحديث التاسع والثلاثين^(١) افتتح الحديث بباب سجر أي ذكر هذا التقليل سابقاً على تقليل جرس أي جاء باب جرس بعد باب سجر، ويفترض حسب الترتيب الصوتي أن يكون العكس، كذلك أتى بباب " جسر " بعد باب " جرس " والترتيب الصوتي للسجين سابق على الراء وعليه فتقليل " جسر " يجب أن يكون قبل " جرس ". وفي الحديث الثاني والأربعين ذكر تقليل " قشف " في آخر الأبواب مع أنه يفترض أن يكون قبل تقليل (بابي) شفق وشفق. عدا أنه كما يقول محقق الكتاب^(٢) كان " يكتفي أحياناً باتفاق هذه المواد بحرفين وإن اختلفت فيما سواهما " ويضرب مثلاً لذلك مادة جل فقد ذكر فيها: جول وجلا، وجلّ، وجلجل وجيل، وأجل، وجيّال. أي إنه لم يلتزم بقواعد نظرية التقليل الخليلية التي تبنّاها. كذلك أخلّ بطريقة المسانيد التي اعتمدها مع التقليل فهو كما يقول المحقق أيضاً^(٣): " فقد فاتته طريقة المسانيد؛ إذ يكتفي أحياناً بورود أول حديث في المادة عن صاحب المسند، ثم يقلّب المادة، وقد لا يكون في بقية هذه التقليل حديث واحد عنه " ففي الحديث الأربعين^(٤) يذكر حديث " غمّ " ويذكر حديثين بعده للغم وأغنى. ثم يذكر الغامياء والغمق والوغم دون أحاديث، والغممة ويذكر معناها ثم يستشهد له ببيت من الشعر، عدا أنه يذكر حديثاً تابعاً للحديث الأربعين يفتح فيه باباً لتقليلات غمد ودغم ودمغ. يضاف إلى هذا الخلل والاضطراب في الجمع بين الطريقتين ضياع القسم الأكبر من الكتاب؛ إذ لم يتبقّ منه سوى المجلدة الخامسة التي حققت؛ كل ذلك حرم الكتاب من التداول والانتشار وفضل السبق والريادة في الترتيب الألفبائي

(١) غريب الحديث للحري: ٣/١.

(٢) المرجع السابق: ٩٥/١.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه: ٢١-١٦/١.

المعجمي واحتفظ بهذه الريادة الهروي؛ لأنه اعتمد الترتيب الأبجائي وأحسن استخدامه لدرجة أن ابن الأثير قد جعله العمدة بين كتب غريب الحديث على وضع لم يسبق إليه فكأنه ينفي الريادة عن الحربي.

ويستمر التأليف في غريب الحديث على يد اسماعيل البيهقي (ت ٤٠٢هـ) وكتابه سَمَطُ الثريا في معاني غريب الحديث " واسماعيل بن عبد الغافر (ت ٤٤٩هـ) وإبراهيم النسوي (ت ٥١٩هـ) ممن فقدت كتبهم. ولأبي الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي (ت ٥٢٩هـ) وكتاب مجمع الغرائب في غريب الحديث " الذي يرجع فيه إلى غريب أبي عبيد القاسم وابن قتيبة والخطابي والحربي والغريين للهروي، ولم يخرج شيء من ذلك عن هذه الكتب المنسوبة إلى هؤلاء الأئمة إلا زوائد يسيرة سمح بها الخاطر... ورتبه على حروف المعجم في ثمانية وعشرين باباً كل باب يشتمل على فصول، نبدأ في الفصل الأول بالهمزة مع سائر الحروف، وكذلك في كل فصل على الترتيب إلى فصل الياء مع سائر الحروف^(١).

وهذا استمرار للمنهج الذي رسخه الهروي في كتاب الغريين وهو الذي يسير عليه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في كتابه " الفائق في غريب الحديث " الذي أثنى عليه ابن الأثير ووصف منهجه بقوله^(٢): " ولقد صادف هذا الاسم مسمًى، وكشف من غريب الحديث كل معًى، ورتبه على وضع اختاره مقفًى على حروف المعجم، ولكن في العثور على طلب الحديث منه كلفة ومشقة.. فقد جمع في التقفية بين إيراد الحديث مسروداً جميعه أو أكثره أو أقله ثم شَرَحَ ما فيه من غريب، فيجيء شرح كل كلمة غريبة يشتمل عليها ذلك الحديث في حرف واحد من حروف المعجم؛ فتد الكلمة في غير حرفها، وإذا تطلّبها الانسان تعب حتى يجدها، فكان كتاب الهروي أقرب متناولاً وأسهل مأخذاً ". ولم يهتم الزمخشري في مقدّمته للكتاب ببيان منهجه في ترتيبه، ولكنه أظهر اهتماماً بالبلاغة العربية عامة وببلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام خاصة بقوله في المقدمة^(٣) " ثم إن هذا البيان العربي، كأن الله عزّت قدرته مخضّه وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام... " ويعترف أن ما ألف في غريب الحديث قد أوفى على الغاية التي لم يبق معها

(١) المعجم العربي: د. حسين نصار، ٥٧/١-٥٨.

(٢) النهاية: ١/٩.

(٣) الفائق، للزمخشري: ١/١١-١٢.

لمتأخر دور يقوم به وهذا واضح في قوله^(١): "وقد صنّف العلماء رحمهم الله في كشف ما غرب من ألفاظه واستبهم، وبيان ما اعتاص من أغراضه واستعجم، كتباً تنوّقوا في تصنيفها وتجوّدوا... حتى أحكموا ما شاؤوا... ولم يدع المتقدم للمتأخر خصاصة يستظهر به على سدها... " ومع ذلك استحب أن يضيف كتابه "الفائق" إشباعاً لرغبة ذاتية في اكتساب الثواب من الله عز وجل والذكر الحسن بين الناس يوضع ما أحاط به من علم بين أيديهم إذ يقول معلناً ومعللاً رغبته في تأليفه^(٢): "ولكن لا يكاد يجدُ بدأً من نبغ في فن من العلم، وصبغ به يده وعانى فيه وكّده وكّدّه، من استحباب أن يكون له فيه أثر يكسبه في الناس لسان الصدق وجمال الذكر، ويخزن له عند الله جزيل الأجر وسنيّ الذخر " لذلك جاء كتابه الفائق غزير المادة يعكس ثقافة الزمخشري اللغوية العميقة والبلاغية الواسعة وقدراته الفقهية، بإحاطته بما تحتمله الألفاظ من دلالات معتمداً في الاستشهاد والتمثيل على القرآن الكريم وشعر العرب وأمثالهم. ويبدأ الكتاب حسب الترتيب الألفبائي الذي ارتضاه، الذي جعل فيه لكل حرف باباً، وأولها باب حرف الهمزة الذي يرتبه مع الحروف الأخرى على شكل فصول فيبدأ بالألفاظ التي تبدأ أصولها بالهمزة، بحيث يراعي الهمزة مع حروف العربية بترتيبها الألفبائي المعروف، أي الهمزة مع الباء دون مراعاة الترتيب في الحرف الثالث؛ لما يبدأ به من ذكر الحديث المعقود عليه اللفظ فكان أولها "يؤبن" أي الجذر يتكون من الهمزة فالباء فالنون وبعد أن يتمم شرح هذا اللفظ ببيان معناه والاستشهاد له بأحاديث أخرى أو بقرآن أو أشعار أو أقوال ينثني إلى الألفاظ الغريبة الأخرى في الحديث نفسه سواء كان لها علاقة هجائية بالمادة الأولى أم لم يكن وكأن الكلمة مناسبة للحديث وليس الحديث مناسبة الكلمة، ولنأخذ مثلاً على ذلك من الفائق^(٣):

حرف الهمزة

الهمزة مع الباء

أولاً: يسوق الحديث دون الأسانيد مكتفياً بذكر راو للحديث:

النبي ﷺ في ذكر مجلسه، عن علي رضي الله عنه: مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، أو تنثني فلتاته؛ إذا تكلم أطرق

(١) المرجع السابق: ١/ص ١٢.

(٢) الفائق: ١/١٢.

(٣) ١٣/١ - ١٤.

جلساؤه كأنّ على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يقبل الشاء إلا عن مكافئ".

ثانياً: اختيار اللفظ حسب الترتيب المفترض: لا تُؤبن.

ثالثاً: بيان معنى تؤبن: أي لا تقذف ولا تُعاب، يقال: أبنته آبنه، وأبنه وهو من الأبن، وهي العقدة في القضبان، لأنها تعيها.

رابعاً: الاحتجاج بحديث آخر على المعنى: " ومنه قوله في حديث الإفك: أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي.

خامساً: اختيار ألفاظ أخرى من الحديث الأول غير " يؤبن " لبيان مدلولها من خلال نص الحديث البث والنث والنش: نظائر

الفلته: الهفوة (الشرح مع الاستشهاد بالشعر)

كأن على رؤوسهم الطير: عبارة عن سكوفهم وإنصاتهم؛ لأن الطير إنما تقع على الساكن، قال الهذلي:

إذا حلّت بنو ليث عكاظاً رأيت على رؤوسهم الغرابا

المكافئ: المجازي، ومعناه أنه إذا اصطنع فأثني عليه على سبيل الشكر والجزاء تقبله.

ثم ينتقل إلى حديث آخر، ويتعامل معه كما تعامل مع الحديث السابق.

ومن وسائله التي احتذاها؛ رغبة منه في تتبع بلاغة الرسول عليه السلام وإظهار قدرته في التحليل والشرح، أنه كان يسوق حديثين أو ثلاثة أو أربعة وبعد ذلك يتولى شرح ما تتضمنه من ألفاظ يعتبر معالجتها فرصة لإبداء معرفته الواسعة في نحو اللغة وبلاغتها وصرفها ودلالات ألفاظها اللغوية والفقهية والمثال الآتي يوضح ما ذكرته^(١) حيث ذكر أربعة أحاديث متتالية:

كتب لوائل بن حجر: من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبو أمية: إن وائلاً يستسعى، ويترقل على الأقوال حيث كانوا من حضرموت.

وروي: إلى الأقيال العباهلة والأرواح المشايب من أهل حضرموت، بإقام الصلاة المفروضة وأداة الزكاة المعلومة عند محلها؛ في التّبعة شاة، لا مُعَوَّرَة الألياط ولا ضِنّاك،

(١) انظر: الفائق: ١٤/١ - وما بعدها.

وأنطوا الثَّجَّةَ، وفي السيوب الخمس، ومن زلَّ مم بكر فاعتصموه مئة واستوفضوه عاما، ومن زنى من ثَيَّب فضرَّجوه بالأضاميم، ولا توصيم في دين الله ولا غمَّة في فرائض الله، وكل مسكر حرام. ووائل بن حجر يترفل على الأقيال، أمير أمره رسول الله فاسمعوا وأطيعوا.

وروي أنه كُتب: إلى الأقوال العباهلة، لا شِغار ولا وِراط، لكل عشرة من السرايا ما يحمل القِرابُ من الثمر، وقيل هو القِراف.

وبعد ذلك يبدأ في بيان ما تثيره كل كلمة من غرابة نحوية أو دلالية أو صرفية أو لهجية أو فقهية، ويستشهد لكل ذلك من شعر العرب:

أبو أبو أمية: ترك في حال الجر على لفظه في حال الرفع؛ لأنه اشتهر بذلك وعرف، فجرى مجرى المثل الذي لا يغيّر. وكذلك قولهم: علي بن أبو طالب، ومعاوية بن أبو سفيان.

يُسْتَسْعَى: يستعمل على الصدقات، من الساعي وهو المصدق.

ويترفل: يتسود ويترأس. يقال: رفلته فترفل. قال ذو الرمة:

إِذَا نَحْنُ رَفَلْنَا امْرَأً سَادَ قَوْمُهُ وإن لم يكن من قبل ذلك يُذَكَّرُ

استعارة من ترFIL الثوب، وهو إسباغه وإسباله.

حضر موت: اسم غير منصرف ركب من اسمين وبني الأول منهما على الفتح.

وقد يضاف الأول إلى الثاني فيعتقب على الأول وجوه الإعراب ويختار في الثاني بين الصرف وتركه. ومنهم من يضم ميمه فيخرجه على زنة عنكبوت.

أقوال: جمع قيل. وأصله قيل ففعل من القول فحذفت عينه. واشتقاقه من القول

كأنه الذي له قول، أي ينفذ قوله. ومثله أموات في جمع ميت، وأما أقيال فمحمول على لفظ قيل، كما قيل أرياح في جمع ريح؛ والشائع أرواح؛ ويجوز أن يكون من الثقيل وهو الاتباع كقولهم تُبَّع.

العباهلة: الذين أقروا على ملكهم لا يزالون (عنه)، من عَهِلَهُ بمعنى أهله إذا

أهمله، العين بدل من الهمزة، كقوله:

أَعَنْ تَوَسَّمتَ (من خرقَاءَ مَنْزِلَةً ماء الصَّبَابَةِ من عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ)

وقوله: والله عن يشفيك أغنى وأوسع.

وعكسه: أفرة في عفرة، وأباب في عباب، والتاء لاحقة لتأكيد الجمع كشاء صياقلة وقشاعمة. والأصل عباهل قال (أبو وجزة السعدي):

* عباهل عبهلها الوراء *

ويجوز أن يكون الأصل عباهيل، فحذفت الياء وعوّضت منها التاء، كقولهم: فرازنة وزنادقة في فرازين وزناديق، وحذف الشاعر ياءها بغير تعويض على سبيل الضرورة كما جاء في الشعر: المرازبة الجحاجح. وأن يكون الواحد عبهولا، ويونس به قولهم: العزهول واحد العزاهيل، وهي الإبل المهملة. ويجوز أن يكون علما للنسب، على أن الواحد عبهلي منسوب إلى العبهلة التي هي مصدر، وقد حذفها الشاعر، كقولهم: الأشاعث في الأشاعثة.

التبعة: الأربعون من الغنم، وقيل هي اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة. كالخمس من الإبل وغير ذلك، وكأها الجملة التي للسعاة عليها سبيل. من تاع إليه يتبع إذا ذهب إليه أو لهم أن يرفعوا منها شيئا يأخذوا، من تاع ألبا والسمن يتوع ويتبع إذا رفعه بكسرة أو قمر. أو من قولك: أعطاني درهما فتعت به أي أخذته، أو أن يقعوا فيها ويتهافتوا من التابع في الشيء. وعينها متوجهة على الياء والواو جميعاً بحسب المأخذ.

التيمة: الشاة الزائدة على التيمة حتى تبلغ الفريضة الأخرى. وقيل: هي التي ترتبطها في بيتك للاحتلاب ولا تُسيمها. وأيتهما كانت فهي المحبوسة إما عن السوم وإما عن الصدقة، من التميم، وهو التعبيد والحبس عن التصرف الذي للأحرار ويؤكد هذا قولهم لمن يرتبط العلائف: مُبْن، من أبن بالمكان إذا احتبس فيه وأقام. قال:

يَعِيرُنِي قَوْمٌ بَأَنِّي مُبْنٌ وهل بَنَ الأشراف غير الأكارم

السيوب: الرّكاز، وهو المال المدفون في الجاهلية أو المعدن، جمع سَيْب وهو العطاء؛ لأنه من فضل الله وعطائه لمن أصابه.

الخلاط: أن يخالط صاحب الثمانين صاحب الأربعين في الغنم، وفيهما شاتان لتؤخذ واحدة.

الوراط: خداع المصدق بأن يكون له أربعون شاة فيعطي صاحبه نصفها لئلا يأخذ المصدق شيئا، مأخوذ من الورطة، وهي في الأصل الهوة الغامضة، فجعلت مثلاً لكل خطة وإبطاء عشوة، وقيل هو تغيبها في هوة أو خمر لئلا يعثر عليها المصدق، وقيل هو أن يزعم عند رجل صدقة وليست عنده فيورطه.

الشَّفَاق: أخذ شيء / من الشَّنَق، وهو ما بين الفريضتين، سمي شفقاً لأنه ليس بفريضة تامة، فكأنه مشنوق أي مكفوف عن التمام، من شَنَقَتِ الناقة بزمامها إذا كففتها، وهو المعنى في تسميته وقصاً؛ لأنه لما لم يتم فريضة فكأنه مكسور، وكذلك شَنَقَ الدية: العدة من الإبل التي كان يتكرم بها السيد زيادة على المائة. قال الأخطل: قَرَمَ تُعَلَّقُ أَشْنَاقُ الدِّيَاتِ بِهِ إِذَا الْمُتُونُ أَمَرَتْ فَوْقَهُ حَمَلًا

الشَّغَار: أن يشاغر الرجل الرجل، وهو أن يزوجه أخته على أن يزوجه هو أخته، ولا مهر إلا هذا، من قولهم: شغرت بني فلان من البلد إذا أخرجتهم. قال: وَنَحْنُ شَغَرْنَا ابْنِي نِزَارٍ كُلِّهِمَا وَكُلِّبَا بِوَقْعٍ مُرْهَقٍ مُتَقَارِبٍ وَمِنْ قَوْلِهِمْ: تَفَرَّقُوا شَغَرِ بَغْرٍ؛ لَأَهْمَا إِذَا تَبَادَلَا بِأَخْتَيْهِمَا فَقَدْ أَخْرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَخْتَهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَفَارَقَ بِهَا إِلَيْهِ.

ويظهر نوع جديد من التصنيف في غريب الحديث على يد القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في كتابه "مشارك الأنوار على صحاح الآثار، في شرح غريب الأحاديث، الموطأ والبخاري ومسلم" حيث خص بالحديث غريب نصوص الأحاديث في موطأ مالك وصحيح البخاري وصحيح مسلم دون غيرها من مجاميع الأحاديث والسنن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه لم يقتصر تصنيفه على بيان معاني غريب الحديث الذي سدّ المحققون باب الحديث عليه وشدّدوا فيه^(١) بل وجه اهتمامه إلى المتون والإسناد ورواية الحديث وبيّن ما فيها من تحريف وتصحيف وتغيير وإشكال فإنه كما يقول في مقدمته^(٢): "لم يؤلف في هذا الشأن كتاب مفرد... إلا ما صنعه الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في تصحيف المحدثين، وأكثره مما ليس في هذه الكتب، وما صنعه الإمام أبو سليمان الخطابي في جزء لطيف، وإلا نكتاً متفرقة وقعت أثناء شروحه لغير واحد لو جمعت لم تشف غليلاً، ولم تبلغ من البغية إلا قليلاً... " فرأى أن يجمع هذه الاشكالات والاهمالات " في كتاب يجمع شواردها ويسدّد مقاصدها ويبيّن مشكل معناها، وينصّر اختلاف الروايات فيها ويظهر أحقها بالحق وأولاهها، فإذا جمع ما وقع من ذلك في جماهير

(١) انظر: المشارق: ١٣/١.

(٢) المرجع السابق: ١٥/١.

تصانيف الحديث وأمهات مسانيده ومنشورات أجزائه، وتتبع ذلك مما يشق ويعسر.. فأجمعت على تحصيل ما وقع من ذلك في الأمهات الثلاث الجامعة لصحيح الآثار التي أجمع على تقديمها... الأئمة الثلاثة: الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس المدني، والجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، والمسند الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري^(١). وأما المنهج الذي اتبعه في ترتيب مصنفه هذا فكان حسبما ذكر^(٢): "رأيت ترتيب تلك الكلمات على حروف المعجم أيسر للناظر وأقرب للطالب؛ فإذا وقف قارئ كتاب منها على مشكلة أو لفظة مهمة فزع إلى الحرف الذي في أولها إن كان صحيحاً، وإن كان من حروف الزوائد أو العلل تركه وطلب الصحيح، فبدأت بحرف الألف وختمت بالياء على ترتيب المعجم عندنا، ورتبت ثاني الكلمة وثالثها من ذلك الحرف على الترتيب... " أي إنه سيتبع الترتيب الألفبائي حسب جذور الكلمة، بفتح كتاب لكل حرف بادئاً بحرف الهمزة أو الألف كما يسميها، ويتبع هذا الحرف بالتدرج مع الحرفين الثاني والثالث، أي باب الألف أو الهمزة المفردة كهمزة الاستفهام، ثم باب الهمزة مع الباء مع ما يثلثهما كالباء (أب)، والذال (أبد)، والراء (أبر)، والزاي (أبز)، واللام (أبل)، والنون (أبن)، والواو (أب و)، والياء (أب ي). ولا بد من الإشارة هنا على أن ترتيب الحروف جاء عنده على ترتيبها المتبع في المغرب العربي وهو: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي.

ولم يفته (أقصد القاضي) أن يبين طريقته في معالجة المادة اللغوية بقوله^(٣): "وبدأت في أول كل حرف بالألفاظ الواقعة في المتون المطابقة لبابه على الترتيب المضمون، فتولينا إتقان ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها ولا يبقى بها إهمال، فإن كان الحرف مما اختلفت فيه الروايات نبهنا وأشرنا إلى الأرجح، والصواب هناك بحكم ما يوجب في حديث آخر رافع للاختلاف، مزيل للإشكال... أو يكون هو المعروف في كلام العرب أو الأشهر أو الأليق.. أو نص من سبقنا من جهابذة العلماء وقدوة الأئمة على المخطيء

(١) نفسه: ١٤/١.

(٢) نفسه: ١٥/١.

(٣) السابق نفسه.

والمصحف فيه. وترجمنا فصلاً في كل حرف على ما وقع فيها من أسماء أماكن من الأرض وبلاد يشكل تقييدها.. ويقع فيها لكثير من الرواة تصحيف... ثم نعطف على ما وقع في المتون في ذلك الحرف بما وقع في المتون في ذلك الحرف بما وقع في الإسناد من النص على مشكل الأسماء والألقاب ومبهم الكنى والألقاب..". ويمكن تفصيل طريقته في معالجة المادة كالآتي:

١- يبدأ بذكر الحديث بل بذكر الجزء من الحديث الذي يوجد فيه اللفظ المشكل أو الغريب دون ذكر الأسانيد نحو (في باب الهمزة والباء والنون): أ ب ن (٢٤/١): وقوله (يقصد الرسول ﷺ): ما كنا نأبئه برقية (ذكر من الحديث ما يحتوي على الكلمة المشكلة).

٢- إتقان الضبط: بضم الباء، ووقع في كتاب عن الأصيلي أنهم مشدد الباء، وكلاهما صواب.

٣- بيان المعنى: أي نتهمه، ونذكره ونصفه بذلك، وقال بعضهم: لا يقال إلا في الشر وقيل يقال في الخير والشر، وهذا الحديث يدل عليه.

٤- الاستشهاد بحديث آخر: وفي الحديث الآخر: أبئوا أهلي وأبنوهم كلاهما (على تخفيف الباء) كلاهما بتخفيف الباء والنون، وهو مما تقدم أي: اهتموهم وذكرهم بالسوء الاستشهاد بالشعر على تشديد الباء، قال ثابت: أبئوا أهلي: التأين ذكر الشيء قال الشاعر:

فرَّع أصحابي المطيَّ وأبئوا هنيذة (فاشاق العيون اللوامح)

واستكمالاً يقول في معنى أبئوا وضبطها: قال ابن السكيت: أي ذكروها، والتخفيف بمعناه. ورواها بعضهم: أبئوا بتقدم النون، وكذا قيده عبدوس بن محمد ثم كتب عند أصحابنا أبئوا وهو الأصح، ووجدته في كتابي عن الأصيلي بالنقط فوق الباء وتحتها في هذا الحرف مشدداً... وبالنون ذكره بعضهم عنه، وتقدم النون تصحيف لا وجه له هنا، والتأنيب اللوم والتوبيخ وليس هذا موضعه.

وبذلك تكون ألفاظ المتن قد أخذت حظها الوافر من حديثه فتكلم عن روايات أبئوا وما وقع فيها من تصحيف ورجح وأزال الإشكال مستشهداً بحديث آخر وبالشعر.

أعوذج من كتاب
المشارك على المشكل من الأسماء
فصل مشكل أسماء المواضع
وتفسيرها في هذا الحرف
(مكة)

قوله: هي بكة: والميم والباء مبدلة بمعنى واحد، وقد ذكرناه في حرف الباء، ومن سوى بينهما ومن فرق، وقيل: هما اسمان بمعنىين مكة بالميم لقلة ماؤها من قولهم أمتك الفصيل أمه، إذا استخرج ما في ضرعها. وقيل: لأنها تمك الذنوب أي: تذهب بها، وقد تقدم اشتقاق بكة بالباء. ولمكة أسماء كثيرة منها: صلاح، والعرش على وزن بدر. والقادس من التقديس: وهو التطهير لأنها تطهر الذنوب. والمقدسة والنساسة بالنون وسنين مهملتين. وقيل: الناسة أيضاً بسين واحدة، والباسة أيضاً بالباء وسين واحدة، لأنها تبس من الحد فيها أي: تحطمه. وقيل تبسهم تخرجهم منها. والبيت العتيق، وقد ذكرنا تفسيره، وأم رحم: بضم الراء وأم القرى، والحاطمة والرأس مثل: رأس الإنسان، وكوثي: بضم الكاف وثاء مثلثة باسم بقعة بها هي كانت منزل بني عبد الدار.

ولم يحظَ منهج كتاب المشارق بالقبول والاعتماد ولم يؤلف أحد بعهدده على نسقه، وبقي كتاب الفائق بعد كتاب الغريين هو المعتمد إلى أن ظهر كتاب آخر يجمع بين غربي القرآن والحديث وهو "المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث" لأبي موسى محمد بن أبي عيسى الأصفهاني المديني^(١) (ت ٥٨١هـ) الذي يقول فيه ابن الأثير في مقدمة النهاية^(٢) "كان إماماً في عصره حافظاً متقناً... قد صنف كتاباً جمع فيه ما فات

(١) هو شيخ المحدثين في زمانه الذي أحصى له محقق المجموع عشرين مصنفات في موضوعات متنوعة (١ / ٣٠ - ٣٢) وقال عنه ابن خلكان في ٧ / ٣٣٠ من وفيات الأعيان: "كان الحافظ أبو موسى المديني إمام عصره في الحفظ والمعرفة، وله في الحديث وعلومه تأليف، قرأ القراءات وتفقه على مذهب الشافعي، وقرأ النحو واللغة حتى مَهَرَ فيهما.. انظر في ترجمته كذلك سير أعلام النبلاء للذهبي، وطبقات الحفاظ للسيوطي وهدية العارفين للبغدادي وغيرها.

(٢) النهاية: ٩/١.

الهروي من غريب القرآن والحديث يناسبه قدراً وفائدة، وبماثله حجماً وسلك في وضعه مسلكه، وذهب فيه مذهبه، وترتيبه "فهو مكمل ومتمم لكتاب الهروي وقد رتبته ألفبائياً فبدأه بكتاب الهمزة الذي يفتحه بباب الهمزة والباء ثم الهمزة مع التاء وقد طبع منه بتحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوي (صدر عن دار المدني، بجدة، ط ١٤٠١هـ) - (١٩٨٦م) وأنقل ما ذكره أبو موسى الأصفهاني نفسه في مقدمة كتابه المجموع المغيث^(١) عن علاقته بكتاب الهروي بقوله: "أما بعد، فأني لما طالعت الغريبين للهروي.... استحسنته جداً.. غير أنني وجدت كلمات كثيرة شذت عن كتابه... فلم أزل أتبع ما فات، وأكتب ما غفل عنه إلى أن وقفت على كراسة غير كبيرة جمعها بعض علماء خراسان بعد الخمسين والأربعمائه لم يُسمَّ فيها مصنفها، قد شحنتها بما شذَّ من كتاب أبي عبيد بما أورده العزبي في كتاب غرائب القرآن.. وذكر في أثناها كلمات غير كثيرة من غرائب الألفاظ، فأضفت تلك الألفاظ إلى كتابي، وربما أشير إلى قوله في أثناء ما يمر من ذلك، لأنني لم استجز تضيق حقه وإهمال ذكره وسعيه وجمعه، وخرَّجت كتابي على ترتيب كتاب أبي عبيد سواء بسواء، وسلكت طريقه حذو النعل بالنعل".

ويرى ابن الأثير في النهاية^(٢) (١٠/١) أن أبا موسى لم يأخذ مما ذكره الهروي إلا القليل من الكلمات التي يصفها بقوله: "فإنه لم يذكر في كتابه مما ذكره الهروي إلا كلمة اضطر إلى ذكرها، إما لخلل فيها، أو زيادة في شرحها، أو وجه آخر في معناها..".

ويدي الأصفهاني^(٣) التواضع نفسه الذي يديه الهروي فيكرر المقولة نفسها التي ذكرها الهروي في مقدمة كتابه (ج ١/ص ٦) وهي قول كل واحد منهما إنه: "ليس لي في هذا التصنيف إلا الجمع والترتيب..". حيث فتح لكل حرف كتاباً ككتاب الجيم مثلاً الذي يفتح فيه أبواباً بعدد حروف الهجاء كباب الجيم مع الهمزة ويليهِ باب الجيم مع الباء ثم باب الجيم مع التاء وهكذا حتى ينتهي إلى باب الجيم مع الياء. ومع أن موضوع الكتاب في غربي القرآن والحديث إلا أن المطلع على الكتاب سيجد أنه يتوسَّع في غريب الحديث ويكثر منه ففي باب الجيم مع الباء مثلاً لم يذكر لفظاً قرآنياً إلا في المدخل (جبر) وبقيّة

(١) ٣٦/١.

(٢) النهاية: ١٠/١.

(٣) المجموع المغيث: ٦/١.

المدخل خلعت من غريب القرآن نحو جيب، وجبج، وجبل، وجبة، وجبا. وطريقته التي غلبت لبيان معاني الغريب أن يأتي بالمدخل جبر مثلاً فإذا ورد منه في القرآن الكريم لفظ فإنه يذكر الآية التي تحتوي على هذا اللفظ مباشرة ويفصل القول في معناه نحوه: (جبر) - قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾^(١) قال الحيات: أصل جبرئيل كجربيل ومعناه: عبد الله القادر، وليس بعربي الأصل، وقيل معناه: رجل الله، وبعد ذلك ينتقل إلى ألفاظ حديثة من هذا المدخل فيذكر الحديث أو بعضه منسوباً إلى الحدث الذي قيل فيه الحديث أو الشخص الذي قيل فيه الحديث أو الذي روى الحديث كقوله في مدخل جبر بعد الآية^(٢): " وفيه حديث خَسَفَ جيش البيداء: " فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل " وهذا من جبرت لا من أجبرت".

وفي مواضع أخرى ورد في حديث أسماء، وفي حديث زبنا، ومنه الحديث (فقط) ومنه في حديث البيعة، وفي صفة عبد الله بن مسعود^(٣).

أما ابن الجوزي^(٤) (ت ٥٩٧ هـ) فلم يقنعه ما جمعه السابقون عليه من غريب أحاديث الرسول ﷺ فصنف كتابه غريب الحديث " الذي تميز بضخامة مادته (وقد طبع في جزئين، بتحقيق الأستاذ عبد المعطي أمين قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م). وقد أشار في مقدمته^(٥) إلى دوافعه من جمع كتابه بقوله: ".... فافتقر ذلك الكلام (يقصد كلام الرسول وأصحابه والتابعين) إلى التفسير، وقد كان جمع شيئاً من غريب الحديث النضر بن شميل وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي... ثم جاء أبو عبيد (يقصد القاسم بن سلام)... ثم جمع أبو محمد بن قتيبة ما فات أبا عبيد... وقويت الظنون بأنه لم يبق شيء، وإذا أشياء قد فاتتهما ألفها أبو سليمان الخطابي، وفاته أشياء، ثم جمع أبو عبيد صاحب الغريين كتاباً أوهم أنه لم يبق شيء، ورأيت قد أحل

(١) ٩٧ - البقرة.

(٢) انظر: المجموع المغيث ١/٢٩٢-٢٩٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي.. القرشي، البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي وهو محدث مفسر فقيه أديب مؤرخ، فقد ذكر محقق كتابه صنف ونحو أربعة وثلاثين كتاباً في السير والتاريخ والأدب والمواظ والتفسير والحديث وغير ذلك.

(٥) غريب الحديث، لابن الجوزي: ١/ص ٤-٤.

بأشياء، وذكر أشياء ليست بغريبة فلا تحتاج إلى تفسير... فرأيت أن أبذل الوسع في جمع جميع غريب حديث الرسول ﷺ وأصحابه وتابعيهم، وأرجو أن لا يشذ عني مهم من ذلك، وأن يغني كتابي عن جميع ما صنف في ذلك " ولكن ابن الأثير له رأي آخر يخالف فيما ألفه ابن الجوزي حين يقول أقصد ابن الأثير^(١) إن ابن الجوزي " كان يغلب عليه الوعظ، وقد صنف كتاباً في غريب الحديث خاصة نهج فيه طريق الهروي في كتابه، وسلك فيه محجته مجرداً من غريب القرآن... ولقد تتبعت كتابه فرأيت مختصراً من كتاب الهروي، منتزعاً من أبوابه شيئاً فشيئاً ووضعاً فوضعاً، ولم يزد عليه إلا الكلمة الشاذة واللفظة الفاظة، ولقد قايست ما زاد في كتابه على ما أخذه من كتاب الهروي فلم يكن إلا جزءاً يسيراً من أجزاء كبيرة " مما يعني أن كتاب ابن الجوزي كان تكراراً لما ورد في كتاب الهروي وهو يقر باختصاره ويبين ترتيبه بأنه^(٢) " على حروف المعجم، وإنما آتي بالمقصود من شرح كلمة من غير إيغال في التصريف والاشتقاق؛ إذ كتب اللغة أولى بذكر ذلك، وإنما آثرت هذا الاختصار تلطفاً للحافظ".

وإذا كان لي من تعليق على حديث ابن الأثير فهو إن ابن الأثير لم يكن منصفاً ولا موضوعياً حين يرى كتاب ابن الجوزي " مختصراً من كتاب الهروي، منتزعاً من أبوابه.. ولم يزد عليه إلا الكلمة الشاذة " فإن موازنة بين الكتابين في باب الهمزة مع الباء من كتاب الهمزة (في غريب الهروي)، وهو عن ابن الجوزي باب الألف مع الباء من كتاب الألف وهذا هو أول خلاف بينهما وإن كان شكلياً. كذلك تخلى ابن الجوزي في كتابه عن غريب القرآن فلم يعالج مفردات قرآنية، وعليه فإنه لم يكن مقلداً للهروي. وأين الاختصار حين يورد ابن الجوزي تسعة عشر حديثاً للرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه كأبي الدرداء والنعمان بن بشر وأبي بكر وعمرو بن العاص في هذا الباب؟! غير الأقوال غير المنسوبة، والأقوال ومعانيها المنسوبة للغوين كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي ويحيى بن يعمر والليث وشمر والفراء في حين لم يذكر الهروي سوى ستة أحاديث أحدها لعمر بن العاص مع أربعة أقوال غير منسوبة لأحد فأين التبع للهروي شيئاً فشيئاً وضعاً فوضعاً؟! بل هي الزيادات التي ليست في كتب من سبقه ومن عاصره.

(١) النهاية: ١٠/١.

(٢) غريب الحديث: ٤/١.

وأين الشذوذ في نق له الحديث: " فلما رأوه ابذعروا " ؟! أي تفرقوا، وابدعروا لها من الغراب أكثر من غيرها (كأبرت وتآبط) أم لأن الهروي لم يذكرها أصبحت شاذة ؟!. وهناك فرق آخر لصالح الهروي وهو أن ابن الجوزي كان يتتبع الأحاديث ويوردها دون الإشارة إلى مداخل الكلمات الغريبة ومع ذلك كان في سرده مقيداً بالترتيب الألفبائي للمداخل خاصة في الحرفين الأول والثاني الأصليين نحو: أبد، أبر، أبط، ابذعر، أبل، أبلي، ابن، أبه، أبي، في حين كان الهروي أكثر تقييداً والتزاماً؛ إذ كان يذكر الحديث مسبوقاً بجذر المدخل بالشكل الآتي: " ء ب د " : في الحديث: " إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش " الأوابد: التي قد تأبدت، أي توحشت.. أما عند ابن الجوزي فيتم الدخول مباشرة مثل قوله في (كتاب الألف، باب الألف مع الباء) ^(١): " في الحديث: إن لهذه البهائم أوابد " يعني استيحاشاً ونفوراً عن الناس... " دون أن يذكر جذر المدخل، ويذكر أيضاً: " في الحديث: (سكة مأبورة)، أي مُلقحة.. " ^(٢) فلم يُسبق الحديث بالجذر (أبر). وما يمكن أن أخلص إليه هو أن ابن الجوزي قد بذل جهداً أوسع في جمع غريب حديث الرسول ﷺ، وما جمعه يفوق ما جاء في غريبي الهروي، ولم يكن أغلب حديثه وعظماً كما قرر ابن الأثير وإن كان هذا الأمر لا يعيب فأحاديثه ﷺ إرشادات ومواعظ وحكم وأحكاماً إلا إذا احتسب ابن الأثير زيادة الشرح والتوضيح وعظماً.

ويبلغ التصنيف في غريب الحديث أوجه على يد مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ^(٣) (ت ٦٠٦ هـ) في كتابه "النهاية في غريب الحديث والأثر" الذي كان المعول فيه على كتاب الغريبين، غريبي القرآن والحديث للهروي (ت ٤٠١ هـ) والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني المديني (ت ٥٨١ هـ)، وهو ما صرح به وعليه بقوله ^(٤): " ولما وقفت على كتابه (يقصد

(١) غريب الحديث: ٥/١.

(٢) السابق: ٦/١.

(٣) إنه الأخ الأكبر الثالث لعز الدين أبي الحسن علي (ت ٦٣٠ هـ) صاحب كتابي الكامل في التاريخ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ولضياء الدين أبي الفتح نصر الله (ت ٦٣٧ هـ) صاحب المثل السائر، وقد برز في عدة علوم في الفقه وأصوله والنحو والحديث واللغة والتفسير وقد ترك مصنفات عدة في هذه العلوم كجامع الأصول في أحاديث الرسول ومنال الطالب في شرح طوال الغرائب، والنهاية وغيرها.

(٤) النهاية: ١٠/١ - المقدمة.

الأصفهاني) الذي جعله مكملًا لكتاب الهروي ومتممًا وهو في غاية من الحسن والكمال، وكان الانسان إذا أراد كلمة غريبة يحتاج إلى أن يتطلبها في أحد الكتابين فإن وجدها فيه وإلا طلبها من الكتاب الآخر، وهما كتابان كبيران ذوا مجلدات عدة، ولا خفاء بما في ذلك من الكلفة، فرأيت أن أجمع ما فيهما من غريب الحديث مجرداً من غريب القرآن، وأضف كل كلمة إلى أختها في بابها تسهيلاً لكلفة الطالب " وقد رمز لما أخذه عن الهروي بحرف "هـ" ولما أخذه عن الأصفهاني بحرف "س" وترك إضافته دون ترميز ولكنه رغم إعجابه بالكتابين، وبعد إنعام النظر وإمعانه فيهما تبين له أنه قد فاتهما الكثير الوافر مما دعاه إلى استقصاء كتب اللغة والغريب والسنن والمجاميع، وأضاف إلى كتابه ما عثر عليه فيها مما فات الكتابين، وهو ما عبّر عنه بصراحة في استدراكه على من يظن أنه قد اعتمد اعتماداً كلياً عليهما ولم يكن له من دور سوى الجمع، بقوله " بعد أن عقد العزم على تصنيف الكتاب^(١): "حينئذ أعمنت النظر وأنعمت الفكر في اعتبار الكتابين والجمع بين ألفاظهما... فوجدتهما على ما أودع فيهما من غريب الحديث والأثر - قد فاتهما الكثير الوافر، فإني في بادئ الأمر وأول النظر مرّ بذكر كلمات غريبة من غرائب أحاديث الصحاح ومسلم كالبخاري ومسلم، وكفاك بهما شهرة في كتب الحديث - لم يرد شيئاً منها في هذين الكتابين؛ فحيث عرفت ذلك تنبّهت لاعتبار غير هذين الكتابين من كتب الحديث المدوّنة المصنّفة... فتتبعتهما واستقرت ما حضرنى منها، واستقصيت مطالعتها من المسانيد والمجاميع وكتب السنن والغرائب قديمها وحديثها، وكتب اللغة على اختلافها، فرأيت فيها من الكلمات الغريبة مما فات الكتابين كثيراً، فصَدَفْتُ حينئذ عن الاختصار على الجمع بين كتابيهما، وأضفت ما عثرت عليه ووجدته من الغرائب إلى ما في كتابيهما في حروفها مع نظائرها وأمثالها " فكأنه يريد أن يقول إنه أضاف إلى الكتابين ما جاء من ألفاظ غريبة في كتب صحيح الحديث للبخاري ومسلم وغريبه الأخرى كغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام والخطابي وابن قتيبة والفائق للزمخشري بكثرة وعن غيرها بقلّة، فأراد أن يميّز كتابه عن الكتابين بهذه الزيادات عليهما ويطبعه بطابعه المستقل بإضافته شيئاً من الشمول والاكتمال على الكتاب، ولكنه لم يستطع الاستغناء عن

(١) المرجع السابق: ١٠/١-١١.

منهجهما في الترتيب بل يؤكد بأنه^(١) سلك طريق الكتابين في الترتيب الذي اشتملا عليه، والوضع الذي حوياه من التقفية على حروف المعجم بالتزام الحرفين الأول والثاني من كل كلمة، واتباعهما بالحرف الثالث منها على سياق الحروف " ففتح لكل حرف باباً مع بقية الحروف الهجائية نحو باب الهمزة مع الباء وما يثلثهما كالباء نحو (أبب) وبعد الباء الدال نحو (أبد)، وبعدها الراء. وقد يضيف إلى الحرف الثالث حرفاً رابعاً كإضافته مع الراء الدال نحو أبرد، أو الزاي نحو أبرز مع أن أصل الأولى برد والثانية برز؛ أي الهمزة زائدة ومكانها باب الباء، ولم يفته أن ينبّه في مقدّمته على مثل هذا السلوك في الترتيب إذ يقول^(٢): " إلا أني وجدت في الحديث كلمات كثيرة في أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها وكان يلتبس موضعها الأصلي على طالبها... فرأيت أن أثبتها في باب الحرف الذي هو في أولها وإن لم يكن أصلياً، ونبتت عند ذكره على زيادته، لئلا يراها أحد في غير بابها فيظن أني وضعتها فيه للجهل بها... ". مما يعني أنه أضاف إلى منهج ترتيب كتابي الهروي والأصفهاني، أسلوباً جديداً هو أخذه بالكلمات على صورتها أي حسب أوائلها ووضعها في باب هذا الأول كوضعه نحو أبرد وأبرز وأبلم وأبهر في باب الهمزة لأن الهمزة في أوائلها وإن كانت زائدة. وهذه إضافة في منهجية الترتيب أضافها إلى زيادة المادة الحديثية التي فاتت غريبي الهروي والأصفهاني وفي رأيي أنه أراد بهاتين الإضافتين أن يثبت تميّزه واستقلاله وأن كتابه لم يكن صدى لكتائيهما.

وقد جرى الكتابين المذكورين في أنه اعتاد أن لا يذكر من الحديث إلا الجزء الذي يشتمل على الكلمة الغريبة، ونذر أن يذكر الحديث كاملاً خلافاً لابن قتيبة والحري والزمخشري. وخلا كتابه كذلك من التكرار فهو لا يعيد شرح ما سبق له شرحه وإنما يشير إلى موضعه، ولا يشرح الكلمة في غير موضعها بل يؤجل الحديث فيها إلى مكانها المناسب في باب حرفها الأول. ولم يقتصر شرحه على غريب حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وأصحابه والتابعين بل التفت إلى غريب الشعر، ومنه شرحه لفظة حذاء في قوله كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آله حذاء محمول

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

فقال في شرح حذباء^(١): "يريد النعش، وقيل أراد بالآلة الحالة، وبالحذباء الصعبة الشديدة" وقد لا يعثر على حديث في مادة ما فيلجأ إلى الاستشهاد بالشعر على اللفظ والغريب ففي حديثه عن مادة "رَزَن" لم يذكر فيها سوى بيت لحسان يمدح فيها السيدة عائشة في قوله:

حَصَان رَزَان مَائِزَنُ بَرِيَّةٌ وَتَصْبَحُ غُرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فضبط "رَزَان" وذكر لفظاً رديفاً لها وبيّن معناها بقوله: "يقال: امرأة رَزَان بالفتح، ورزينة ذات ثبات ووقار وسكون"^(٢).

هذا عدا استشهاده بالشعر للاستدلال على المعنى أو على جواز حكم نحوي، فعلى المعنى جاء في باب الهمزة مع التاء قوله في أتى:

"ومنه حديث عثمان" إنا رجلان أتاويان "أي غريبان. قال أبو عبيد: الحديث يروى بالضم، وكلام العرب بالفتح، يقال سيل أتى وأتاوي: جاءك ولم يجثك مطره ومنه قول المرأة التي هَجَّتْ الأنصار:

أَطْعَمْتُ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحَجٍ

أرادت بالأتاوي النبي ﷺ، فقتلها بعض الصحابة فأهدَرَ دَمَهَا.

أما الحكم النحوي ففي مادة "أَبَه" يذكر اللفظ أهر في الحديث^(٣): "ما زالت أكلةٌ خير تعادُّني فهذا أوانٌ قَطَعْتُ أهرى" وبعد أن يستوفي المعاني الواردة لكلمة أهر، ينتقل إلى لفظ أوان في الحديث ويتناول ما يراه فيها من غرابة نحوية بقوله: "ويجوز في "أوان" الضم والفتح: فالضم لأنه خبر المبتدأ، والفتح على البناء لإضافته إلى مبني كقوله: على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا وقلتُ أَلْمَا تَصْنَحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ"

أي إنه أراد أن يشبه بناء أوان على الفتح بحين التي سبقت بحرف جر ولكنها بنيت على الفتح لأنها مضافة إلى جملة مبدوءة بفعل مبني وهو عائب.

(١) السابق: ٣٤٩/١.

(٢) نفسه: ٢٢٠/٢.

(٣) نفسه: ١٨/١.

كذلك لم يفته أن يشرح الألفاظ الغريبة الواردة فيما يعرض له من آيات قرآنية ففي مادة أبب يشرح مادة أب^(١) من قوله تعالى ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾^(٢) التي سأل عن معناها عمر بن الخطاب فقال عندما قرأ الآية: فما الأب؟ فقال في شرحها: الأب: المرعى المتهمى للرعي والقطع، وقيل: الأب من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان...".

أما منهجه في تفسير اللفظ الغريب فأول ما يبدأ به شرح الحديث بالحديث أو بالأثر المنقول عن الصحابة، وقد يلجأ إلى شرح الحديث بالقرآن الكريم وقد يشرحه مما درج عليه شراح الغريب وشاع عندهم أكثر من غيره وهو شرح الحديث بأقوال اللغويين وآرائهم التي قد ينقلها دون ترجيح، وقد يقوي رأياً على آخر أو يرفض بعضها الآخر.

واعتنى كذلك ضمن منهجه في الشرح والتفسير بتحديد الحروف وضبطها بالحركات تجنباً لما قد يقع من تحريف أو تصحيف. والغالب على ضبطه هو وضع الحركات على الحروف في بنية الكلمة وهذا هو الأصل الشائع في الكتاب. وقد يتبع الوضع المباشر للحركات النص على الحركة باسمها الاصطلاحي كما أورد مع كلمة "الأبلة"^(٣) التي ضبطها ثم قال بعدها: وهي بضم الهمزة والباء وتشديد اللام، وغير ذلك لا يحصى أو يعد، وقد يلجأ إلى نوع آخر من الضبط وهو الضبط بالمثال أو الميزان كقوله^(٤): الأبل بوزن الأمير، وأبلى بوزن حُبلى.

وقد أبدى حرصاً على تحديد الحروف كقوله^(٥): "أي رجل يقوم بتأبير النخل وإصلاحها فهو اسم فاعل من أبر المخففة، ويروي بالثاء المثثة...". كذلك قوله في الصفحة نفسها: "ولست بمأبور في ديني... ويروي بالثاء المثثة، ولو روي: لست بمأبون - بالنون - أي متهم لكان وجهاً".

(١) نفسه: ١٣/١.

(٢) ٣١ - سورة عبس.

(٣) نفسه: ١٦/١.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه: ١٤/١.

ويقول^(١): " ومنه حديث أبي ذر: أنه دخل على عثمان بن عفان فما سبه ولا أبته " أي ما عابه. وقيل هو أنه بتقديم النون على الباء من التأنيب: اللوم والتوبيخ ".
وأما منهجه في الاحتجاج فكان تقليدياً كما عهدناه في كتب اللغة إذ كانت مصادره هي القرآن الكريم وبالطبع الحديث الشريف في القراءات واللهجات وبالشعر ولكن دون إسراف، مع التزامه بعصور الاحتجاج الجاهلية والمخضمة والاسلامية المتقدمة.

لقد وُصف كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر بأنه أحسن كتب الغريب وأجمعها وأشهرها، وأكثرها تداولاً. والحقيقة التي لا مرأى فيها أنه يستحق مثل هذا الوصف لما بذله فيه ابن الأثير من استقصاء في الجمع ومنهجية موفقة في الشرح والضبط والاحتجاج بما أوفى على الغاية بحيث يمكن الاستغناء به عن غيره. واعتباره مسك الختام إذ لم يخلفه كتاب يفوقه في إحاطة الجمع وحسن الوضع.

وقد ظهرت مؤلفات دارت في فلك كتاب النهاية تتيماً وتذليلاً واختصاراً أو تعويضاً عن فائت، يبدؤه ابن الأثير نفسه بكتاب سماه " منال الطالب في شرح طوال الغرائب " الذي مارس فيه منهجاً استدراكياً أو استكمالياً لما سار عليه في كتاب النهاية الذي اعتاد فيه أن لا يذكر من الحديث إلا الجزء الذي يشتمل عليه لفظ الغريب فأراد أن يصنف كتاباً يخالف فيه هذا المنهج يذكر فيه متن الحديث كاملاً وعمد إلى الأحاديث الطويلة والمتوسطة الطول، وقد بين رغبتة من تأليفه بقوله في المقدمة^(٢) "... أحببت أن أستأنف كتاباً مختصراً أجمع فيه من الأحاديث والآثار الطوال والأوساط ما أكثر ألفاظه غريب ولا يفهمه أكثر الناس، ويعز إدراك بعضه على كثير من الخواص، أوردتها كاملة متناسقة الألفاظ... وأتبع كل حديث وأثر شرح غريبه وتفسير معانيه".

وقسم أحاديث الكتاب إلى قسمين خصص أولهما لأحاديث الوفود على الرسول ﷺ وردوده عليهم وأحاديث مولده ومبعثه ودلائل نبوته عليه الصلاة والسلام. أما القسم الآخر فتتبع فيه أحاديث الصحابة كأحاديث أبي بكر الصديق وأحاديث عمر وعثمان وعلي

(١) نفسه: ١٧/١.

(٢) منال الطالب: ٣/١.

والعباس كل على حدة والتابعين. وحرص في نهاية كل حديث أن يذكر^(١) " من خرّجه من علماء الحديث والغريب ويعقب بما قيل في الحديث جرحاً وتعديلاً وقبولاً ورداً " ففي أول حديث من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام - حديث طهفة بن أبي زهير النهدي يبدأ الحديث^(٢): " قال عمران بن حصين وحذيفة بن اليمان صاحباً رسول الله ﷺ لما قدمت وفود العرب على النبي ﷺ قام طهفة بن أبي زهير النهدي، فقال: أتيناك يا رسول الله، من غوزي قمامة.... ولنا نعم همل أغفال... ليس لها علل ولا نهل. فقال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لهم في محضها ومخضها، ومذقها وفرقها.... لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك.....

وكتب معه كتاباً إلى بني نهد: من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد: السلام على من آمن بالله ورسوله، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة... ". ويعقب ابن الأثير بذكر رواه الحديث من الصحابة أو التابعين ومن أخرجه من علماء الحديث وغريبه إذ يقول^(٣): " هذا الحديث يروى عن الحسن البصري عن عمران بن حصين، وقال فيه طهفة بن أبي زهير، ويروى عن حية بن حوين عن حذيفة بن اليمان، وقال فيه طهفة بن أبي زهير، وهو أشهر الاسمين وأكثرهما جرياً على الألسن وفي كتب العلماء.

وقد أخرج هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.. والخطابي.. والزحخشري وأبو موسى الأصفهاني وغيرهم من العلماء، وهو حديث مشهور متداول بين رواة الحديث "

إلى أن ينتهي إلى بيان معاني غريب مفردات الحديث وهي الغاية المتوخاة وكما قال في المقدمة^(٤): " أحببت أن أستأنف كتاباً مختصراً (يقصد كتابه منال الطالب) أجمع فيه من الأحاديث والآثار الطوال والأوساط، ما أكثر ألفاظه غريب لا يفهمه أكثر الناس، ويعز إدراك بعضه على كثير من الخواص.. وأتبع كل حديث منها وأشرح غريبه وتفسير

(١) المرجع السابق: ٢٥/١ (مقدمة التحقيق).

(٢) السابق: ٨-٧/١.

(٣) نفسه ٩/١.

(٤) السابق نفسه: ص ٣.

معانيه" ويتابع في ص ٤ مؤكداً غايته الأولى من كتابه واختياراته من الأحاديث حين يقول: " ونحن اخترنا من الطوال ما كان أكثر ألفاظه غريباً، على أي حاله كان، بعيداً أو قريباً... فاقصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة في كتب الحديث والغريب، واستقصينا شرح ما اخترناه منها، وبسطنا القول في إيضاح ما شذ من وجوه التأويل، وجمعنا بين أقاويل من تقدّم من العلماء في شرحها وتفسيرها.. وأضفنا ما عسى أن يكون غُفِلَ عنه.. " ولا بد من الإشارة أن ابن الأثير كما يقول محقق الكتاب^(١) "يدور في فلك أربعة من العلماء: ابن قتيبة والخطابي والزحشرى وأبي موسى الأصبهاني، فقد أفاد من كتب هؤلاء العلماء في غريب الحديث إفادة بالغة، وعوّل عليهم كثيراً".

ويؤكد محقق الكتاب هذه الغاية من المؤلف في تتبع الأحاديث وشرح غريبها ويرى (المحقق) أن غاية المؤلف لغوية في الدرجة الأولى^(٢) فالجرح في متن الحديث لا يخل بقيمته اللغوية وإنما قد يغير ما قد ينبني عليه من حكم فقهي.

ويذكر صاحب كشف الظنون^(٣) أن صفى الدين محمود بن أبي بكر الأرموي (ت ٧٢٣هـ) قد صنف ما سماه التتمة.

واختصر النهاية السيوطي (ت ٩١١هـ) فيما سَمَّاه الدرّ النثر اقتصر فيه على تفسير الألفاظ وتغاضى عن سرد الأحاديث. كذلك اختصره عيسى الصفوي (ت ٩٥٣هـ) وعلي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ) (عن كتاب معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو للكتور السيد الشرقاوي)^(٤).

وعمل السيوطي تذيلاً على النهاية سَمَّاه "التذيل والتذنيب على نهاية الغريب" حققه الدكتور عبد الله الجبوري عن دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢هـ.

ويجرد موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ) من كتابه تفسير غريب الحديث كتاباً سماه "المجرّد للغة الحديث".

(١) نفسه: ص ٢٩.

(٢) نفسه ٢٥/١ (مقدمة التحقيق).

(٣) انظر: الكشف: ١٢٠٧/٢.

(٤) ص ١٥٢.

ويوضح هذا المؤلف سبب تجريده كتابه في مقدمته بقوله^(١): " فإني لما أنهيت كتابي في تفسير غريب الحديث، وكان كتاباً في غاية الإيجاز في مثله؛ لأني جمعت فيه بين استيعاب الغريب وسرد الحديث برمته وبين وجازة الشرح وحذف الأسانيد، وكنت وضعت على ترتيب حروف المعجم... رغب إلي بعض الإخوان أن أجرد كلماته اللغوية في كتاب مفرد على ترتيبها منتزعة من الأحاديث معفاة من البسط والنحو والتعليل، بل أذكر الكلمة اللغوية وتفسيرها بأقل ما لا بد منه.. ". وفعلاً استغنى في المجرد عن سرد الأحاديث واكتفى من كل حديث بغريبه فقط ورُتب غريب مفردات الأحاديث ترتيباً ألفبائياً حسب جذور المداخل، ففتح لكل حرف باباً أداره مع الحرف الثاني فقط حسب الترتيب الألفبائي أيضاً، ولم يأبه لترتيب الحرف الثالث؛ ففي باب حرف الألف بدأ بالجزر (أبد) وثني بـ(أبن) وثلاث بـ(أبل) وبعدها (أبر) تليها (أبط) ثم يعود إلى الجزر (أبل) فالجزر (أبن)، وبعده الجزر (أبض) إلى أن ينتهي إلى الجزر (أبه)، ثم يبدأ بالهمزة (الألف) مع التاء. ويشرح في كل باب الكلمات الغريبة الواردة في أحاديث الرسول ثم الصحابة فالتابعين، دون سرد الأحاديث وأسانيد طبعاً، واخترت أنموذجاً من حرف الراء ص ٥٤٧ وما بعدها:

رأى: رِيَمَتِ الناقةَ وَلَكِذَا تَرَأَمُهُ رِئماناً، فهي رؤوم ورائم، إذا عطفت عليه

رأب: رَأَبَ التَّأْي: أَصْلَحَ الْفَاسِدَ، والرُّؤْبَةُ: قِطْعَةُ يُرَأَّبُ بِهَا؛ أَي يُسَدُّ

رأى: موضع، لا تتراءى ناراهما: لا يتساكنان ولا يتقاربان، حتى يرى كل واحد نار صاحبه.

رأى: الرؤية، رِيٌّ من الجن، ورِيٌّ أي مسخ منهم...

(١) المجرد للغة الحديث: ص ٩٤.

ربع: يربعون حَجَرًا، وَيَرْتَبِعُونَهُ: يرفعونه...

ربد: المرَبْد: موضع تحبس فيه الإبل.....

ربع: المرباع: رُبْع الغنيمة، وَيَرْتَبِع: يأخذ المرباع....

رب: الرُّبابة: كنانة القِداح، والرَّبة: العَهْد، والرَّبة: بنت، والجمع رَبَبٌ.

ومن كتب غريب الحديث الفصل الخامس من مقدمة كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الذي فسّر فيه الألفاظ اللغوية الغريبة التي جاءت في أحاديث البخاري قامت دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت بنشره في كتاب بعنوان " تفسير غريب الحديث مرتباً على الحروف الهجائية " فُتِح لكل حرف فيه باباً وقسمه إلى فصول، كحرف الألف فصل الهمزة، ثم باب الهمزة فصل الباء، وقد روعي في هذا التقسيم الحروف الأصول الثلاثة الأولى بترتيبها الألفبائي ففي حرف الهمزة مع الثاء أي (فصل الثاء): أث: يذكر^(١):

قوله: " حتى يثخن في الأرض " أي يبالغ وقيل يغلب، والمراد المبالغة في قتل الكفار: يقال أثخنه المرض إذا أوهنه، وقول عائشة " حتى أثخنت عليها " أي بالغت في إفحامها.

وفي باب الباء مع الراء وما يثلثهما ويبدأ بفصل الباء والراء والهمزة (ص ٣١) فيقول: " (برأ القسمة) أي خلقها. وقوله " من شر ما خلق وبرأ " كرر تأكيداً والباري من أسماء الله، والبرية بهمز وبغير همز، فمن همز فمن الخلق ومن لم يهمز فمن البرى وهو التراب، أو من برت العود إذا قومته ".

وينتقل إلى باب الباء مع الراء والجيم (ص ٣١): (ولا تبرجن) قال معمر: أن تخرج محاسنها. " بروجاً " فسّره منازل للشمس والقمر ثم الباء مع الراء والحاء:

(١) تفسير غريب الحديث للعسقلاني: ص ٧.

(ص ٣١): " ما أنا بيارح " أي بذهب. وقد تكرر " غير مبرح " أي شديد. " البارحة ": أقرب ليلة مضت.

وفي باب الباء مع فصل الباء مع السين، ويبدأ بما يثلاثهما بالراء فيقول (ص ٣٣): " كان مبسوراً أي به ورم في أسفل مخرجه ".

وفي باب الباء فصل الباء مع الهاء وما يثلاثهما ويبدأ بالتاء: (ص ٣٩) يقول: " وقوم بُهُت: بضم أوله وثانيه، وقد تسكن، جمع بُهُوت بفتح أوله وضم ثانيه من البهتان وهو قول الباطل، ومنه بهتوني ".

(ص ٣٩) " يباهي: أي يفاخر، وأصلها البهاء، وهو الجمال والحسن ". من خلال النماذج المتقدمة يتضح أنه يغلب على منهجه في التفسير الإيجاز من غير تقصير، بحيث لم يحتج إلى الإسهاب في الشرح.

وأختتم الكلام عن كتب غريب الحديث بكتاب " مجمع بحار الأنوار في غرائب التزويل ولطائف الأخبار " للعلامة المحدث محمد ظاهر الصديقي الهندي (ت ٩٨٦ هـ) وهذا هو الكتاب الثالث الذي جمع بين غربي القرآن والحديث بعد الهروي (ت ٤٠١ هـ) في كتاب الغريبين وأبي موسى الأصبهاني (ت ٥٨٢ هـ) في كتابه المجموع المغيث. ويبدو أن الكتاب قد جمع ما تفرق في الكتب المؤلفة قبله معتمداً على كتاب النهاية لابن الأثير خاصة إذ يقول المؤلف^(١): " فجعلت كتاب النهاية لابن الأثير أصلاً له فلا أذكر منها إلا ما ليس له تعرض دونه، ولم أغادر منه إلا ما ندر أو شاع بينهم... " وكانت مصادره في التفسير والشرح نحو خمسة عشر مؤلفاً كما يقول في المقدمة^(٢). وله وجهة نظر خاصة في الغرابة التي يرى أنها تقع^(٣) " في خواص تركيب الحديث ولطائفها والوجوه الغريبة فيها، إن كانت في لفظ غريب أذكرها عند حرفها، وإن لم تكن في لفظ غريب أذكرها عند غريب فيه... ".

(١) مجمع بحار الأنوار: ج ١/٢.

(٢) المرجع السابق: ١/٤-٥.

(٣) السابق: ٤/١.

مراجع غريب الحديث:

- ١- تاريخ بغداد: لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ٢- التذليل والتذنيب مع نهاية الغريب للسيوطي، تحقيق عبد الله الجبوري، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- ٣- غريب الحديث لابن الجوزي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٤- غريب الحديث (المجلد الخامس) لأبي اسحق الحربي، تحقيق سليمان العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٥م.
- ٥- غريب الحديث: للخطابي أبي سليمان أحمد بن محمد، تحقيق عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة ١٤٠٢/١٩٨٢م.
- ٦- غريب الحديث لأبي عبد القاسم بن سلام، تحقيق حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ٧- غريب الحديث لابن قتيبة عبد الله بن سالم، تحقيق رضا السويسي، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٩م، وتحقيق عبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٧٧م.
- ٨- الفائق في غريب الحديث للزمخشري، تحقيق علي مجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٩- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (تفسير غريب الحديث، مرتباً على الحروف الهجائية) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ١٠- الفهرست لابن النديم تحقيق جوستاف فلوجل، مكتبة خياط، بيروت.
- ١١- كتاب الغريين، غريب القرآن والحديث للهروي، أحمد بن محمد، تحقيق محمود الطناجي، ط ١، ١٩٧٠م.

- ١٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ١٣- المجرد للغة الحديث: موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، تحقيق فاطمة حمزة الراضي، مطبعة الشعب، بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- ١٤- مجمع بحار الأنوار في غرائب التتريز ولطائف الأخبار: لمحمد طاهر الصديقي الهندي، مطبعة المعالي، ١٨٩٦م.
- ١٥- المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى محمد بن أبي عيسى الأصفهاني، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار المدني، ط ١، جدة، ١٤٠١هـ/١٩٨٦م.
- ١٦- مشارق الأنوار على صحاح الآثار في شرح غريب الأحاديث، الموطأ والبخاري ومسلم، القاضي عباض، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩١٣م.
- ١٧- المعجم العربي، نشأته وتطوره، حسين نصار، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ١٨- معجم غريب الحديث والأثر، سيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٤٢١/٢٠٠١م.
- ١٩- معجم المعاجم، أحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٢٠- منال الطالب في شرح طوال الغرائب، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٢١- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير، تحقيق محمود الطناحي نشر عيسى الباي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٢-١-٣ الرسائل اللغوية

عقب الجمع العشوائي الذي قام به علماء اللغة الذين ارتحلوا إلى البادية وشافهوا أعرابها وجمعوا ما استطاعوا من شعر العرب ونثرهم، فضلاً عما بين أيديهم من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف؛ وجد هؤلاء العلماء أنفسهم أمام ثروة لغوية ضخمة في شتى مناحي الحياة ومعارفها، والطبيعة وعناصرها، وإن هذه الثروة في حاجة إلى تنظيم وترتيب وتصنيف حتى يمكن الاستفادة منها، فوجه بعضهم أنظاره إلى مفردات القرآن والحديث الشريف، وأخذوا يضيفون الرسائل والكتب التي تشرح معاني هذه المفردات التي جمعوها تحت عناوات غريب القرآن وغريب الحديث مما تناولناه فيما سلف من هذا المبحث.

ورأى هؤلاء العلماء أيضاً أنه لا يمكن أن تكتمل خدمة النص التشريعي والنص الأدبي إلا بعد إعطاء الثروة الأخرى من مفردات اللغة حقها من التنسيق والترتيب والشرح والتوضيح " فكان أن انتهج بعضهم التنسيق على أساس اللفظ ككتاب الجيم للشيباني (ت ٢٠٦هـ)، وكتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، وانتهج آخرون التنسيق على أساس ظاهرة لغوية معينة ككتب الأضداد لقطرب (٢٠٦هـ) والأصمعي (٢١٦هـ) وابن السكيت (٢٤٠هـ)، أو على أساس ظاهرة صرفية كالمثلثات وأشهرها مثلثات قطرب...^(١)

وما يهمني هنا ما جرى ترتيبه من الألفاظ على أساس دلالي، بما انتهجه نفر من اللغويين بجمع ما تفرّق من ألفاظ اللغة التي تخص معنى أو موضوعاً معيناً في رسائل لغوية، فظهر ما يمكن أن نطلق عليه رسائل الحقول الدلالية التي تدور الألفاظ فيها حول معنى أو موضوع واحد، وكانت هذه هي المرحلة الأولى من التأليف المعجمي وهي معاجم المعاني المختصة بموضوعات معينة أستطيع أن أعد منها الكتب الخاصة بغريب القرآن التي بدأت مبكراً بسؤالات نافع بن الأزرق عن معاني غريب القرآن لابن عباس (ت ٦٨هـ)، وتلاها ما خصص لغريب الحديث من كتب بدأها في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل

(١) التأليف في خلق الانسان من خلال معاجم المعاني: د. وجيهه السطل: ص ٩٠.

الثالث عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي بكتاب صنفه على أبواب السنن والفقه وتبعه النضر ابن شميل (ت ٢٠٣هـ)، وهو أمر قد فرغنا منه.

وتتجه عناية اللغويين أيضاً إلى لم شتات المفردات اللغوية الخاصة بكل معنى على حدة وتصنف الرسائل أو الكتب الخاصة بخلق الانسان وخلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب الوحوش وكتاب الإبل والغنم، وكتاب الحشرات، وكتاب الشجر وكتاب الأنواء وكتاب الأيام والليالي وأسماء السحاب والرياح والأمطار وكتاب السلاح، وكتاب السرج واللجام وكتاب الصفات وكتب الغريب.

وعليه فإن اللغويين صنفوا رسائل وكتباً بعدد المعاني أو الموضوعات التي عرفها العرب. وإذا أخذنا نموذجاً واحداً من نوع هذا التأليف وليكن ما يتعلق بالانسان، لكثرة الكتب المصنفة في خلق الانسان، التي تهتم بحمله وولادته وأعضاء جسمه وصفاته إلى غير ذلك من عناصر حياته. فسأجعل حديثي عن الكتب التي تخصصت في هذا الموضوع؛ أو خصص جزء منها للحديث عن الإنسان.

وقائمة الكتب أو الرسائل التي تخصصت في الكتابة عن خلق الانسان، طويلة أذكرها حسب ورودها في الفهرست (طبعة فلوجل) نظراً لبدئه بالأعراب الفصحاء الذين لم ينقلوا عن غيرهم، وربما تكون رواياتهم مصدراً لغيرهم وهم:

١- أبو مالك عمرو بن كركرة ذكره صاحب الفهرست ص ٤٤ مع الأعراب الفصحاء وأخبر عنه بقوله " ويقال إن أبا مالك كان يحفظ اللغة كلها وله من الكتب كتاب خلق الإنسان".

٢- أبو زياد الكلبي واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر ذكر صاحب الفهرست ص ٤٤ أنه " أعرابي بدوي قدم بغداد أيام المهدي، وكان شاعراً من بني عامر ابن كلاب وله من الكتب كتاب النوادر، كتاب الفرق، كتاب الإبل، كتاب خلق الانسان".

٣- أبو محمّد الشيباني واسمه محمد بن سعد وقال عنه صاحب الفهرست ص ٤٦: "أعرابي أعلم الناس بالشعر واللغة... وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائتين، وله من الكتب كتاب النوادر، كتاب الخيل، كتاب خلق الانسان"، وذكره كشف الظنون ٧٢٣/١.

- ٤- الوحشي أبو ثروان العُكلي: قال صاحب الفهرست عنه ص ٤٦: "من بني عُكل أعرابي فصيح... وله من الكتب كتاب خلق الانسان..."
- ٥- الحرمازي، أبو علي الحسن بن علي وهو كما قال صاحب الفهرست ص ٤٨: "أعرابي بدوي راوية قدم البصرة ونزلها، منسوب إلى حرماز بن مالك بن عمرو بن تميم... وله من الكتب كتاب خلق الانسان..."
- ٦- النضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ) ينتهي نسبه إلى تميم وقال صاحب الفهرست عنه ص ٥٢: "له من الكتب كتاب الصفات، وهو كتاب كبير ويحتوي على عدة كتب... الجزء الأول يحتوي على خلق الأنسان..."
- ٧- قطرب وهو أبو علي محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ) وفي الفهرست ص ٥٣: "وله من الكتب المصنفة.. كتاب النوادر، كتاب المثلث، كتاب الصفات، كتاب خلق الفرس، كتاب خلق الانسان..."
- ٨- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) وفي الفهرست ص ٥٣-٥٤: "وله من الكتب مجاز القرآن... كتاب خلق الانسان..."، وذكره كشف الظنون ٧٢٢/١.
- ٩- أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس (ت ٢١٥هـ): وفي الفهرست ص ٥٤-٥٥: "وله من الكتب... كتاب المطر، كتاب خلق الانسان..." ذكره كشف الظنون ٧٢٣/١.
- ١٠- الأصمعي، عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك (ت ٢١٣هـ أو ٢١٦هـ أو ٢١٧هـ): في الفهرست ص ٥٥: "وله من الكتب كتاب خلق الانسان..." وقد نشره أوغست هفتر فيما عنونه بالكتر اللغوي، بيروت، ١٩٠٤م، وذكره كشف الظنون ٧٢٢/١.
- ١١- أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد (ت ٢٥٥هـ) وفي الفهرست ص ٥٨: "كان كثير الرواية عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، عالماً باللغة... كثير التأليف للكتب في اللغة.. وله من الكتب كتاب ما يلحق العامه... كتاب خلق الانسان..." وهو في كشف الظنون ٧٢٣/١.

- ١٢- الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن السري (ت ٣١١هـ) وفي
الفهرست ص ٦١: "وله من الكتب... كتاب خلق الإنسان..." وفي
الكشف ٧٢٣/١ وقد حققه الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٦٣م.
- ١٣- نصر بن يوسف، وفي الفهرست ص ٧٧: "صاحب الكسائي... وله من
الكتب كتاب الإبل، كتاب خلق الإنسان" وفي معجم الأدباء ٥٩٨/١ هو
أبو المنذر نصير بن يوسف صاحب الكسائي "وقد حددت الدكتور وجيهه
السطل وفاته في كتابها "التأليف في خلق الإنسان: ص ٢٥ بسنة ١٩٧هـ.
- ١٤- أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) وفي الفهرست ٦٨: "وله من الكتب...
كتاب خلق الإنسان" وهو في كشف الظنون ٧٢٢/١.
- ١٥- ثابت بن أبي ثابت: (من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري، كما أثبت
محقق كتابه عبد الستار أحمد فراج)، وأما صاحب معجم المعاجم فيذكر
أن وفاته (٢٥٠هـ) على التقريب، وهو في الفهرست ٦٩ "لغوي لقي
فصحاء الأعراب... وله من الكتب كتاب خلق الإنسان..." وقد حققه
عبد الستار أحمد فراج، وطبع بالكويت ١٩٦٥م ضمن سلسلة التراث العربي
برقم ١٤، وهو في الكشف ٧٢٢/١.
- ١٦- أبو عثمان سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠هـ أو ٢٣١هـ) وفي الفهرست
ص ٧١: "وله من الكتب كتاب خلق الإنسان..."
- ١٧- المفضل بن سلمة (ت ٢٩٠هـ أو ٣٠٠هـ) وفي الفهرست
ص ٧٣: "لغوي كوفي... وله من الكتب... كتاب خلق الإنسان..."
- ١٨- أبو محمد قاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت ٣٠٥هـ) وفي الفهرست
ص ٧٥: "كتاب خلق الإنسان..." وهو في كشف الظنون ٧٢٢/١.
- ١٩- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، وفي الفهرست
ص ٧٧: "وله من الكتب... ص ٧٨ كتاب خلق الإنسان..." وهو في
كشف الظنون ٧٢٢/١.
- ٢٠- أبو موسى سليمان بن محمد الحامض (ت ٣٠٥هـ) وفي الفهرست ص ٧٩:
"له من الكتب كتاب خلق الإنسان..." وهو في كشف الظنون ٧٢٣/١.

- ٢١- أبو بكر محمد بن عثمان الجعد (ت ٣٢٢هـ)، وفي الفهرست ص ٨٢: "وله من الكتب... كتاب خلق الانسان.. " وهو في كشف الظنون ١/٧٢٢.
- ٢٢- أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحق المعروف بالوشاء (ت ٣٢٥هـ) وفي الفهرست ص ٨٥: "الأعرابي الوشاء... وله من الكتب... كتاب خلق الانسان".
- ٢٣- محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، وقد حققه الدكتور خليل ابراهيم العطية ونشرته مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وقد أثبت المحقق كتباً في خلق الانسان (ص ٢٥-٢٧) غير الكتب التي ذكرناها نقلاً عن الفهرست: لداود بن الهيثم التنوخي الأنباري (ت ٣١٦هـ) نقلاً عن معجم الأدباء (٣/٣١٤) الذي يقول: "وله كتاب خلق الانسان في اللغة وللحسن بن عبد الله أبي علي الأصبهاني المعروف بلُغْتَرِه أو لُكْذَة وفي معجم الأدباء ٢/٥٠٣ " له من الكتب الصغار كتاب الصفات. كتاب خلق الانسان... " وللقالبي (ت ٣٥٦هـ) ولأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وقد نشر ثلاث مرات، في مجلة لغة العرب ١٩٣١م، وفي مجلة مجمع اللغة العربية / دمشق ١٩٦٧م، وفي مجلة المورد العراقية ١٩٨٣م، ولحمود النيسابوري الغزنوي، والزجاجي وعبد الله الخوافي (٤٨٠هـ) وللصغاني (٦٥٠هـ) ولأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن، نشره د. أحمد خان عن معهد المخطوطات العربية في الكويت، ١٩٨٦م وللسيوطي (٩١١هـ) له غاية الإحسان في خلق الإنسان، ولأبي البركات بدر الدين الغزني (٩٨٤هـ) وقد أفاد المحقق أنه قد فرغ من تحقيقه. وينقل أيضاً (ص ٢٧) عن محقق كتاب (خلق الإنسان) لأبي محمد الحسن بن أحمد، الدكتور أحمد خان قائمة ممن لم يرد ذكرهم آنفاً: لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (٢٣١هـ)، ولأبي علي ابن المغيرة الأثرم (ت ٢٣٢هـ) ولأبي القاسم عمر بن محمد بن الهيثم العصافي (في القرن الرابع الهجري)، ولأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ولأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي (٣٤٠هـ)، ولأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي (ت ٤٢١هـ)، ولأبي نصر محمد بن محمد النيسابوري (ت ٤٨٩هـ) ولأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين

(ت ٤٩٥هـ) والكتاب بين يدي الآن، محققاً من الدكتور كمال السامرائي، ونشرته دار الشؤون الثقافية العامة/ وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٩٠م. وهو كتاب في علم الطب البدني والنفساني وليس في اللغة، حيث فتح خمسين باباً في الكتاب في علل نوع الانسان وصفات أعضائه وأعطى قسطاً وافراً للحديث عن الباه في مضاره ومنافعه وعلاجه وأسبابه في الأبواب: ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤ وعن الحمل والرحم وتكون الجنين وخلقته، وأسباب استدارة الرأس، ومنافع الشعر والأسنان وفي تدبير الطفل حفظه قبل الولادة وبعدها وعلاج أمراضه وترتيبته، وفي أخلاق الانسان وعقله ومذاهب الفلاسفة في علم العقل والفرق بين الروح والنفس والتناسخ. وبقي من قائمة أصحاب كتب خلق الانسان: محمد بن عيسى الأزدي القرطبي (ت ٦٢٠هـ) وعلي بن يوسف بن حيدرة شرف الدين الرحي (ت ٦٦٧هـ).

لقد توزّع التصنيف الذي وصل إلينا في خلق الإنسان على منهجين، منهج غالب تُصنّف فيه المواد اللغوية أو المفردات تصنيفاً عضوياً حسب أجزاء الجسم، وقد ابتدأه فيما وصل إلينا الأصمعي (٢١٦هـ)، ثم ثابت بن أبي ثابت والزجاج (٣١٠هـ) وأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) في مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، والإسكافي (٤٢١هـ). والمنهج الثاني هو ترتيب المفردات الدالة على أعضاء الجسم ترتيباً هجائياً وقد انتهجه محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥هـ) في كتابه خلق الإنسان الذي حققه الدكتور خليل إبراهيم العطية، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. وأبو بركات الغزي العامري (ت ٩٨٤هـ) وقد ذكرته الدكتورة وجيهة أحمد السطل في كتابها التأليف في خلق الإنسان من خلال معاجم المعاني، من منشورات دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٦م، وقالت في ص ٩٣ عن الكتاب: "إنه مخطوط نفيس في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٣٣٣ لغة ... " وينقل عن مقدمته ص ٩٣: " فقد وقفت على مجموع لطيف، حسن التأليف والترتيب للإمام اللغوي الأديب أبي جعفر محمد بن حبيب في ذكر ما في بدن الانسان من الاعضاء والمنافع ... لكن فاته من ذلك شيء كثير فاحسبت أن أضيف له ما فاته جملة صالحة مع الإيضاح والتحرير " وبعبارة أخرى هو كتاب ابن حبيب، أضاف إليه واستكماله الغزي. وتقول الدكتورة وجيهة ص ٩٣: " لم نثر على

الرأس من استدارة وضخامة، كالأكبس والكبساء والكروؤس والمصفح والمؤوم والمعوم والصعل. ويفتح بعد ذلك باباً للشعر ونبتة وكثرته وأوصافه ويليه باب لقلة الشعر وتفرقه في الرأس، فباب الشيب ونعوته وشعث الرأس فباب ألوان الشعر حتى يصل إلى جزء آخر من الرأس وهو باب الأذن ونعوتها، ثم باب الوجه، ومن الوجه باب الحاجب، ثم باب العين فباب لغوور العين، فباب عيوبها فباب ما استحس في العين من الصفات ... ثم ما يستبح في العين من الصفات، ثم باب للدمع وما فيه، ثم ينتقل إلى باب الأنف وصفاته، ثم باب الفم وما فيه من الشفة والأسنان

ويتقدم في الحديث تنازلاً حتى يصل إلى باب القدم وأسماء الأصابع وصفاتها وأوصاف القدم ومعه المشي والعظام في جسد الانسان.

ثالثها: التنسيق الذي عبر عنه ثابت بقوله لخصناه وثبتناه وهو طريقته في تنظيم المادة اللغوية وشرحها ومعالجتها ومناقشتها واختلاف اللغويين حولها واستعانتها بأقوال اللغويين كالأصمعي، وهو أول المتأثر بهم وأكثر نقله عنه، وابن الأعرابي وأبي مالك وأبي زيد، أو تدويره الكلام بقوله تقول العرب أو يقال للأنف ... مثلاً، ويقال كذا، وإذا رأيت في ... فإذا أكثر، فإذا قل.. فإذا زاد ... فضلاً عن احتجامة الذي طغى عليه الاستشهاد بالشعر الذي لا تخلو صفحة منه منسوباً إلى قائله.

وإذا كان كتاب الأصمعي يعد رائداً في هذا النوع من التصنيف فإن ثابت بن أبي ثابت يعد شاملاً لمحاولته استقصاء للمادة اللغوية من السابقين عليه كالأصمعي وأبي مالك، وأبي زيد وابن الأعرابي والأثرم أبي الحسن، وأبي عبيد وأبي عمرو الشيباني والفراء وثعلب وأبي خيرة الأعرابي. بعكس الأصمعي مثلاً الذي تقول عنه الدكتور وجيه السطل (ص ٣٦): " لا نرى عنده نقولاً عن علماء آخرين، لأنه كان ممن أخذوا اللغة عن العرب في باديتهم، فلا موضع لذكر أسماء في كتابه سوى أسماء الشعراء والرجاز أو أسماء أصحاب الأخبار المستشهد بكلامهم ".

لا بد من التنويه باعتماد ثابت بن أبي ثابت في كتابه على كتاب خلق الإنسان للأصمعي فإن نظرة على فهرس الأعلام في كتاب ثابت سنجد أنه قد ورد النقل عنه في اثنتين وثمانين صفحة، وفي بعضها ذكر النقل عنه مرتين نحو الصفحات: ٢٤٣، ١٣، ١٣٩، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٨٠، ٣٢٧ وفي بعضها الآخر ثلاث مرات نحو: ٢٤٣، ٢٦٨ ويليه في كثرة النقول عنه أبو زيد الأنصاري الذي ورد ذكره في خمس وخمسين

صفحة، ثم أبو عبيد أو أبو عبيده في ثمان وأربعين صفحة ثم ابن الأعرابي في اثنتين وثلاثين صفحة، ثم أبو مالك في ست وعشرين صفحة ثم أبو عمرو الشيباني في خمس وعشرين صفحة. وعليه أستطيع القول أنه لم يترك باباً من أبواب الكتاب دون أن يضمه نقلاً عن الأصمعي وغيره من علماء اللغة ممن ذكرناهم آنفاً، ومن لم نذكرهم كالكسائي والفراء وخلف الأحمر، مما أثرى الكتاب وزاده خصوبة، وجعل الدكتوراه وجهه السطلي تقول ص ٦١: "ويمكن القول إن كتاب ثابت كان أحصى من كتاب الأصمعي في كثرة شواهد، واهتمامه بها شرحاً ومناقشة".

أغودج من كتاب خلق الانسان لثابت بن أبي ثابت

باب الأنف وصفاته

يبدأ بالألفاظ التي تخص الأنف نقلاً عن الأصمعي أولاً كعاداته: "قال الأصمعي: هو الأنف، ويجمع على «أنفأ» على القلة، فإذا كثرت فهي الأنوف، وهو المعطس والمرسن، والمخطم والخرطوم، وقد يستعمل هذان في غير الناس". ثم يضيف إلى ما نقله عن الأصمعي اسماً آخر، ويفسره بنقل عن أبي زيد، ويعود إلى الأسماء التي نقلها عن الأصمعي ويذكر جموعها ويستشهد لها بشعر لذي الرمة ويفسر مفرداته ويحرر معنى البيت كاملاً، وبرجز للعجاج، ويقول للعرب ويشرحه، ويختتم باسمين يستعملان عند إرادة الشتم: "ويقال للأنف: العرين، ويجمع عراين، قال أبو زيد: والعرين: ما صلب كالعظم. ويجمع المعطس معاطس والمرسن مراسن، والمخطم مخاطم، قال ذو الرمة:

وَأَلْمَحَنَ لَمَحَا عَنْ خُدُودِ أُسَيْلَةٍ رَوَاءَ خَلَا مَا إِنْ تَشَفَّ الْمَعَاطِسُ

قوله "أَلْمَحَنَ" أي أمكن أن ينظر إليهن وصرن في الموضع الذي يمكننا النظر إليهن. وقوله "رواء" أي ممتلئة. وتشف: ترق. يقول: وجوها رواء إلا أن معاطسها رقيقة قليلة اللحم. وقال العجاج في المرسن:

وَجِبْهَةٌ وَحَاجِبٌ مَزْجَجٌ

وَفَاحِمٌ وَمَرْسِنٌ مُسَرَّجٌ

وتقول العرب: أرغم الله معطس فلان، يريدون: أرغم الله أنفه.

ويقال للأنف: الفرطيسة، وذلك عند الشتم للرجل، وإنما الفرطيسة للختير، والفنطية أيضاً مثله "

وينتقل بعد ذلك إلى أجزاء الأنف كالقصبه والمارن والأرنبة (الروثة العرمة)... إلخ مع الاستشهاد بالشعر.

ثم ينتقل بعدها إلى صفات الأنف الخلقية والمعنوية كالرقيق والشمم والقنا والذلف والقعم والحنس والقطس والحنم والكزم والجدع والكشم والخرم والشرم. ونهي حديثه بما يصيب الأنف من أدواء، ولا يفوته أن يستشهد بما يتاح له من الشعر:

....

وفي الأنف القصبه. وهو عظم الأنف الصلب منه.

وفيه المارن. وهو اللين إذا عطفته تشي.

وفيه الأرنبة. وهو طرف الأنف. قال ذو الرمة:

تشي الخمار على عرين أرنبة شماء مرئها بالملك مرثوم

وهي الروثة أيضاً، قال أبو كبير الهذلي:

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة سوداء روثه أنفها كالمخصف

يعني عقاباً.

وهي العرمة. وجمعها العراتم. قال رؤبة:

* وطال عرك الراغمين العرمتا *

وقال أبو عبيد: قال أبو عمرو: العرمة: الدائرة التي تحت الأنف في وسط الشفة العليا.

وفيه المنخران. وبعض العرب يقول: منخر. وبعضهم يقول: منخر. وهما الخرقان اللذان يخرج منهما النفس، وهما السمان أيضاً. والجمع سُموم. وقال الكميت يصف فراخ القطا:

مثل الكلا غير أن أرؤسها تهتز فيها السُموم والشعب

"السُموم": ثقب الأذان والعيون والمناخر "والشعب": المناقير.

وفيه الخنابتان، وهما خرقا المنخرين من يمين وشمال من عرض الأنف. والواحدة خنابة، وهما وحشيّا الأنف.

وفيه الوثرة، وهو الحاجز الذي يحجز بين المنخرين.

وفيه الغرضوف، وبعض العرب يقول: الغضروف.

وهو بين الروثة والقصبَة رقيقٌ ليس بلحم ولا عظم. بين ذلك.
وفيه الخياشيمُ وهي الغراضيفُ التي في أقصى الأنف. بينه وبين الدماغ، الواحد
خيْشومٌ. ويقال: إن الخياشيمَ عُروقٌ في باطن الأنف. قال العجاج:
كَأَنَّ ذَا فِدْأَمَةٍ مُنْطَفَا
قَطَفَ مِنْ أَغْنَابِهِ مَا قَطَفَا
خَالَطَ مِنْ سَلَمَى خِيَاشِيمٍ وَفَا

أما المنهج الثاني في التأليف فنأخذ له أنموذجاً من كتاب خلق الانسان
لمحمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) المطبوع محققاً من الدكتور خليل ابراهيم العطية
والكتاب مرتب هجائياً والإشارة لهذا المنهج جاءت من راوي الكتاب، فقد خلا الكتاب
من مقدمة لمؤلفه يُبين فيها منهجه في تصنيف كتابه. يقول أبو عمر محمد بن العباس
الخرّاز... ص ٤٣: "أملى عليّ أبو جعفر محمد بن حبيب: تسمية ما في البدن مرتباً علي
حروف المعجم.. " ففتح لكل حرف باباً علي مقدار حروف الهجاء العربية المرتبة ألفبائياً،
ولكنه يسقط الياء دون إبداء الأسباب فتكون الأبواب المفتوحة سبعة وعشرين من الألف
أو الهمزة إلى الواو ولم يلتزم ابن حبيب إلا بالحرف الأول من المفردات فلم يراع في إيراد
الكلمات الحرفين الثاني والثالث مثلاً، كذلك لم يراع الترتيب العضوي بين المفردات ففي
باب الخاء مثلاً (ص ٤٧) يذكر باب الخاء المعجمة وتحتها:
" خُصْبَة، خَصْر، خَد، خَنْصَر، خَضْمَة: مستغلظ الذراع، خَثْلَة: ما بين السُرّة إلى
العانة "

فلم يلتزم إلا بالحرف الأول وهو الخاء دون التزام بالترتيب الألفبائي للحرف الثاني
فبدأ بالخاء مع الصاد في خصية، وكان الأولى أن يبدأ بخثله ويشني بـ: خَد، ثم خَصْر
فخصيه، وخضمة وينتهي بخنصر. هذا حسب الترتيب الألفبائي أما الترتيب العضوي فيبدو
أنه لم يخطر له على باب لأنه أهمله في كل الأبواب فكان الترتيب العضوي في هذا الكتاب
يقتضي أن يبدأ من العضو الأعلى وهو الخد وينتهي بالأسفل وهو الخصية.
ومما يلاحظ أنه كان يكتفي غالباً بذكر المفردات الدالة على الأعضاء دون بيان
المقصود منها، وقد يلتفت في الباب إلى بيان معنى مفردة أو اثنتين كما في هذا الباب فلم
يذكر إلا معنى الخضمة والخثلة، أي ذكر معنى كلمتين من ست وردت في باب الخاء
المعجمة.

كذلك لا بد من الإشارة إلى الاستشهاد بالشعر كما جرت العادة عند اللغويين، ولم يستغن محمد بن حبيب عن هذا الأمر وإن كان جاء على قلة في تسعة مواضع فقط وكان نصيب الأسد منها لباب الكاف الذي استشهد فيه بخمسة أبيات ويليهِ باب الباء بثلاثة شواهد ولباب الطاء شاهد.

ومن الجدير بالذكر أن طريقته في أداء المعنى كانت مختصرة إلى حد بعيد مع قلة إيرادهِ لذلك كما نوهنا؛ إذ كان يكفي بالكلمة مقرونة بمعناها فقط وقد يزيد الاستشهاد بالشعر دون الاستعانة بأقوال اللغويين وآرائهم كما حصل مثلاً في باب الكاف الذي سنقتبسه أنموذجاً من كتاب ابن حبيب، ولا يفوتني أن أنوه بطريقته في تحديد الحروف، فلم يكتف مثلاً بذكر أسماء الحروف بل يلحقه بما يحدده من حيث التنقيط وإهماله، خوف اللبس نحو: باب الباء الموحدة، وباب التاء المثناة من فوق، باب التاء المثناة، باب الحاء المعجمة، باب الدال المهملة، باب الذال المعجمة، باب السين المهملة، باب الشين المعجمة، باب الصاد المهملة، باب الضاد المعجمة، باب الطاء المهملة، باب الظاء المعجمة وباب العين المهملة، باب الغين المعجمة.

ومما يسجل له كذلك حرصه على ضبط الكلمات ومعانيها بما تحتاجه بنيتها من حركات بما يبعدها عن الخلط واللبس فعلى سبيل التمثيل أذكر:

بُنْصَر، بُرْجُمَة، الْبَخْصَة، تُنْدَوَة، حَجَبَة: رَأْس الْوَرِك، حَنْجَرَه، خِنْصَر، حُضْمَة، وَثَرَة، وَدَح.

أنموذج من كتاب خلق الانسان لمحمد بن حبيب البغدادي باب الكاف

كَرَدٌ: هو العُنُق، قال الشاعر:

وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خَدَّه ضَرْبناه تحت الأُنْثَيْنِ على الْكَرْدِ

كاهل. كَتَدٌ: وهو فوق الكاهل، يعني العُنُق، قال الشاعر:

هكذا.....

هكذا..... محبوك الكَتْدُ

كشع: ما بين الجنب والخاصرة، قال الشاعر:

طوى كشحاً خليلك والجناحاً لَين منك ثم غدا صُراحاً

كَفَل، قال النابغة:

إذا شاءَ منهم ناشئٌ دَرَبَخْتُ له لطيفةً طيَّ الكشحِ دانيةُ الكَفَلِ

كاذبة: وهي فُضْلة ما بين الألية والفخذ، قال جرير:

غليظةٌ جلد الكاذتين تحَفَشْتُ على مثل حرباء القِلادة مُصَمِّمِ

(الكُلّية). كَمَرَة. كَفٌّ

كُوع. كُرْسُوع، كَعُثب المرأة: يعنى فَرْجها. كَعُوب. كَبَد.

(الكتف)

ويمكننا كذلك أن نضرب مثلاً لهذا النوع من الرسائل اللغوية بكتاب النبات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ) الذي حققه ونشره عبد الله يوسف الغنيم - نشر مكتبة المثنى، ط ١، القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

ولم يكن هذا الكتاب هو الوحيد من نوعه في وقته فالجزء الخامس من كتاب الصفات للنضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ) يحتوي على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول، والأشجار كما جاء في الفهرست ص ٥٢ في أخبار النضر بن شميل، ولأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) كتاب الزرع (الفهرست ٥٤)، ولأبي زيد الأنصاري كتاب النبات والشجر (الفهرست ٥٥). وقد أثبت ابن النديم كتباً في النبات: لأبي علي هشام بن ابراهيم الأنصاري الكرنبائي من جيل الأصمعي، ولأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت ٢٣١هـ) ولأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣١هـ) ولأبي يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، ولأبي حاتم سهل السجستاني (ت ٢٥٠هـ) ولأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ) ولأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، ولأبي طالب المفضل بن سلمة (ت ٣٠٠هـ)، ولأبي موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ).

وقد ذكر الأصمعي في كتاب (النبات) مئتين وتسعاً وثمانين كلمة فُهِج في ترتيبها منهجاً تسلسلياً تصاعدياً راعى فيه مراحل نمو النبات، فبدأها بتزول المطر الذي يتلوّه ظهور النبات بقوله ص ٣: "يقال: رأيت أرض بني فلان غِبَّ المطر واعدة حسنة؛ إذا زَجِّي خيرها وتمام نبتها في أول ما يظهر النَّبْتُ".

ومنه قوله ص ٤: "ويقال: وَدَسَتْ الأرض وَدَساً... في أول ظهور نباتها...".

ومنه قوله ص ٤: " وبارضُ النبت أوّل ما يبدو منه، يقال: إذا ظهر نبات الأرض: "قد تبرّضت الأرض تبرّضاً".

ثم ينتقل إلى مرحلة نمو أخرى وهي ارتفاع في النبات فوق الأرض بقوله ص ٤: " فإذا ارتفع بارضُ البهْمى شيئاً فهو " الجميم "، فإذا ارتفعت وتمّت من قبل أن تتفقاً فهي الصُّمّعاء " ويستشهد لذلك بقول ذي الرّمة ص ٥:

رعى بارضُ البهْمى جيماً وبُشرةً وصمّعاء حتى آنفثه نضالها

وينتقل إلى المرحلة الثالثة في حياة النبات وهي إذا امتد النبات واتصل بعضه ببعضه الآخر وغطى الأرض فيقال ص ٦: " أرض بني فلان واصية، إذا اتصل بعض نباتها ببعض وإذا غطى النبات الأرض أو كاد يغطيها قيل: استحسنت الأرض، وهي أرض مُستَحْلِسَة " قال ذو الرّمة:

حتى كسا كلّ مرئادٍ له خصلٍ مُستَحْلِسٍ مثل غرضٍ الليل يحموم

ثم يعرض مرحلة أخرى من نمو النبات وهي زيادة طوله وارتفاع أكثر بقوله ص ٧: " ويقال للأرض إذا طال نباتها وارتفع: " قد جأرت الأرض، ومنه يقال: غيث جُور وذلك إذا طال نبتة وارتفع ".

ويتبع ذلك بالمرحلة التي يظهر فيها النبات بجماله وحسنه ويملاً مكانه بقوله ص ٧: " ويقال للأرض إذا حسن نباتها وامتألت: قد اكتهلت، واعتمت، والنبت حينئذ " مكتهل، ومعتم " .. قال الأعشى:

يضاحك الشمس منها كوكبٌ شرق مؤزّرٌ بعميم النبت مكتهل

والمرحلة التي تلي ذلك هي خروج زهر النبات ونوّاره وثمره ويشير إليها بقوله ص ٨: " فإذا خرج زهره قيل: " قد جنّ جنونا " وزهره وزهرته ونوّاره ونوّره وزهره سواء، ومن ذلك " نبت مُنور " ... وبُرعْم الزهر: أكمامه... ويقال عند ذلك: " قد أخذ النبت زُخاريّه وزُخرفه " ...

وقد يبلغ النبات غاية النمو فيتراجع وتبدأ مقدّمات اليُس والذبول في الظهور، الذي ينتهي إلى اليُس وتمام الجفاف فيعبر العرب عن هذه المرحلة بما ينقله الأصمعي عنهم: " ويقال: اقطرّ اقطاراً واقطاراً أيضاً، إذا هبّ لليُس ... فإذا يس قيل: قد تصوّح

تصوُّحاً وانصاح انصياحاً". فإذا تمَّ يُيسُّه قيل: قد هاجت الأرض تهيج هياجاً وهيَّجاً، فما
ثمَّ يُيسُّه.. قيل له: اليَّيس واليَّيس، وهو الجفيف والجفّ، والقفيف والقفّ، قال الراجز:
صافَتْ ييساً وقفيفاً فلهممه

وقال آخر:

كأنَّ صوت خلفها والخلف
سحيفُ أفعى في تيس قفّ

ويلحق النبات إلى مرحلة ما بعد اليَّيس وهو الهشاشة والتحطُّم وتساقط بعضه
على بعضه، فيقول ص ١٠: " فإذا تكسَّر اليَّيس فهو الحطام، وهو الهشيم قال ابن أحر:
تتبَّع أوضاحاً بسُرَّة يذبل وترعى هشيماً من مُليحة بالياً
فإذا كثر وركب بعضه بعضاً فهو الثَّن... ص ١١ فإذا اسود النبت من القدم فهو
الدَّئِن، قال الشاعر:

المال يغشى أناساً لا طباخ بهم كالسيل يغشى أصول الدَّئِن البالي

ولا يفوته أن يفصل بين حطام الشجر، ويس البقل فلكل نوع منهما له اسمه عند
العرب؛ إذ يقول ص ١٢: " وكل حطام شجر... فهو الدَّرين إذا قدَّم وكثر، قال أبو
عمرو بن كلثوم:

ونحن الحابسون بذى أراطى تَسَفُّ الجلَّة الحور الدَّرينا

"تَسَفُّ الدَّرين"، أي لا تجد مرعى غيره.

ويقال ليس من البقل ولحطامه: "السَّفير" لأنَّ الريح تَسْفِرُه.

ويلتفت الأصمعي إلى تفريق العرب بين الأرض التي يكثر شجرها والأرض التي
يكثر كلؤها فيقول ص ١٢: " واللُّمة من الأرض: الكثيرة الكلاً... والعُدة والعروة من
الأرض: البقعة الكثيرة الشجر... "

بعد ذلك يفتح الحديث في أبواب متفرقة تخص النبات: أنواعه وأسماءه ونوع أرضه
وأوطانه في الجزيرة. ويبدأ بما يسمى أحرار البقول أي ما أُكل غير مطبوخ، أو ما رَقَّ منها
ورطب وذكورها ما غلظ منها وخشن (اللسان مادة حر) وإلى المرارة هو (اللسان مادة
ذكر)؛ إذ يقول ص ١٣-١٤: " وأحرار البقل ما رَقَّ وما عتَّق... و " ذكوره " ما غلظ
منه: فمن الأحرار:

الذَّرَقُ، وَهُوَ الْحَنْدَقُوقُ، وَالنَّفْلُ، وَهُوَ قَتُّ الْبَرِّ، وَالْحَرْبُثُ، وَالْيَنَمَةُ، وَاحْلَمَةُ، وَالْقَفْعَاءُ، وَالتَّرْبَةُ، وَالْإِسْحَارُ. وَالْحَوَاءُ، وَالزُّبَادُ، وَالْحَسَارُ، وَالسَّعْدَانُ، وَالذَّعَالِيقُ، الْوَاحِدُ دُعْلُوقٌ بِالذَّالِ مُعْجَمَةٌ، وَالْحَوَذَانُ، وَالْحَرْفُ، وَالْخَطْمِيُّ، وَكَفُّ الْكَلْبِ. وَالْحَنُوءَةُ، وَالْخَنْزَابُ، (وَهُوَ جَزْرُ الْبَرِّ، قَالَ: جِزْرٌ، بِكسْرِ الْجِيمِ)، وَالرَّقْمَةُ، وَالْكَفْنَةُ، وَالصُّوَّافُ، وَالصُّوْفَانُ، وَالْحَنَاءُ، وَلَحْيَةُ التَّيْسِ، وَالْبَسْبَاسُ، وَالْإِسْلِيحُ، وَالْقُرَاصُ، وَالْجَرَجَارُ، وَالْقُلُقْلَانُ، وَالْمَلَاخُ، وَالْحَمْصِيصُ، (وَهِيَ بَقْلَةٌ حَامِضَةٌ تُجْعَلُ فِي الْأَقِطِ)، وَالْقَصِيصُ، وَالْأَجْرَدُ، وَهُمَا شَجَرَتَا الْكَمَاةِ اللَّتَانِ تُعْرَفُ بِهِمَا، وَيُقَالُ: "كَرَّضُوا الْأَقِطَ". إِذَا طُرِحَ فِيهِ الْكَرِيسُ، وَأُنْشِدَ:

جَنَيْتُهَا مِنْ مُجْتَنِي عَوِيصٍ

مِنْ مَنَّبِتِ الْأَجْرَدِ وَالْقَصِيصِ

وأسماء ذكور البقل ص ١٥-١٦:

أَسْمَاءُ ذُكُورِ الْبَقْلِ

(الْقُرَاصُ، وَ) الْخَزَامِيُّ، وَالْأَقْحُوَانُ، وَالْحَرْشَاءُ، وَالتَّهْقُ، وَالْكَحْلَاءُ، وَالْيَعْضِيدُ، وَالشُّقَارِيُّ، (لَهَا نَوْرٌ أَحْمَرٌ)، وَالْخَمْخَمَةُ، وَالسَّكْبُ، / وَالْعَرَاءُ، (وَلَهَا ثَمَرَةٌ بَيْضَاءُ)، وَالْمُرَارُ، وَالْهَرَّاسُ، وَالذَّنْبَانُ، وَالْقُطْبُ، (وَهُوَ مُرٌّ خَبِيثٌ مِنَ الْحَسَكِ)، وَالذَّفْرَةُ، وَالْكَرِشُ، وَالْجُبَازِيُّ، وَالْعِشْرَقُ، وَالْحُمَاضُ، وَالْكَرَّاثُ، وَالْعُنْصُلُ، وَالْجَعْدَةُ، وَالْحَزَاءُ، وَالْأَيْهَقَانُ، (وَهُوَ الْجَرَجِيرُ)، وَالْأَذْخَرُ، وَالسَّلْعُ، وَهِيَ بَقْلَةٌ خَبِيثَةٌ الطَّعْمِ، وَالتُّثُومُ، وَهُوَ شَهْدَانَجُ، الْبَرُّ، وَالْكَلْبَةُ، وَدَمُ الْغَزَالِ، وَالْعِيْهَنَةُ، وَالنَّزْعَةُ، شَجَرَةٌ، وَالْعُشْرُ (شَجَرٌ)، وَالْكَثَّةُ، وَبَقْلَةُ الضَّبِّ.

ويلتفت إلى تنوع آخر للنبات، إلى أنواع النبات الذي تأكله الإبل بعد أن ذكر أصنافه التي يأكلها الإنسان فيقول ص ١٧:

"وما كان سوى أحرار البقل وذكوره وعزجه... ما كان من " الخُلَّة " فهو حَمَضٌ إِلَّا الشَّجَرُ الْعِظَامُ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي الْخُلَّةِ وَلَا الْحَمِضُ وَلَا الْجَنْبَةُ. وَالْجَنْبَةُ: مَا كَانَ مِنَ الْعُشْبِ بَيْنَ الشَّجَرِ وَالنَّبْتِ.

والخُلَّة: من العُشب عند الإبل بمتزلة الخبز، والحمض بمتزلة اللحم، إنما هو بمتزلة الأذم مع الخُلَّة ".

ولا يفوته أن يذكر فائدة كل نوع من هذه النباتات ونوع طعمه بقوله بقوله ص ١٧-١٨:

"اندلقت بطونها وكثرت أوبارها، وأسرعت الانهشام، أي السقوط والخزع. والحمض: ما كان مالحاً، والخُلَّة: ما لم تكن فيه ملوحة..."

وبعد ذلك يفصل القول في أسماء الحمض أو ما يمكن أن يكون من نوع الحمض فيقول في باب سمّاه " ومن أسماء الحمض " ص ١٨:

" الرّمث، والقضّة، والرُّغل، والقلام، والهَرَم، كما في قول الحارث بن وُعلة:
وَوَطِئْتُهَا وَطِئاً عَلَى حَنْقٍ وَطِئَ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الْهَرَمِ

والضَّمَران، والنَّجِيل، والخَذراف، والعُنْظوان... والغولان، والشَّعران، والدَّعاع، والإخريط، والحُرْض وهو الأشنان، والعُذار، والحاذ، والطَّحماء.

كذلك التفت الأصمعي إلى تقسيم آخر للنبات حسب نوع الأرض التي ينبت فيها فمنه ما ينبت في السهل، ومنه ما ينبت في الرمل، أي في الأرض الرملية ومما ينبت في الحجاز، ومما ينبت في أرض نجد، وما كان من النبات شجر وما ليس بشجر نحو:

ومما ينبت في السهل

ومما ينبت بالسهل: العَرَفَجُ، والنَّقْدُ، وأحدُثُها نُقْدَةٌ، والنُّعْضُ / وأحدته نُعْضَةٌ، والأفاني، وأحدُته أفانيّة، والسُّطَّاحُ، الواحدة سَطَّاحَةٌ، والفنا، وهو عنب الثَّعلب، والحَلَمَةُ، (فإذا يَبَسَتْ فهي الحَمَاطَة)، والرَّاء. الواحدة رَاءَةٌ، وَلَهَا ثَمَرَةٌ بَيْضَاءُ، والشُّبُّوم، والعَرَارُ، وهو بهارُ البرِّ، وأنشد الأعشى:

بَيْضَاءُ ضَحْوَتِهَا، وَصَفْرَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارِ

قال أبو عمرو بن العلاء: أَحْسَنُ بَيْتِوصِفَ بِهِ الْأَلْوَانُ هَذَا الْبَيْتِ.

ومما يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ مِنَ الشَّجَرِ

الألاء، والواحدة ألاءة، قال عبد الله ابن غنم (الضبي):

فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسَّدْ كَأَنْ جَبِيْنَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

والعلقي شجرة تدوم خضرتها في القيظ، والفضا، والأرطى، والأمطى، ولهما صمغة يمسحها الأعراب كما يمسحون الكندر، والمصاص شجر تتخذ منه الحبال، والرُحلمى ينبت في الأرض الرخوة.

كذلك يفتح باين أو عنوانين لما كان نباتاً شجرياً وما ليس بشجر ويبدأ بـ:

مما ليس بشجر ص ٢٢/٢٣

ومما ليس بشجر

* "السَّبَطُ" و "النَّصِي" يَكُونُ فِي السَّهْلِ وَالرَّمْلِ، فَمَا دَامَ رَطْبًا فَهُوَ "نَصِي" ، فَإِذَا يَبَسَ فَهُوَ "حَلِي" ، فَإِذَا تَحَطَّمَ / وَاسْوَدَّ فَهُوَ "الدَّوِيلُ" ، قَالَ الرَّاعِي:

شَهْرِي رَبِيعٌ مَا تَذُوقُ لُبُوئِهِمْ إِلَّا حُمُوضًا وَخَمَّةً وَدَوِيلًا

وكل ما اسودَّ وتكسَّرَ فهو "دَوِيلٌ" ، والغضور، والغرز، وهما شبيهان بنبت الأسل، والنصي، (قال): وَالصَّلِيَّانِ، وَمِنْ كَلَامِهِمْ: "جَذَهُ جَذَّ الْعَيْرِ الصَّلِيَّانِ" ، وَالْعَسَالِيحُ نَبَاتٌ بَيْضٌ يَشْبَهُ بِالْعُرُوقِ تَنْبُتُ لَهُ خُوصَةٌ.

ومن الشجر ص ٢٣

* وَمِنْ الشَّجَرِ: الْعِضَاءُ الْوَاحِدَةُ عِضَّةٌ، (قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: مَنْ قَالَ عِضَّةً، قَالَ فِي الْجَمْعِ عِضَوَاتٌ، وَمَنْ قَالَ عِضَّةً، أَوْ عِضَّةً، قَالَ فِي الْجَمْعِ عِضَاءَةٌ). وَ "الْعِضَاءُ" ، كُلُّ شَجَرٍ لَهُ شَوْكٌ يَعْظُمُ.

* وَمَنْ أَعْرَفَ ذَلِكَ: الطَّلْحُ، وَالسَّلْمُ، وَالسَّيَالُ، وَالْعَرْفُطُ، وَالسَّمَرُ، وَالشَّبَّهَانُ، وَالْكَنْهَبِلُ. وَ "شَكِيرُ الْعِضَاءِ" ، مَا بَدَأَ وَرَقَهُ صِغَارًا / قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ شَجَرًا لَهُ شَوْكٌ.

ولا يفوته كذلك أن يذكر مواطن النبات والشجر في الحجاز ونجد فيبدأ بنبات الحجاز وشجره بقوله ص ١٩:

"ومما ينبت بالحجاز: الأرنبه، والقرملة، وهي شجرة ضعيفة كثيرة الماء تنفضح إذا وُطِئَتْ، قَالَ أَبُو النَجْمِ:

يَخْضُنْ مُلَاحًا كَذَاوِي الْقَرْمَلِ

قال أبو بكر يُخْبِطُنْ، ومثل من الأمثال: " ذليل عاذ بِقَرْمَلَة "، والوشيج نبت على وجه الأرض له أغصان وورق لطيف، والعيشوم: نبات إذا ييس كان له في الريح صوت. ومن شجر الحجاز ص ٢٣/٢٤: " ومن شجر الحجاز: " الفرقد، السدر، فما كان برياً فهو ضال، وما كان ينبت في الأهوار فهو عُبري. والعوسج شجرة المصع، الواحدة مصعة، واللصف الواحدة لصفة... "

ويثني بما ينبت بجبال نجد ص ٢٤ بقوله: "

" وما ينبت بجبال نجد: التغام، والحماض قال الجعدي:

فجرى من منخريه زبدٌ مثل ما أثمر حماض الجبل

له ثمر أبيض في حمرة، شبه به الزبد مع الدم. والشريان، والقصور، والنشام والبطم... والشريش، والقتاد، والحرشف نبت خشن له شوك، والعكرش ينبت في السباخ، والعلجان، الواحدة علجانة "

وثالث بما ينبت في جبال السراة ص ٣٦ بقوله:

"ومن نبات جبال السراة: الشث، والعرعر، والطباق، والضبر، وهو جوز الجبل، والمظ وهو رمان البر ينور ولا يعقد، والنحل يأكل المظ ويجود العسل عليه وأنشد:

يمانة أحيالهامظاً مابداً وآل قراس صوب أرمية كحل

والقان، والنشم، والشوخط، والنبع، والتألب، والحماط، والسراء والصوم، والحنبل، والرنف، والظيان وهو ياسمين البر، والشوع وهو شجر البان قال أحيحة بن الجلاح: معرورف أسبل جباره بحافيته الشوع والغريف.

والغريف شجر خوار مثل العرب، والخزم، والعثم وهو الزيتون البري قال الهدي:

تستن بالضرؤ من براقش أو تهلان أو ناضر من العثم

والرثم، والصاب شجر بالغور، إذا قطع منه شيء خرج لبن، فإذا أصاب العين حلبها.

ويتلافى الأصمعي في نهايات الكتاب ما فاتته ذكره من صفات النبات وأنواع الشجر في مختلف أجزاء الشجر وأحوال النبات وبزوغه بعد المطر وظهور الورق واخضراره وإدراك الثمر، ونزول المطر على البقل بعد ييسه، ووقوع ورق الشجر، ثم

يذكر أنواعاً من النبات والشجر فاته ذكرها من قبل كنبات الفصفصة، وشجر المخاطة والثَّغر والهدس والرَّند وهو الآس والعبهر وهو النرجس، والسُّمُسُق والعُجْرُومَ والستين والأراك والإسجل، والعشِرق والشرِق والشرى، شجر الحنظل والتنضَّب والمرخ والأثل والطرفاء والحلفاء والسَّاسَم والميس (شجر تؤخذ منه الرحال) والخِرْوَع والينبوت وهما بَعْمَان وكذلك الغاف، والعراد والعوف.

وبهذه النهايات استكمل ما فاته وأخلَّ به منهجه رغم منطقته، هذا المنهج الذي قام على تتبع مراحل نمو النبات ومواطنه وأنواعه ومنايته. وأكثر فيه من الاعتماد على الشعر العربي الفصيح، وندر الاستشهاد بغيره كالمثل، واعتمد فيه على حفظه ولم يأنف من ذكر من نقل عنهم من اللغويين وإن كان قليلاً كالأخفش (ص ٦، ص ٣٥) وعن أبي عبيدة (ص ٢٥) وأبي حاتم (ص ٢٥)، وكان يتعرض في بعض الأحيان لبيان التذكير والتأنيث كقوله ص ٢٢/٢٣: "ومن النبات الهردي ولا أدري أذكر أم يؤنث، والحفراً والهردي عند النحويين مؤنثان ويجوز تذكيرهما". ويتعرض أحياناً كذلك لذكر ما يقابل الكلمة العربية من اللغة الفارسية فكان الكلمة معربة كقوله ص ٣٠: "والفِصْفِصَة بالفارسية اسْبِسْت فَأَعْرَب" وفي ص ٣١ يقول: "ومن الشجر المخاطة وهي التي تسميها الفرس "السِبِسْتَان" لها ثمرة حلوة لزجة تؤكل".

ويحسن أن أحتتم هذا الفصل بما نقله الأصمعي عمَّن سمَّاه الثقة الذي حدَّث عن رؤية بن العجاج عن الفترة الزمنية التي يحتاجها النبات لكمال نموه منذ بذره إلى استوائه ص ٣٠:

* وحدَّثني الثَّقَّة عن رؤية / بن العجاج، أنه قال: "شَهْرٌ ثَرَى، وشَهْرٌ تَرَى، وشَهْرٌ مَرَعَى، وشَهْرٌ اسْتَوَى" وذلك أن المطرَ إذا وَقَعَ الأوَّلُ منه فَبَلَ الأرض، تَمَكُّثُ الأرضُ ثَرَاباً رَطْباً. فهو قوله "ثَرَى"، ثم تُنْبِتُ فَيَرَى النَّبَاتُ، فهو قوله "تَرَى"، ثم يكون في الشهر الثالث "مَرَعَى" ثم يَسْتَوِي النَّبْتُ في الرَّبِيع ويَكْتَهِل.

مراجع الرسائل اللغوية:

- ١- التأليف في خلق الإنسان من خلال معاجم المعاني: د. وجيهه السطل، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٦م.
- ٢- كتاب خلق الإنسان، لأبي الحسن سعيد بن هبه الله بن الحسين، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٠م.
- ٣- كتاب خلق الإنسان: للأصمعي، نشره أوغست هفز، بيروت، ١٩٠٤م.
- ٤- كتاب خلق الإنسان - ثابت بن أبي ثابت، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي - وزارة الإرشاد، الكويت ١٩٦٥م.
- ٥- كتاب خلق الإنسان: للزجاج، تحقيق د. ابراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٦٣م.
- ٦- كتاب خلق الإنسان: محمد بن حبيب البغدادي، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم العطية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ٧- كتاب النبات، للأصمعي، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، مكتبة المثنى، ط١، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ٩- معجم الأدباء: لأبي عبد الله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢-٢ - معاجم المعاني العامة

٢-٢-١ معاجم غريب اللغة

لقد نشط علماء اللغة ورواها في جمع شعر العرب ونثرهم من الخطب ونوادر الأقوال وسائر الأمثال، ولقي غريب اللغة عنايتهم فسعوا إلى تدوينه وتقييده بوصفه من متون اللغة التي يمكن أن تكون عرضة للهجران والاندثار لندرة الاستعمال وقلة الدوران على الألسنة. ورغم أن هناك كتباً قد ألفت فيه وعنونت به؛ فإن مفهوم اصطلاح الغريب اكتنفه الإبهام وظلت الأسباب التي تقف وراء غرابة الألفاظ بحاجة إلى بحث وبيان؛ ويواجهنا في بداية البحث اقتران لفظ غريب بلفظ واضح في مقدمة كتاب العين (ص ٦٧) بقول الخليل: "بدأنا مؤلفنا هذا بالعين (يقصد معجم العين الذي بدأ ترتيبه بحرف العين) وتضم إليه ما بعده (يقصد من حروف العربية التي تلي حرف العين في الترتيب) حتى نستوعب كلام العرب: الواضح والغريب" وأول ما يتبادر إلى الذهن من هذا الاقتران بين اللفظين هو أن الغريب يعني غير الواضح المعنى. وهذا الاقتران أيضاً فيه إشارة واضحة الدلالة إلى أن صاحب العين أراد أن يجمع فيه بين واضح اللغة وغريبها، في الوقت الذي كان فيه الميل واضحاً إلى التأليف في غريب اللغة الذي يمثل قاعدته العملية غريب القرآن والحديث.

ويبدو لأول نظرة أن إبهام دلالة اللفظ وغموض معناه، هو الوجه الأول للغرابة، وهو ما أدركه بوضوح سليمان الخطابي في كتابه "غريب الحديث" (ص ٧٠-٧١)، وقد وضع عليه يده بقوله: "الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم كالغريب من الناس..." ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين، أحدهما: أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر "وهو ما يؤكد التهانوي في كشف اصطلاحات الفنون (١٠٨٦/٣) بقوله عن اللفظ الغريب: "إنها كلمة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال، سواء كانت بالنظر إلى الأعراب الخالص أو بالنظر إليها..." ويَطْرُق الخطابي سبباً آخر للغرابة وهو العامل اللهجي بقوله: "والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها" وهو اختلاف بين القبائل في استعمال الألفاظ؛ فقد يحدث أن يستعمل لفظ في قبيلة أو في بيئة عربية ولا يستعمل في البيئات الأخرى، أو يستعمل هذا اللفظ

بمعنى مختلف في البيئات الأخرى؛ فيكون ذلك مدعاة للغرابة بين تلك البيئات كاستعمال السدفة عند تميم بمعنى الظلمة ومعنى الضوء في لغة قيس، وقد يحدث أن يستعمل لفظ للدلالة على أداة في قبيلة، وتستعمل قبيلة أخرى لفظاً آخر كالمدية والسكين.

وقد تكون الغرابة ناشئة عن استعمال اللفظ في معنى غير معناه المشهور له مما يحتاج إلى تأويل أو تخريج لإدراك معناه من خلال سياقه، وأكثر ما نلاحظ ذلك في التراكيب البلاغية.

وقد يكون سبب الغرابة وندرة الاستعمال صوتية، أي ثقل اللفظ على السمع لتنافر حروفه عند النطق به نحو: " تكأكأتم، مستشزرات، هعجع، مثنعجر، قفاخري، ومُعَلْنَكْ، ومُعَلْنَكْس، الجرنفش، والضكضاك، الحزقرة، الدمكمك، العفنجج.

وقد تكون سبب الغرابة مخالفة اللفظ للقياس في بنائه الصرفي، وغير مطرد في السماع كجمع سَلْجَم (السهم الطويل العريض) جمعاً مؤنثاً سالماً والقياس أن يجمع جمع تكسير في قول العجاج:

ذِي نَبْعَةٍ صَفراء ذَاتِ أَزْمَلٍ وَسَلْجَمَاتٍ ذَرَبَاتِ الْأُضْلُ

وقد تكون الغرابة ناشئة عن استعمال لفظ غير عربي الأصل كاستعمال لفظ مُخْشَلْب عند المتنبّي وأحمد شوقي، وهو لفظ نبطي يعني الخرز الذي يشبه الدر من حجارة البحر في قول الأول:

بِياضِ وَجْهِ يَرِيكَ الشَّمْسِ حَالِكَةً وَدَرٍّ لَفْظِ يَرِيكَ الدَّرِّ مُخْشَلْباً

وقول الثاني:

خَلَوْا الْأَكَالِيلَ لِلتَّارِيخِ إِنَّ لَهُ يَدًا تَوْفَهَا دَرًّا وَمُخْشَلْبًا

ويبدو لي أن عدم عناية كتب غريب اللغة ببيان المقصود بلفظ الغريب هو الذي ساهم في عدم التحديد الدقيق لمفهوم مصطلح الغريب وفي البحث عن أسبابه، فكتاب الغريب المصنف وهو أقدم كتب غريب اللغة، قد وصلنا دون مقدّمة، فإذا قلبنا صفحاته سنجد أنه قد جمع مادته اللغوية من الرسائل والكتب السابقة المأخوذة عن الكسائي والأصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني وأبي زيد الأنصاري وغيرهم، وإنه يجمع بين الغريب والمألوف، وإذا كان الغريب مما يحتاج إلى شرح وتفسير فإنني أستطيع أن أزعم إن التسمية روعي فيها تغليب الغريب على المألوف فألفاظ الغريب هي الطاغية فاستحق هذا

العنوان فلم أجد باباً من أبواب الكتاب يخلو من هذه الملاحظة ففي باب حَلَقَ الرأس مثلاً وهو من سطر واحد ٢٥١/١: "الفراء: صَلَمَعَ الرجل رأسه وَجَلَمَحَهُ وَجَلَمَطَهُ وَرَلَّقَهُ كله إذا حلق رأسه"، ولاشك في غرابة صلمع وجممح وجملط ورلق، ولكن هناك في الكتاب نفسه وفي مواضع عدة كلمات مألوفة لدى كل الناطقين باللغة كنقله عن الأصمعي (١ / ٣١ من كتاب الغريب المصنف): «البُلُوم مجرى الطعام في الحلق..» وفي ١ / ٣٣: «الإطراق استرخاء في العين» وفي ١ / ٣٤: «الأموي: المطرق المسترخي العين». وفي ١ / ٦٣: «قال الأصمعي: يقال: رجل أدْعَج أي أسود»، وفي ١ / ٦٧: «قال أبو زيد:.. نَشَجَ يَنْشِجُ وهما الصوت معه توجُّع، وقال الأصمعي وأبو عمرو: الهَمْس صوت خفي، والضوضاء أصوات الناس» والأمثلة كثيرة من هذا النحو.. ولكن الغالب على الكتاب، الذي من أجله جُمِعَ هو ما جاء فيه من غريب الألفاظ وغير المؤلف منها للناطقين باللغة كافة.

وقد تحدثت في المبحث السابق عن المعاجم الموضوعية الخاصة أو ما سميتها معاجم المعاني المختصة وهي معاجم غريب القرآن والحديث والرسائل اللغوية، وأنتقل في هذا المبحث إلى الحديث عن المعاجم الموضوعية العامة أو ما سميتها معاجم المعاني العامة وهي الكتب الجامعة لغريب اللغة، واشتملت على ما جاء في الرسائل ككتاب الصفات للنضر بن شميل الذي تحدّث عنه ابن النديم في الفهرست (ص ٥٢) بقوله: "وهو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب، ويعدّ ابن النديم ثبّت هذا الكتاب المكون من خمسة أجزاء هي: الجزء الأول: يحتوي على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء. الجزء الثاني: ويحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب والأمتعة. الجزء الثالث: للإبل فقط.

الجزء الرابع: يحتوي على الغنم والطير، الشمس، القمر، الليل، النهار، الألبان، الكماء، الآبار الحياض، الأرشية، الدلاء، صفة الخمر. الجزء الخامس: يحتوي على الزرع، الكرم، العنب، أسماء البقول، الرياح، السحاب، الأمطار، السلاح، خلق الفرس.

وهو منهج متطور في تصنيف متن اللغة جمعت فيه الرسائل ذات الموضوعات الخاصة، في كتاب واحد، وقد نسج على هذا المنوال كتاب الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) الذي لم يقتصر على موضوع واحد كالخيل أو النبات أو

الإبل بل طرق موضوعات عدة ومتنوعة في أبوابها. ونظراً لتقدمه زمنياً وغلزارة مادته وتنوعها والجهد المصروف في تبويب ما جمعه رواية عن اللغويين والأعراب. سألدا الحديث عنه، وسأثنى بالحديث عن المعاجم التي عنونت بالغريب بعده.

٢-٢-١-١ الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) /

(٨٣٨م):

وأبو عبيد^(١) هو صاحب الباع الطويل في فن الغريب فقد سبق له - كما ذكرنا - التصنيف في غريب القرآن وغريب الحديث، ولكن الغريب المصنّف معجم موضوعي جامع وشامل في غريب اللغة مما احتواه من المادة اللغوية التي انتهت إليه من سابقه فهو كما يقول محقق الكتاب^(٢) « فقد جمع هذا المعجم في طياته كتباً مختلفة من الرسائل المفردة والكتب المتخصصة السابقة فنجد فيه أصداء لكتب العرب والحيوان والخيال وخلق الإنسان والنوادر والأبنية والمصادر والصيغ والأفعال والأمثلة والأسماء... المأخوذة عن الأصمعي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى والفراء وأبي عمرو الشيباني وابن الكلبي وغيرهم من اللغويين والأعراب ».

ويبدو أن هذا المعجم قد جمع فيه أبو عبيد ما استطاع أن يرويه ويسمعه من الذين أخذ عنهم من فصحاء الأعراب، ومن علماء اللغة في البصرة والكوفة وبغداد، وهي المدن التي ارتحل إليها والتقى بعلمائها من أمثال الكسائي والشيباني والفراء وابن الأعرابي من الكوفة، واليزيدي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي زيد الأنصاري والأصمعي من البصرة عدا المدة التي قضاها في تأليفه؛ إذ تراوحت بين ثلاثين سنة في رواية معجم الأدباء (٢٥٥/١٥) وأربعين سنة في رواية الإنباه (١٦/٣)، فقد ذكر صاحب الإنباه (٢٢/٣) قول أبي عبيد عن سماعه ومدة تصنيفه قوله: « مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة أتلقف ما فيه من أفواه الرجال، فإذا سمعت حرفاً له موقع في الكتاب بتّ تلك الليلة فرحاً » وهي مدة أكثر من كافية لتجعل من هذا المصنّف جامعاً لأكبر قدر من ألفاظ اللغة

(١) انظر ترجمته: في الفهرست لابن النديم ١١٢، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٩٩، الانباه للقفطي

١٢/٣، تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٥٤/١٥، بغية الوعاة للسيوطي ٢٥٣/٢

وغيرها.

(٢) الغريب المصنّف: ١/ص ٦.

ومروياتها وشروحها، مما سمعه أبو عبيد مشافهة، أو جمعه من الرسائل اللغوية، فضلاً عما حازه أبو عبيد من ثقة في علمه ودينه وحسن روايته وصحة نقله؛ بسبب إحاطته بعلوم القرآن والحديث، والعربية وغريبها. ويشهد لكل ذلك غزارة المادة اللغوية وتنوعها في هذا الكتاب؛ مما جعل من الغريب المصنف مصدراً أساسياً للمعاجم عامة، والموضوعية على وجه الخصوص؛ فقد كان من الكتب التي اعتمد عليها ابن فارس في بناء معجم المقاييس، كتاباً أبي عبيد في غريب الحديث، ومصنّف الغريب، إذ يقول في مقدّمة المقاييس^(١): «وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية، تحوي أكثر اللغة فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المسمّى كتاب العين... ومنها كتاباً أبي عبيد في غريب الحديث، ومصنّف الغريب حدّثنا بهما علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد». كذلك الثعالبي في كتابه فقه اللغة عدّ أبا عبيد من الأئمة الذين انتجع منهم كتابه. وأما ابن سيده الأندلسي، الذي شرح الغريب وقام بحفظه عن ظهر قلب؛ بحيث تكاد لا تخلو صفحة من المخصص من ذكر أبي عبيد. عدا أن هذا الكتاب لأهميته اللغوية فهو أول كتاب من نوعه قد أثار حركة علمية حوله نقداً، إنكاراً عليه ورداً أو موافقة له أو تنبيهاً على ما فيه من أغلاط، واختصاراً وشرحاً له ولشواهدة نحو: ما أنكره العرب على أبي عبيد فيما رواه أو صنّفه لأبي عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ)، والتنبيه على ما في الغريب المصنف من الأغلاط لعلي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥ هـ)، وشرح أبيات الغريب المصنّف ليوسف بن الحسن السيراقي (ت ٣٨٥ هـ)، وعلل الغريب المصنّف لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، واختصار الغريب المصنّف لأبي القاسم الوزير المغربي (ت ٤١٨ هـ)، والرد على الغريب المصنّف لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ)، وشرح الغريب المصنّف لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، وشرح آخر بالعنوان نفسه لأبي العباس المرسّي (ت ٤٦٠ هـ).

منهج أبي عبيد في الغريب المصنّف:

إذا كان أبو عبيد في كتابه غريب الحديث كان القدوة في هذا الشأن، كما يذكر ابن الأثير؛ لأنه تلافي ما اتسمت به المؤلفات السابقة عليه من نقص في المفردات وقصور في المنهج؛ بما استطاع أن يجمعه من غريب الأحاديث، ويعيد ترتيبها وتنظيمها حسب

(١) ج ١/ ص ٣-٤.

الأسانيد؛ فإنه في الغريب المصنف كما نُقل عن ابن درستويه في تاريخ بغداد ومعجم الأدباء؛ قد احتذى فيه كتاب النضر بن شميل المازني الذي يسميه الصفات، وبدأ فيه بخلق الإنسان... فذكر صنفاً بعد صنف حتى أتى على جميع ذلك، وهو أكبر من كتاب أبي عبيد وأجود» وقد أثبت في صفحة سابقة ما ذكره ابن الندم من ثبوت كتاب النضر الذي بلغت أبوابه ثلاثة وثلاثين، الذي اعتبره دليلاً على صحة مقولة ابن درستويه، هذا عدا الكتب التي تناولته بالنقد، إنكاراً عليه، وتنبيهاً على ما فيه من أغلاط ورداً عليه. ومع ذلك فإن ما ذكرناه لا ينفي عنه إجادة الجمع والتنظيم والترتيب، وإحسان الوضع الذي امتاز به هذا المعجم فهو قد قسمه إلى موضوعات وجعل لكل موضوع كتاباً وقسم كل كتاب إلى أبواب، فقد ضم المعجم ستة وعشرين كتاباً اشتملت على ٩١٧ باباً^(١) (سبعة عشر وتسعمائة باب).

وهذه الفروق في عدد الأبواب تعني زيادة في الألفاظ وإضافة إلى المعاني واختلافاً في أصناف الأبواب أي الحقول الدلالية، وهي ميزة هذا الكتاب التي أعطته أهمية في الكم والنوع جعلت له هذه الريادة في تصنيف الحقول الدلالية، خاصة إن كتاب الصفات للنضر قد اندثرت مادته ومضمونه وبقي منه نظامه الذي أثبتته ابن الندم؛ الذي لا أشك في أن أبا عبيد قد انتفع به، فنسج على منواله، ولم يكن هذا النسج نقلاً حرفياً ولا تقليداً أعمى بل هو تطوير منهجي أكثر تفصيلاً وإحاطة وتنظيماً للأبواب؛ فلو اطلعنا على كتاب الإبل في الجزء الثالث من الكتاب المحقق على يدي الدكتور محمد مختار العبيدي بالنشر المشترك بين المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون - قرطاج بتونس، ودار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، ط ١، ١٩٩٦ م فسنجد أنه قد فتح خمسة وأربعين باباً تتبّع فيها الإبل وتفاصيل أحوالها نحو: حملها، ولادتها، مراحل سنّها حتى كبرها، ألبانها، ضروعها، حلبها، عظمها وطولها، أسميتها، شدتها وقوتها رعيها وربضها وعلفها، وردها ص ٨٤٥، ٨٨٩، سمّنها، سيّرها في اللين والرفق وضروب سيرها، قلة لحمها، نعوت ذكورها، ألوانها، كثرتها، أسماء أعضائها، نعوت صغارها، أصوات الإبل، الشدّادات على

(١) الإحصاءات في هذا المبحث مأخوذة عن رسالة دكتوراه بعنوان التصنيف الحقلّي لألفاظ الغريب المصنّف أجزيت في جامعة صنعاء.

الإبل، خُطِمَ الإبل وأزمتها، عقلها وشدها، أمراضها وأدواؤها، وأمراضها مما تأكله، أمراض صغار الإبل، عيوب ذكور الإبل، عيوب إناثها، جربها، ومعالجة جربها، أبوالها. وقد يظن القارئ لأول وهلة أن هناك تكراراً في بعض الأبواب وعند المقارنة يتبين أن التكرار في العنوانات فقط، وقد نلاحظ ذلك في باب ورْد الإبل فقد فتح باين أولهما ٨٤٩ / ٣ بعنوان باب نعوت الإبل في وردها. والآخر ٨٨٨ / ٣ بعنوان ورْد الإبل. والباب الأول يتحدث عن الأوصاف التي تطلقها العرب على الإبل عند سَوْقها وتوجهها إلى مكان ورود الماء كقوله: « الأصمعي: الميراد التي تُعَجِّل الورود، والطارق المتوجهة إلى الماء والسُّلوف التي تكون في أوائل الإبل إذا وردت الماء، والدَّفون التي تكون وسطهن، والملحاح التي لا تكاد تبرح الحوض، والمقامح التي تأتي أن تشرب الماء من داء يكون بها... الرقوب التي لا تدنو إلى الحوض مع الزحام وذلك لكرمها.. ».

أما الباب الآخر فيأتي على الأوصاف التي تطلقها العرب على الوقت الذي تقضيه الإبل دون شرب والمدة التي تأخذها بين كل وردين: فعن الأصمعي أنه « قال: أقصر الورْد وأسرع: الرِّقَّة وهو أن تشرب الإبل كل يوم، فإذا وردت يوماً نصف النهار ويوماً غُدوة فتلك العُرِجاء، فإذا وردت يوماً وتركت يوماً فذلك الغبُّ، يقال إبل بني فلان غابَّة وغَوَابٌ، فإذا ارتفع عن الغبِّ فالظَّمءُ الرَّبْع... الأصمعي: فإن أرسلها على الماء كلما شاءت ورَدت بلا وقت فذلك الإرباغ، يقال تركتُ إبلهم هَملاً مُربِغاً فإذا ردها على الماء في اليوم مراراً فذلك الرغرة، فإذا أوردتها، فالسَّقِيَّةُ الأولى التَّهْل، والثانية العَلَل، فإن أَدْخَلَ بعيراً قد شرب بين بعيرين لم يشربا فذلك الدِّخال، وإنما يُفعل هذا في قلة الماء، فإذا رويت ثم تركت فهي عواطن، واسم الموضع العَطْن، وقد عطنت عُطُوناً، قال كعب بن زهير:

بِأَلَا دِخَالاً وَأَنْ لَا عُطُوناً

ويروى بأن لا دِخالاً. قال: ذَكَرَ الحمير فقال ليس هي مثل الإبل التي ترد معاً. قال عمرو بن لجأ:

تَمَشِي إِلَى رِوَاءِ عِاطِنَاتِهَا
تَجْبُسُ الْعَانِسِ فِي رِبْطَاتِهَا

التجْبُسُ التبختر. فإن أوردتها حتى تشرب قليلاً ثم يجيء بها حتى ترعى ساعة ثم يردها إلى الماء فذلك التَّنْدِيَّةُ في الإبل والخيول أيضاً... ».

والفرق واضح بين المعاني المطروقة في النصين فكل نص منهما يتناول جانباً من حياة الإبل ففي الباب الأول يتناول ذوات الإبل وهي متوجهة إلى مكان الماء أما الباب الثاني فانصب الحديث فيه على زمن الورود.

وأبدأ بأول ما يلفت النظر في هذا الكتاب، أقصد حجمه ومادته اللغوية بما فيها من ثراء وغرابة، وعلى حسن الرواية وصحة النقل فيه، وصاحبه أبو عبيد لم يكن أعرابياً، ولم يذهب إلى البادية؛ فقد ولد في هراة من أصل رومي وتلقى مبادئ علمية فيها، ولما بلغ العشرين ارتحل إلى الكوفة والبصرة وبغداد، وفي هذه المواطن، كما يقول محقق الكتاب (١٤/١): «سمع عن فقهاءها ونحاتها ومفسريها الشيء الكثير، فكان حريصاً على ملازمة الحديث والرواة كلفاً بعلوم القرآن والقراءات... هم الوحيد الجمع والتحصيل» حتى صار رأساً في اللغة وحافظاً للحديث وإماماً في القراءات؛ مما أتاح له أن يصبح معلماً ومؤدباً وقاضياً ومن أصحاب التصانيف من مثل غريب الحديث والأجناس من كلام العرب، وفضائل القرآن والأمثال، والأموال وغيرها، عدا الغريب المصنف الذي جمع مادته في أربعين سنة، أو ثلاثين على الأقل فقد جاء على لسان أبي عبيد ما نصه في معجم الأدباء ١٦ / ٢٥٥: «عملت كتاب غريب المصنف في ثلاثين سنة، وجئت به إلى عبد الله بن طاهر». ويبدو أن أكثر اعتماده كان على السماع المباشر من اللغويين طيلة هذه المدة؛ بدليل إن العلماء واللغويين الذين ترددت أسماءهم على صفحات الغريب المصنف قد عاصرهم أبو عبيد فقد ولد على حد ما قاله محقق الكتاب سنة ١٥٤ هـ، وارتحل إلى الكوفة والبصرة وبغداد سنة ١٧٩ هـ، وكانت وفاته باتفاق سنة ٢٢٤ هـ، وفي هذه الفترة عاش هؤلاء العلماء الذين أخبر عنهم، وكان أميناً في نسبة ما نقله عنهم كالكسائي (ت سنة ١٨٩ هـ)، والأموي (ت ١٩١ هـ)، والأحمر (ت ١٩٤ هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)، وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ)، والفراء (ت ٢٠٧ هـ)، وأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ)، والأصمعي (ت ٢١٦ هـ)، وهو من كان أكثر الأخذ منه، في نحو ٥٣٩ موضعاً (في الفهرس)، وابن الأعرابي (٢٣١ هـ)، وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)، فالإفادة منهم سماعاً هو الأمر الغالب زماناً ومكاناً، ولا ينفي ذلك قطعاً عدم إفادته من الرسائل اللغوية التي سبقته، وإن لم ينص على ذلك؛ فلا يعقل أن يكون أبو عبيد قد أغفل هذه الرسائل التي بلغت المئات ولم يطلع عليها ولم ينقل عنها. وغريب اللغة تصعب الإحاطة به ومصادره غير محدودة بعكس غريب القرآن والحديث فلا يمكن أن

يركن إلى مصدر واحد هو مشافهة اللغويين، ولا بد أن يكون لديه مصادر مكتوبة، وإن لم يشر إليها؛ فإن كثيراً من العبارات في الكتاب لم يسندها لأحد يمكن أن تكون من محفوظاته من الكتب خاصة حين يقول: وغيره، بعد إسناد قول ما لأحد العلماء ويسترسل في الحديث مثال ذلك: قوله في ١ / ٧٤ - ٧٥: «والمُعَمَّمُ المُسَوَّدُ، الفراء: رجل يَقْنُ حاذق بالأشياء ويقال: الفصاحة من تقنه، أي من سوسه. غيره: القنع الكرم والعطاء والجود. والعنِّدُّ الكرم الجواد الواسع الخلق الغزير العطية، والسَّمِيدُ الكرم. الجحجح نحوه. الشماثل واحدها شمأل، وقد تكون من الأخلاق ومن خلقة الجسد، والبارع الذي فاق أصحابه في السوء، وقد برُع براعة. والخارجي الذي يخرج وَيَشْرُفُ بنفسه من غير أن يكون له قديم. والأريحي الذي يرتاح للندى، والكوثر: السيد وقال لبيد:

وصاحبٌ مَلُحوبٌ فُجِعْنَا بيومِهِ وعند الرِّدَّاعِ بيتٌ آخر كوثر

والكوثر الخير الكثير ومنه قول الله جل ذكره: ﴿إِنَّا آَعَطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ﴾^(١)، والحلال السيد والهمَّام والعمَّامُ مثله، والمدرَّة رأس القوم والمتكلم عنهم. الفراء: الكوثر الرجل الكثير العطاء والخير.. «إن إسناد كل هذا الكلام لمن دعاه غيره دون أن يسميه، يُدخل في الرُّوع أن له أكثر من مصدر وغير طريق فهو أقرب إلى ما يطلق عليه اليوم الفبركة الصحفية، إن جاز التعبير؛ لأنه حديث مرسل غفل عن الإسناد فغير الفراء قد يكون الأصمعي أو أبا زيد أو الكسائي أو الأموي أو غيرهم، وقد يكون منقولاً عن كتاب، وقد يكون مأخوذاً مشافهة على كل حال لا ضير على الغريب المصنّف أن يكون صاحبه قد جمع مادته معتمداً على السماع والمشافهة ثم على الكتب المؤلفة قبله، خاصة الرسائل اللغوية، فمادة هذا الكتاب تثبت الجهد الضخم الذي بذله أبو عبيد وحفظ لنا هذه الثروة اللغوية التي أصبحت زاداً للمعاجم ولكل المشتغلين باللغة بعده إلى يومنا؛ بغض النظر عن طريق الجمع فهي وسيلة يهون أمرها بعد تحقيق الغاية وعليه فلا داعي لما قام حول هذه المسألة من خلاف بين الدارسين.

وإن موازنة خاطفة بين الغريب المصنّف وبين تهذيب الألفاظ لمعاصر أبي عبيد (ت ٢٢٤ هـ) وهو ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ستكشف أن المنهجين في الجمع متشابهان، فكلاهما يفتح أبواب كتابه بالنقل عن غيره غالباً فيبدأ بقوله مثلاً قال الأصمعي

(١) ١ - الكوثر.

أو قال أبو زيد وقال الأموي وهكذا إلى أن ينتهي من الباب وقد يبدأ أحدهما بقول من عنده وليس نقلاً ويندر هذا الأمر عند أبي عبيد في الغريب نحو قوله في باب نعوت القصار من الناس ١ / ٦٠: « الحَبْتَر من الرجال القصير ومثله الخَنْتَل والحَيْدَر والبُهْثَر والبُحْثَر والجَائِب والمَجْدَر والمُزَكَّم والتَّنْبَال والضُّكْضَاك والمتَّازِف والحَنْزَقَرَة والدَّنَامَة. قال الفراء: هو دَبَّة ودَنَابَة للقصير... ». ومثل هذا التصرُّف أكثر بروزاً عند ابن السكيت. كل ذلك يؤهم أن مصادر الكتاين سماعية أكثر من اعتمادهما على الكتب، ويبدو أن محقق كتاب الغريب المصنف له وجهة نظر مخالفة يميل فيها إلى أن مصادرهما هي الرسائل اللغوية حين يقول في تقديمه إنه أراد أن يبرز ما لهذا المعجم من قيمة وثائقية أساسية؛ لأنه قد جمع في طياته كتباً مختلفة من الرسائل المفردة والكتب المتخصصة السابقة فنجد فيه أصداء الكتب العرب والحيوان والخيال وخلق الإنسان... المأخوذة من الأصمعي وأبي عبيدة والفراء... وغيرهم » وإنني أعود إلى ما قلته آنفاً من أن الرجل قد جمع الغريب المصنف عن طريقي المشافهة والأخذ عن الكتب، وهو رأي وسطي مقبول عقلاً ونقلاً.

ومما يجدر ذكره أن أبا عبيد قد قسم الغريب المصنف إلى كتب يفرعها إلى أبواب نحو كتاب اللباس، وهو الكتاب الثاني، يليه كتاب الأطعمة، فكتاب الأمراض، فكتاب الخمر الذي وقع فيه خلط؛ فلم يذكر فيه سوى بايين لهما علاقة بالخمر كباب أسماء الخمر، وباب الأشربة من غير الخمر، وبقية الأبواب لا علاقة لها بالخمر كأبواب الجوع والنوم والذهب والفضة وشدة البصر وغشيان النفس، وغيرها من الأبواب مما قد يدخل في كتب أخرى. وبعد كتاب الخمر يذكر كتاب الدور والأرضين وكتاب الخيل، وآخر باب فيه باب أسماء الجيوش مما لا علاقة به بالخيال. يلي ذلك كتب السلاح والطيور والهوام والأواني من القدور وغيرها وفي الباب الأخير؛ خلط أيضاً فنجد فيه باب الشمس والقمر، وباب الحَدَث وباب الغائط، وباب نواذر الأسماء وباب نواذر الأفعال، وهي أبواب متفرقة يمكن أن تنضم إلى كتب متفرقة. وينتهي الجزء الأول بكتاب الجبال ويدخل تحته باب الأرض المستوية وباب الأرض الواسعة المطمئنة وباب الأرض ذات الشجر وباب نعوت الأرض اللينة وباب الأرض التي تصيبها الأمطار والندى، والأولى بهذه الأبواب أن تُضم إلى كتاب الأرضين. أما الكتاب الأول والأولى أن يكون عنوانه كتاب خلق الإنسان وليس باب تسمية خلق الإنسان ونعوته وهو كتاب طويل (٥٧ باباً) يطوف فيه على جميع أعضاء البدن البشري مما قد يدخل في الأبواب التفصيلية التالية لهذا الباب.

وانتقل الآن إلى الحديث عن منهج أبي عبيد في ضبط ألفاظ معجمه؛ إذ إن ضبط بنية المفردة في النص المعجمي ركيزة أساسية في بناء المعجم؛ وإن الناظر إلى نصوص الكتاب سيجد أن المنهج الطاعني أو الغالب في الضبط الصوتي هو وضع الحركات على حروف الألفاظ؛ أي يغلب على هيئة الكلمة ضبطها بالضمة والفتحة والكسرة والسكون حسب الحاجة والضرورة، وشواهد هذا النوع من الضبط في كل كلمة وكل سطر وكل صفحة من الكتاب.

أما النوع الثاني من الضبط فهو ضبط الكلمة يتلوه النص على نوع الحركة كقوله في ١ / ٣٣: «هكذا رواه الأموي: الحَنْدُورَةُ بكسر الحاء وفتح الدال، وحكاها ابن السكيت: الحَنْدُورَةُ بضم الحاء والدال..»، وهو أقل بكثير من النهج السابق.

وقد يلجأ إلى الضبط بالمثل أو الوزن نحو قوله في ١ / ٧٦: «الآنح على مثال فاعل الذي سُئل الشي تَنْحَنَح... وقال أبو عبيدة: المشْءاء على مثال مفعال الذي يبغضه الناس». وفي ١ / ١٨٨: «الأصمعي: تَمَأى الجلد تَمَمِيّاً تَفْعَلُ تَفْعُلاً إذا اتسع مثال تَمَعَى تَمَعِيّاً» وقد يلجأ إلى التمييز بين الحروف بالنص عليها كما في قوله في ١ / ٢٠٩: «الفراء: الكَرِيس والكَرِيز بالزاي الأَقَط» وفي ١ / ٢٢٤: «إن شرب دون الرِّي قال: نَضَحْتُ الرِّي بالضاد، فإن شرب حتى يروى قال: نَضَحْتُ بالصاد الرِّي نَصْحاً..». وفي ١ / ٢٦٥: «البيت المُعَرَّس (بالسين) الذي قد عُمِلَ له عَرَس وهو الحائط..».

وفي ١ / ٢١٦: «قال: سمعت الأصمعي يقول: أوّل اللبن اللَّبأ مهموز مقصور». أما وسائل تأدية المعنى في الغريب المصنّف فقد تنوّعت وأولها بيان المعنى بالمرادف أو بالترجمة كقوله في ١ / ٢٩: «سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: الأنوف المخاطم»، وفي ١ / ٣١: «قال أبو عبيد: العُسْلُج العُصْن. أبو زيد: الحَنْجُور الحُلُقُوم» وفي ١ / ٣٤: «والبَرَشْمَة إدامة النظر.. والمطرق المسترخي العين».

وفي ١ / ٣٦ - ٣٧: «قال أبو عمرو: والقُصْبُ الأمعاء، وجمعه أقصاب، والأغْصال الأمعاء واحدا عَصَل، الأصمعي: الأرْجاء الأمعاء». وفي ١ / ٤٦: «أبو عمرو: العُثْجَل العظيم البطن» وفي ١ / ٥٠: «الضيطر العظيم... والبَلَنْدَج السمين والعَكُوك مثله» وفي ١ / ٥٧: «أبو عمرو: الدِّمَاء بقية النفس، والحشاشة مثله، والدِّمَاء الحركة أيضاً»، وفي ١ / ٧٤: «القَنَع الكرم والعطاء والجود، والفَجَر مثله»، وفي ١ / ٧٦: «اللَّحز الضيق البخيل والعَقَص مثله» وقد كثرت هذه الطريقة في تأدية المعنى،

أقصد أن يأتي بمعنى المفردة متبوعة بمفردة أو أكثر موصوفة بكلمة مثله وأظنه يريد أن يقول في العبارة الأخيرة مثلاً، اللَّحْز والعَقَص يعنيان الضيق البخيل، وقد يأتي بشاهد في هذه الطريقة وبعده يذكر الكلمة المرادفة كقوله في ١ / ٧٧: « والقاذورة الفاحش السيء الخلق (قال متمم اليربوعي):

فإن تَلَقَّه في الشَّرْب لا تَلَق فاحشاً على الكأس ذا قاذورة مُتَرَبِّعاً

والْيَلْنَد مثله». وفي ١ / ٦٠: « الحَبَّر من الرجال القصير، ومثله الخَنْبَل والجَنْدَر والبُهْتَر والبُحْتَر والجَائِب والمُجْدَر والمَزْكَم والتَّنْبَال والضَّكْضاض والمتَّازِف والخِنْزَقَر والدَّنامة ».

وقد اعتاد أيضاً أن يأتي بلفظين مترادفين أو أكثر ثم يذكر معناه كقوله مثلاً في ١ / ٣٨: « قال أبو عمرو والأصمعي: النواشر والرواهش عروق باطن الذراع.. والرواجب والبراجم مفاصل الأصابع كلها ». وفي ١ / ٤٢: « أما الجدُول والكُسُور فهي الأعضاء من الإنسان وغيره. الأَيْطَل والإِطْل الخاصرة ». وفي ١ / ٤٣: « الزَّمَر والمَعَر القليلُ الشَّعَر ». وفي ١ / ٦٥: « قال أبو عمرو: الهائِعة والواعية الصوت الشديد. والوَغْي والوَغْي والوَغْي والوَغْي كلها الصوت ». وفي ١ / ٦٨: « الصَّرِيف والصِّلْصَلَة والْبَرْبَرَة والصِّلْح والصِّلْح كله الصوت ». وفي ١ / ٧٠: « الهَذَر والمُسْهَب والمُسْهَك والمِهْتُ جميعاً الكثير الكلام ». وفي ١ / ٨٠: « الأصمعي: الصَّمَحَمَك والدَمَكَمَك الشديد ». وفي ١ / ١٠٢: « عن الكسائي: الكَفِيت والكَفْتُ والكَمِيش والكَمَش كله السريع ».

وقد يجمع بين الأسلوبين الأخيرين كقوله في ١ / ١٠٥: « الأصمعي: الزَّمَزَمَة والصَّمْصَمَة الجماعة من الناس ومثلها الصُّبَة والثُّبَة والهيضَلَة والإزْفَلَة والزَّرَافَة ». ومن الأساليب التي استعملها كذلك أن يأتي بالمعنى متلوّاً بالألفاظ المترادفة الدالة على هذا المعنى كقوله في باب نعوت الطوال من الناس ١ / ٥٨: « الأصمعي: يقال للطويل: الشَّوْقَب والصَّهْلَب والشَّوْذَب والشَّرْجَب والسِّلْهَب والجَسْرَب والسِّلَب والعَشْنَط والعَنْشَط والعَشْتَق والعَنْطَنَط والتَّعْنَع والشَّرْمَح والشَّعْشَع والشَّعْشَعَان والصَّقْعَب والشَّيْظَم والأُتْلَع، قال أبو عمرو: والشَّمْحُوط. والأَشَقُّ والأَمَقُّ والخَيْقُّ والبَتْعُ والمُتَمَاحِل والمَخْن واليَمْخُور والهَجْرَع والحُرْجُل والأسْقَف والقاق والطَّاط والطُّوط عن الفراء: الجَعْشُوش. عن الأصمعي: وقال أبو عمرو: والسَّهْوَق والشَّرْطَم

والمسعر والعَبَاب مثله. والأعيط الطويل عن أبي عمرو: والشَّيْحَان الطويل. الأموي:
والسَّرْعَرَع مثله، والقسيب. الكسائي: والمَهْكَ والمَقْط مثله. الفراء: السَّلْع مثله. غيره:
الشَّرْعَب الطويل. والخَلَجَم والشَّرْحُوب والشَّرَوَاط والسَّلْجَم والسَّوْحَق، والسَّهْوَق.. «.
وقد يُؤدَّى المعنى بالتعريف كقوله في ١ / ٣٥: «الأحمر: الأغطش الذي في عينه
شبه العَمَش، والمرأة غَطْشَاء». وفي ١ / ٤٧: «قال الفراء: والأبْزَى الذي قد خرج
صدره ودخل ظهره، وأنشد لكثير:

رَأْنِي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ وَبَغْلَهَا مِنْ الْقَوْمِ أَبْزَى مُنَحْنٍ مُتَبَاطِنُ

وفي ١ / ٨١: «الأصمعي: العَشْمَشَم الذي يركب رأسه لا يشبه شيء عما يريد
ويهوى... الرابط الجأش الذي يربط نفسه عن الفرار يكفها لجرأته وشجاعته...» وفي
١ / ٩٠: «يقال رجل مَعَنٌ مَتِيحٌ وهو الذي يعرض في كل شيء ويدخل فيما لا يعنيه،
قال: وهو تفسير قولهم بالفارسية أندرو بست... الأموي: الأَرَشَمُ الذي يَتَشَمَّم الطعام
ويحرص عليه». وفي ١ / ٩١: «قال أبو زيد: العَتْرِيف الخبيث الفاجر الذي لا يبالي ما
صنع، وجمعه عتاريف». وفي ١ / ٩٢: «السادر الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع
». وفي ١ / ٢٥٨: «أبو عبيدة: قال رجل من بني الحرماز: هذا رجل مَقْتَوِين ورجلان
مَقْتَوِين، ورجال مَقْتَوِين كله سواء، وكذلك المؤنث، قال الأصمعي: وهم الذين يعملون
للناس بطعام بطونهم». وفي ١ / ٢٦٥: «البيت المَعْرَس بالسِّن الذي قد عمل له عَرَس
وهو الحائط يُجَعَل بين حائطي البيت لا يُبْلَغ به أقصاه...» وفي ١ / ٢٦٦: «الأصمعي
الساف في البناء كل صف من اللبن، وأهل الحجاز يسمونه المَدْمَاك... قال: والملاط هو
الطين الذي يُجَعَل بين سافي البناء. والمَطْمَر هو الخيط الذي يُقَدَّر به البناء، يقال له
بالفارسية: التُّرُّ». وفي ١ / ٢٧٣: «وفي الرَّحْل العَرَاصِفُ وهي الخشبتان اللتان تشدان
بين واسط الرحل وآخرته يميناً وشمالاً... وفيه (الرَّحْل) الظَّلَفَات وهي الخشبات الأربع
اللواتي يَكُنُّ على جنبي البعير». وفي ١ / ٢٧٧: «أبو زيد: الظعينة جمعها ظعن وظعن
وهي الهودج كان فيها نساء أو لم يكن». وفي ١ / ٢٨٢: «الكسائي: المَعْرَب من
الخيال الذي ليس فيه عَرَق هجين والأنثى مُعْرَبَةٌ». وفي ١ / ٢٩٧: «البُهْمَةُ الفارس
الذي لا يدري من أين يُؤْتَى من شدة بأسه وإقدامه في الحرب».

قد يتوسَّل بالشرط لأداء المعنى؛ حين تتصدَّر إذا الشرطية جملة المعنى كقوله في ٣١/١: « يقال: اشترج فلان إذا وضع ذقنه على راحة كفه واعتمد عليها به مفكراً، قال أبو ذؤيب:

نام الخَلِي وبَتَّ الليلَ مُشْتَجِراً كأنَّ عينيَّ فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

وفي ١ / ٣٢: « الفراء: عيناه تَزْران في رأسه إذا توقَّدتا ».

وفي ١ / ٤٣: « قال أبو زيد: أخلس رأسه فهو مُخْلِسٌ وخليس إذا ابيض بعضه... وقال أبو عمرو تقشَّع فيه الشيب إذا كثر وانتشر ».

وفي ١ / ٥٤: « أبو زيد: قَدَعَتْ عَيْنُهُ تَقْدَعُ قَدْعاً إذا ضَعُفَتْ من طول النظر إلى الشيء ». وفي ١ / ٥٥: « عن أبي عمرو: رَأَتْ المرأةَ بعينها ولأَلَتْ إذا بَرَّقَتْ ». وفي ١ / ٦٩: « يقال: صَلَقَ يَصْلُقُ إذا صَوَّت صوتاً شديداً، وأَصْلَقَ إذا بلغ الحال التي توجب ذلك مثل هَجَرَ الرجلُ إذا قال هُجْراً، وأَهْجَرَ إذا بلغ الحال التي توجب الهُجْر، ومثله أَظْلَمَ الرجلُ إذا وقع في الظلمة، وأضاء إذا وقع في الضياء. وقال لبيد بن أبي ربيعة العامري:

فَصَلَقْنَا فِي مُرَادٍ صَلَقَةً وَصُودَاءَ أَلْحَقْتَهُمْ بِالْثَلَلِ

وفي ١ / ٧٢: « قال أبو زيد: يقال: أَهْذَرَ في منطقة إهذاراً إذا أَكْثَرَ ». وفي ١ / ١٠٠: « يقال: أَزَحَ يَأْزَحُ أَزَوْحاً إذا تَخَلَّفَ » وفيها: « وقال الأصمعي: يقال: خَشَفَ يَخْشِفُ خُشَوْفاً إذا ذهب في الأرض ».

وفي ١ / ١٠٣: « أبو زيد: يقال رجل حظيظ جديد إذا كان ذا حَظٍّ من الرزق ». وفي ١ / ١٢٥: « أبو زيد: يقال أصاف الرجل فهو مُصِيفٌ إذا وُلِدَ له بعد الكِبَرِ، وولده صَيْفِيٌّ، وأَرْبَعٌ فهو رُبْعٌ إذا وُلِدَ له في الشباب، ولده رُبْعِيٌّ، قال وأنشدنا غيره:

إِنْ بَنِي صَنِيبَةً صَيْفِيٌّ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيٌّ

وقد يقدم جملة المعنى في صورة شرط والمفردة المعجمية تدخل في جواب الشرط كما في قوله ١ / ٤٣: « إذا غلب (الرأس) بياضه سواده فهو أغثم وأنشد:

إِذَا تَرَى شَيْباً عَلَانِي أَعْثُمُهُ لَهْزَمَ خَدْيِي بِهِ مُلْهَظُمُهُ

١ / ٤٤ قال اليزيدي: وإذا ذهب الشعر كله قيل رجل أَحَصَّ وامرأة حَصَاءً. وقال أبو زيد: فَإِنْ نَتَفَهَ صَاحِبُهُ زَبَقَهُ يَزْبِقُهُ زَبْقاً » وفي ١ / ٤٨: « إذا اصطكَّت

ركبته (يقصد الرجل) قيل: صَكَّ يَصْكُ صَكْكَ « وفي ١ / ٥٩: « إن كان طويلاً ضخماً فهو ضَبْرُك وضَبْرُك وجَسْر، ومنه قيل للناقة جَسْرَة ». وفي ١ / ٦١: « فإذا كان قَصْر وضخيم فهو كُكْلٌ وكُلَاكِل وكَوَالِل ». وفي ١ / ٩٢: « قال الفراء: وإذا كان الرجل صَرِيحاً خبيثاً قل هو عَرْتَة لا يطاق... وقال الأصمعي: المُغْذَمِر الذي يركب الأمور فيأخذ من هذا ويعطي هذا... إذا كان يُخَلِّطُ في كلامه يقال إنه لذو غَذَامِير. قال لبيد العامري:

وَمُقَسِّمٌ يَعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَمُغْذَمِرٌ لِحَقُوقِهَا هَضَامُهَا

وفي ١ / ١١٩: « قال الأموي: يقال للشيخ إذا ولَّى وكبر عَتَا يَعْتُو عُتْيَا... فإذا كَبِرَ وَهَرِمَ فهو المَلُوف... قال الأصمعي: فإذا اضطرب من الكِبَر فهو مُنَوِّدِل. وقال أبو زيد: فإذا لم يَعْقِلَ من الكِبَر قيل: أَفْنَدَ فهو مُفْنَد، وَأَهْتَرَ فهو مُهْتَر ». وغلب استعمال الأسلوب الشرطي في أداء المعنى، على باب نعوت ألوان الإبل ٣ / ٨٥٧ ومنه قوله: «الأصمعي: يقال بغير أحمر إذا لم يخالط حمرة شيء، فإن خالط حمرة قُتُوَّ فهو كُمَيْتٌ والناقة كُمَيْتٌ، فإن خالط الحمرة صفاءً فهو مُدْمَى، فإن اشتدت الكُمْنَةُ حتى يدخلها سواءً فتلك الرُّمْلَة... فإن كان أسود يخالط سواده بياضاً كدُحَان الرَّمْثُ فتلك الورْقَة، فإن اشتدت ورْقَتُهُ حتى يذهب البياض الذي فيه فهو أَذْهَم وناقة دَهْمَاء، فإن اشتد السواد عن ذلك فهو جَوْن. والأدم من الإبل الأبيض، فإن خالطته حُمْرَة فهو أَصْهَب، فإن خالط بياضه شُقْرَة فهو أَعْيَس... ».

وقد يستعمل بعد المدخل (أي) التفسيرية متبوعة بالمعنى كقوله في ١ / ٦٣: «وقال الأصمعي: يقال: رَجُلٌ أَدْعَجُ أي أسود.. ». وفي ١ / ٧١: « وقال الأصمعي: يقال: في لسانه حُكْلَة أي عُجْمَة ». وفي ١ / ٧٣: «.. تجد بها نبيذاً خَضْرُماً أي كثيراً ». وفي ١ / ٧٤: « عن أبي عمرو: بعيد السَّوْ وبعيد الهَوء أي بعيد الهَمَّة. وقال ذو الرمة:

كَأَنِّي مِنْ هَوَى خَرْقَاءَ مُطَّرَفٍ دَامِي الْأَظْلَّ بَعِيدَ السَّوْ مَهْيُومٍ

وفي ١ / ٧٧: « عن أبي عمرو: رجل حَلَزَ بِخَيْلٍ وامرأة حَلَزَة أي بخيلة ». وفي ١ / ٧٩: «.. يقال اتَّقَدَّمَ أي أَسْرَعَ ». وفي ١ / ٩١: « الأصمعي: يقال: فلان لا يَقْرَعُ أي لا يَرْتَدِع ». وفي ١ / ٩٤: « قال الأصمعي: يقال: بنو فلان هَدَرَة أي ساقطون ليسوا بشيء ». وفي ١ / ٩٩: «.. مَشَتْ فَكَتَفَتْ أي حَرَّكَتْ كَتِفَيْهَا ». وفي ١ / ١٠١:

« قال أبو عمرو: زَأَزَأْتُ أَي عَدَوْتُ ». وفي ١ / ١٠٢: « الفراء: زَرِيرٌ أَي خَفِيفٌ ». وفي ١ / ١١٠: « قال الكسائي: دخلت في غمار الناس وغمار الناس وخُمار الناس وخُمار الناس وغَمَرَة الناس وخَمَر الناس أَي في جماعتهم وكثرهم ». وفي ١ / ١١٣: « قال الأموي: يقال: هُمْ يُخَفِّشُونَ عَلَيْكَ وَيَحْلُبُونَ عَلَيْكَ أَي يَجْتَمِعُونَ عَلَيْكَ... وقال أبو عمرو: وتَأَلَّبُوا عَلَيْكَ أَي تَجَمَّعُوا عَلَيْكَ ».

وفي ١ / ١١٤: « الفراء: يقال حَشَكَ الْقَوْمَ واحْتَرَشُوا أَي حَشَدُوا ». ومن أساليبه الظاهرة لأداء المعنى أن يسوق المدخل في جملة يليها معنى المدخل وقد يصدر المعنى بكلمة يعني كقوله في ١ / ٤٠: « قال أبو زيد والأصمعي: نقد الضُّرْس إذا اتَّكَلَ وتكسَّر.. »، و ١ / ٥٣: « قال الأصمعي: انْهَجَمَتْ عَيْنُهُ دَمَعَتْ.. وَهَجَمَتْ عَيْنُهُ غَارَتْ.. حَجَلَتْ عَيْنُهُ وَهَجَجَتْ كِلَاهِمَا: غَارَتْ أَيْضاً، قال الكميت:

كَأَنَّ عَيُونَهُنَّ مُهَجَّجَاتٌ وقد راحَتْ مِنَ الْأَصْلِ الْحَرُورُ

أبو عمرو: وَهَجَجَتْ عَيْنُهُ غَارَتْ أَيْضاً ». وفي ١ / ٦٧: « قال أبو زيد: سمعت جَرَاهِيَةَ الْقَوْمِ وَهِيَ كَلَامُهُمْ وَعَلَانِيَتُهُمْ دُونَ سِرِّهِمْ ». وفي ١ / ٦٩: « سمعتُ مِنْهُ نَعِيَةً وَهِيَ الْكَلَامُ ». وفي ١ / ٧١: « أَرْتَجْتُ الْبَابَ أَغْلَقْتُهُ ». وفي ١ / ١٠٠: « ويُقال: بَدَحَتِ الْمَرْأَةُ وَتَبَدَّحَتْ وَهِيَ حُسْنُ مَشْيِهَا ». وفي ١ / ١٠١: « قال الأصمعي: يُقال: كَشَحَ الْقَوْمَ عَنِ الْمَاءِ ذَهَبُوا عَنْهُ. الْأُمَوِيُّ: ارْبَسَ الرَّجُلُ ارْبَسَاساً ذَهَبَ، وَأَبُو عَمْرٍو: أَصْعَدَ فِي الْبِلَادِ حَيْثُ مَا تَوَجَّهَ.. ». وفي ١ / ١٠٨: « وقال الأصمعي: الصَّيْتُ الْفَرْقَةُ، يُقال: تَرَكْتُ بَنِي فُلَانٍ صَتِيئِينَ يَعْنِي فَرَقَتِينَ ». وفي ١ / ١١٠: « وقال الأحرر: دَخَلْنَا فِي الْبَعْثَاءِ وَالْبَرْشَاءِ يَعْنِي جَمَاعَةَ النَّاسِ ».

وفي ١ / ١١٠: « قال أبو زيد: يُقال جاء فلان في أُرْيَيْةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَعْنِي فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي عَمِّهِ، وَلَا تَكُونُ الْأُرْيَيْةُ فِي غَيْرِهِمْ ». وفي ١ / ١١١: « أبو زيد: يُقال: أَتَنَّا قَادِيَةً مِنَ النَّاسِ وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ يَطْرَأُ عَلَيْكَ، وَأَتَنَّا طُحْمَةً مِنَ النَّاسِ وَطُحْمَةٌ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الْقَادِيَةِ ». وفي ١ / ١٣٣: « وحكى أبو بكر العبدى عن خلف الأحمر يُقال: يُقال تَأَسَّنَ أَبَاهُ تَأَسُّناً، وَفِيهِ آسَانٌ مِنْ أَبِيهِ أَي مِثْلَهُ ». وفي ١ / ١٦١: « عن أبي عمرو: قَرَصَعَتِ الْمَرْأَةُ قَرَصَعَةً وَهِيَ مَشْيَةٌ قَبِيحَةٌ ». وفي ١ / ١٧٩: « اليزيدي: أَكْمَمْتُ الْقَمِيصَ جَعَلْتُ لَهُ كُمَيْنِ، وَأَرْدَنْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ أَرْدَاناً، وَأَعْرَيْتُهُ وَعَرَيْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ عُرَى.. وَأَزَرَرْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ

أزراراً. أبو عمرو: خَلَفْتُ الثوبَ أَخْلَفُهُ فهو خليف؛ وذلك أن يَبْلَى وَسَطُهُ فتخرج البالي منه ثُمَّ تُلَفِّقُهُ «.

وقد يجعل المدخل في تركيب غير إسنادي: وصفي أو إضافي، وأبدأ بأكثرهما وروداً وهو التركيب الوصفي، ففي ١ / ٤٣: «قال الفراء: شعر مُعْلَنِكَ ومُعْلَنِكَس كلاهما الكثيف المجتمع». وفي ١ / ٤٨: «رجل أقزر الذي ظهرُهُ عَجْرَةٌ عظيمة». وفي ١ / ٧٢: «ويقال رجل نَقْلٌ وهو الحاضر المنطق والجواب». وفي ١ / ٧٤: «رجل تَقَنُّ حاذقٌ بالأشياء». وفي ١ / ٧٦: «وقال الكسائي: رجل أَبْلٌ وامرأةٌ بلاءٌ وهو الذي لا يدرك ما عنده من اللوم». وفي ١ / ٧٧: «عن أبي عمرو: رجل حِلَزٌ بخيل وامرأة حِلْزَةٌ أي بخيلة». وفي ١ / ٧٨: «الأصمعي: رجل مُنَجَّدٌ ومُنَجَّدٌ بكسر الجيم وهو المُجَرَّب والمُجَرَّب». وفي ١ / ٨٣: «قال الأصمعي: الرجل المنْفُوهُ الضعيف الفؤاد الجبان». وفي ١ / ٨٥: «الفراء: رجل غُمُرٌ وغُمَرٌ على فَعَلٍ من قوم أغمار وهم الضعفاء الذين لا تجربة لهم بالحرب ولا بالأمر كقولهم: البُخْلُ والبُخْلُ». وفي ١ / ٩٠: «قال أبو عبيدة: يقال رجل مَعَنٌ مَتِيحٌ وهو الذي يعرض في كل شيء ويدخل فيما لا يعنيه». وفيها أيضاً: «الفراء رجل لَعَوٌ ولَعِيٌّ منقوص مثل اللَّعْمَظ وهو الشرُّ الحريص». وفي ١ / ٩١: «الأموي: رجل خَنْدِيَانٍ كبير الشر». وفي ١ / ٩٢: «قال أبو زيد: رجل نَطْلٌ وعُضْلَةٌ وهو الداهي». وفي ١ / ٩٥: «الفراء: رجل ذِمْرٌ وذِمْرٌ وذِمِرٌ وذِمِرٌ وهو المنكر الشديد، أنشد الفراء:

فِيهِنَّ حَمَرًا إِذَا أَضَرَّ تَجَشَّمُهُنَّ عَنَقًا ذَمِرًا

وفي ١ / ١٣٩: «يقال: امرأة ذُعُور هي التي تُذْعَرُ من كل شيء، قال (أبو زيد) وأنشدني رجل من تميم:

تَنُوتُ بِمَعْرُوفِ الْحَدِيثِ وَإِنْ تُرِدْ سَوَى ذَاكَ تُذْعَرُ مِنْكَ وَهِيَ ذُعُور

وفي ١ / ١٤٥: «الكسائي: امرأةٌ مُرَاسِلٌ وهي التي قد مات زوجها أو طلقها». وفي ١ / ١٤٧: «الكسائي: امرأةٌ مَاشِيَةٌ وضائفةٌ معناهما أن يكثر ولدها».

ومن التراكيب الإضافية ما ورد في ١ / ٤١: «قال الكسائي: خَثْلَةُ البطن ما بين السُرَّةِ والعانة ويقال خَثْلَةٌ..». وفي ١ / ٧٠: «قال الأصمعي: الحليفُ اللسانُ الحديدُ اللسانُ الكثير الكلام». وفي ١ / ٨١: «الرابط الجأش الذي يربط نفسه عن الفرار

يكفها لجرأته وشجاعته». وفي ١ / ١٦١: «الأصمعي: حنة الرجل امرأته وحليته وهي أيضاً طلته وعرسه وقعيدته وربضه وربضه وضعيته وزوجه». وفي ١ / ١٨٣: «قال (الكسائي): وطراق النعل ما أطبقت عليه فخرزت به». وفي ١ / ٢١٦: «قال: سمعت الأصمعي يقول: أول اللبن اللبأ». وفي ١ / ٢٣٤: «الأموي: أول المرض الدعث». وفي ١ / ٢٣٨: «قال الأصمعي: أول الشجاج الحارصة، وهي التي تحرص الجلد يعني تشقه قليلاً». وفي ١ / ٢٦٩: «رواق البيت سماوته وهي الشقة التي دون العليا». وفي ١ / ٢٧٢: «الفراء: سنن الطريق وسننه كل هذا محجته». وفي ١ / ٢٧٣: «قال أبو عمرو: وجلب الرجل عيدائه... ويقال لأخناء الرجل: القبائل». وفي ١ / ٣٠٩: «أبو عمرو: أخف الطعن الولق». وفي ١ / ٣٨٤: «الأصمعي: جزع الوادي منعرجه حيث ينعطف».

ومن أساليبه في أداء المعنى أن يأتي بالمدخل مخصصاً بجمادى ومجرور متلوياً بالمعنى نحو قوله في ١ / ٢٩: «البوادر من الإنسان وغيره اللحم التي بين المنكب والعنق، وأنشد:

وجاءت الخيل مخمراً بوادرها

وفي ١ / ٤٩: «أبو زيد: الشفلح من الرجال الواسع المنخرين، العظيم الشفتين». وفي ١ / ٧٣: «قال الأصمعي: الدهثم من الرجال السهل اللين». وفي ١ / ٨١: «قال الأصمعي: النهيك من الرجال الشجاع.. ومن الإبل القوي الشديد». وفي ١ / ٩٣: «قال الأصمعي: القملي من الرجال الحقير الصغير الشأن». وفي ١ / ١٠٩: «الأصمعي: يقال أوزاع من الناس وأوباش من الناس وأوشاب من الناس وهم الضروب المتفرقون».

وفي ١ / ١١٦: «الععب من الشباب هو الشباب التام». وفي ١ / ١٣٧: «قال أبو عبيد: سمعت الأصمعي يقول: الخود من الناس الحسنة الخلق». وفي ١ / ١٤٩: «الفراء: اللقوة من النساء السريعة اللقح». وفي ١ / ١٩٤: «قال الكسائي: الوشقة من اللحم أن يغلى إغلاء ثم يرفع». وفي ١ / ١٩٥:

«أبو عمرو: الأسلع من اللحم النّيء». وفي ١ / ٢٢٣: «قال الأصمعي: الخرط من اللبن أن يصيب الضرع عين أو تربص الشاة أو تبرك الناقة على ندى فيخرج اللبن متعقداً.. ويخرج منه ماء أصفر». وفي ١ / ٢٨٣: «أبو عبيد: النواهي من الحمار حيث يخرج النهاق من حلقه. وقال الأصمعي: النواهي من الخيل العظام النائية في حدودها.

والكسائي: المُلْكُ من الدَّابة قوائمه وهاديه، يقال: جاءنا تقودنا مَلَكُهُ». وفي ١ / ٣٠٠: «الأصمعي: الفُوقُ من السَّهْمِ موضع الوتر». وفي ١ / ٣٨٩: «والعُقْدَةُ من الأرض البُقْعَةُ الكثيرة الشجر». وفي ١ / ٣٩٢: «الأصمعي: النَّهَّابِر من الرِّمال واحدها نُهْبُور وهو ما أشرف منه».

في ختام هذا المبحث أقول إن الاختصار والإيجاز هو الأسلوب الغالب على أداء المعاني في الغريب المصنّف، ويتميّز كذلك بتتبعه المعنى الواحد عند أكثر من لغوي، وتتبعه الألفاظ المترادفة عليه كقوله في باب نعوت الإنسان ١ / ٤٦: «أبو عمرو: العُثْجَلُ العظيم البطن، الأحمر: مثله، الأحمر: الحَشْوَر العظيم البطن أيضاً. اليزيدي: الأَثْجَلُ مثله، أبو زيد: الدَّن مثله، الأصمعي: هو الدَّجَل باللام مثله..». وفي باب كبر السن والهَرَم ١ / ١١٩: «قال الأموي: يقال للشيخ إذا وتى وكبر عتا يعتو عُتِيًّا وعَسَا يَعْسُو عُسِيًّا مثله. وكذلك تسعسع واثثم ائثمأماً فإذا كبر وهَرَم فهو الهَلُوف. وقال الأصمعي: مثله شيخٌ جُلْجَابَةٌ وجُلْجَابٌ وَعَشْمَةٌ، وقال أبو عبيدة: مثله، وكذلك عَشْبَةٌ، وقال أبو عمرو: وكذلك القَحْرُ والقَهْبُ، وقال الأحمر: ومثله الدَّرْدَح... الفراء: تَقْعُوشَ الشيخ إذا كبر.. غيره: العَلُّ الكبير واليَفَن الكبير والحوَقْل الكبير، والقَشْعَم مثله..».

أما منهجه في الاستشهاد فلم يخالف فيه معاصريه، فقد احتج بالقرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب، ونثرهم، مما نجده مبثوثاً على صفحات الغريب المصنّف. وبمراجعة فهرس الشعر في آخر الجزء الثالث من كتاب الغريب وجدت أن أبا عبيد قد احتج بألف ومئة وعشرة أبيات من الشعر، خمسون منها مجهولة القائل وسائر الأبيات منسوبة إلى قائلها، وهي ألف وستون بيتاً، وهذا نهج متميّز في نسبة الأبيات إلى قائلها، نادراً ما نجدها عند غيره من لغوي عصره في مصنفاتهم كالخليل في العين الذي يوجد فيه من الشعر الكثير غير المنسوب على حدّ تعبير الدكتور رمضان عبد التواب في مقدّمته للغريب المصنّف ص ١٣٤؛ وللتدليل على صدق مقولة الدكتور رمضان قمت بإحصاء الشواهد الشعرية في باب الثنائي من حرف العين في كتاب العين فوجدتها أربعة ومئة شاهد منها ثمانية وثلاثون غير منسوبة، أي نحو الثلث (٣٦ %) تقريباً) وهي نسبة عالية إذا ما قيست بنسبتها في الغريب المصنّف الذي تصل فيه نسبة غير المنسوب ٤,٤ %. وأما كتاب سيبويه فمعروف لدى الدارسين أن نسبة الأبيات فيه كانت من إعداد الجرّمي إذ تركها سيبويه دون نسبة، ومع ذلك فقد أحصيت في فهرس الكتاب المحقق من الأستاذ عبد السلام هارون مئة بيت من الشعر مجهولة القائل غير ستة وسبعين من الرجز، وتُعزى

الشعر المستشهد به إلى شعراء جاهليين كامرئ القيس وعنترة وزهير والأعشى وعمرو بن كلثوم وأبي كبير الهذلي وأوس بن حجر والنابعة وسلامة بن جندل، وإسلاميين كالعجير السلوي والقطامي وكثير والأخطل والفرزدق ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام كأبي ذؤيب الهذلي وحسان بن ثابت ولييد والشمّاح بن ضرار ومالك بن عوف النصرى، ومن مخضرمي الدولتين كرؤبة.

وقد سار في استشهاده بالشعر في غير منهج، وكان أكثر ما يفعله أن يأتي بالمفردة المعجمية ويدلي بمعناها ويحتج له بقول الشاعر كقوله في ١ / ٤٢ مثلاً: «المُعْدُوْدِن الشعر الطويل قال حسان بن ثابت:

وَقَامَتْ تُرَائِيكَ مُعْدُوْدِنًا إِذَا مَا تُنَوُّ بِهَ آدَهَا

وفي ١ / ٥٠: «والضَّيْطَرُّ العَظِيمُ وِجْمَعُهُ ضَيَاطِرَةٌ وَضَيَّطَارُونَ، قال أبو عمرو: قال مالك بن عوف النصرى:

تَعْرِضُ ضَيَّطَارُو فَعَالَةً دُونَا وَمَا خَيْرُ ضَيَّطَارٍ يُقَلِّبُ مِسْطَحًا

يقول ليس معه سلاح يقاتل به غير مَسْطَحٍ» وفي ١ / ١٠٢ «والأَلْمَعِيُّ الخفيف الظريف، قال أوس بن حجر:

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وفي بعض الأحيان كان يُتَّبَعُ الشاهد بتوضيح ما، ويذكر معنى إحدى ألفاظه كما في ١ / ١٠٥ - ١٠٦: «الكُبَّةُ الجماعة، قال أبو زيد:

وَصَاحَ مَنْ صَاحَ فِي الْأَجْلَابِ فَابْتَعَثَتْ وَعَاثَ فِي كُبَّةِ الْوَعْغَوَاعِ وَالْعِيرِ

يعني الأسد، والوَعْغَوَاعُ الصوتُ».

وقد ينهج نهجاً معاكساً في الاستشهاد أي يأتي بالشاهد ثم يعين الكلمة المقصودة ويبين معناها كقوله في ٣ / ٨٣٣: «وقال النمر بن تولب:

قَامَتْ تَبَاكِي أَنْ سَبَّاتُ لَفْتِيَّةٍ زَقَا وَخَابِيَّةٌ بَعُودُ مُقْطَعِ

الْعَوْدُ جَمَلَ مُسِنَّ». وفي ٣ / ٨٨٩: «قال عمرو بن لجأ: (رجز):

تَمَشَّى إِلَى رَوَاءِ عَاطِنَاتِهَا

تَجَبَّسَ الْعَانِسُ فِي رَيْطَاتِهَا

التَّجَبَّسُ التَّبَخَّرُ».

ومما يمكن ملاحظته على استشهاده أنه ينبّه بعد ذكر الشاهد إلى ما فيه من اختلاف في الرواية نحو ما جاء في ١ / ٦٣: « قال أوس بن حجر:

لَحِينَهُمْ لَحِي الْعَصَا فَطَرَدْتُهُمْ إِلَى سَنَةِ جَرْدَائِهَا لَمْ تَحْلَمْ

ويروى قِرْدَائُهَا». وفي ١ / ١٠٧: « أبو عمرو: الجَفُّ الكثير من الناس وهو قول

النابعة:

لَا أَعْرِفَنَّكَ عَارِضًا لِرِمَاحِنَا فِي جُفٍّ تَغْلِبَ وَارْدِي الْأُمَرَارِ

ورواها أبو عبيدة: فِي جُفٍّ ثَعْلَبَ أَرَادَ ثَعْلَبَةَ بَنِ سَعْدٍ.. «.

وأما احتجاجه بالقرآن الكريم فكان أقل من الشعر إلى حد بعيد فقد بلغت الآيات المستشهد بها تسعاً وأربعين، وأقل منها الأحاديث الشريفة المستشهد بها التي بلغت تسعة وثلاثين حديثاً. وقد اعتاد أن يأتي بالآيات شواهد على المعاني، إذ كان يأتي بالمفردة متلوّة بمعناها ثم يشهد لذلك المعنى بآية قرآنية تتضمن تلك المفردة، أي يأتي بسياق قرآني تؤدي فيه المفردة المعنى المحتج له كما في ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧: « وقد قَرَصْتُهُ جَرَحْتُهُ، قال المنتخل:

أَي جَرَحُوا، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾^(١). وفي

٣ / ٨٨٧: « الأموي: الدَّفْءُ عند العرب نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾^(٢). والنهج نفسه اتّبعه عند الاحتجاج بالحديث الشريف كما في ١ / ١٧٦: قال أبو عبيد: الاحتباك شدّ الإزار، ومنه في الحديث: « أن عائشة كانت تحتبك فوق القميص بإزار في الصلاة ». ولم يتعدّ استشهاده بالأمثال العشرة.

وإذا انتقلت إلى الحديث عمّا تتضمنه نصوص الغريب المصنف من عناصر لغوية أخرى فسيصادفني حديثه عن لهجات قبائل العرب الذي نجده مبثوثاً على صفحات الكتاب منسوباً وغير منسوب لقبائل معينة من الألفاظ ودلالاتها وضبطها كقوله في ١ / ٨٦: « وقال (أبو زيد): الأَلَفْتُ في كلام قيس الأحق، والأَلَفْتُ في كلام تميم الأعسر ». وفي ١ / ١١٥، و ١ / ٢٥٨: « قال رجل من بني الحرّماز: هذا رجل مُقْتَوِين مفتوح ورجلان مُقْتَوِين ورجال مُقْتَوِين وكذلك الواحدة والجميع من المؤنث وهم الذين يعملون

(١) ١٤٠ - آل عمران.

(٢) ٥ - النحل.

للناس بطعام بطونهم». والحرماز من أشهر بطون تميم كمازن وغيلان وغسان التي تنتمي إلى مالك بن عمرو بن تميم. وفي ١ / ١٥٥: «الفراء، العُظْمَةُ الشيءُ تُعْظَمُ به المرأة عَجِيزَتُهَا من مَرْفَقَةٍ أو غيرها، وهذا في كلام بني أسد وغيرهم يقولون العُظَامَةُ». وفي ١ / ١٧١: «قال ابن الكلبي: سُدُوس الذي في بني شيبان بالفتح والذي في طيء بالضم». وفي ١ / ٢٦١: «وَحُرُّ الدار وسطها وعُقْرُهَا، أصلها في لغة أهل الحجاز، وأما أهل نجد فيقولون: عَقْر، ومنه قيل العُقَار». وفي ١ / ٢٦٢: «والزَّحَالِفُ آثار تَزْلُج الصبيان من فوق إلى أسفل واحدها زُحْلُوفَةٌ في لغة أهل الحجاز. وأما تميم فيقولون زُحْلُوفَةٌ». وفي ١ / ٣٣٥: «الفراء: الذكرُ من السلاحف الغَيْلَم والأُنثى في لغة بني أسد السَّلْحَفَاء بحركة اللام وجزم الحاء».

كذلك من يتصفح الغريب المصنف سيجد أن أبا عبيد قد التفت أيضاً إلى الألفاظ الأعجمية، وغالباً الفارسية منها. وقد فتح لها باباً في الجزء الثالث من الكتاب ٣ / ٦٦٨ بعنوان: «باب ما دخل من غير لغات العرب في العربية» غير ما بثه على صفحات الكتاب مقابلاً للكلمات العربية فكان اللفظ الأعجمي أكثر استعمالاً من المفردة العربية كقوله في ١ / ٩٠: «قال أبو عبيدة: يقال رجل مَعْنٌ مَتِيحٌ وهو الذي يعرض في كل شيء ويدخل فيما لا يعنيه، قال: وهو تفسير قولهم بالفارسية أندر وبست». وفي ١ / ٢٦٥: «الأصمعي: البيت المُحَرَّد هو المُسَنَّم الذي يقال له بالفارسية: كوخ... قال: والجائز هو الذي يقال له بالفارسية: تير». ومن الألفاظ غير الفارسية ذكر لفظاً ونسبه إلى الرومية ولعله يعني بها اليونانية نحو قوله في ١ / ٢٤٢: «والإسْفَنطُ ضرب من الخمر، قال الأصمعي: هي بالرومية».

بعد هذه الجولة القصيرة مع كتاب الغريب المصنف بدأت أميل إلى فهم آخر، أو دلالة أخرى لهذا العنوان قد تكون مقصودة؛ لأنه لم يقتصر فيه على غريب ألفاظ اللغة بل جمع بين الغريب والمألوف من ألفاظ اللغة؛ وعليه فأرى أن الدلالة الأخرى للعنوان هي التصنيف الجديد أو التقسيم الغريب أو غير المألوف لألفاظ اللغة، إذ كان المألوف للناس التصنيف المعجمي الذي صنعه الخليل في العين، أو ما كان يُصنَع من جمع الألفاظ التي تخص موضوعاً واحداً مما سُمِّي بالرسائل اللغوية؛ فالغريب المصنف كتاب جامع متنوع الحقول والموضوعات تخص الإنسان والحيوان والنبات والجماد من الأدوات والأبنية، والغرابة تتبدى في براعة تصنيف عموم ألفاظ الحياة في كتب، تم تقسيمها إلى أبواب فرعية شاملة ومتنوعة دون انتقاء أو اختيار.

٢-١-٢-٢ المنتخب من غريب كلام العرب - لكراع النمل (ت ٣١٠ هـ):

ويحسن أن أكمل حديثي عن الكتب التي صنفت في فن غريب اللغة بعد الغريب المصنّف؛ وأقول فن الغريب لأن من يطلع على ما ألف من الكتب، وكانت كلمة غريب جزءاً من عنوانها، سيظهر له أن الغرابة ليست في ألفاظها فقط، وإنما أيضاً في منهج التصنيف والتبويب والتقسيم للمفردات المجموعة وليست في المفردات ذاتها التي يتجاور فيها المؤلف والغريب؛ وإذا اتخذنا كتاب المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل (ت ٣١٠ هـ) أنموذجاً لهذه الكتب فإنه قد جمع، كما جاء في مقدمته: «من الأسماء المختلفة الألفاظ، الواقعة على الأجسام والأعراض من الحيوان والموت، والأجناس المختلفة» ولم يُشر إلى الغريب، بل جاء كلامه مختلطاً ومنوعاً «وشئت ذلك بالفرق كما يقول بين الناس وغيرهم في خلقهم وصفاتهم وأفعالهم، وأتبعته بأبواب التاريخ من حين يكون الشيء صغيراً إلى أن يكبر.. وختمته بأبواب فيها من كلام العرب، ما لا يستغني عنه أحد من أهل العلم والأدب»^(١). ومن الواضح أنه جمع ألفاظاً غريبة ومألوفة، ولكن المؤلف منها أقل فغلب الغريب على الكتاب الذي بلغت أبوابه ٣٣٥ باباً متنوعة الموضوعات لأن الألفاظ مرتبة موضوعياً؛ أي موزعة على هذه الأبواب، من مثل أبواب الموضوع الواحد المتعدد الأجزاء^(٢) والأسماء كخلق الإنسان، وأول باب منها تصدّر الكتاب باب ماله اسمان فصاعداً من خلق الإنسان وغيره دون الصفات (٤٦ - ٨٧) ويقصد أعضاء الجسم البشري وغيره من المخلوقات الحيوانية وبدأ بالرأس والألفاظ الدالة عليه بقوله ص ٤٦: «يقال للرأس: الضرب لكثرة اضطرابه، والتّحماس في لغة حمير، ويقال لجانيبه: الفودان والمذروان، والقرنان»، ولا غرابة إلا في لفظة واحدة وهي التّحماس وهي من العربية الجنوبية (الحميرية). ويتدرّج بعد ذلك بذكر أعضاء جسم الإنسان وغيره من المخلوقات الحيوانية الهامة والعينين والخدين والأذنين والأنف والشفة واللسان والصدر والقلب والثديين والظهر والخاصرتين والبطن، وفي هذا السياق يفتح باباً لأسماء القُبل (ص ٥٧ - ٥٩) وآخر لأسماء الدُّبر (٦٠ - ٦٦) وأبواب للحم، والشحم، والعظام، والعروق، والعصب، والدم، والجلد، واللون، إلى أن يصل إلى ما سماه باب الأصل ص ٨٣ ويبدؤه بأصل الإنسان بقوله: «يقال لأصل الإنسان الحنج، والبنج،

(١) المنتخب من غريب كلام العرب لأبي الحسن الهنائي، تحقيق د. محمد أحمد العمري، معهد البحوث العلمية

وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

(٢) السابق نفسه ١ / ٢٢ - ٣٣.

وَالسَّيْحُ، وَالسَّنْخُ، وَالْبُؤْبُ، وَالْقَبْسُ، وَالْقَنْسُ، وَالْإِرْسُ، وَالْكَرْسُ، وَالنُّخْتُ، وَالْإِصُّ،
وَالطُّخْسُ، وَالْبُنْكُ، وَالْجَنْثُ، وَالنَّجَارُ، وَالنُّجَارُ، وَالنُّجَرُ، وَالْعَرُ، وَالْعَكْرُ، وَالْمَزْرُ، وَالسَّرُّ،
وَالْقَرْقُ، وَالْعَرْقُ، وَالْجَذْرُ، وَالْجَذْرُ، وَالْجَذْلُ، وَالْقَشْمُ، وَالرَّجْمُ، وَالْجَذْمُ،
وَالْكُوحُ، وَالشَّرْخُ، وَالشَّلْخُ، وَالضَّنَّ، وَالْعِيضُ، وَالْحُذْلُ، وَالْحَمَكُ، وَالضَّنْضِي،
وَالصَّنْصِي، وَالْعُنْصُرُ، وَالْعُنْصَرُ، وَالْجَبْلَةُ، وَالْقَمَرُ، وَالْأَثْلَةُ، وَالْكُدْيَةُ، وَالْجُرْثُومُ، وَالْجُرْثُومَةُ،
وَالْأُرُومُ، وَالْأُرُومَةُ، وَالْمَحْتَدُ، وَالْمَحْفَدُ، وَالْمَحْكَدُ، وَالنَّصَابُ، وَالْمَنْصَبُ، وَالْحَذْرَةُ،
وَالنَّحَاسُ « وهكذا يذكر ستة وخمسين اسماً ترادفت على معنى الأصل، المألوف ستة عشر
كالنَّجَارِ وَالْعَرْقِ، وَالْعُنْصُرِ، وَالْجَبْلَةِ وَالْجُرْثُومَةِ وَالْأُرُومَةِ وَالْمَحْتَدِ وَهناك ألفاظ مألوفة
ولكن الغرابة في إطلاقها للدلالة على الأصل كالبؤبؤ والجذل، والكُدْيَةُ وَالنَّصَابُ
وَالْمَنْصَبُ، وَالشَّرْخُ. ويستكمل الباب بذكر ألفاظ دالة على أصول أخرى غير أصل
الإنسان كأصل العنق والنحلة وأصل ذنب البعير وذنب الفرس والفخذ واللسان والإبهام
والثدي والجبل والكرم وذنب الطائر وأصل المال والدار والجدار والشجر.. الخ.

ويعقد الباب الواحد والعشرين بعكس الباب السابق وهو خاص بخلق الإنسان
أيضاً، ولكنه يخلو من المترادفات سمّا « باب الأسماء المفردة من خلق الإنسان وسائر
الحيوان دون الصفات » (١ / ٩٣ - ١٠١) ومن أمثلته: « الْمَشْقَاءُ ممدود: مَفْرَقُ الرَّأْسِ.
وَالْعَرْبَانُ مِنَ الْعَيْنِ: مُقَدِّمُهَا مُؤَخَّرُهَا... وَالْبُلْعُومُ: مَجْرَى الطَّعَامِ فِي الْخَلْقِ... وَيُقَالُ بَدَأَ
مِنَ الْمَرْأَةِ مَوْقِفُهَا: وَهُوَ يَدَاها وَعَيْنَاها مِمَّا لَا بَدَأَ لَهَا مِنْ إِظْهَارِهِ... وَسَوَاءُ الْقَلْبِ: حَبِّئُهُ...
وَالصَّهْوَةُ: مَقْعَدُ الْفَارَسِ... وَالسُّنْبُكُ: طُرْفُ الْحَافِرِ... وَمَازَنُ النَّمْلِ: بَيْضُهُ ».

ويرجع في ١ / ١٠٣ - ١٢٣ إلى المترادفات أي الأسماء المتفقة في معناها، المختلفة
في لفظها مرة أخرى في باب الذُكْرَانِ مِنَ الْحَيَوَانِ، ويبدو أنه يقصد بالحيوان المخلوقات
الحية من إنسان وحيوانات؛ لأنه يبدأ بالألفاظ الدالة على الرجل بقوله ١ / ١٠٣: « عَكَ
تَقُولُ: طَهَا أَيُّ يَا رَجُلًا. قَالَ أَبُو النَجْمِ الْعَجَلِي:

مَدَّ لَنَا فِي عُمُرِهِ رَبُّ طَهَا

مَا حَمَلَ السَّيْفَ بَكْفٍ أَوْ مَشَى

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَا إِذْ جَزَى

جَنَاتٍ عَدَنٍ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا

ويقال له: امرؤ، ومَرء، ويقال: هو زَوْجُ المرأة، وحَلِيلُها، وكَفِيحُها، وبَعْلُها، وعَشِيرُها، ويسميه أهل اليمن: النَّفَّاح « ولا غرابة إلا في قوله عن الرجل طها وكفيح ونفّاح.

وينتهي بعد ذلك إلى ذكور الحيوانات كالفرس والبعير والأسد والذئب والثعلب والضباع والأرانب والفهود والقرود والقنفذ والضَّبُّ والظِّلِم (ذكر النعام) والفيل والنمر والكبش والثور وحمار الوحش، والعنكبوت، والحَيَّة والحمام وغيرها كثير.

ويلى هذا الباب « باب الإناث من الحيوان » ١ / ١٢٣ - ١٣١ ويشمل الإنسان والحيوان ويبدو أنه كذلك بأنثى الناس بقوله في ١ / ١٢٣: « يقال للأنثى من الناس: امرأة، ومَرأة، ومَرأة، ومَرّة، وهي أَبْعَدُ اللغات الأربع، ويقال هي زَوْج الرجل، ولا تكاد العرب تقول زَوْجَتُهُ إِلَّا في شَعْر، وحَلِيلَتُهُ وَحَنَّتُهُ، وَطَلَّتُهُ، وَمُعَزَّتُهُ، وَعَرَسُهُ، وَقَعِيدَتُهُ، وَرَبَضَتُهُ، وَظَعِينَتُهُ، وَشَاعَتُهُ، وَزَخَّتُهُ، وَمَزَخَّتُهُ، وَحَاكُهُ. ويقال: ثَكَلْتُكَ الْجَثْلُ وكذلك الرَّعْبَلُ وَحَوْبَةُ الرجل، وَحَوْبَتُهُ، وَحَبِيبَتُهُ: أُمُّه.. والوَائِدَةُ.. المرأة كائنة ما كانت في لغة هذيل ». فقد ذكر خمسة وعشرين اسماً لا يتجاوز الغريب نصفها.

كذلك اهتم بالمعاني المتضادة مما له أكثر من اسم وفتح لها أبواباً كباب الشباب ١ / ١٥٢، وباب الهروم ١ / ١٥٣، وباب الطول ١ / ١٦١، وباب القصر ١ / ١٦٣، وباب الشجاعة وشدة القلب ١ / ١٦٩، وباب الجبن وضعف القلب ١ / ١٧٠، وباب القوة وشدة البدن ١ / ١٧٢، وباب ضعف البدن والنفس والرأي ١ / ١٧٥، وباب الحُسْنُ وَجَمِيلُ الأخلاق والسَّخَاءِ ١ / ١٧٧ - ١٨٧، وباب القُبْحُ وَرَدِيءُ الأخلاق والبُخْلُ والداهي من الرجال ١ / ١٨٧ - ٢١٠ وغيرها، كأبواب الخفة والثقل والسَّمَنُ والهزال وباب الإصلاح بين الناس وباب للإفساد بينهم وباب الإسراع وباب الإبطاء وباب الكلام وباب السكوت وباب للنشاط وباب للكسل وباب القرب وباب البعد وباب الضحك وباب البكاء وباب الطَّيِّبُ ومن هذا الباب نقطف شيئاً لكثرة استشهاده فيه بالشعر ١ / ٢٤٩ كقوله: « اللطيمة: السوق التي يُباع فيها المسك، قال النابغة الذبياني:

يُطَوِّفُ بِهَا وَسَطُ اللطيمة بائع

... والصَّوَّار: القليل من المسك، والبالَّة: وعاءُ الْمِسْكِ وهو بالفارسية بَيْلَةٌ بين الباء

والفاء، قال أبو ذؤيب:

كَأَنَّ عَلَيْهَا بِالَةً لَطْمِيَّةً لها من خلال الدَّائِتَيْنِ أَرِيحُ

.... والعَبْهَر: التَّرجس، ويقال للياسمين.
... والعَرَار: بهارُ البرِّ، الواحدة عَرَّارة.
... والرَّئْد: الأس.. والرَّئْد: شجر طَيِّب من أشجار البادية.
... يقال عَتَكَتِ المرأةُ فهي عاتكة إذا احمَرَّت من الطَّيب.
والذَّفَر: الرِّيح الطَّيِّبة والمنْتَنَة، ويقال في الطَّيب: أذْفَر وذَفِر، وفي الثَّن: ذَفِر لا غير،
قال:

بَجَوْ مِنْ قَسًا ذَفِرِ الْخَزَامَى تَدَاعَى الْجَرِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا

وآخر باب في الأضداد هو باب السير الشديد واللَّين ١ / ٢٨٨. ويعود بعد ذلك إلى أبواب الموضوعات المتنوعة بألفاظها الدالة عليها على طريقة معاجم المعاني نحو باب الجماعات من الناس وباب الأصوات وباب الألوان وأسماء الطير وسمات الإبل وغيرها.
وقد فتح ثلاثة وأربعين باباً، لأبواب اللغات في الأسماء والأفعال منها اثنان وأربعون مجموعة خاصة بالأمثلة التي وردت على أكثر من صيغة، ومن أمثلة ذلك: «مما جاء على فَعَلٍ وفَعُل: رجل عَضِد وعَضُد: قصر.. ورجل عَجَز وعَجُز: عاجز»، كذلك يقول في مجموعة أخرى: «ومما جاء على فَعَلٍ وفَعُل وفِعْل: يقال شربت شُرْبًا وشَرِبًا وشَرِبًا.. والطَّبُّ والطَّبُّ والطَّبُّ». ومن هذه المجموعات ما كان على ثلاث لغات أو أربع إلى عشر لغات. ومن مجموعات صيغ الأفعال ما يذكره في أول باب منها: «يقال قَرَرْتُ به عَيْنًا، وَلَهَيْتُ وَلَهَيْتُ»، كذلك «رَضِعَ الصَّبِيُّ يَرْضَعُ ورَضِعَ يَرْضَعُ» وقد يأتي الماضي بصيغة واحدة ومضارعه بصيغتين نحو: «وهَذَر في منطقة يَهْذِرُ وَيَهْذِرُ»، ومن أمثلة الصيغ الفعلية قوله: «وليس في السالم من الأفعال على مثال فَعَلٍ وفَعُلٍ إِلَّا فَضِلَ يَفْضُلُ، وَنَعِمَ يَنْعَمُ، وَحَضَرَ يَحْضُرُ». وقد فتح أبواباً تعالج قضايا صوتية وصرفية ونحوية في حديثه عن تعدية الأفعال بحرف وبغير حرف (شغبت عليهم وشغبتهم.. ونَأَيْتُهُمْ ونَأَيْتَ عَنْهُمْ وحللتهم وحللت بهم) وتحدّث عن أحرف الزيادة العشرة وهي سألتُمُونِهَا وأخواتُهَا التي تُزَادُ وهي القَريبة من مَخارجِهَا كالراء والزاي والذال والطاء والجيم وأخواتُهَا على التوالي اللام والسين والتاء والياء وفتح أبواباً للقوافي وعبوبها والضرائر الشعرية.

كان الحديث فيما سبق إجمالاً وبإيجاز عن أبواب المنتخب الذي خالف فيه مؤلفه كراع النمل (ت ٣١٠ هـ) منهج أبي عبيد (ت ٢٢٤ هـ) في الغريب المصنّف وابن

السكيت (ت ٢٤٤ هـ) في تهذيب الألفاظ في إيراد مادته اللغوية، الغريب منها والمألوف بإغفاله معظم مصادره ولم يسند إلا القليل من مادته إلى نفر من العلماء ثمَّن ترددت أسماءهم على صفحات الغريب المصنف وتهذيب الألفاظ السالفي الذكر وكأنه لا مصدر لكتابه سوى ما ذكره في مقدمته ص ٤٥ من قوله: « هذا كتاب بدأت فيه... مما أحاط به علمي، وأتقنه فهمي.. »، فلم يسجل في الجزء الأول مثلاً من كتابه إلا ما نقله عن ابن الأعرابي في موضع واحد (١ / ٥٧)، وفي موضع آخر عن أبي عبيدة ١ / ٦٥، وبقيّة نقوله كانت في الجزء الثاني عن ثلاثين من علماء اللغة واللّغويين كأبي الأسود الدؤلي والأصمعي وأبي الجراح العقيلي والليثاني والمفضل الضبي وأبي عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه والكسائي والفراء وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم.

أمّا منهج كراع النمل في ضبط مفردات المنتخب فقد كان دقيقاً إلى حد كبير، إذ كان يضع الحركات على هيئة الكلمة وآخرها، بحاجة أو دون حاجة؛ بحيث يمكن القول إن ضبطه كان تاماً، وهذه هي الوسيلة الغالبة في الضبط، أقصد وضع الحركات، وقد يستعين أحياناً بعد هذا الضبط بالنص على الحركة والحرف من أجل توضيح الفرق كقوله في ١ / ٥٣: « ويُقال لأصل الثَّدي: الثُّدُوَّةُ، والثُّدُوَّةُ إِذَا ضَمَمْتَ الثَّاءَ تَرَكْتَ الهمزة، وَإِنْ شِئْتَ هَمَزْتَ، وَإِذَا هَمَزْتَ لَا غَيْرُ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً: الضَّرَّةُ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنَ اللَّبَنِ ».

ومثله في ١ / ٢٢١: « والضَّاوي مُرْسَلُ الياء. والضَّاويُّ بِتَشْدِيدِهَا: هُوَ الْمَهْزُولُ ». وفي ١ / ١٨٩: « ورجلٌ شَهْدَارَةٌ بِذال مُعْجَمَةٍ كثير الكلام.. وامرأةٌ رَادَّةٌ بلا هَمْز وهي الطَّوَّافَةُ في بيوت جاراتها ». وقد يستعين أيضاً عند الحاجة بوزن الكلمة كقوله في ١ / ١٧١: « والجُبَّاءُ على مِثَالِ فُعْلٍ. والجُبَّاءُ على مِثَالِ فُعْلَةٍ، والجُبَّاءَةُ على مِثَالِ فُعَالَةٍ، والجُبَّةُ على مِثَالِ فُلَّةٍ: هُوَ الْجَبَّانُ ». وقد يؤكد الضبط إذا كان مختلفاً في الكلمة الواحدة بالنص على الخلاف اللّهجي كقوله في ١ / ٣٣٣: « والكَرَزَنُ والكِرَزَنُ لغتان: فأس لها رأس واحد ». ومن حرصه على تمام الضبط ينص أحياناً على كيفية نطق الحرف، خاصة إذا ما كان اللفظ غير عربي كقوله في ١ / ٣٣٣: « والبَّالَةُ أَيْضاً الجراب وأصله بالفارسية بَالَةٌ بتفخيم الباء بين الباء والفاء ». وفي ١ / ٣٣٤: « والمَذَانِبُ: المغارِفُ واحدها مَذْنِبَةٌ ويقال لها: القَفْشَلِيل وهو بالفارسية قَفْشَلَان بين الجيم والشين ».

وتنوعت وسائل تأدية المعنى في المنتخب وأوّل ما يطالعنا منها هو أن يُسبق المُدخَل بلفظ « يُقال »، وغالبًا ما يكون المُدخَل من الألفاظ المألوفة ومهمة المصنّف في هذه الحالة أن يتلوّه بالألفاظ المرادفة له، الغريب منها والمألوف، نحو قوله في ١ / ٤٦: « يقال للرأس: الضَّرِيبُ لكثرة اضطرابه، والتَّحْماس في لغة حِمير ويقال لجانيبه: الفُودان، والمذروان، والقرنان ».

وفي ١ / ٥٠: « يقال للصّدر: الجَوْش، والجَوْشَن، والجَوْشُوش، والبركة، والبرك، والجَم، والحزيم... ».

وفي ١ / ٨٠: « يقال لقشر الرُّمّان: القِلْفُ، ولقشرة التَّمرة التي بينها وبين النّواة القطمير ».

وفي ١ / ٨٥: « ويُقال لأصل اللّسان: العَكْدَةُ، والعَكْرَةُ ».

وفي ١ / ١٠٤: « ويقال للأسد: أسامة، معرفة لا ينصرف، والضَّيْعَمُ فيَعْل من الضَّغَم وهو العضُّ، ويُقال له: الرُّبَال بالهمز، ويقال بغير همز.. والضَّرغام والضَّرغامَة، ويقال له: العَبَس لِعُبوسه.. والْبَيْهَس، والْهَزْبَر، والدُّلْهَس.. وكذلك اللَّيْث، والهُوَّاس، والقَصْقُص، والقَصَاقِصَة، والشَّرَنْبَث، والأخْزَم، والخُنَابِس، والسَّرْحان: في لغة هذيل، والقَمَيْثَل، والعَوْف، والفُرافِصَة، والقَبْعَثَر، والقُسُور، والقُسُورَة والكَهْمَس، والمِرماس، والمِصَم، والمُمام ».

وفي ١ / ١٣٤: « ويقال لولد الظبية: يَعْفُور، وَيُعْفُر، وَيُعْفَر.

» ويقال لولد الأرنب: الخرنق، والجميع الخرائق، والخُزَز ».

وفي ١ / ٤٣: « يقال للمرأة وَلَدَت، وَوَضَعَت ونَفَسَت، وهي نَفَسَاء ونَفَسَاء، ونَفَسَاء... ».

وفي ١ / ٦٠: « يذكر في باب الطّول سبعين لفظاً للرجل الطويل ومنها:

» يقال للرجل الطويل: الشَّرْعَب.. والصِّلْهَب.. والشَّرْجَب.. والشَّمَقَمَق..

والهَجْرِع... » وللرجل القصير في باب القصر ١ / ١٦٣ — ١٦٤: ستة وعشرين لفظاً منها: « يقال للرجل القصير: الحَبْتَر.. والبُهْتَر، والبُحْتَر، والْحَبْل.. والمتازِف.. والدَّخْداح.. والجُعُوب... ».

وفي ٢ / ٤٤٦: « يقال للماء الكثير: العُلْجُومُ والعَمْرُ والبِلَاقُ والزَّغْرَبُ والغُذَارِم

والهَرهُور... ».

وفي ٥٠٤/٢: « يقال لَبِيْضَةُ الحرب: التَّسْبِغَةُ والجميع التَّسْبِغ، وهي العَرْمَةُ وجمعها عَرَمَات، وهي التَّرْكَةُ والجميع التَّرْكُ، والخَيْضَةُ ».

وفي ٥٠٥/٢: « يقال لجملة السلاح: البَزُّ، والبَزَّةُ، والشُّكَّةُ، والأَوْزَارُ، والزَّعَامَةُ، والسَّنُورُ، والدُّرُوعُ ».

وفي ٥٣٨/٢: « يقال للجبان: النَّفْرَجُ، والنَّفَرَجَةُ، والنَّفَرِجَاءُ، والنَّفَرَاَجُ، أربع لغات ».

وقد يُؤدَّى المعنى بطريقة معاكسة للأسلوب الآنف الذكر بحيث يذكر المترادفات التي تغلب عليها الغرابة ثم يتلوها لفظ مألوف غالباً لبيان دلالة المترادفات السابقة عليه نحو قوله في ٩٠/١: « رَيْعَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعُغْنُفَوَانُهُ، وَرَيْقُهُ، وَرُبَّانُهُ، وَحِدَثَانُهُ: أَوَّلُهُ » وفي ٩١/١: « الكَاخُ والكُوْحُ والكيحُ: ناحية الجَبَلِ ».

وفي ١١٣/١: « البُوْهُ، والبُوْهَةُ والوَلْوُلُ: ذَكَرُ البُومِ ». وفي ١٣٧/١: « البَاهُ والبَاءُ، والبَاءَةُ، والبَاهَةُ، والسَّرُّ، واللِّزَاقُ، واللَّهُوُ: كُلُّ النِّكَاحِ ».

وفي ١٥٣/١: « العَلُّ، واليَفْنُ، والحوَقْلُ، والقَشْعَمُ، الكبير...، والقرْهَبُ، والقرْهَمُ: المُسَنُّ من البقر ».

وفي ١٥٤/١: « الشَّهْلَةُ، والقَنْفَرِشُ، والجَحْمَرِشُ، والشَّهْرَبَةُ، والشَّهْبَرَةُ مقلوب، والصِّلَقَمُ، والعَيْضُمُوزُ، والفرشاحُ: الكبيرة » أي المرأة الكبيرة.

وفي باب الحَمَقُ وضعف العقل والجنون يذكر نحو خمسة وثلاثين من الألفاظ المترادفة التي تعني الرجل الأحمق، وقد أوردتها على هذا الأسلوب نحو قوله في ١٥٦/١ - ١٥٧: « الهَفَاتُ، واللَّفَاتُ، والهلْبَاجَةُ، والتَّعْبِقُ، والأَعْفَلُ، والرَّطْيُ، على مثال فَعِيل، والعبامَاءُ، والهَوَاهَاةُ، والباحرُ، والهَجَرَعُ، والفصلُ، والهلْبُوْثُ، والعَفَخَجَجُ، والخَضَاضُ، والعَدْرُ، والجَحَابَةُ، واليَهْفُوفُ، والدَّفْنَسُ، والدَّفْنَسُ، والأَوْرَةُ، والرَّطِيْطُ، والرَّطْلُ، والمرأة رَطْلَةٌ، والطَّيْطُ، والمرأة طَيْطَةٌ، والبُوْهَةُ، والجُعْبُسُ، والفَدِشُ، والخَوْعَمُ، والدَّاعِكُ، والدَّوَى، والعَجَّانُ والعَفَالِلُ، والقَنْدَعْلُ، والقَنْدَعْلُ، والليَاغَةُ، والمدِشُ والوَعْبُ، والوَعْبُ، والهَيْدَبُ: كُلُّهُ الرجل الأحمق ».

وفي ١٦٥/١: « الجِعْنُظَارُ، والجِنْعِطُ، والجِنْعِيْطُ، والجِنْعُظُ، والجَنَعْرُ، والجَنَبْرُ كُلُّهُ: القصير الغليظ ».

وفي ٥٣٨/٢: « والحَزَاقَةُ، والحَزَقَةُ، والحازِقَةُ، والحَزِيقَةُ، والحَزِيق: جماعة الناس خمس لغت ».

وفي ٥٣٩/٢: « الخازِبازُ، والخازِبازُ، والخزِبازُ: ذباب يلسع، ثلاث لغات... والخَفَارَةُ، والخَفَرُ: الحياءُ، لغتان ».

ومن أساليب تأدية المعنى في المنتخب أن يذكر الكلمة ومعناها أو مرادفها أو ترجمتها بعدها مباشرة كما هو الحال في المعاجم نحو قوله في ٨٨/١: « القاموس: وسط البحر ».

وفي ٩٢/١: « الفودان: جانب الرأس ». وفي ٩٨/١: « الصَّهْوَةُ: مَقْعَدُ الفرس ».

وفي ١٠٨/١: « المهرْمُسُ: الكَرَكَدَن » وفي ١١٠/١: « الحَجَلُ: الحرباء ».

وفي ١١٢/١: « وأَلْعَثَرُ: الذُّباب »، وفي ١١٣/١: « اليَعْقُوبُ: ذَكَرُ الحَجَل ».

وفي ١٢٠/١: « العُتْرَفَانُ: الديك... العتريس: الشيطان ». وفي ١٣٠/١:

« الفاسياء: الخُنْفَساء » وفي ١٣٥/١: « الياْموم: فَرَخُ النَّعَامَةِ » وفي ١٥٧/١: « التَّعْثَلُ:

الشَيْخُ الْأَحْمَقُ ». وفي ١٥٨/١: « الرَّعْبَلُ: المرأةُ الحَمَقَاء ». وفي ١٧٠/١: « العَتَرُ:

الشجاع ». وفي ١٧١/١: « الوَرَع: الجبان... والجَبَس: الجبان الضعيف... والرَّعْدِيد:

الجَبَان ». وفي ١٧٣/١: « العُتْلُ: القَوِيُّ الشَّدِيد »، وفي ١٧٨/١: « السَّيْنِع: الحسن

الفاضل... الْأَسْحَح: الْمُعْتَدِلُ الخُلُق » وفي ١٧٩: « الرُّعْبُوبَةُ: البَيضاء، والهَيْفَاء: الضامرة

البطن، والأْمْلُود: الناعمة، والعَادَةُ: الناعمة اللينة » وفي ١٨٥/١: « الْأَرِيحِي: الذي

يرتاح للنَّدَا، والكُوَثَرُ: الكثير العطاء والخير » وفي ١٩٣/١: « والوَقَاقَةُ: الكثيرة الكلام

». وفي ٢٨٨/١: « الْعُصْبَةُ: من الْعَشْرَةِ إلى الأربعين » وفي ٤٨٦/٢: « الهَيْمَان:

العطشان » وفي ٤٨٧/٢: « الْوَقْس: الجَرَب » وفي ٥٦٩/٢: « الضَّبُّطَر: الشديد..

والقَزَعْل: اللثيم الخسيس » وفي ٥٧٣/٢: « الْعَثِير: الغبار ». وفي ٦٦٦/٢: « الْجَزْر:

الْقَطْع »، « وَاللَّهْزَمُ: السيف القاطع »، وفي ٦٧٢/٢: « الْقَضْع: الْقَهْر »

وفي ٦٧٢/٢: « النَّضْر: الذهب » وفي ٧٧٦/٢: « الْحَاتِم: الْغُرَاب ».

وكان التعريف كذلك من وسائله في تأدية المعنى كما في قوله عن لُبْدَةِ الْأَسَد

٥٤/١ هي: « الشَّعْرُ الزَّائِدُ عَلَى شَعْرِ بَدَنِهِ إِلَّا أَنَّهُ يَرْفَعُ إِلَى حَدِّ الْقَفَا مِنْهُ ». وفي ٧١/١:

« الْكَعْبَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ: عَظْمَانِ شَاخِصَانِ عَنْ يَمِينِ الْقَدَمِ وَشِمَالِهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّاقِ ».

وفي ٧٣/١: « الأَبْهَرُ: عِرْقُ يَسْتَبْطِنُ الصُّلْبَ وَالْقَلْبَ مُتَّصِلٌ بِهِ فَإِذَا انْقَطَعَ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ حَيَاةً ».

وفي ١٠١/١: « وَالزَّمْعُ: الشَّعْرُ الزَّائِدُ فَوْقَ ظِلْفِ الشَّاةِ وَالْأَرْنَبِ، وَالوَاحِدَةُ زَمْعَةٌ.. » وفي ١٣٣/١: « السَّمْعُ: وَلَدٌ يَقَعُ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالضَّبْعِ، فَيَجْمَعُ خُبْثَ الذَّنْبِ وَقُوَّةَ الضَّبْعِ ».

وفي ١٦٩/١: « الْبُهْمَةُ: الشُّجَاعُ الَّذِي لَا يُدْرِي مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى كَالْحَلَقَةِ الْمُبْهَمَةِ ».

ومن هذا النمط في تأدية المعنى في ٤٧١/٢: « الْكُدُونُ وَاحِدُهَا كِدْنٌ وَهُوَ ثَوْبٌ تُوْطِيءُ بِهِ الْمَرْأَةُ لِنَفْسِهَا فِي هَوْدَجِهَا، وَيُقَالُ هِيَ الَّتِي تَكُونُ عَلَى الْخُدُودِ.

وَالْبُرْقُعُ وَالْبُخْنُقُ وَاحِدٌ، وَالْجَبْحُنُقُ: خِرْقَةٌ تَلْبِسُهَا الْمَرْأَةُ تُغْطِي بِهَا مَا قَبْلَ مِنْ رَأْسِهَا، وَمَا دَبَرَ غَيْرَ وَسَطِ رَأْسِهَا، وَيُقَالُ لَهُ بُخْنُكَ أَيْضاً بِالْكَافِ ». وفي ٤٧٥/٢: « الْاضْطِبَاغُ: أَنْ يَدْخُلَ الثَّوْبُ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ الْيَمْنَى فَيَلْقِيهِ عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْسَرِ، وَهُوَ أَيْضاً التَّائِبُطُ ». وفي ٦٤٤/٢: « الْمَلَّةُ: وَهِيَ التَّرَابُ الَّذِي أَوْقَدْتَ عَلَيْهِ النَّارَ وَمَا طُرِحَ عَلَى النَّارِ لِيُخْبِزَ فَهُوَ الْمَلِيلُ... وَالْعَقِيقَةُ وَهِيَ شَعْرُ الصَّبِيِّ الَّذِي يُولَدُ بِهِ فَكَانُوا يَحْلِقُونَهَا عَنْهُ يَوْمَ أُسْبُوعِهِ وَيُهَرِّيقُونَ عَنْهُ دَمًا فَكَثُرَ ذَلِكَ عَنْدهُمْ حَتَّى جَعَلُوا الذَّبِيحَةَ عَقِيقَةً... وَالْغَانِيَةُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي غَنِيَتْ بِزَوْجِهَا عَنِ الرِّجَالِ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سَمَوْا النِّسَاءَ كُلَّهُمْ غَوَانِي، وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ:

أَيَّامَ لَيْلَى عَرُوبٌ غَيْرُ غَانِيَةٍ وَأَنْتَ خَلَوُ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْفِكْرِ

وفي ٧٢٣/٢: « التَّاسِيسُ إِنَّهُ الْأَلْفُ الَّتِي يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَافِيَةِ حَرْفُ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

كَلَيْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٌ

فَلَا بَدَّ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفِ. وَأَمَّا التَّوْجِيهِ فَهُوَ الْحَرْفُ الَّذِي بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفِ وَبَيْنَ الْقَافِيَةِ » وفي ٧٢٤/٢: « وَالرَّدْفُ: أَلْفٌ أَوْ وَاوٌ أَوْ يَاءٌ يَلِيَنَّ حَرْفَ الرَّوِيِّ وَلَا يَكُونُ الرَّدْفُ إِلَّا سَاكِنًا ».

ومن الوسائل التي استخدمها صاحب المنتخب في تأدية المعنى أن يضع المدخل ومعناه في أسلوب شرط يُقَدَّمُ فِيهِ الْمَدْخَلُ عَلَى أَدَاةِ الشَّرْطِ وَالْمَعْنَى بَعْدَهَا كَقَوْلِهِ فِي ٨١/١: « وَقَدْ قَنَبَهُ: إِذَا وَارَاهُ » وفي ٨٤/١: « وَقَدْ حَنَبَتِ النَّخْلَةُ: إِذَا رَقَّ أَسْفَلُهَا وَانْجَرَدَ كَرْبُهَا » وفي ١٠٢/١: شَاةٌ رَعُومٌ: إِذَا سَالَ مَخَاطُهَا مِنَ الْهَزَالِ. « وَارْمَعْلُ الصَّبِيِّ

ارمغلاً: إذا سال لُعَابُهُ وَمُخَاطُهُ». وفي ١٢٨/١: «قِيلَ حِمَارٌ نَعْرٌ إِذَا كَانَ لَا يَسْتَقِرُّ فِي مَوْضِعٍ» وفي ١٤١/١: «يُقَالُ ضَنَّتِ الْمَرْأَةُ وَضَنَّتْ وَأَضَنَّتْ: إِذَا كَثُرَ وَلَدُهَا». وفي ١٥٣/١: «يُقَالُ اذْهَمَّ «الرجل» فَهُوَ مُذْرَهَمٌ: إِذَا كَبِرَ وَضَعُفَ». وفي ٢١٧/١: «يُقَالُ تَوَهَّزَ، وَتَوَهَّسَ تَوَهُّسًا: إِذَا وَطِئَ وَطْئًا ثَقِيلًا» وفي ٢٢٩/١: «كَعَتَرَ إِذَا تَمَاطَلَ كَالسَّكَرَانِ».

وفي ٢٣١/١: «يُقَالُ خَامَرَ الْمَكَانَ وَخَمَرَهُ: إِذَا لَمْ يَبْرَحْهُ» وفي ٢٣٢/١: «وَمَا ظَلَّتْهُ مُمَاطَةٌ وَمُظَاطًا: إِذَا لَزِمَهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ فِي خُصُومِهِ أَوْ غَيْرِهَا». وفي ٢٣٣/١: «وَرَازَمَ الْقَوْمَ دَارَهُمْ: إِذَا أَطَالُوا الْإِقَامَةَ فِيهِ» وفي ٢٣٧/١: «يُقَالُ لَمْ يَتَرَمَّرَمْ، وَلَمْ يَنْبَسْ: إِذَا سَكَتَ»، وفي ٢٤١/١: «قَدْ اعْتَنَزَ: إِذَا تَنَحَّى وَتَبَاعَدَ»، وفي ٢٤٣/١: «يُقَالُ فَحِمَ الصَّبِيُّ يَفْحِمُ فُحُومًا وَفَحَامًا: إِذَا بَكَى حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتُهُ»، «وَقَدْ ابْرُنَشَقَ الرَّجُلُ: إِذَا فَرَحَ فَهُوَ مُبْرُنَشَقٌ». وفي ٤٧٤/٢: «يُقَالُ أَفْجَى الثَّوْبِ: إِذَا أَسْرَعَ فِيهِ الْبَلَى» وفي ٤٧٩/٢: «يُقَالُ أَقْرَنَ الدُّمْلُ: إِذَا حَانَ أَنْ يَتَفَقَّأَ، وَأَقْرَنَ الدَّمُ وَاسْتَقْرَنَ: إِذَا كَثُرَ» وفي ٤٨٣/١: «حَرَصَ الْقَصَّارُ الثَّوْبَ: إِذَا شَقَّهُ». وفي ٥٠١/٢: «يُقَالُ رَمَوْا رَشْقًا وَرَشَقَيْنَ: إِذَا رَمَوْا بِجَمِيعِ سَهَامِهِمْ». وفي ٥٠٩/٢: «يُقَالُ لَفَقْتُ عَيْنَهُ لَقًا وَلَمَقْتُهَا لَمَقًا: إِذَا ضَرَبْتَهَا بِيَدِكَ مَبْسُوطَةً». وفي ٥٢٧/٢: «يُقَالُ رَزَحَتِ النَّاقَةُ.. إِذَا سَقَطَتْ»، وفي ٥٥١/٢: «قَحَلَ الشَّيْءُ وَقَحَلَ: إِذَا بَيَسَ».

وفي ٥٥٣/٢: «جَنَحَ - يَجْنَحُ وَيَجْنَحُ: إِذَا مَالَ...» وفي ٥٥٦/٢: «يُقَالُ تَصَوَّحَ الْبَقْلُ وَتُصَيِّحَ: إِذَا بَيَسَ». وفي ٥٦٠/٢: «أَحْصَنَ فَهُوَ مُحْصَنٌ: إِذَا تَزَوَّجَ». وفي ٥٩٠/٢: «يُقَالُ حَرَفَ فُلَانٌ لِأَهْلِهِ وَاحْتَرَفَ: إِذَا اكْتَسَبَ».

وقد تكون تأدية المعنى بعكس ذلك يأتي فيه المعنى بصورة شرط مقدم والمدخل المراد معناه في جواب الشرط، وقد ورد بكثرة ومنه قوله في ٧٩/١: «إِنْ كَانَ الْجِلْدُ أَبْيَضَ فَهُوَ: قَضِيمٌ، وَإِنْ كَانَ أَحْمَرَ فَهُوَ: أَدِيمٌ، إِنْ كَانَ أَسْوَدَ فَهُوَ يَرْتُدَجُ، وَأَرْتُدَجُ، وَأَصْلُهُ بِالْفَارْسِيَّةِ: رَنْدَةٌ» وفي ٨١/١: «إِذَا كَانَ نِقَابُ الْمَرْأَةِ عَلَى الْأَنْفِ فَهُوَ اللَّثَامُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى طَرَفِ الْأَنْفِ فَهُوَ اللَّفَامُ، بِالْفَاءِ» وفي ١٤٠/١: «يُقَالُ لِلْأَتَانِ أَوَّلُ مَا تَحْمِلُ: أَتَانٌ جَامِعٌ، فَإِذَا اسْتَبَانَ حَمْلُهَا وَصَارَ فِي ضَرْعِهَا لَمْعٌ سَوَادٌ فَهِيَ مُلْمَعٌ» وفي ١٤٤/١: «إِنْ مَاتَ وَلَدُهَا «النَّاقَةُ» أَوْ ذُبِحَ سَاعَةً يَقَعُ فِيهِ سَلُوبٌ، فَإِنْ عَطِفَتْ عَلَى غَيْرِ وَلَدِهَا فَرَكَمَتْهُ فِيهِ رَائِمٌ، فَإِنْ لَمْ تَرَأْمَهُ وَلَكِنِهَا تَشْمُهُ فِيهِ عُلُوقٌ.. فَإِنْ عَطِفَتْ عَلَى غَيْرِ وَلَدِهَا

غيرها فهي يَسْطُ « وفي ١٤٦/١: « يُقال لولد الإنسان... إذا قاربَ الحُلْمَ فهو يافِعٌ.. فإذا احتلَمَ فهو حالِمٌ ومُدْرِكٌ... وإذا بلغ إلى أقصى السِّنِّ فهو هَرَمٌ، فإذا ذهب عقلُه من الكبر فهو: خَرِفٌ، وهمٌ ». وفي ١٥١/١ « أول ما يولد الظبي فهو طلاً ثم خشفٌ، فإذا طلع قرنَاهُ فهو شادنٌ، فإذا قوي وتحرك فهو شَصْرٌ والأُنثى شَصْرَةٌ ورشاً وجاذلٌ.. » وفي ٤٧٧/٢: « أولُ المرضِ الدَّعْثُ.. فإن كان داء لا يُبرأ منه فهو: ناجسٌ ونَجِيسٌ وعُقَامٌ.. » وفي ٥٠٠/١ « يقال للسهم إذا مرَّ ولم يقصد: عَظَظَ فهو مُعْظَظٌ ». وفي ٥٠٦/٢: « وإذا خالطت الطعنة الجوف: فذلك الوَخْضُ والوَخْطُ والوَخْزُ » وفي ٥١١/٢: « رجل قُعْدُدٌ وقُعْدَدٌ: إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر وهم دَمٌ، وإذا كان كثير الآباء: فهو الطَّرِيف وهو مَذْحٌ ».

وفي ٥٢٧/٢: « رجل خفيف وخَفَافٌ وعَرِيضٌ وعَرَاضٌ وطويل وطَوَالٌ فإذا اسْرَفَ في الطول قيل: طَوَالٌ ».

وقد يستعمل صاحب المنتخب « أي » التفسيرية بين المدخل ومعناه كقوله في ٥٢/١: « وقع كذا في خَلْدِي؛ أي في قلبي ». وفي ٧٩/١: « فلان حَسَنُ البَلَاطِ أي الجَلْدِ »، وفي ٨١/١: « أرادوا أن يظَّارَوْها؛ أي يعطفوها على ولد غيرها... » وفي ٨٨/١: « خَلَّ عن لقاة الطريق ووضَّحه: أي عن وَسَطِهِ ». وفي ٨٩/١: « رجل من عِلْيَةِ الرُّجَالِ وعِلْيَةِ الرُّجَالِ: أي من أعلاهم ».

وفي ٩١/١: « هو على خَفَفٍ أَمْرٍ، وصيرَ أَمْرٌ: أي ناحية منه »، ويقال « أَخْصَبَتْ أعراض المدينة: أي نواحيها ». وفي ٩٧/١: « يَنْفُضُ أي يتحرك » وفي ١٠٠/١: « هو طويل العَوَلَقِ: أي الذَّنْب من كل شيء » وفي ١٠٤/١ « خرج القوم يَتَرَيِّلُون أي يَتَصَيِّدُون ». وفي ١١٢/١: « يقال للقداد:.. واللُّبُود؛ لأنه يَلْبُدُ بالأرض أي يَلْصِقُ ». وفي ١٢٤/١: « جابَ قرْنُها أي شَقَّ اللحمَ للطلوع ». وفي ١٢٩/١: « وقد تَقَنَّفَعَتْ أي تَقَبَّضَتْ ». وفي ١٥٥/١ « وطُنْتُ لهذا الأمر جِرَوتِي أي نفسي » وفي ١٥٥/١: « هو يَقْرَأُ القرآن بالسَّليقة أي بطبع لا بتعلُّم ». وفي ١٥٦/١: « به مُسَكَّةٌ: أي عقل ورأي يُرْجَع إليه ». وفي ١٥٧/١: « وفيه نُعْتَلَةٌ: أي حُمُق ». وفي ١٧٦/١: « وفي فلان فَكَّةٌ: أي استرخاء في رأيه »، وفي ١٨٢/١: « والمرأة عُمْدٌ آنيَّة: أي ذات جسمٍ وعبالة ». وفي ٢٠٠/١: « فلان لا يَقْرَعُ: أي لا يرتدع »، وفي ٢٢٠/١: « ما بالنَّاقَةِ هائَةً: أي ما بها شَحْم ». وفي ٢٢٩/١: « زَلَفْنَاهُمْ: أي تقدَّمنا وسَبَقْنَا ». وفي ٢٣٧/١: « ما بَسَّ ».

بكلمة: أي ما نطق. « وفي ٢٣٦/١: « يقال رجل فيه لخلخائية: أي عجم ». وفي ٤٨٢/٢: « يقال بعينة هذب وحذب: أي عمش ». وفي ٥٠٧/٢: « جفله: أي صرعه.. ألقاه على قطره وقطره، أي جانبه... أو هطه إيهاطاً: أي صرعه صرعة لا يقوم منها، ويقال تدرى: أي تدهدى » وفي ٥٣٠/٢: « ملاوة الدهر وملاوة وملاوة أي حيناً... وفي صورته رفاعه ورفاعة أي ارتفاع » وفي ٥٥٥/٢: « وأثوت بالرجل أثيت به: أي وشيت به ». وفي ٥٥٦/٢: « هو في صبابة قومه وصوابة قومه أي في صميم قومه ». وفي ٥٨٥/٢: « أعطيته عطاءً بئراً: أي كثيراً ». وفي ٥٩٩/٢: « شيء تافه نافة: أي حقير.. سهد مهذ: أي حسن، وما به حبض ولا تبض: أي ما يتحرك... ».

كذلك لم يفته أن يضع المذخل في تركيب غير إسنادي وصفي أو إضافي من أجل الوصول إلى المعنى بدقة نحو قوله كما في السياق الإضافي في ٧٠/١: « دأيات العنق: فقره » وفي ٨٥/١: « عكدة الفرس: أصل ذنبه »، وفي ٨٦/١: « قحاح الأمر: أصله وخالصه، وأصل الجدار: أساسه، وأصل جهنم: الدرك » وفي ٨٧/١: « أس كل شيء: أصله... وعمود القلب: وسطه » وفي ٨٨/١: « بحبوحه كل شيء: وسطه وخياره، وباحه الدار.. وقاعتها: وسطها، وبعكوكه الش: وسطه، وبيضة القوم: وسطهم.. وخر الوجه: وسطه، ومعجرم البعير: وسطه وسنائه، ومناب الفلاة: وسطها ». وفي ٨٩/١: « عليّة كل شيء: أعلاه.. وسماوة كل شيء: أعلاه، وعرعرّة السنّ والجبل: علوّهما، وقمة الرأس: أعلاه ». وفي ٩٠/١: « ريعان كل شيء وعنفوائه، وريقه، وربائنه، وحداثته: أوله، وفوغة كل شيء: أوله.. وعذبة كل شيء: طرفه ». وفي ٩١/١: « عرض الشيء: ناحيته ». وفي ٩٤/١: « مارن الأنف: ما لان منه » وفي ٩٦/١: « سواد القلب: حبه ». وفي ٩٧/١: « إنسي القدم: ما يلي الإبهام ». وفي ٥٣٢/٢: « حوبة الرجل وحوبته كلاهما أمه ». وفي ٥٣٣/٢: « عدوة الوادي وعدوته: جانبه ». وفي ٥٣٤/٢: « ذروة الشيء وذروته: أعلاه » وفي ٥٤٦/٢: « ملك الطريق، وملكه وملكه: معظمه ». وفي ٥٧٢/٢: « عجاساء الليل: ظلمته ». وفي ٥٨٠/٢: « فقاح كل نبت: زهره ».

أما التركيب الوصفي ففي مثل قوله في ٥٠٦/٢: « الطعنة السلكى: المستقيمة »، « الطعنة النجلاء: الواسعة »، وفي ٥٠٩/٢: « رجل عضدّ وعضدّ: قصير.. وليل خدر: مظلم، ومكان عطش وعطش: قليل الماء... ورجل يقظ إذا سهر من هم أو علة فإن كان

ذلك عادة له قيل: يَقُظُ. وفي ٥١١/٢ « رجل قُعْدُدٌ وقُعْدَدٌ: إذا كان قريب الآباء.. »
وفي ٥١٨/٢: « رجل قاق وقوقٌ وقيق للقيح الطويل »، « ورجل جَحْدٌ ومُجَحْدٌ:
قليل الخير ». وفي ٥٢١/٢ « رجل صَدْعٌ وصدْعٌ: خفيف اللحم ». وفي ٥٢٢/٢: « ناقةٌ
عَجَلْزَةٌ وعَجَلْزَةٌ: قوية » وفي ٥٧٣/٢: « رَجُلٌ طَرِيمٌ: عظيم »، « وقِسْمَةٌ ضَمِيرِي:
ناقصة ».

ومما يضاف إلى وسائله في تأدية المعنى التفاته إلى الاشتراك اللفظي والتضاد
بوصفهما من عناصر الحقول الدلالية التي تستكمل فيه الألفاظ معانيها من خلال مرادفاتهما
وهو أمر قد فرغنا منه، أو من خلال أداء المعاني المختلفة التي يؤديها لفظ واحد وهو
المشترك اللفظي كما جاء في ٦٧٧/٢: « النَّعَامَةُ: الجهل، والنَّعَامَةُ: الطريق، النَّعَامَةُ:
الظُّلْمَةُ، النَّعَامَةُ: صدر القدم، النَّعَامَةُ: الخَشْبَةُ التي تُعلَقُ عليه البَكْرَةُ للاستسقاء، النَّعَامَةُ:
العَلَمُ من الحجارة، وكل بناء يبني على الجبال كالظُّلَّة فهو نَعَامَةٌ، والنَّعَامَةُ: دماغ الفرس،
والنَّعَامَةُ: الطويلة من الأراك ».

ومما يلفت النظر كذلك في المنتخب أن كراع النمل كان يلجأ أحياناً إلى
الاشتقاق، أقصد مشتقات المدخل وما يعرض لها من معان مختلفة في سياقات استعمالها
ففي اشتقاقات « عَنْ » ٦٢٢/٢ يقول: « يقال عَنْ الأمرِ يَعْنُ عَنَّا: عَرَضَ، والاسم
العَنْ، واعتَنَ اعتنائاً، افتعل منه وهو الاعتراض، ويقال عُنَّاكَ أن تفعل ذلك، من المُعَانَةِ
وهي المعارضة، وذلك أن تريد أمراً فيعرض لك دونه عارضٌ يمنعك منه ويحبسك عنه،
ويقال رجل عَنِينٌ، فعِيلَ منه: محبوس عن غشيان النساء ممنوع من ذلك، وامرأة عَنِينَةٌ.
ومنه أخذَ عَنانُ الدابة لأنها يحبسها. والعَنَانَةُ: السحابة التي تمسك الماء وجمعها عَنَان.
والعَنِيَّةُ بَوْلٌ يُطال إنقاعُهُ وتخلط معه عقاقير تُعالجُ بها الإبل الجَرَبِي. ويقال: عَنَّتِ المرأةُ
شعرها تَعْنِيَاناً: إذا شَكَلَتْ بعضه ببعض، والعُنَّةُ: حَظِيرَةٌ تُحْبَسُ بها الغنم، وهي أيضاً تجعل
من خشب للإبل، وعُنَّةُ الإبل: الدَّقْدَقَان؛ لأنها يمنعها أن تُهْرَاقَ، وعنان الدار: جانبها الذي
يَعْنُ لك، ويقال: « الإبل من عَنان الشيطان » أي يُعارضُها. وشَرِكَةُ عَنان: أن يعارضُ
الرَّجُلُ الرَّجُلَ عند الشَّرَى قبل استيحابه، فيقول أشْرِكْنِي معك وقد عَانَهُ مُعَانَةً وعِنَاناً،
ويقال شَرِكَةُ عَنان، إذا كانوا سواء في العَلَقِ؛ لأن عَنان الدابة يكون طاقين ».

ويمكن أن نأخذ عليه في باب أداء المعاني أنه كان يؤدي معنى اللفظ بمرادف أكثر
خفاء وغموضاً من المدخل كقوله في ٧١/١: « الرُّضْفَةُ: عَظْمٌ بين الحَوْشَبِ والوظيفِ

ومُلْتَقَى الْجَبَّةِ « وكقوله في ٨٢/١: « يقال لغلاف القارورة: العفّاص، والسّاجول، والعنْجُورَة ». وكقوله في ٩٧/١: « الحراكيك: الحرافق، واحدها حَرَكَلة » وقوله في ١٢٠/١: « يقال للعقاب: السّهوم » وفي ١٢٢/١: « السّبر: العقق »، وفي ١٢٤/١: « يقال للنعجة: الطوبالة، والهمجة، فإن كانت مهزولة فهي الهرطلة.. » وفي ١٣٧/١: « دَهَفَشَ الرجل المرأة: جَمَّسَهَا ». وفي ٢٥٠/١: « الضومران، والضيمران والضمران: الشاهسفرم، وهو أيضاً العنْجَج » الرئف: بهرامج البرّ «.

وفي ٢٥١/١: « والطحمة: القاقل » وفي ٢٦٧/١: « الجوع: الخنثار ». وفي ٥٧١/٢: « العباءة: القدم الأحمق » وفي ٥٧٤/٢: « والقفعرى: أن يجلس مُستوفزاً، وقد اقْعَنَفَر » وفي ٥٩٥/٢: « يقال رجل أغرل وأرغل للأقف ».

هذا عدا أنه كان في بعض الأحيان، يذكر المفردات دون معانيها خاصة في باب زوائد الكلم في الجزء الثاني نحو: كَهْرُورَة ٦٨٤/٢ وسُنْهُمْ وزُرْقَم وفُسْحَم وِخْلَجَم ٦٩٠/٢، وتنبال وتقصار ٦٩٠/٢، وِخْلَبُوت وسَلْبُوت ٦٩١/٢، ومُكْمَهْل، وتُخَوْرَش، وِخْلَفَلْ وعَفْنَقَس، وعَفْنَجَج، وعَلَجَن، وِخْلَبَن، ورَعَشَن ٦٩٢/٢، وعَنْسَل، وطَيْسَل ٦٩٣/٢، وعَوْلَق، وفَوْهَد، وعَصُود، وجَلُواخ، وِدْرُواس، وعُسْلُوج، وقِيصُوم وعِيْشُوم ٦٩٥/٢، وفيهَج وجِيْدَر ودَيْلَم، وحِذِيْم وطَرِيْم وكَدِيُون وعِذِيُوط ٦٩٦/٢.

والجَمْزى، والبَشْكى ٦٩٨/٢، وعَبُوْتَرَان وعَرِيْقَصَان وهَزْ نِيْزَان وبُنِيْزَان ٦٩٩/٢ وجَسْرَب وِشْرَجَب وسلْهَب ٧٠٦/٢. ومنه ما جاء في الجزء الأول (٦٤/١): على سبيل المثال « يُقال خَتَّى الثورُ يَخْتِي خَتِيًّا، وواحدُ أخْتاء البعير: خَتِيٌّ.. ووَتَم الذباب، وذَقَط.. ودَحَصَت الدجاجة.. ».

ومما يجدر أن نلفت النظر إليه في المنتخب هو عنايته بالألفاظ الأعجمية فقد بلغ ما نصَّ على أعجميته مئة وثلاثة وسبعين لفظاً من ضمنها الباب الذي فتحه بعنوان « باب ما دخل من لغات العجم في لغات العرب » (٦٠٠/٢ — ٦٠٣)، وغالباً ما كان يحرص على بيان أصل الكلمة خاصة إذا كانت من أصل فارسي، هذا غير بيان معناها كقوله في ٦٠٠/٢: « ترميهم بحجارة من سجيل »^(١) أصله بالفارسية: سَنَكْ كُلُّ، أي حجر من طين « وفي ٦٠٢/٢: « وطبرستان: أصله تَبْرَاسْتَانُ تفسيره: موضع الفأس؛ لأن الموضع

كان كثير الشجر فُقطع بالفأس وُبُنيت فيه المدينة « وفي ٦٠٣/٢: « والفَيْشَنجَاةُ: رئيس المجلس، أصله بالفارسية بَيْشَكَاه ». وقد يأتي أحياناً بالكلمة العربية ويذكر ما يرادفه أو يقابله في الفارسية وكان اللفظ الفارسي أكثر شيوعاً فيعرفُ به اللفظ العربي كقوله في ٤٠٨/١: « الشَّجَار: الخَشْبَةُ التي تُجْعَل خَلْف الباب يوثق بها وهي بالفارسية المَثْرَس «(يقصد المتراس) وتفسير الأمان « وقد يذكر اللفظ الأعجمي مرتين مع ما يقابله العربي، واللغة المنقول عنها كقوله في ٤٣١/٢ « الطُّور: اسم للجبل وهو بالسريانية: طُورَى « ومرة أخرى دون لغتها الأصل: « الطور: الجبل، أصله طُورَى ».

وكما استشهد للفظ سَجِيل بآية قرآنية، قد يحتاج بالشعر كذلك كقوله في ٦٠٢/٢ « وقول الأعشى: رجالَ إِيادَ بأجِيادِها يعني الأكسية، أصله بالنبطية: جُوديا ». ويبدو أن كراع النمل كان على دراية باللغة الفارسية فأغلب تأصيله اتجه إلى الألفاظ المعربة عن اللغة الفارسية، وإن لم يهمل الأصول غير الفارسية وهي قليلة كالسريانية والعبرية والرومية والنبطية، وما سَمَّاه بالخورانية في قوله تعالى: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾^(١).

والحديث عن تنوع أصول الألفاظ المعربة في المنتخب ينقلنا إلى التنوع اللهجي الذي تطرَّق إليه كراع النمل في مئة موضع من الكتاب أغلبها من لغة أهل اليمن وبلحارث بن كعب وحمير بتأثير من أصوله اليمانية التي ينتهي نسبه إليها فهو أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي الأزدي، والهنائي نسبه إلى هُناة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، فهو أزدي من بني الحارث من كعب وهو بهذا يكون قد سبق ابن دريد فيما فعله في الجمهرة من استشهاده بكثرة من لهجة أهل اليمن، وهو الأزدي أيضاً.

وكانت أغراض الاحتجاج بلهجات العرب موزعة على جوانب اللغة كالاختلاف الدلالي كالسُدفة في لغة تميم تعني الظلمة وفي لغة قيس الضوء ٥٨٤/٢، ولمقت الكتاب ألمقه لمقا: كتبه في لغة عقيل ولمقته محوته في لغة قيس ٥٨٤/٢، والسَّامد في لغة طيء: الحزين وفي لغة أهل اليمن: اللاهي اللاعب ٥٨٨/٢، وهو تنوع دلالي سمَّاه اللغويون التضاد، ومن الترادف عند أهل اليمن مثلاً إطلاقهم على الهلال ألفاظ الجلم، والطالع،

(١) ٢٣ - يوسف.

والطَّوْس، والعُقَيْف ٢٨٥/١ وولد الأسد يُطلق عليه عند أهل عُمان الفرهود والقِسْمِل ١٣٣/١ ويطلق على الذئب الصُّنْع عند أهل اليمن والعلوش في لغة حمير ١٠٥/١.

ومما سجَّله من اختلاف لهجي في الجانب الصربي لغة بني الحارث بن كعب وطيء في صيغة: بَقِيَ يَبْقَى وَفَنَى يَفْنَى وهي كما يقول لغة شاذة ٥٦٠/٢ يقصد أنهما عند بقية العرب بَقِيَ وَفَنَى. ومن هذا القبيل ما أورده في ٥١٢/٢ من أن الصَّرْع لغة قيس والصَّرْع لغة تميم وما أورده من أن في لغة تميم يقولون ضَلَلْتُ أَضِلُّ ٥٦١/٢.

وأما الجانب الصوتي فقد نسب لغة الوقف على الهاء إلى هوازن واحتج لها بشواهد قرآنية: (حسابية — سلطانية، لم يتسنَّ، افتدَّ، كتابية، ماله ٦٩١/٢).

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن مصادر الاحتجاج في كتاب المنتخب فإننا نجد قد التزم بأصول الاحتجاج العربية المعهودة من قرآن كريم وحديث شريف وشعر ونثر. ومن أمثلة ذلك من النثر قوله في ٥٢/١: «يقال: لا يَكْتَنَظُ هذا الأمرُ بَصْغَرِي، أي لا يَلْصَقُ بقلبي، ويقال: وقع كذا في خلدي، أي في قلبي، وفي الحديث المرفوع: «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رُوعِي: لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» أي في قلبي، ويقال له «أي للقلب»: التَّامُور: ومن كلامهم: حَرَفٌ فِي تَامُورِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي وَعَائِكَ. وهو من الناقة باغزها: قال ابن مُقْبِل: تَحَالُ باغزها بالليل مجنوناً.

احتجَّ للألفاظ الدالة على القلب البشري من كلام العرب، وأحاديث الرسول ﷺ فالقلب يقال له: صَفَرٌ، وَخَلَدٌ وَرُوعٌ، وتامورٌ، يأتي بالشاهد النثري أولاً ثم يفسره بعكس الشعر الذي ذكره شاهداً على دلالة اللفظ (باغز) على القلب بعد بيان هذا المعنى، ويبدو أن هذا النهج هو الغالب مع الشعر ففي ١٠٣/١ مثلاً يقول: عَكَ تَقُولُ: طَهَا، أي يا رَجُلُ، قال أبو النجم العجلي:

مَدَّ لَنَا فِي عُمَرِهِ رَبُّ طَهَا
مَا حَمَلَ السِّيفَ بِكَفٍّ أَوْ مَشَى
ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا إِذْ جَزَى
جَنَاتِ عَدْنٍ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى

وفي ٢٤٩/١ يقول: البَالَةُ: وعاء المسك وهو بالفارسية بَيْلَه، قال أبو ذؤيب:
كَأَنَّ عَلَيْهَا بِالَّةً لَطْمِيَّةً لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّائِتَيْنِ أَرِيحُ

وفي ٢٦٦/١ يقول: « والبرْدُ: النَّومُ، قال الله عز وجل في صفة أهل النار: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ ^(١)، وقال نابغة بني ذبيان:
والراكضاتُ ذُيُولَ الرِّبَطِ فَتَقْهَها بَرْدُ الهَواجرِ كالغزلانِ بالجرَدِ

بعد هذه الجولة في معجم لم تكن ألفاظه منتخبة فقط بل كانت محتوياته منتخبة أيضاً تنوعت وتوزعت على موضوعات تخص الإنسان وتخص الحيوان أو تخصهما معاً والنبات ومفردات الطبيعة كالسما والارض والشمس والقمر والسحاب والمطر والمعادن، وتخص اللغة صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة وعروضاً فالكتاب لم يُحِط بكل موضوعات الكون والحياة ولا بكل مفرداتها فالمنتخب عنوان لائق به، مع جمعه بين الغريب والمألوف من المفردات أو الوحدات الدالة، وغلب عليه الغريب فسمّاه المنتخب من غريب كلام العرب، فأحسن الجمع ولكنه للأسف، لم يُحسن الوضع فلم يُحكم ترتيب موضوعات كتابه ولا تنظيمها فقد وضع أبواباً إلى جانب أبواب لا علاقة فيما بينها كباب الميزان مع باب الحر والبرد، وباب الكتاب إلى جانب باب اليريق واللمع وباب الوسخ على الثوب، وباب الهوى مع باب ارتفاع النهار وباب اسماء الخرز إلى جانب باب الرحمة، وباب اللصوص مع باب السفن وباب أسماء الأجمة بجانب باب الثياب واللباس، وباب أسماء الرباب بجانب باب الإصابة بالعين.

ولكنه عندما يتطرق إلى قضايا لغوية أي في علوم اللغة نجده يتقن تنظيمها كما في أبواب اللغات في الأسماء والأفعال ٥٠٩/٢ - ٥٣٦.

وهناك كتب وضعت في غريب اللغة أيضاً نحو كتاب غريب اللغة لأبي بكر محمد ابن القاسم الأنباري ت ٣٢٨ هـ الذي يضع المفردات الغريبة في أبيات شعرية، أي لا يعرض الألفاظ في أبواب موضوعية كالغريب المصنّف والمنتخب، ولا رتبها ترتيباً ألفبائياً كمعاجم المفردات بل رتبها ترتيباً عروضياً، إن جاز التعبير، بنظمها في أبيات تعليمية حافظ فيها على القافية والروي ملتزماً باللام الساكنة، مع حرصه في الكلمات السابقة على الكلمة الأخيرة في البيت أن تتماثل في وزنها وتتفق في حرفها الأخير ويلي البيت شرح المفردات كقوله مثلاً:

وما الكَسَاءُ والثَّوَاءُ والجمَاءُ والمَـذَلُ

قال أبو بكر: قال أبو موسى هارون بن الحارث: الكسَاء عند العرب: المجدُّ والشرف ومن يتتبع الألفاظ التي حرص على بيان معانيها سيجد أنها تتوزع على نوعين من الغريب، أحدهما: الألفاظ الحوشية النادرة الاستعمال كالقريح والشريح، بدليل وجود كثير منها في كتاب نواذر أبي زيد والآخر: الألفاظ الغريبة المستعملة، ومنها قسم يمكن عدّه مألوفاً لاستعمال الفصحاء له في نثرهم وشعرهم كالفريض والوريد والأسل والعرين. ومما يلاحظ عليه أنه لم يستشهد بالشعر واحتج بغيره من أصول الاحتجاج كالقرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال.

كذلك كان حريصاً على ذكر أسماء من أخذ عنهم من اللغويين والفصحاء كأبي عبيدة وأبي عمرو واللحياني.

ومن كتب الغريب كذلك كتاب العشرات في غريب اللغة لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد (ت ٣٤٥هـ) وسماه كذلك لأن كل عشر كلمات تؤلف باباً مع أن معظم الأبواب تزيد ألفاظها على العشرة، يفسرها مهما تعددت المعاني، وقد فتح ستين باباً جعل محقق الكتاب عناوينها من اللفظة الأولى فيها يعرض فيها للألفاظ المتشابهة في عدد حروفها وهيئتها (الحركات والسكنات) ففي باب الخميس: الجيش، والخميس الشجاع، والجفيس: الكثير المزاح، والدريس: الثوب الخلق، الرميس: الميت، واللميس: المرأة اللينة الملمس، وفي باب الأول: الزؤل: الشدة، والعُجْب، والصقر، والظريف، وفرج الرجل، والشجاع والزولان، والنساء البرزات المجربات.

واعتنى بالمشارك اللفظي ولم يتوسّع في الترادف والأضداد.

وله كتاب المداخل في اللغة أيضاً في واحد وثلاثين باباً، عنوان كل باب من اللفظة الأولى فيه، فالباب الأول هو باب الطليل: «الطليل: الحصير والحصير: الحبس، والحبس: الجبل الأسود» فكان كل كلمة مدخل لكلمة أخرى.

والباب الثاني: باب الكرْبز وأوْلَه: الكرْبز: القثاء الكبّار، والكبار: جمع الكبّر، والكبّر: الطبل، والطبل: السّد، والسّد: السِّلّة.

٢-١-٣ نظام الغريب في اللغة لعيسى الربعي:

ومن كتب الغريب أيضاً «نظام الغريب في اللغة» لعيسى بن إبراهيم ابن عبد الله الربعي الحميري ت ٤٨٠هـ الذي يقول في مقدّمته ص ٢٠: «هذا كتاب مختصر اقتصر فيه على المستعمل من غريب اللغة، وما قالته العرب وتداولته في أشعارها

وخطبها، وتجاذبته في أمثالها ومقاماتها ومخاطباتها، وجعلته له كالأصل للشيء والقاعدة للبيان، وسميته « نظام الغريب »، وقد جعله في (١٠٤) أبواب موزعة على موضوعات شتى ومختلفة، وكان الباب الأول فيها بعنوان « ما جاء من الغريب في خلق الإنسان » وتلاه ثمانية وعشرون باباً متسلسلة منطقياً في أعضاء الجسم البشري وصفاته المادية والمعنوية والعارضة، في تسلسل منظم ففي الباب الأول المذكور مثلاً (٢١ — ٥٤) بدأ من الجسد بالرأس كالشَّوْاة واليافوخ والفُودان والمسائح (أطراف الشعر)، والجبين والأذنين والأنف والعين وصفاتها والذقن وظل نازلاً حتى انتهى إلى الرِّجْل والقدمين.

وفي الأبواب التالية وهي قصيرة يبقى مع الجسد البشري وما قد يصيب الجلد من شجاج « جروح ».

والباب الثالث في العقل والذكاء يتناول الألفاظ الخاصة برجاحة العقل والحدق والحنكة والكياسة والفتنة، والباب الثالث بعنوان في الفصاحة يتناول الألفاظ الدالة على الفصاحة والبلاغة والبيان نحو خطيب مصقّع ورجل لسن ومذره ومسلاق ومفوه.. وكان من المنطقي أن يتلو هذا الباب باب في الحمق والعبيّ يستدعي الألفاظ المضادة للفصاحة والبلاغة كالحمق والخرق والأفن والفهامة والإفحام والعُثم.. وتتوالى الأبواب فيما يصيب الإنسان من صفات وما يعرض له من أحوال كالحسن، والقبح، والطول والقصر، وحسن الخلق، وسوء الخلق، والشباب، والشيخوخة، والقوة، والضعف، وشبع، وجوع، وريّ وعطش، وبعد هذه يفتح أربعة أبواب للأطعمة والأشربة كالخمر والعسل واللبن واللحم. ويعود إلى النساء ويفتح لصفاهنّ وخُلُقهنّ وبعض أعضائهنّ وحليهنّ وزينتهنّ بالذهب والفضة وثياهنّ وطيبهنّ، وكان الأبواب التسعة والعشرين الأولى كانت للرجال فعاد والتفت إلى المرأة وصفاتها الخلقية والخلقية (في الأبواب ٣٤ — ٤٠).

ويفتح أبواباً متفرقة للحيوانات: لأصوات البهائم، أسماء الخيول وصفاتهم، أسماء البغال، في أسماء الإبل، في خلق الإبل، في ذكر بقر الوحش، في أسماء الأطباء، في الوعول، في أسماء النعام، في أسماء الحُمُر الوحشية، في سباع الطير في صفة بغاث الطير، في الشاء والمعز، في أسماء الأسد، في أسماء الذئب، في أسماء الضباع، أسماء الجراد في الأبواب على التوالي: (٤٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨١) وبعدها يفتح أبواباً لمفردات الطبيعة والمناخ: كأسماء الشمس والقمر، ومن أسماء القمر، وفي أسماء الظلام، وفي الظل، في أسماء السحاب، في أسماء الرياح، في

أسماء البحر، في الآبار والدلاء، في الماء والعيون والأنهار، في أسماء القفار، في الجبال وصنوف بقاع الأرض، في أسماء التربة في أسماء الدهر: في الأبواب على التوالي: (٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١٠٠) ولم يفتح للنبات سوى أربعة أبواب: في الخصب والجذب ٨٩، في النخيل ٩٣، في أسماء النبات والأشجار والمراعي ٩٤، في أسماء الرياحين ٩٥ وفتح أبواباً للحرب وأسماء السلاح: في أسماء السيوف ٤٦، في الرياح ٤٧، في أسماء الدروع ٤٨، في أسماء القسيّ والنبل ٤٩ في الحرب ٥٠، في أسماء الجيش ٥١.

أما ضبط الألفاظ في نظام الغريب فقد سلك فيه صاحبه مسلكين أولهما: وضع الحركات على بنية الكلمة، وهو الأمر الغالب، فلا تجدد كلمة تخلو من حركة على أحد حروفها وقد يصل الأمر إلى الضبط الكامل لبنية الكلمة، وهو مسلك لا يحتاج إلى شاهد. وهو أمر قد نوّه به محقق الكتاب الأستاذ محمد بن علي الأكوع في وصفه المخطوطة التي اعتمد عليها بقوله ص ٩ عن إتقان خطها: « جودة الخط وإتقانه » يقصد في المخطوطة التي حققها « وضبط كلماتها وإحكامها بشكل الكلمات شكلاً تاماً مما جعلها » يقصد المخطوطة « فريدة في بابها، وحيدة في بهائها ونظراتها.. ».

والآخر: هو الضبط بالحركات مع ذكر الوزن أو المثال كقوله في ص ٣١: « والهدبُ على وزن فُعَلِّل وجع في العين » وفي ص ٣٥: « والروق: وزنه فَعَلٍ ». وفي ص ٣٩: « تَرْقُوةٌ، ليس في كلام العرب على وزن فَعْلُوة غير تَرْقُوة وعَرْقُوة »، وفي ذكر المثال مع الضبط ص ٤٨: « يقال فِقْرَه وفِقْرَ مثل كِسْرة وكِسَر ».

أما أساليب تأدية المعاني فتنوّعت في نظام الغريب فلم يقتصر الرباعي على وسيلة واحدة وتنقل بين مختلف الوسائل، بادئاً بذكر المرادف أو الترجمة كقوله في ص ٢١: « الشّواة جلدة الرأس.. » وفي ص ٢٢: « اليافوخ: الرأس » وفي ص ٢٣: « والفودان: قرينتا الرأس »، « والمسائح: أطراف الشّعر »، « والقذال: القفا »، وفي ص ٢٦: « الأرنبة: طَرْف الأنف » وفي ص ٣٨: « الصّليف: صفحة العُنق »، وفي ص ٣٩: « الترائب: أعالي الصّدر » وفي ص ٤١: « المعصم: موضع السوار » وفي ص ٤٣: « الأنامل: أطراف الأصابع » وفي ص ٤٥: « الجؤشوش: الصدر » وفي ص ٥٠: « الكرادس: رؤوس العظام » وفي ص ٦١: « المس: الجنون » وقد ينحو الرباعي منحى آخر بذكره غير واحد من الألفاظ الغريبة المترادفة مجتمعة ثم يتلوها المعنى كقوله في ص ٤٤:

«الكلكل والجؤجؤ والحزَم والحزَم والحيزوم كله الصدر» وفي ص ٣١:
 «الحَوْصَ والحَوْصَ: ضيق العين» وفي ص ٣٤ «والتوشير والتفليج: تباعد الثنايا».
 وفي ص ٣٥: «والتبديد الرتل: تباعد الثنايا» وفي ص ٤٠: «والمَتَكَب والقَطَر
 والرُّكْن واحد، وقَطَر الشيء جانبه»، وقد يفرق، الألفاظ الغريبة المترادفة وبذكر كل
 واحد منها على حدة مع اتفاقها في المعنى كقوله في ص ٤٧: «المُصْرَان: الأمعاء..
 والأقصاب: الأمعاء» وفي ص ٤٨: «المَطَا: الظهر، والقرا: الظهر».
 وفي ص ٥٧ - ٥٨: «الكَيْس: العقل.. والجُول: العقل، والأبْهَة: العقل.. الأربة:
 العقل».

وفي ص ٤٥: «الشَّوَاكِل: الخواصر، واحدها شاكلة.. والصَّفَاق: الخواصر أيضاً»
 وفي ص ٤٦: «والأياطل والآطال من غير الإنسان: الخواصر» وفي ص ٢٦: «الأرنبه:
 طرف الأنف... والرَّوْثَة: طَرَف الأنف». وقد يسلك مسلكاً آخر في ذكر الألفاظ
 الغريبة المترادفة وبيان معناها كقوله ص ٢٨: «خُصَلُ الشعر: طبقاته، واحده خُصْلَة،
 ومثله العُشْن واحدها عُسْنَة، ومثله: القصبائب، واحدها قصيبة». وفي ص ٣٣: «الملاغم:
 ما حَوْل الفم.. ومثله المَراغم» وفي ص ٣٥: «الضَّرَز: التصاق الأسنان، واللَّصص مثله»
 وفي ص ٤٨: «والكاهل أعلى الظهر... والثَّج مثل الكاهل».

ومن نظره اللغوي الدقيق جمعه بين بعض الألفاظ الغريبة المترادفة حول دلالة واحدة
 بربط كل لفظ منها بسياق لفظي مكاني، كأن تكون عضواً من أعضاء الجسم بقوله
 ص ٤٨: «في الجسم عرق واحد حيثما قطع مات صاحبه، وله في كل عضو اسم فهو في
 العُنُق: الوَدَج والوَرِيد، في الصدر: النياط، وقيل إن القلب معلق به، وهو في البطن:
 الوتين، وفي الظهر الأهر، وفي الفخذ النساء، وفي الرجل الأَجَل، وفي اليد: الأكل» ومع
 الترادف لا بد أن يُستدعى نقيضه وهو المشترك اللفظي أي اللفظ الواحد صاحب المعاني
 المتعددة أما الترادف فهو اجتماع أكثر من لفظ على معنى واحد ومثال أداء المعنى عن
 طريق الاشتراك اللفظي ما جاء في ص ٥٣: «العَيْر من الرَّجُل: العَظْمُ الناتئ في ظهر
 القدم، وعَيْر العين إنسانها، وعَيْر القوم سيدهم وعَيْر الكَتِف: الناتئ في وسطها، وعَيْر اسم
 جبل، والعَيْر: الوتد، والعَيْر غضروف الأذن، وعَيْر السيف الناتئ في وسطه، وعَيْر السنان
 والسهم الناتئ منهما، والعَيْر: الحمار، والعَيْر: واد».

وقد يُؤدَّى المعنى بالتعريف كقوله في ص ٣٥: «الدُّرْدُر: اللحم الذي ينبت عليه الأسنان قبل أن تنبت، ويُروى أن رجلاً دخل على رؤية وقد هرم، فقال له: كيف أصبحت؟ قد دخلت عليّ وفي فمي ثمرة ألوكةا على دُرْدُرِي..» وفي ص ٣٧: «الفقرة: آخر مفاصل العُنُق المتصلة بالظهر..» وفي ص ٤٥: «الجَعَال: الخرقَة التي تُثَرَّل بها القَدَر من النار»، وفي الصفحة نفسها «الشُرُسوف: عَظْم رقيق في أسفل الصدر إذا هُزِل الإنسان بان كأنه لسان كلب» وفي ص ٦٠: «رجل مُفَحَم وهو الذي لا يقول الشَّعر ولا يقوم بِحُجَّتِهِ».

ومن أساليبه الشائعة كذلك وضع المدخل في تركيب غير إسنادي وصفي أو إضافي ثم يبين معناه؛ والوصف أكثر ومن ذلك ص ٣٠ «الطَّرَف السَّاجِي: الساكن» وفي ص ٣٥ «رجل أفوه: طويل الأسنان متفرقها» وفي ص ٣٩: «رُمَحٌ مَقْلُوبٌ وهو الذي قد انكسر..» وفي ص ٤١: «والعَظْمُ النَّاتِي من المرفق يسمى القبيح» وفي ص ٤٩: «رَجُلُ أَلْيَان: كبير الألية». وفي ص ٥٣: «رجل مُؤَدَّمٌ مُبَشِّرٌ أي لاصقٌ بلازم له» وفي ص ٥٦: «رجل نحرير: عالم حازم.. ورجل نطاسي: عالم بغوامض الأمور» وفي ص ٥٧: «رجل لَوْدَعِي: بصير بباطن الأمور، ورجل أَلْمَعِي: وهو الذي يظن الظن فيصيب به...» ورجل مُحَنِّك: بصير بالأمور.. ورجل مُدَرَّبٌ وَدَرِبٌ: بصير بالأمر أَلْفٌ له.. وامرأة مُكَيَّسَةٌ: تلد الكُيَّسَاءَ» وفي ص ٥٨: «رجل ذو بيان: فصيح» وفي ص ٥٩: «رجل لَسِنٌ ورجل مِدْرَةٌ وهو المتكلم عن القوم... ورجل مِسْلَاق: فصيح متكلم.. رجل مُفَوَّة: قادر على الكلام مصيب فيه.. رجل أَلَدٌ وهو شديد الخصومة لا يقاوم فيها» وفي ص ٦٠: «رجل مَأْفُون: ذاهب العقل... رجل أَنُوك: أحمق». ومن التركيب الإضافي في ص ٣٤: «أَسَلَةُ اللسان: طَرَفُهُ»، وفي ص ٤١: «ثاني عطفه: أي متكبر» وفي ص ٤٩: «طَرَفُ الألية تسمى الرانفة» وفي ص ٥٣: «أدمة الجلد من الإنسان وغير باطن الجلد».

ومن وسائل أداء المعاني استخدام الأسلوب الشرطي وغالباً ما يبدأ هذا الأسلوب بلفظ «يقال» يليه المدخل المعجمي من الغريب، والمعنى بعده مبدوء بأداة الشرط إذا كما في ص ٢٨ - ٢٩: «يقال شعر جثل وشعرٌ أثيث إذا كان كثيراً...» ويقال عينٌ نجلاء إذا كانت واسعة، وطعنة نجلاء: إذا كانت واسعة، قال عمرو بن الأهتم:

بضربة سيفٍ أو بنجلاء ثرّة لها من أمام المنكبين فهد

ويقال عينٌ حوراء: إذا كانت شديدة سواد السواد، شديدة بياض البياض، ويقال عين دُععاء: إذا كانت طويلة أشفار العين.. يقال عينٌ وطفاء: إذا كان شعرها طويلاً». وفي ص ٣٣: «ومنه قولهم: الرجل يتلدد في المكان: إذا جعل يلتفت يميناً وشمالاً يطلب الشيء يجده» وفي ص ٣٧: «يقال: نُغر الصبي إذا سقطت أسنانه» وفي ص ٥٢: «يقال: رجل خفيف الحاذ إذا كان مضطرب الخلق..» وفي ص ٦٠: «قولهم: أفسن الضرع إذا فني مافيه من اللبن» وقد يتخلى عن لفظ «يقال» فلا يذكره كقوله ص ٣٠: «سجاً البحر: إذا سكن» وفي ص ٥٥: «اندمل الجرح: إذا برأ ودملته إذا داويته».

وقد ينحو الرباعي منحى معاكساً في الأسلوب الشرطي بأن يقدم إذا مع المعنى ويؤخر المدخل كقوله في ص ٤٢: «إذا كان الرجل قليل لحم الكفين قيل: عاري الأشاجع».

كذلك من وسائله في أداء المعنى أن يضع بين المدخل وبين معناه أي التفسيرية كقوله في ص ٢١: «فرس عبل الشوى أي شديد القوائم» وفي ص ٤٦: «فلان ثاني عطفه، أي متكبر». وفي ص ٥٥: «ما على السماء من السحاب إلا سماحيق، أي سحاب رقيق» وفي ص ٥٦: «رجل يقظٌ ونَدِسٌ ونَدِسٌ أي ذكي...» ومنه رجل مخلط مزيل أي بصير بالأمور» وفي ص ٥٧: «الكيساء: أي العقلاء» وفي ص ٥٨: «وخطيب مصقع أي فصيح».

أما الاحتجاج اللغوي في نظام الغريب فقد سار فيه صاحبه على المعهود من الاستشهاد بالقرآن الكريم والشعر والحديث الشريف ونثر العرب، وأول ما يصادفنا في الكتاب احتجاجه بالشعر والقرآن الكريم بقوله في ص ٢١: «الشواة جلدة الرأس، قال الأفوه الأودي:

إِنْ تَرَى رَأْسِي فِيهِ صَالِعٌ وشوأتي خلّة فيها دُوَارُ

وجمع شواة شوى، قال الله تعالى: ﴿نزاعة للشوى﴾^(١) يعني جلود الرؤوس» وغالباً ما يذكر اسم الشاعر الذي يحتج بشعره كالأفوه الأودي، ولقيط بن زرارة وأوس

بن حجر، وذو الرُّمة ورؤبة والعجاج وهذبة من خشرم العذري وأبي كبير الهذلي وعمرو بن الأهتم، والأعشى وامرئ القيس وسويد بن أبي كاهل والراعي النميري وجرير وأبي النجم وحسان بن ثابت وأبي زبد الطائي وعروة بن الورد ودريد بن الصمة والفرزدق وعمرو بن معد يكرب والنابعة الذبياني وليبد وعنترة ولبلى الأخيلية وطرفة بن العبد وعبد بن الطبيب والفند الزماني وهم كما نرى، موزعون على عصور الاحتجاج فمنهم الجاهلي والإسلامي والمخضرم والأموي والعباسي والمخضرم بينهما حتى إنه استشهد لأبي نواس ص ٤٤ مثلاً والشاهد الذي لم يذكر قائله قد يكون مجهول القائل، وقد يكون منسوباً لغير شاعر، وذلك من خلال حواشي التحقيق، ولا تكاد تخلو صفة من شاهد شعري الغريب « التوشير ».

قوله في ص ٣٤: « والتوشير والتفليج: تباعدُ الشايات، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لعن الله الواشمة والموتشمة والواشرة والموتشرة والواصلة والموتصلة والنامصة والمنمصة والمتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء» والواشرة التي تحدد أسنانها وترقق أطرافها، والموتشرة التي تأمر أو تطلب من يفعل لأسنانها ذلك. ومن الاحتجاج بالنثر العربي على لفظ البراجم الذي أطلق على أحياء من تميم هي عدي وعُكل وثور، وهي بمعنى العقْد الكبار في أصول الأصابع ومنه سميت هذه الأحياء القول خطيهم: « أيها القوم الذي قد خذِلوا واهتَضَمُوا اجتمعوا فكونوا كبراجم كفي هذه ».

بعد هذه الجولة القصيرة مع كتاب نظام الغريب في اللغة للربيعي أستطيع القول إن المقصود من غرابية الألفاظ هو الجهل بمعانيها مع أنها مستعملة ومتداولة وشائعة في شعر العرب ونثرهم كذلك يمكن القول إن غرابية اللفظ قد تأتي من غموض معناه في مكان ما أو زمان ما، أو قلة استعماله وعدم ألفته في مكان ما أو في زمان آخر وهي أمور نسبية أو زمان ما، وقد يتسبب تنافر حروفه وثقله على السمع في غرابته، وقد تأتي هذه الغرابية من مخالفته للقياس وعدم اطراده في السمع. وعليه يمكن إرجاع الغرابية في الألفاظ إلى أسباب دلالية وصوتية.

٢-٢-٢ المعاجم الموضوعية الشاملة

٢-٢-٢-١ فقه اللغة^(١) لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ):

وأبو منصور الثعالبي النيسابوري هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، تتلمذ على يد أبي سليمان الخطابي وأبي الفتح البستي والدقيقي أو الدقاق علي بن عبد الله البغدادي وغيرهم. ومن تلاميذه الباخرزي والزنجاني والواحدي، ولد بنيسابور ونشأ، ونُسب إلى مهنته وهي خياطة جلود الثعالب وعملها، هذا غير تأديب الصبيان وتعليمهم، غير اشتغاله بالتصنيف والتأليف كآداب الملوك والاعتباس من القرآن الكريم وثمار القلوب وبيمة الدهر وفقه اللغة وسر العربية وقد أحصى خالد فهمي مصنفاته فبلغت ١٣٢ كتاباً.

وفي مقدمة الكتاب يذكر الثعالبي أنه ألفه استجابة لرغبة الوزير أبي الفضل الميكالي الذي وفر له الدوافع وهياً له الأسباب كقوله في هذه المقدمة ص ١١ (طبعة الخانجي تحقيق خالد فهمي): « وقد كانت تجري في مجلسه نكت من أقاويل أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها، مما لم يتنبهوا لجمع شمله ولم يتوصلوا إلى نظم عقده.. فيلوح لي بالبحث عن أمثالها وتحصيل أخواتها وتذليل ما يتصل بها وكسر دفتر جامع عليها.. وعدنا للعادة عند الالتقاء في تجاذب أهداب الآداب وفتح نوافج الأخبار والأشعار أفضت بنا شجون الحديث إلى هذا الكتاب المذكور وكونه شريف الموضوع أنيق المسموح إذا خرج من العدم إلى الوجود، فأحلت في تأليفه على بعض حاشيته من أهل الأدب فقال لي:.. إنك إن أخذت فيه أجده وأحسنه وليس له إلا أنت فقلت له سمعاً سمعاً. ولم استجز لأمره دفعا.. فأقام لي في التأليف معالم أقف عندها وأقفو حدها،

(١) كتاب فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة:

- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٥٧ هـ /

١٩٣٨ م.

- فقه اللغة لأبي منصور عبد الملك الثعالبي، تحقيق د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية،

بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، قرأه وقدم له وعلق عليه خالد فهمي،

مكتبة الخانجي، مصر، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

وقاعدة أبني عليها من التمثيل والتفصيل والترتيب والتقسيم والتقريب، فأستأذنته في الخروج إلى صنعة لي.. فأذن لي.. وأمر لتزويدي من ثمار خزائن كتبه... ما أستظهر به على من أنا بصده.. وثُركتُ والأدب والكتب، انتقي منها وأنتخب وأفصل وأبواب وأقسم وأرتب..» ويذكر أسماء اللغويين والعلماء الذين اعتمد عليهم في تصنيف هذا الكتاب بقوله ص ١٣: «وأنتجع من الأئمة مثل: الخليل، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي والفراء، وأبي زيد، وأبي عبيدة، وأبي عبيد، وابن الأعرابي، والنضر بن شميل، وأبي العباس (يقصد المبرد وثعلب). وابن دريد، ونفطويه وابن خالويه، والخارزنجي والأزهري، ومن سواهم من ظرفاء الأدباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء إلى إتقان العلماء، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة كالصاحب أبي القاسم وحمزة الأصفهاني وأبي الفتح المراغي وأبي بكر الخوارزمي والقاضي الجرجاني وأحمد بن فارس وأجنتلي من أنوارهم واجتني من ثمارهم...». حتى تمكن كما يقول ص ١٧ من: «تأليف الكتاب واستتمامه وتقرير أبوابه فبلغ بها الثلاثين وضمنها من الفصول ما يناهز ستمائة» ثم يقول ص ١٨: «وقد اخترت لترجمته وما أجعله عنوان معرفته ما اختار، أدام الله توفيقه (يقصد الميكالي) من: فقه اللغة وشفعته (بسر العربية) ليكون اسماً يوافق مسماه ولفظاً يطابق معناه».

وليس في تسميته «فقه اللغة» الكثير من التجوُّز؛ إذ الدكتور علي عبد الواحد وافي يرى أن ما في الكتاب لا تصح معه تسميته بفقه اللغة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة إلا خمس عشرة صفحة من الباب التاسع والعشرين الذي يجري فيه موازنة بين العربية والفارسية. ويبدو أن الدكتور وافي قد غاب عنه أن اصطلاحات اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة في ذلك الوقت كانت تدور حول جمع ألفاظ اللغة ومعرفة معانيها وما يبيها من فروق في الإطلاق والتقييد والعموم والخصوص والإيجاز والتبيين والمستعمل منها والغريب وحفظ كل ذلك من خلال التصنيف في معاجم ولينظر في ذلك مقدمة الصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس وحديث أبي حيان في البحر المحيط عن المقصود بعلم اللغة. وهذا الفهم طبعاً لا ينطبق أو لا يتوافق مع المفهوم المقصود من فقه اللغة حديثاً الذي يجمع موضوعات تكون إطاراً عاماً لعلوم اللغة العربية كتاريخها وتاريخ التصنيف في علومها من نحو وصرف ودلالة وأصوات، ومصادر الاحتجاج لها، ولهجاتها القديمة وعوامل تنمية ثروتها (بالاشتقاق والتعريب وغيرهما، وتنوع الثراء الدلالي فيها ومناهج دراستها.. إلخ).

وهذا هو المفهوم أو المحتوى المقرر على أبنائنا في جامعاتنا في وقتنا الحاضر. أما كتاب فقه اللغة للثعالبي من وجهة نظر الدارسين والباحثين حديثاً، فهو معجم موضوعي أي من معاجم المعاني التي توضع بإزاء قسيماته معاجم المفردات، وجوهر ما تقوم عليه معاجم المعاني هو وضع الألفاظ الدالة على موضوع عام وما يندرج تحته من فروع، تحت عنوان واحد، دون النظر إلى اشتقاقات هذه الألفاظ لأنها بالضرورة ستختلف في لفظها ولكنها تتفق في ما يربطها من معنى عام يجمعها بعكس معاجم المفردات التي تضم مفردات (مداخل معجمية) يجمعها رحم واحد وهو جذرها سواء اتفقت في المعنى أو اختلفت.

وقد بلغت أبواب الكتاب ثلاثين باباً وقسم كل باب إلى فصول يتفاوت عددها من باب إلى آخر وأقلها ثلاثة فصول كالباب الرابع وهو في أوائل الأشياء وأواخرها وفصوله الثلاثة أولها فصل في سياقة الأوائل وفيه: «الصباح أول النهار، الغسق أول الليل، والوسمي: أول المطر إلى أن ينتهي بقول: «الفرع أول ما تنتجه الناقة، وكانت العرب تذبجه لأصنامها تبركاً بذلك».

وثانيها: فصل في مثلها (ط خالد فهمي - الخانجي) أو فصل في مثل ذلك عن الأئمة (ط طلبة). وأوله: «صدر كل شيء وعُثرته: أوله. صدر الكتاب: أوله...» إلى قوله «تباشير الصباح: أوائله».

وثالثها (آخرها): فصل في الأواخر: «الأهزع: آخر السهام التي تبقى في الكنانة والسُّكَّيت: آخر الخيل التي تجيء في آخر الحلبة.. البراء: آخر ليلة في الشهر عن الأصمعي، وعن ابن الأعرابي: إنه آخر يوم من الشهر وهو سعد عندهم..».

وكذلك الباب السابع والعشرون: في الحجارة، من ثلاثة فصول «. وأكبرها في خمسة وستين فصلاً وهو الباب الخامس عشر في الأصول والأعضاء والرؤوس والأطراف وأوصافها وما يتولد منها ويتصل بها ويُذكر منها.

ولم يتبع في تنظيم الأبواب ترتيباً منطقياً كأن يبدأ بموضوعات تخص الإنسان ثم تليه موضوعات خاصة بالحيوان فالنبات فالجماد كما فعل ابن سيده في المخصص. فكان الباب الأول عنده مثلاً بعنوان في الكليات في أربعة عشر فصلاً.

ويعني بالكليات كل ما أطلق أئمة اللغة في تفسيره لفظة (كل) ويفتحه بما جاء من ذلك في القرآن الكريم كقوله: كلُّ ما علاك فأظلك: فهو سماء، وكل أرض مستوية: فهي صعيد.. وكل بناء مربع: فهو كعبة.. وكل شيء دبَّ على وجه الأرض: فهو دابة..

وكل ما استحيا من كشف من أعضاء الإنسان فهو عورة، وكل ما امتير عليه من الإبل والخيل والحمير: فهو غير.. إلخ».

وهكذا كانت كلياته في هذا الفصل عشوائية موزعة على الإنسان والحيوان والنبات والجماد. أما الفصل الثاني فكانت كلياته في النبات والشجر نحو قوله كل شجر له شوك: فهو عضاه. والثالث: في الأمكنة كقوله: «كل جبل عظيم فهو أحشب» والرابع في كليات الحيوان أو كما سماه في ذكر ضروب الحيوان ولم يقتصر فيه على الحيوانات وأضاف إليه الإنسان والطير والجبل كقوله: كل كريمة من النساء والإبل والخيل وغيرها: فهي عقيلة... وكل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً لسيل: فهو واد». والخامس في الثياب، والسادس في الطعام. والسابع كالأول في فنون مختلفة كالريح والأرض والإنسان والحيوان والماء والكلام وغيرها والثامن في العطر والتاسع في الأمكنة والعاشر دون عنوان وإنما نقله عن أحد علماء اللغة وكذلك الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وأما الرابع عشر فقد وجهه كالرحب: الواسع من كل شيء».. ومن يقلب صفحات كتاب فقه اللغة فسيجد أن الأمر الغالب على فصوله هو بيان الأوصاف والأحوال التي تعم المخلوقات وسأبين فيما بعد أدائه لهذه المعاني. وعليّ الآن أن أبدأ بمعالجة الأمور الآتية: الضبط، الاستشهاد، والتوثيق وما قد يعرض من عناصر نصه كذكر اللهجات أو المعربات ومن يأخذ منهم من العلماء، وغيرها.

وقد تنوع الضبط لدى الثعالبي ولكن وسيلة الضبط الأولى أو الغالبة هي وضع الحركات على الحروف في بُنى الكلمات، وهو أمر لا يحتاج إلى تمثيل لغبته وكثرته. وقد يُتبعه بالنص على الحركة كقوله في ص ٢٨ (من طبعة خالد فهمي): «ومنه الحديث: «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط» بكسر الفاء وضمها» ومنه قوله في ص ٣٢٣ (فصل ٢٤ من الباب ١٩: «فإذا ساروا من أول الليل هو الإدلاج، فإذا ساروا من آخر الليل فهو الإدلاج، مشدّد الدال».

وقد ينص على نوع الحرف خوفاً من الوقوع في التصحيف أو التحريف كقوله في الباب الثالث عشر من الفصل الرابع والعشرين ص ١٣٠: «الزُحْلُوفَةُ بالفاء والزُحْلُوفَةُ بالقاف» وفي الفصل السابع من الباب الثاني والعشرين ص ٣٨٤: «الْحَرْذَلَةُ بالدال والذال القطع قطعاً» وقد ينص على الحرف ويقيد آخر بالوصف كقوله في ٢٦٨ في الفصل ٣٧ من الباب ١٧: «إذا كانت عظيمة السنام فهي مقحّاد بالقاف والحاء

المهملة». أما الضبط بالمقاييس الصرفية أي بوزن الكلمات فقد ورد منه على سبيل المثال في الفصل ٢٥ من الباب ١٣: ص ١٣١ - ١٣٢ كقوله: «يدي من هذا فعلة، ثم زاد الناس عليه ألفاظاً كثيرة بعضها على القياس وبعضها على التقريب.. تقول العرب: يدي من اللحم غمرة ومن الشحم زهمة... ومن البرد صردة». وقد ينص على المقصود كما في ص ١٩٢ / الفصل ٥١ من الباب ١٥ «السلى مقصوراً: الجلدة التي يكون فيها لولد».

وبعد الضبط أنتقل إلى أداء المعاني وأول ما يصادفنا ما يمكن أن أسميه التعريف كقوله في الفصل الأول من الباب الأول: كل ما علاك فأظلك فهو سماء.. وكل ما غاب عن العيون وكان محصلاً في القلوب فهو غيب، وكل ما استحيا من كشفه من أعضاء الإنسان فهو عورة» وفي الفصل العاشر من الباب ١٥، ص ١٥٨: «الدعج: أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة». وفي فصل ٥/ص ١٥٤ تفصيل شعر الإنسان من الباب ١٥: «العقيقة: الشعر الذي يولد به الإنسان» وفي نفس الباب الفصل ٢٨ في عيوب اللسان والكلام: «الرثة حُبسة في لسان الرجل وعَجلة في كلامه».

وفي الفصل ٢٩ من الباب ١٥: «العننة - تعرض في لغة تميم وهي إبداهم العين همزة كما قال ذو الرمة:

أَعَن تَرَسَّمَتْ مِنْ خَرَقَاءَ مَرَلَةً ماءُ الصبابةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ

وفي الباب العشرين الفصل ٤ - ص ٣٤٤: «اللَّغَط: أصوات مبهمه لا تفهم وفي الفصل ١٣/ص ٣٥٤: «الصهيل: صوت الفرس في أكثر أحواله» وفي الفصل ١٩/ص ٣٦: «القرقرة: حكاية صوت الآنية إذا استخرج منه الشراب» وقد يفسر اللفظ بالمرادف كقوله في الفصل الأول من الباب الخامس ص ٥٤ - ٥٤: «الحصى صغار الحجارة، الغسيل صغار الشجر.. الذر: صغار النمل... اللمم: صغار الذنوب، وقد نطق به القرآن.. وضغائيس: صغار القثاء وفي الحديث: «أنه ﷺ أهدي إليه ضغائيس فقبلها وأكلها ﷺ».

وفي الفصل الثالث ص ٥٦ / ٥٧: «اليفن: الشيخ الكبير.. الرأس: البئر الكبيرة» وفي الفصل الرابع ص ٥٨: «الفيلق: الجيش العظيم... الدوحة: الشجرة العظيمة عن الليث» وفي الفصل الثاني من الباب الثامن ص ٧٣: «الهلَع: شدة الجزع، اللدَد: شدة الخصومة.. النَّصَب: شدة التعب» وفي الفصل ١٩ من الباب العاشر ص ٨٩:

«الوضّاح: الحسن الوجه، الغانية: المرأة الحسنة» وفي الفصل الرابع من الباب ١٣/ص ١١٦: «السَّحْل: الثوب الأبيض، عن أبي عمرو، النَّقا: الرمل الأبيض عن الليث وفي الفصل ٥٤ من الباب ١٥/ص ١٩٤: «القطمير: قشرة النّواة.. اللّحاء: قشرة العود» ومن أساليبه كذلك في أداء معاني الألفاظ استعمال الأسلوب الشرطي المصدّر بإذا متلوّاً بالمعنى، وأمثله كثيرة وأقتطف فصلاً واحداً وهو العشرون من الباب العاشر ص ٩٠: في ترتيب حسن المرأة:

عن الأئمة: إذا كانت بها مسحة من جمال فهي: وضيفة جميلة.. فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي: غانية، فإذا كانت لا تبالي أن لا تلبس ثوباً حسناً ولا تتقلد قلادة فاخرة فهي: معطال، فإذا كان حُسْنُها ثابتاً قد وسم فهي وسيمة. فإذا قُسم لها حظ وافر من الحُسن فهي: قسيمة. فإذا كان النظر إليها يُسرُّ الرّوع فهي: رائعة. فإذا غلبت الناس بحسنها فهي: باهرة».

وأقتطف كذلك من الفصل الثالث من الباب ١٦/ص ٢٠٤: «إذا كان الوجدع في الرأس فهو صُداع، فإذا كان في شق الرأس فهو شقيقة..».

ومن الفصل ١١، الباب ١٦ — ص ٢٣٢ — ٢٣٣: «إذا كان الرجل حريصاً على الأكل فهو نهم وشّره. فإذا زاد حرصه وجودة أكله فهو: جشع..

فإذا جاء مع الضيف فهو: ضيفن وقد ظُرف أبو الفتح البستي في قوله:

يا ضيفنا ما كنت إلا ضيفناً (وصدره: قد قلت لما جاءني متطفلاً)

وقد يذكر المعنى في صورة شرط مقيد جوابه المفردة المعجمية المفسرة مسبوقة بـ «قيل» وغالباً ما تكون أداة الشرط المستعملة هي إن نحو قوله في الفصل ١٣ من الباب ١٥ ص ١٦١ — ١٦٤: «إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه قيل: رَمَقَهُ، فإن نظر إليه من جانب أذنه قيل: لحظه. فإن نظر إليه بعجلة قيل: لحه، فإن رماه ببصره مع حدة نظر قيل: حدجه بطرفه، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «حدّث القوم ما حد جوك بأبصارهم».. فإن أعاره لحظ العداوة قيل: نظر إليه شزراً... فإن نظّر إلى جميع ما في المكان حتى يعرفه قيل: نفّضه نفضاً. فإن نظر إلى جميع ما في الكتاب ليهذبه أو ليستكشف صحته وسقمه قيل: تصفّحه، فإن فتح جميع عينيه لشدة النظر قيل: حدّق..

فإذا فتح عينيه وجعل لا يطرف قيل: شخص، وفي القرآن الكريم: ﴿شاحصة أبصار الذين كفروا﴾^(١).

وقد تدخل إذا على جملة المعنى، بعكس الأسلوب السابق وهو الغالب والشائع في أداء المعنى كقوله مثلاً في الفصل ١٩ من الباب ١٨ — ص ٢٨٩: «تأثى الرجل: إذا تهيأ للقيام.. أجهش الصبي: إذا تهيأ للبكاء.. دق الطائر: إذا تهيأ للطيران... تخيلت السماء وهيأت: إذا تهيأت للمطر».

وفي الفصل ١٦ من الباب ٢٠ ص ٣٥٦: «النباح للكلب، والضغاء: له إذا جاع، والوقوفة: إذا خاف والهزير: إذا أنكر شيئاً أو كرهه».

وقد يؤدى المعنى في صورة جملة مبدوءة بـ «كل» تنتهي بالكلمة المراد بيان معناها، وكأنه أسلوب في التعريف معكوس كالذي جاء في فصول الباب الأول وهو بعنوان في الكليات من ص ٢٣ — ٣٣ ونقتطف منه ما يأتي (من الفصل الأول): «كل ما علاك فأظلك فهو سماء.. كل بناء عال فهو صرح.. كل شيء من متاع الدنيا فهو: عَرْض.. كل نازلة شديدة بالإنسان فهي: قارعة.. كل شيء من النخل سوى العجوة فهو: اللين، واحدته: لينة.. كل بستان عليه حائط فهو: حديقة، والجمع حدائق...».

ومن الفصل الثاني: عن الليث، عن أبي سعيد الضرير وابن السكيت، وابن الأعرابي، وغيرهم من الأئمة: «كل دابة في جوفها روح فهي: نَسَمَة. كل كريمة من النساء والإبل والخيل وغيرها فهي: عَقِيلَة.. كل طائر ليس من الجوارح يُصاد فهو: بُغَاث».

ومن الفصل الرابع عن الليث، وأبي عمرو، والمؤرج، وأبي عبيدة وغيرهم: «كل بقعة ليس فيها بناء فهي: عَرَصَة، كل جبل عظيم فهو أخشب..» ولكنه في الفصل العاشر من هذا الباب ص ٣٤ يخالف هذا الأسلوب بأن يبدأ بفعل هو المفردة المراد بيان معناها، وغالباً ما تكون فعلاً ويأتي بالمعنى في جملة مبدوءة بإذا منتهية بلفظ كل تكون توكيداً وبينهما فعل فيه تفسير للفعل الذي بدأت به الجملة نحو قوله: «وجدته عن أبي الحسين أحمد بن فارس ثم عرضته على كتب اللغة فَصَحَّ: اقتمَّ ما على الخوان: إذا أكله كله، واشتفَّ ما في الإناء إذا: شربه كله.. ونزف البئر إذا: استخرج ماءها كله...».

وقد يأتي بكل مضافة ومضاف إليها... تتلوها الكلمة الدالة كقوله في الفصل ١١ — عن ابن قتيبة: « ولد كل سبع: جرو، ولد كل طائر: فرخ... ».

وفي الفصل ١٣ يقول: « وجدته في تعليقاتي عن أبي بكر الخوارزمي يليق بهذا المكان: غرة كل شيء: أوله. كبد كل شيء: وسطه. خاتمة كل أمر: آخره.. جذر كل شيء أصله.. تبشير كل شيء: أوله... ».

وقد يأتي بالمفردة في تركيب وصفي، يتلو المعنى في تركيب وصفي كقوله في الفصل الرابع من الباب التاسع ص ٧٧: « رجل ثرثار: كثير الكلام.. رجل جراضم: كثير الأكل عن الأصمعي وغيره. ورجل خضرم: كثير العطية.. امرأة ثور: كثيرة الأولاد عن أبي عمرو. امرأة مهزاق: كثيرة الضحك. عين ثرة: كثيرة الماء.. شاة درور: كثيرة اللبن.. رجل منونة: كثير الامتنان... ».

وفي الفصل السابع ص ٧٩ « ناقة عزوز: قليلة اللبن، شاة جدود: قليلة الدر، امرأة نزور: قليلة الولد.. رجل زمير: قليل المروءة، رجل جحد: قليل الخير، رجل أزعر: قليل الشعر ».

وفي الفصل الثاني من الباب الثامن، فصل في تفصيل ما يوصف بالشدة (عن الأصمعي وأبي زيد والليث وأبي عبيد): « ليل عكامس شديد الظلمة... رجل خصم شديد الخصومة... ماء زعاق شديد الملوحة... » وقد يؤدي معنى التركيب الوصفي بالنفي بليس أو لم أو بلا النافية للجنس؛ كما جاء في الفصول: الثالث والرابع والسادس من الباب الحادي عشر نحو قوله في الثالث ص ١٠١ — ١٠٢: « أرض قفر: ليس بها أحد، ومرت: ليس بها نبت، وجرز: ليس فيها زرع، دارخاوية: ليس بها أهل، عمام جهام: ليس فيه مطر. بئر نزع: ليس فيها ماء عن الكسائي... بطن طاو: ليس فيها طعام... خط غفل: ليس عليه شكل... ».

وفي الرابع ص ١٠٢: « رجل ضرورة: لم يحج.. رجل غر: لم يجرب الأمور.. روض أئف: لم يرع.. عجين فطير: لم يختمر » وفي السادس ص ١٠٣: « شاة جماء: الأقرب لها.. امرأة أئم: لا بعل لها. رجل عزب: لا امرأة له. إبل همل: لا راعي لها » ومن التركيب الوصفي ما يعمم معناه مكتفياً بعنوان الفصل لدلالة على الوصف كقوله مثلاً في تقسيم الطول (الفصل الثاني من الباب السادس) ص ٦٤ — ٦٥: « عن الأئمة: رجل طويل وشغموم. جارية شطبة وعطبول.. ناقة جسرة.. نخلة باسقة.. جبل شاهق.. ونبت

سامق.. وجه مخروط... شعر فينان ووارد كأنه يَرُدُّ الكَفَل وما تحته، وقد أحسن ابن الرومي في قوله:

وفاحم وارد يقبل ممشا إذا اختال مُسبلاً عذره

ومن هذا القبيل الفصل الرابع من الباب السابع ص ٧٠: « في تقسيم اللين على ما يوصف به ثوب لِين. رِيح رخاء. رُمح لَدْن، لحم رَخَص، بَنان طَفَل.. غُصن أَمْلُود، فراش وثير، أرض دُمثة، بَدَن ناعم... ».

وكذلك الفصل الثاني من الباب الثالث عشر في تقسيم البياض، مما يوصف به مع اختيار أشهر الألفاظ وأسهلها — ص ١١٤ — ١١٥: «رجُلٌ أزهرُ، امرأةٌ رُعْبُوبَة، شعر أشمط، فرس أشهب، بعير أعبس.. كبش أَمَلَح.. فضة يقق.. عنب مُلَاحِي.. » وانظر من هذا القبيل الفصل الأول من الباب العاشر في تقسيم السعة و الفصل الأول من الباب الحادي عشر ص ١٠٠ — في تفصيل الملء والامتلاء على ما يوصف بهما كما نطق به القرآن، واشتملت عليه الأشعار، وأفصح عنه البلغاء، وقد يوضع بعض ذلك مكان بعض: « فلك مشحون، كأسٌ دهاق، واد زاهر، بحر طافع، عَيْن ثَرَّة، طرف مُغرورق، عين شَكْرَى، فؤاد ملاّن، كيس أعجَر، مجلس غاصٌّ بأهله.. ».

وكذلك لجأ إلى التركيب الإضافي كقوله في الفصل التاسع من الباب الرابع عشر ص ١٤١ — (في الأولاد): « ولد الفيل: دَغفل، ولد الناقة: حُوار، وَلَدُ الفرس: مُهر.. ولد البقرة: عَجَل.. وولد الأسد: شِبَل.. ولد الضبع: فُرعل. ولد الدُّب دَيْسم، ولد الخنزير: خِنُونُص، ولد الثعلب: هجرس... ولد الأرنب: خرنق... ولد الدجاج: فُرُوج... ».

ومن طريف ما جاء في كتاب فقه اللغة، بيان المعاني عن طريق ترتيب الأحوال أو الصفات عند الإنسان أو الحيوان كترتيب الغنى ٩٤/١، وترتيب أحوال الفقر ٩٥ وفي ترتيب الشجاعة ٩٨، وترتيب الجبن ٩٩ وترتيب الصلح ١٠٥ وترتيب البياض ١١٤، وترتيب سواد الإنسان ١٢٤ كقوله: « إذا علاه أدنى سواد فهو: أسمر، فإن زاد سواده مع صفرة تعلوه فهو أصحَم، فإذا زاد سواده على السُّمرة فهو أسحَم، فإن اشتد سواده فهو أَدْلَم. ».

وفي ترتيب الكبر ٢٣٢ وفي ترتيب البُخل ٢٣٥، وفي ترتيب النوم من الباب الثامن عشر / الفصل الأول ٢٧٦ يقول « أول النوم: النُّعاس، وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم،

ثم الوَسْن وهو ثقل النعاس، ثم الترنيق... ثم الكرى والعمض: وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ثم التغفيق وهو: النوم وأنت تسمع كلام القوم عن الأصمعي. ثم الإغفاء، وهو النوم الخفيف ثم التهويم والغرار والتَّهْجَاع، وهو النوم القليل ثم الرُقَاد وهو النوم الطويل ثم الهُجُود والهَجُوع والهَبُوع وهو النوم الغرق، ثم التسبيخ وهو أشد النوم، عن أبي عبيد...».

كذلك هناك فصول في ترتيب أحوال الحب ٢٩١ — والعداوة ٢٩٢ وأوصاف مراتب الغضب ٢٩٣ والسرور ٢٩٤ والحزن ٢٩٥ وترتيب النبات وفي ترتيب ساعات النهار وساعات الليل ٥٤٨.

وقد يلجأ إلى التشبيه لبيان المعنى كما حصل في الباب الثاني وهو بعنوان في التزئيل والتمثيل ويقصد بمتزلة كذا أو مثل كذا أو بكاف التشبيه كقوله في ص ٣٧ — ٣٨ الفصل الأول: في طبقات الناس...: «الأسباط في ولد إسحق: بمتزلة القبائل في ولد إسماعيل عليه السلام. وأرداف الملوك في الجاهلية: بمتزلة الوزراء في الإسلام، والرادفة: كالوزارة قال لبيد:

وشهدتْ أُنْجِيَةَ الأفَاقَةِ عَالِيَا كَبِي وَأَرْدَا فُ الْمُلُوكِ شُهُود

والأقيال لحمير: كالبطاريق للروم. المراهق من الغلمان: بمتزلة المُعَصِّر من الجوّاري والكهل من الرجال: بمتزلة النَّصْف من النساء.. والبرائن من الكلب: بمتزلة الأصابع من الإنسان... الحاقن للبول: كالحاقب للغائط.. وصبارة الشتاء: بمتزلة حَمَارَةَ الصيف».

وفي الفصل الثالث عن أبي بكر الخوارزمي ص ٤١: «المخلاف لليمن كالسّواد للعراق... والمربد لأهل الحجاز كالأنذر لأهل الشام والبيدر لأهل العراق، والإردب لأهل مصر: كالقفيز لأهل العراق» ويتكرر التشبيه بالكاف في الفصلين الرابع والخامس.

وأما في الباب الثالث مثلاً فيستخدم أسلوب النفي والاستثناء في بيان المعنى كقوله في الفصل الأول: فيما روى عن الأئمة وأبي عبيدة ص ٤٤ — ٤٥: «لا يُقال كأس إلا إذا كان فيها شراب وإلا فهي زجاجة. ولا يقال مائدة: إلا إذا كان عليها طعام وإلا فهي خُوان.. ولا يقال رُمح: إلا إذا كان عليه سنان، وإلا فهو قنّاة».

وفي الفصل الثاني ص ٤٥ يقول على النمط نفسه: «... لا يقال عهن إلا إذا كان مصبوغاً وإلا فهو صوف.. ولا يقال خدر إلا إذا كان مشتملاً على جارية وإلا فهو ستر...» وفي الفصل الثالث ص ٤٦ — ٤٧: «لا يُقال للمرأة ظعينة: إلا ما دامت

راكبة في الهودج.. لا يقول للذهب تَبْر: إلا ما دام غير مصوغ..» وفي الفصل الرابع بعنوان في مثله ص ٤٨: «لا يقال للبخل شحيح إلا إذا كان مع بخله حريصاً.. ولا يقال للماء الملح أجاج إلا إذا كان مع ملوحته مُراً...».

وقد يلجأ إلى التضاد لبيان المعنى فقد فتح فصلاً له بعنوان فصل في تسمية المتضادين باسم واحد» من غير استقصاء (الفصل ١٦ من الباب الثلاثين) ص ٥٤٧ ويذكر: الغريم والمولى والزوج (ولا يذكر المقصود منها وهو المطالب والمطالب للغريم، والمنعم والمنعم عليه للمولى والذكر والأنثى للزوج). الصريم: الليل وهو أيضاً الصبح، الجلل: اليسير، والجلل: العظيم. والجون: الأسود وهو أيضاً الأبيض... إلخ.

ويفتح فصلاً للهجات العرب — (الفصل ٢٩ / باب ١٥) سماه فصلاً في حكاية العوارض التي تعرض لألسنة العرب: ص ١٧٥ وذكر فيه الكشكشة والكسكسة والخلخائية والطمطمانية...

أما المعربات فقد نالت حظها الوافر في فقه اللغة وفتح باباً وهو التاسع والعشرون سماه في ما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية ص (٥٢٢ — ٥٣٠) ومن فصوله: فصل في سياقة أسماء فارسيته منسبة وعرييتها محكية مستعملة نحو: الكف،... البقال... البخور، المنجنيق... النقل.. وفصل يناسبه في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها كالزكاة والمنافق، والطاغوت...

وفصل ثالث بعنوان في ذكر أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد نحو — التُّنور، الدِّين، الدينار، الدرهم.

وفصل رابع في سياقة أسماء تفرّدت بها الفرس دون العرب: من الأواني ومن الملابس ومن الجواهر وألوان الخبز والبطيخ والحلاوات والرياحين وغيرها.

وفصل خامس في ما حاذرت به مما نسبته بعض الأئمة إلى اللغة العربية كالفرديوس: البستان، والقسطاس: الميزان، والسَّجَنْجَل: المرأة والترياق: دواء السموم... إلخ. وهذا غير ما جاء من المعربات مثبتاً في الفصول.

بعد بيان وسائله في الشرح والتفسير انتقل إلى عنصر آخر في نص فقه اللغة وهو الاحتجاج والاستشهاد، وأول مصادره القرآن الكريم وقراءاته حيث احتج في قسم فقه اللغة وهو المعجم بسبع وخمسين آية، وقد بدأ مقدمته بآية قرآنية وتنوع طريقته في الاستشهاد بالقرآن الكريم فقد فتح فصلاً بعنوان فصل فيما يحتج عليه منها بالقرآن وذكر

الألفاظ بمعانيها دون ذكر الآيات كاهللع والبت والحسرة، وقد يذكر الكلمة ومعناها ثم يردفها بقوله « وهو من قول الله عز وجل وذلك في ٤٩: » الحافرة: أول الأمر، وهي من قول الله عز وجل ﴿أءأنا لمردودون في الحافرة﴾^(١). وقد يذكر صيغة ثانية بعد الكلمة ومعناها نحو: « من قوله تعالى ». وقد يحتج بصيغة ثالثة يجعل فيها الأولوية للمعنى القرآني محتجاً به رداً على رأي آخر يرى فيه الثعالبي غلطاً كقوله رداً على ابن قتيبة الذي نقل عنه في ص ٩٥ قوله: « والمسكين الذي لا شيء له، محتجاً ببيت الراعي:

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يُترك له سبْدُ

فيقول الثعالبي رداً عليه ص ٩٦: « وقد غلط (يقصد ابن قتيبة): لأن المسكين الذي له البلغة من العيش؛ أما سمع قول الله عز وجل: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾^(٢) فأثبت له سفينة، وقول الله عز وجل أولى ما يحتج به.. ».

وقد يذكر الكلمة ومعناها ويردفهما قائلاً وقد نطق به القرآن كما في ص ٥٣: «الفرش: صغار الإبل، وقد نطق به القرآن»، يقصد الآية ١٤٢ من سورة الأنعام وفي ص ٥٤ يذكر: « اللَّمَم: صغار الذنوب، وقد نطق به القرآن » قصد الآية ٣٢ من سورة النجم. وقد يذكر: أنزل الله تعالى ص ١١٢ أو لقول الله تعالى، أو في القرآن الكريم، وفي القرآن ص ٣٤٤ أو من قوله تعالى ٢٠٠، ٢٩٥، من قوله عز اسمه ص ٢٩٥، أو وقد قرئت ص ٢٩٢.

أما الشعر فيأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد ما استشهد به من الأبيات حيث بلغت ١٠٦ مع الرجز وأنصاف الأبيات، وقد احتج بشعر امرئ القيس في ص ٢٥٧ ليثبت معنى ثانياً للجموح غير صفة ركوب الرأس بقوله: « والجموح الثاني: النشيط السريع وهو ممدوح، ومنه قول امرئ القيس وكان من أعرف الناس بالخيول وأوصفهم لها: **جموحاً مروحاً وإحضرها كعمعة السَّعَفِ الموقد**

ولزهير وللأعشى ولطرفة وعبيد بن الأبرص والنابعة وعدي بن زيد من الجاهليين وللبيد وابن أحرر من المخضرمين وللأخطل وجريز وذو الرُّمة والراعي النميري من

(١) ١٠ - النازعات.

(٢) ٧٩ - الكهف.

الإسلاميين ولم يتقيد بالحدود الزمانية للاحتجاج فاستشهد بشعر لأبي تمام
ت - ٢٣١هـ وابن الرومي - ٢٨٣هـ والبحري ت ٢٨٤ وكشاجم - ٣٥٠هـ
والمتنبي ٣٥٤هـ من العصر العباسي ولأبي الفتح البستي ت ٤٠١هـ واحتج الثعالبي
٤٢٩هـ بشعره واحتج بشعر شعراء مغمورين كمرار بن منقذ وابن مطران الخرساني
وأبي حفص الشطرنجي ولعدي بن خرشة الخطمي، وأبي مروة المزادي.

وكانت طريقة احتجاجه متنوعة، كقوله ومنه قول امرئ القيس أو منه قول زهير
الأعشى.

أو قال ذو الرمة أو قال لبید أو قال الشاعر أو الراجز وفإن البحري يقول أو وقد
أحسن ابن الرومي في قوله أو جمع ابن الرومي في قوله وأحسن، وقد طرّق أبو الحسن
البستي وما أحسن قول أبي الحسن السلامي في وصف معركة عضد الدولة؛ أو عن أبي
عبدة.. وأنشد، أو عن الليث وأنشد للبيد أو ويُشَدّ قول الراجز أو لرجل من الأنصار أو
لابن أحرر أو لبعض الأعراب وقال ابن قتيبة واحتج بيت الراعي، عن أبي عبدة وأنشد
للنابغة أو عن الأصمعي وأنشد للهذلي. وقد يكفي بقوله: وهو في شعر الخطيئة معروف،
وهو في شعر لبید، أو هو في رجز لرؤية بن العجاج ولكنه لا يذكر الشعر. وفي الفصل
٣٢ من الباب السابع عشر، والفصل في عيوب الخيل (الفرس) وبعد أن يذكر هذه
العيوب يقول الثعالبي ص ٢٦٢: «وقد اشتملت أبيات لي في وصف فرس أمر الأمير
بإهدائه إلي على ذكر نفي هذه العيوب وعنه وهي:

لي سَيِّد مَلِكٍ غَدَاً في بُرْدَتِي مَلِكٍ وَهُوَب

لا بِالْجَهْلِ وَلَا الْمَكُولِ (م) وَلَا الْقَطْوُوبُ وَلَا الْغَضُوبُ

قَدْ جَاءَ لِي أَغْرًا نَعْلَ (م) بِالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ

لا بِالْقَطُوفِ وَلَا الشَّمُوسِ وَلَا الْقَمُوصِ وَلَا الشُّبُوبِ

ويقصد بالقطوف من الخيل الذي يمشى وثباً، والشمول الذي يمنع ظهره من
الركوب والغموص: «الذي يسقط راكبه عنه والشبوب الذي يرفع يديه ويقوم على
رجليه.

وجاء الاحتجاج بالحديث الشريف في المرتبة الثالثة من حيث عدد الأحاديث المستشهد بها التي زادت عن ستين حديثاً، وتنوعت طرق احتجاجه به فقد يقول «نطقت به السنة» دون إيراده ص ٤٨.

وورد كثيراً قوله وفي الحديث أنه ﷺ ذكر، أو في الحديث أنه كان ﷺ أو في حديث ابن عمر أو في حديث عثمان أو في حديث أنس أو في حديث ابن عباس أو في حديث عمر، أو عن أبي هريرة أو أول من تكلم بذلك النبي نحو مات حتف أنفه. كذلك استشهد بأمثال العرب وأقوالهم في ستة وعشرين موضعاً لقوله ومنه قول العرب أو يقال في المثل أو في المثل أو قيل أو في أمثال العرب أو ومنها المثل، أو وحكي أبو الفتح عثمان بن جني عن بعض العرب ...».

وأختتم الحديث بالتنويه بأمانة الثعالبي العلمية بإسناده نقوله إلى أصحابها، سواء في عناوين الفصول، أو في أثناء سرد ألفاظها، كقوله فصل عن أبي بكر الخوارزمي عن ابن خالويه، أو فصل وجدته عن أبي الحسين أحمد بن فارس ثم عرضته على كتب اللغة فصح، وهكذا يُنبّه إلى طريق الوجدادة التي كانت إحدى وسائله في الأخذ والنقل وهو أنموذج في أمانة النقل قل مثيله.

٢-٢-٢-٢ المخصص^(١) لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ):

وابن سيده هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي الذي كان ضريراً و«لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، وما يتعلق بعلومها كما جاء في معجم الأدباء ٢٣٢/١٢ وكان يعتبر نفسه من أئمة عصره، واثقاً من غزارة علمه فقد وصف نفسه في المحكم بقوله: «إني أجد علم اللغة أقل بضائعي، وأيسر صنائعي، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم دقيق النحو، وحوشي العروض، وخفي القافية وتصوير الأشكال المنطقية، والنظر في سائر العلوم الجدلي ...».

وإن مصنفاته التي تركها تشهد له بعلو منزلته في علوم العربية ومنها المحكم والمحيط الأعظم الذي سبقت دراسته في معاجم المفردات، ومعجم المخصص الذي يعد أوفى

(١) المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الباز، مكة المكرمة.

معاجم الموضوعات أو المعاني وأغزرها مادة في العربية. وقد أحسن صنعاً ابن سيده في مقدمته؛ بما أبان فيها من أهداف تصنيفه وتبويبه وترتيبه ومصادر مادته.

ومما طرحه في بدايات مقدمته الثراء الدلالي للألفاظ فقد يفصح اللفظ عن معنيين متضادين، وعلى كيفيات مختلفة، وقد يجتمع أكثر من لفظ على معنى واحد، وهو حديث في مجمله عن التضاد والاشتراك اللفظي والترادف.

وينتقل بعد هذه الإشارة إلى نشأة اللغة، وحياء وتوقيفاً أو اصطلاحاً ومواضعه. كما ذكره من حجج وآراء مختلفة ساقها العلماء نقلاً وعقلاً كأبي علي الفارسي الذي خصّه بالذكر. وابن جني الذي نقل عبارته ورأيه في هذا الشأن دون عزو واثني إلى تعريفه اللغة ونقله عنه أيضاً.

بعد ذلك ينتقل إلى الدواعي التي دفعته إلى تصنيف كتابه المخصص بقوله ص ٧: «فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عما نتصوره، وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا؛ أحببت أن أجرد فيها كتاباً يجمع ما تنشر من أجزائها شعاعاً وتنثر من أشلائها؛ حتى قارب العدم ضياعاً، ولا سيما هذه اللغة.. ذات المعاني الحكيمة والألفاظ المتفقة، مع كون بعضها مادة كتاب الله..».

وعليه فالداعي الأول هو رغبته في تصنيف كتاب يجمع بين ألفاظ اللغة ومعانيها. أما الداعي الثاني فكان ما رآه من نقص أو خلل فيما ألف من كتب لتقييد اللغة فوجده على حد قوله ص ٧ — ٨ «نشراً غير ملتئم، ونثراً ليس بمننظم، إذا كان لا كتاب نعلمه إلا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه، ثم لم أر لهم كتاباً مشتملاً على جلّها، فضلاً عن كلّها.. قد حُرِّموا الارتياض بصناعة الإعراب...».

فإننا نجدهم لا يُبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء.. وربما استشهدوا على كلمة من اللغة بيت ليس فيه شيء من تلك الكلمة.. إلى غير ذلك من قوانين التصريف التي جفّت أذهانهم عن رقتها، وغلّطت أفهامهم عن دقتها، فاشترأت نفسي عند ذلك إلى أن أجمع كتاباً مشتملاً على جميع ما سبق إليّ من اللغة...».

فكانه يأخذ على من تقدّمه في التأليف المعجمي المنهجية التي اتبعوها فحرمت أعمالهم من الشمول والتكامل والتنظيم، عدا ما رمى به هؤلاء المتقدمين من جهل بقوانين اللغة النحوية (صناعة الإعراب) والتصريفية؛ فأراد أن يصنف معجماً يكون منظماً ومبوّباً تبويباً منطقياً ص ١٤ «بتقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والإتيان بالكليات

قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر والتقنية بالأعراض، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل.. حين شرعت في القول على خلق الإنسان». وهذا يشمل الضرب الأول من علم اللسان الذي وصفه ابن سيده ص ١٤ بأنه «حفظ الألفاظ الدالة في كل لسان وما تدل عليه، وذلك كقولنا طويل وقصير وعامل وعالم وجاهل» وهذا هو التنظيم المنهجي الذي كان ينقص المؤلفات السابقة عليه من وجهة نظره، وإن كان في ذلك نظر؛ إذا هذه المنهجية لم تكن تنقص كتاب الغريب المصنف الذي كان يحفظه ابن سيده عن ظهر قلب. أما الضرب الثاني من علم اللسان الذي أراد ابن سيده أن يتلافى به جهل المتقدمين فيضمّنه المخصص هو ما سماه ص ١٤: «علم قوانين تلك الألفاظ» التي تحفظ الألفاظ المفردة هي «المقاييس التي يعلم بها المؤنث من المذكر والجمع من الواحد والممدود من المتطور، والمقاييس التي تطرّد عليها المصادر والأفعال ويبين بها المتعدّي.. وما يقضى عليه بأنه أصل أو زائد... ولذلك ذكرت هذه الأبواب كلها بعد ذكر الألفاظ الدالة...».

وبذلك يكون المخصص قد اشتمل على قسميه المحيطين به «على حد تعبير ابن سيده مما يمكن أن نجمله بقولنا إنه أراد أن يجمع المفردات بمعانيها التي تنضوي تحتها، مع القوانين اللغوية النحوية والصرفية التي تخص هذه المفردات، مما سأعود إليه بالتفصيل فيما بعد.

ولا أترك خطبة الكتاب حتى أستوفي مضمونها حيث ذكر فيها سبباً ثالثاً دفعه إلى تأليف المخصص وهو استجابته لدعوة من أمير دانية الأندلسية الموفق العامري الذي أغدق عليه أوصافاً فيها من الغلو والمغلاة والتملق مالا يُعقل ولا يُصدّق في الوقت الذي تجرأ فيه على من سبقه من العلماء ورماهم بالجهل وتصنيفاتهم ووصفها بالنقص. وقد تمادى في المبالغة بقوله عن هذا الأمير ص ٩ الذي دعاه إلى جمع هذا الكتاب بعد أن عجم رجال بلاطه فوجده أشرفهم عنصراً وأوفرهم علماً فأهّله لذلك وهداه إلى كيفية التأليف وبين له قوانين التصريف.

ومما يحمد لابن سيده، غير ما سبق، هو إصراره على ذكر مصادره في مقدمته أو خطبته بقوله ص ١٢ — ١٣ «فأما ما نثرت عليه من الكتب فالمصنّف وغريب الحديث لأبي عبيد، وجميع كتب يعقوب كالإصلاح والألفاظ والفرق والأصوات ومعاني الشعر وكتابات ثعلب الفصيح والنوادر وكتابات أبي حنيفة في الأنواء والنبات، وغير ذلك من كتب الفراء والأصمعي وأبي زيد وأبي حاتم والمبرّد وكراع والنضر وابن الأعرابي واللحياني وابن

قتيبة، وأما من الكتب المجنّسة فالجمهرة والعين وهذا الكتاب الموسوم بالبارع.. وأضفت إلى ذلك كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري الموسوم بالزاهر، وحليّته بما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المعلّلة.. وأضفت إلى ذلك ما تضمّنه هذا الضرب كل كتاب سقط إلينا كتب أبي علي الفارسي كالإيضاح والحجة ومسائله.. كالحليّيات والبغداديات والشيرازيات، وكتب أبي الفتح عثمان بن جني ما سقط إليّ منها وهي التمام والمُعرب والخصائص وسر الصناعة والمتعاقب وشرح شعر ابن جني وتفسير شعر الحماسة.. هؤلاء أهل اللغة حملتها وحماؤها ونقلتها ورواؤها، مشافهوا الفصحاء...».

ويتضح مما سبق أنه استقى مادته من كتب اللغة أو الرسائل اللغوية، ومعاجم الموضوعات كالغريب المصنف، ومعاجم المفردات أو المجنّسة كالجمهرة والعين وكتب النحو والصرف وأصول اللغة والتفسير مما ذكره ولم يذكره، ومن العلماء من ذكره ومنهم لم يذكره في هذه المقدمة كثابت بن أبي ثابت.

تبويب المخصص وترتيبه:

لما أراد الأستاذ عبد السلام هارون وضع فهرس المخصص وضع الحقول الدلالية أو الموضوعات التي احتواها المخصص تحت عنوان عام مجمل وشامل سمّاه فهرس الفنون العربية التي بلغت عنده سبعة فنون هي:

١. الإنسان وما يتعلق به: الإنسان — النساء — الأولاد.
٢. الحيوان.
٣. النبات والشجر.
٤. الأدوات والأشياء.
٥. العلويات والأزمنة.
٦. السفليات والمياه والأمكنة.
٧. المعاني والأحداث.

ومن أراد أن يرصد الفهارس التفصيلية لهذه الحقول أو الموضوعات سيجد أن كل حقل منها موزع على أسفار الكتاب دون العناية بتتابع الصفحات ففي فن الأدوات والأشياء يفهرس للقسم الأول منها وهو الآلات التي توزعت على السفر: ١٠ في الصفحات: ٧، ١٥٢، والسفر ٤ في صفحات ١٣، ١١٥، والسفر: ١٢ في الصفحة: ٩٤ والسفر ١٣: في الصفحات ٤٩، ٧٠، ١٦، ٢٠ و السفر: ٦ في الصفحات ١٨٧،

والسفر ٧: في الصفحات: ٨٣، ٣١، والسفر ٨ في الصفحات ٨٧، ١٤٠ والسفر: ١١ في الصفحات: ٢٣، ٨٢، ٧٨. وهذا نموذج واحد فقط للفهرسة الفنية.

أما التبويب وفقاً لترتيب الموضوعات وتتابعها في المخصص بناء على ما أثبتته ابن سيده في الكتاب فهي تسعة عشر كتاباً، كما سماها بنفسه:

- ١- كتاب خلق الإنسان. ٢- كتاب الفرائز. ٣- كتاب النساء.
- ٤- كتاب اللباس. ٥- كتاب الطعام. ٦- كتاب السلاح.
- ٧- كتاب الخيل. ٨- كتاب الإبل. ٩- كتاب الغنم.
- ١٠- كتاب الوحش. ١١- كتاب السباع. ١٢- كتاب الحشرات.
- ١٣- كتاب الطير. ١٤- كتاب الأنواء. ١٥- كتاب النخل.
- ١٦- كتاب المكنيات والمبنيات والمثنيات. ١٧- كتاب الأضداد.
- ١٨- كتاب الأفعال والمصادر. ١٩- كتاب المقصور والممدود.

وانضوى كل كتاب على تقسيمات فرعية يسمى بعضها أبواباً وأكثرها.

ومن يتأمل كتب المخصص يلاحظ أنها تدور في محاور أو حقول دلالية كبرى يسلسلها ابن سيده بشكل منطقي حين يبدؤها بالمحور الإنساني فيفتح له كتباً منسجمة أولها خلق الإنسان ذكراً وأنثى وخلقها وبعدها يتناول غرائزه ويتبعه بمطالب حياته من اللباس والطعام والسلاح. وبعدها ينتقل إلى المحور الحيواني فيفتح له كتباً عن الخيل والإبل والغنم والوحوش والسباع والحشرات والطير، وأغلبها مخلوقة لمنفعة الإنسان.

والمحور الثالث عن الفضاء الذي يعيش فيه الإنسان وما يكتنفه من أرض ومناخات وأنواء يؤثر فيها ما احتواه من نجوم وأفلاك وشمس وقمر، وما ينتج عن كل ذلك من سحب ومطر وحر وبرد.

وسيتبع بعد ذلك بالضرورة الحديث عن قوت الإنسان النباتي من الشجر وخاصة النخيل وهو المصدر الأول لغذاء العرب النباتي، وكل ذلك في كتابي الأنواء والنخل. أما المحور الأخير فكان في اللغة، وهي هنا العربية ففتح كتباً لقوانينها الصرفية والنحوية.

وانضوى كل كتاب على تقسيمات فرعية سُمي بعضها أبواباً وأكثرها اكتفى له بالعنوان فقط في تنسيق وترتيب يغلب عليه التتابع والتسلسل ففي كتاب خلق الإنسان وهو الكتاب الأول من المحور الإنساني يصدره بمبحث عن دلالة لفظ إنسان وتصريفها، ثم

يبدأ بذكر أقسام هذا الكتاب ولا يصف منها بلفظ باب إلا ثلاثة هي (باب الحمل والولادة، وباب التشعث، وباب الفصاحة) والباقي اكتفى بالعناوين فقط وهي ١٢٠ قسمًا. والتسلسل المنطقي في هذا الكتاب يبدو واضحاً من عناوين أقسامه المتتابعة وبسرها يتم البيان فبعد باب الحمل والولادة، أسماء ما يخرج مع الولد، الرضاع والفظام والغذاء، والغذاء السيء للولد.. أسنان الأولاد من الصغر إلى منتهى الكبر، أسنان النساء من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر، اللدة والترب، وقد يحتاج القارئ في الفصول السابقة إلى شيء من التلطف للربط فيما بينها، والفصول الآتية التي سيذكرها بعد ما يمكن أن أصطلح عليه بباب وصف الإنسان — ذكر شخص الإنسان وقامته وصورته الذي تنظم فيه الأقسام في سلك دقيق من التتابع حيث يبدأ من أعلى شخص الإنسان وهو الرأس نزولاً إلى القدم مروراً بالشعر والأذن والوجه والعين والأنف والفم وما يحتويه من شفة ولسان وأسنان، والمنكب والكتف والذراع والأصابع والظهر والصدر والبطن وما تبقى من البدن حتى يصل إلى القدم وصفاتها.

ويتبع بعد ذلك عناوين لها صلة وثيقة بالإنسان كالنفس والحياة والطول والقصر والهزال والقوة واللون. وبعدها ينتقل إلى باب آخر في هذا الكتاب سماه باب الفصاحة، طبعاً فصاحة الإنسان واشتمل على فصول في خفة الكلام وثقل اللسان واللحن والكلام وكثرته واختلاطه والقصد فيه ومراجعته والصوت وشدته وخفائه وضخامته والغناء والطرب والضحك والسكوت...

ولا يخلو الأمر من إخلال في التتابع وعدم تجانس بين الفصول بإقحام أقسام في بعض الكتب مما ليس منها كالذي نجده في كتاب الغرائز وهو باب يظهر لي أنه في الصفات الخلقية للإنسان ولكنه يبدو بالحسن والقبح في الوجه والجسم ويقحم فيه أيضاً الاغتصاب ونحوه والخصوصية والدَّعي النسب والناقص الحسب، ويفتح في كتاب الغرائز باباً سماه أبواب المشي ويقحم فيه: أسماء الجماعات من الناس، الفرق المختلفة من الناس، وغمار الناس ودهاؤهم، وجماعة أهل بيت الرجل وقبيلته، العرافة، الملك.. باب الدول، باب الفياء، الخدم، المملوك..

كذلك يقحم أبواب الأمراض في كتاب الطعام ويقحم في أبواب الأمراض فصلاً عن النوم وآخر عن الدور والمنازل والبيوت. إلى غير ذلك من إقحامات في أبواب الكتاب. ولكننا نستطيع القول إن ابن سيده حاول أن يلتزم بمنهجه بتقديم الأعم فالأعم

وبالكليات قبل الجزئيات، ولكن كان أحياناً يفلت منه الزمام فيستطرد بذكر ما يعنّ له ولكنه كان منتظماً وملتزمًا بالترابط والتدرج في الإطار العام لمحاور المخصص أو حقوله الكبرى التي أشرت إليها في بداية الحديث عن منهج ابن سيده في الترتيب والتبويب.

وحان الآن الحديث عن ضبط النص فقد انصرف ابن سيده وشغل بالضبط اللازم الذي يزيل اللبس ويفرّق بين المتشابه ويضبط الصيغة، ويوضح المقصود، وقد يرد هذا الأمر في كل صفحة بل في كل سطر، ومن أمثلة ذلك في ١٧/١: «قال صاحب العين: الحَمَل: ما يُحْمَل في البطون من الأولاد في جميع الحيوان حملت تَحْمَلُ وَحَمَلًا» وفي ١٨/١: «... أن فُتْيَةً من بعض أحياء العرب.. لما أَحَسَّت بالحبل... قالت لأمها يا أُمّتَا أجد عيني هَجَانة وشفتي ذَبَانة وأراني حَبْلَانة. قالت لها: ومِمَّ ذلك، قالت: خرجت ذات يوم بالغنم أَرعاهما فواثني غلامٌ عَقِيلِيٌّ.. قال أبو علي: وشَفَةٌ ذَبَانة ذابِلَةٌ صفراء ذَبَّتْ تَذِب ذَبًا وَذَبِيًا وَذُبُوبًا».

وفي ١٩/١: «ابن السَّكَيْت: ماتت المرأة بِجُمُع وجُمُع أي وولَدُها في بطنها، وقيل إذا ماتت بِكْرًا، وقال هي منه بِجُمُع وجُمُع إذا كانت عذراء لم يَفْتَضَّها ومنه قول الدَّهْناء بنت مَسْحَل امرأة العَجَّاج حين نشرت عليه: «أصلحك الله أنا منه بِجُمُع».

ومن الأمثلة السابقة يمكن ملاحظة ما يلي:

- ضبط كلمات منها، وتعرية أخرى.
- لم يكن الضبط عبثاً أو استعراضاً أو تعالماً من ابن سيده وإنما لغايات يمكن استشفافها والوقوف عليها نحو: تحديد معنى الصيغة بحركة على أحد حروفها كالحَمَل بفتح الحاء بمعنى الجنين، وجُمُع بضم الجيم غير الجَمْع بفتحها، وقد يكون الضبط لإزالة اللبس بين فُتْيَةٍ المصغرة المضبوطة وبين فِتْيَةٍ جمع فتى لو بقيت الكلمة دون ضبط. وبين عَقِيلِيٍّ وعَقِيلِيٍّ والفرق بين السبطين واضح بالتشكيل.

- والضبط قد يمنع الخلط بين الاسم والوصف فذَبَانة بفتح الذال وصف للشفة الذابلة وهي غير الذبّانة بضم الذال واحدة الذباب.

وهناك أمثلة لم يكن في وسعه أن يتركها دون ضبط في التفريق بين الصيغ المتفقة في لفظها أو المفردات المعجمية مثال ذلك في ٦٢/١: «أبو زيد: الهُلب الشعر كله واحده

هَلْبَه. صاحب العين: الهلب ما غلظ من الشعر. والهلب، نتف الهلب وقد هَلْبُته هَلْبًا. ثابت: الهلب: كثرة الشعر».

وقد ينصُّ على الحركة مع الضبط كما في ٢٥/١: «ابن السكيت هو الرضاع والرضاع والرضاعة والرضاعة، قال أبو عبيد: إذا أدخلت الهاء فلا يكون إلا بالفتح وهو الرضع» أي في لفظ الرضاعة بالهاء لا يجوز أبو عبيد إلا فتح الراء منها.

وفي ١١٢/١ - ١١٣: «فأما قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾^(١)، فقد قرئ تَرَى وتَرِي»، قال أبو علي: من فتح التاء فقل: ماذا تَرَى كان مفعول تَرَى شيئين... فهذا وجه قول من قال ماذا تَرَى بفتح التاء...» وتَرَى الأخيرة نصٌّ على الحركة دون ضبط الحرف فيها.

وفي ١٤٥/١ «ابن دريد: الجرُس بالفتح إذا أفرد فإذا قالوا ماسمعت له حِسًا ولا جرُسًا كسروا، فاتبعوا اللفظ اللفظ».

وقد يكون الضبط بالوزن أو بالمثال كقوله في ١٦/١: «ثم نعود إلى لفظ الإنسان.. إنسان عندي مشتق من أنس... فوزنه على هذا فعِلان، وقد ذهب بعضهم إلى أنه إفعِلان من نسي...».

وفي ٣٢/١: «الهيُّ الصغير حكاة سيبويه في الأمثلة، والأنثى هيَّة وزنها فعَلٌ وليس أصل فعَلٌ فيه فعَلًا وإنما بُني من أوَّل وهلة على السكون ولو كان الأصل فعَلًا لقلت هيَّا في المذكر وهيَّاة في المؤنث، ولذلك إذا بنيت من رمى مثال فعَلٌ قلت رَمَيٌّ، ولو كانت على مثال فعَلٌ...» وفي ٤٠/١: «الذي حكاة صاحب العين في جمع كاهل كُهَل على أنه جمع كاهل في رواية من روى هذا الحديث من كاهل على مثال فاعل فيكون كضارب وضُرَّب لأن فعلا لا يُكسَّر على فُعَل...» وفي ٤٩/١ «ضَهَيَّا، أبو اسحق الزجاج، هو فَعِيلٌ... والضَّهَيَّا المرأة التي لا تحيض ولا ينبت لها ثدي كأنها تشابه الرجل، وقد حكى وليس بثبت ضَيَّهَد وهو فَيَعَلٌ..».

وقد يكون الضبط بالنص على الحرف خوف التصحيف والتحريف نحو ما جاء في ١٨/١: «أبو علي: اختلفوا في الوضع والتضع فبعضهم يجعلهما لغتين، وبعضهم يجعل التاء مبدلة من الواو قال وليس ببدل اطرادي....».

وفي ٢٩/١ نقل عن أبي عبيد العجوز الشملق: « وهي السيئة الخلق، قال الفارسي: هذا مما صحَّف فيه أبو عبيد إنما هو سملق بالسين غير المعجمة .. ». وفي ٢٨/١: قال صاحب العين: سَعَمْتُهُ وَسَعَمْتُه بالعين والغين « أي أحسنت سقي الزرع. وفي ٤٣/١: « صاحب العين: رجل غاس بالغين معجمة ». بعد الإمام بطرق ضبطه يحسن الدخول إلى أساليب أداء المعنى وهو العنصر الأهم في النص المعجمي بل هو الغاية من تصنيف المعاجم تحفظ فيها اللغة وتحتزن دلالاتها. وقد تنقل ابن سيده من أسلوب إلى آخر تنقلًا يحيط بآراء اللغويين الذي ينقل عنهم وينظمها ونسّق فيما بينها.

فقد جاء في ترجمته أنه كان يحفظ الغريب المصنف عن ظهر قلب ولديه تجربة عميقة في التصنيف المعجمي يشهد لها كتابه المحكم والمحيط الأعظم مما يعني أنه على دراية تامة بثمرة جهود سابقه من المرتجل والمستعمل والغريب والنادر من مفردات اللغة وبمعانيها وعلى حد قوله في ص ١١ من خطبة الكتاب فقد: « تكون اللفظة منقولة عن معنيين مختلفين فصاعداً، فإذا قيلت على معنى متقدّم ثبّه على أنّ لها معنى باقياً يؤتى به فيما يُستقبل أو معنيين أو معاني، وإذا قيلت على معنى متأخر عن ذلك المعنى ثبّه على أنّ لها معنى آخر قد تقدّم أو معنيين .. » ومعنى ذلك أنه يضع بين يديه جهود سابقه ويلم بما لمفردات اللغة من تطوّر في دلالاتها تخصيصاً وتعميماً.

وأبدأ بتفسير المفردات بالترجمة أو بالمفردات كما في ١٨/١: « هَجَانَة: غائرة » وفي ١٩/١: « الطَّلَق: وجع الولادة » وفي ٢٧/١: « المُرْعَث المُرْضِع » وفي ٢٨/١: « الرّابُّ: زوج الأم » وفي ٣١/١: « الصَّبوة: جَهْلَة الفُتوة » وفي ٣٢/١: « الهَبْيُ: الصغير ».

وفي ٣٤/١: « الحَزَوْر: الممتلئ شباباً » وفي ٣٦/١: « السُّبُرُوت: الأَمْرَد ». وفي ٤٤/١: « بَدَن: أَسَن » وفي ٥٤/١: « الفروة: جلدة الرأس » وفي ٥٥/١: « الذَّوَابَة: أعلى الرأس » وفي ٦٥/١: « أبو عبيد: المَعْدودن: الشَّعر الطويل »، وفي ١٠٣/١: « العمى: ذهاب البصر من العينين معاً ». وفي ١١١/١: « العَدَف: القَذَى ». وفي ١١٨/١: « ابن دريد » الرّنا: إدامة النظر « وفي ١٤٠/١: « ابن دريد — الحُرمة: غَلَط الشفة » وفي ٥٩/٢: « الكَرْبَلَة: رخاوة القدمين » وفي ٦٤/٢: « الرَّمَق: بقية الحياة ». وفي ٧٠/٢: « الحَنْدُقُوق: الطويل المضطرب »، « والهَجَنَع: الطويل الضخم » وفي ٧١/٢:

« الحَبْر: القصير » وفي ٧٦/٢: « العَوَكَل: القصير » وفي ٧٢/٢: « العَبْهر: العظيم»،
« العَبْل: الضخم » وفي ٨٧/٢: « العَكْوَك: السمين» وفي ٨١/٢: «الزَبْعَرى: الضخم»
وفي ٩٢/٢: « الصَّمَحَمَح: الشديد.. وقد تقدّم أن الصَّمَحَمَح من الرجال الذين بين
الثلاثين والأربعين » وفي ١٤٤/٢: والكَهْكَهَة: صوت الضحك ».

ويذكرنا أداء المعنى بالترادف، بالكلمات أو المفردات المعجمية التي تترادف على
معنى واحد؛ أي بالترادفات الدالة على الصفات خاصة كالألفاظ الدالة على الطويل،
والقصير والعظيم والغليظ والشديد. ففي فصل عن الطوال من الناس في السفر الثاني تأخذ
الصفحات من ٦٥ — ٦٩ أكتفي باقتطاع ما يلي « أبو عبيد: العَشْنَط والعَنْشَط والنُّعْ
والشَّعْشَع والصَّقْعَب والأشَق والأَمَقَّ والخَبَقَّ والبَتَع والمَجْرَع: الطويل ». « أبو عبيد:
المَسْعَر والعباب والأعيط السَّرْعَرَع والقَسِيبُ والمَهْهَك والشَّعْلَع والشرعب والخَلْجَم
والسُّرْحوب والشُّرواط والسَّلْجَم: الطويل »، « ابن دريد: المُصْلَهَبُ والسَّلَنْطَع
والسَّلَنْطاع والغُنْظوان والسَّلْقَم والقُمْدُ والقُمْدَان والأَقْمَد: الطويل ».

« ابن دريد: المَسْمُوك والشَّرْجَب والسَّلْحَب والشَّخْب والسَّفْنَح والسَّقْلَج
والسَّلْبَح والسَّلْطَم: الطويل »، « ابن دريد: « الغَذَل والزَيْفَن والصَّيْهَد والصَّيْهَب
والعَوَظَل والعَطَوْد والعَطَرْد والعَطْلَس والسَّيْطَر والسَّبَاطَر والخَلِجَم والطُّرْحوم والطُّرْمُوح
والشَّنْعَاب والشَّنْعَاب والشَّنْعاف والسَّيْجَف، والأشْجَع وَرَجُلٌ شَجَعَة: طويل » ومنه
كذلك: « ابن السكيت الطُّرْمَاح: الطويل، السيراقي: العَرَطْلِيل: الطويل، وقد مثل به
سيبويه والسَّبْطَر: الطويل، وقد مثل به أيضاً... أبو زيد: العَبْعَب: الطويل.. اللحياني:
«اللَّهُوف: الطويل » وفيما سبق دلالة كافية على ظاهرة الترادف التي تجتمع فيها
مفردات، تقل وتكثر، على معنى واحد.

وانتقل إلى أسلوب آخر وهو أداء المعنى بالتعريف، وهو أسلوب ينسجم مع توجهه
في التفسير والشرح حين تعهد في مقدمته بالألا يفسر المفردة بمثلها ولم يستطع الوفاء بذلك،
ومن التعريف قوله في ٢٠/١: « أبو زيد: الحَصُوف من النساء: التي تضع في تاسعها ولا
تدخل في عاشرها... »، « أبو عبيد المصِل التي تُلقَى ولدها وهو مُضْغَة... الأصمعي:
امرأة سُلُوب إذا أُلْقَتْ لغير تمام.. والخَدَاج من أول خلق الولد إلى ما قبل التمام.. ». وفي
٢١/١: « العقيقة والعَقَّة كل شعر يَكُون على المولود حين يولد من الناس والبهايم » وفي
٢٤/١: « السابِئ الماء الذي يكون على رأس الولد » وفي ٢٦/١: « المَغْل: اللبن الذي

ترضعه المرأة ولدها وهي حامل.. وه مُمغل ومُغلة». وفي ٣٤/١: «أبو عبيد:
الغيداق: الصبي الذي لم يبلغ. ثابت: فإذا قارب الحلم قيل هو مراهق». وفي ٤٠/١: «صاحب العين: رجل كهل وقوم كهول: الرجل إذا وخطه
الشيب.. ابن جني: هو ما بين أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين». وفي ٤٩/١: «والضَّهْيَا: المرأة التي لا تحيض ولا ينبت لها ثدي، كأنها تشابه الرجل
في ذلك».

وفي ٦٤/١: «ابن دريد اللحية: اسم يجمع ما على الخدين والذقن من
الشعر».

وفي ٦٧/١: الضفيرة كل خصلة من الشعر على حدة والجمع ضفائر» وفي ٧٧/١: «وقال أبو عبيد: الخليس والمخلص: الذي سواده أكثر من بياضه، ثابت ومن
ذلك قيل رجل خلاسي: إذا كان أحد أبويه اسود والآخر أبيض».

وفي ١٣٢/١: «ثابت: في الأنف الشمم: وهو ارتفاع القصبة وحسنها واستواء
أعلاها، وإشراف في الأرنبة.. وقيل الأشم من الأنوف الذي طال ودق في غير حذب». وفيها: «ثابت: الخنس وهو تأخر الأرنبة في الوجه وقصر الأنف.. الأصمعي: الخنس:
تأخر الأنف في الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مُشرف»، وفيها: «الفطس
وهو عرض الأرنبة وتطامن قصبة الأنف مع انتشار في منخرية» وفي ١٤٤/١: «ثابت:
اللثة: وهو اللحم الذي على أصول الإنسان يمسكها». وفي ٤٣/٢: «العجب: ما انضم
عليه الورك من أصل الذنب وهو آخر ما يلى وقيل لا يلى» وفي ١٢٠٠/٤: «أبو
عبيد: يسمى الطعام الذي يصنع عند العرس — الوليمة، أبو زيد: الوليمة: كل طعام صنع
لعرس كان، أبو عبيد: والذي يُصنع عند الإملاك — النقيعة، وقيل النقيعة: ما صنعه الرجل
عند قدومه من سفره» وفي ١٢٢/٤: «العُلقة والعَلاق: الطعام يُتبلَغ به إلى وقت
الغداء» وفي ١٤٤/٤: «ابن السكيت: البَسيسة: الدقيق أو السويق بُلت بالسمن أو
بالزبد ثم يؤكل ولا يُطبخ.. والأقط يُدق ويطحن ثم يُلبك بالسمن المختلط بالرُّب». وفيها:
والبليلة طحين وتمر يُخلط يُصب عليه السمن أو الزيت ولا يُطبخ».

وانتقل إلى أسلوب آخر في أداء المعنى، وهو التفسير بإيراد المفردة في
سياق شرطي يكون الشرط فيه مفسراً لجوابه. في ١٨/١: «إذا عظم ما في بطنها

(الحبلى) فيه مُثْقِلٌ ومُجَحٌّ وفي ١٩/١: «إذا اشتَهت المرأة شيئاً على حملها فهي وحمى»...

«إذا دنت ولادتها قيل أخذها المخاض» وفي ٢٠/١: «ابن الأعرابي إذا أخذها الطلق.. قبل تَصَلَّقَتْ وهي متصلِّق.. فإذا أَلَقَتْ ولدها لغير تمام فهو سَقَطٌ وسَقَطٌ.. فإذا كان ذلك عادة لها فهي مَسْقَاطٌ.. فإن أسقطت قبل تمام شهور والولد تام قيل خرجت وهي مُخْدَجٌ» وفي ٢١/١: «إذا اعترض ولدها فَعُسِرَتْ ولادتها قيل عَضَلَتْ وهي مُعْضِلٌ»، «ثابت: إذا ولدته سهلاً قيل ولدته سُرْحاً»، ٢٢/١: «وإذا دُعِيَ لها قيل أَيْسَرَتْ وأَذْكَرَتْ»؛ «إذا اشتكت بعد الولادة فهي رَحُومٌ»، «إذا ولدت ذكراً قيل أذكَرَتْ وهي مُذْكَرٌ، وإن ولدت أنثى فهي مُؤْنِثٌ، فإن كان ذلك لها عادة فهي مَذْكَارٌ ومِئْنَاثٌ» وفي ٢٣/١: ابن السكيت «إن ولدت واحداً فهي مُوَحِّدٌ ومُفْرِدٌ ومُفْعِدٌ.. فإن ولدت اثنين في بطن فهي مُتَّمٌ.. ابن السكيت: فإذا كان ذلك من عادتها فهي مَتَّامٌ».. «أبو عبيدة: فإن ولدت المرأة بطناً واحداً فهي بَكْرٌ والجمع أَبْكَارٌ، وكذلك الناقة... فإن ولدت اثنين فهي ثْنِيٌّ» وفي ٣٣/١: «إذا ظهر سِنُّ الصبي في أول ما يَنْبُتَ قيل شَقٌّ.. وَطَّلَعَ وَنَجَمَ... أبو عبيد: إذا سقطت رِوَاضِعُ الصبي قيل نُغِرَ.. الأصمعي: إذا سقطت رِوَاضِعُهُ قيل حَفَرَتْ، أبو عبيدة: «إذا خرجت أسنان الصبي بعد سقوطها قيل أَبْدَأَ» وفي ٤٣/١: «ثابت: إذا ذهب عقله (الرجل) فهو خَرَفٌ.. أبو عبيد: إذا كثر كلامه من الخَرَفِ فهو مُفْنَدٌ ومُفْنَدٌ.. أبو عبيد: فإذا كَبِرَ وَهَرِمَ فهو الْهَلُوفُ والقَهْبُ والدَّرْدَحُ.. أبو عبيد: إذا اضطرب من الكِبَرِ فهو مُنَوِّدٌ». وقد يسلك في التركيب الشرطي سلوكاً مخالفاً بحيث يذكر المفردة المعجمية متلوّة بتفسيرها في تركيب شرطي كقوله في ١٩/١: «امرأة مُغِيلٌ ومُغِيلٌ إذا سَقَتْ ولدها الْغَيْلُ، أبو زيد: امرأة مُرِدَّةٌ إذا كانت في معظم حملها.. وقال (ابن السكيت): هي منه بِجُمُعٍ إذا كانت عذراء..» وفي ٢٠/١: «الأصمعي: امرأة سَلُوبٌ إذا أَلَقَتْ لغير تمام» ومثل ذلك ما جاء في ٢١/١ «عضل المرأة يعضُلُها ويعضُلُها إذا حبسها عن النكاح» وفي ٢٢/١: «أبو عبيد سطوتٌ على المرأة سطواً إذا أخرجت الولد من رحمها»، «الأصمعي: خَوَيْتِ المرأة خوىً إذا ولدت فخلا جوفها»، «وقال صاحب العين: ربيتُ الصبي أَرْبُهُ رَبّاً.. إذا أحسنت القيام عليه»، «صاحب العين: شَوَّكَ شارب الغلام إذا خَشَنَ لمسه.. وقد استعْلَجَ إذا خرجت لحيته وغلظ واشتد».

وفي ٣٧/١ النضر: يقال للغلام رجل إذا احتلم وشبَّ «، وفي ٤٢/١: «قال صاحب العين: انخزع متن الرجل إذا انحنى من الكبر والضعف».

وقد يؤدي المعنى باستعمال (أي) التفسيرية بين المفردة المعجمية التي ترد في جملة متلوّة بالمعنى بعد أي التفسيرية نحو قوله في ١٩/١: «ابن السكيت: ماتت المرأة بجمع وجمع أي وولدها في بطنها».

وفي ٢٠/١ «أبو عبيد: ما حملت المرأة نُعْرَةً أي ملقوحاً...» وفي ٢٥/١: «جاء أهله يسترضعون له أي يطلبون له المراضع».

وفي ٢٦/١: «ابن السكيت: ما حجم الصبي ثدي أمه أي ما مصّه» وفي ٣٠/١: «ثابت: ... اجتنّ أي أكتنّ في بطن أمّه» وفي ٣١/١: «قال أبو زيد: قوله جل وعزّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^(١) أي أنهار». وفي ٣٣/١: «أبو زيد: لم يُثْغِرِ الصبي سناً أي لم تسقط له» وفي ٣٧/١: «هذا أرجل الرجلين أي أشدهما»، «أبو زيد: من أمثالهم: أعيتني من شُبٍّ إلى دُبٍّ، ومن شُبٍّ إلى دُبٍّ أي من لدن شبيبت إلى أن دبيت» وفي ٣٨/١: «ابن السكيت: لفلاة جارية قد تفتت أي تشبّهت بالفتيات، وفُتِيت أي مُنِعَت من اللعب مع الصبيان».

وفي ٤١/١: «سيبويه: بلغ المكبر أي الكبر»، «ابن السكيت: هو في قرحها أي أولها» وفي ٥٤/١: «ابن الأعرابي:.. في المثل: «إنما يُعَاتَبُ الأدمُ ذو البَشْرَةِ أي إنما يكلم من يُرجى خيره».

وفي ٥٥/١: قال ابن جني: قولهم غضب الرجل كما قيل أنف أي حمي أنفه غضباً» وفي ٦١/١: «أبو زيد: فلان قندلُ الرأس أي عظيمه» وفي ٧٧/١: «الحديث: أنا العاقب أي آخر الرسل».

وقد توضع المفردة في سياق لغوي أي تركيب أو جملة فعلية أو اسمية ففي ٢٠/١ «قال أبو علي: أشعر الجنينُ وشعرٌ استشعر: نبت عليه الشعر في بطن أمّه» وفي ٢٣/١ «أبو حاتم: تعلت المرأة من نفاسها وتعلّت خرجت منه وظهرت حلّ وطؤها».

وفي ٢٦/١: «ابن دريد: مكّ الصبي ثدي أمه مكاً ومكّمكة: (استقصى مصّه.. أبو زيد: عرّم الصبي أمه يعرّمها رضعها...» وفي ٥٢٧/١: «أبو زيد: رَغَثَ المولود أمه

يرغئها رَغْئاً: رضعها». وفي ٢٨/١: «صاحب العين: دغرتُ الصبي أدغره دَغْراً وهو دفع الورم الذي في الحلق، وفي الحديث: لا تُعذِّبنَ أولادكُن بالدَغْرِ» وفي ذ/٣٣: «الأصمعي أجفر الصبي: سقطت له الثيتان العليان السفليان» وفي ٣٥/١: «ابن دريد: أنبت الغلام: راهق واستبان شعر عانته، الأصمعي نَبَتَ الجارية: أحسن القيام عليها رجاء فضلها»، «صاحب العين: أصحب الرجل: بلغ ابنه مبلغ الرجال فصار مثله فكأنه صاحبه» وفي ٣٧/١: «الضر: ترجَلَت المرأة: صارت كالرجل».

وفي ٤٨/١: «أبو عبيد أفرعت المرأة: حاضت، وأفرعها الحيض» وفي ٥٠/١: «النضر: جرَّشَبَت المرأة: ولَّت وبلغت الأربعين أو خمسين إلى أن تموت.. صاحب العين: أصنَّت المرأة عجزت، وفيها بقية» وفي ٦٤/١: «أبو عبيد: طار الشعر: طال... ابن السكيت: أضبَّ الشعر: كثر».

واكتفى من سياق الجملة الفعلية بما سبق من الأمثلة وهي التي لها الكثرة الغالبة على سياق الجملة الاسمية التي من أمثلتها في ٤٧/١ «قولهم: خُبَاءٌ خيرٌ منَ يَفْعَةٍ سَوَاءٍ فمعناه امرأة تلتزم البيوت خير من غلام سَوَاءٍ».

وفي ٤٩/١: «ابن السكيت: هذه امرأة قد ذرأ من شبابها: يعني ذهب».

وفي ٥٥/١: «ثابت: وفي الرأس الجُمجمة: وهو العظم الذي فيه الدماغ» وفي ٥٧/١: «ثابت: وفي الرأس القبائل: وهي أربع قطع متقابلات متشعب بعضها ببعض، وللنساء ثلاث قبائل، قال: والقبائل عظام الرأس العِراض وهي أطنابه... وكل قطعتين شُعبت إحداهما من الأخرى قبيلة ومنه قبائل العرب».

وقد يسوق المفردة المعجمية في تركيب غير إسنادي وصفي، ويعدل هذا الأسلوب في كثرته سياق الجملة الفعلية ومنه في ٢٧/١: «قال أبو علي:... امرأة سُرْعُوفَة: ناعمة طويلة». وفي ٢٩/١: «ابن دريد: صبيٌ محسوم: سيء الغذاء، وقال: صبيٌ زَعْبَلٌ: سيء الغذاء» وفي ٣٠/١: «نضاضة الولد: آخرهم، ونُضاضة الماء وغيره آخره وبقيته»، وفي ٣٢/١: «امرأة مُطْفَل: ذات طفل» وفي ٣٤/١: «أبو زيد: فَرَطَ الولد: صغارهم ما لم يُدرِكوا» وفي ٣٧/١: «امرأة مُرَجَل: تلد الرجال» وفي ٣٩/١: «ابن دريد: غلام بُسر وامرأة بُسر: شابان طريان.. وقل غلام رَوْدَك وجارية رَوْدَكَة ومُرَوْدَكَة: في عنفوان شبابها، وشاب رَوْدَك: ناعم».

وفي ٤٤/١: « قال ابن السكيت: شيخ مُدْرَهَمٌ وإنْقَحَلَ: مُسِنَّ جَدًّا ». وفي ٤٧/١: « صاحب العين: امرأة طَبَاخِيَّة: شَابَةٌ مَمْتَلِئَةٌ » وفي ٥٠/١: « صاحب العين: امرأة مُخَنَّثَةٌ: فيها بقية من شباب »، « ثابت: عَجَزَ عَضَمَةٌ وَهَرَهَر وَكَحَكَح وَهَرَدَشَه: كبيرة، وفي ٥٣/١: « ابن السكيت: رجل أَرَأْس ورؤَاسي: عَظِيمُ الرَّأْس ». وفي ٦١/١: « ثابت: رَأْسُ أَكْبَس: مستدير ضخم.. وقال: رجل كَرُوس: عَظِيمُ الرَّأْس » وفي ٦٢/١: « رجل أفرع: تام الشعر ». وفي ٦٥/١: « سيبويه: لَحْيَةٌ كَثُفَةٌ: طويلة كثيفة أبو حاتم: لَحْيَةٌ هَلُوفٌ وَهَلُوفَةٌ: كثيرة الشعر، أبو زيد: رجل هَلُوف: كثير شعر اللحية والرأس ».

ومن التركيب غير الاسنادي، الإضافي وهو قليل بالنسبة للتركيب الوصفي نحو قوله في ٢٧/١: « خَرَفِجَ النَّبَات: نَاعَمُهُ وَزَاهَرُهُ »، وفي ٣٦/١: « كل صُلْب شديد عِلْج » وفي ٣٨/١: « الأصمعي: أَفَانِينَ الشَّبَاب: أوله واحدها أَفَنُونَ ». وفي ٣٧/١: « ابن دريد: شَرَحَ الشَّبَاب: أيامه، غيره: شَرَحَ الشَّبَاب: أوله، ابن دريد: شَخَّرَ الشَّبَاب كَشَرَحَهُ وكذلك عَدَّاهُ وَعُفَاهُمُهُ — صاحب العين: مَهَكَةُ الشَّبَاب: نفخته وامتلاؤه وفي ٤٠/١: « ابن دريد: حَنُّ الشَّبَاب: حدته ونشاطه — صاحب العين، نُفَخَةُ الشَّبَاب: مُعَظَّمُهُ.. غيره: ريق الشَّبَاب: معظمه وخياره وريق كل شيء: خياره ».

وفي ٥٤/١: « ابن دريد: مِلْطَاطُ الرَّأْس: جملة، أبو حاتم: هو جانبه وقيل جلده، صاحب العين: كل شَقٍّ في الرَّأْس: مِلْطَاطة. ابن دريد: قَادِمُ الْإِنْسَان: رأسه.. الأصمعي: فروة الرأس: أعلاه » وفي ٥٦/١ — ٥٧: « ثابت: قَحْفُ الرَّأْس: كل ما أُنْفَقَ مِنْ جَمْعِهِ فَبَان... أبو عبيدة: صفائح الرأس: قبائله ».

والآن أنتقل إلى أسلوب التفسير بالمغايرة أو بالتضاد حيث لا يجد تفسيراً للمفردة إلا بما يغايرها تماماً، ويعبر عن هذه المغايرة بالفاظ: الضد والخلاف والنقيض كقوله في ٤٨/١: الأصمعي: نَقِيزُ الْحَيْضِ الطُّهْر.. أبو عبيد قال: القراء عند أهل الحجاز: الطُّهْر، وعند أهل العراق: الْحَيْض، وقول النبي ﷺ: « دَعِيَ الصَّلَاةَ أَيْلَمَ إِقْرَائِكَ » إنما عنى الحَيْض فهذه حجة لأهل العراق. وقول الأعشى:

مُورَّثَةٌ مَجْدًا وَفِي الْحَيِّ رَفْعَةٌ لما ضاع فيها من قُروء نَسَائِكَا

عنى الأطهار فهذه حجة لأهل الحجاز » وفي ٦٦/١: « صاحب العين: الجَعْدُ الشَّعْر: خلاف السَّبَط ». وفي ٦٤/٢: « الحياة: ضد الموت »، و« الطول: نقيض

القصر في الناس وغيرهم». وفي ٩٧/٢: «الضعف خلاف القوة» وفي ٥٣/٣: «صاحب العين» السَّفه والسَّفاه والسَّفاهة: نقيض الحلم «ولا بد من الإشارة إلى أن ابن سيده قد فتح كتاباً للأضداد ٢٥٨/١٣ — ٢٦٧ وهو الاصطلاح الذي يعني عند اللغويين العرب كما ذكر ابن سيده في ص ٣ من خطبة المخصص: «اللفظة التي تدل على كميتين مختلفتين منفصلتين أو متصلتين كالْبَشَر الذي يقع على العدد القليل والكثير والجلل الذي يقع على العظيم والصغير، واللفظة التي تدل على كيفيتين متضادتين كالنهل الواقع على العطش والرِّي، واللفظة الدالة على كيفيات مختلفة كالجَوْن الواقع على السواد والبياض والحُمرة وكالسرفه المقولة على الظلمة والنور وما بينهما من الاختلاط، فسأتى على جميعها في فصل الأضداد من هذا الكتاب مُثبتاً له غير جاحد».

وهو فصل مختلف عن آداء المعنى بالمغايرة الذي يتم بذكر لفظين متناقضين في المعنى، بينما في فصل الأضداد المذكور يذكر لفظاً واحداً يحتمل معنيين متضادين كقوله في ٢٨/٦: شام سيفه: أغمدته وسلَّه وهو من الأضداد».

وفي ١٥١/٢: «الحسن ضد القبح.. والمحاسن في الأفعال ضد المساوي».

وإذا كان قد خص هذا الجنس الدلالي، أقصد التضاد، بفصل خاص فإنه تحدّث كذلك في خطبته عن الترادف وهو جنس دلالي آخر حيث ذكر في ١ / ٣: «كذلك أقول على الأسماء المترادفة.. كقولنا في الحجارة حجر وصفاء ونقله وفي الطويل طویل وسَلْبٌ وسَرْحَب...» وقد تحدّث بالأمثلة عن هذه العلاقة الدلالية أو الجنس الدلالي — بعد الحديث عن آداء المعنى بالترادف.

وكذلك تحدّث عن جنس دلالي ثالث هو الاشتراك اللفظي الذي ذكره في ص ٣ من خطبته بعد الترادف بقوله: «وكذلك أقول على الأسماء المترادفة.. وعلى الأسماء المشتركة التي تقع على عدة أنواع كالعين المقولة على حاسة البصر وعلى نفس الشيء وعلى الريئة وعلى جوهر الذهب، وعلى ينبوع الماء وعلى المطر الدائم وعلى حر المتاع، وعلى حقيقة القبلة، وغير ذلك من الأنواع المقولة على هذه اللفظة» يقصد دلالة اللفظ الواحد على معان عدة وقد ضرب لذلك بالعين وبما يرد لها عند العرب من معان وقد أورد شيئاً منها في فصل العين وما فيها بقوله في ٩٣/١: «العين: حاسة البصر.. والعين الذي هو الإصابة بالعين..».

وفي ١٢١/١ يكمل فيقول: « ابن السكيت: لا تُشَوِّه علي: أي لا تقل ما أحسنه فتصيني بعين. أبو عبيد — النفس: العين... » وفي ٨٠/١: « قالوا للريثة هو عين القوم وهو عينهم ».

كذلك كان لأشكال التطور الدلالي نصيب على صفحات المخصص كتخصص الدلالة وتعميمها وانحطاطها. ومن حديثه في التخصص قوله في ٢٤/١: « ابن دريد — المشيمة: السلى، قال ثابت: خص الأصمعي بالسلى المشاية، وبالمشيمة الناس، وفي ٣١/١: « النضر — السليل: الولد حين يولد خاصة... » وفي ٣٣/١: « أبو زيد — الجحش: الصبي في بعض اللغات » وفي ٣٤/١: « أبو زيد — فرط الولد: صغارهم ما لم يدركوا وقيل: الفرط: كبارهم وصغارهم » وعلى ذلك خصصها أبو زيد وعممها غيره. وبقي نوعان من الألفاظ أخذتا حظهما من نص المخصص وهما الألفاظ اللهجية والمعجمية. ومن عاداته أن يذكر اللفظ ويبين معناه متلوياً بانتمائه اللهجي أقصد القبيلة العربية التي نطقت به أو أعطته المعنى الخاص بها كقوله في ٤٥/١: « الثلب: الشيخ هذليه »، وفي ٤٦/١: الهبيجة: الجارية حميرية » وفي ٤٨/١: « القرء عند أهل الحجاز الطهر، وعند أهل العراق: الحيض » وفي ٩٣/١: جحمة الإنسان: عينه يمانية ». وفي ١١٤/١ يذكر نطقاً لهجياً للفظ انظر فيقول نقلاً عن أبي زيد: « لغة لطية نظرت أنظور، إنما جاء في الشعر:

وإني كلما يثني الهوى بصري من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور

وفي ٧٨/٢ « صاحب العين — الخميت: السمين بالحميرية » وفي ٩١/٢: « ابن دريد — القزب: الصلابة والشدة يمانية » وفي ٣/٣: « أبو عبيد + الخضم: الكثير العطية الكلايون » وفي ١٠٦/٣: « الطهق: سرعة المشي يمانية » وفي ١٠٧/٣: « الجفز: السرعة في المشي يمانية » وفي ١١٩/٤: « ابن دريد — العيش: الطعام يمانية » وفي ١٢٤/٥: « أبو عبيد — الساف في البناء: كل صف من اللبن وأهل الحجاز يسمونه المد ماك ».

ولقيت الألفاظ المعربة بعض الاهتمام في المخصص فقد كان يذكر المفردة مع معناها في العربية متبوعة بقوله مثلاً فارسي معرب وقد يبين أصلها في لغتها معتمداً في نقوله على اللغويين: « كما في ٧٢/١ أبو حاتم: الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه فارسي معرب، سيبويه — أصله بالفارسية كوسه، ابن السكيت: وهو الكوسق ».

وقد ينقل عن اللغويين ما طرأ عليها في العربية صرفاً ونحواً كقوله في ٨٣/٤: «قال أبو علي: السراويل فارسي معرّب ولا واحد له، قال سيبويه: زعم يونس أن من العرب من يقول في سراويل سُريّلات؛ وذلك لأنهم إذا أرادوا بها الجمع فليس لها واحد في الكلام كسرت عليه ولا غير ذلك. وقال مرة: أما سراويل فشيء واحد وهو أعجمي أعرب كما أعرب الآخر إلا أن سراويل أشبه من كلامهم مالا ينصرف في معرفة ولا نكرة كما أشبه بَقَمُ الفعل، ولم يكن له نظير في الأسماء، ولذلك جمعت بالألف والتاء ولم تُكسر، فإن حَقَرْتَهَا لم تصرفها كما لا تصرف عَنَاقَ اسم رجل، وحكى غير سرّوالة، أبو عبيد: سراويل أسماط غير مَحْشُوَّة، ابن دريد: سراويل مُخَرَفَجَة واسعة، وقال أعرابي لَحْيَاط خاط له سراويل خرفج مُنطَقَها، خَدَل مُسَوَّقَها، وقال سراويل مُفَرَسَخَة: واسعة...» وكذلك فَعَلَ مع «الآخر» في ١٢٤/٥ واكتفى في كلمات أخرى بقوله «فارسي معرب» كقوله في ١٤٩/٢: «ابن دريد: الخيم فارسي معرّب».

وفي ١٢٦/٥: «أبو حاتم: الدّهليز الدّليج فارسي معرّب» وفي ١٢٦/٥: «أبو عبيد: الجوسق: شبه الحصن، ابن دريد: هو مُعرّب» وفي ٣٥/٤: «الشّوذر: فارسي» وفي ١٢٧/٥: «والطرز: فارسية معرّبة».

وربما يزيد على قوله فارسي معرب بيان أصلها الأعجمي كقوله في ٨٨/٢: رجل قُوش: قليل اللحم ضئيل الجسم فارسي معرّب إنما هو كُوشك أي صغير».

بعد الإفاضة، في الصفحات السابقة علن المستوى الدلالي للألفاظ المفردة في الشق الأول من المخصص الذي خصصه ابن سيده للضرب الأول مما سَمّاه علم اللسان وهو حفظ الألفاظ الدالة، على حد قوله ١/ص ١٤، يجدر أن انتقل إلى الحديث عن الضرب الثاني من علم اللسان وهو علم قوانين تلك الألفاظ ويقصد بها المقاييس الجامعة والمعايير الصرفية والقواعد النحوية التي تحكم تلك الألفاظ، بعد معرفة دلالاتها (انظر ١٤/١ من خطبة المخصص). والحديث في هذه القضايا في المخصص جاء على طريقتين إحداهما نثر التعليقات الصوتية والتحليلات الصرفية والنحوية في المواطن التي احتاجت لذلك على صفحات المخصص، من وجهة نظر المؤلف والأخرى فتح أبواب في الكتاب مخصصة لهذه القضايا في المجالين الصرفي والنحوي ككتاب المكنيات والمبنيات والمثنّيات وكتاب الأفعال والمصادر وكتاب المقصور والمدود.

وعليه فيحذر أن أضرب أمثلة من التحليلات الصرفية والنحوية المنشورة على صفحات المخصص؛ لأنها جزء من هذا النص المعجمي الذي يجب الإمام بجميع عناصره؛ فالتأليف المعجمي عند العرب قديماً اتخذ مفهوماً موسوعياً ولم يقتصر على تأدية معاني المداخل المعجمية، ويبدو أن ابن سيده قد تبني ما نسميه اليوم بالمفهوم الموسوعي فأراد أن يجعل من المخصص موسوعة لغوية تجمع بين جوانب اللغة الدلالية والصرفية والنحوية والصوتية، فنراه بصدر باب الحمل والولادة بمسألة صرفية نحوية في ١٧/١: «أبو عبيد: نسئت المرأة فهي نساء.. قال أبو علي الفارسي «وإذا ذكرنا أبا علي فإياه نعني» وبهذا المصدر وصفت بدلالة قولهم نسوة نساء لأنهم إذا وصفوا بالمصدر وحدوه كان الموصوف به واحداً أو جمعاً، وذلك أنهم إذا قالوا قوم عدل فإنما يريدون ذوو عدل فاخترلوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه...».

وفي ٨٠/١ يتحدث عن تصغير أذن وفي سياق ذلك يذكر بعض أحكام التصغير والتكسير بقوله: «وتصغير الأذن أذينة لأنها أنثى فإن سميت بها رجلاً لم تلحق الهاء في التكسير، وأما قولهم ابن أذينة فكقولهم ابن عيينة وذلك أن الكلمتين سمي بهما مصغرتين. ومن قال أذن فهو تخفيف من أذن مثل عُنُقٍ وطُنْبٍ وظُفْرٍ وكل ذلك يجيء فيه التخفيف ويدل ذلك على اجتماع الجميع في الوزن، الاتفاق في التكسير نقول أذن وأذان كما تقول طُنْبٍ وأطناب..».

وفي ١١٤/١ يربط الحكم النحوي بالدلالة في إعمال نظر «وأما ما حكاه سيبويه من قولهم انظر فاذهب فانظر زيداً أبو من هو، فليس من نظر العين وإنما هو من نظر العقل والبحث ولذلك لم يُجْز فيه إلا الرفع لأن فعل العين متعد إلى مفعول واحد، والذي يُعْلَق من الأفعال إنما هو الفعل المتعدي إلى مفعولين من أفعال النفس دون أفعال الحس، قال: ألا ترى أنك لا تقول نظرت زيداً على هذا الحد يعني أنك إنما تقول: نظرت زيداً بمعنى انتظرت...».

وفي ١٣٦/١ درس صوتي نحوي عروضي يبدأ بقوله وقد اضطر الشاعر فأبدل من العين في فم، الميم في الإضافة كما أبدلها في الأفراد فقال:

يُصبح ظمآن وفي البحر فمّه

وهذا الإبدال إنما هو في الأفراد دون الإضافة، فأجرى الإضافة مجرى الأفراد في الشعر للضرورة كما أجرى فيه الأفراد مجرى الإضافة في الضرورة وذلك في قوله:

خالط من سلمى خياشيم وفا

فحكم هذه الألف في قوله وفا أن تكون بدلاً من التنوين والمنقلبة من العين سقطت لالتقاء الساكنين، لأن الساكن الأول وبقي الاسم على حرف واحد وجاز هذا في الشعر للضرورة لأنه قد يجوز في الشعر كثير مما لا يجوز في الكلام...».

وفي ٦٣/٢ درس صرفي بقوله « والذماء الحركة، ذَمَى يَذْمِي، قال الفارسي: همزة الذماء منقلبة عن ياء وليست بهمزة كما زعم قوم بدلالة ما حكاه أبو عبيد من قولهم ذَمَى يَذْمِي، فأما ما انشده أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد من قول الراجز:

يا ريح بينونة لا تَذْمِينَا جئت بألوان المصفرينا

فليس بحجة على أن الهمزة في الذماء ليست بأصل لأن التخفيف البدلي قد يقع في مثل هذا وفي ٧٣/٢ تعليل صوتي عندما يقول: « القمبُض: القصير، ليس القمبُض لغة وضعية لأنه ليس في الكلام ق م ب ض على هذه الصورة، وإنما الميم فيها بدل من النون للمجاورة والمضارعة كما حكاه سيويه من قولهم عَمِرَ وشبَّاء.

وفي ٢٦/٤ مبحث في تذكير وتأنيث لفظ زوج، وتعديه فعلها بنفسه أو بالباء محتجاً بالقرآن والشعر: « قال أبو علي: قال أبو الحسن الأخفش تقول للمرأة هي زوجته وهو زوجها، قال الله عز وجل: ﴿وخلق منها زوجها﴾^(١) يعني المرأة، وقال أمسك عليك زوجك، وقال بعضهم:

زوجة أشط مرهوب بواذرُه قد صار في رأسه التخويصُ والنزع

قال: وقد يقال للثنين هما زوج قال: وقال الكسائي فيما حدثنا محمد بن السري أن أكثر كلام العرب بالهاء يعني قولهم هي زوجته، وزعم القاسم بن معن أنه سمعها من أزد شنوءة، قال أبو علي: فأما ما كان من هذا في التريل فليس فيه هاء، قال الله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾^(٢)، وقال: أمسك عليك زوجك، ومما يدل أنه بغير هاء، قول الشاعر:

وأراكم لدى المحامة عندي مثل صون الرجال للأزواج

(١) ١ - النساء.

(٢) ١٩ - الأعراف.

فالأزواج جمع زوج بلا هاء، ولو كان في واحده الهاء لكان كروضة ورياض، فلما قال أزواج علمت أنه جعله مثل ثوب وأثواب وحوض وأحواض، ويمكن أن يقول الكسائي: إن هذا جمع على تقدير حذف التاء كما قيل في نعمة وأنعم فجمعت على حذف التاء مثل قطع وأقطع ويمكن أن يقول إنه على قول من قال زوج فلم يلحقه الهاء، ويقال لكل زوجين قرينان وقيل في قوله عز وجل: ﴿وَزَوْجَانَهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾^(١) أي قرنائهم بهن وليس من عقد التزويج على ما روينه عن ابن سلام عن يونس. وقال إنه حكى عن يونس أن العرب لا تقول تزوّجت بها إنما تقول تزوّجتها وحمل يونس قوله وزوجناهم بحور عين على معنى قرنائهم والتزويل يدل على ما قال يونس: (فلما قضى زيد منها وطراً زوّجنا كها) ولو كان على تزوّجت بها لكان زوّجناك بها. قال ابن سلام: قال أبو البيداء تميم يقولون تزوّجت بامرأة ولا يبعد أن يكون قوله زوّجناكها على أنه حذف الحرف فوصل الفعل، فأما قوله تعالى ﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُرَّانًا وَإِنَّا نَآئِلٌ﴾ فعلى معنى يقرنهم ذكراناً وإناثاً.

واكتفى بذكر ما سبق من المسائل الصرفية والنحوية المتفرقة على صفحات المخصص، وانتقل إلى الحديث عن مباحث الصرف والنحو في الأسفار ٣ — ١٧ فتح لها أبواباً مستقلة حيث تحدّث في كتاب المكنيات والمبنيات والمثنيات عن الأب وإعرابه مع بعض الأسماء الخمسة الأخرى، وتثنيته وجمعه والنسب إليه وندائه وكذلك فعل مع لفظ ابن.

وعرّج على المصادر المثناة «لبيك، وسعديك وحنانيك» وفتح مبحثاً للنسب القياسي وغير القياسي. وكذلك فتح باباً للنفي وحروفه وحروف المعاني من ذوات الحرف والحرفين والثلاثة والأربعة والخمسة، وفي باب المبنيات عرف البناء والإعراب وآراء اللغويين فيهما وخص بالحديث أنواعاً منها كأسماء الأفعال وبعض الظروف وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة. وتحدّث في التصغير وما جاء من الأعلام مصغراً وما لا يجوز تصغيره، ثم عن الجمع. أما كتاب الأفعال والمصادر، والشاذ منها وأسماء المرة والزمان والمكان وفتح باباً للمقصورات والمددوات السماعية والقياسية، وذكر ثمانين من أنبياء المقصورات سماعياً وخمسين أخرى للمدودات، وصنفها إلى ثلاثية ورباعية وخماسية واهتم

(١) ٥٤ - الدخان.

بالمقاييس التي لم يذكرها سيبويه وصنف المذكر والمؤنث في بائهما إلى حقيقية وغير حقيقية مع ذكر علامات التأنيث وأبنية المذكر من الأسماء والصفات.

أما في باب العدد فتحدث عما يعرض للعدد من تذكير وتأنيث وإعراب وتعريف، والنسب إليه، وأنهى الحديث عن المسائل الصرفية باشتقاق أسماء الله الحسنى ومعانيها. وفي المجال الدلالي فتح كتاباً للأضداد اعتنى فيه بشرح أنواع الكلام التي ذكرها سيبويه وهي: اختلاف اللفظتين والمعنيين، واختلاف اللفظتين والمعنى واحد (في الترادف)، واتفاق اللفظتين والمعنى مختلف (التضاد). وأورد عدداً منها وفسرها. ومن المباحث التي اعتبرت قديماً من علم التصريف، ولكنها حديثاً تعد من علم الأصوات تعرض لباب البدل وأبواب الهمز والمعاقبة والإتباع، وتحدث في باب خاص عن المعربات، وخاصة التعريب الصوتي الذي يتم بإبدال الحروف الفارسية بحروف عربية.

ولا أترك الحديث عن نص المخصص المعجمي إلا بعد إلقاء الضوء على الاحتجاج عند ابن سيده الذي التزم فيه بمصادر الاحتجاج العربية المعهودة وهي القرآن الكريم والشعر العربي والحديث الشريف وأقوال العرب من حكم وأمثال وحكايات.

وقد احتج بالقرآن الكريم وقراءاته وأبدأ من القرآن من خلال نموذج واحد لبيان الأغراض اللغوية من الاستشهاد بآيات خاصة بمعنى معين وهو الزواج والآيات التي تخصه واستعملت في السفر الرابع. ص ٢٦ — ٢٧ وأولها قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾^(١)، ﴿وَخَلَقْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٢)، ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٣) وهي آيات احتج بها لأداء غرض صرفي هو استعمال صيغة زوج دون هاء التأنيث للدلالة على الزوجة.

أما الغرض الثاني من الاستشهاد بآية قرآنية فهو نحوي وأقصد به تعدية الفعل زَوْج المشتق منها، بنفسه هو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾^(٤) وينقل

(١) ٣٧ - الأحزاب.

(٢) ١ - النساء.

(٣) ١٩ - الأعراف.

(٤) ٣٧ - الأحزاب.

عن يونس أن العرب لا تقول تزوّجت بها إنما تقول تزوّجتها، ولو كان على تزوجت بها لكان زوّجناك بها.

والغرض الثالث من الاستشهاد بآية قرآنية آخر هو دلالي يُعدّى فيها الفعل بحرف جر وذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^(١) «أي قرناهم بهن وليس من عقد التزويج» وكذلك الآية الكريمة ﴿أَوْ يَزْوِجْهُمْ ذَكَرَانًا وَإِنَاثًا﴾^(٢) فعلى معنى يقرنهم ذكراناً وإناثاً، وقد يستشهد بالقراءات القرآنية لبيان أغراض لغوية شتى منها تسجيل اختلاف القراءة عن الأصل بالحركة كما في قوله نقلاً عن الفارسي في ٤/٤٠: «يقال حَلِيٌّ وَحَلِيٌّ وَحَلِيٌّ وَقَدْ قُرِئَ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَحَلِيَّهُمْ»، أي بضم الحاء وكسرهما. وقد ذكر ذلك بعد أن أتى بشاهد شعري على حَلِيٍّ وهو قول الشاعر:

كَأَنَّهُمَا مِنْ حُسْنٍ وَشَارَهُ وَالْحَلِيَّ حَلِيَّ الْقَبْرِ وَالْحَجَارَةِ

وقد يحتج بالقراءة القرآنية على اختلاف القراءة عن الأصل بحرف كقوله في ٤/٦٠: «وقد قرئت جميعاً شَعَفَهَا وَشَعَفَهَا» يقصد قراءة الحَسَن ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ من الآية ٣٠ في سورة يوسف:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾
وقد ذكر قراءة شَعَفَهَا بعد احتجاجه للشعف ببيت امرئ القيس:

أَيَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي

وكذلك الأمر في قراءة أبي السمال «حاسوا خلال الديار»^(٣) في جاسوا خلال الديار في ٥/١١٠. وكذلك قراءة «سبخاً طويلاً» بالخاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾^(٤) في ٥/١٠٦ وقد يكون الاحتجاج بالآية على زيادة حرف أو تضعيفه، في قراءة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٥) بدل يخدعون في ٣/٨١، أما

(١) ٥٤ - الدخان.

(٢) ٥٠ - الشورى.

(٣) ٥ - الاسراء.

(٤) ٧ - المزمل.

(٥) ٩ - البقرة.

التضعيف ففي ١١٦/٤: «وطفقا يُخَصِّفان عليهما من ورق الجنة»^(١) وفي بعض القراءات «وطفقا يُخَصِّفان» وقد يستشهد بآية لمعنى في كلمة لها في الأصل معنى مختلف كقوله في ١٠٦/٥: «ابن دريد — البرد: النوم كذا فسر في قوله عز وجل ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً﴾»^(٢).

أما الشعر فأقدر ما احتج به منه بنحو ٨٠٠٠ بيت من الشعر وبنحو ٤٥٠٠ بيت من الرجز، واستشهد بشعر امتد زمانه من امرئ القيس والمهلهل إلى ابن هرمة، وللشعراء المشهورين منهم في عصور الاحتجاج دون استثناء وللشعراء المغمورين كثعلبة بن صُعَيْر وجابر بن الثعلب والأشهب بن رميلة وبشر بن المهلب وأبي حية ومنهم من قال عنه الأنصاري أو الهذلي والمخزومي والكلابي والقطامي وللشاعرات كالخنساء ولىلى الأخيلية وجمل بنت الأسود وبنت النعمان بن بشير ودختنوس بن لقيط.

واحتج بشعر مجهول القائل، ووجدت أنه قد استشهد ببيت شعر للمتنبي بقول منقول عن ابن جني في ١٠٨/٥ كقوله: «ابن جني لا يُستعمل الرؤيا إلا في النوم وقد جسر عليه المتنبي جاهلاً به في قوله:

ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

علي: يجوز أن تكون الرؤيا في اليقظة كقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾^(٣) في قول من قال إن ذلك الأمر في اليقظة وإلا فقول ابن جني صحيح». واحتجاه بالشعر لم يتخذ طريقة واحدة ولكنه غالباً ما يأتي برأي أحد اللغويين ويذكر في آخر كلامه وأنشد، أي اللغوي هو الذي أنشد الشعر احتجاجاً به على رأيه. ومن أساليبه في تعامله مع الاحتجاج الشعري قوله مثلاً في ١٤٣/١: «ثابت — اللعس وهو أشد سواداً من اللمي، وهي شفة لعساء، صاحب العين: هي اللعسة، وجعل العجاج اللعسة في الجسد كله إذا كان أبيض تعلوه أدمة خفية فقال:

وبشر مع البياض ألعسا

وأحياناً يحتج بشعر مسبوق فقط بـ: قال، أو قال الشاعر أو قال لبيد أو قالت أم الأحنف أي اسم الشاعر أو الشاعرة أو قوله أو في قوله أو في نحو قوله، أو من قوله أو من ذلك قول الشاعر أو وهو معنى قوله، أو فأما قوله أو كقول لبيد، أو فأنشد قول رؤبة ومنه قول الشماخ (اسم الشاعر).

(١) ٢٢ — الأعراف.

(٢) ٢٤ — النبأ.

(٣) ٦٠ — الإسراء.

وأما أغراض الاحتجاج بالشعر فغالباً ما يكون للاستشهاد على عدم تقييد الكلمة بنوع دون آخر مثل كلمة عانس، التي تطلق على الفتاة التي لم تتزوج إذ يقول في ٤٨/١: «ابن السكيت: وقد يكون العانس للرجل وأنشد:

منا الذي هوبا إن طرَّ شاربه والعانسون ومنا المرد والشيب

أو لتقييد إطلاق اللفظ على نوع من الناس مثلاً دون غيره كقوله في ٥٠/١: «الأفنون — العجوز أنشد:

شيخ شآم وأفنون يمانية من دونها الهول والمومة والعلل

وقد يحتج بالشعر لإثبات صيغة جمع كقوله في ٥٨/١: «أبو عبيد: الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن، الأصمعي، والجمع أفواد وأنشد:

أما ترى لمي أودي الزمان بها وشيب الدهر أصداغي وأفوادي

وقد يثبت بالشعر صيغة لهجية خاصة كقوله في ٦٨/١: «ثعلب: الناصية: الشعر المضفور وهي الناصاة طائية، وأنشد:

لقد آذنت أهل اليمامة طيء بحرب كنا صاة الحصان المشهر

وقد يحتج بالشعر على ظاهرة صوتية كالإتباع كقوله في ٨١/١: «أن تُتبع الحركة التي قبلها فأما ما كان من ذلك في الموقف فنحو قوله:

أنا ابن ماوية إذ جدَّ التقر

فحرك العين بالحركة التي كانت للام في الإدراج، وأما ما كان من إتباع ما كان قبلها فنحو قول الشاعر:

إذا تجرد نوح قامت عَجَلاً ضرباً أليماً بسبت يلعج الجِلدا

فالكسر في اللام إنما هو لإتباع حركة فاء الفعل...».

وقد يحتج بالشعر لإثبات معنى برواية نحوية (إعرايية) لبيت الشعر تصح فيها رواية أخرى وذلك في قوله في ٦٤/١: «وإنما العين كالمرآة إذا استقبلها شيء رأت شخصه فيها لشدة صفاء الناظر، علي: ولذلك روى بيت ذي الرمة رفعاً:

وإنسان عيني يحسُّ الماء تارة فيبدو وتارات يُجمُّ فيغرق

ولم يُروَ ويحسُر الماء نصباً، ومن رواه كذلك فقد أخطأ لأن الإنسان ليس لديه حَجَنٌ فيمسك الماء، وإنما هو صورة، يقول فإذا حَسَرَ الماء كُشِفَ عنه فظهر، وإذا جَمَّ الماء غَرِقَ فلم يظهر، يعني بالماء الدمع».

وأما الحديث الشريف فقد استشهد به في أكثر من ثلاثمائة موضع وغالباً ما يورده مصدراً بقوله «وجاء في الحديث» فقد يذكر لإثبات معنى للفظ ما كقوله في ٤٤/١: «ابن السكيت: بَدَن: أَسَنٌ، وجاء في الحديث: «قد بَدَنَت فلا تبادروني بالركوع والسجود».

وقد يأتي بالحديث لتوجيه لفظ ورد فيه وبيان معناها المختلف عما أورده له قبل الحديث كقوله في ١٠٨/٢: «البهيم الأسود، فأما قوله في الحديث يُحشِر الناس يوم القيامة بُهماً فمعناه أنه ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو البرص والعرج وقيل بل عُراة ليس عليهم شيء من متاع الدنيا».

وقد يؤتى بالحديث الشريف لبيان الفرق بين لفظين وقع وهم بعض اللغويين أنهما بدلان على شيء واحد كقوله في ٦٢/٢: «صاحب العين — الروح: النفس. وفي الحديث لكل إنسان نفس وروح أمّا النفس فتموت وأما الروح فيفعل به كذا والجمع أرواح».

أما كلام العرب أقصد المنشور من أقوالهم وأمثالهم التي قد تنوف على ألف وثلاثمائة وغالباً ما يستشهد بالمثل مبدوءاً بقوله وفي المثل أو في أمثالهم أو ويقال.

ولا توجد صيغة لازمة تقدّم بها لأقوال العرب إلا من قوله وحكى عن أعرابي أو عن بعض الأعراب، أو وقال أعرابي، وأما قول بعض العرب أو روى عن بعض العرب، وقد ينقل عن لغوي مثل قوله في ٢٠٩/١٢: «أبو زيد: سمعت رجلاً من غنى» يقول «هذه قسمة ضئلى، مهموز» وهي لغة في ضيزى ولا يخرج الاحتجاج بأقوال العرب وأمثالهم في أغراضه عن الاحتجاج باللغوي بالقرآن الكريم أو بالشعر أو بالحديث الشريف.

وأختم الحديث عن المخصص بالقول إنه موسوعة لغوية حضارية مما يحتويه من ثروة لغوية لا تقتصر على التقليدي من الموضوعات فإذا تحدّث مثلاً عن النساء في الكتاب المخصص لهن لم يقتصر على نعوتهن وأخلاقهن وإنما استوفى الحديث عن ملابسهن وحليهن وزينتهن، وأنواع ثيابهن وفرشهن مما يمكن أن نطلق عليه وسائل الرشاقة وأدوات الجمال والأناقة في عصرنا حتى في حديثه عن الأطعمة والحلوى وألوانها وأصنافها لم يقتصر على التمر والحليب والخبز كذلك تحدث عن الأمراض وعلاجها مما يمكن أن يخدم الاصطلاحات الطبية

في وقتنا. كذلك لما تكلم عن المنازل لم يقف عند الخيام والأثاثي والدّمن بل تكلم عن بنائها وسقفها وأبوابها وعرفها ودَرَجها. وهذا القول ينطبق على أبواب الكتاب دون استثناء فقد ترك لنا معجماً عربياً موثقاً عن علماء العربية ولغويها يجمع في أسفاره ثروة من المصطلحات الصالحة للتعبير عن المعاني الحضارية والعلمية المستجدة.

وقد اكتفيت من معاجم المعاني الشاملة بالحديث عن فقه اللغة للثعالبي والمخصص وهما من أدق الكتب وأحسنها تنسيقاً في هذا الباب، وأنقل ما جاء في مقدمة الإفصاح عن المخصص حيث ذكر عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى فيها: « وجدنا أن كتاب المخصص لابن سيده أرفع هذه الكتب جناباً، وأوسعها رحاباً، وأحكمها نظاماً وتبويماً وأفضلها تنسيقاً وتهذيباً، غير أنه عباب حُضم،... يؤيد رواياته بشواهد المنظومة المنثورة، ويعزز ما يورده بأي القرآن الكريم والحديث الشريف.. عمدنا إليه، وانتحلناه انتحالاً.. واصطفينا لبابه ».

مراجع معاجم المعاني العامة:

- ١ - العشرات في غريب اللغة: لأبي عمر الزاهد، تحقيق يحيى جبر، عمان، ١٩٨٤م.
- ٢ - غريب اللغة: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار الفردوس، ط ١، ١٩٨٩م.
- ٣ - الغريب المصنّف: لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد مختار العبيدي، ط ١، المجمع التونسي، قرطاج، ودار سحنون للنشر، تونس، ١٩٩٦م.
- ٤ - فقه اللغة وأسرار العربية: لأبي منصور الثعالبي.
 - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت. بلا ت.
 - المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٨م.
 - تحقيق د. جمال طلبه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
 - تقديم وتعليق خالد فهمي، مكتبة الخانجي ت ١، مصر ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- ٥- الفهرست: لابن النديم، ط فلوجل - مكتبة خياط، بيروت.
- ٦- كتاب العين: للخليل بن أحمد، الجزء الأول تحقيق د. عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
- ٧- كشف اصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي الثانوي، تحقيق د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- ٨- المخصص: لأبي الحسن علي بن اسماعيل، المعروف بابن سيده، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الباز، مكة المكرمة، بلا ت.
- ٩- المنتخب من غريب كلام العرب: لأبي الحسن الحفناوي (كراع النمل)، تحقيق د. محمد أحمد العمري، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط ١ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ١٠- نظام الغريب في اللغة: لعيسى بن ابراهيم الربيعي الحميري، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.

الوحدة الثالثة

معاجم المفردات ومدارسها

- ٣-١ مدرسة الترتيب الصوتي الصرفي التقليدي.
- ٣-١-١ الأبعاد اللسانية لنظرية التقليب الخيلية.
- ٣-١-٢ معجم العين للخليل بن أحمد.
- ٣-١-٣ تهذيب اللغة للأزهري.
- ٣-١-٤ المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده.
- ٣-٢ المدرسة الألفبائية الصرفية التقليدية.
- جمهرة اللغة لابن دريد.
- ٣-٣ مدرسة الترتيب الألفبائي الصرفي التدويري.
- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس.
- ٣-٤ مدرسة الترتيب الألفبائي الجذرية.
- ٣-٤-١ معجم الجيم للشيباني.
- ٣-٤-٢ أساس البلاغة للزمخشري.
- ٣-٤-٣ المصباح المنير للفيومي.
- ٣-٤-٤ محيط المحيط للبستاني.
- ٣-٤-٥ المعجم الوسيط.
- ٣-٤-٦ المعجم الكبير.
- ٣-٤-٧ المعجم العربي الأساسي.
- ٣-٥ مدرسة الترتيب الألفبائي الهجائية الحديثة.
- ٣-٥-١ المرجع للعلايلي.
- ٣-٥-٢ الرائد لجبران مسعود.
- ٣-٥-٣ المعجم العربي الحديث - لاروس لخليل الجر.
- ٣-٦ مدرسة التقفية (الباب والفصل).
- ٣-٦-١ التقفية في اللغة للبندنجي.
- ٣-٦-٢ صحاح العربية للجوهري.
- ٣-٦-٣ لسان العرب لابن منظور.
- ٣-٦-٤ القاموس المحيط للفيروز أبادي.
- ٣-٦-٥ تاج العروس للزبيدي.

الوحدة الثالثة

معاجم المفردات ومدارسها

٣-١ مدرسة الترتيب الصوتي الصرفي التقليبي

٣-١-١ الأبعاد اللسانية لنظرية التقلب الخيلية

كان السماع عن العرب ومشافهتهم والرواية عنهم أول مراحل جمع اللغة، بارتحال علماء اللغة وروايتها إلى البادية والإقامة فيها. ودوّن هؤلاء اللغويون ما جمعوه في قراطيس أو كتيبات أطلق عليها الرسائل اللغوية، ككتب خلق الإنسان والخيّل والإبل والحيات والنبات والشجر والنخل والزرع والأنواء والأزمنة والأيام والليالي وأسماء السحاب والرياح والأمطار والمياه والدارات والأودية والجبال والسلاح والسيف والسرّج واللحم والدلو واللبن والتمر والصفات وغريب القرآن وغريب الحديث (١٤٩-٧/١).

ويبدو أن الخليل قد أدرك أن هذه الرسائل لم تبلغ الغاية في جمع اللغة، وأنها لا تخلو من نقص في استقراء كلام العرب، وأنها لم تتسع حتى تحيط بكلام العرب ومفردات لغتهم، وتكاد تقتصر على غريب اللغة، ولا أدلّ على ذلك من قول أبي عمرو بن العلاء أستاذ الخليل: « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله » (٢٣/٢). فضلاً عن أن ما تضمنته هذه الرسائل من ثروة كان مبعثراً ومفرقاً وموزعاً بين موضوعاتها، بحيث لا يسهل العثور على ما تحويه من مفردات، وما تنطوي عليه من معانٍ في سياقات استعمالها، وإذا أضفت إلى ذلك ما تنطوي عليه نفس الخليل وعقله من نوازع إلى الكمال والإبداع، فلن تكون هذه الحال للغة موضع رضا أو تسليم منه، بل كان حافزاً له كي يتولى جمع هذا الشتات من كلام العرب المدوّن وغير المدوّن في كتاب يجمع بين دفتيه ما تفرق من هذا الكلام على صفحات الرسائل، ويستوعب مفردات العربية وشروحها استيعاباً منظماً يخلو من الإسقاط والإهمال والتكرار كما يقول الدكتور رشاد الحمزاوي (٢٧٧/٣ - الهامش). وقد لخص الدكتور عبد الله درويش (٣٢/٤) غاية

الخليل ومقاصده فيما أخذ به نفسه فيما بعد في كتاب العين بقوله (أي الدكتور درويش) قد وضع نصب عينيه تحقيق فكرتين:

الأولى: معالجة جميع مفردات اللغة أو بعبارة أدق جميع موادها وشرحها.

والثانية: وضع ذلك في نظام يُؤمن معه التكرار أو فوات بعض المواد.

ولا أتردد في القول بأنه اهتدى (أي الخليل) بإلهام من الله عز وجل، إلى تصميم ما يمكن أن أسميه نظرية معجمية تمكنه من خلال الالتزام بها أن يضع معجمًا مختلفًا في نظامه وترتيبه واستيعابه عن الرسائل السالفة الذكر. ولا أستبعد أن يكون من مقاصد الخليل إقامة نسق معجمي لمفردات العربية مواز لأنظمة العربية الصوتية والنحوية والصرفية التي أقيمت قوانينها على ما استقرئ سمعًا من كلام العرب؛ بحيث يكون لهذا التصور المعجمي نصيب فعال ومشاركة منهجية مع الأنظمة السالفة في الانتقال بالمفردات من طور الصور الصوتية الصامتة المركبة من حروف المعجم شكلًا، على حد تعبير ابن خلدون (١/٥-٢٥١، ٢٣٧٢) إلى دور الوحدات اللغوية الدالة ذاتيًا ووظيفيًا باستعمالاتها المتنوعة وتوزيعاتها في سياقات لغوية، نثرية وشعرية.

البعد الصوتي المعجمي:

وتكاد مقدمة كتاب العين تفصح عن هذا التوجه؛ فمن يتأملها يجدها تعكس نظرة الخليل إلى المفردة المعجمية بعناصرها الصوتية والصرفية والدلالية على أنها قوام المعجم بوصفه منظومة من هذه الوحدات المعجمية. فأول ما يصادفنا في مقدمة العين هو إدراك الخليل للعلاقة بين الأصوات (الحروف) والمعجم، وأن الوحدة المعجمية الدالة تتألف من حروف أو أصوات فانصبت عنايته الأولى على هذه الحروف التي يعول عليها في التمييز بين هذه الوحدات المعجمية؛ وهذه الوحدات هي المداخل التي يجب أن يقوم ترتيبها في المعجم على منهج منظم، واختار أن يبني تنظيم المداخل وترتيبها على أساس شكلي صوتي وليس على أساس موضوعي. وكان أمامه ترتيبان هجائيان للحروف: الألفبائي العربي، والأبجدي السامي، وهما لا يضمنان تدرجًا في مخارج الحروف، فاختر الخليل لترتيبها مسلكًا يقوم على أساس علمي يتوافق مع عبقريته التي تأبى التقليد وترفع إلى الإبداع،

وهذا المسلك هو الترتيب الصوتي للحروف حيث وضعها على قدر مخرجها من الحلق وهذا تأليفه: « ع ح هـ خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ز - ط د ت - ظ ث ذ - ر ل ن - ف ب م - و ا ي همزة » (٥٣/٤) أعاد ترتيب الحروف الهجائية الذي ليس له من أساس سوى تشابه الحروف في رسمها الكتابي وهو أقرب إلى الفرض والتكلف إذ جاء إعجامها متأخراً عن النطق بها واتخذ للتمييز فيما بينها رسمها المكتوب إلا صوته المنطوق واللغة، أية لغة، هي في البدء أصوات منطوقة وليست رسوماً مخطوطة، ويبدو أن الخليل قد أدرك هذه الطبيعة للحروف وهي الطبيعة الصوتية فرتبها ترتيباً صوتياً يقوم على أساس علمي ينطلق من أحياز نطقها على المدرج الصوتي مستبعداً شكلها الكتابي بادئاً بحيز الحلق الذي تنطق منه العين والحاء والهاء والخاء والغين وتليها القاف والكاف وهما صوتيان لهويان، وهكذا تدرج في الترتيب ونسب كل حرف إلى مدرجه وموضعه الذي يبدأ منه حتى وصل إلى الحروف الشفوية وهي الفاء والباء والميم، والأصوات التي لم ينسبها لمدرج معين سماها الحروف الهوائية وهي الألف والياء والهمزة (٦٥/٤). وسمى المواضع التي تنطلق منها الأصوات أحيازاً وهي أشبه بالحزم الصوتية في عُرف علم اللسان الحديث.

وكان من الطبيعي أن ينتقل الخليل في خطواته الثانية من مرحلة الصوت المفرد إلى مرحلة تألف الأصوات في جذور أو أصول يفترض أن تكون صوراً صوتية صامتة قوامها حروف تبدأ بها وحروف تحشى بها، وحروف يوقف عليها (٥٥/٤) كل صوت أو حرف وما يأتلف معه من حروف كباب العين مع القاف، وباب العين مع الكاف والشين، وباب القاف مع الشين، وباب القاف والسين والذال وهو أمر قد أشار إليه الخليل بقوله: « بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وتضم إليه ما بعده... » (٦٧/٤) وهو يشير هنا إلى ما فتحه من أبواب أو كتب لكل حرف وأولها كتاب العين حسب ترتيبه الصوتي، وما يأتلف مع العين من أصوات، ثم الحاء وما يأتلف معها من أصوات، وهكذا مع بقية الحروف.

وكان من المنطقي أن تكون الخطوة الثالثة هي بيان عدد الحروف المتألفة مع حرف الباب، وأقصد الجانب الكمي للصور الصوتية بحسب ما تتيحه أبنية العربية حين يقول

الخليل: « كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي... » (٥٥/٤) واضعاً في حسبانته أن « ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف... والاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف... » (٥٥/٤) وبهذا يكون الخليل قد بين ما يجب أن يكون عليه الحدان الأدنى والأعلى لعدد حروف الجذور أو الأصول، وهي المرحلة التي يمكن أن أطلق عليها مرحلة البناء أو التأليف الصوتي للوحدات المعجمية وهي مرحلة البعد الصوتي في نظرية الخليل المعجمية التي تشكل المقدمات الصوتية لنظرية التقلب، التي تليها بالضرورة مرحلة التوليد الصرفي.

البعد الصرفي المعجمي للتقلب:

تنتقل في هذه المرحلة الجذور من الصورة الصوتية الصامتة إلى الوحدة المعجمية الدالة، أي الصيغة الصرفية التي تتشكل عن طريق التقلب أو نظرية التقلب الخليلية، وعلى حد تعبير الدكتور إبراهيم بن مراد « تنتقل فيه المفردة من مرحلة التأليف الصوتي (الجذر) إلى مرحلة الجذع (البنية الصرفية) قد يؤخذ منه جذع أو أكثر » (١٠٦/٦) وهكذا « يتحدد البناء الصرفي انطلاقاً من البناء الصوتي المتقدم عليه » (١٥٠/٧).

ومما يجدر ذكره أن التقلب ليس اصطلاحاً خليلياً، والاصطلاح الذي استخدمه الخليل هو التصريف، وهي آلية استخدمها الخليل بعد أن « حصر مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي » (٢٥١/٥).

وهذا التصريف أو التقلب يشرحه الخليل بصورته الرياضية الإحصائية بقوله: « اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو، قد، دق... والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو: ضرب، برض، رضب، ربض، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجهاً، يكتب مستعملها ويلغى مهملها.... والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون

حرفاً فتصير مائة وعشرين وجهاً يستعمل أقله ويلغى أكثره « (٦٦/٤) وهذا هو « النظام الصرفي... في تطبيقه المعجمي لنظام الأصوات على بنية اللفظ المفرد » (١٥١/٧)؛ أي تصبح الأصوات كلها ذات مبانٍ صرفية لها معنى في المعجم. وبآلية التقلب هذه التي اعتمدها الخليل تكتمل مادة المعجم المثالي العربي، وهي آلية صوتية صرفية رياضية يرصد بها المعجمي قدرة اللغة وطاقاتها بما يمكن تأليفه من المداخل ومشتقاتها بتقلب الحروف الأصول الذي يحدث أصولاً جديدة تصلح لتعبئة الأبنية الصرفية (الثنائية والثلاثية والرابعة والخماسية) التي تصبح بصورة تلقائية وحدات معجمية ذات دلالة، تزيد عن اثني عشر مليوناً. وبهذا العدد من الوحدات الناتج عن التقلبات يمكن، كما قال الخليل « أن نستوعب كلام العرب: الواضح والغريب، والمستعمل والمهمل » (٦٦/٤، ٦٧).

بعد توضيح السمات الصوتية والصرفية التي انتظمت وتساندت لتأسيس وحدات معجمية قابلة للانتظام وفق نظرية التقلب التي هي عماد النظرية المعجمية الخليلية، يحسن أن أبرز الأبعاد والمفاهيم اللسانية التي أنجزها الخليل لإقامة معجم العين، ووافقت في الوقت نفسه الفكر اللساني الحديث، كذلك لا بد لي من متابعة امتدادات النظرية التقلبية في التطبيقات اللغوية الاشتقاقية والمعجمية.

بين الخليل وسوسير الفرنسي:

وبالعودة إلى الفكر اللساني الحديث لبيان مدى الالتقاء بينه وبين مقاربة الخليل في التقلب الذي استدل به على المستعمل والمهمل والواضح والغريب، يصادفنا مصطلحا (اللغة *langue*، والكلام *Parole*) وهما المصطلحان اللذان استحدثهما دي سوسير مع الانقلاب اللغوي الذي قاده على الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة في بدايات القرن العشرين، وأصبحا يشيران في عرف الدارسين إلى مفهومين لغويين أولهما: التصور المثالي للمخزون البشري من مفردات وقوانين لغة ما كالعربية مثلاً، والآخر: ما ينتجه الفرد من كلام، أو هو ذلك الجزء من اللغة الذي يقوم المتحدث باستعماله. ويوضح دي سوسير المقصود بمصطلح *La Langue* بقوله: « لو استطعنا أن نحصل على جميع صور الكلمات المخزونة في عقول جميع الأفراد لاستطعنا أن نميز الجزء الاجتماعي الذي يؤلف اللغة »

(٣٢/٨) وبتعبير آخر « إنها تشبه المعجم الذي توزع منه نسخ متطابقة لكل فرد »
(٤٤/٩) إنه المعجم المثالي للغة المتوقع الحصول عليه أو تصوره من مجموع المفردات المستعملة والمهملة والواضحة والغريبة على حد تعبير الخليل مما يمكن رصده بعملية إحصاء رياضية للتقليبات المفترضة من الجذور التي ذكرها الخليل للثنائي الثلاثي والرباعي والخماسي ليلغ المحتوى النظري لهذا المعجم اثني عشر مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة واثني عشر جذراً:

$$\text{من الثنائي: } 28 \times 28 = 784 +$$

$$\text{ومن الثلاثي: } 28 \times 27 \times 26 = 19606 +$$

$$\text{ومن الخماسي: } 28 \times 27 \times 26 \times 25 \times 24 = 11793600 +$$

$$\text{المجموع الكلي} = 12305440$$

وهذه الجذور هي التي تقوم عليها الطاقة التوليدية للغة العربية بوصفها الجذور الصالحة لاشتقاق الأبنية الفعلية والاسمية منها، أو الجذور الصالحة لتعبئة الأبنية الصرفية، وهذه الجذور هي التي تشكل البنية الأساسية لأرصدة العربية من الألفاظ المستعملة والمهملة والواضحة والغريبة على حد اصطلاح الخليل.

أما المصطلح الآخر فهو الكلام Parole وهو، على حد تعبير دي سوسير الجانب الأدائي التنفيذي والاستخدام الفعال والفعل الفردي من المتكلم (٣٢/٨، ٣٦/٩، ٣٧) ويقصد بذلك الكلام الذي يستعمله الأفراد ويصدر عنهم في مواقف حياتهم، وفي ممارساتهم الفردية، ويمكن أن نطلق عليه الرصيد اللغوي الوظيفي الذي ينطق به الإنسان وفقاً لنظام لغته، ويقابله في اصطلاح الخليل الجزء المستعمل من اللغة، وهي الجذور وامتداداتها في الاستعمالات اللغوية الموجودة بالفعل وهي « مركبات حروف المعجم تخرج من حيز الصور المجردة الصامتة إلى حيز الاستعمال اللغوي » (١٢٢/٦) أو هي « الجزء الذي تتولد عنه الجذوع الفعلية والاسمية والوصفية » (١٢٣/٦). وهذه الجذوع هي المفردات التي تتمتع بالخصائص التمييزية للوحدات المعجمية التي حددها إبراهيم بن مراد « بالانتماء المقولي والتأليف الصوتي والبنية الصرفية

ولها معنى تدل عليه « (١٠٦/٦ وما بعدها). ولمعرفة المستعمل في الجزء الأول من كتاب العين بتحقيق الدكتور عبد الله درويش من الثنائي والثلاثي حتى باب العين والسين والطاء، قمت بإحصاء الجذور المستعملة من الثنائي المضاعف / في باب حرف العين (ص ٦٨ - ١٠٩) وجدت أن المستعمل (٣٧) جذرا من التي يفترض أن تكون ٥٦ جذرا لو قمنا بتقليب حرف العين مع ما ينضم إليه من حروف المعجم الأخرى؛ أي إن نسبة المستعمل ٦٦,١% والباقي من الجذور مهمل. أما في الثلاثي الصحيح مع حرف العين من باب ع هـ ق إلى باب ع س ت (ص ١١٠ - ٣٧٠) فقد وجدت أن جذور التقاليب المستعملة قد بلغت ٢٧٤ تقلباً من مجموع التقاليب المفترضة ٥٧٠؛ أي بنسبة تقريبية تصل إلى ٤٨%، والتقاليب المستعملة موزعة على الجذور ما بين تقلب للجذر كما في باب العين والقاف والتاء الذي لم يستعمل منه سوى تقلب ع ت ق، أو تقلبين كما في باب العين والكاف والشين، إذ المستعمل ع ك ش، ش ك ع، أو ثلاثة تقاليب كما في باب العين والكاف والdal الذي استعمل منه ع ك د، د ع ك، د ع ك، د ك ع، أو أربعة تقاليب كما في باب العين والكاف واللام الذي استعمل منه: ع ك ل، ع ل ك، ك ل ع، ل ك ع، أو خمسة تقاليب كما في باب العين والكاف والسين الذي استعمل منه: ع ك س، ك ع س، س ك ع، ع س ك، أو التقاليب الستة كما في باب العين والجيم والميم.

ويذكرني البيان الإحصائي الجزئي السابق بما سجله الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) صاحب مختصر العين في خاتمة هذا المختصر أن المستعمل والمهمل من الجذور: ستة آلاف ألف وستمائة ألف وتسعة وتسعون ألفاً وأربعمائة، المستعمل منها: « خمسة آلاف وستمائة وعشرون، والمهمل ستة آلاف ألف وثلاثة وتسعون ألفاً وسبعمائة وثمانون » (١٠/ ح ٢ - ٤٥٧). وهذا يعني أن ما ذكره الزبيدي من عدد الأبنية يزيد قليلاً عن نصف العدد الكلي المفترض للأبنية في كتاب العين، ومن جهة أخرى فإن الفرق بين عدد الأبنية المفترضة في الثنائي، في مختصر العين وبينها في العين هو ستة جذور أيضاً. ويجدر كذلك أن أذكر أن عدد الأبنية التي أثبتها الزبيدي وهو ٥٦٢٠ يقترب إلى حد كبير من

جذور معجم الصحاح للجوهري كما أحصاها حلمي موسى التي تقدر بـ ٥٦٣٩ جذرا وعليه يكون الفرق تسعة عشر جذرا فقط (١١ / ١١٩).

بين الخليل وتشومسكي:

وتشومسكي هو اللغوي الأمريكي المعاصر الذي أطلق هو الآخر مصطلحي Competence و Performance اللذين يرى سامبسون في كتابه المدارس اللغوية أن من الملامح الواسعة التأثير لمنهج تشومسكي في اللغة، التمييز الذي قام به بين الكفاءة Competence والأداء Performance الذي يذكرنا، بشكل ما، بتفريق سوسير بين اللغة والكلام، إن تشومسكي يطابق بشكل عقلي بين مفهومه عن الكفاءة ومفهوم سوسير عن اللغة (٥١/١٢) وبعبارة مترجم آخر للكتاب نفسه (أقصد المدارس اللغوية) يؤكد سامبسون تأثير تشومسكي بفكرة سوسير وإن اختلف معه في المصطلح بقوله: « من أكثر سمات منهج تشومسكي في دراسة اللغة تأثيراً هو التمييز الذي يقيمه بين المقدرة اللغوية Competence والأداء اللغوي أو الممارسة Performance، وهو استرجاع للتمييز بين المقدرة Langue والكلام Parole عند سوسير، وتشومسكي نفسه لا يفرق بين المقدرة عنده والمقدرة التي تحدث عنها سوسير » (٤٢/١٣).

بعد هذا الربط بين اصطلاحى سوسير وبين اصطلاحى تشومسكي يجدر أن أقرب للقارئ مقاصد تشومسكي من اصطلاحيه؛ من أجل إقامة مقارنة بينهما وبين ما تغياه الخليل من تطبيق النظام التقليدي كما فعلت مع اصطلاحى سوسير، واستعين بتوضيح جون ليونز لمصطلح Competence الذي عنده ليس غير « المعرفة... أي امتلاك شخص ناصية لغة معينة... واستعمالها... والسهولة أو القدرة التي يتمتع بها شخص لاكتساب لغة.. أو استعمالها » (٢٤٢/١٤ - ٢٤٣) ويظل أيضاً اصطلاح المعرفة اللغوية مبهماً ولا يوضحه سوى بيان عناصر هذه المعرفة فيلجأ ليونز لبيان ما هية هذه المعرفة إلى تعريف تشومسكي للغة الذي هو: « مجموعة من الجمل (نهائية وغير نهائية) وكل واحدة من هذه الجمل نهائية في طولها ومكونة من مجموعة من العناصر » (٣١٣/١٤، ١٧/١٥)، ثم يلجأ إلى بيان هذه العناصر بقوله: « فليست الجمل المحكية مجرد تأليف من العناصر الصوتية، بل هي أيضاً

تأليف من الوحدات التركيبية « (٣٨٤/١٤)، أي إن اللغة نظام لا نهائي من الجمل، وهذه الجمل تتألف من عناصر أولية هي الأصوات التي تتألف في وحدات أو مفردات Vocabulary هي الأفعال والأسماء والصفات والحروف، وهي العناصر الأولية الثنائية التي تتابع بدورها وفق ما تقتضيه قواعد اللغة لضمان صحتها التركيبية؛ وعليه فإن المتكلم الذي يستطيع أن يمتلك هذه العناصر في أية لغة وينظمها في جمل صحيحة تؤدي إلى معنى يمكن أن نقول إن لديه المعرفة اللغوية أو الكفاءة اللغوية Competence.

أما الممارسة العملية لهذه المعرفة فأطلق عليها تشومسكي مصطلح Performance (الأداء) ويقصد به ما ينطقه أبناء اللغة بحسب ما تتيحه هذه المعرفة المخزنة من قواعد، وبعبارة أخرى هو استعمال ما استوعبه واخترنه من عناصر المعرفة اللغوية أو الكفاية من أصوات ومفردات وقواعد، في النطق والكلام، في مواقف الحياة المتنوعة، فكأن هذا الاستعمال (Performance) هو التجسيد الحي للغة أو المعرفة اللغوية Competence، ولاستجلاء ما بقي من غموض قد يكتنف مصطلحي تشومسكي، وفي توضيح أخير للعلاقة بينهما أراني مضطراً أن أدمج حديثي الأنف بعبارة مسهبة للدكتور خليل عمارة، أرى فيها الغناء، يقول فيها: « يفرق تشومسكي في نظريته بين ما يسميه Competence الكفاية، وما يسميه Performance الأداء.... والكفاية تكون في امتلاك المتكلم - السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتية... والقدرة على الحكم بصحة الجمل... من وجهة نظر نحوية.... ثم القدرة على الربط بين الأصوات وتجميعها في مورفيمات تنتظم في جمل... وربطها بمعنى لغوي محدد... أما استعمال اللغة فيسمى الأداء وهو الكلام أو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جمالية خاضعة للقواعد والقوانين الكامنة والمسؤولة عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات في تراكيبها، والأداء هو الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية باللغة « (٥٧/١٦ - ٥٨).

ومن العبارة المقتبسة آنفاً أرى أن أهم عناصر الكفاية اللغوية العربية هي الإحاطة بكلام العرب أي مفردات اللغة وهي (المورفيمات) المؤتلفة من أصوات (فونيمات)، وهذا

أمر لا يمكن أن تتأني الإحاطة به إلا بتقليب العناصر الصوتية المؤتلفة في بنى صرفية أو أشكال صرفية تستوعب المستعمل والمهمل من كلام العرب، وهذا هو المضمون الذي تغياه الخليل من عبارته التي استشهدنا بها في موضع سابق، وتشير إلى النظام التقليبي الذي أراده وهي:

« اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين....، والكلمة الثلاثية تتصرف على ثلاثة أوجه....، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهًا... » يكتب مستعملها ويلغى مهملها.... وبدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وتضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب؛ الواضح والغريب.. » (٦٧-٦٦/٤) فهو قد أبان عن العناصر التي يستوعب بها المتكلم كلام العرب؛ فالصيغ الصرفية الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية تأتلف فيها الأصوات الأصلية؛ فتتكون الجذور التي هي أقرب إلى الصور الصوتية على وجوهها المحتملة عند تقليبها، وهذه الوجوه، أقصد التقليبات وما يتولد منها هي الوحدات المعجمية أو الكلام المستعمل وهو الموجود بالفعل. أي ما يستخدمه العربي في كلامه ويكون أدواته في التعبير. والمهمل وهو الموجود بالقوة؛ أي يفترض وجوده ولكن العرب لم تدخله في كلامها وحديثها.

بين التقليب والاشتقاق الأكبر:

إذا كان الخليل بن أحمد قد ابتدع فكرة التقليب بين الجذور واعتمد عليه في حصر مفردات المعجم وتمييز المستعمل منها فيجعله في معجمه والمهمل فيغفله؛ لأن العرب لم تستعمله، فإنه كما يبدو لم يفتن إلى ربط تقاليب كل جذر بمعنى عام مشترك فيما بينها. ويبدو أن أبا علي الفارسي كان السابق إلى التفطن لفكرة الربط المعنوي بين التقاليب، وهو ما يمكن إدراكه من إشارة ابن جني حين قال: « هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه ويتعلل به، وإنما التقليب لنا نحن » (١٣٣/١٦) وعليه يكون أبو علي قد نبه إليه ولكنه لم يعطه اسمًا ولم يعتمد عليه أو لم يتخذ صنعة، ولا يدعي ابن جني لنفسه ابتداعه وإنما كان له فضل

تسميته ومن بعد ذلك أولع به وأغرم وتبناه، حتى عده بعض الباحثين من ابتداعه كالسيوطي الذي صرح بذلك بقوله: « وأما الأكبر (يقصد الاشتقاق) فيحفظ فيه المادة دون الهيئة... وهذا ما ابتدعه الإمام أبو الفتح بن جني، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً، وليس معتمداً في اللغة » (٣٤٧/١٨) وقد تابعه في هذا الرأي آدم مترز، ونسب هذا الاشتقاق إلى ابن جني مع امتداحه لهذا النوع من البحث اللغوي بقوله: « وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للاشتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً، وكان أستاذ هذه المدرسة ابن جني الموصلي، وهو الذي ينسب إليه ابتداء مبحث جديد في علوم اللغة، وهو المسمى الاشتقاق الأكبر وهو البحث الذي لا يزال يؤدي ثمره إلى اليوم، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا » (١٩/١-٤٣٧).

ويفتح ابن جني باباً خاصاً لما سماه الاشتقاق الأكبر في الجزء الثاني من الخصائص ص ١٣٣ - ١٣٩، وعندما أراد أن يفرق بين الكلام والقول في الباب الأول من الجزء الأول من الخصائص أيضاً كان مدخله للتفرقة هو تقليب جذريهما وتلمس المعنى العام الرابط لتقاليب كل جذر فقد ذكر أن معنى (ق و ل) كيف وقعت من تقدم حروفها وتأخرها عنه إنما هو للخفوف والحركة وأما (ك ل م) فحيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة (١٣٥/١٧).

ويبدأ في باب الاشتقاق الأكبر بتعريفه بقوله: « وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد (١٣٤/٧) ويضرب أمثلة عدة كتقاليب (ج ب ر) فهي أين وقعت للقوة والشدة (١٣٥/١٧)، ومن ذلك تراكيب (ق س و) (ق و س) (و ق س) (و س ق) (س و ق) وأهمل س ق و جميع ذلك إلى القوة والاجتماع، منها القسوة وهي شدة القلب واجتماعه... ومنها القوس لشدتها واجتماع طرفيها، ومنها الوقس لابتداء الجرب لأنه يجمع الجلد، ومنها الوسق

للحمل وذلك لاجتماعه وشده ومنها السوق؛ وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعضه « (١٣٧-١٣٥/١٧) . وبالعودة إلى باب القاف والسين والواو في كتاب العين (٤/٥-١٨٨-١٩١)، الذي يخلطه الخليل مع باب القاف والسين والياء، وقد أهمل تقليب س ق و كما فعل ابن جني الذي صدر حديثه عن معاني التقليب بالمعنى الجامع للمادة كلها، بينما الخليل اكتفى بذكر معاني التقليب دون ذكر الجامع بينها. وبدأ ابن جني بتقليب (ق س و) وهو أدق مما بدأ به الخليل الذي اختار تقليب (ق و س)؛ إذ السين في ترتيب الخليل الصوتي متقدمة على الواو. وفي تقليب (ق و س) يبدأ الخليل بتصغير القوس وجمعه ومعنى التقويس وما يشتق منه وهو الانحناء ويذكر معنيين آخرين للتقوس وهما بقية الثمر ورأس الصومعة، وأما ابن جني فلم يذكر إلا ما يمكن أن يستخرج من التقويس وهي الشدة والاجتماع من تقارب الطرفين دون أي شاهد. وأما تقليب و ق س فاكتفى الخليل بذكر معنى الوقس وهو الفاحشة وذكرها، بينما ابن جني ذكر أنه اسم لابتداء الجرب لأنه يجمع الجلد. وهنا لابد من ملاحظة أنه لا توافق بين المعنيين. وفي العين ينتقل إلى التقليب (ق س و) ويبين معنى القسوة بأنها الصلابة في كل شيء، ثم يبين الفعل المشتق منها ويبين أن الليلة القاسية هي الشديدة الظلمة والمقاساة هي المكابدة؛ بينما ابن جني قد ذكر هذه المادة كما قلنا في بداية التقليب وهي معنى شدة القلب واجتماعه وكأنه معنى مستنبط من المعاني التي ذكرها الخليل. وينتقل الخليل إلى التقليب (س و ق) ويذكر لها تسعة معان وأولها المعنى الوحيد الذي وقف عنده ابن جني وهو السوق الذي هو بمعنى التزع عند الخليل، وهو عند ابن جني استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض، ويشهد لذلك بالمستوسقات أي المجتمعات وهو شاهد يلائم تقليب (و س ق) أكثر من تقليب (س و ق)، وهو المعنى الذي لم يأت على ذكره الخليل ضمن المعاني التي ذكرها. وينتهي الخليل حديثه بالتقليب (و س ق) الذي ذكره ابن جني قبل (س و ق)، ويتفق ابن جني مع الخليل بأن السوق بمعنى الحمل، ويستنتج ابن جني معنى الاجتماع والشدة له من قول الخليل إن السوق أيضاً ضمك الشيء إلى الشيء، والاتساق بمعنى الانضمام

واستوسقت الإبل اجتمعت وانضمت وهو المعنى الذي يستشهد له ابن جني ويمكننا أن نستنتج من المقارنة الآتية:

أ- اتفاق الخليل وابن جني على المستعمل والمهمل من تقاليب المادة.
ب- واتفقا على إيراد بعض المعاني للتقليبات واعتنى كلاهما أحيانا بالشواهد.

ج- لم يتفقا على ترتيب التقاليب حيث التزم ابن جني بالترتيب الصوتي بحذافيره حيث يبدأ بحرف الباب ثم ما يليه في الترتيب الصوتي ثم الثالث وهكذا.

د- اعتنى الخليل بإيراد معاني التقاليب مهما اختلفت وتعددت وهو المفروض في المعجمي بينما غلب على ابن جني الاستنتاج والاستنباط والصنعة والتأويل دون المباشرة.

هـ- لم يلتفت الخليل إلى المعنى المشترك الرابط بين التقاليب بينما كان المعنى العام عند ابن جني هو غايته وشغله لإثبات صدق نظريته الاشتقاقية.

و- كان التنظير اللغوي العام من أهداف ابن جني من أجل الوصول إلى قانون دلالي عام في العربية ولو اضطره ذلك إلى التكلف والتعميم يربطه بين أصوات (حروف) التقاليب ومعانيها مهما كان ترتيبها؛ لولعه بفكرة المناسبة الطبيعية بين أصوات اللفظ ومدلوله وهي العلاقة التي فتح لها ثلاثة أبواب غير باب الاشتقاق الأكبر لإثباتها مثل تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني (١٤٥/٢-١٥٢)، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني (١٥٢/٢-١٦٨)، وتلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني (١١٣/٣-١٣٣).

وهكذا بعد التحليل والمقارنة بين مسلك الخليل مع تقاليبه، وابن جني مع المعنى الجامع في الاشتقاق التقليدي، ندرك مقدار ما يتمتع به ابن جني من خيال وبراعة لغوية مكنته بلطف الصنعة والتأويل من استجماع خيوط المعنى المشترك بين تقاليب المادة الواحدة، وهو في ذلك يخفي ما يريد ويبرز ما ينفعه وما يمكن أن ينسجم مع المعنى الجامع الذي قد يكون معنى عاماً فضفاضاً مستنبطاً من القيم التعبيرية للأصوات التي فتح أربعة

أبواب في كتابه الخصائص ومنها باب الاشتقاق الأكبر، وهذا ما يؤكده الدكتور عبده الراجحي بقوله: « فقد كان أبو الفتح يعتقد أن اللغة بأصواتها التي تمثلها الأبجدية، إنما تقدم احتمالات لا نهاية لها من الألفاظ التي ترمز إلى معان، ومن ثم أكد أن تقلبيات الأبجدية، إنما تقدم احتمالات لا نهائية لها من الألفاظ التي ترمز إلى معان، ومن ثم أكد أن تقلبيات اللفظ الواحد تؤدي إلى معان متقاربة اعتماداً على ما قرره من وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله » (١٦٦/٢٠) يقصد المناسبة الطبيعية بين الصوت ومدلوله.

ويبدو أن نظرية ابن جني الاشتقاقية التقليدية لقيت من إعجاب بها وبعدها فتحاً في عصرنا الحاضر بوصفها نظرية أو قاعدة كاملة موزونة وأنها قانون العرب الأصلي في تكثير لغتهم (٥٩/٢١) على حد تعبير عبد الله العلايلي صاحبها الذي يتبناها في كتابه المقدمة اللغوية وسمّاها قاعدة القلب أو الدوائر واعتمد الترتيب الألفبائي للحروف أو الهجائي كما سماه وليس الصوتي كما جرى في نظرية التقليب الخليلية، وهو بهذا أقرب إلى الترتيب الذي اتبعه ابن دريد في الجمهرة. ويولد العلايلي (٦٠/٢١) المقاليب كما يسميها من الثلاثي إلى دائرتين: يبدأ التقليبات فيها بأسبقها في الترتيب الألفبائي مثل الجذر م ك ل: فالدائرة الأولى منه: ك ل م، ل م ك، م ك ل.

والدائرة الثانية: ك م ل، م ل ك، ل ك م.

ولو أقمنا مناظرة بين تقاليب الخليل والعلايلي سنجد التقاليب نفسها ولكنها عند الخليل مختلفة الترتيب، وتتوزع على ثلاثة دوائر، إن استخدمنا اصطلاح العلايلي، في كل دائرة تقلبيان يبدأ بأحد حروف الجذر، فتكون التقليبات حسب الخليل وهو ما التزم به ابن جني كالآتي:

الدائرة الأولى: ك ل م، م ك ل: وهما أساس الدائرة الأولى والثانية عند العلايلي.

الدائرة الثانية: ل ك م، م ل ك: وهما التقليبات الثاني من الدائرة الأولى والثالثة من

الدائرة الثانية عند العلايلي.

الدائرة الثالثة: م ك ل، ل م ك: وهما التقليبان الثالث من الدائرة الأولى والثاني من

الدائرة الثانية عند العلايلي.

والأساس الثالث الذي يقيم عليه العلايلي نظريته، غير الترتيب الهجائي للحروف (الألفبائي)، وتقليب الجذور إلى دائرتين، هو الجامع المعنوي بين التقلاب الستة، من غير التزام بالمعاني القاموسية؛ ومن أجل ذلك حدد العلايلي لكل حرف معنى خاصاً به فالهمزة تدل على الجوفية، والباء تدل على بلوغ المعنى حتى يصل إلى الياء التي تدل في نظره على الانفعال المؤثر في الباطن (٦٣/٢١-٦٤).

ولابد لنا أن نقر أن في هذا المسلك من ابن جني والعلالي الكثير من التكلف دون جدوى عملية؛ لأن هذا النوع من الاشتقاق وما يتبعه من تأويل لا يؤدي إلى نمو في المفردات علاوة على أنه غير مطرد؛ إذ ليس كل مادة تقاليبها مستعملة، وليس كل المستعمل يمكن ربطه بمعنى جامع، وإذا كان الربط ممكناً في تقلبيات الثلاثي الستة، فكيف يجري هذا الربط في تقلبيات الرباعي التي تصل إلى أربعة وعشرين تقلباً؟ وكيف يتم الربط في الخماسي كذلك الذي تصل تقلبياته إلى مئة وعشرين وجهاً؟ ويبدو أن عدم اطراد هذا الأمر كان يدور في ذهن ابن جني الذي قال (١٧/ج-٢-١٣٨): « وللعلم أنا لا ندعي أن هذا (يقصد الاشتقاق الأكبر) مستمر في جميع اللغة ». ويقرر السيوطي (١٨/١-٣٤٨)، « أنه ليس معتمداً في اللغة » ومحمد المبارك يقول (٢٢/١٠٨): « أرى أن الاشتقاق الكبير (الأكبر)... هو أضعف أنواع الاشتقاق وأقلها فائدة وجدوى من الوجهة العملية وأبعدها عن الوضوح والظهور للناظرين في اللغة »؛ ومع ذلك يُصر العلايلي (٢١/٦٧-٦٨) على القول « إن نظرية التقلب أو القلب على حد تعبيره هي التي تم فيها النضج اللغوي عند العربي، وإن اعتماد قاعدة القلب بكل ما تنطوي عليه من دقة استعمالية تفوق أرقى لغة عصرية. وأنه ليس على شك من صلاحيتها لتكثير اللغة، ويكفي، على حد قوله، أنها تضمن إحداث مواد لا تعرفها عريية المعاجم... وعليه فلا بد من اعتمادها... في تصحيح نصوص المعاجم.

الامتداد المعجمي للتقلب:

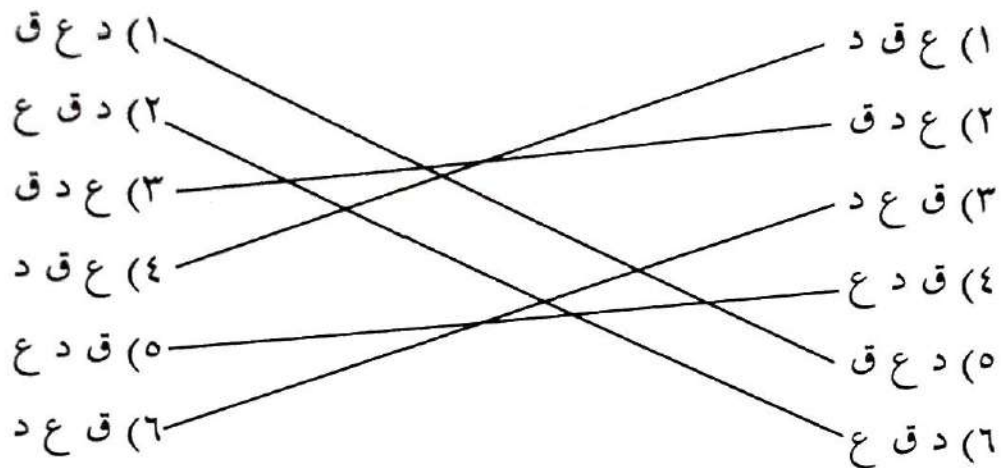
لقد كان للعين بنظامه التقلبي وترتيبه الصوتي وتقسيمه للأبنية أثر واضح في التأليف المعجمي عند العرب وقد كان الاهتداء من الخليل إلى فكرة التقلب لمعرفة المستعمل

والمهمل من مفردات اللغة عملاً أصيلاً؛ بقوته التوليدية التصريفية التي تنتج للحذر الثلاثي، مثلاً، أن يزود اللغة ويغنيها بستة تقلبيات للثلاثي، كل تقليب منها يمكن أن يكون رَحماً أو جذعاً لعدة مشتقات من مختلف الصيغ والمباني تؤخذ عن طريق الاشتقاق العام يكون فيها الإحاطة والكفاية بحق المعاني من التنوع والاختلاف والتجديد بما تحمله هذه المشتقات من طاقات معنوية لا حد لها، ومن حيوية عامة في الدلالات الإيحائية التي يمكن تحصيلها من المعنى العام الجامع المستخلص عن طريق الاشتقاق الأكبر. ففي لسان العرب مثلاً تبعت جذع ضرب من جذر ض ر ب فوجدت أنه يتيح أكثر من أربعين مشتقاً يتيحها قوانين الاشتقاق العام مع الاختلاف الدلالي الذي يتيح التنوع الأسلوبي، لذلك لم يكن مستغرباً أن يستفيد بعض المعجميين من الإمكانات الاستيعابية التي يتيحها هذا التقليب كأبي اسحق إبراهيم بن اسحق الحربي (ت ٢٨٥هـ) في معجم « غريب الحديث » وهو من معاجم المعاني المختصة أو الموضوعة الذي أقامه على الجمع بين طريقة المحدثين في الإسناد التي تذكر رواة الحديث حتى تصل إلى الرسول ﷺ، وبين طريقة المعجميين وأكثرها شهرة وقتها هي طريقة الخليل في ترتيبه الصوتي ومنهجه التقليبي للمفردات. فجعل الحربي لكل تقليب باباً، ويذكر الحديث أو الأحاديث التي تتضمن التقليب، ويبدأ ببيان معاني التقليب ففي باب « جرس » مثلاً يذكر ستة نصوص من الحديث والأثر وينقل المعاني الواردة للتقليب ومشتقاته عن اللغويين، ويستشهد لذلك بالشعر، وقد يستطرد فيأتي بلفظ له علاقة ما بمعنى التقليب كانتقائه من الحديث عن الناقة المجرسة أي المجرية والمؤدبة إلى الناقة المنوقة المتوقة أي المروضة المذلة، وهو وصف لنانة النبي ﷺ ويؤخذ عليه كذلك أنه لم يلتزم بالترتيب الصوتي للتقاليب فيذكر مثلاً باب جرس بعد باب سجر والصحيح حسب ترتيب الخليل هو العكس، وذكر باب جسر بعد باب جرس (مع أن السين تسبق الراء) وفي الحديث الثاني والأربعين تقليب قشف بعد تقليبي شفق وفشق وكان أحمد بن دريد (ت ٣٢١هـ) صاحب جمهرة اللغة من أوائل الذين التفتوا إليه واستفادوا من إمكانياته مع أنه كان بإمكانه أن يغيض الطرف عنه ويستغني عنه في معرفة المستعمل من كلام العرب لأنه « أحفظ الناس، وأوسعهم علماً

وأقدرهم على شعر» (٨٤/٢٣)، و «كان ذا حافظة قوية تقرأ عليه دواوين العرب فيحفظها من وهلتها الأولى» (٣١٨/٢٤) وإنه كما ذكر السيوطي (٩٤٨/١٨) أنه «أملى ابن دريد الجمهرة في فارس، ثم أملاها بالبصرة وبيغداد من حفظه، ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللفيف».

ومقدمة الجمهرة تكاد تكون طبق الأصل من مقدمة العين في حديثه عن الحروف، إلا أن ابن دريد رتب مداخل المعجم وفق الألفبائية العادية وتابعه في تقسيم مداخله إلى أبنيته كالثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وفصل في أبنية الثنائي والثلاثي، ولم يكتف بالتصنيف العام للأبنية كما جاء في العين، هذه الأبنية التي ملأها الخليل عن طريق التقلب للحروف إلا أنه خالفه في بناء التقلبات وفق الألفبائية المألوفة. ولتوضيح الفرق الإجرائي بينهما أقلب جذر ع ق د على النهجين:

منهج العين في التقلب الصوتي منهج الجمهرة في التقلب الألفبائي



لا فرق بين التقليبين إلا في الترتيب، مع ملاحظة أن الجذر موجود في باب العين بسبب الترتيب الصوتي في معجم العين، بينما في الجمهرة في باب الدال بسبب الترتيب الألفبائي، فالأول في العين يقابل الرابع في الجمهرة والثاني في العين يقابله الثالث في الجمهرة، والثالث في العين هو السادس في الجمهرة والرابع في العين هو الخامس في الجمهرة والخامس في العين هو الأول في الجمهرة والسادس في العين هو الثاني في الجمهرة.

وهكذا يكون ابن دريد في جمهرة اللغة قد استعان بنظام التقليلات الخليلي من أجل استيعاب جمهرة مواد اللغة، إلا أنه أقامه على الترتيب الألفبائي وليس على الترتيب الصوتي، ويقول في مقدمته: « إنما أعرناه هذا الاسم (يقصد الجمهرة) لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب » (٤١/٢٥) مما يعني أنه أراد أن يحصي المادة اللغوية عن طريق التقلب؛ ولكنه لم يستوعب كل التقليلات على ما يبدو وإنما يحكم اختياره فالزم نفسه باختيار الفصحح الصحيح ويفترض أنه أسقط الوحشي والمستنكر وغير الصحيح عدا ما يمكن قد غفل عنه ولم ينتبه إليه وهو يصرح بذلك في قوله: « فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئاً لم ينكر علينا ذلك لأننا إنما أمليناه حفظاً، والشذوذ مع الإملاء لا تدفع » (٥١٤-٣/٢٥).

وإذا كان ابن دريد قد رغب في تمييز معجمه الجمهرة عن العين بإقامته على الترتيب الألفبائي للأبنية فإن أربعة من المعجمين العرب اقتفوا أثر الخليل؛ في ترتيب العين وتبويه وتقالبيه وهم أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) في البارع في اللغة والأزهري (ت ٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) في المحيط في اللغة، وابن سيده (ت ٤٥٨هـ) في المحكم والمحيط الأعظم، ويمكنني أن أضيف إليهم أبا بكر الزبيدي الاشبيلي (ت ٣٧٩هـ) في مختصر العين الذي يمكن أن يقوم مقام كتاب العين.

أما البارع فقد قال محققه الدكتور هاشم الطعان إنه « أول معجم اندلسي من حيث مكان التأليف، أما المادة فهي مادة كتاب العين للخليل بن أحمد.... وبهذا يكون البارع أقدم نسخة وصلت إلينا من كتاب العين » (٦٤/٢٦، ٦٦) ويبدو أن القالي قد تابع الخليل في العين على وجه الإجمال، خاصة في نظام التقليلات وخالفه مخالفة يسيره في الترتيب الصوتي للحروف، وفي تفصيل أنظمة الأبنية، رغبة منه في التميز وحتى لا يرمى بالتقليد بدليل إثباته بأنه يزيد على صفحات العين بما يقرب ٤٠٠ ورقة وأنه يربو عليه في كلماته بما يقرب من ٥٦٨٥ كلمة.

وإذا انتقلنا إلى تهذيب اللغة الذي أراد منه الأزهري تنقية اللغة مما أدخل إليها من الألفاظ التي أُخِلَّ بفصاحتها، كذلك أراد تخليصه من الحشو الذي لا أصل له، والغريب

غير الفصيح وقال « ولم أودع في كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صح لي سماعاً منهم أو رواية عن ثقة، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتي » (٢٧/٣٨) وبالرغم من تحامله على الخليل وتجاهله لمكانته فإنه اقتبس مقدمة العين وجعلها مقدمة التهذيب (٢٧/٤١ - ٤٣).

ولم يجد مفراً من اتباع نظامه في ترتيب الحروف صوتياً فبدأ بالعين وانتهى بالحروف الهوائية، وتقسيمه كتابه إلى أبواب وكتب فجعل الأبواب للحروف، والكتب للأبنية الستة التي لم تخالف أبنية العين بما يمكن تسجيله. وكان نظام التقلب الخليلي هاديه إلى المستعمل والمهمّل؛ كل ذلك يدل على أنه اقتفى أثر الخليل وتقيد بترتيبه وتنظيمه وتقاليبه واستطاع بالتقلب أن يضع يده على المستعمل، ويتابع المهمّل ويذكر أسبابه أحياناً، فكانت ستة ملايين وستمائة ألف وتسعة وتسعين ألفاً وأربعمائة.

وإذا راعينا الترتيب الزمني لمؤلفي المعاجم التقليدية فإن مختصر العين يكون هو الحلقة الثالثة، بعد البارع والتهذيب، في اقتفائه أثر الخليل؛ إذ لم يكن بوسع أن يتخلى عن منهج الخليل في كتاب العين. خاصة نظامه التقليدي فكان المعجم الوحيد الذي سجل حصيلته هذا النظام من المستعمل والمهمّل في خاتمة كتابه فكانت ستة ملايين وستمائة ألف وتسعة وتسعين ألفاً وأربعمائة، المستعمل منها خمسة آلاف وستمائة وعشرون والمهمّل ستة ملايين وستمائة ألف وثلاثة وتسعون ألفاً وسبعمائة وثمانون ولولا آلية التقلب لما تمكن الزبيدي من رصد هذه الكمية من مفردات اللغة، المستعمل منها والمهمّل.

وكانت الحلقة الرابعة من المعاجم التقليدية على يد الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) في معجمه المحيط في اللغة، وهذه الإحاطة التي لم يكن يضمنها أو يقدر عليها سوى اعتماده على آلية التقلب التي يرصد بها تقاليد كل مادة لغوية، فلا يفلت منها سوى المهمّل، وعليه فإن الصاحب قد اقتنع بمنهج الخليل تدل على ذلك مقدمته التي أدارها على التعليل والتفسير لما جاء في مقدمة العين، مما يدل على أنه أقام معجمه على بصيرة واقتناع بمنهج الخليل فوسمه بالحيط برجاء أن يحيط بكلام العرب عن طريق تقلب جذور مواد المعجم.

أما الحلقة الأخيرة من المعاجم التي أدارت نظامها على التقليب فكان معجم المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ). وإن هذا العنوان يدل على ما كان يطمح إليه ابن سيده من وضع معجم محكم في بنائه ونظامه، وشامل لكلام العرب بمفرداته ومحيط باللغة في شروحه، ويتميز على حد تعبيره بالإشباع والاتساع، وأظنه اطلع على أنظمة المعاجم السابقة عليه ووجد ضالته في منهج العين الذي اعتمد نظام التقليب لجمع كلام العرب والإحاطة في جمع مستعمله، وتحقيق له ذلك ويشهد له ولالأزهري ما ذكره صاحب اللسان في مقدمته بقوله « ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات الطريق... » (٢٨/٧).

وهكذا ظهر لنا التأثير الطائفي لكتاب العين على التأليف المعجمي العربي فقد التزم بمنهجه في الترتيب والتنظيم عدد من المعاجم الجليلة، كما أسلفت، بحيث أصبح التقليب من صميم نظامها المعجمي حتى صار هذا التقليب عنواناً لها في الكتب التي تؤرخ للتأليف المعجمي عند العرب، وكتاب العين رائداً وأساساً معتمداً لها، ولا أجد للتعريف بمكانة الخليل وريادة العين ومزنته بين المعاجم، أفضل من التنويه الذي ساقه محققاً كتاب العين (د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي في تقديمهما الذي يقولان فيه: « إن كتاب العين بالرغم مما قيل فيه، وما مني به من جحود وتحامل وتشهير... كان مصدر إلهام اللغويين الذي احتذوه، ونهجوا نهجه، بل كان المادة الأساس لمعجماتهم وآرائهم في اللغة وفقهها... كان نقلة عظيمة نقلت التأليف المعجمي من طور السذاجة إلى طور النضج والاكتمال » (٢٧/٤).

ثبت بالمراجع مرتبة حسب ورودها في البحث:

- ١- معجم المعاجم - أحمد الشرقاوي إقبال، ط ١، دار الغرب الإسلامي.
- ٢- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، مطبعة لمديني - القاهرة.
- ٣- المعجم العربي: إشكاليات ومقاربات، محمد رشاد الحمزاوي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس ١٩٩١ م.

- ٤- كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجزء الأول: تحقيق د. عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م والجزءان الأول والخامس، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٢م.
- ٥- مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن خلدون، تصحيح وفهرسة أبي عبد الله السعيد المندوه، ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ٦- مقدمة لنظرية المعجم - إبراهيم بن مراد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٧- حول نظامية المعجم / فرحات الدريسي، مجلة المعجمية العددان ٩، ١٠، تونس ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٨- علم اللغة العام - دي سوسير ترجمة يوثيل عزيز، مراجعة د. مالك المطليبي، بيت الموصل - الموصل ١٩٨٨م.
- ٩- فصول في علم اللغة العام - دي سوسير ترجمة د. أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٥م.
- ١٠- مختصر العين - لأبي بكر الزبيدي، تقديم وتحقيق د. نور حامد الشاذلي، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ١١- مجلة المعجمية، العددان ٩، ١٠ (تونس)، من مقالة حلام الجليلاني: المعجم العربي بين المدارس والنظريات.
- ١٢- المدارس اللغوية، جيفري سامبسون، ترجمه د. أحمد نعيم الكراعين، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٣- مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، سامسون، ترجمه د. محمد زياد كبة، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ.
- ١٤- التحيز اللغوي وقضايا أخرى، د. حمزة بن قبلان المزيبي، كتاب الرياض ١٢٥، مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض ٢٠٠٤م (وفيه ترجمة لبابين من كتاب جون ليونز ١٩٨١م، Language and Linguistics تحت عنوان مدخل إلى اللغة واللسانيات).
- ١٥- البنى النحوية - نوم تشومسكي، ترجمة د. يوثيل عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٧م.

- ١٦- في نحو اللغة وتراكيبها: د. خليل عمايرة، ط ١، عالم المعرفة، جده، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٧- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط ٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
- ١٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها - لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البحايي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، مكتبة الإيمان - المنصورة، مكتبة التراث - القاهرة.
- ١٩- (٩) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، آدم متز، ترجمه محمد عبد الهادي أبو زيدة، ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.
- ٢٠- فقه اللغة في كتب العربية - د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤م.
- ٢١- تهذيب المقدمة اللغوية: د. أسعد أحمد علي، ط ٣، دار السؤال للطباعة والنشر - دمشق ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ٢٢- فقه اللغة وخصائص العربية - محمد المبارك، ط ٧، دار الفكر، دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٢٣- مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٢٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥م.
- ٢٥- جمهرة اللغة لابن دريد حيدر آباد ١٣٤٦هـ.
- ٢٦- البارع في اللغة لأبي علي القالي تحقيق الدكتور هاشم الطعان، بيروت، ١٩٧٥م.
- ٢٧- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٤ / ١٩٦٧م.
- ٢٨- لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، ط ٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣-١-٢ معجم العين^(١) للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)

وهو أول معجم في هذه المدرسة وإمامها وصاحبه الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، الذي لم يسلم بجمع اللغة عن طريق الرسائل اللغوية، فهدته عبقريته بإلهام من الله إلى وضع كتاب يجمع مفردات اللغة التي استعملها العرب عن طريق نظام معجمي يجسده معجم العين الذي أقامه على ثلاثة أبعاد رئيسية تعكس نظرة نافذة إلى المفردة المعجمية بعناصرها الصوتية والصرفية والدلالية، وعليه فالبعد الصوتي هو الأول لأن الوحدة المعجمية تتألف من حروف أو أصوات واختار أن ينظم هذه الوحدات أو المداخل على أساس صوتي وليس على أساس موضوعي أو ألفبائي أو أبجدي؛ وأقام الأساس الصوتي على إعادة ترتيب الحروف ترتيباً جديداً يقوم على أساس علمي ينطلق من أحياز نطقها على المدرج الصوتي بادئاً بجزء الحلق الذي تنطق منه العين والحاء والهاء والخاء والغين وتدرج في الترتيب حتى وصل في المدرج الصوتي إلى الحروف الشفوية وهي الفاء والباء والميم، والحروف أو الأصوات التي لم ينسبها لموضع معين في المدرج فسمّاها الحروف الهوائية وهي الألف والواو والياء والهمزة ويقرر ما فعله بقوله في العين ٤٨/١: "وقلب الخليل أ، ب، ت، ث فوضعها على قدر مخرجها من الحلق، وهذا تأليفه:

ع ح هـ خ غ - ق، ك - ج ش ض - ص س ز - ط، د، ت، - ظ، ث، ذ -
ر، ل، ن - ف، ب، م - و، ا، ي - همزة.

وفتح لكل حرف كتاباً حسب ترتيبه الصوتي ثم قسم كل كتاب إلى أبواب، ككتاب العين التي بدأ بها ما يأتلف معها من حروف حسب ترتيبها الصوتي أيضاً. وقد بين سبب ابتدائه بحرف العين بقوله (٤٧/١) إنه: "دبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، الجزء الأول تحقيق د. عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد

١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م، والجزءان الأول والخامس تحقيق المخزومي والسمرائي، دار الرشيد، منشورات

وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٢ م.

في الحلق. وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: اب، ات، اح، اغ، اغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق " وهو لم يبدأ بالهمزة " لأنها حرف مضغوط مهتوت إذا رُفَّه عنه انقلب ألفاً أو واواً أو ياءً، ولم يجعل البدء بالألف لأنها ساكنة أبداً ولا بالهاء لَهْتَتِها وخفائها فهي كالألف " ويذكر هذا الأمر السيوطي في المزهرة (٩٠/١) بصورة أكثر وضوحاً نقلاً عن ابن كيسان: " سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبداً بالهمزة: لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فترلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف " وهذه المسوغات الصحيحة علمياً جعلت الخليل يتفادى البدء بالألف أو الهمزة واضطرته إلى ترتيب الحروف على المدرج الصوتي حسب حروفها بدءاً بالعين.

وكانت الخطوة الثانية بالضرورة، بعد ترتيب الحروف بوصفها أصواتاً مفردة على الوجه الذي أراده، أن يبدأ بالصور الصوتية الصامتة (الجزور) وقوامها كل حرف وما يأتلف معه من حروف كما أشار بقوله (٦٧/٤): " بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وتضم إليه ما بعده... " (٦٧/٤) وهي إشارة إلى ما فتحه من كتاب لكل حرف حسب ترتيب الحروف الصوتي ثم يفتح في كل كتاب أبواباً نحو كتاب العين والأبواب مع ما يأتلف مع العين من حروف، وهكذا مع بقية الحروف، وهي مرحلة التأليف الصوتي للوحدات المعجمية أو هي التي تشكل المقدمات الصوتية للبعد الثاني وهو البعد الصرفي.

البعد الصرفي وهو الذي يتشكل فيه ما يسمى بالمداخل أو الوحدات المعجمية أو الصيغ الصرفية التي تتكون بحروف تبدأ بها وحروف تحشى بها وحروف يوقف عليها على حد قول الخليل (٥٥/٤) وهي مرحلة تنتقل فيها الصور الصوتية (الجزور) إلى مرحلة البنى الصرفية (الجزوع) على حد تعبير الدكتور إبراهيم بن مراد (١٠٦/٦). وهي المرحلة التي كان الخليل واعياً لها وصنّف فيها البنى الصرفية على أساس كمّي بقوله: " كلام العرب مبني على أربعة أصناف، على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فالثنائي على

الواضح والغريب ولا يخرج منه شيء، قد تصل إلى ١٢،٣٠٥،٤١٢ (اثني عشر مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف، وأربعمائة واثنى عشرة وحدة معجمية).

بعد أن بينت أركان هذه المدرسة صوتاً وصرفاً وتقليباً من خلال مقدمة العين أرى أن أنتقل إلى بيان منهج الخليل العملي الذي أقام عليه معجم العين وطبقه بخطوات عملية وأولها: ترتيب المواد أو المداخل المعجمية حسب مخارج حروفها الأصلية؛ أي قام بترتيب الحروف صوتياً كما ذكرت آنفاً حسب أحيازها بدأها بحيز الحلق والحروف الحلقية عنده: ع ح هـ خ غ، وتليها الحروف اللهوية: ق ك، فالحروف الشجرية: ج ش ض لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم على حد تعبير الخليل، ثم الحروف الأسلية وهي: الصاد والسين والزاي لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي طرف اللسان. ثم الحروف النطعية لأن مبدأها من نطع الغار وهي: الطاء والذال والتاء، ثم الحروف اللثوية لأن مبدأها من اللثة وهي الظاء والثاء والذال، وتليها في الترتيب الحروف الذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهي الراء واللام والنون ثم الشفوية وهي الفاء والباء والميم، وأخيراً الهوائية وهي الواو والألف والياء. ومن أجل التطبيق الصحيح لهذه الخطوة يجب أن يؤخذ في الحسبان تجريد الوحدة المعجمية، المراد معرفة معناها؛ لتصبح مدخلاً، من الحروف الزائدة أولاً فاستعان تصبح عان، والاجراء الثاني هو رد حروف العلة إلى أصلها فعان من العون تصبح: عَوَن. ثم يأتي بعد ذلك الإجراء الرئيسي وهو الكشف في المعجم، أقصد معجم العين، عن الكلمة الذي يجب أن يكون في كتاب العين وليس في كتاب الواو أو النون؛ لأن العين في ترتيبها الصوتي تسبقهما، كما عرفنا.

وأما ثاني الخطوات فهو معرفة الصيغة الصرفية للمدخل إذا كانت ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية، لأن الخليل كما فتح في كل كتاب (حرف) أبواباً لكل حرف مع ما يليه كباب العين مع القاف في كتاب العين، فتح أيضاً في كل كتاب أو حرف أبواباً للمعاني الصرفية نحو باب الثنائي الصحيح وباب الثلاثي الصحيح وباب الثلاثي المعتل فيكون الأمر في ع و ن أن نفتح في كتاب العين على باب الثلاثي المعتل، باب العين

والنون والواو فيكون ترتيب الإجراءات في هذه الخطوة: فتح المعجم على كتاب العين ثم ننتقل إلى باب الثلاثي المعتل ثم النظر إلى باب العين والنون والواو.

والخطوة الثالثة هي خطوة النظر إلى تقاليب الجذر لمعرفة المستعمل والمهمّل من المفردات فبعد الإجراءات التي ذكرتها آنفاً في الخطوة الثانية يلتفت الطالب إلى ما يجده مدوّناً من التقاليب أسفل العنوان وهو باب العين والنون والواو ع ن و، ع و ن، ن ع و، ن و ع، و ع ن، و ن ع:

باب العين والنون والواو

ع و ن، ن ع و، ن و ع مستعملات

مما سبق نستطيع أن نتبيّن طريقته في ترتيب الحديث عن المادة اللغوية أو الوحدة المعجمية، وما يتوجب على الباحث أن يحيط به من إجراءات وهي باختصار كما يأتي:

- ١- تجريد الكلمة من الزوائد.
- ٢- ردّ الحرف المُعلّ في الكلمة إلى أصله فميعاد من وعد واستبقاء من بقي.
- ٣- الإمام الكافي بترتيب الحروف الصوتي الذي ابتدعه الخليل وأقام عليه كتاب العين، فخصيصة من خص في كتاب الحاء وصنيعة في كتاب العين وحرنجم في باب الحاء واستبقاء في كتاب القاف واستفاض في كتاب الضاد والملدوغ في كتاب الغين، وهكذا كل مدخل إذا لم يكن فيه عين يكون الاعتبار للحرف الأسبق من حيث ترتيبه الصوتي بين حروف الكلمة.
- ٤- تحديد كمية الصيغة الصرفية للجذر إذا كان ثنائياً أو ثلاثي الأصول أو رباعياً فخصيصة من خصّ في باب الثنائي من كتاب الحاء وصنيعة من صنع في باب الثلاثي الصحيح من كتاب العين. وحرنجم من حرجم فهي في باب الرباعي من كتاب الحاء. واستبقاء من بقي فهي في باب الثلاثي المعتل من كتاب القاف. واستفاض من فاض (ف ي ض) فهي باب الثلاثي المعتل من كتاب الضاد.
- ٥- تتبّع تقاليب الجذر لمعرفة المستعمل من المهمّل منها فتقاليب الجذر صنع تبدأ بالعين: ع ص ن، ع ن ص، ص ع ن، ص ن ع، ن ع ص، ن ص ع.

ففي كتاب العين، باب الثلاثي الصحيح، باب العين والصاد والنون، نجد التقليلات:
ع ن ص، ن ع ص، ص ن ع، ن ص ع، مستعملات وأما التقليلان ص ع ن، ع ص ن
مهملان.

وأول تقليل يبدأ به هو: ع ن ص، لأن التقليل السابق عليه مهمل وهو ع ص ن
ثم يثني بالتقليل نعص (ن ع ص) والمفروض أن يثني ب (ص ن ع) التي تلت بها ولكنه
يبدو أن حديثه قد تنابع في التقليل حسب تنابعها في قائمة المستعملات.

واستكمالاً للحديث عن منهجه في هذا المعجم لا بد أن نأتي على ضبطه للألفاظ
واحتجاجة بالشواهد وقائلها وترتيبه المشتقات واهتمامه بالمعلومات الأخرى.

إن الناظر في كتاب العين يجد فيه أن السمة الغالبة في ضبط المداخل ومشتقاتها هي
الضبط بالشكل، أي بوضع الحركات: الفتحة، والضمّة، والكسرة، والسكون على
الحروف في بنية الكلمة، وأسوق على ذلك ما يأتي للتمثيل لا للحصر (٦٧/١):

باب العين والجيم

ع ج، ج ع المستعملان

عج:

العَجُّ: رفع الصوت، يقال: عَجَّ يَعِجُّ عَجّاً وَعَجِجاً. وفي الحديث: "أَفْضَلُ الْحَجِّ
الْعَجُّ وَالْتَجُّ" فالعَجُّ رفع الصوت بالتلبية، والتَجُّ صَبُّ الدِّمَاءِ، يعني الذبائح، قال وَرَقَةُ بْنُ
نَوْفَلٍ:

وَلَوْ جَأَ فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ وَإِنْ عَجَّتْ بِمَكِّيَّتِهَا عَجِجاً

وقال العجاج:

حَتَّى يَعِجَّ ثَخَنًا مَنْ عَجَّعَجَا

وقد يلجأ إلى صورة إيضاحية أخرى إذا تشابهت حروف الكلمات، فيضبط هذه
الحروف، وينص بعدها على نوع الحركة ونمثلة لذلك بقوله (١٥٠/١): ويقال: وَعُقْرُ
الدَّارِ وَعُقْرُ الدَّارِ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ " يقصد بضم العين وفتحها. وقد يزيد عليها وسيلة
أخرى وإن كانت قليلة تشير إلى الاختلاف اللهجي في نطق (حركة) الحرفين في الكلمتين
المتشابهتين كقوله ١٥١/١: "سمعت أعرابياً فصيحاً من أهل الصَّمَّان يقول: كُلُّ فُرْجَةٍ

تكون بين شيئين فهو عُقْرٌ وَعُقْرٌ لغتان، ووضع يديه على قائمتي المائدة، ونحن نَتَغَذَّى، فقال: ما بينهما عُقْرٌ " وفي ١٨٥/١ يذكر الطريقة نفسها: " حَرْبٌ عَقَامٌ وَعُقَامٌ لغتان، أي شديدة، لا يلوي فيها أحد على أحد، قال:

حَفَافَه مَوْتٌ نَاقِعٌ وَعُقَامٌ

وقد يؤكد بطريقة غير مباشرة هيئة الكلمة، بعد وضع الحركات على الحروف في بنيتها، وذلك حين يتبعها بذكر وزنها للتنبيه على قاعدة في مثال صرفي إذ يقول (١٨١/١): " وامرأةٍ مِعْقَابٌ: من عادتها أن تَلِدَ ذَكَراً بعد أنثى، ومِفْعَالٌ في نعت الإناث لا تدخله الهاء "

أما الاستشهاد فيعني أن تساق الشواهد في كتب اللغة والنحو من أجل الاحتجاج على صحة قاعدة نحوية أو صرفية أو من أجل تصويب إيراد لفظ أو عبارة لأداء معنى معين، وتشيع هذه الظاهرة في المعاجم العربية فلا يخلو معجم من شاهد على أحد جوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، نظراً لتعدد الاستعمالات اللغوية، خاصة اللهجية. ويبدو أن أول من سنَّ هذا النهج في المعجمية العربية هو الخليل بن أحمد؛ فتكاد لا تخلو مادة لغوية في العين من الاحتجاج بشاهد شعري أو حديث نبوي أو آية قرآنية أو قول لعربي، ومواضع الاستشهاد أكثر من أن تحصى في هذا المعجم وأكتفي بضرب أمثلة مما ورد، وأبدأ بالشعر لأنه هو الغالب في الاستشهاد، وغالباً ما يسنده أو يتبعه بحديث شريف لتقوية الاحتجاج وتأكيده للدلالة على معنى معين نحو قوله ٧٢/١: " الضَّعُضَةُ: الخضوع والتذلل، وضَعُضَةُ الهَمِّ فَتَضَعُضُ، قال أبو ذؤيب:

وتَجَلُّدِي لِلشَّامَتَيْنِ أَرِيهُمُ أَنِّي لَرَيْبُ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُضُ

وفي الحديث: " ما تَضَعُضُ امرؤٌ لآخر يريد به عَرَضُ الدنيا، إلا ذهب ثلثا دينه " يعني خضع وذل "

وفي أحيان أخرى قد يقدم الاستشهاد بالحديث على الاستشهاد بالشعر كما جاء في ٨٠/١: " والعداد: احتياج وجع اللديغ، وذلك إذا تَمَّتْ له سَنَةٌ مذ يوم لُدغ هاج به الألم. وكأنه اشتقاق من الحساب من قبل عدد الشهور والأيام كأن الوجع يَعُدُّ ما يمضي

السَّنة، فإذا تَمَّتْ عاودت الملدوغ ولو قيل: عادته لكان صواباً، وفي الحديث: " ما زالت أكلة خيبر تعادني، فهذا أوانُ قطع أبهري " أي تراجعني ويعاودني ألم ستمها في أوقات معلومة، قال الشاعر:

يُلاقِي من تَذَكُّرِ آلِ سَلَمَى كما يَلْقَى السَّليْمُ من العِدادِ

والأمر نفسه قد يحصل مع الاحتجاج بالقرآن الكريم؛ أي قد يقدم الاستشهاد بآية على الشعر، كما جاء في مادة دع (٨٠/١): " دَعَهُ يدْعُهُ، الدَّعُ: دَفَعَ في جفوة، وفي التثريب العزيز " فذلك الذي يدْعُ اليتيم ^(١) أي يَعْنِفُ به عُنْفًا شديداً دَفْعاً وانتهازاً؛ أي يدفعه حقّه وصلته، قال:

أَلَمْ أَكْفِ أَهْلَكَ فَقْدَانَهُ إذا القَوْمُ في المَحَلِّ دَعُّوا اليتيما

وقد يجتمع في مادة واحدة الاحتجاج بالشعر والقرآن الكريم والحديث الشريف كما جاء في مادة خشع ١١٢/١: " الخشوع رَمَيْكَ ببصرِكَ إلى الأرض، وتَخَشَّعَتْ تشبَّهَتْ بالخاشعين. ورجل مُتَخَشَّعٌ مُتَضَرِّعٌ، والخشوع والتخشُّع والتَضَرُّع واحد قال: ومُدْجَحٌ يحمي الكتيبة لا يُرى عند الكريهة ضارِعاً مُتَخَشَّعاً

وأخشَعْتُ أي طأطأت الرأس كالمتواضع، والخشوع المعني من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخدام، والخشوع في البدن والصوت والبصر قال الله - عز وجل - : " خاشعة أبصارُهم "، " وخَشَعَتِ الأصوات للرحمن " أي سكنت، والخُشْعَةُ: قُفٌّ، غلبت عليه السهولة، قف خاشعٌ وأكمةٌ خاشعةٌ أي مُلتَزِمةٌ لاطئةٌ بالأرض.

وفي الحديث: " كانت الكعبة خُشْعَةً على الماء، فَدَحِيتُ منها الأرضُ ". ومما يجدر ذكره أنه لم يكن له منهج موّحد في نسبة الأبيات المستشهد بها، بل كان أحياناً يذكر اسم القائل، وأحياناً يقول: قال الشاعر دون أن يذكر اسمه، وأحياناً أخرى كان يكتفي بالقول: قال وهو النهج الغالب مع الشعر دون كلمة الشاعر " أو يقول: قال آخر، أو

يكتفي بقوله: وأنشد، وأنشد غيره. ولم يقيّد احتجاجه بحد زمني أو مكاني في عصره كما فعل أستاذه أبو عمرو بن العلاء الذي بدأ عنده المولّد من الطبقة الثالثة من الطبقات التي حدّدها صاحب الخزّانة وهي طبقات الجاهليين والمخضرمين والمتقدّمين أو الاسلاميين، وهي التي اتفق العرف اللغوي على الاستشهاد بشعرها وأما المولدون، أو المحدثون كبشار بن برد وأبي نواس فهي الطبقة الرابعة التي لا يستشهد بكلامها كما جاء في خزّانة الأدب (٧-٥/١). وأبو عمرو بن العلاء عدّ شعر جرير والفرزدق مولداً: وكان لا يعد الشعر إلا ما كان من المتقدّمين، قال الأصمعي: جلست إليه عشر حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي " (الخزّانة ٧-٦/١)؛ أي ينتهي الاحتجاج عنده بنهاية الطبقة الثانية أي المخضرمين ولكن الخليل خالف أستاذه وامتد استشهاده واتسع زماناً ومكاناً، من المهلهل الغابر في الجاهلية (جـ ١/١٧٢، ٨٦) إلى بشار الذي عدّ من المحدثين فالأصمعي يقول في حقه (فحولة الشعراء ٥١-٥٢) " بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير " (٢٣٦/١) مروراً بطبقة الجاهليين أمثال امرئ القيس وطرفة وعمرو بن كلثوم والنابعة والأعشى، وبطبقة المخضرمين كحسان بن ثابت وليد بن أبي ربيعة والخنساء، والمتقدّمين من الاسلاميين كالحطيئة وجرير والفرزدق والأخطل الذي اعتبرهم أبو عمرو بن العلاء من المولدين، والعجاج ورؤية وعبيد الله بن قيس الرقيات ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وغيرهم كثير. كذلك لم يقيد نفسه بالحد المكاني فقد احتج بشعر عدي بن زيد الذي سكن بلاد فارس، وبشعر أبي دؤاد الإيادي، وإياد على تخوم فارس، وبشعر أفنون التغلي، والتغلبة كانت أرضهم في الجزيرة وهي الأرض الواقعة الآن بين سوريا والعراق.

أما الاستشهاد بأقوال العرب فقد أتى قليلاً في كتاب العين ففي الجزء الأول، على سبيل المثال، لم يحتج بأقوال العرب إلا في خمسة عشر موضعاً يغلب عليها قوله: تقول العرب (٣٢٣/١)، أو من العرب من يقول (٣٢٦/١) أو وقول العرب (٢٨٩/١) أو والعرب تقول (٢٤٦/١) أو قالت العرب (٦٢/١)، وسائر المواضع يذكر إسم المأخوذ عنه أو المنقول كقوله: قال أبو سفيان ٦٤/١، قال الساجع ٦٦/١ أو عن عمر ٧٥/١، أو

قال معاوية ٨٧/١ أو قال مبتكر الأعرابي ١٣٩/١، ١٤٩، أو قال أعرابي ١٣٥/١ أو سمعت أعرابياً ١٥١/١ وقال الحجاج بن يوسف ٢٣٨/١، وقال عبد الله بن عباس ٢٧٤/١.

أما تفسير المدخل وبيان معانيه أو تعريفه، وليس هناك من شرط للتعريف المعجمي سوى الوضوح وتوصيل المفهوم دون لبس أو غموض؛ وعليه فإن المدخل اللغوي يحتاج إلى تقديم دلالة ببيان مرادفه أو مضاده وصيغته الصرفية وفصيلته النحوية، ومظهره الصوتي أو البياني وسياقاته اللغوية التي تؤديها الشواهد وهذه العناصر الأساسية اللازمة للتعريف بالمدخل؛ وعلينا أن نتبع ما استخدمه الخليل من هذه الرسائل. وأبدأ ببيان المعنى بما سمي بالتعريف الاسمي أو العلاقي بالترادف أو الضد أو بالوصف أو بالاشتقاق أو ببيان السبب كقول الخليل في التعريف الاسمي في باب العين والقاف ٦٤/١ في تعريف العقيق: "خرز أحمر ينظم ويتخذ منه الفصوص، الواحدة عقيقة" وقوله في نفس الباب ٦٥/١: "الققعق: طائر أبلق بياض وسواد، طويل المنقار والرجلين، ضخمة، من طيور البر، يظهر أيام الربيع، ويذهب في الشتاء". وفي باب العين والكاف ٦٦/١: "والعكوك: الرجل القصير المنزّز المقتدر الخلق إلى القصر كله". وفي باب العين والراء ٨٦/١: "والعرعر: شجر لا يزال أخضر، يسمى بالفارسية سرواً... ويقال هو شجر له ورق أصفر". وفي باب العين والحاء والdal ١١٥/١: "الأخدعان: عرقان في اللبّتين لأنهما خفيا وبطناً ويجمع على أخادع، قال:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارَ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرْبُنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادِعُ

وفي باب العين والقاف والشين ١٢٥/١: "والقشعة: قطعة سحاب تبقى في نواحي الأفق بعد ما ينقشع الغيم...". وفي باب العين العين والصاد والقاف ١٢٨/١: "والقاصعاء: جحر اليربوع الأول الذي يدخل فيه". وفي باب العين والقاف والdal ١٤٢/١: "العودق على تقدير فوعل، وهي العودقة أيضاً: حديدة لها ثلاث شعب يستخرج بها الدلو من البئر، وهو الخطاف". وفي باب العين والقاف والراء ١٥٥/١:

"الْقَرَع: ذهاب شعر الرأس من داء". وفي باب العين والزاي والميم ٣٦٣/١: "وعزائم القرآن: الآيات التي يقرأ بها على ذوي الآفات لما يُرجى من البرء بها".

أما اعتماده في بيان المعنى على ما يسمى بالنحت فقد جاء في بيان معنى "حَيْعَلٍ" التي يرى أنها نُحِتَتْ من كلمتين، والنحت هو الاشتقاق الكُبار عند الصرفيين فقد ذكر ذلك بقوله (٦٠/١-٦١): وإن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل "حيّ على" كقول الشاعر:

ألا ربّ طيف باتٍ منك معانقي إلى أن دعا داعي الفلاح فحَيْعَلاً

فهذه كلمة (يقصد حَيْعَل) جُمِعَتْ من "حيّ" ومن "على"، وتقول منه: "حَيْعَل يُحَيْعِل حَيْعَلاً، وقد أكثرت من الحَيْعَلة أي من قولك: "حيّ على"، هذا يشبه قولهم: تَعَبَّشَ الرجل وتَعَبَّقَس، ورجل عبشمي إذا كان من عبد شمس أو من عبد قيس، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلاً... فهذا النحت، فهذا من الحجة في قولهم: حَيْعَل حَيْعَلاً، فإنها مأخوذة من كلمتين "حيّ على".

وقد سخر الخليل العلاقات الدلالية بين الألفاظ لأداء معانيها وكان الترادف من أشهرها وأكثرها وروداً في العين ومن أمثلته: في باب العين والجيم ٦٧/١: "والعجاج: الغبار". وفي باب العين والضاد ٧٢/١: "الضعضة: الخضوع والتذلل". وفي باب العين والصاد ٧٣/١: "الصعصة: التفريق". وفي باب العين والتاء ٨٤/١: "العُتّة: السوسة". وفي باب العين والراء ٨٥/١: "العَرّ والعُرّ: الجرب، قال النابغة:

فَحَمَلْتَنِي ذَنْبٌ امْرِيءٍ وَتَرَكْتَنِي كَذِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاقِعٌ

وفي ٨٦/١: "المعرور: المغرور". وفي باب العين والنون ٩٠/١: "العُتّة: الحظيرة". وفي باب العين والهاء والراء ١٠٥/١: "العَهَر: الفجور"، "والهرعة: القملة الكبيرة". وفي باب العين والهاء واللام ١٠٦/١: "العَيْهَل: الناقة السريعة قال:

وَبَلَدَةٌ تَجْهَمُ الْجُهْمَا
زَجَرْتُ فِيهَا عَيْهَلًا رَسُومًا
مَخْلُصَةً الْأَنْقَاءَ أَوْزَعُومًا

وفي باب العين والقاف والصاد ١/١٢٧: "القَعَص: القتل". وفي باب العين والقاف والزاء ١/١٣٢: "المَعَزَقَة: المسحاة، قال ذو الرمة:

إِذَا رَعَشْتَ أَيْدِيَكُمْ بِالْمَعَارِزِ

وفي باب العين والسين والميم ١/٣٤٦: "العَسَم: الطمع".

وقد يؤدي المعنى بأكثر من مرادف كما في باب العين والضاد والهاء ١/٩٩ "العَضِيهَة: الإفك والبهتان والقول الزور... " وفي باب ع ق ل ١/١٦١ " والعاقول: المعرَّج والمتوي من النهر والوادي، ومن الأمور الملتبس المعوجُّ.. " وفي باب ل ن ع ١/٢٠٤: " الكَنَع: تشنج في الأصابع وتقبُّض... وأكْنَع الشيء: لَانَّ وخضع: وقد يؤدي المعنى بجنس آخر من العلاقات الدلالية وهو التضاد ففي باب العين والقاف واللام ١/١٥٩: " العقل نقيض الجهل"، وفي باب العين والجيم والزاي ١/٢١٥: " والجزع: نقيض الصبر...، والإزعاج: نقيض القرار.. ". وفي باب العين والجيم والميم ١/٢٣٧: "العجم ضد العرب " وفي باب العين والضاد والنون ١/٢٨١: " والضعف: خلاف القوة.. "، وفي باب الصاد والعين والباء ١/٣١١: " الصَّعْب: نقيض الذَّلُول من الدواب ". وفي باب العين والسين والذال ١/٣٢١: " السَّعْد: نقيض النحس "، ١/٣٢٢: " سعيد ويجمع سعداء نقيض أشقياء " وفي باب العين والسين والراء ١/٣٢٦: " العُسْر نقيض اليُسْر".

وقد يورد صاحب العين معاني متعددة للمدخل الواحد وهو ما يطلق عليه المشترك اللفظي؛ حيث اللفظ يكون واحداً وله أكثر من معنى أو غير معنى ومن أمثلته في العين: في باب العين والميم ١/٩٠: " المعمة: صوت الحريق، وصوت الشجعان في الحرب وأسعارها قال:

سَبوحاً جَوحاً وإِحْضارها كَمِعمَة السَّعْفِ الموقد

والمعمة: شدة الحر ". وفي باب العين والهاء والقاف (١/٩٦-٩٧): العَوْهَق: الغراب الأسود والبعير الأسود الجسيم، ويقال هو اسم جمل كان في الزمن الأول يُنسب إليه كرام النجاح... والعَوْهَق: الثور الذي لونه آخذ إلى السواد. والعوهق: الخطاف

الجبلي الأسود. والعَوْهَق: لون كلون السماء مُشْرَبٌ سواداً. قال زائدة: العَوْهَق: الحمامة، قال عرام: العوهق من الطباء الطويلة. والعوهَق: كوكب إلى جنب الفرقدين قال: بحيث بارى الفرقدان العوهقا عند مَسَدِّ القطب حين استوسقا

وقد يكتفي بالتشبيه تفسيراً للكلمة كقوله في باب العين والصاد والراء ٢٩٩/١: "الرَّعْصُ بمنزلة النَّفْضِ، ارتعص الشجرة... والثور يحتمل الكلب بطعنة فيرعصه رَعْصاً إذا هزه ونفضه". وكقوله في الباب نفسه ٣٠٠/١: "الرَّصَعُ مثل الرَّسَحِ سواء، المرأة رصعاء أي ليست بعجزاء" وكقوله في باب العين والصاد والنون ٣٠٥/١ والمصنعة شبه صهريج عميق تتخذ للماء.. " وفي ٣١٥ / ١ يقول: "مَعْصُ الرَّجُلِ مَعْصاً فهو مَعْصُ ممتعص، وهو شبه الحجل، قال أبو ليلى: المَعْصُ يكون في الرَّجُلِ من كثرة المشي في مفصل القدم". وفي باب العين والكاف والميم ٢٠٨/١ يقول: "والعِيمان عِدْلان يُشَدَّان من جانب الهودج. قال أبو ليلى: هما شبه الحقييتين تكون فيهما ثياب النساء".

وكان يلجأ أحياناً إلى اشتقاق المدخل وتصاريفه ويكتفي بذلك كما فعل مع النحت آنفاً، خاصة إذا كان المدخل شائعاً بين عامة الناس وخاصتهم ولا يُعرَف لفظ يحمل المعنى نفسه أكثر تداولاً منه كما في باب العين والصاد ٧٢/١: "العَضُّ بالأسنان والفعل منه عَضَضْتُ أنا وَعَضَّ يَعَضُّ، وتقول: كلب عَضُوض وفَرَسُ عَضُوض " دون أن يذكر لفظاً آخر يترجم للعض. وفي باب العين والزاي ٧٦/١ يذكر: " العزة لله تبارك وتعالى، والله العزيز يعز من يشاء، ويذل من يشاء، من اعتر بالله أعزّه الله... يعزُّ عِزَّة وهو عزيز بين العزارة، ومُلْكُ أعزُّ أي عزيز، قال الفرزدق:

إن الذي سمك السَّماءَ بَنَى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول

وفي (باب العين والجيم والباء) ٢٣٥/١ يذكر "عَجَبَ عَجَباً، وأمر عَجِيبَ عَجَبَ عُجَاب، بينهما فرق، أما العجيب فالعجب أما العُجَاب فالذي جاوز حد العجب مثل الطويل والطوال، وتقول هذا العجب العاجب، أي العجيب، والاستعجاب شدة التعجب...".

وفي باب العين والطاء والشين ٢٤٣/١: " رجل عطشان، وامرأة عطشى، وفي لغة، عطشانة، وهو عاطش غداً، ويجمع على عطاش، والفعل: عَطِشَ يَعْطِشُ عَطِشاً ". وفي باب العين والسين واللام (سعل) ٣٣٣/١: " السعال: معروف، تقول سَعَلَ يَسْعُلُ سُعَالاً وسعلة شديدة، وإنه لذو سُعَالٍ ساعل، كما تقول شغلٌ شاغلٌ وفي باب العين والقاف الشين ١٢٤/١: " عَشِقَهَا عَشَقاً والاسم العِشْقُ... فلان عشيق فلانة، وفلانة عشيقته وهؤلاء عشاق وعشاشيق ".

وقد يذكر المدخل وما يشتق منه ويحمله على أحد اشتقاقاته ومعناه على لفظ أقل تداولاً منه مما يحتاج إلى توضيح معناه أكثر من المدخل كقوله في باب العين والسين والنون في نعس ٣٣٨/١: " نَعَسَ يَنْعَسُ نُعَاساً وَنُعْسَةً شديدة فهو ناعس، وقد سمعناهم يقولون: نُعْسان وَنُعْسَى حملوه على وستان ووسنى، (يقصد لفظاً ومعنى)، وربما حملوا الشيء على نظيره ".

ويكثر لديه إيراد المعنى ببنية نحوية تعريفية ظاهرية، ولا يخلو باب من هذه الوسيلة في الشرح والتفسير كقوله في باب العين والقاف (ع ق - ٦٤/١): " العقيق: خرز أحمر ينظم ويتخذ منه الفصوص... والعقيق: طائر طويل الذيل أبلق، يعقق بصوته، وجمعه عقاقق ". وفي باب العين والجيم والزاي ج ز ع (٢١٧/١): " الجازع: الخشبة التي توضع بين الخشبتين منصوبتين عَرْضاً لتوضع عليها عروش الكرم وقضبانها، ليرفعها عن الأرض... ". وفي باب العين والقاف والباء (بقع) ١٨٤/١: " الْبَقَعُ لون يخالف بعضه بعضاً مثل الغراب الأسود في صدره بياض... ". وفي باب العين والقاف والميم (مقع) (١٨٩/١): " وَالْمِيقَعُ: داء يأخذ البعير مثل الحصبة فيقع فلا يقوم فَيَنْحَر، قال جرير:

جُرَّتْ فَتاةٌ مَجَاشِعٌ فِي مُقْفَرٍ غَيْرِ الْمَرَاءِ كَمَا يُجَرُّ الْمِيقَعُ

وفي باب العين والجيم والنون (العناج)، (٢٣٠/١): " الْعِنَاجُ: خَيْطٌ أَوْ سَيْرٌ يُشَدُّ فِي أَسْفَلِ الدَّلْوِ، ثُمَّ يُشَدُّ فِي عُرْوَتِهِ فَإِذَا انْقَطَعَ الْحَبْلُ أَمْسَكَ الْعِنَاجُ الدَّلْوَ مِنْ أَنْ تَقَعَ فِي الْبَثْرِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْعَلُ لَهُ ذَلِكَ فَهُوَ عِنَاجٌ ".

وفي باب العين والسين والباء (سبع)، ٣٤٤/١: "قال أبو ليلى: والمُسَبَّع: الراعي الذي أغارت السباع على غنمه فهو يصيح بالسباع وبكلابه قال:
قد أسبَّع الراعي وضَوْضَى أَكْلُبُهُ

ومما يكثر لديه كذلك أن يضع المدخل في تركيب نحوي أو سياق لغوي معتمداً على هذا السياق في أداء المعنى، كأن يوضع المدخل في تركيب إسنادي فعلي كقوله في باب العين مع القاف (٦٢/١): "العرب تقول: عَقَّ الرجل عن ابنه يَعَقُّ إذا حلق عقيقته وذبح عنه الشاة...". و"عَقَّ ثوبه إذا شقه، وعَقَّ والديه يعقهما عقاً وعقوقاً...". وفي باب العين والجيم ٦٨/١: "جَعَجَعْتُ الإبل: حركتها للإناخة... وجَجَعْتُ بالرجل: حبسته في مجلس سوء.. فتعدية الفعل بنفسه أعطته معنى مختلفاً عن تعديته بحرف الجر. وفي باب العين والشين (٧١/١): "تطائر القوم شِعاعاً، أي متفرقين". وفي باب العين والزاي ٧٦/١: "يقال عزَّ الشيء: إذا قل... وعَزَّ الرجل: بلغ حدَّ العزة،...". وعَزَّني في الخطاب "أي غلبني". وفي باب العين والميم ٩٤/١: "عُمَّ الرجل: إذا سَوَّدَ، هذا في العرب، وفي العجم: تُوجَّ" وفي باب العين والهاء والطاء ١٠١/١: "أهطع في العدو إذا أسرع..".

وفي باب العين والهاء والتاء ١٠٤/١: "عَتَّ الرجلُ يُعَتُّ عَتًّا فهو معتوه أي مدهوش من غير مسٍّ و جنون... وعَتَّ به: أُولِعَ به...". وفي باب العين والهاء والميم ١١١/١: "همع الدمع هموعاً أي انهمل". وفي باب العين والحاء والنون ١٢١/١: "خنع إليها: أتاها ليلاً للفجور... وخنع فلان لفلان أي ضرع إليه إذا لم يكن صاحبه أهلاً لذلك، وأخنعته الحاجة: أخضعته". وفي باب العين والحاء والباء ١٢٣/١: "بَخَعَ نفسه: قتلها غيظاً من شدة الوجد... بَخَعْتُ به نخوعاً أي أقررت به على نفسي، وبُخِعَ بالطاعة: أي أذعن وانقاد وسلس". وفي باب العين والقاف والراء (قرع) ١٥٦/١: "أقرع القوم وتقارعوا بينهم.. وقارعته فقرعته أصابتنى القرعة دونه، وأقرعت بين القوم: أمرتهم أن يَقْتَرِعُوا، وقارعت بينهم أيضاً". وفي باب العين والقاف واللام ١٥٩/١: "عَقَلَ المعتوه نحوه والصبي: إذا أدرك وزكا. وعَقَلْتُ البعير عقلاً شددت يده بالعقال أي الرباط". وفي

باب العين والقاف والنون ١/١٧٢: " وانتقع لون الرجل وامتنع أصوب: تغير ". وفي باب العين والقاف والميم ١/١٨٨: " قمعت فلاناً فانقمع: أي ذلّته فذل واختبأ فرقاً ". وفي باب العين والجيم والميم ١/٢٣٨: " عجمت العود: عضضت عليه بأسناني أيها أصلب "، وهذا النهج في أداء المعنى يفوق الحصر لغلبته وكثرته.

وقد يضع المدخل في تركيب إسنادي اسمي، وإن كان هذا المسلك قليلاً إزاء التركيب الفعلي في كتاب العين؛ بحيث يمكن عدّ مواضعه في كل جزء من الكتاب ومنها ما جاء في باب العين والشين (عش) ١/٦٩: " والرجل يعشّ المعروف ويسقي سجلاً عشاً: أي قليلاً نزرأ ركيكاً ". وفي باب العين والdal (عد) (١/٧٩-٨٠): " كان ذلك في عدّان ملكه: وهو أفضل وأكثره.. ". وفي باب العين والقاف والصاد (قصع) (١/١٢٨): " والماء يقصع العطش: أي يقتله.. ". وفي باب العين والقاف والراء (عقر) (١/١٥١): " والنخلة تُعقر: تُقطع رؤوسها فلا يخرج من ساقها شيء حتى تئيس فذلك العقر... ". ومن الباب نفسه (قعر) ١/١٥٥: " والرجل يُقعر في كلامه إذا تشدّق، وتكلم بأقصى قعر فمه، وهو يقعر تعبيراً أي يبلغ قعر الأشياء من الأمور ونحوها ". وفي باب العين والقاف واللام (١/١٦٠): " وبها عُقال: إذا مشت كأنها تقلع رجلها من صخرة "، وفي الباب نفسه (١/١٦١): " وفلان معقل قومه: أي يلجأون إليه إذا ضر بهم أمر، قال الفرزدق:

كان المهلب للعراق سكيناً وحياً الربيع ومَعْقِل الفُرّار

ومن الباب نفسه (١/١٦٢): " هذا علّق مُضيّة، وما عليه عِلْقَة إذا لم يكن عليه ثياب فيها خير.... وفلان ذو معلاق: أي شديدة الخصومة والخلاف... وقال (المهلهل):
إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألدّ ذا معلاق

وفي باب العين والقاف والفاء (عفق)، ١/١٧٤: " والإبل تعفق عَفْقاً وعُفوقاً: إذا أرسلت في مراعيها فمرت على وجهها.. ". وفي باب العين والكاف والراء (عرك). وفي باب العين والقاف والميم، عقم ١/١٨٥: " والمُلك عقيم أي لا ينفع فيه النسب لأن الابن يقتل على الملك أباه، والابن ابنه، والدنيا عقيم أي لا تُرد على صاحبها خيراً "

(١٩٨/١): " فلان لَيْن العريكة: أي ليس ذا إباء فهو سلس ". وفي باب العين والضاد والراء - عرض (٢٧٦/١): " فلان عرضة للناس: لا يزالون يقعون فيه... وفي فلان على أعدائه عُرْضية، أي صعوبة. وفلان شديد العارضة: أي ذو جلد وصرامة ".

وفي باب العين والراء والفاء (٣٦٠/١) فزع: " وهو لنا مَفْزَع، وهي لنا مَفْزَع، وقوم لنا مَفْزَع سواء، أي فزعنا إليه إذا دهمنا أمر، وهو لنا مَفْزَعَة، وهي لنا مَفْزَعَة، وهم لنا مَفْزَعَة: الواحد والجمع والتأنيث سواء، أي فَرَعْنَا منه ومن أجله فَرَّقُوا بينهما؛ لأن المَفْزَع يُفْزَع إليه، والمَفْزَعَة يُفْزَع منه ".

وفي باب العين والزاي والميم (عزم) ٣٦٣/١: " وما لفلان عزيمة، أي: ما يثبت على أمر يعزم عليه "، وغير هذه الأمثلة مما هو مبثوث في أجزائه.

ومن الوسائل التي لجأ إليها الخليل كثيراً هي أن يسوق المدخل في تركيب غير إنساني كالتركيب الإضافي، والتركيب الوصفي. وأبدأ بالتركيب الإضافي ومن أمثلته في باب العين مع القاف (٦٣/١): " عقيقة البرق: ما يبقى في السحاب من شعاعه ". وفي باب العين والكاف ٦٦/١ (عك): " عكة السَّمْن أصغر من القربة " وفي باب العين والراء - عرّ (٨٦/١): عُرَّار الظليم وهو صوته ". وفي باب العين واللام - عكل (٨٨/١): " بنو العلات: بنو أمهات شتى لرجل واحد ". وفي باب العين والنون - عن (٩٠/١): " وعنان السماء: ما عن لك منها، أي: بدا لك إذا نظرت إليها، ويقال: بل عنان السماء: السحاب الواحدة عنانة ويجمع على أعنان وعنان... ويقال: أعنان السماء، نواحيها ". وفي باب العين والقاف والطاء (قطع) (١٣٦/١): " منقطع العقل في الشر والخبث أي لا زاجر له ". وفي موضع آخر من الباب نفسه ١٣٨/١: " وانقطاع كل شيء: ذهاب وقته... ومقطع الحق: موضع التقاء الحكم فيه " وفي باب العين والقاف والذال ١٤٠/١: " وعقد اليمين: أن يحلف يميناً لا لغو فيها ولا استثناء فيجب عليه الوفاء فيها.. وعقدة النكاح: وجوبه، وعقدة البيع: وجوبه " وفي الباب نفسه ١٤٣/١: " وقواعد الهودج: خشبات أربع مُعْتَرِضَات في أسفله قد رُكِّبَ الهودج فيهن ". وفي باب العين والقاف والراء، عقر (١٥٠/١): " وعقر الحَوْض: موقف الإبل إذا وردت "، وفي (١٥١/١): " وعقيرة الرجل: صوته إذا غنّى أو قرأ أو بكى ". وفي الباب نفسه " قعر "، (١٥٥/١):

" قَعَرُ كُلِّ شَيْءٍ: أَقْصَاهُ وَمَبْلَغُ أَسْفَلِهِ". وفي باب العين والكاف والراء، عرك (١٩٧/١):
 " عريكة البعير: سنامه إذا عركه الجمل " وفي ٢٠٠/١، كرع: " كراع الأرض، أي
 ناحيتها ". وفي باب العين والكاف والباء ٢٠٧/١: " كَعَبُ الْإِنْسَانِ: مَا أَشْرَفَ فَوْقَ
 رُسْغِهِ عِنْدَ قَدَمِهِ... وكعاب الزرع عُقْدَ قَصْبِهِ ". وفي باب العين والجيم والسين، عجس
 ٢١٣/١: " عَجَسُ الْقَوْمِ عَجْزُهُمَا، وَعَجَسَ الْقَوْمُ: آخَرَهُمْ وَعَجَزَهُمْ ".

والأمثلة لا تعد وأكتفي بما ذكرته لأنقل إلى التركيب الوصفي، وقد ورد في كتاب
 العين أكثر من التركيب الإضافي بصورة قد تصل إلى الضعف ومن أمثلة التركيب
 الوصفي: في باب العين والقاف ٦٥/١: " رجل قعقعي: إذا مشى سمعت لمفاصل رجله
 تققعاً ". وفي باب العين والراء ٨٥/١: " وحمار أعرُّ إذا كان السَّمنُ في صدره وعنقه
 أكثر مما في سائر جسده ". وفي الباب نفسه ٨٧/١: " شاب رَعْرَع: حسن الاعتدال ".
 وفي باب العين والميم ٩٤/١: " ورجل مُعِمٌّ: كريم الأعمام، قال امرؤ القيس:

بجيد مُعِمٌّ في العشيرة مُخُول

وفي باب العين والهاء والجيم ٩٨/١: " رُجُلٌ هُجِعَ أَيِ أَحْمَقٍ غَافِلٍ سَرِيعِ الْإِسْتِنَامَةِ".
 وفي باب العين والضاد والهاء ٩٩/١: " بَعِيرٌ عَضَةٌ: يَأْكُلُ الْعِضَاءَ ". وفي باب العين والهاء
 واللام ١٠٦/١: " امْرَأَةٌ عَيْهَلَةٌ: لَا تَسْتَقِرُّ إِنَّمَا هِيَ تَرَدَّدُ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا ". وفي باب العين
 والهاء والميم ١١١/١: " وَعَيْنٌ هَمْعَةٌ: سَائِلَةُ الدَّمْعِ، وَرَجُلٌ هَمِعَ: لَا يَزَالُ تَدْمَعُ عَيْنُهُ ".
 وفي باب العين والقاف والصاد ١٢٧/١: " شَاةٌ عَقْصَاءُ أَيِ مَلْتَوِيَةِ الْقَرْنِ ". وفي باب العين
 والقاف والسين ١٣٠/١: " عَزٌّ أَقْعَسُ: ثَابِتٌ مُمْتَنِعٌ، قَالَ الْعِجَاجُ: وَالْعَزَّةُ الْقَعْسَاءُ لِلْأَعَزِّ.

وفي باب العين والقاف والزاء ١٣٣/١: " بَثْرٌ زَعَقَةٌ: مَلْحَةٌ الْمَاءِ " وفي باب العين
 والقاف والdal ١٤٣/١: " وامرأة قاعد، وتجمع قواعد، وهن اللواتي قَعَدْنَ عَنِ الْوَلَدِ فَلَا
 يَرْجُونَ نِكَاحًا ". وفي العين والقاف والراء ١٥٢/١: " لَبَنٌ عَرِقٌ: فَاسِدُ الطَّعْمِ، وَهُوَ الَّذِي
 يُجْعَلُ فِي سِقَاءٍ ثُمَّ يُشَدُّ عَلَى بَعِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَنْبِهِ شَيْءٌ فَإِذَا أَصَابَهُ الْعَرِقُ فَسَدَ طَعْمُهُ
 وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ " وفي باب العين والقاف والميم ١٨٧/١: " الْفَجُّ الْعَمِيقُ: الْمِصْرُ الْبَعِيدُ ". وفي
 باب العين والكاف والراء ١٩٨/١: " أَرْضٌ مَعْرُوكَةٌ: عَرَكْتُهَا السَّائِمَةُ بِالرَّعِيِّ فَصَارَتْ
 جَدْبَةً... وَنَاقَةٌ عَرُوكٌ: لَا يُعْرَفُ سَمَنُهَا مِنْ هُزَالِهَا إِلَّا بِحَسِّ الْيَدِ لِكَثْرَةِ وَبَرِّهَا... وَرَجُلٌ
 عَرَكٌ، وَقَوْمٌ عَرَكُونَ وَهُمْ الْأَشْدَاءُ الصُّرَاعُ ". وفي باب العين والكاف واللام ٢٠٢/١:

"رجل كلع، أي أسود". وفي باب العين والجيم والراء ٢٢٦/١: "كلام رجيع: مردود إلى صاحبه". وفي باب العين والجيم والميم ٢٣٩/١: "ناقة جَعَمَاء: مُسِنَّة". وفي باب العين والشين والراء ٢٥٠/١: "رجل أَشْعَر: طويل شعر الرأس والجسد كثيرة". وفي باب العين والشين والباء ٢٦٢/١: "رَجَلٌ عَشَبٌ وامرأة عَشْبَةٌ: أي قصيرة في دمامة وذلة".

وفي باب العين والشين والميم ٢٦٧/١: "رَجُلٌ أَعْمَش، وامرأة عَمَشَاء، أي: لا تزال عينها تسيل دمعها، ولا تكاد تبصر بها". وفي باب العين والضاد والباء ٢٨٣/١: "شاة عضباء: مكسورة القرن... وناقة عضباء، أي: مشقوقة الأذن" وأكتفي بهذا القدر من الأمثلة وهناك صورة أخرى من هذه البنية النحوية غير الاسنادية استكثر منها الخليل وهي إيراد معرفةً بأل متبوعاً مباشرةً بحار ومجرور يميزه عن غيره ممن يشترك معه في الاسم كقوله في باب العين والراء ٨٧/١ - رع: "الرَّعَاع من الناس، الشباب ويوصف به القوم إذا عزبت أحلامهم" وفي باب العين والخاء واللام ١١٩/١: "المُخْلَع من الناس: الذي كأنَّ به هَبَّةٌ أو مساً... والمُخْلَع من الشعر: ضرب من البسيط يحذف من أجزائه كما قال الأسود بن يَغْفَر:

ماذا وقوفي على رسم عفا مُخْلَوْلَق دارسٍ مُسْتَعْجِم

وفي باب العين والجيم والشين ٢١٠/١: "اللبؤة الشجعاء الجسورة الجرئية، وكذلك الأشجع من الأسود، والأشجع من الرجال الذي كأن به جنوناً... والأشجع في اليد والرجل: العصب الممدود فوق السلاحي ما بين الرسغ إلى أصول الأصابع... فوق ظهر الكف، لكل أصبع أشجع".

وأنقل إلى وسيلة أخرى يسوق فيها الخليل الشاهد اللغوي الذي يتضمن الكلمة المراد بيان معناها، ويبين معناها من خلال سياقها وهي وسيلة مخالفة للأصل المعتاد من الإتيان بالكلمة يقابلها معناها ثم يتبعها بشاهد لهذا المعنى وهي الشائعة ولا تخلو منها صفحة في الكتاب، وللتدليل على الوسيلة الأخرى ما ذكره الخليل في قوله تعالى (٧٦/١): "وعزَّني في الخطاب"، أي غلبني"، وقوله تعالى ٨٠/١: "فذلك الذي يَدْعُ اليتيم" أي يعُنفُ به عنفاً شديداً دفعاً وانتهازاً". وذكر من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام قوله: وفي الحديث ١١٩/١: "خلع ربقة الإسلام من عنقه" إذا ضيَّع ما أعطي من العهد وخرج على الناس". وقوله في (١٢١/١): وفي الحديث: "النُّخَاعَةُ في المسجد خطيئة" قال: هي البزقة التي تخرج من أصل الفم مما يلي النخاع" وقوله في ٢٨٧/١: "وفي الحديث: "فأشفق عليه امتعاضه" أي موجدته.

ومن الشعر في تفسير العَصْد وما يشتق كعاصد جاء من باب العين والصاد والذال في ٢٨٨/١: "قلت لأبي الدقيش: ما العصد؟ قال: تقلبك العصيدة في الطنجير بالمعصدة.

قلت هل تعرفه العرب العاربة ببواديها؟ قال: نعم: ما سمعت قول غيلان:

على الرُّخْل مما منه السير عاصد

أي: يذبذب رأسه ويضطرب شبه الناعس الذي يعصد لخفة رأسه".

إن ما ذكرته، استقراء من كتاب العين، من تنوع الوسائل في أداء معاني المداخل يدل دلالة قاطعة على أن الخليل قد سبق المناهج الحديثة في بحثه عن دلالات الألفاظ المعجمية وتنوعها من خلال السياقات اللغوية، وأنه كان الرائد الذي سار على دربه كثير من أصحاب المعاجم منهجياً وموضوعياً. ولكن وسائله تخللتها سلبيات حالت دون الكشف عن المعنى وذلك حين يشير إلى معنى المدخل بقوله: معروف، ويكتفي بذلك فقط كما جاء في باب العين والقاف والنون ١٦٨/١: "العُنُق: معروف". وفي باب العين والسين واللام ٣٣٢/١: "السُّعال: معروف". كذلك كان أحياناً يلجأ إلى تصرفات المدخل واشتقاقاته دون بيان المعنى كما جاء في العين والخاء والذال ١١٥/١: "خَدَعَهُ خَدْعاً وخديعة، والخُدْعَةُ المرّة الواحدة، والانخداع: الرضا بالخُدْع، والتخادُع: التشبه بالمخدوع، والخُدْعَةُ: الرجل المخدوع". وفي باب العين والقاف والشين ١٢٤/١: "عَشَق: عَشَقَهَا عَشَقاً والاسم العشق... وفلان عشيق فلانة، وفلانة عشيقته، وهؤلاء عشاق وعشاشيق فلانة". وفي باب العين والجيم والراء ٢٢٥/١: "رجع: رجعت رُجوعاً ورجعته، والرجعة المرّة الواحدة". وفي باب العين والجيم والباء ٢٣٥/١: "عجب: عَجَبَ عَجَباً، وأمر عجيب عَجَبٌ عُجَاب. أما العجيب فالعجب، وأما العُجَاب فالذي جاوز العجب، وتقول: هذا العجب العاجب؛ أي العجيب. والاستعجاب شدة التعجب...". وقد يذكر المعنى بصورة مبهمّة لا تحديد فيها ولا تخصص في الوصف بل فيها تعميم كقوله في باب العين والخاء والنون ١٢١/١: "الخَنَع: ضرب من الفجور...". وفي باب العين والخاء والميم ١٢٤/١: "الخَيْعَامَةُ: نَعَتُ سَوء للرجل". وفي باب العين والسين والذال ٣٢١/١: "عَدَس: العَدَس: حبوب، الواحدة عَدْسَةٌ". وفي باب العين والسين واللام ٣٣٥/١: "سَلَع: السَّلَع: نبات". وفي باب العين والسين والباء ٣٤٤/١: "سَبَع: السَّبْع: واحد السباع والأنثى سَبْعَةٌ".

وقد يُفسَّر المدخل بلفظ مبهم يحتاج هو الآخر إلى تفسير كقوله في باب العين والضاد والفاء ٢٨٢/١: "ضع: ضَفَعَ الإنسان يَضْفَعُ ضَفْعاً، إذا جَعَسَ". وفي باب العين والضاد والميم ٢٨٧/١: "عَضَم: العَضْم: مَعَجَسَ القوس". وفي باب العين والشين والميم ٢٦٧/١: "شَمِع: الشَّمْع: موم العسل".

أما المعلومات التي أضافها الخليل إلى المعاني المعجمية في كتاب العين فقليلة ولكنها متنوعة من معلومات نحوية، إلى صوتية، إلى صرفية، إلى لهجية. ومن أمثلة المعلومات النحوية قوله في باب العين والشين والراء ٢٤٥/١: "العَشْر: عدد المؤنث، والعشرة: عدد المذكر، فإذا جاوزت ذلك أنثت المؤنث وذكّرت المذكر. وتقول: عَشْر نسوة، واحد عشر امرأة، وعشرة رجال وأحد عشر رجلاً وثلاثة عشر رجلاً تلحق الهاء في ثلاثة وتزعمها من عشرة، ثم تقول: ثلاث عشرة امرأة تترع الهاء من ثلاثة وتلحقها بالعشرة".

ومن المعلومات الصرفية قوله في باب العين والقاف والطاء ١٣٧/١: "وقطيع فعيل في موضع مفعول، يستوي فيه الذكر والأنثى، تقول: رجل قتيل وامرأة قتيل...". وفي باب العين والزاي والباء ٣٦١/١: "المُعْزَابَة: الذي يَغْزُبُ بغيره، ينقطع به عن الناس إلى الفلوات، وليس في التصريف مفعالة غير هذه الكلمة، وقالوا: معزابة توكيد النعت، وكذلك الهاء توكيد في النسابة ونحوها ويقال: أدخلت الهاء في هذا الضرب من نعوت الرجال، لأن النساء لا يوصفن بهذه النعوت". وفي باب العين والصاد والباء ٣١١-٣١٢: "والاصبع يؤنث، وبعض يذكرها، مَنْ ذَكَرَهُ قال: ليس فيه علامة التأنيث، ومن أنث قال: هي مثل العينين واليدين وما كان أزواجاً فأنثناه. قال الليث: قلت للخليل: ما علامة اسم التأنيث: قال: ثلاثة أشياء: الهاء في قولك: قائمة. والمدة في: حمراء، والياء في حَلَقَى وعَقَرَى...".

ومن المعلومات الصوتية ما جاء في باب العين والقاف والصاد ١٢٨/١: "لا تجوز السين في الكلمة التي جاءت القاف فيها قبل الصاد إلا أن تكون الكلمة سينية لا لغة فيها للصاد". وفي موضع آخر من الباب نفسه ١٢٩/١ قال الخليل: "كل صاد قبل القاف إن شئت جعلتها سينا لا تبالي متصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكونا في كلمة واحدة، إلا أن الصاد في بعض الأحيان أحسن، والسين في مواطن أخرى أجود". وفي المعلومات العروضية قوله في باب العين والحاء واللام (خلع) ١١٩/١:

"والمُخْلَع من الشَّعْر: ضَرَب من البسيط يحذف من أجزائه كما قال الأسود بن يَغْفَر:

ماذا وقوفي على رسم عفا مُخْلَوْلَقِي دارسٍ مُستفجم

ولم يفته أن يعطي لهجات العرب القديمة قدراً من الاهتمام وفي غير موضع يأتي على ذكر سمة لهجية لتميم أو غيرها كقوله في باب العين والنون ٩١/١: "ويقال: من ترك عَنَنَةً تميم وكشكشة ربيعة فهم الفصحاء. أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة عيناً، قال شاعرهم:

إِن الْفُؤَادَ عَلَى الدَّلْفَاءِ، قَدْ كَمِدَا وَحُبُّهَا مَوْشِكٌ عَنْ يَصْنَدَعِ الْكَبِدَا

وربيعة تجعل مكان الكاف المكسورة شيئاً قال:

تَضْحَكُ مِنِّي أَن رَأَيْتَنِي أَحْتَرِشُ وَلَوْ حَرَشْتَ لَكَشَفْتَ عَنْ حَرِشِ

ويقال: بل يقولون: عليكش وبِكش، ويقال: بل يدلون في كل ذلك. وفي باب العين والخاء والباء (خبج) ١٢٣/١ يذكر السمة نفسها عند تميم وهي العننة: "الخبج: الخَبْءُ في لغة تميم، يجعلون بدل الهمزة عيناً". وفي موضع آخر يتكلم عن سمة لهجية في قبيلة طيء بقوله في باب العين والقاف والطاء ١٣٧/١: "والقِطْعَةُ في طيء كالعننة في تميم (يقصد أنها سمة لهجية خاصة بطيء كما أن العننة في لهجة تميم) وهي: أن تقول: يا أبا الحكا، وهو يريد يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة".

وأحياناً ينسب لفظاً للهِجَة دون غيرها ومن أمثلة ذلك ما جاء في باب العين والفاء (فع) ٩٢/١: "وهذيل تقول للقَصَّابِ، الفَعْفَعَانِي". وفي باب العين والقاف والنون ١٧٠/١ (قنع): "والقَنُوعُ بمثلة الهبوط - بلغة هذيل - من سفح الجبل". وكذلك في باب العين والجيم والنون ٢٣٢/١ (عنج): "والعَنَجُ بلغة هذيل هو الرجل ويقال بالغين، وهُذَيْل تقول: عنج على شنج، أي رجل على جمل". وفي باب العين والصاد والباء ٣٠٩/١ (عصب): "والمعصوب: الجائع، في لغة هذيل، الذي كادت أمعاؤه تيبس وهو يعصب عُصُوباً فهو عاصب أيضاً، يقال: لأنه عَصَبَ بطنه بحجر من الجوع".

أما ترتيب المشتقات والمعاني في كتاب العين فكان الحديث عن منهجه فيها ضمن مبحث تحرير النص المعجمي عند العرب أي في الوحدة الأخيرة من هذا الكتاب.

٣-١-٣ تهذيب اللغة^(١) لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)

يُعد هذا المعجم الحلقة الثانية الحقيقية في مدرسة الترتيب الصوتي الصوفي التقليدي بعد كتاب العين الذي كان كتاب البارع في اللغة لأبي علي القالي نسخة أخرى منه (أي من كتاب العين) كما يقرر محقق الكتاب وقد حاز التهذيب هذه المترلة لضخامته واكتماله وبما يتمتع به مؤلفه من قدر كبير من الثقة والإتقان ومنهجه الوثيق في جمع مادته نقلاً عن العلماء، ورواية عن العرب. فإن الناظر في مقدمة الكتاب سيتبين له أن الأزهري في معجمه هذا قد أحاط ما استطاع باللغة جمعاً ووضعاً فقد اشتد ولعه باللغة وتعلقه بها منذ حداثته ونذر عمره الطويل لخدمتها، وتصدى لجمع مفرداتها بإخلاص ويعتد أيما اعتداد بمصادره التي استقى منها مادة كتابه فهو يقول في مقدمة الكتاب (ص ٧) " وكنت منذ تعاطيت هذا الفن في حداثتي إلى أن بلغت السبعين مولعاً بالبحث عن المغاني والاستقصاء فيها، وأخذها من مظانها، وإحكام الكتب التي تأتني لي سماعها من أهل الثبوت والأمانة للأئمة المشهورين، وأهل العربية المعروفين " هذا بيانه عن أخذه من أثبات العلماء واستقصائه اللغة من مظانها. وأما سماعه وروايته عن الأعراب فقد أتاح له أسرُه العيش مع جماعات من قبائل العرب: تميم وأسد وهوازن جمع عنهم ما استطاع من مخاطباتهم وهو ما صرح به أيضاً في الصفحة نفسها من المقدمة: " وكنت امْتُحِنْتُ بالإسارسة عارضت القرامطة الحاج بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد بالهبير نشؤوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث.... ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهرًا طويلاً... واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة ونوادير كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب... "

ولم يكتف بالإشارة العابرة إلى من أفاد منهم من أئمة اللغة واعتمد عليهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة وإنما أفاض في ذكر طبقاتهم والإشادة بعلمهم وحفظهم ويتصدّر الطبقة

(١) تهذيب اللغة : لأبي منصور الأزهري، تحقيق وتقديم عبد السلام هارون المؤسسة المصرية العامة - الدار المصرية

للتأليف والترجمة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

الأولى أبو عمرو بن العلاء الذي كان في رأيه كان أوسعهم علماً بكلام العرب وغريبها كما يقول (ص ٨)، ومنهم خلف الأحمر والخليل والمفضل الضبي. وأما الطبقة الثانية فقد وصفها ص ١١ بأنهم "أخذوا عن الذين تقدّموهم (يقصد الطبقة الأولى) خاصة وعن العرب عامة، وعُرفوا بالصدق في الرواية والمعرفة الثابتة، وحفظ الشعر وأيام العرب " من مثل: أبي زيد الأنصاري وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي، ومن الكوفيين الكسائي.. وغيرهم، وعدّد مناقبهم وأخبارهم وما يغلب على كل واحد منهم. وينتقل إلى علماء الطبقة الثالثة ويذكر منهم ص ١٩ وما بعدهم: أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر كتبه، وابن الأعرابي، والسجستاني وابن السكيت وغيرهم، ثم ينتهي إلى الحديث عن أدركهم وحضر دروسهم كأبي إسحق الزجاج وأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري الذي وضعه بقوله ص ٢٨ " كان أعلم من شاهدتُ بكتاب الله ومعانيه وإعراجه ". ونفطويه ويقول في ص ٢٨: " وقد شاهدته فآلفيته حافظاً للغات ومعاني الشعر ومقاييس النحو ومقدّمات في صناعته ".

ومما يزيدنا ثقة في مادة كتاب التهذيب، أنه؛ لثقته بما جمع وبأنفسه، بعد فراغه من ذكر العلماء الثقات المتقنين الذين استقى منهم، أخذ يتبع ما صنّف من كتب ويبيّن ما فيها من تصحيف وأخطاء ووجه الصواب فيها كالذي وقع في كتاب العين وكتاب الجسيم وفي كتاب الجمهرة لابن دريد الذي قال الأزهري في ذمه ص ٣١: " وممن أَلَفَ في عصرنا الكتب فوسّمْ بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد) صاحب كتاب الجمهرة... الذي تصفحته فلم أراه دالاً على معرفة ثابتة، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوها، وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفاً أنكرتها... فأثبتّها من كتابي في مواقعها.. " وفي موضع آخر يعيب على البشتي الخارزنجي اعتماده على الصحف استقاء مادته وليس على السماع فيقول ص ٣٣: " قد اعترف البشتي بأنه لا سماع له في شيء من هذه الكتب، وأنه صُحُفي، والصحفي.. يصحّف فيكثر، وذلك أنه يخبر عن كتب لم يسمعها، ودفاتر لا يدري أصحح ما كُتب فيها أم لا ؟ " ويسرد طرفاً من تصحيفاته ومما أخطأ في تفسيره.

وقد حرص الأزهري على بيان دوافعه فيما بذله من جهود في تصنيف معجمه وكان في مقدمة هذه الدوافع وكان لها أكثر القصد، كما يقول، رغبته في المحافظة على لغة نقية من الشوائب التي تناثرت على صفحات الكتب السابقة عليه، ومنها خوفه على

التراث الصحيح لأئمة اللغة فأراد أن يثبت في معجمه، هذا غير ما أراده من واجب النصح وعموم الفائدة للعرب والمسلمين حيث يقول في مقدمة كتابه ص ٦: "وقد دعاني إلى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها... والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها، التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها، خلال ثلاث: منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سُنَيَات، إذ كان ما أثبتته كثير من أئمة أهل اللغة في الكتب التي ألفوها، والنوادر التي جمعوها لا ينوب مناب المشاهدة، ولا يقوم مقام الدربة والعادة. ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في إفادتهم... والخلة الثالثة هي التي لها أكثر القصد: أني قرأت كتباً تصدّى مؤلفوها لتحصيل لغات العرب، مثل كتاب العين المنسوب إلى الخليل، ثم كتب من احتذى حذوه في عصرنا هذا، وقد أخلّ بها ما أنا ذاكره من دخلها وعوارها بعقب ذكرى الأئمة المتقنين وعلماء اللغة المأمونين على ما دونوه من الكتب وأفادوه، وحصلوا من اللغات الصحيحة التي رووها عن العرب، واستخرجوها من دواوين الشعراء المعروفين، وحفظوها عن فصحاء العرب".

وبهذا يكون الأزهري قد جمع لمعجمه من عناصر التأليف التي تجعله من أوثق المعاجم، بما أحاط به مادة التهذيب من منهج وثيق في السماع وأمانة صادقة في النقل، ومن دقة في الاختيار وحرص في الانتقاء، اتقاء للتطويل والتكثير مع إجادة الوضع، ويؤكد هذه المعاني بقوله في مقدمته ص ٤٠: "ولو أني أودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري وقرأته من كتب غيري ووجدته في الصحف التي كتبها الورّاقون وأفسدها المصحّفون، لطال كتابي، ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها... ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صحّ لي سماعاً منهم، أو رواية عن ثقة، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة، اقترنت إليها معرفتي...". وينتهي مقدمته بالتنويه بما بادر إلى الأخذ به من الحيلة والحذر والتمحيص عند الانتقاء والاختيار ومن أجل ذلك اختار له اسم التهذيب بقوله ص ٥٤: "وقد سميت كتابي هذا (تهذيب اللغة)؛ لأنني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها وغيّرها الغُثم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات من العرب".

أما منهجه في ترتيب المداخل اللغوية فقد أخذه عن كتاب العين باعتباره الذي يقول فيه ص ٤١: " ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المحمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه، وعلمت أنه لو يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه، فرأيت أن أحكيه بعينه... ثم أتبعه بما قاله بعض النحويين مما يزيد في بيانه وإيضاحه ". ويصدر كتابه بمقدمة ضافية يتكلم فيها عن منهجه في السماع والنقل، ويقسم الأئمة الذين اعتمد عليهم في الجمع إلى طبقات أربع جعل آخرها طبقة من أدركهم ويردف ذلك بذكر من خلط بين الصحيح والسقيم، والغث والسمين، فالجاحظ في رأيه ص ٣٠ غير ثقة ولا مأمون وابن قتيبة يحذر بالظن فيما لا يعرفه ولا يحسنه، وينسبه إلى الغفلة وقلة المعرفة ص ٣١ ورسم ابن دريد بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم ويتبع أخطاء البشتي الخارزنجي وتصحيقاته، ووصفه بالجهل وادعاء المعرفة.

ثم ينتقل إلى الحديث عن الترتيب الصوتي لحروف العربية في كتاب العين وينقل ما جاء في مقدمة العين من أن الخليل قد ذاق الحروف ص ٤٣ " فوجد العين أقصاها في الحلق وأدخلها فجعل أول الكتاب العين ثم ما قرب مخرجه منها بعد العين الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخر الحروف... " ثم قال وهذا تأليفه (للحروف): ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي " وبعدها ينقل تصنيف المباني الصرفية بترتيبها الكمي الذي جاء في العين وهو الذي يرتضيه ويبنى عليه كتابه ص ٤١: " قال الخليل بن أحمد: كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي " وينقل عن الخليل ما المقصود بكل مبني منها. ويفتح بعد ذلك باباً ص ٤٤ وما بعدها سماه باب ألقاب الحروف ومدارجها أي صفاتها ومواضع نطقها على المدرج الصوتي ثم يثني بباب آخر يسميه باب أحياء الحروف وينقل ما جاء في مقدمة العين. وفي هذا الباب يتكلم عن الركن الثالث الذي تقوم عليه مدرسة الخليل وهو قلب المداخل وتصريفها على وجوها وينقل عن الخليل قوله ص ٤٩: " واعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين... والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه... والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً... والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهاً... " .

وبهذا يكون الأزهري قد التزم في التهذيب بمنهج العين من حيث جاء ترتيب المداخل حسب ترتيب الحروف الصوتي بالضبط الذي وصفه الخليل. ونظم أبواب الكتاب صرفياً على الوجه الذي طبّقه الخليل فجاء كآتي:

أولاً: المضاعف: وتبدأ أبوابه بحرف العين؛ باب العين مع الحاء فباب العين مع الهاء، فباب العين مع الخاء، ثم ينتقل إلى باب العين مع القاف ويذكر تقلبيهما: (عق، قع: مستعملان): ويبدأ ببيان معاني عق. ثم قع. وهكذا حتى ينتهي إلى باب العين مع الميم وتقليباتهما.

ثانياً: باب الثلاثي الصحيح: في باب العين، ويبدأ بباب العين والهاء والقاف ويستمر مع باب العين والهاء وما يثلاثهما حتى ينتهي إلى باب العين والهاء والميم ونّبه إلى أن أبواب العين مع الحاء قد أهمل، وكذلك الأمر مع أبواب العين والهاء والحاء / والعين مع الهاء والعين. وفي كل باب ينص على المستعمل والمهمّل في التقليلات بينما في كتاب العين لم يذكر من التقليلات إلا المستعمل.

ثالثاً: باب الثلاثي المعتل: وقد ألحق المهموز بالمعتل بالألف نحو: عبأ، حضأ وحزأ وخطأ وحدأ وحلاً، وأنح، وحمأ.

رابعاً: أبواب اللفيف: وبدأ بلفيف حرف العين نحو عوى.

خامساً: أبواب الرباعي: كالعين مع الجيم مثل الهجرع،... إلخ.

سادساً: الخماسي: ولم يفتح له أبواباً بل يذكر كلمات أو تقليلات نحو هبنقع وقرطعة وغيرهما.

وهكذا ائتلف البعد الصرفي مع البعد التقليلي في المداخل المعجمية التي يؤخذ عند ترتيبها البعد الصوتي حسب النظام الخليلي.

ويبقى منهجه بحاجة إلى استكمال جوانبه التفصيلية التطبيقية نحو ضبطه للألفاظ، واحتجاجة بالشواهد وتعريفه للمداخل وتفسير معانيها وطرق أداء المعاني.

أما ضبطه فيغلب عليه وضع الحركات على الحروف في بنية الكلمة، ولكنه يلجأ إليه عند اللزوم على بعض حروف الكلمة أو أحدها دون بقيتها، ولا يمنع ذلك أن يعم الضبط حروف الكلمة عند الضرورة ففي باب العين والشين في تقليب شع ٧٢/١ نقتطف الفقرة الآتية، كما وردت تماماً في التهذيب: " روى شمر بإسناد له حديث واثلة بن الأسقع، أن

النبي ﷺ " ثرد ثريدة ثم شعشعها ثم لبقها ثم صَعَبَهَا قال ثمر: وقال ابن المبارك: شعشعها: خلط بعضها ببعض كما يُشعشع الشراب بالماء إذا مزج به. قال: ويقول القائل للثريدة الزريقاء: شعشعها بالزيت. قال ثمر: وقال بعضهم: شعشع الثريدة إذا رفع رأسها وكذلك صعلكها وصعبها. قال: وروى أبو داود عن ابن شميل: شعشع الثريدة إذا أكثر سَمْنُهَا. قال بعضهم شعشعها طولَ رأسها، من الشعشاع، وهو الطويل من الناس."

فهو في هذا النص لم يضبط سوى ثلاث كلمات هي صَعَبَهَا حُرْكَ منها ثلاثة حروف، وَيُشعشع ولم يحرك منها سوى حرف واحد، وَسَمْنَهَا وحُرْكَ فيها حرفان؛ مع أن في النص كلمات تحتاج بعض حروفها إلى ضبط نحو اسم العلم ثمر، وشعشعها بالزيت، والشعشاع. وهذا هو النهج السائد في ضبطه.

وقد يلجأ إلى كيفية أخرى من الضبط، وإن كانت قليلة، وهو النص على الحركة دون وضعها على الحرف كما جاء في الباب نفسه ٧٣/١: "قلت: والشعشعة: المَرْج مأخوذ منه، وكلُّ ما مرَّ في الشَّعاع فهو بفتح الشين، وأما ضوء الشمس فهو الشَّعاع بضم الشين" ووضح أن بيان الفرق في المعنى قد اعتمد على الحركة فاضطر المؤلف للنص على الحركات.

وإذا انتقلنا إلى منهجه في بيان معاني المداخل سنكتشف أن الأزهري قد افتنَّ في أداء معاني المداخل، إذ طرق أساليب مختلفة تدل على إحاطة واسعة بآراء علماء اللغة وإدراك دقيق لدلالات الألفاظ ومختلف استعمالاتها وتنوع أساليب التعبير، وأبدأ ببيان المعنى بما يطلق عليه التعريف الاسمي أو العلاقي؛ أي بالتعريف وبالترادف أو التضاد أو بالوصف أو بالاشتقاق أو ببيان السبب.

أما بيان المعنى بالتعريف فقد ورد منه الكثير ومن أمثلته قوله في باب العين والقاف ٦١/١ في واحد من تعاريف العقيقة الذي نقله عن ابن الأعرابي: "نواة رخوة لينة كالعجوة تؤكل" وفي التقلب الآخر لهذا الباب، أي "قع" ٦٢/١ ينقل تعريف الليث للعقَّع: "وهو طائر أبلق بياض و سواد، ضخْمٌ، من طير البرِّ، طويل المنقار". وقوله في باب العين والخاء مع الراء في التقلب "خرع" ١٦٣/١: "أبو عبيد عن الكسائي: من أدواء الإبل الخُراع... وهو انقطاع في ظهرها فتصبح باركة لا تقوم". وفي باب العين والكاف والسين، تقلب كسع ٢٩٩/١: "قال الليث: الكُسعة: الريش المجتمع الأبيض تحت ذنب العقاب، وجمعها

الكُسْعَ". وفي باب العين والجيم والذال، قلب دَعَج ٣٤٧/١: "قال الليث: الدَّعَج: شدة سواد العين وشدة بياض بياضها". وفي باب العين والكاف والفاء، قلب عَفَكَ ٣٢٢/١: "قال الليث: الأعفَكَ: الأحمق الذي لا يثبت على كلمة واحدة ولا يتم أمراً حتى يأخذ في غيره". وفي باب العين والجيم والسين، قلب جَشَعَ ٣٣٣/١: "قال شمر: الجشع: شدة الجزع لفراق الإلف، قال: والجشع: الحرص الشديد على الأكل وغيره" وفي باب العين والشين والراء، قلب شَعَر ٤١٩/١: "قال شمر: قال ابن شميل: الشُّعار: ما كان من شجر في لين ووطاء من الأرض يحلّه النساء، نحو الدهناء وما أشبهها، يستدفنون بها في الشتاء، ويستظلون بها في القيظ، فهو الشُّعار".

أما بيان المعنى بالمرادف فهو من الأساليب التي أتبعها الأزهري دون حدود، ومن أمثلته في باب العين والكاف قلب عَكَ ٦٥/١: "قال أبو عبيد: العَكَّوك السمين.."، وفي قلب "كع ٦٧/٨: "الكعك: الخبز اليابس، قال الليث: أظنه معرباً، وأنشد:
يا حبذا الكعك بلحم مَثْرود وخشكنان مع سويقٍ مقنود

وفي باب العين والجيم قلب جُع ٦٩/١: "قال ابن الأعرابي: الجمع: صوت الرحي" ومنه مثل العرب: "جعجة ولا أرى طحناً". وفي قلب نفسه ٧٠/١ "وقال شمر: قال أبو عمرو الجعجاع: الأرض، قال: وكل أرض جعجاع". وفي باب العين والصاد، قلب صَع ٧٧/١: "قال الأصمعي: الصَّعْصَعَة: التفريق". وفي باب العين والزاي، قلب عَز ٨٤/١: "أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: العزاء: الشدة". وفي باب العين والراء، قلب "عر ١٠١/١: "أبو عبيد عن الأموي: العَرُّ: الجرب". وفي باب العين والحاء والشين، قلب خَشَعَ ١٥٢/١: "التخشع: الإخبات والتذلل". وفي باب العين والحاء مع الراء "قلب خَرَعَ ٦٢/١: "الخراعة: الرخاوة". وفي باب العين والقاف مع الراء قلب قَرَعَ ٢٣٣/١: "قال الكسائي: القارعة: القيامة، وقال الفراء". وفي باب العين والكاف مع الميم قلب مَعَكَ ٣٠/١: "المَعَكَ: الدَّلَك...". وفي باب العين والشين مع الراء، قلب عَرَش ٤١٣/١: "العرش: سرير الملك.

ومما يستحق الوقوف عنده في التهذيب هذه العناية الفائقة بالألفاظ المترادفة التي تدل على معنى واحد في كل باب من أبواب الكتاب، ولا يكاد باب يخلو منه كقوله في

باب العين والقاف، تقليب ع ق ٦٣/١: " وقال ابن الأعرابي فيما يروي عنه أحمد بن يحيى: القعقة والعققة، والخشخشة والشخشخة والخفخفة والفخفخة والنششة والشنشة كله حركة القرطاس والثوب الجديد ". وفي باب العين والهاء مع القاف، تقليب ه قع ١٢٥/١-١٢٦: " قال بعض العرب: اهتكع فلان عرق سَوء، واهتقع، واهتنعه، واختضمه، وارتكسه: إذا تعقله وأفقده عن بلوغ الشرف والخير ". وفي باب العين والحاء مع الميم، تقليب خعم ١٦٩/١: " روى عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: الخيعم والخيعة، والمجبوس والجبيس والمأبون والمتدثر والمثفر والمثفار، والمسوح واحد ". وفي باب العين والقاف مع الزاي، تقليب ز ع ق ١٨٤/١: " في نوادر الاعراب: أرض مزعوقة، ومدعوقة وموعوقة، ومبعوقة ومشحودة ومسنّية إذا أصابها مطر وابل شديد ". وفي باب العين والقاف مع الذال، تقليب ع ذ ق ٢١٣/١: " قال أبو تراب سمعت عراًماً يقول: كذبت عذّاقته وعذّانته وهي استه. وامرأة عذّاقه وشقّاقه، وغذّوانه أي بذية سليطة، وكذلك امرأة سلّطانه وسلّتانه ". وفي باب العين والكاف والشين، تقليب ش كع ٢٩٥/١: " قال الأحمر: أشكعني وأحمشني وأذرأني وأحفطني، كله أغضبني ". وفي باب العين والكاف والراء، تقليب ع ر ك ٣٠٨/١: " عمرو عن أبيه: فلان ميمون العريكة والحريكة والسليقة والنقيمة والنقيبة، والنخيخة والجبيلة والطبيعة بمعنى واحد ".

وقد يبدأ بمترادفات الكلمة كقوله في باب العين والهاء مع الراء، تقليب ه ر ع ١: " وقال الباهلي: هي الفرعة والهرعة للقملة الصغيرة، وقال أبو سعيد: هي الفرعة والهرعة " وعكس ذلك في تقليب ه ر ع من باب العين والهاء مع الراء ١٤٠/١: " أبو العباس عن عمرو عن أبيه قال: يقال للمجنون: مهروع مخفوع ممسوس ".

وسخر الأزهري من العلاقات الدلالية الاشتراك اللفظي أيضاً كما رأينا استخدامه للترادف وهو أكثر العلاقات الدلالية استخداماً في أداء المعاني. والاشتراك اللفظي هو إيراد معاني متعدّدة للمدخل الواحد، ومن أمثلته في تهذيب اللغة ما جاء في باب العين والراء، تقليب ع ر ٩٩-١٠٠: " قال الله جلّ وعزّ: " فتصيبكم منهم معرفة بغير علم " (الفتح

(٢٥) قال شمر: قال عبد الله بن محمد بن هانيء: المعرة: الجناية كجناية العرّ، وهو الحرب، وأنشد:

قل للفوارس من غزية إنهم عند اللقاء مَعْرَةٌ الأبطال

وقال محمد بن اسحق بن يسار: المعرة في تفسير الآية الغرم... وقال شمر: المعرة: الأذى. ومعرة الجيش: أن يتزلوا بقوم فيأكلوا من زرعهم شيئاً بغير علم، وهو الذي أرادَه عمر بقوله: "اللهم إني أبرأ إليك من معرة الجيش"، فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها، وهي غرم الدّيات ومسبة الكفار إياهم. وأما معرة الجيش التي تبرأ عمر منها فهي وطأهم من مرّوا به من مسلم أو معاهد، وإصابتهم إياهم في حريمهم وأموالهم ومزارعهم بما لم يؤذن لهم فيه.

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: المعرة الشدة. والمعرة: كوكب في السماء دون المجرة. والمعرة: الدية. والمعرة قتال الجيش دون إذن الأمير. والمعرة: تلون الوجه من الغضب". وفي باب العين والجيم والشين، تقلاب جعش ٣٢٣/١: "أبو عبيد عن الأصمعي: الجعشوش: الرجل الطويل، وقال شمر: الجعشوش: الرجل الدقيق النحيف، وكذلك الجعسوس، وقال غيره: رجل جعشوش وجعسوس إذا كان قمياً، وقيل الجعشوش: اللثيم. وأخبرني المنذري عن أبي العباس الأعرابي قال: الجعشوش: النحيف الضامر...".

وفي باب العين والشين والراء، تقلاب عرش ٤١٣/١-٤٤١ وفي معنى عرش " قال الله جل وعز: (الرحمن على العرش استوى)... وروى سفيان الثوري عن عمار الدّهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: " الكرسيّ موضع القدمين، والعرش لا يُقدر قدره". وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: قال ابن عباس: " والعرش مجلس الرحمن " أرسله ابن الأعرابي إرسالاً ولم يسنده، وحديث الثوري متصل صحيح. والعرش في كلام العرب: سرير الملك، يدلّك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله جل وعز عرشاً... قلت: والعرش في كلام العرب أيضاً: سقف البيت وجمعه عروش، ومنه قول الله عز وجل: (أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها) البقرة ٢٥٩، على أركانها، وقال غيره

من أهل اللغة: على سقوفها.... وقال ابن الأعرابي أيضاً: العرش: بناء فوق البئر يقوم عليه الساقى وأنشد:

أكل يوم عرشها مقيلي

قال: والعرش: المُلْكُ، يقلُّ ثُلُّ عرشه، أي زال ملكه وعزّه قال زهير:
تداركتما الأحلاف قد ثُلَّ عرشُها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعلُ

وقال الليث: العرش: السرير للملك، والعرش والعريش: ما يستظل به، قال: وعَرْشُ الرجل: قوام أمره، فإذا زال قِوام أمره: ثُلَّ عرشه... والعرش في القدم: ما بين الحمار والإصبع.

وقال ابن الأعرابي: ظهر العرش وباطنه الأخمص.... وعرش الثريا: كواكب قريب منها".

وكان للتضاد نصيب في أداء المعنى عند الأزهري ففي باب العين والجيم مع الزاي، تقلب جزع ٣٤٣/١ يقول: "الجزوع ضدّ الصبور على الشر، والجزع نقيض الصبر". وفي باب العين والضاد مع الراء، تقلب عرض ٤٥٧/١: "أبو عبيد عن الأصمعي: العَرَضُ خلاف الطول".

ومما يكثر لديه إيراد المعنى في بنية نحوية شرطية كقوله في باب العين والزاي تقلب عزّ ٨٣/١: "أبو عبيد عن أبي زيد: إذا استبان حمل الشاة وعظم ضرعها قيل رمّدت، وأعزّت وأضرعت، بمعنى واحد". وفي باب العين والdal تقلب عد ٨٩/١: "وقال ابن السكيت: إذا كان لأهل الميت يوم أو ليلة يجتمع فيه النساء للنياحة فهو عداد لهم". وفي باب العين والقاف والزاي، تقلب قزع ١٨٥/١: "إذا اقتتل الديكان فهرب أحدهما: قَنَزَع الدَّيْكَ". وكقوله في باب العين والقاف والdal. تقلب قعد ٢٠٢/١: "أبو عبيد عن الأصمعي: إذا صارت الفسيلة لها جذع قيل قد قعدت...". وفي باب العين مع الميم، تقلب مع ١٢٣/١ "قال الليث: إذا أكثر الرجل من قول مع، قيل يُمعِم معمةً". وهذه الصورة صورة يذكر فيها الشرط ويتلوه جوابه وأمّا الصورة التي كثرت حتى أصبحت الغالبة في أداء المعنى، حتى يمكننا القول إنه لا يخلو باب أو تقلب منها، فهي أن

يصدر المعنى بأداة الشرط إذا؛ وغالباً ما يذكر المدخل مسبقاً بـ " يقال " ويورد معناه مصدراً إذا كقوله في باب العين والزاي، تقلب عز ٨٢/١ " وأخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت قال: يقال عَزَّه يُعْزُّه، إذا غلبه وقهره، وأنشد في صفة جمل:

يُعْزُّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَنْكِبَيْهِ كَمَا ابْتَرَكَ الْخَلِيعُ عَلَى الْقَدَاحِ

..... ويقال عزَّ كذا وكذا، جامع في كل شيء، إذا قلَّ حتى لا يكاد يوجد...

أبو عبيد عن أبي زيد: يقال عزَّ الرجل يعزُّ عزاً وعزة إذا قوي بعد ذلة... " .

وفي باب العين والراء، تقلب " عز " ١٠٣/١ " وقال ابن الأعرابي: يقال عرعرت القارورة، إذا نزعت منها سداده. " وفي باب العين واللام تقلب عل ١٠٥/١: " قال أبو زيد في كتاب النوادر: يقال هما أخوان من علة، وهما ابنا علة، إذا كانت أمهاتهما شتى والأب واحد، وهم بنو العلات... " وفي باب العين والهاء مع الزاي، تقلب هز ١٣٢/١: " قال أبو عمرو: تَهَزَّعت المرأة في مشيتها، إذا اضطربت " . وفي باب العين والهاء مع التاء، تقلب عته: " وقال غيره (غير الليث): عَتِه فلان في العلم، إذا أولع به وحرَّص عليه، وعته فلان في فلان، إذا أولع بإيذائه ومحاكاة كلامه وحركاته.. " . وفي باب العين والقاف والذال، تقلب عقد ١٩٧/١: " ويقال: عقد فلان اليمين، إذا وكَّدها " وفي تقلب قعد من الباب السابق نفسه ٢٠٠/١، قال الأزهرى: " أخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت قال: امرأة قاعد، إذا قعدت عن الحيض، فإذا أردت القعود قلت قاعدة. قال: ويقولون امرأة واضع، إذا لم يكن عليها خمار، وأتان جامع، إذا حملت " . وفي باب العين والقاف والميم، تقلب عقم ٢٨٨/١: " قال أبو الهيثم: قال ابن بُرْزَخ: امرأة عَقَام ورجل عَقَام، إذا كان سَيِّئ الخُلُق " . والأمثلة من هذا الأنموذج تفوق الحصر والعد.

وقد يضع المدخل في بنية نحوية، قد تكون جملة فعلية أو اسمية ويتبعها بأي التفسيرية، ويورد معنى المدخل بعدها نحو قوله في باب العين والباء تقلب بع ١١٨/١: " وقال أبو عبيد: ألقى عليه بَعاعَه، أي ثقله... وألقت السحابة بَعاعها، أي ماءها وثقل مطرها " .

وفي باب العين والميم، تقلب عم ١٢٠/١: " ويقال استوى شباب فلان على عَمَمه وعُمَمه، أي على طوله وقمامه " . وفي باب العين والهاء مع الجيم، تقلب هجع

١٢٩/١: " يقال أُنيت فلاناً بعد هَجْعِهِ، أي بعد نومة خفيفة من أول الليل ". وفي باب العين والهاء مع الزاي، تَقْلِبُ هَزَع ١٣٢/١: " وقال الأصمعي: مَرَّ فلان يَهْزَع ويمزَع، أي يُسرع " وفي باب العين والهاء مع الدال، تَقْلِبُ عَهْد ١٣٦/١: " ويقال استعهد فلان من فلان، أي كتب عليه عهدة ". وفي باب العين والقاف مع الصاد تَقْلِبُ صَقَعَ ١٧٩/١: " ويقال ما أدري أين صَقَعَ وبَقَعَ، أي ما أدري أين ذهب ". وفي باب العين والقاف والصاد، تَقْلِبُ ١٨٣/١: " قلت: قوله لا تَصْقَعُها، أي لا تأكلها من أعلاها، وقوله لا تتعرها، أي لا تبتديء في أكلها من أسفلها. وقوله لا تشرمها، أي تأكلها من حروفها وجوانبها ". وفي باب العين والقاف مع الباء، تَقْلِبُ عَقَب ٢٨٢/١: " ويقال لقي فلان من فلان عُقْبَةَ الضَّبْع، أي شدة ".

وقد يوضع المدخل في جملة اسمية متبوعة بأي التفسيرية وبعدها يذكر معنى المدخل كما في قوله في باب العين والهاء والكاف، تَقْلِبُ هَكَعَ ١٢٧/١: " قال بعضهم هن هكوع، أي نيام ". وفي باب العين والهاء والزاي، تَقْلِبُ عَزَهُ ١٣٤/١: " أبو عبيد عن الأصمعي: رجل عَزْهارة وعَزْهارة، كلاهما العازف عن اللهو، قال: والكسائي: فيه عَزْهارة، أي كِبَرٌ ". وفي باب العين والهاء مع الدال، تَقْلِبُ عَهْد ١٣٦/١: " تقول عهدي بفلان وهو شاب، أي أدركته فرأيتَه كذلك.. ". وفي الباب نفسه والتقليب نفسه أيضاً ١٣٧/١ يقول: " ويقال أنا أَعْهَدُك من هذا الأمر؛ أي أنا كَفَيْلُك، وأنا أَعْهَدُك من إِباقِهِ، أي أبرئُك من إِباقِهِ " وفي تَقْلِبُ عَدَهُ ١٣٨/١، ويقال فيه عَيْدَهُ وعَيْدَهُ، أي كِبَرٌ ".

وفي بعض الأحيان قد يذكر اللفظ ثم يقول ومعناه، أعني أنه يذكر كلمة " معناه " نصاً بعد المدخل الذي قد يسوقه في جملة أو شاهد كقوله في باب العين والجيم تَقْلِبُ جَع ٦٨/١: " وكتب عبيد الله بن زياد اللعين إلى عمر بن سعد: أن جَعَجَعَ بالحسين بن علي رضي الله عنهما. قال ابن الأعرابي: معناه ضَيَّقَ عليه ". وفي باب العين والشين، تَقْلِبُ شَع ٧٢/١: " وانشعَّ الذنب في الغنم، وانشلَّ فيها، وانشنَّ وأغار فيها واستغار، بمعنى واحد ". وفي باب العين والزاي تَقْلِبُ عَز ٨٣/١ " والعرب تقول: إذا عَزَّ أخوك فهُنَّ المعنى إذا غلبك وقهرك..

فتواضع له "، ومن كلام العرب: من عزَّ بَرٌّ: ومعناه من غلب سلب ". وفي باب العين والنون، قلب عن ١١٣/١: " وسمعت العرب تقول: كُنَّا فِي عُنَّةٍ مِنَ الْكَلَاءِ وَفُنَّةٍ وَثَنَةٌ وَعَانِكَةٌ مِنَ الْكَلَاءِ، بمعنى واحد، أي كنا في كَلَاءٍ كَثِيرٍ وَخَصْبٍ ". وفي باب العين والهاء مع الجيم، قلب عجه ١٢٨/١: " وقرأت في كتاب الجيم لابن شميل: عجهت بين فلان وفلان معناه أنه أصابهما حتى وقعت الفرقة بينهما "، وفي قلب هجع ١٢٩/١: " وقال أبو تراب: معنى هجيع من الليل وهزيع، بمعنى واحد ". وفي باب العين والهاء والـدال، قلب عهد ١٣٨/١: " وقال النبي ﷺ: " لَا يَقْتُلُ الْمُؤْمِنُ بَكَافِرًا، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ " معناه لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ بَتَّةً لِأَنَّهُمَا غَيْرُ مُتَكَافِيَيْنِ الدَّمِ، وَإِنَّمَا تَتَكَافَأُ دِمَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ".

ومن الوسائل التي قد يلجأ إليها الأزهري هي أن يسوق المدخل في تركيب غير إسنادي: وصفي أو إضافي. والوصفي كقوله في باب العين والحاء مع التاء، قلب ختع ١٦٠/١: " قال شمر: يقال رجل خُتْعَةٌ وَخُتْعٌ وهو السريع المشي الدليل " وفي باب العين والكاف، قلب كع ٦٦/١: " ابن حبيب عن ابن الأعرابي: رجل كَعُ الوَجه، أي رقيق الوجه، ورجل كعكع: جبان ". وفي باب العين والجيم، قلب عج ٦٧/١: " اللحياني: رجل عَجْجَاعٌ بِجَبَاجٍ، إِذَا كَانَ صَيَّاحًا ". وفي باب العين والشين، قلب عش، ٧١/١: " وقال ابن شميل: قال أبو خيرة: أرضٌ عَشَّةٌ: قليلة الشجر ". وفي باب العين والصاد، قلب عض ٧٤/١: " وسمعت العرب تقول: بثر عَضُوضٌ وَمَاءٌ عَضُوضٌ، إِذَا كَانَ بَعِيدَ الْقَعْرِ يُسْتَقَى مِنْهُ بِالسَّانِيَةِ ". وفي قلب ضع من الباب نفسه ٧٧/١: " رجل ضعضاع: لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا حَزْمَ " وفي باب العين والقاف والذال، قلب قذع ٢١٣/١: " جاء في الحديث: " مَنْ رَوَى فِي الْإِسْلَامِ هَجَاءً مُقَدَّعًا فَهُوَ أَحَدُ الشَّامِتِينَ "، والهجاء المُقَدَّعُ: الَّذِي فِيهِ فُحْشٌ وَقَذْفٌ وَسَبٌّ يَقْبَحُ ذِكْرُهُ ". وفي باب العين والقاف التاء، قلب فعث ٢١٤/١: " مطر قعيث: غزير " وفي قلب عثق ٢١٥/١: " قال أبو عمرو: سحاب متعَثَّقٌ، إِذَا اخْتَلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ". وفي باب العين والقاف والراء، قلب قرع ٢٣٠/١: " قال النضر: أرض قرعة: لَا تَنْبَتُ شَيْئًا " وفي ٢٣١/١: " قال ابن السكيت: تُرْسٌ أَقْرَعٌ، إِذَا كَانَ صُلْبًا ".

وأما التركيب الإضافي فأمثلته كثيرة منها ما جاء في باب العين والضاد، تقليب
 عض ٧٦/١: " قال النضر: إنه لعضٌ مالٌ ، إذا كان حسن القيام عليه.. " وفي باب العين
 والقاف والتاء، تقليب عتق ٢١١/١: " وعتيق الطير هو البازي في قول لبيد: كعتيق الطير
 يغضى ويُجَلْ . " وفي باب العين والقاف والراء، تقليب عقر ٢١٧/١: " وقال أبو عبيد:
 سمعت الأصمعي يقول: عُقر الدار: أصلها في لغة أهل الحجاز.. " وفي التقليل نفسه
 ٢١٨/١: " وبيضة العُقر يقال هي بيضة الديك.. " وفي تقليل قرع ٢٣١/١: " وقال
 ابن السكيت: قرية البيت: خير موضع فيه.. " وفي ٢٣٢/١: " وقارعة الطريق: أعلاه.. "
 وقد يعلّق بالمدخل جاراً ومجروراً لتمييزه وبيان معناه كما جاء في باب العين
 والكاف، تقليب عك ٦٥/١: " والمَعَك من الخيل: الذي يجري قليلاً ثم يحتاج إلى
 الضرب، قاله الليث " وفي باب العين والشين، تقليب شع ٧٢/١: " وقال الليث:
 الشعشعان من كل شيء: الطويل العنق " وفي باب العين والسين، تقليب عس، ٧٩/١:
 " وقال الفراء: العسوس من النساء: التي لا تبالي أن تدنو من الرجال " وفي باب العين
 والطاء، تقليب طع ٨٧/١: " أبو العباس عن ابن الأعرابي.. قال: الطعطع من الأرض:
 المطمئن " وفي باب العين والباء، تقليب عب ١١٧/١: " قال الليث: الععب من
 الأكسية: الناعم الرقيق " وفي باب العين والهاء مع الراء، تقليب عهر ١٤٠/١: " قال
 الليث: العِيْهرة من النساء: التي لا تستقر نَزَقاً في مكان في غير عفة " وفي باب العين
 والقاف والتاء، تقليب عتق ٢١٠/١: " قال الليث:... والعاتق من الرِّقّاق: الجيّد الواسع "
 وفي باب العين والقاف والباء، تقليب ٢٧٨/١: " قال الليث: المعقاب من النساء: التي تلد
 ذكراً بعد أنثى " وفي باب العين والكاف والذال، تقليب دعك ٣٠١/١: " أبو زيد:
 الداعكة من النساء: الحمقاء الجرئية " وفي باب العين والجيم والميم، تقليب جعم ٣٩٦/١:
 " قال الليث: الجَعماء من النساء: التي أنكرَ عقلها هَرَمًا... وقال غيره: الجَعماء من النساء:
 الهَوْجاء، البلهاء " .

رغم ما بذله الأزهري من تنويع في أساليب أداء المعنى، فإن معجمه لا يخلو من
 سلبات حالت دون الكشف عن المعنى، وذلك حين يشير إلى معنى المدخل بقوله معروف
 مع الاكتفاء بذلك كقوله في باب العين والقاف واللام، تقليب علق، ٢٤٧/١: " والعلّيق:

نبات معروف..، ومعاليق: ضرب من النخل معروف " وفي باب العين والجيم والنون،
تقليب عجن ٣٧٧/١: " والعجان معروف.. " .

وقد يذكر معنى المدخل دون تحديد أو وصف دقيق أو تعريف شافٍ بل فيها تعميم
كقوله في باب العين والقاف والسين، تقليب عقس ١٨١/١: " قال أبو زيد: العوقس:
ضرب من النبت " . وفي باب العين والجيم والسين، تقليب عسج ٣٣٨/١ " أبو عبيد عن
الأصمعي: العسج: ضرب من سير الأبل " . وفي باب العين والجيم والراء، تقليب رعج
٣٦٣/١: " قال الأصمعي: الجرور: ضرب من الدقل يحمل شيئاً صغيراً لا خير فيه " .
وفي باب العين والجيم والباء، تقليب جعب ٣٨٨/١: " ثعلب عن عمرو عن أبيه قال:
الجعبيّ ضرب من النمل " . وفي باب العين والضاد والبدال، تقليب عضد ٤٥٤/١:
التعضوض نوع من التمر " .

وقد عثرت كذلك على أمثلة يفسر فيها المدخل بلفظ مبهم غير واضح كقوله في
باب العين والسين، تقليب سع ٨١/١: " أبو العباس عن عمرو عن أبيه قال: السّعيع:
الشَّيْلَم " .

بعد هذه الجولة في التهذيب مع أساليب أداء المعنى، الذي هو الغاية المبتغاة والعنصر
الأهم في الصناعة المعجمية، يجدر أن نستكمل عناصر منهجه والأسس الأخرى التي ميّزت
هذا المعجم وأبدأ بالاستشهاد وأقول إنه قد تمسك بأصول الاحتجاج التقليدية وهي
القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي وحكم العرب وأمثالهم ولم يقف عند
أسلوب معيّن أو موحد في الاستشهاد. فقد يستشهد في التقليب الواحد بالقرآن وبقرائاته،
وبالحديث الشريف وبالشعر وبثر العرب، فلو أخذنا باب العين والزاي، تقليب عز
٨٢/١ وما بعده فإنه يسوق المدخل (عزّ) على وجوهه المحتملة في السياقات اللغوية التي
يمكن أن يستعمل فيها، ويبدو أنه بأحد المشتقات منه وهو الصفة المشبهة " العزيز " التي هي
أحد صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى التي تعني أنه الممتنع الذي لا يغلب؛ وهو موضع
لم يكن بحاجة إلى استشهاد بآية؛ نظراً لكثرة وروده في القرآن الكريم، فضلاً عن استغنائه
عن سياق لغوي يظهر معناه. ولكنه، أي الأزهري، يرجع إلى الصورة الأولى من التقليب
وهي (عزّ) ويستشهد لها بآية قرآنية وهي قوله تعالى: " وعزّني في الخطاب " (سورة
ص-٢٣)، ويذكر قراءة أخرى لعزّ وهي " عازّني في الخطاب " والأولى بمعنى غلبني

والثانية بمعنى غالبني ويستشهد لمعنى غلب وقهر في عزَّ بيت من الشعر (لم ينسبه، وإن كان لجرير) وهو في صفة جمل:

يُعزُّ على الطريق بمنكيه كما ابتكر الخليع على القдах

وبعد أن يشرح البيت لبيان وجه المعنى الذي أراده، ينتقل إلى صورة أخرى من هذا الفعل وهي صيغة (فعل)، أي عزَّ التي يسوقها في آية قرآنية وهي قوله تعالى: "فعزَّزنا، بثالث" ^(١) ويذكر معناها وهو: قوَّيناه وشدَّدناه، ويذكر قول الفراء بأنه يجوز في عزَّزنا عزَّزنا بمعنى عزَّز، ويلتفت هنا لضبط عين الفعل فينقل عن الفراء قوله: ويقال عزَّ يَعزُّ بفتح العين من يَعزُّ، ويوجَّه الصيغة إلى المعنى الذي صارت إليه وهو اشتد أي أصبح متمتعاً بالشدة؛ وبناء عليه ينتقل إلى المعنى الناشئ عن لزوم الفعل بقوله: "ويقال عزَّ كذا وكذا... إذا قلَّ حتى لا يكاد يوجد، وهو يَعزُّ بكسر العين". وبذلك يكون قد أحاط بضبط عين الكلمة ومعانيها التي ترتب على كل ضبط: عزَّ يَعزُّ إذا غلب وقهر، وعزَّ وَيَعزُّ إذا اشتد، وعزَّ يَعزُّ إذا قلَّ وندر، وإذا قوي بعد ذلة والأخير ينقله عن أبي عبيد الذي ينقله عن أبي زيد فينقل: يقال عزَّ الرجل يَعزُّ عزاً وعزَّة إذا قوي بعد ذلة. وينتقل مع الاشتقاقات الأخرى نحو عزَّوز وأعزَّ وتَعزَّز، والأعزَّ ويستشهد لها بآية قرآنية، وأعزَّه في آية قرآنية أخرى. وبعدها يعود إلى عزَّ ويستشهد لمعناها الذي ورد في القرآن آنفاً، بكلام للعرب بقوله: "إذا عزَّ أخوك فهنَّ... ومن كلام العرب: "من عزَّ بزز" وينتقل إلى مشتق آخر وهو العزاز وهي الأرض الصلبة وإلى ما يشتق منها وهو أعزَّز. ثم يرجع إلى عزَّ بمعنى غلب، وما يمكن أن يشتق منها مثل استعزَّ التي يستشهد لها بحديث نبوي شريف لبيان معناها وهو غلب في قوله ﷺ: "استعزَّ برسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه"، ثم يأتي على ذكر مشتقات أخرى نحو: معزاز ومُعزَّز التي يستشهد لها بقول لعمر الذي قال لمن فرضت عليهم كفارة: "إنكم معزَّز بكم" أي مشدَّد بكم ومثقل عليكم، ثم يرجع إلى العزَّ ويذكر معنى آخر له وهو المطر الشديد، ثم العزاء بمعنى الشدة والعزاز بمعنى ما غلظ من الأرض ويستشهد له ببيت شعر للعجاج. وبعدها يعود إلى العزَّة ولكن بفتح العين ويذكر معناها وهو بنت الظبية. ويذكر بعدها العزَّزاء ويستشهد لمعناها ببيت

من الشعر لم ينسبه، وأتبعها بلفظ عَزَزَ الذي يستعمل كزجر الماعز، والعزز وهو الغلبة. وينتقل إلى معنى جديد للفعل عَزَزَ في سياق جديد بقوله: "وعَزَّ الماء وعَزَّت القرحة تَعَزُّ إذا سال ما فيها" ويعود كذلك إلى عَزَزَ والناقة العزوز أي الضيقة الإحليل. وينتقل إلى لفظ العُزَّى مستشهداً لذلك بآية كريمة ولتثبت أنها كانت صنماً لثقيف ويرى أنها مؤنث للأعز التي بمعنى العزيز والعُزَّى بمعنى العزيزة. وينهي الحديث عن هذا التقلب بعودته إلى عزوز التي ذكرها قبل ذلك ثلاث مرات.

وهكذا بعد هذا العرض لاشتقاقات هذا التقلب أو المدخل؛ ندرك أنه كان واسع المحفوظ والدراية، ذا قدرة على القدرة والنقاش مما أبرز شخصيته وميز معجمه عما سبقه من المعاجم، ولكن يؤخذ عليه افتقاره إلى خطة منظمة في العرض. ويظهر ذلك في تنقله بين مشتقات المادة وتردده فيما بينها بحيث يتكرر المشتق الواحد في أكثر من موضع كما في تكرار عَزَّ، وعَزوز، كذلك لم يكن له منهج موحد في الاستشهاد؛ فمرة يصدر المادة بالشاهد خاصة إذا كان آية أو حديثاً أو مثلاً عربياً ويتلوه بيان معنى المادة، وأما الشاهد الشعري فيؤخره تعزيزاً للمعنى الذي ذكره قبله، دون حرص دائم منه على نسبة الشواهد إلى أصحابها؛ فكان ينسب أحياناً، وأحياناً أخرى لا ينسب، ففي هذه المادة احتج بأربعة أبيات ولم ينسب سوى بيت واحد لصاحبه. والملاحظ في استشهاده أن احتجاجة بالقرآن وقراءاته فاق غيره، ففي هذه المادة احتج بسبع آيات من ضمنها قراءات ثلاث، وهذه ظاهرة بارزة في معجم التهذيب مما يدل على حرص الأزهري على ربط اللغة بالقرآن الكريم والدين وفقهه. ويليها احتجاجة بالحديث الشريف وكلام العرب فقد ورد في هذه المادة حديثان ومثلان من كلام العرب.

ومما ميز منهجه كذلك دأبه الدائم على نسبة الأقوال والآراء إلى أصحابها من العلماء واللغويين؛ مما يدل على أمانته في النقل وحرصه على الصدق في التوثيق. ولم يكن يكتفي أحياناً بذكر من أخذ عنه مباشرة بل يذكر سلسلة سنده كقوله ٨٢/١: "وأخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت قال: يقال عزّه يعزّه، إذا غلبه..". كذلك في ١٠٩/١ "أخبرني المنذري عن أبي العباس عن سلمة عن الفراء أنه قال: العنة والعنة: الاعتراض بالفضول" ويجدر أن يذكر هنا أنه كان يكثر من نقل أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي وثعلب كان يذكره باسمه أحمد بن يحيى، وأحياناً بلقبه، وأكثر الأحيان بكنيته، وإذا نقل عن العين يذكر

قال الليث أو ابن المظفر. ومن العلماء الذين ترددت أسماؤهم في التهذيب غير ما ذكرت: أبو عمرو (بن العلاء) ويونس بن حبيب وابن شميل (النضر) والأصمعي والفراء وأبو عبيد (القاسم بن سلام) وأبو عبيدة (معمر بن المثنى) وابن قتيبة الذي كان يذكره بالقتبي، والحري وغيرهم من العلماء والأعراب والرواة. ومما يسجل له في باب الأمانة والتوثيق أنه كان يقر بعدم معرفته أو عدم نقله كقوله في باب العين والتاء، تقلب عتاً ٩٥/١ في العتعت بعد أن نقل ما قاله أبو العباس عن ابن الأعرابي وما قاله أبو عمرو " قال الأزهري: لا أعرفه ". وفي باب العين والذال، تقلب ذع ٩٧/١ يذكر: " قال بعضهم رجل مُدْعَذَع إذا كان دعيّاً، قلت: ولم يصح لي هذا الحرف من جهة ما يوثق به... ".

وقد زوّد الأزهري معجمه، إضافة إلى المعاني المعجمية، بمعلومات لهجية وصوتية وصرفية ونحوية وجغرافية. ومن أمثلة المعلومات اللهجية قوله في باب العين والجيم، تقلب عج. ٦٨/١: " والعجعة في قضاة كالعننة في تميم، يحولون الياء جيماً كقوله:

المطعمون اللحم بالعشج
وبالغداة كسر البرنج
يقلع بالود والصيصج

أراد بالعشي، والبرني والصيصي".

وفي باب العين والنون، تقلب عن ١١١/١-١١٢: " وعننة تميم إبدالهم الهمزة عيناً كما قال ذو الرمة:

أعن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقال جرّان العود:

فما أبّن حتى قلن يا ليت عئنا ترابّ وعنّ الأرض بالناس تُخسّف

وقال الفراء: لغة قريش ومن جاورهم أن، وتميم وقيس وأسد، ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عيناً، يقولون: أشهد عنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف".

وأما في باب العين والقاف والميم، باب قمع ٢٩٢/١ فينقل حديثاً عن الطمطممانية اليمانية التي تبدل فيها لام التعريف ميماً حيث يقول: " وقال الأصمعي: حدّثني أبو عمرو بن العلاء، قال: سيف بن ذي يزن حين قاتل الحبشة:

قَد عَلِمْتُ ذَاتِم نَطْعُ
أَنِي إِذْمُ مَوْتُ كَنَعُ
أَضْرِبُهُمْ بِذِمِّ قَلْعِ
اقْتَرَبُوا قَرَفَمِ قَمْعِ

قال: أراد النطع، وإذا الموت كنع، فأبدل من لام المعرفة ميماً، وقوله " قرف القمع " أراد أنهم أوساخ أذلاء كالوسخ الذي يُقَرَّف من القمّع... والقمّع: ما التزق بالعنقود من حبّ العنب والتمر.. "

ومن المعلومات الصوتية التي أدركها الأزهري قوله في باب العين والكاف، تقلب كع ٦٧/١: " وأصل كعكت: كعّعت، فاستثقلت العرب الجمع بين ثلاث أحرف من جنس واحد ففرّقوا بينها بحرف مكرّر ومثله كفكفته عن كذا وأصله كففته ". وفي باب العين والضاد والجيم، تقلب ضجع ٣٣٤/١: " ضجع يضجع.. والافتعال من اضطجع يضطجع... وقال ابن المظفر: وكانت هذه الطاء في الأصل تاء، ولكنه قبّح عندهم أن يقولوا اضتجع فأبدلوا التاء طاء، وله نظائر اذكرها في مواضعها ". ومن أمثلة المعلومات الصرفية ما أورده في باب العين والهاء والضاد تقلب عضه إذ يقول " وأما قول الله جل وعزّ (الذين جعلوا القرآن عضين)^(١)، فقد اختلف أهل العربية في اشتقاق أهله وتفسيره فمنهم من قال واحدها " عَضَّة، وأصلها عضوة من عضيت الشيء إذا فرقته، جعلوا النقصان الواو... ومنهم من قال: أصل العضه عضهه، فاستثقلوا الجمع بين هائين فقالوا عَضَّة كما قالوا شَفَّة والأصل شَفْهَة وكذلك سنة وأصلها سَنْهَة".

ومن أمثلة المعلومات النحوية قوله في باب العين والجيم والميم، تقلب جمع ٤٠٠/١ "قال الليث: يقال المسجد الجامعُ نعت له علامة للاجتماع يجمع أهله. قال: ولا يقال مسجد الجامع، قلت: النحويون أجازوا جميعاً ما أنكره الليث، والعرب تضيف الشيء إلى

نفسه وإلى نعته إذا اختلف اللفظان، كما قال الله جل وعزَّ: "وذلك دين القيمة" (١) ومعنى الدين الملة كأنه قال: وذلك دين الملة القيمة....".

وفي باب العين والشين والراء، تقلب عشر ١/٤٠٧-٤٠٩: "قال الليث: العشر عدد المؤنث، والعشرة عدد المذكر، فإذا جاوزت العشرة أنثت المذكر وذكَّرت المؤنث، تقول عشر نسوة وعشرة رجال، فإذا جاوزت العشر فإن ابن السكيت حكى عن الفراء تقول في المذكر أحد عشر... والعدد منصوب ما بين أحد عشر إلى تسعة عشر في النصب والرفع والخفض إلا اثني عشر فإن اثني واثني يعربان لأنهما على هجاءين...". وفي باب العين والضاد والباء، تقلب بعض ١/٤٩٠-٤٩١: "قال أبو حاتم: قلت للأصمعي: رأيت في كتاب ابن المقفع: "العلم كثير ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل" فأنكره أشد الإنكار وقال: الألف واللام لا تدخلان في بعض وكل، لأنهما معرفة بغير ألف ولام.. قال أبو حاتم: ولا تقول العرب الكل ولا البعض، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش في كتابهما، لقلة علمهما بهذا النحو، فاجتنب ذلك فإنه ليس من كلام العرب".

وأظهر اهتماماً واضحاً بأسماء الأماكن والمواضع كقوله في باب العين والقاف، تقلب عق: "في بلاد العرب أربعة أعقة، وهي أودية عادية شقَّتْها السيول، فمنها عقيق عارض باليمامة، وهو واد واسع مما يلي العرمة تندفق فيه شعاب العارض، وفيه عيون عذبة الماء، ومنها عقيق بناحية المدينة فيه عيون ونخيل، ومنها عقيق آخر يدفق سيله في غوريّ قحاة، وهو الذي ذكره الشافعي فقال: "ولو أهلوا من العقيق كان أحبَّ إلي، ومنها عقيق القنّان، تجري إليه مياه قُلِّل نحد وجباله...". وفي تقلب قع ١/٦٢: "وقَعِيعان: موضع بمكة اقتتل عنده قبيلان من قريش، فسمي قعِيعان لتقعقع السلاح فيه. قال الليث: وبالأهواز جبل يقال له قعِيعان، قال ومنه نحت أساطين مسجد البصرة". ومن هذا القبيل اعتناؤه كذلك بأسماء الأعلام والقبائل كقوله في باب العين والحاء والنون تقلب نخع ١/١٦٧: "وخُناعَة: قبيلة من هذيل. والنَّخع: قبيلة من الأزد".

ويبدي اهتماماً بأحداث التاريخ وبقصص الأمثال إذا كان لذلك صلة بالمداخل ومشتقاتها كقوله في باب العين والراء، تقلب عر ١/١٠٢: "ومن أمثال العرب: بَاءت عَرَار بِكَحْل، وعَرَار بِكَحْل غير مُجَرَى.... قال وكحل وعرار: ثورة وبقرة كانا في

(١) ٥ - البينة.

سبطين من بني اسرائيل فعقر كحل وعقرت به عرار، ف وقعت حرب بينهما حتى تفانوا
فضربا مثلاً في التساوي، وقال الآخر:

باءت عرار بكحل فيما بيننا والحق يعرفه ذور الألباب

وفي باب العين والخاء مع الزاي، تقلب خزع ١٥٧/١: " وقال ابن السكيت: قال
ابن الكلبي: إنما سُموا خُزاعة لأنهم انخزعوا من قومهم حين أقبلوا من مأرب فترلوا بظاهر
مكة. قال: وهم بنو عمرو بن ربيعة - وهو الحي - بن حارثة، أول من بحر البحائر
وغير دين ابراهيم عليه السلام".

وبقي للتهذيب ميزتان أخريان تجدر الإشارة إليهما أولاهما اهتمامه بنوادر كلام
العرب والتنبيه إليها عند ذكرها في كل باب كقوله في باب العين والباء، تقلب عب
١١٨/١: " وفي نوادر الأعراب: رجل عَبَاب قَبْقَاب، إذا كان واسع الحلق والجوف
جليل الكلام ". وقوله في باب العين والخاء مع الزاء تقلب خزع ١٥٦/١: " وفي نوادر
الأعراب: يقال به خزعة، وبه خمعة، وبه خزلة، وبه قرله، إذا كان يطلع من إحدى
رجليه ". وفي باب العين والخاء واللام، تقلب خعل ١٦٦/١: " وفي نوادر الأعراب:
اختعلوا فلاناً؛ أي أخذوا ماله ". وفي باب العين والقاف والصاد، تقلب عقص ١٧٤/١
" وفي النوادر: يقال أخذته معاقصة ومقاعصة، أي معازة ومغالبة ".

وفي باب العين والقاف والذال، تقلب دعق ٢٠٦/١: " وفي نوادر الأعراب
مداعق الوادي، ومثادقة، ومذابحه، ومهارقة: مدافعه، ويقال أصابتنا دعة من مطر، أي
دفعة شديدة " وهذا المثال يقودنا إلى الميزة الأخرى وهي حرصه على ذكر ما يتوافر لديه
من المرادفات لأي مدخل كما رأينا في مرادفات مداعق، في مثال النوادر السابق، ومثله
في باب العين والقاف والزاي، تقلب زعق ١٨٤/١: " وفي نوادر الأعراب: أرضٌ
مزعوقة، ومدعوقة وممعوقة، ومبعوقة، ومشحودة، ومسنّة، إذا أصابها مطر وابل شديد "
وفي باب العين والقاف والتاء تقلب قتع ٢١١/١: " القَتَع: دود حُمِر تَأْكُل الخشب،
الواحدة قَتْعَة... أبو العباس عن ابن الأعرابي: هي السُرْفَة، والقَتْعَة والهَرْنَصَانَة، والحُطِيطَة،
والبُطِيطَة، والسَّرْوَعَة، والعَوَانَة، والطَحْنَة ".

وفي باب العين والقاف والذال، تقلب عذق ٢١٣/١: " امرأة عَذَقَانَة وشَقَدَانَة
وعَذَوَانَة، أي بذيّة سليطة، وكذلك امرأة سَلْطَانَة وسَلْتَانَة ". وفي باب العين والقاف
والراء، تقلب رقع ٢٣٦/١: " قال أبو عمرو الشيباني: يقال إنما قَرَعْنَاكَ، واقتَرَعْنَاكَ،
وقَرَحْنَاكَ واقتَرَحْنَاكَ، ومَخَرْنَاكَ واستَخَرْنَاكَ، وانتَضَلْنَاكَ، أي اخترْنَاكَ ". والأمثلة على
الميزتين أكثر من أن تعد وتحصى.

٣-١-٤ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة^(١)

لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ)

هذا المعجم هو الحلقة الأخيرة من حلقات المدرسة الصوتية الصرفية التقليدية التي كان كتاب العين أولها، وتلاه البارع في اللغة، الذي لم يبرع مؤلفه القالي في الخروج من إهاب العين، وكان تهذيب اللغة قمة هذه الحلقات وثالثتها وتلاه مختصر العين لأبي بكر الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩ هـ) والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ).

ويستمد هذا المعجم أهميته من غير وجه فصاحبه أحد أئمة اللغة في زمانه ومكانه فقد وصف بأنه " لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب... " وهو الذي يصف نفسه ويفخر بقدرته اللغوية بقوله في مقدمة المحكم ص ١٦: " إني أجد علم اللغة أقل بضائعي، وأيسر صنائعي، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق النحو، وحوشي العروض... " علاوة على ما كان يتمتع به من قوة حفظ خارقة فقد قال أبو عمرو الطلمنكي (المحكم ص ٥-٦): " دخلت مرسية فتشبت بي أهلها، ليسمعوا عني " الغريب المصنف " لأبي عبيد، فقلت لهم: انظروا من يقرأ لكم، وأمسك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى، يعرف بابن سيده فقرأه علي من أوله إلى آخره، من حفظه فعجبت منه "؛ وعليه فالرجل لم يكن مدعياً، ويشهد له كذلك موسوعته اللغوية " المخصص " الذي انتهى منه وأتمه قبل الانتهاء من معجمه الموسع^(١) وهو المحكم؛ إضافة إلى كتبه الأخرى كالوافي في أحكام علم القوافي الذي ذكره في مقدمة المحكم، وشرح مشكل شعر المتنبي (المخطوط في دار الكتب المصرية برقم ٢/أدب م)، وغيرهما.

هذا من جهة مؤلفه، أما الكتاب، أقصد المحكم، فقد سار في تبويبه وتأليفه واحتجاجة واستقصائه على نهج تهذيب اللغة للأزهري وهما كما قال ابن منظور في مقدمة

(١) المحكم والمحيط الأعظم : علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق مصطفى السقا، ود. حسين نصار، شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.

(٢) محمد الطالبي - المخصص لابن سيده، دراسة - دليل، تونس ١٩٥٦ : ص ١٧.

اللسان: " أمهات الكتب على التحقيق ولم يجد في كتب اللغة أجمل من التهذيب، ولا أكمل من المحكم، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات طريق.. " ولا أجد أدل على استقصاء المحكم من نص ابن سيده على المراجع التي اعتمدها في النقل والعلماء الذين عول عليهم في جمع مادة كتابه بقوله في المقدمة ص ١٥: " وأما ما ضمنا كتابنا هذا من كتب اللغة: فمصنف أبي عبيد، والإصلاح، والألفاظ، والجمهرة، وتفسير القرآن، وشروح الحديث، والكتاب الموسوم بالعين، ما صح لدينا منه، وأخذنا بالوثيقة عنه، وكتاب الأصمعي، والفراء وأبي زيد وابن الأعرابي، وأبي عبيدة، والشيباني، والليثاني، ما سقط إلينا من جميع ذلك، وكتب أبي العباس أحمد بن يحيى: المجالس والفصيح والنوادر، وكتاب أبي حنيفة، وكتب كراع إلى غير ذلك من المختصرات... وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه... مع ما أضفته إليه من الأبنية التي فاتت كتاب سيبويه معللة، عربية كانت أو دخيلة، أما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخرين، المتضمنة لتعليل اللغة، فكتب أبي على الفارسي: الحلييات والبغداديات، والأهوازيات، والتذكرة، والحجة والايضاح وكتاب الشعر، وكتب أبي الحسن الرماني كالجامع... وكتب أبي الفتح عثمان بن جني كالمغرب والتمام، وشرحه لشعر المتنبي، والخصائص، وسر الصناعة، والتعاقب والمحتسب، إلى أشياء اقتضبتها من الأشعار الفصيحة، والخطب الغريبة الصحيحة. هذا ما اشتمل عليه كتابنا " المحكم " وهو في هذه الصناعة " المحيط الأعظم " قد دبجت فتانه... وأبرزته للدهر مفتخراً، وبذلت فيه مكنون علمي ما كنت له مدخراً، حذاراً أن يطوييني ضريح... ثم أهديته إلى ذوي الألباب ".

وقلما يجتمع لمعجم مثل هذا القدر من المراجع، كما ونوعاً، إضافة إلى ما بذله ابن سيده من استقصاء في الجمع وانتظام في الوضع ومن شرح دقيق للفظ، اختصاراً واتساعاً، مدعوماً بالشواهد العربية، مزوداً بما يلزم من قواعد النحو والصرف، مع حرص على تمييز المشتبه من كلام العرب كالجموع، منبهاً على النقص، حاذفاً غير الضروري، فالمعجم كما وصفه صاحبه، وكما اشتمل عليه من تنظيم وترتيب وتنسيق وتهذيب بقوله: " إن كتابنا هذا مشفوع المثل بالمثل، مقترن الشكل بالشكل، لا يفصل بينهما غريب ولا أجنبي بعيد ولا قريب، مهذب الفصول، مرتب الفروع بعد الأصول... هذا إلى ما تحلى به من

التهذيب والتقريب، والإشباع والانتساع، والإيجاز والاختصار مع السلامة من التكرار والمحافظة على المعاني " الكثيرة في الألفاظ اليسيرة... فرب سطر من كتابي يغتفر من كتب اللغة في الخط سطوراً.. ".

أما عن دواعي تأليف المحكم ودوافعه فإنه يذكر في مقدمته أن تأليفه كان بأمر من الموفق الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبدالله العامري من موالى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبي عامر الماعفري، الذي (أقصد أبا الجيش) استولى على دانية وما جاورها من مدن شرق الأندلس، وكان محباً لعلوم القرآن والعربية، ومشجعاً لعلمائها وعزم على تصنيف معجم بنفسه " فعاقه عن التصنيف ما نيط به من علائق السياسة، وأعباء الرياسة، وشغله عن ذلك ما جُبِيَ به من إدارة الممالك وتأمينه المسالك... فأمرني بالتجرد لهذه الإدارة... وألفت كتابي الملخص الذي سميته المخصّص وهو على التبويب في نهاية التهذيب... ثم أمرني بالتأليف على حروف المعجم، فصنفت كتابي الموسوم بالمحكم " (مقدمة المحكم ص ٦).

وقام ابن سيده بتأليف المحكم كما يقول محققا الكتاب ص ١٦-١٧ على منهج أفاد من التغييرات والتطورات التي حدثت قبله؛ والتزم ما رآه أحسنها وأدقها.. فيعتبر أدق منهج التزمته المعاجم التي سارت وفق كتاب العين للخليل الذي التقطته من مختصر العين للزبيدي، وأحسن تطبيقه في معجمه الكبير ".

فمن الناحية الشكلية ارتضى الترتيب الصوتي للحروف كما ابتدعه الخليل وفتح لكل حرف كتاباً أو باباً واكتفى بعنوان حرف بدلاً من كتاب ووزع كل حرف على أبواب صرفية حسب اشتقاقها، متأثراً بتقسيم الزبيدي في مختصره، ففتح لحرف العين مثلاً الأبواب الآتية تضم جميع المواد التي تشتمل على العين سواء أكانت هذه العين فاء الكلمة أو عينها أو لامها، باب الثنائي المضاعف الصحيح وسماه أبواب المضاعف وهو الثلاثي المضاعف عند الصرفيين مثل عَقَّ وعَجَّ، وقد يقصد به نحو عَيْعَه، وَخُعْخُعٌ وَجَعَجَعَ، أي المضاعف الرباعي الذي يتكرر فيه الحرفان الأول والثاني، ثم باب الثلاثي الصحيح نحو: هقع وعشق، ثم الثنائي المضاعف من المعتل نحو عَيَّ عَيَّاً ومن مقلوبه ي ع: الَيْعِيَّة والَيْعِيَاء، وبعده الثلاثي المعتل وجعل الهمزة من حروف العلة وكان أول تقليب العين والبدال والهمزة، كالعندأوة، والعين والهاء والياء نحو عَاهَ ومقلوبه هَيْعَ، وبعده يفتح باباً للثلاثي اللفيف كما في باب العين والواو والياء نحو عوى ومقلوبه وعى، وبعده يفتح باباً

لرابعي كما في باب العين والهاء الذي يذكر أمثله دون التزام بالتقاليب ويأتي بمداخل
تشارك فقط في العين والهاء نحو هَبَقْعَ وَهَمَقْعَ، والعَجْهَرَة، وَهَجْرَع وَهَرَجَع، والمُعْلَهَج،
وَالْعُجَاهَن والعُنْجَه، والهَجْنَع، والهَرْعَل. ثم يأتي إلى باب العين والحاء ثم العين والقاف ثم
العين والكاف فالعين والجيم.

وبعد الرباعي يفتح باباً للخماسي ولا يفتح فيه أبواباً وكلماته ٢٤ لفظاً فقط، وإنما
يذكر أمثلة هي المداخل كالهَنْدَلَع والخَزْعَبَل وَخُبْعَثَن والجَعْفَلِيْق والسَّقْعَطَرِي والقَبْعَثَرِي
وَالْعَضْرَفُوط والعَنْدَلِيْب. وتنتهي عنده أبواب حرف العين عند هذا الحد، ويلى ذلك
حرف الحاء بأبوابه المماثلة لأبواب العين.

ومن الملاحظ كذلك أنه رتب المواد (المداخل) الداخلة في أبواب الحرف حسب الترتيب
الصوتي ففي حرف العين فتح أبواباً للعين في الثنائي المضاعف لكل الحروف معها كالعين مع
الهاء حتى العين والميم، يليه باب الثلاثي المضاعف ويبدأ فيه بباب العين والهاء والقاف.

ولم يبق من أسس هذه المدرسة إلا التقلب بعد الأساسين الآخرين: الصوتي
والصرفي اللذين سبق ذكرهما، ويعني تقلب الجذور على وجوها المستعملة الذي اتبع فيه
نحجاً مختلفاً عن نحجي العين والتهذيب اللذين كان يتصدر فيهما في كل باب التقاليب
المستعملة، في حين ابن سيده يذكر من كل باب الجذر أو التقلب الذي يبدأ بحرف الباب
ففي أبواب الثلاثي الصحيح في حرف العين يبدأ بباب العين والهاء والقاف حتى إذا
انتهى منه ثنى بمقلوبه يذكره على الكيفية الآتية: مقلوبه (هـ ق ع)؛ أي لا يبدأ الباب
بذكر التقاليب المستعملة ثم يتناولها واحداً واحداً. والنموذج الآتي يوضح:

أبواب الثلاثي الصحيح (ج ١ - ص ٥٦)

العين والهاء والقاف:

الْعَيْقَهَة، وَالْعَيْهَق: النشاط والاستئان قال:

إن لريعان الشباب عَيْهَقَا

وَالْعَيْهَقَة: السرعة. والعَيْهَق: طائر، وليس بثبت.

وَالْعَوْهَق: الغراب الأسود، وقيل: هو البعير الأسود الجسيم. وقيل: هو الأسود من

كل شيء.....

.....

وناقة عَوْهَق: طويلة العُنُق. والعَوْهَق من النعام: الطويل. والعَوْهَق: فحل كان في الزمان الأول، تنسب إليه كرام النجائب، قال رؤية:

فِيهِنَّ حَرْفٌ مِنْ بَنَاتِ الْعَوْهَقِ

مقلوبه: (ه ق ع)

الهَقْعَة: دائرة في وسط زَوْر الفرس، وهي دائرة الحزام، تُسْتَحَبُّ. وقيل: هي دائرة تكون بجانب بعض الدواب، يتشائم بها، وقد هُقِعَ هَقْعاً قال:

إِذَا عَرِقَ الْمَهْقُوعُ بِالْمَرْءِ أَنْعَظَتْ حَلِيلَتُهُ وَازْدَادَ حَرّاً عِجَائُهَا

.....

.....

واهْتَقَعَ لونه: تغيّر من خوف أو فزع، لا يجيء إلا على صيغة فِعْلٍ ما لم يُسَمَّ فاعله والهُقَاع: غفلة تصيب الإنسان من همٍّ أو مرض.

ولم يقف ابن سيده عند الالتزام بما يمكن أن نسميه المنهج الشكلي في ترتيب معجمه وتقسيمه، ولكنه طمح إلى أن يجدد في المضمون في إضافة منه ارتكزت أو توزعت كما قال محققا كتاب المحكم ص ١٧: "على ثلاث شعب: حذف أمور، وتنبيه على أمور، وتمييز بين أمور متشابهة" أما الحذف فقد تناول المطرد من المشتقات القياسية بوصفه نوعاً من الاختصار وقد عبّر عن ذلك بقوله لا أذكر أو لم أذكر كما أورد في ص ١٠ أو ما بعدها مثلاً: "ومن طريف اختصاره (أي المحكم)، ورائق بديع نظم تقصاره أني إذا ذكرت "مفعلاً" لم أذكر "مفعلاً" لعلمي أن كل "مفعّل" مقصور عن مفعّال "... ومنه أني لا أذكر "أفعالاً" إذا ذكرت "أفعل" من الألوان؛ لأن كل "أفعل" عند سيبويه من الألوان، محذوفة من أفعال إشار التخفيف..... ومنه: أني لا أذكر الجمع المسلّم إلا أن يكون تشبيهاً بالمكسر في كونه سماعياً نحو: أرضين وغير ذلك مما جمع بالواو والنون، وقد كان حكمه ألا يُسَلَّم إلا بالألف والتاء نحو: باب فِرْسِنَات، وسجلات وسُرَادِقَات، ونحو ذلك من الجموع التي يستغنى فيها بالتسليم عن التكسير.

ومنه: أني لا أذكر تكسير المزيد من الثلاثي، ولا تكسير بنات الأربعة...

ومنه: أني لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على " فَعَلَة " إلا أن يصح موضع العين نحو: حَوَكة وحوَلة، فأما ما جاء منه معتلاً كباعة وسادة، فلا أذكره لا طراداه. كذلك لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل اللام على " فَعَلَة " نحو: قُضاة ورُماة؛ لأن هذا مطرد أيضاً. وكذلك أدعُ ما جاء من جمع " فاعلة " على " فواعل " لا طراداه أيضاً.

ومنه: أني لا أذكر اسم المصدر الذي يجيء من " فَعَلَ يَفْعِلُ " على " مَفْعَل " لا طراداه... وكذلك لا أذكر ما جاء من أسماء الزمان من " يَفْعَلُ " على " مَفْعَل " لا طراداه. ولا أذكر ما جاء منهما على " مَفْعَل " من فَعَلَ يَفْعَلُ " أو " فَعَلَ يَفْعُلُ ". وكذلك أسماء المكان، إلا أن يشذ شيء كمشرق ومغرب ومسجد ومنبت ومطلع. ومنه: أني لا أذكر اسم المصدر والزمان والمكان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين أو اللام، لأن بناء ذلك في جميع هذه الأنواع مطرد، فإن شذ من ذلك شيء ذكرته نحو مأوي الإبل.

ومنه: أني لا أذكر أفعال التعجب فيه البتة، لا طراد صيغها ".
أما ما نبّه إليه فقد أتى على ذكره في مقدّمته أيضاً بقوله ص ١٠: " ومنه التنبيه على شاذ النسب، والجمع، والتصغير، والمصادر، والأفعال، والإمالة، والأبنية، والتصاريف، والإدغام، وتخليص القضية من الحشو، حتى لا سبيل إلى الزيادة فيها، ولا النقصان منها البتة " ومنه قوله ص ١١-١٣: " أني إذا رأيت صيغة مفعول لا فعل له، أشعرت بذلك نحو: مُدَرِّهَم، ومَفْزُود، أعني الجبان لا المصاب الفؤاد، وماء معين في قول بعضهم. فإن كان له فعل غير متعد أعلمت به، وقلت أنه لم يصغ لفظ مفعول منه، نحو ما حكاه الفارسي من قول العرب: دَرَهَمَتُ الحُبَّازِي؛ أي صارت على شكل الدرهم. ومن بديع تلخيصه، وغريب تخليصه، أني أذكر صيغة المذكر، ثم أقول: والأنثى بالهاء، فلا أعيد الصيغة، وإن خالفت الصيغة أعلمتُ بخلافها، إن لم يكن قياسياً، نحو بنت أو أخت.

.....

.....

ص ١٢: " ومن ذلك تنبيهي على كل ما يُهْمَز، مما ليس أصله الهمز، من جهة الاشتقاق، كقولهم: الذئب يستنشيء الريح، وإنما هو من النشوة... وكذلك نُبِّهْتُ على ما جاء من المهموز نادراً.... وكذلك أنبّه على ما جاء فيه الهمز، والأعراف تركه، إلا أنه يتجه على طريق الأعراب نحو ما حكى عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي: أنه وَجَدَ بخط عمّه: قطعاً جُوْنِي. وإنما هي من الجونة التي هي السواد.... ومنه تنبيهي على البدل اللازم في حروف العلة كعيد وأعياد.

ص ١٣ ومنه: إشعاري بالكلمة التي تقال بالياء والواو، عيناً كانت أو لاماً كباب قَنَيْتُ وَقَنَوْتُ ومنه: التنبيه على الجموع التي لم تكسر على واحدتها كملامح... وإشعاري بالصيغ المأخوذة من حروف الأول والثاني كعبدري وعبشمي، وتعريفي... بالأسماء التي فيها معنى النسب وليست على صيغته: كلابن ونابل...

ومنه: تنبيهي على ما تنقلب عنه الألف العينية واللامية، وعلى ما جاء من المثنى على غير واحد فأحدث ذلك حُكماً من أحكام العربية... وتذكيري بما لا يَصْغُرُ من الأسماء نحو ما حكاه سيبويه من البارحة والثلاثاء والأربعاء.

ص ١٣: ومن ذلك: التنبيه على ما لا يُسْتَعْمَلُ إلا ظرفاً نحو: ذات مرة... ومنه إشعاري باللفظة التي تكون للواحد والجميع نحو: بادي الرأي.... وتذكيري بجمع الأسماء الأعلام كزيد وعمرو وهند ودعد، وأن ذلك جارٍ على ما تجري عليه الأنواع والأجناس.

.....

.....

ص ١٣ " ومنه تذكيري بالآحاد التي جاءت على مفاعل ومفاعيل وما شاكلها كحَضاجر، وإشعاري بما تدخله الهاء لا لِعُجْمَة، ولا نسب ولا عوض ولا جنس، كصياقلة وملائكة.. إلى ذكرى ما لا أكاد أحصيه إلا بعد شَعْب وإطالة تعب نحو ما استغني عن تصغيره بلفظ غيره وهو دال على التصغير، وتحقير الأحياء... " إلى غير ذلك. وتبقى إشارته إلى ما ميّز به كتابه وذلك بقوله ص ٨-٩: " ومن غريب ما تضمّنه هذا الكتاب، تمييز أسماء الجموع من الجموع، والتنبيه على الجمع المركب وهو الذي

يسميه النحويون جمع الجمع؛ فإن اللغويين جماً لا يميّزون الجمع من اسم الجمع، ولا يَنْبَهُون على جمع الجمع، ومن الأبنية ما يجوز أن يكون جمعاً، وأن يكون جَمْعُ جَمْعٍ، فإذا مررنا في كتابنا بمثل هذا النوع من الجمع أعلمنا أيهما أولى به: الجمع أم جمع الجمع، كقوله تعالى: "فَرُهْنٌ مَقْبُوضَةٌ"، فهذا إما أن يكون جمع رَهْنٍ كَسَحْلٍ وَسُحْلٍ وَسَقْفٌ وَسُقْفٌ وإما أن يكون رَهْنٌ كُسْرٍ على رهان ثم كُسْرٍ رهان على رُهْنٍ؛ فيكون على هذا رُهْنٌ جَمْعُ جَمْعٍ... ومن طريف ما اشتمل عليه هذا الكتاب: الفرق بين التخفيف البدلي، والتخفيف القياسي وهما نوعا تخفيف الهمز كقولي: إن قول العرب ليس بتخفيف قياسي، وإنما هو تخفيف بدلي محض؛ لأن همزة "أخطأت" همزة ساكنة قبلها فتحة، وصورة تخفيف هذي أن تُخْلَصَ ألفا محضة. فيقال: أخطأت كقولهم في تخفيف كأس: كأس....

ص ١٠ "وما انفرد به كتابنا: الفرق بين القلب والبدل، وعقد اسم الفاعل بالفعل إذا كان جارياً عليه بالفاء، وعقده إذا لم يكُ جارياً عليه، بالواو....".

ص ١٢ "ومن ذلك أن أفرّق بين الفعل المنقلب عن الفعل، وبين الفعل الذي هو لغة في الفعل، وليس بمنقلب عنه بوجود المصدر وعَدَمه كجذب وجَبَذَ فإنهما لغتان لأن لكل واحد منهما مصدراً، وأما يئس وأيس فالأخيرة مقلوبة عن الأولى لأنه لا مصدر لأيس....".

ص ١٤: "ومن أعجب ما اختُصَّ به هذا الكتاب: تخلص الياء من الواو، وتعيين ما انقلبت عنه الألف المنقلبة من ياء أو واو وتمييز الزائد من الأصل بتخليص الثلاثي والرباعي والخماسي. وهذا فصل لا يصل إليه إلا من قتل التصارييف علماً....".

بعد كل هذا البيان نخلص إلى أن سيده قد أظهر اهتماماً زائداً بالتعليلات الصرفية في الدرجة الأولى، وتليها التعليلات النحوية وإن أعطى الأولوية للإحاطة بكتابته للعلم بالإعراب وزاد عليه علم العروض بقوله في مقدمته ص ١٤: "وليست الإحاطة بعلم كتابنا هذا إلا لمن مَهَرَ بصناعة الإعراب، وتقدّم في علم العروض والقوافي".

وهكذا يكون ابن سيده قد وضع في مقدمته الصورة المحكمة التي سيكون عليها معجمه بما تخلل موادّه وشروحه من تنظيم، وبما حفل به من تعليقات وما تجنبه وما لم إليه

من إيجاز؛ مما عبّر عنه بقوله ص ١٤ " وفي كتابي هذا أشياء من الاختصار، وتقريب التأليف، وتهذيب التصنيف، ما لو ذكرته لكان فيه سفر جامع، ولكني بهذا الذي أريته منه قانع " وكأنه يكرر مقولة الأزهرى في مقدّمة تهذيبه ص ٤٠: " ولو أني أودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري وقرأته من كتب غيري... لطال كتابي " وألح في قول ابن سيده " تهذيب التصنيف " الذي وصف به كتابه إشارة دالة على اقتفائه أثر الأزهرى في التمحيص والتمييز ومن ثم الانتقاء والاختيار وهي الوجه الآخر للإحكام الذي قصده ابن سيده من خطته في وضع مصنفه بما تركز عليه من التنبيه والحذف والتمييز، وجعلته يسميه المحكم، الذي لم يكتف به عنواناً لكتابه، فاستكمّله بالمحيط الأعظم؛ ثقة منه بشمول الجمع وإحاطته وإتقانه كماً ونوعاً، مؤكداً ذلك بقوله ص ١٥: " هذا جميع ما اشتمل عليه كتابنا " المحكم "، وهو في هذه الصناعة " المحيط الأعظم "، وهو يقصد بالطبع الصناعة المعجمية، وهو ما أرجو أن يُسفر عنه التتبع التفصيلي لجوانب هذا المصنّف كالضبط والتعريف والشرح والاحتجاج.

وأبدأ بضبط المداخل وشروحاتها حيث اعتمد غالباً على وضع الحركات مباشرة على الألفاظ، حتى عند اختلاف الضبط في الكلمة الواحدة نحو قوله في باب العين والصاد والواو، في مقلوبه (و ص ع) ٢/٢١٧: " الوَصْعُ والْوَصْعُ: الصغير من العصافير... " وفي باب العين والسين والواو (ع س و) ٢/٢١٨: " عَسَا الشَّيْخُ عَسَوْاً وَعُسُواً... كله كَبَر ". وفي باب العين والزاي والواو في مقلوبه (و ز ع) ٢/٢٢٢: " وَزَعَهُ وَبِهِ يَزَعُ وَيَزَعُ وَزَعاً: كَفَّهُ " وفي باب العين والنون والواو (ع ن و) ٢/٢٦٤: " والعُنُون والعُنُون: سَمَةُ الكتاب... ". وفي باب الحاء والقاف في الثنائي من حرف الحاء ٢/٣٣١: " والحَقَّةُ والحَقَّةُ في معنى الحق " وفي باب الحاء والجيم ٢/٣٣٨: " والحِجَاجُ والحِجَاجُ: العَظْمُ النَّابِتُ عَلَيْهِ الْحَاجِبُ ". وفي باب الحاء والشين، في مقلوبه (ش ح ح) ٢/٣٤٢: " الشُّحُّ والشُّحُّ والشُّحُّ والضم أعلى ".

ولا يعني ذلك أنه اكتفى بهذه الوسيلة بل كانت تحكمه الضرورة وعند اختلاف الرأي فيلجأ إلى وسيلة أخرى في الضبط وهي النص على الحركة بعد وضعها على الحرف

المقصود، وهو أمر قليل الحدوث كما جاء في باب العين والزاي اقتضت ضرورة توضيح المعنى وبيان الخطأ عن طريق الاشتقاق في هُنْ، وهِن في المثل العربي: "إذا عَزَّ أخوك فَهُنْ" فينقل ويوضح في ٣٣/١: "وقال ثعلب في الكتاب الفصيح: "إذا عَزَّ أخوك فَهِنْ" معناه: إذا تعظَّم أخوك شامخاً عليك فالتزم الهوان. قال أبو اسحق: وهذا خطأ من ثعلب، وإنما الكلام: إذا عَزَّ أخوك فَهِنْ بكسر الهاء، معناه: إذا اشتدَّ عليك فَلَنْ له وداره، وهذا من مكارم الأخلاق... فالصحيح في هذا المثل فهِن بالكسر، من قولهم هانَ يهين: إذا صار هيناً ليناً كقوله:

هَيْنُون لَيْنُون أَيَسَارُ ذُوو كَرَمٍ سُوَّاسُ تَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَطْهَارٍ

وإذا قال: هُنْ، بضم الهاء، كما قال ثعلب، فهو من الهوان، والعرب لا تأمر بذلك، لأنهم أعزَّة أَبَاوُون للضيم.

وفي باب العين والراء ٤١/١: "العُرُّ، والعُرُّ، والعَرَّة: الجرب، وقيل: العُرُّ بالفتح: الجرب، وبالضم: قروح بأعناق الفُصْلان قال:

ولان جلدُ الأرض بعد عَرِّه

أي جربه". وقد يلجأ لذلك لبيان قاعدة صرفية كما جاء في باب العين والقاف والبدال في مقلوبه ق ع د ٩٥/١: "القَعْدَةُ بالكسر: الضَّرْب من القعود، وبالفتح: المرة الواحد".

وحين انتقلت معه إلى أداء معنى المداخل وجدت أن هناك تنوعاً في شرح المفردات وتفسيرها، فاستعان بالتعريف، والترادف ولجأ إلى التضاد وإلى غير ذلك.

ومن التعريف قوله في باب العين والنون ٤٨/١: "وعنان اللجام: السَّيْر الذي تمسك به الدابة، والجمع أعنَّة". وفي باب العين والفاء ٥٠/١: "العَفَّة: الكف عمّاً لا يحل ولا يَحْمُل". وفي باب العين والهاء والكاف ٥٧/١: "والهُكَّة والهكَّة: الأحمق الذي إذا جلس لم يكذب يَبْرَح". وفي باب العين والقاف والبدال، في مقلوبه دقع ٩٩/١: "الدَّقِع والمدَّقع: الذي لا يبالي في أي شيء وقع، في طعام أو شراب أو غيره". وفي باب العين والراء والواو، في مقلوبه (روح) ٢٥٠/٢: "الأَرْوَع: الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة

والفضل والسؤدد. وقيل هو الجميل الذي يروعك إذا رأيته ". وفي باب العين والهاء من
الرباعي ٢/٢٧٧: " الهَبْنَقَع: الذي لا يستقيم على أمر في قول ولا فعل ولا يوثق به،
والأنثى بالهاء ". ومن الخماسي الِيسْتَعُور: شجر تُصْنَع منه المساويك، ومساويكه أشدّ
المساويك إنقاءً للثغر وتبييضاً له ومنايته بالسراة، وفيها شيء من مرارة مع لين ". وفي باب
الحاء والجيم من حرف الحاء ٢/٣٣٧: " والحجُّ: القصد للتوجُّه إلى البيت بالأعمال
المشروعة فرضاً وسنة... " وفي باب الحاء والقاف والراء في مقلوبه (ح ر ق) ٢/٤٠٠:
"والحرقة: ما يجده الانسان من لذعة حُبٍّ أو حُزْنٍ أو طعم شيء فيه حرارة ".

وأما التفسير بالمرادف، وهو نوع من الشرح يقوم على مقابلة المدخل بلفظ يترجم
معناه، وهو الغالب في أداء المعاني ومن ذلك قوله في باب العين والباء (عب) ١/٥٢:
"العَبِيَّة والعَبِيَّة: الكبر والفخر ". وفي باب العين والميم (عم) ١/٥٢: " العم: أخو
الأب ". وفي باب العين والهاء والزاي، في مقلوبه (ه ز ع) ١/٦٢: " هَزَعه، وهَزَّعه:
كسره ". وفي باب العين والهاء والdal، ع ه د ١/٦٢: " العهد، الوصية... والعُهد:
كتاب الحلف والشراء ". وفي باب العين والهاء واللام، مقلوبه (ع ل هـ) ١/٦٥:
"العَلَّه: خبث النفس وضعفها... " وفي مقلوبه ه ل ع ١/٦٥: " الهَلَع: الحرص،
وقيل الجزع، وقلة الصبر ". وفي باب العين والهاء والنون (ع ه ن) ١/٦٦: " العهن:
الصوف.. ". وفي باب العين والحاء والميم (خ ع م) ١/٧٨: " الخَوْعم: الأحمق،
ومقلوبه خ م ع ١/٧٨: " والخَمْع: الذئب ". وفي باب العين والقاف والشين، في مقلوبه
(ق ش ع) ١/٧٩: " والقشعة: النخامة ". وفي باب العين والقاف والضاد، في مقلوبه ق
ض ع ١/٨٠: " القَضْع: القَهْر ". وفي باب العين والقاف والصاد، مقلوب ص ق ع
١/٨٣: " والصَّقيع: الجليد ". وفي باب العين والقاف والتاء، مقلوب عتق ١/١٠١:
"العتيق: القديم.. ". وفي باب العين والقاف والفاء، ع ق ف ١/١٣٧: " الأعقف:
الفقير ". وفي مقلوبه ع ف ق ١/١٣٧: " العَفْق: الإقبال والإدبار... والعَفقة: الغيبة ".
وفي باب العين والقاف والباء، مقلوب ب ع ق ١/١٤٨: " البُعاق: شدة الصوت ".
وفي باب العين والراء والميم، مقلوب رعن ٢/٧٦: " اللأرْعَن: الأهْوَج في منطقته ". وفي

باب العين والنون والفاء، مقلوب ف ن ع ١٣٣/٢: "الفَنَع: طيب الرائحة". وفي باب العين والتاء والياء، مقلوب ت ي ع ١٦٣/٢: "التَّيَعَة: الأربعون من غنم الصدقة، وقيل الأربعون من الغنم من غير أن تُخصَّص بصدقة وغيرها". وفي باب العين والميم والياء ١٩٠/٢ "العَمَى: ذهب اليصر كله". وفي باب العين والهاء من الرباعي ٢٧٨/٢: "العجهرة: الجفاء". وفي ٢٧٩/٢: "العَمْهَج: السريع"، وفي ٢٨٠/٢: "العَبْهر: الياسمين". وفي باب الحاء والكاف، مقلوبه ك ح ٣٣٦/٢: "الكُح: الخالص من كل شيء كالقُح". وفي باب الحاء والطاء ٣٥١/٢: "الحَطُّ: الوضع" وفي باب الحاء والذال، ومقلوبه ذ ح ٣٦٠/٢: "الذَّح: الشَّق". وفي باب الحاء والراء ٣٦٤/٢: "حَرَّه: أعتقه". وفي باب الحاء والميم، مقلوبه م ح ح ٣٨٩/٢: "المُح والمُحَّة: صُفرة البيض، والمُحَّاح: الجوع".

ومن الأساليب التي استخدمها ابن سيده للوصول إلى المعنى تسخير بعض العلاقات الدلالية كالتضاد والمشارك اللفظي، فقد كان للتضاد نصيب وافر في المحكم باستعمال ألفاظ مثل: نقيض، وضد، وخلاف؛ ففي باب العين والقاف والسين، مقلوب ق ع س ٨٥/١: "القَعَس: نقيض الحَدَب". وفي باب العين والقاف والذال ٩٢/١: "العَقْد: نقيض الحل"، وفي مقلوبه ق ع د ٩٤/١: "القُعُود: نقيض القيام". وفي باب العين والقاف والتاء ١٠٠/١: "العَتَق: خلاف الرأي" وفي باب العين والقاف واللام ١١٨/١: "العَقْل: ضد الحُمَق". وفي باب العين والنون والفاء، مقلوب ن ف ع ١٣٣/٢: "التَّفَع: ضد الضَّر". وفي باب العين والراء والياء ١٦٦/٢: "العُرْي: خلاف اللُّبْس". وفي باب العين والجيم والواو، مقلوبه ج و ع ٢٠٤/٢: "الجوع نقيض الشَّبْع". وفي باب العين والسين والواو، مقلوب و س ع ٢٢٠/٢: "السَّعَة: نقيض الضيق". وفي باب العين والراء والواو، مقلوبه و ع ر ٢٤٩/٢: "الوَعَر: ضد السَّهْل". وفي باب الحاء والراء ٣٦١/٢: "الحَرُّ: ضد البرد". وفي ٣٦٣/٢: "أما إيراد عدة معانٍ للمدخل الواحد، وهو نوع من العلاقات الدلالية اصطلاح على تسميته بالمشارك اللفظي، فقد كان هو الآخر له نصيب لا بأس به في المحكم في مثل ما جاء في باب العين والهاء والذال ٦٢-٦٣ نجد أن ابن سيده قد أورد عدة معانٍ للعهد: "العَهْد: الوصية، يقال: عَهِدَ إليَّ في كذا وقوله

تعالى: " ألم أعهد إليكم يا بني آدم " (يس-٦١) يعني الوصية والأمر. والعهد: التقدم إلى المرء في شيء. والعهد: الذي يكتب للولادة، والجمع عهود. والعهد: الموثق واليمين..... والعهد: الحفاظ ورعاية الحرمه. وفي الحديث: " حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ ". والعهد: الأمان، وفي التثنية: " لا ينال عهدي الظالمين " (البقرة-١٢٤)، وفيه: " فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ " (التوبة-٤). وأهل العهد: أهل الذمة، والعهد: الالتقاء. وعهد الشيء عهداً: عرفه، يقال: عهدي به في موضع كذا، في حال كذا. والعهد: المتزل المعهود به الشيء سمي بالمصدر، قال ذو الرمة:

هل تعرف العهد المحيل أرسمة....

والعهد: أول المطر الوسمي، عن ابن الأعرابي. والعهد والعهدة والعهدة: مطر بعد مطر يدرك آخره بل أوله وقيل: هو كل مطر بعد مطر، وقيل هي: المطرة تكون أولاً لما يأتي بعدها، وجمعها عهاد، وعهود. قال:

أراقت نجوم الصيف فيها سجالها عهاداً النجم المربع المتقدم

قال أبو حنيفة: إذا أصاب الأرض مطر بعد مطر، وندى الأول باق، فذلك العهد؛ لأن الأول عهد بالثاني.... والعهد: الزمان...".

وفي باب العين والقاف واللام، مقلوبه ع ل ق ١-١٢١-١٢٣: " العلق: الثوب في الشيء، يكون في جيل أو أرض.... وقال اللحياني: العلق: الهوى يكون للرجل في المرأة.. وقالوا في مثل: " نظرة من ذي علق"، أي من ذي حب قد علق بمن يهوى..... والعلق: الذي تعلق به البكرة من القامة... وقيل العلق: البكرة... وقيل العلق: القامة.... والعلق: الحبل المعلق بالبكرة... وقيل العلق: الحبل الذي في أعلى البكرة.... وقال اللحياني: العلق: الرشاء والغرب والمحور والبكرة... وعلق القربة: سير تعلق به... والعلق: الدم ما كان. وقيل: هو الجامد قبل أن يبيس، وقيل: هو ما اشتدت حمرة والقطعة من علقه. وفي التثنية: " ثم خلقنا النطفة علقه " (المؤمنون-١٤). والعلق: دود أسود في الماء معروف، الواحدة علقه ".

وفي باب العين والقاف والنون، في مقلوبه ن ق ع ١٣٤/١-١٣٥: "النَّقْع: الماء النافع... والنَّقْع: القاع من البئر، وقيل هي الأرض الحرَّة الطَّيِّبة الطين، ليس فيها ارتفاع ولا انهباط، وقيل: هو ما ارتفع من الأرض، والجمع: نقاع..... والنَّقْع: دواء يُنْقَع ويُشْرَب..... والنَّقْع: الغبار الساطع، وفي التثنية: "فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا" (العاديات-٤)..... قال عمر: "وما على نساء بني المغيرة أن يُهْرَقْنَ من دموعهن على أبي سليمان، يعني خالد بن الوليد، ما لم يكن نَقْع ولا لَقْلَقَة" يعني بالنقع: أصوات الحدود إذا ضربت. وقيل: هو وضعهن على رؤوسهن النقع وهو الغبار، وقيل: النقع هنا شقُّ الجيوب."

ومن الأمثلة التقليدية في المشترك اللفظي يذكر العين في باب والنون والياء في مقلوبه ع ي ن ١٧٩/٢: "العين: حاسة البصر.... ١٨٠/٢ وعَيْن الرجل: منظره، والعَيْن الذي ينظر للقوم... والعين: الذي يُبْعَث ليتحسَّس الخبر... وأعيان القوم: أشرافهم، على المثل بشرف العين الحاسَّة... والعين يُنبوع الماء... وعَيْن الركبة: مَفْجَر مائها... وعين القناة: مَصَبُ مائها... ١٨١/٢ وعين القُبلة: حقيقتها. والعين من السحاب: ما أقبل من ناحية القُبلة وعن يمينها يعني قبة العراق... والعين: مَطَر أيام لا يُقْلَع وقيل: هو المطر يدوم خمسة أيام أو ستة... ١٨٢/٢ والعين: الناحية. وعين الركبة: نُقْرَة في مقدمتها. وعين الشمس: شعاعها الذي لا تثبت عليه العين. وقيل: العين: الشمس نفسها، يقال: طَلَعَتِ العين وغابت العين، حكاها اللحياني. والعين: المال العتيد الحاضر، ومن كلامهم: عَيْنٌ غَيْرَ دِينَ. والعين: الدينار كقول أبي المقدم:

حَبَشِيٌّ لَهُ ثَمَانُونَ عَيْنًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَدْ يَسُوقُ إِفَالًا

والعين: الذهب عامَّة... والعين في الميزان: الميل قيل هو أن ترجح إحدى كفتيه على الأخرى، وهي أنثى. وجاء بالحق بعينه أي خالصاً واضحاً. وعين المتاع والمال وعينته: خياره... وعين الشيء: نفسه وشخصه وأصله.

... وعَيْنُ الرجل: شاهده... وما بها عَيْنٍ وَعَيْنٍ وعائن وعائنة أي أحد. والعَيْنُ والعَيْنَةُ: الرُّبَا... ١٨٣/٢: وصنع ذلك عَيْنٌ، أي عَمْدًا... ولقيته قبل كل عائنة وعَيْنٌ، أي قبل كل شيء... ولقيته أول عين، أي أول شيء. وعَيْنٌ: موضع قال ساعده بن جؤية:
فَالسُّدْرُ مُخْتَلَجٌ وَغُودِرٌ طَافِيًا مَا بَيْنَ عَيْنٍ إِلَى نَبَاطِي الْأَثَابِ

وَعَيْنُ التمر: موضع... ١٨٤/٢: والعَيْن: حرف هجاء وهو حرف مجهور يكون أصلاً، ويكون بدلاً كقول ذي الرمة:

أَعْنُ تَرَسَمْتُ مِنْ خَرَقَاءِ مِثْلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ

والأمثلة كثيرة واكتفي بما سبق، وانتقل إلى وسيلة أخرى في أداء المعنى وهي إيراد المدخل في بنية نحوية أي تركيب إسنادي، جملة فعلية أو اسمية. أما إيراد المدخل في الجملة الفعلية فقد كثر لديه كثرة تنبو على الحصر إذ كان ما انتهجه هو البدء بالفعل الماضي في كل باب أو تقليباً ويذكر بعده مباشرة مضارعه ومصدره أو مصادره ثم يضع معنى الماضي بعد هذه المشتقات نحو قوله في باب العين والجيم ٢٤/١: "عَجَّ يَعَجَّ وَيَعَجُّ عَجاً وَعَجِجاً: رفع صوته". وفي باب العين والصاد ٢٩/١: "عَصَّ يَعَصَّ عَصّاً: صَلَّبَ واشتدَّ". وفي باب العين والdal، في مقلوبه د ع ع ٣٨/١: "دَعَّ يَدْعُهُ دَعّاً: دَفَعَهُ فِي جَفْوَةٍ". وفي باب العين والفاء ٥٠/١: "عَفَّ يَعْفُ عَفّاً، وَعَفَافاً وَعَفَافَةً، وَتَعَفَّفَ، وَاسْتَعَفَّفَ، وَفِي التَّزْيِيلِ "وَلَيْسَتْغَفِّ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً" (النور-٣٣)، فَسَّرَهُ فَقَالَ: لِيَضْبُطَ نَفْسَهُ بِمِثْلِ الصُّومِ، فَإِنَّهُ وَجَاءَ". وفي باب العين والهاء والكاف ٥٧/١: "هَكَعَ يَهْكَعُ هُكُوعاً: سَكَنَ.... وَهَكَعَتِ النَّاقَةُ هَكَعاً فَهِيَ هَكَعَةٌ: اسْتَرَحَتْ مِنْ شِدَّةِ الضَّبْعَةِ، وَقِيلَ هُوَ أَلَا تَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ... وَهَكَعَ الْبَعِيرُ وَالنَّاقَةُ يَهْكَعُ هَكَعاً هُكَاعاً: سَعَلَ". وفي باب العين والهاء والزاي، مقلوبه ه ز ع ٦١/١: "هَزَعَهُ يَهْزَعُهُ هَزْعاً وَهَزَّعَهُ: كَسَرَهُ، وَهَزَّعَهُ: دَقَّ عُنُقَهُ". وفي باب العين والحاء والزاي ٧٠/١: "خَزَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ خَزْعاً وَتَخَزَّعَ: تَخَلَّفَ عَنْهُمْ فِي مَسِيرِهِمْ". وفي باب العين والحاء والميم، في مقلوبه خ م ع ٧٨/١: "خَمَعَتِ الضَّبْعُ: تَخْمَعُ خَمْعاً، وَخُمُوعاً وَخُمَاعاً: عَرَجَتْ". وفي باب العين والقاف والراء في مقلوبه ر ق ع ١١٧/١: "رَقَعَ الثَّوبَ وَالْأَدَمَ يَرْقَعُهُ رَقْعاً، وَرَقَّعَهُ: أَلْحَمَ خَرَّقَهُ". وفي باب العين والكاف والفاء ١٦٩/١: "عَكَفَ عَلَى الشَّيْءِ يَعْكِفُ وَيَعْكُفُ عَكَفاً وَعُكُوفاً، وَعَكَفَ بِهِ: أَقْبَلَ عَلَيْهِ لَا يَصْرِفُ عَنْهُ وَجْهَهُ، قَالَ الْعَجَّاجُ:

فَهَنَّ يَعْكُفْنَ بِهِ إِذَا حَجَا

عَكَفَ النَّبِيْطُ يَلْعَبُونَ الْفَرْجَا

وَقَوْمٌ عُكُفٌ وَعُكُوفٌ...".

وفي باب العين والجيم واللام، مقلوبه ل ع ج ١/١٩٩: "لَعَجَ الحزنُ والحُبُّ يَلْعَجُ لَعَجًا: اسْتَحَرَّ في القلب، وَلَعَجَهُ لَعَجًا: أحرَقه". وفي باب العين والجيم والفاء ١/٢٠٣: "عَجَفَ نفسه عن الطعام وغيره يَعْجِفُهَا عَجْفًا وَعُجُوفًا، وَعَجَفَهَا: حبسها عنه وهو له مَشْتَهٍ لِيؤْثِرَ به غيره، ولا يكون إلا على الجوع، قال:

لَمْ يَعْذْهَا مُدًّا وَلَا نَصِيفَ
وَلَا تُمَيِّرَاتٍ وَلَا تَعْجِيفَ

وعجف نفسه على المريض يعجفها عَجْفًا: صَبَّرها على تمريضه قال:

إِنِّي وَإِنْ عَيَّرْتَنِي لُحُولِي
أَوْ أَزْدَرَيْتَ عَظْمِي وَطُولِي
لَأُعْجِفُ النَّفْسَ عَلَى خَلِيلِي
أَعْرِضْ بِالْوُدِّ وَالتَّنْوِيلِ

وفي باب العين والراء والباء في مقلوبه ٢/٩٣: "عَبَّرَ الرُّؤْيَا يَعْبُرُهَا عَبْرًا وَعِبَارَةً، وَعَبَّرَهَا: فَسَّرَهَا، وَأَخْبَرَ بِأَخْرَ مَا يُؤْوِلُ إِلَيْهِ أَمْرَهَا، وفي التثنية "إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ" (يوسف-٤٣)، أَيِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُرُونَ الرُّؤْيَا فَعَدَّاهَا بِاللَّامِ...". وفي باب العين واللام والنون، في مقلوبه ل ع ن ٢/١١٢: "لَعَنَ يَلْعَنُهُ لَعْنًا: طرده".

وفي باب العين والهاء والياء، مقلوبه ه ي ع ٢/١٥١: "هَاعَ يِهَاعُ وَيَهِيْعُ هَيْعًا وَهَاعًا وَهِيوعًا وَهَيْعَةً وَهَيْعَانًا وَهَيْعُوعَةً: جَبُنَ وَفَزِعَ، وَقِيلَ: اسْتَخَفَّ عِنْدَ الْجَزَعِ، قَالَ الطَّرْمَاحُ:

أَنَا ابْنُ حُمَاةِ الْمَجْدِ مِنْ آلِ مَالِكٍ إِذَا جَعَلَتْ خَوَرُ الرِّجَالِ تَهِيْعُ

وقال أبو قيس بن الأسلت:

الْحَزْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِدْهَانِ وَالْفَكَّةِ وَالْهَاعِ

وفي باب العين والهاء والواو، في مقلوبه ه و ع ٢/١٩٣: "هَاعَ يَهُوعُ وَيَهَاعُ هَوَاعًا وَهُوَاعًا وَهَوَاعًا: قَاءَ، وَقِيلَ: قَاءَ بِلِ كُفَّةٍ...". وفي باب العين والنون والواو ٢/٢٦٢: "عَنَوْتُ فِيهِمْ وَعَنَيْتُ عُتُوًّا وَعَنَاءً: صرْتُ أَسِيرًا".

ويبدو أنه قد تخلّى عن هذا النهج في الرباعي والخماسي، حيث كان يكتفي في كل جذر بذكر حرفين من أصوله ففي باب الرباعي من حرف العين يذكر العين والهاء ولا يبدأ بالفعل وإنما بدأ بتركيب وصفي نحو: رجل هَبَقَ وهُبَاقَ: قصير مُلَزَز. ويتابع ويذكر مفردات مع معانيها تشترك كلها في العين والهاء ثم ينتقل إلى العين والحاء ويكرر الأمر نفسه فيذكر المداخل المشتركة في العين والصاد فالعين والسين فالعين والزاي وهو الوحيد الذي بدأه بتركيب فعلي دون مضارعه ومصدره، ثم العين والطاء فالعين والتاء فالعين والظاء فالعين والذال إلى أن يصل إلى العين واللام. وينتقل إلى الخماسي دون أبواب وأفعال بل يذكر جملة.

أما إيراد المدخل في سياق جملة اسمية فلم يكن في كثرته بمستوى الجملة الفعلية؛ ومن حيث المبدأ، لم يتيسر لي العثور على افتتاحه أي باب بوحدة منها فإذا لم يكن الافتتاح بفعل أو جملة فعلية فإنه يبدأ باسم من المشتقات منفرداً أو في تركيب وصفي أو إضافي ولا يعني هذا أنه لم يورد التقلب أو أحد مشتقاته في جملة اسمية، فقد أورد في باب العين والجيم ٢٤/١: " والبعر - يَعُجُّ في هديره عَجّاً وعجيجاً: يصوت ". وفي باب العين والنون ٤٩/١: " وفلان قصير العنان: قليل الخير ". وفي باب العين والحاء واللام، مقلوبه خ ل ع ٧٥/١: " وبعر به خالع: لا يقدر أن يثور إذا جلس الرجل على غراب وركه... ". وفي باب العين والقاف والسين، ومقلوبه ع س ق ٨٤/١: " في خُلُقِه عسق: أي التواء وضيق " وقد يرد الاسم في شاهد كالحديث الشريف كما في باب العين واللام، ومقلوبه (ل ع ع) ٤٧/١: " وفي الحديث: " إنما الدنيا لعاعة "، اللعاعة: بقلة من ثمر الحشيش تؤكل ". وفي باب العين والحاء والنون ٧٦/١: " وفي الحديث: " إن أخنع الأسماء إلى الله تعالى من تسمّى باسم ملك الأملاك: أي أذلّها ". وفي باب العين والجيم والميم ٢٠٨/١: " صلاة النهار عجماء: لإخفاء القراءة فيها ".

وإذا كان إيراد المداخل في جمل اسمية قليلاً نسبياً فإن التركيب غير الإسنادي الوصفي أو الإضافي يعوّض هذا الأمر لكثرته. ومن أمثلة التركيب الوصفي في باب العين والزاي ٣٢/١: " رجل عزيز: ممتنع لا يُغلب ولا يقهر، وقوله عز وجل: " ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ

العزير الكريم، معناه: ذق بما كنت تُعدّ في أهل العزّ والكرم". وفي باب العين والراء
٤٣/١: "رجل عُراعر: شريف، قال مهلهل:

خلع الملوك وسار تحت لوائه شَجَرُ العُرا وعُراعر الأقوام

وفي باب العين واللام، في مقلوبه ٤٧/١: "امرأة لَعّة: مليحة عفيفة".

وفي باب العين والهاء والقاف ٥٦/١: "ناقة عَوْهَق: طويلة العنق". وفي باب العين
والهاء والجيم ٥٨/١: "وامرأة عوهج: تامة الخلق حسنته". وفي باب العين والهاء والزاي
٦١/١: "رجل عَزْهاة، وعَزْهاة، وعَزْهي: لئيم". وفي باب العين والهاء واللام، مقلوبه
ع ه ل ٦٥/١: "شَحّ هالع: مُحْزن. وفي الحديث: "من شر ما أعطي المرء شَحّ
هالع... وناقة هِلْواع، وهِلْواعة: سريعة شهمة الفؤاد، وقيل سريعة شديدة مدعان، أنشد
ثعلب:

قَد تَبَطَّنْتُ بِهِلْوَاعَةٍ غُبْرَ أَسْفَارِ كَثُومِ البُعَامِ

وفي باب العين والقاف والباء، مقلوبه ب ق ع: "غراب أبقع: في صدره بياض".
وفي باب العين والجيم والdal، مقلوبه ج ع د ١٨٣/١: "رجل جعد اليدين: بخيل،
ورجل جعد الأصابع: قصيرها... وقدم جَعْدَة: قصيرة من لؤمها". وفي باب العين
والضاد واللام، مقلوبه ض ل ع: ٢٥٣/١: "فرس ضليع: تام الخلق... وثياب مُضْلَع:
مخططة على شكل الضلع، قال اللحياني: هو الموشى وقيل: هو المختلف النسج الرقيق".
وفي باب العين والسين والdal ٢٩٠/١: "جَمَل عَسُود: قوي شديد"، ومقلوبه ق ح
٣٣٥/٢: "أعرابي قُحَّ وقُحاح: مُحْضٌ خالص، وقيل: هو الذي لم يدخل الأمصار ولم
يختلط بأهلها، وهو من ذلك". وفي باب الحاء والفاء ٣٧٧/٢: "طعام حَفَف: قليل،
ومعيشة حَفَف: ضئلك". وفي باب الحاء والميم ومقلوبه م ح ح ٣٩٠/٢: "رجل مَحَّاح:
كذاب يُرضي بالقول دون الفعل". وفي باب القاف والسين والحاء ومقلوبه س ح ق
٣٩٢/٢: "مكان سحيق: بعيد... ونخلة سَحُوق: طويلة...".

أما التركيب الإضافي ففي قوله في باب العين والراء، مقلوبه (ر ع ع) ٤٤/١:
"رعاع الناس: سُقَّاطهم وسِفْلَتهم". وفي باب العين والقاف والزاي، مقلوبه ق ز ع

٨٧/١: "قَزَع السهم: ما رَقَّ من ريشه". وفي باب العين والقاف والطاء، مقلوبه ق ط ع ٨٩/١: "مقطع كل شيء ومنقطعه: آخره كمقاطع الأودية والرمال". وفي باب العين والقاف والراء ١٠٥/١: "عقيرة الرجل: صوته إذا غنى أو بكى، أو قرأ. وقيل أصله أن رجلاً عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة، وبكى عليها بأعلى صوته فقل رفع عقيرته، ثم كثر ذلك، حتى صيّر الصوت بالغناء عقيرة". وفي باب العين والقاف واللام ١٢٠/١: "عقيلة القوم: سيدهم، وعقيلة كل شيء: أكرمه، ومنه عقائل الكلام. وعقائل البحر: دُرَره، واحدته عقيلة، وعقائل الانسان: كرام ماله. وعاقول البحر: معظمه، وقيل: موجه، وعاقول النهر: ما اعوجَّ منه، وكل مَعْطَف واد: عاقول، وهو أيضاً: ما التبس من الأمور". وفي باب العين والكاف والباء، مقلوبه ب ع ك ١٧١/١: "بُعْكوكَة القوم: آثارهم حيث نزلوا. وبُعْكوكَة القوم: جماعتهم، وكذلك هي من الإبل، عن ثعلب، وأنشد:

يُخْرُجْنَ مِنْ بُعْكوكَةِ الْخِلَاطِ

وبُعْكوكَة الشر: وسطه، وحكى اللحياني الفتح في أوائل هذه الحروف، وجعلها نوادر؛ لأن الحكم في فعلول أن يكون مضموم الأول، فمنها بعْكوكَة". وفي باب العين والجيم والميم ٢٠٩/١: "عُجْمَة الرمل: كثرته، وقيل عُجْمَتَه وَعَجْمَتَه: ما تعقَّد منه". وفي باب العين والشين والراء ٢٢٢/١ "عَرْش الكَرَم: ما دُعِم به من خشب". وفي باب العين والصاد والراء ٢٦٥/١: "وَعُصَارَة الشيء وَعُصَارُهُ، وَعَصِيرُهُ: ما تحلَّب منه، قال:

فَإِنْ الْعَذَارَى قَدْ خَلَطْنَ لِلْمَتَى عُصَارَةَ حِنَاءٍ مَعاً وَصِيْبِ

وقال:

إِذَا مَا أُلْضِجَتْهُ شَمْسُهُ وَأَنْى فَلَيْسَ عُصَارُهُ كَعُصَارِ

وفي باب العين والذال والراء ٥٤/٢: "عِذَار النَّصْل: شفرتاه" وفي ٥٥/٢: "وعِذْرَة الطعام: أراد ما يخرج منه فسيرى به". وفي باب العين والفاء والراء ٨٠/٢: "عُرْف الرمل والجبل وكل عال: ظهره وأعالیه، والجمع أعراف وعِرْفَة وقوله تعالى ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ (الأعراف-٤٦) قال الزجاج: الأعراف أعالي السور...". وفي

باب العين والراء والميم ١٠٤/٢: "عُرَام الجِيش: حَدَّهم وشَدَّقَهم وكَثَرَقَهم". وفي باب العين والراء والميم، مقلوبه م ر ع ١١٢/٢: "مما ريع الأرض: مكارمها". وفي باب العين والراء والياء، مقلوبه ر ي ع - راع ١٧٤/٢: "رَيْع البَذَر: فضل ما يخرج النَّزْل على أصله، ورَيْع الدَّرْع: فضول كُمِّيها على أطراف الأنامل. قال قيس بن الخطيم الأنصاري: مضاعفةً يَغْشَى الأنامل رَيْعُها كَأَنَّ قَتْرِيَّها عُيُونُ الجَنَادِبِ

وفي باب الحاء والقاف ٣٣٤/٢: "حُقُّ الكُهُول: بيت العنكبوت".

ومما يجدر ذكره أن ابن سيده كان يكتفي في بعض الأحيان في أداء المعنى بقوله معروف دون أن يبين المعنى كما في باب العين والميم ٥٣/١: "والعِمَامَة: معروفة". وفي باب العين والنون والباء ١٣٤/٢: "العنب: معروف... والعُنَّاب من التمر معروف". وفي باب العين والقاف ٢٩٢/٢: "والْبُرْقُعُ والْبُرْقُوعُ والْبُرْقُوعُ: معروف". وفي باب القاف والحاء والdal، مقلوبه ق د ح ٣٩٧/٢: "الْقَدَح من الآنية معروف".

وبعد وضع أيدينا على وسائله في أداء المعنى يجدر أن نلتفت إلى بيان ما زود به ابن سيده معجمه من معلومات أخرى لغوية غير الدلالة كالمعلومات الصوتية والصرفية والنحوية والعروضية ولهجية. وأقلها المعلومات الصوتية ومن أمثلتها قوله في باب الحاء والقاف والdal ٤٠٠/٢: "والحروف المحقورة: هي القاف والجيم والطاء والdal والباء، يجمعها جُدُّ قُطْب، سميت بذلك لأنها تُحَقَّر في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت وذلك لشدة الحفز والضغط وذلك نحو: الحق واذهب واخرُج، وبعض العرب أشد تصويماً من بعض". وفي باب العين واللام والواو ٢٥٣/٢: "والمستعلي من الحروف سبعة وهي الحاء والعين والقاف والضاد والصاد والطاء والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض، ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة منها مع استعلائها إطباق، وأما الحاء والعين والقاف فلا إطباق مع استعلائها".

أما المسائل الصرفية التي عالجها في المحكم فكثيرة تعكس كما في المخصص إحاطته بعلم الصرف اذكر ما تيسر منها كقوله في باب العين والهاء والضاد عن العضة ٥٩/١:

"ذهب الفارسي إلى أن عِضَّةً المحذوفة يصلح أن تكون من الهاء، وأن تكون من الواو؛ أما استدلاله على أنها تكون من الهاء فيما نراه من تصارييف هذه الكلمة كقولهم عِضاه، وإبل عاضهه. أما استدلاله على كونها من الواو فبقولهم عِضَوَات قال، وأنشد سيويه:

هذا طريق يأزم المأزما وعِضَوَات تقطع اللهازقا

قال: ونظيره سنة تكون مرة من الهاء بقولهم ساهت ومرة من الواو لقولهم سنوات واستنوا لأن التاء في استنوا، وإن كانت بدلاً من الياء فأصلها الواو، وإنما انقلبت الياء للمجاورة... والنسب إلى عِضَه: عِضَوِي وعِضَهِي، فأما قولهم عِضاهي فإن كان منسوباً إلى عِضَه فهو من شاذ النسب، وإن كان منسوباً إلى العِضاه فهو مردود إلى واحدتها وواحدتها عِضاهه، ولا يكون منسوباً إلى العِضاه الذي هو الجمع...". وفي باب العين والتاء والميم ٧٢/٢: "... قال سيويه لا يكسر عثمان لأنك إن كسرتَه أوجبت في تحقيره عُثَمِينَ، وإنما تقول عُثمانون فَتُسَلَّم كما يجب له التحقير عُثَمَان، وإنما وجب له في التحقير لأننا لم نسمعهم قالوا عثمانين فحملنا تحقيره على باب غضبان؛ لأن ما جاءت في آخره الألف والنون إنما هو على باب غضبان".

وفي باب العين والسين والياء في مقلوبه س ع ي ١٥٩/٢: "وَسَعِيَا - مقصور - اسم موضع قال ابن جني: سَعِيَا من الشاذ عندي عن قياس نظائره وقياسه سَعَوَى، وذلك أن فَعَلَى إذا كانت اسماً مما لامه ياء فإن ياءه تُقلب واواً للفرق بين الاسم والصفة، وذلك نحو: الشَّرَوَى والبَقَوَى والتقَوَى. فَسَعِيَا إذا شاذه في خروجها على الأصل كما شذت القصوى وحُزَوَى، وقولهم خذ الحلوى وأعطه المرى، على أنه قد يجوز أن تكون سَعِيَا فَعَلَلًا من سَعَيْت إلا أنه لم يصرفه لأنه علّقه على الموضع علماً مؤنثاً".

وإذا انتينا إلى المعلومات النحوية سنجد أن ابن سيده قد أفاض في ذكرها كلما لاحت له فرصة كما فعل مع المسائل الصرفية في المخصص، ففي باب العين والبدال من الثنائي المضاعف ٣٦/١: "العدد: مقدار ما يُعَدُّ والجمع أعداد وقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف- ١١) جعله الزجَّاج مصدراً، وقال: المعنى يعد عدداً، وقال: ويجوز أن يكون نعتاً للسنين، المعنى: ذوات عدد. والفائدة

في قولك " عدداً " في الأشياء المعدودات: أنك تريد تأكيد كثرة الشيء... فالعدد في قولك أقيمت أياماً عدداً تريد به الكثرة، وجائر أن تؤكد بعدد معنى الجماعة، في أنها خرجت من معنى الواحد، هذا قول الزجاج ". وفي موضع آخر من الباب نفسه ٣٦/١: " وعددت من الأفعال المتعدية إلى مفعولين بعد اعتقاد حذف الوسيط (يقصد حرف الجر) يقولون: عددتك المال، وعددت لك المال. قال الفارسي: عددتك وعددت لك، ولم يذكر المال ". وفي باب العين واللام في مقلوبه ل ع ع ٤٧/١-٤٨: " ومما ضوعف من فائه ولامه: لعل، وقال بعض النحويين: اللام زائدة مؤكدة، وإنما هو علّ. وأما سيبويه فجعلها حرفاً واحداً غير مزيد، وحكى أبو زيد أن لغة عُقيل: لعلّ زيد منطلق بكسر اللام الأخيرة من لعل، وجر زيد، قال كعب بن سعد الغنوي:

فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت ثانية لَعْلَ أبي المغوار منك قريبُ

وقال أبو الحسن الأخفش: ذكر أبو عبيدة أنه سمع لام لَعْل مفتوحة، في لغة من يُجرّ بها في قول الشاعر:

لَعْلُ الله يَمَكِّنِي عَلَيْهَا جَهَاراً مِنْ زَهْرٍ أَوْ أَسِيدِ

وفي باب العين والجيم والراء، في مقلوبه ر ج ع ١٩١/١: " وفي الترتيل: " إن إلى ربك الرجعى " (١)، وفيه " إلى الله مرجعكم جميعاً " (المائدة-٤٨)، أي رجوعكم، حكاة سيبويه فيما جاء من المصادر التي من فَعَلَ يَفْعَلُ على مَفْعَلٍ بالكسر، ولا يجوز أن يكون ها هنا اسم المكان، لأنه قد تعدّى بإلى، وانتصبت منه الحال، واسم المكان لا يتعدى بحرف الجر ولا تنتصب عنه الحال... ".

وفي باب العين والجيم والميم ٢٠٧/١: " وقالوا: حروف المعجم " فإن سأل سائل فقال: ما معنى قولنا " حروف المعجم "؟ هل المعجم وصف لحروف هذه، أو غير وصف لها؟ فالجواب: أن المعجم، من قولنا حروف المعجم، لا يجوز أن يكون صفة لحروف هذه من وجهين: أن حروفاً هذه، لو كانت غير مضافة إلى المعجم لكانت نكرة، والمعجم كما

ترى معرفة، ومُحال وصف النكرة بالمعرفة، والآخر: أن الحروف مضافة، ومُحال إضافة الموصوف إلى صفته، والعلة في امتناع ذلك: أن الصفة هي الموصوف، على قول النحويين، في المعنى، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة، وإذا كانت الصفة هي الموصوف عندهم في المعنى، لم يَجُزْ إضافة الحروف إلى المعجم؛ لأنه غير مستقيم إضافة الشيء إلى نفسه، قال: وإنما امتنع ذلك من قبل أن الغرض في الإضافة إنما هو التخصيص، والتعريف، والشيء لا تعرّفه نفسه؛ لأنه لو كان معرفة بنفسه، لما احتيج إلى إضافته، وإنما يضاف إلى غيره ليعرفه. وذهب محمد بن يزيد إلى أن المعجم مصدر بمتزلة الإعجام، كما تقول: أدخلته مُدْخَلًا... وحكى الأخفش أن بعضهم قرأ "وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرَمٍ" (الحج-١٨) بفتح الراء، أي إكرام، فكأنهم قالوا: هذه حروف الإعجام. فهذا أشد وأصوب من أن يُذْهَبَ إلى أن قولهم "حروف المعجم" بمتزلة قولهم: صلاة الأولى، ومسجد الجامع، لأن معنى ذلك صلاة الساعة الأولى أو الفريضة الأولى، ومسجد اليوم اليوم الجامع، فالأولى غير الصلاة في المعنى والجامع غير المسجد في المعنى، وإنما هما صفتان حُذِفَ موصوفاهما، وأقيما مقامهما، وليس كذلك حروف المعجم لأنه ليس معناه الكلام المعجم، ولا حروف اللفظ المعجم، إنما المعنى أن الحروف هي المعجمة فصار قولنا: حروف المعجم من باب إضافة المفعول إلى المصدر كقولهم هذه مطية ركوب، أي من شأنها أن تركب وهذا سهم نضال: أي من شأنه أن يناضل به، وكذلك حروف المعجم: أي من شأنها أن تُعْجَمَ.

وأكتفي بهذا القدر من المعلومات النحوية لأنتقل إلى المعلومات العروضية التي أعطاها ابن سيده اهتماماً زائداً في هذا المعجم، أصبح معه لا محل للتساؤل لِمَ قال ابن سيده في مقدمة المعجم "ولست الإحاطة بعلم كتابنا هذا، إلا لمن مهر بصناعة الإعراب، وتقدّم في علم العروض والقوافي" بحيث أستطيع القول إنه كان يتصدى للملاحظات العروضية في أي سائحة، ولو افتعالاً، ففي باب العين والحاء واللام ٧٥/١ بعد أن يذكر المعنى اللغوي لكلمة المخلّع ينتقل إلى معناها الاصطلاحي في العروض ويبين سبب إطلاقه فيقول: "والمخلّع من الشعر" مفعولٌ "في الضرب السادس من البسيط، مشتق منه، سمي بذلك لأنه خلّعت أوتاده في ضربه وعروضه لأن أصله "مُسْتَفْعَلُنْ" في العروض والضرب، فقد حذف منه جزءان، لأنه أصله ثمانية، وفي الجزئين وتَدان، وقد حذفت من "مستفعلن" نونه، فقطع هذان الوردان، فذهب من البيت وتَدان، وكان البيت خلّع، إلا أن اسم التخلّيع لِحَقِّه بقطع نون "مُسْتَفْعَلُنْ" لأنهما للبيت للبين فكأنهما يدان خلعتا منه".

وفي باب العين والقاف واللام ١١٩/١ يتحدث عن معاني العقل وما اشتق منه ويعرج إلى "العقل في العروض: إسقاط الياء من "مفاعيلن" بعد إسكانها في مُفاعِلَتُنْ" فيصير مفاعِلُنْ، وبيته:

مَنَازِلٌ لَفَرَثِي قَفَّارٌ
كَأَنَّمَا رَسُومُهَا سُطُورٌ

وفي باب العين والقاف والطاء في مقلوبه ق ط ع ٨٩/١ يعجل بذكر المعنى الاصطلاحي العروضي للمقطوع وقد بقي الكثير من معاني القطع ومشتقاته، إذ يقول: "والمقطوع من المديد والكامل والرجز الذي حذف منه حرفان، نحو: فاعلائن، ذهب منها "نن" فصار محذوفاً فيبقى فاعلن، ثم ذهب من "فاعلن" النون ثم سكنت اللام فنقل في التقطيع إلى "فعلن" كقوله في المديد:

إِنَّمَا الذَّلْفَاءُ يَاقُوتَةٌ أُخْرِجَتْ مِنْ كَيْسٍ دِهْقَانٍ

فقوله: "قان": "فعلن" وكقوله في الكامل:

وَإِذَا دَعَوْتُكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا

فقوله "ن خبالا": "فعلائن" وهو مقطوع. وكقوله في الرجز:

الْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ
وَالْقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ مَجْهُودٌ

فقوله: مجهود: "مفعولن".

أما المعلومات اللهجية فقد قلت لديه كقوله في باب العين والنون ٤٩/١: "وعنعة

تيم: إبداهم العين من الهمزة كقولهم عَنْ يريدون أَنْ وأنشد يعقوب:

فَلَا يُلْهِكَ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ وَاعْتَمِلْ لآخِرَةٍ لَا بُدَّ عَنْ تَصِيرُهَا

ولم يفت ابن سيده أن يذكر في آخر كل تقليب ما يعرفه من أسماء الأعلام من

الرجال والقبائل والنبات والمواضع كقوله في باب العين والحاء والراء ٧٤/١: "وابن

الخرع: أحد فرسان العرب وشعرائها". وفي باب العين والقاف والضاد، مقلوبه ق ض ع

٨٠/١: " وقُضاعة: أبو قبيله، سمي بذلك لانقضاعه مع أمه، وقيل: هو القَهْر، وقضاعة: اسم كلب الماء". ومن أسماء النبات كقوله في باب العين والقاف والسين ٨٤/١: " العَقَس: شجيرة تنبت في الثمام والمَرُخ والأراك تلتوي، والعَوْقَس: ضرب من النبت ". وفي باب العين والقاف والبدال ٩٧/١: " قال أبو حنيفة: المُقْعَدان: شجر ينبت نبات المقر، ولا مرارة له، يخرج في وسطه قضيب بطول قامه، وفي رأسه مثل ثمرة العرعر صلبة حمراء يتراعى به الصبيان، ولا يرعاه شيء ". وفي باب العين والقاف والراء في مقلوبه ع ر ق ١١٣/١: " وعِرْق وذات عِرْق، والعرقان، والأعراق، وعُرَيْق كلها مواضع ". وفي باب العين والقاف والباء ١٤٦/١: " نيقُ العقاب: موضع بين مكة والمدينة، ونجد العقاب: موضع بدمشق، قال الأخطل:

ويا مَنْ عن نجد العقابِ وياسرَت بنا العيسُ عن عذراءِ داربني الشَّجَب

ومما يجدر ذكره أنه استكثر من هذا الأمر، ولكن يؤخذ عليه أنه لا يعطي التعريف الكافي إلا ما ندر مع النبات خاصة.

أما الاحتجاج في المحكم فكان تقليدياً بمعنى أن ابن سيده قد التزم بأصول الاحتجاج المعهودة في العربية وهي القرآن الكريم، والحديث الشريف وشعر العرب ونثرهم وكان أغلب استشهادهم من الشعر فلا تكاد صفحة من المعجم تخلو من شاهد شعري ينص أحياناً على قائله، وأحياناً لا يسنده ويكتفي بالقول: قال، وإذا حكاه عن عالم لغوي فإنه يقول وأنشد. وقد يجتمع له في المدخل الواحد الاحتجاج بالقرآن والشعر والحديث، ويشير إلى الآية الكريمة بقوله " وفي التثريل " وإلى الحديث بقوله " وفي الحديث " ففي باب العين والقاف والنون في مقلوبه ق ن ع ١٣٢/١: " وقنع يقنع قنوعاً: ذلّ للسؤال، وقيل: سأل. وفي التثريل: " وأطعموا القانع والمعتر "^(١) فالقانع: الذي لا يسأل والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل، قال الشماخ:

لَمالُ المرءِ يُصلِحُه فيغني مفاقره أعفُ من القنوع

(١) ٣٦ - الحج.

.... وقيل: القُشوع: الطمع، وقد استعمل القُشوع في الرضا وهي قليلة، حكاها

ابن جني، وأنشد:

أَيَذْهَبُ مَالُ اللَّهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَنُعْطِشُ فِي أَطْلَالِكُمْ وَنَجُوعُ؟
أَنْرِضِي بِهَذَا مِنْكُمْ لَيْسَ غَيْرُهُ وَيُقْنَعُنَا مَا لَيْسَ فِيهِ قُشُوعُ؟

.... والقانع: خادم القوم وأجيرهم، وفي الحديث: " لا تجوز شهادة القانع "

أما الاحتجاج بكلام العرب فقد يذكر اسم من ينقل عنه كقوله في باب العين والقاف والنون في مقلوبه ن ق ع ١/١٣٥: " ومنه قول عمر ما على نساء بني المغيرة أن يُهْرَقْنَ من دموعهن على أبي سليمان، ما لم يكن نفع ولا لقلقة " وقد يذكر قال أعرابي، كما في باب العين والقاف والفاء ١/١٣٨: " وقفع أصابعه: أيسها وقبضها وبذلك سمي المقفع، ونظر أعرابي إلى قنفذة قد تقبضت فقال: أترى البرد قفّعها؟ أي قبضها "

أما عنايته بنسبة الأقوال إلى أصحابها فقد فاقه فيها الأزهري في حرصه الدائم على نسبة المعاني إلى أصحابها من اللغويين، ولا يعني ذلك أن ابن سيده قد أهمل هذا الأمر فقد كان ينقل عن اللحياني والخليل وابن الأعرابي وثلعب وابن جني وغيرهم ففي باب العين والقاف والميم ١/١٤٩ " قالوا: الملك عقيم، لا ينفع فيه نسب؛ لأن الأب يقتل ابنه على الملك، وقال ثعلب: معناه: أنه يقتل أباه، وأخاه، وعمّه في ذلك ". وفي باب العين والجيم والشين ١/١٧٣: " الجعشوش: الطويل، وقيل: الدقيق الطويل، وقيل: الدميم القصير، وقيل: هو منسوب إلى قَمَاءة وصِغَرِ قَلَّة، عن يعقوب، قال: والسين لغة (يقصد جعسوس). وقال ابن جني: الشين بدل من السين؛ لأن السين أعْمُ تصرُّفاً، وذلك لدخولها في الواحد والجمع جميعاً، فضيق الشين مع سعة السين، يؤذن بأن الشين بدل من السين، وقيل هو النحيف الضامر عن ابن الأعرابي، وقيل: هو اللثيم "

ويغلب عنده ذكر أسماء العلماء كسيبويه وابن جني إذا كان ينقل رأياً نحويّاً أو صرفياً ويقل عند النقل لبيان المعاني.

ولا يسعني في نهاية الحديث عن المحكم أن أقول إن ابن سيده قد بذل جهداً كبيراً في جمع مادته وترتيبها وتنظيمها وبيان معانيها، مع ما حفل به من التعليقات النحوية والصرفية والتخریجات العروضية، مقرونة بشواهد اللغوية.

٣-٢ المدرسة الألفبائية الصرفية التقليدية

جمهرة اللغة^(١) - لابن دريد (ت ٣٢١ هـ)

وصاحبها أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي المشهور بابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ) في كتابه جمهرة اللغة الذي ألفه لأبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال (ت ٣٦٢ هـ) الذي يبدو أنه تولى ولاية الأهواز بعد أبيه؛ إذ يقول ابن دريد في مقدمته ص ١ / ٣ إنه «ضَنَّ بعلمه أن يثَّه في غير أهله، بحيث لا يعرف كنه قدره حتى تنهت بي الحال إلى أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال.. فعاشرت منه شهاباً ذكياً وحكيماً متناهيّاً وعالماً متقناً... فبذلت له مصون ما أكننت وأبديت مستور ما أخفيت، وسمحت بما كنت به ضنيناً، بما كنت عليه شحيحاً؛ إذ رأيت لسوق العلم عنده نفاقاً ولأهله لديه مزيّة، فارتجلت الكتاب المنسوب إلى جمهرة اللغة». ويبدو أنه ألفه إملاءً إذ يقول ص ١/٣ من مقدمته: «وأملينا هذا الكتاب... وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة» وفي ص ١٤ في مقدّمة المحقق قال الميكالي: «أملى عليّ أبو بكر الدريدي (كتاب الجمهرة) من أوله إلى آخره حفظاً في سنة ٢٩٧ هـ، فما رأيته استعان بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف فإنه طالع له بعض الكتب».

وأما قوله: «وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة» فيعني أنه رتب المداخل ترتيباً ألفبائياً مخالفاً الترتيب الصوتي الذي جرى عليه كتاب العين الذي كان مُشكِلاً في نظره ولم يكن مألوفاً فاختر الترتيب والتأليف على الحروف المعجمة أي الألفبائية المعهودة «إذ كانت بالقلوب أعقب، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشفياً على المراد» وهو لم يجاوز الحقيقة فيما وصف فإن الترتيب الألفبائي للحروف مألوف ومحفوظ عند عامة الناس وخاصتهم فيسهل على الجميع البحث في معجمه فيصل إلى مراده دون مشقة وحيرة ولا يفوته بهذه المناسبة أن يقيم مقدّمته على التعريف بهذه الحروف في دراسة هي أقرب إلى علم الأصوات منها إلى

(١) جمهرة اللغة - لابن دريد الأزدي، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٤هـ.

علم المعاجم فقلّد مقدمة العين فهي (ص ٤ من مقدمته) قطب الكلام ومحرّ نجمه بمخارجها ومدارجها وتباعدها وتقاربها وما يأتلف منها وما لا يأتلف، وعلة امتناع ما امتنع من الائتلاف، و... وأنا مفسّر لك إن شاء الله تعالى ألفاظ الحروف المعجمة... " فيفتح في مقدّمته أبواباً: لمخارج الحروف وأجناسها: المصمّنة والمذلفة والحلقية... إلخ، وصفاتها: من الجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق، ويبيّن تألفها وعدمه على تقارب مخارجها وتباعدها، ويبيّن الحروف التي تتردّد زيادتها فيجمعها في (اليوم تنساه) ويبيّن مواقعها. وفتح في كل بناء أبواباً بعدد الحروف الهجائية ففي الثنائي الصحيح. فتح أول باب للهمزة ثم الباء إلى الياء وهكذا في الثلاثي والرباعي. هذا عن وصف طريقته بالألفبائية. أما وصفها بأنها صرفية فهو مراعاة للتقليد الذي ابتدعه الخليل في العين، ولم يخالفه ابن دريد فقسّم كتابه تقسيماً صرفياً راعى فيه عدد الحروف الأصلية للمداخل وقد نبّه في مقدّمته ص ١ / ٣ إلى ترتيبه الألفبائي للحروف عند تقسيمه المداخل تقسيماً كمياً صرفياً بقوله: « فمن نظر في كتابنا هذا فأثر التماس حرف ثنائي فليبدأ بالهمزة والباء إن كان الثاني باء ثقيلة أو الهمزة والتاء وكذلك إلى آخر الحروف » يقصد أنه فتح لكل حرف باباً، كباب الهمزة التي أجراها مع بقية الحروف، أي الهمزة مع الباء ثم الهمزة مع التاء حتى وصل إلى الهمزة مع الياء. وبعدها فتح باباً للباء وأجراه مع بقية الحروف وهكذا، إذ يذكره ص ١ / ٢٢ بقوله: « باب الباء وما يتصل بها من الحروف في الثنائي الصحيح » وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يصل الهمزة بما بعدها ولم يفتح باباً للهمزة مع الهمزة مثلاً، وقد ساد هذا النهج مع بقية الأبواب، إذ يصل الباء مع التاء، وهكذا الأمر مع كل أبواب الحروف بمعنى إنه يبدأ في باب التاء: بالتاء مع التاء، وفي باب الثاء: بالثاء مع الحاء إلى أن يصل إلى باب الواو الذي يبدؤه بالواو والياء ويجعل الهاء بعدها مع الياء؛ لذلك نجدّه يُعَنُون كل باب بعد باب الباء بقوله: باب حروف التاء وما بعدها. ويبدأ مباشرة بـ (ت ث ث) ١ / ٣٩. وفي باب الثاء يذكر: باب حرف الثاء وما بعدها من سائر الحروف في الثنائي الصحيح. ويبدأ مباشرة بـ (ث ج ج) حتى يصل إلى (ث ي ي) ثم باب حرف الجيم وما بعده، ويبدأ بـ (ج ح ح).

ويبقى أن نأتي على مقصوده من الثنائي الذي يقسمه إلى ثنائي صحيح نحو: بتّ ويقول عنه ١ / ١٣: « لا يكون حرفين البتة إلا والثاني ثقیل حتى یصیر ثلاثة أحرف، اللفظ الثنائي والمعنى ثلاثة، وإنما سمي ثنائياً للفظه وصورته، فإذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة والثاني حرفين مثلين أحدهما مدغم في الآخر نحو (بتّ يبتّ بتاً) في معنى قطع، وكان أصله بتّ، فأدغموا التاء بالتاء، وأصل وزن الكلمة فَعَلَ وهو ثلاثة أحرف ». أما القسم الثاني أو النوع الثاني من الثنائي فهو الملحق ببناء الرباعي المكرر ١ / ١٢٤ ويبدو به بالباء نحو: ب ت ب ت، و ب ث ب ث و ب ج ب ج إلى أن يصل إلى: هـ ي هـ ي. وأما الهمزة فيفتح لها باباً خاصاً بعد أن ينتهي من أبواب الثنائي المكرر، ففي ١ / ١٦٧ يذكر (باب الهمزة وما يتصل به من الحروف في التكرير) ويبدو به (ب أ ب أ) ثم (ت أ ت أ) إلى أن ينهي الباب — (ي أ ي أ). والملاحظ في هذا الباب أنه يأتي بمعكوس الهمزة مع الحروف، وللحقيقة أنه لم يفته التنبيه إلى ذلك حيث يذكر في بداية باب الثنائي الصحيح ١ / ١٤ في باب الهمزة مع الباء وما يتصل بها نحو (أ ب ب) الذي لم يذكر معكوساته فيقول: « وكان الذي يجب في هذه الأبنية أن نسوق معكوسها فنجعله باباً واحداً، فكرهنا التطويل فجمعناه في باب الهمزة وسترناه إن شاء الله تعالى »، وهو الباب المشار إليه آنفاً في ١ / ١٦٧.

وأما القسم الثالث من الثنائي فهو باب الثنائي المعتل وما تشعب منه الذي يفتح له باباً في ١ / ١٦٩ - ١٩٣ ويبدو أنه يجعل الهمزة ضمن حروف العلة في هذا الباب، ويرتب مداخل هذا الباب حسب الترتيب الأبجدي للصوامت ويبدأ بحرف الباء مع أ و ي، أي مع الهمزة والواو والياء ثم التاء فالتاء حتى يصل إلى الهاء مع هذه الحروف، ومن ينظر إلى المداخل سيجد أنها من باب الثلاثي المعتل نحو بَاء (أجوف) في (ب أوى) وتَوِي (لفيف مقرون) في (ت أوى) وثَوِي في (ث أوى)، وخَوِي في (خ أوى) وذَوِي في (ذ أوى) ... وهَي (لفيف مفروق) في (هـ أوى) وثلاثية الأمثلة أو المداخل لا مشاحة فيها، فوضعها في الثنائي ليس له أي مسوغ علمي صر في كما فعل ابن دريد في بتّ

وأمثالها، وما ألحقه بالثنائي من الرباعي المكرّر نحو بَرَبْرًا وأمثالها، وكان الأحرى أن يضع ما اصطلاح على تسميته بالثنائي المعتل في باب الثلاثي المعتل.

والبناء التالي هو الثلاثي الذي يقول عنه ص ١ / ٣ من مقدمته: « وأما الثلاثي فإننا بدأنا بالسالم منه فمن أحب أن يعرف حرفاً من أبنيته مما جاء على فَعْلٍ وفُعْلٍ وفِعْلٍ وفَعْلٍ وفُعْلٍ وفَعْلٍ وفِعْلٍ فليبلغ ذلك في جمهور أبواب الثلاثي السالم، ومن أراد بناءً يلحق بالثلاثي بحرف من حروف الزوائد فإننا قد أفردنا له باباً في آخر الثلاثي تقف عليه مع المعتل إن شاء الله » فيفتح باباً للثلاثي الصحيح وما تشعب منه في ١ / ١٩٣ ويبدأ بالباء مع ما يليها من الحروف نحو: ب ت ث ثم ب ت ج، و: ب ت خ... وهكذا حتى ينتهي إلى ب ت ي. وبعد ذلك يفتح باباً للباء مع التاء مع سائر الحروف في الثلاثي الصحيح ١ / ١٩٩ ويبدأ ب: ب ت ج ثم ب ت ح.. حتى يصل إلى ب ت ي ثم يفتح باباً للباء مع الجيم مع ما يتصل بهما من الحروف في الثلاثي الصحيح ويبدأ ب: ب ج ح وبعدها ب ج ح حتى يصل إلى ب ج ي.

وهكذا يصل إلى باب الباء والياء وما بعدهما حتى ينتهي به الأمر^(١) (٣ / ١٨٣ ط) دار صادر إلى أن يأتي على باب بعنوان حرف الواو في الثلاثي الصحيح (باب الواو والهاء والياء) ويذكر الوهي التي ذكرها في باب الثنائي المعتل. وهكذا يصل إلى باب الباء والياء وما بعدها في باب هـ أوى بتوسع أكبر، وينتهي البابين بهذا المدخل. ومما يلاحظ في هذا الباب أنه لم يقتصر على الثلاثي السالم كما أشار في مقدمته أو كما جاء في عنوانه (أبواب الثلاثي الصحيح) ففي كل ما تشعب من هذا الباب كان ينتهي بالواو والياء وهذا مما يجب أن يكون في الثلاثي المعتل.

والملاحظة الثانية أنه لم يسر في ترتيب التقليلات على منهج ثابت والمفترض أن يلتزم بالترتيب الألفبائي، بمعنى أن يقدم بالتقليب الذي يبدأ بالحرف الأول ألفبائياً بالتقدم ففي باب ب ت هـ بدأ ب: هـ ب ت وثني ب: هـ ت وكان الأولى أن يبدأ ب: هـ ت ويثني ب: هـ ب.

(١) انظر: الجمهرة، ط دار صادر، ١٨٣/٣.

والملاحظة الثالثة: أنه يذكر المستعمل من التقاليد دون النص بالقول: ومن معكوسه ولا ينبه إلى التقليبات المهمة كما اعتاد عليه في الثنائي إذ كان يذكر الجذر وينبه إلى التقلب الذي يليه بقوله ومن معكوسه أو واستعمل من معكوسه.

الملاحظة الرابعة: في الوقت الذي جعل فيه المعتل ضمن السالم كما أشرت في الملاحظة الأولى فإنه بدأ بالمدخل التي تبدأ بالباء على النهج الذي بينته آنفاً ويكون بذلك قد تخطى الهمة.

ومما يُلحَقه بالثلاثي ويفتح له باباً خاصاً ما وصفه بقوله^(١): « هذا باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلاً في موضع العين واللام، أو العين والفاء، أو الفاء واللام من الأسماء والمصادر وما تشعب منه، وهو ملحق بما مضى من الثلاثي الصحيح » ويبدو هذا الباب لأول وهلة أنه تكرار لباب سابق في الثنائي الصحيح حيث تتشابه صور المدخل فكلاهما يُفْتَتَح بيباب الباء ويبدأ الباب بمادة ب ت ت وتليها ب ث ث ولكن في الثنائي الصحيح يُدْغَم المتماثلان والمدخل يصبح ب ت، وبث مثلاً بينما في هذا الملحق بالثلاثي لا يدغم الحرفان المتماثلان والمدخل يظل ب ت ت أي ب ت، و ب ث ث أي بث وهكذا تقاليدها تَبَب، وأما بث فمهمة وتليها بَجَج (ب ج ج) ومقلوبها (جَبَب) ثم ب ح ح التي أهملت واستعمل مقلوبها حَبَب وهكذا حتى يصل إلى باب الميم^(٢) وفيه: م ن ن، و م و و، مهملان وكذلك م ي ي والمستعمل الذي يذكره م ه ه، وبعدها ينتقل إلى باب النون التي أهملت مع الواو والهاء والياء، ولا بد من ملاحظة أنه ظل محافظاً على نهجه في وصل حرف الباب بما بعده ويترك اتصاله بما بعده فلم يذكر إلا النون مع الواو والياء والهاء.

ويلحق بالثلاثي الصحيح أيضاً بقوله في ٣ / ١٩٨ ط صادر: « هذا باب ما كان عين الفعل فيه أحد حروف اللين » ويذكر مجموعة من المفردات يمكن عدّها لقلتها (١٤)

(١) ط دار صادر: ١٨٣/٣.

(٢) السابق: ١٩٨/٣.

مفردة) دون تبويب وإن كانت مرتبة ألفبائياً وهي: الباب، والبيب، وتات، وثاث، وخاخ، والرار، والسوس، والغاف، والفوف، والقوف، والقاف، والموم، والنون، والهوه. ولا يكتفي بذلك بل يلحق بالثلاثي الصحيح أيضاً ما كان فيه حرف من حروف اللين (٣ / ١٩٩ ط صادر) ويفتح للباء باباً ويعنونه بقوله ٣ / ١٩٩ « باب الباء في المعتل (١ - ١ -) ب ت واي وكأنه يلحق هذا المعتل بحرف بالثلاثي الصحيح وهنا يجعل الهمزة من حروف العلة أيضاً ويقوم هذا الباب على المداخل المكوّنة من ثلاثة حروف: اثنان صامتان (صحيحان) والثالث حرف علة نحو أبت، وجبي، وحبا، وخبا،... وما تيسر من معكوساتها. وهذا باب على عكس ما فتح له باباً^(١) (في ١ / ١٦٩ ط مكتبة الثقافة الدينية) وسماه باب الثنائي المعتل وما تشعب منه ومداخله نحو: باء وتوى، وثوى، والوحى وذوى وروى.. إلخ. وهو مكوّن أيضاً من ثلاثة حروف، اثنان منها معتلان والثالث صامت (أو صحيح)، ويبدو أنه يعد الهمزة حرف علة كما سبق أن ذكرت في موضع سابق عند الحديث عن القسم الثالث من الثنائي (ص ٣). ويحسن أن نقتطف مثالين من البابين للمقارنة والتوضيح. فمن باب الثنائي المعتل وما تشعب منه نأخذ الثاء مع الهمزة والواو والياء (ث أوي) ١ / ١٧٠ (طبعة المكتبة الثقافية الدينية): « (ثوى) يَثْوِي ثَوِيًّا إذا أقام بالمقام، والاسم الثواء ممدود - قال الشاعر - الشَّمَخ بن ضرار الغطفاني:

طال الثَّواءُ على رَسْمِ يَمؤود أودى وكل جديد مرة مُودي

والثَّوِيَّةُ - اسم موضع معروف قريب من الكوفة فيه - قبر زياد بن أبيه. والثَّوَّةُ مثل الصَّوَّةِ خِرْقَةٌ تُجعل تحت الوطْب إذا مُخِضَ ثَقِيهِ من الأرض، والثاية غير مهموز - ظُلَّةٌ يتخذها الراعي من أغصان الشجر - ثوى بالمكان وأثوى - أجاز ذلك أبو زيد، وأباه الأصمعي ثم أجازته - والمثوى الذي يثوي فيه الرجل وهو مقصور - وأُمُّ مثوى الرجل صاحبة منزله الذي يترله. ويقال - وَثَّتْ يد الرجل فهي مَوْثُوَّة - والمصدر الوثوء

(١) الجمهرة: ط مكتبة الثقافة الدينية: ١٩٦/١.

مهموز - وَوَتَاتُهَا أَنَا أَنُوْهَا وَتَأُ وَالتَّأِي - الفساد - ومنه قولهم (اللهم ارأبْ تأونا) أي أصلح فسادنا. وأتا الرجل لصاحبه - إذا سبعة عند السلطان خاصة، يَأْتُ، أَتَوْا - ويَأْتِي أَتِيًا «.

والمادة نفسها نجدها في الأبواب الملحقه بالثلاثي الصحيح بسبب وجود حرف علة فيها في ٣ / ٢٢٠: (ثَ وَ - و - ا - ي): (الثَّوَاء) المُقام في الموضع ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً، وَالمَثْوَى الموضع الذي يُثْوَى فيه.

وأنا فلان بفلان يَأْتُ أَتَوْا وأتى يَأْتِي أَتِيًا إذا سبعة عند السلطان خاصة. والثَّوَّة مثل الصُّوَّة من الأرض، وهو ارتفاع من الأرض وغلظ، وربما نصبت فوقها الحجارة ليهتدي بها «.

والفرق واضح بين النصين من حيث كميته أولاً، هذا غير التكرار الذي يدل على اضطراب منهجي، ثم هذا الخلط بين مشتقات المادة بحيث يلتبس الواوي بالمهموز خاصة في النص الأول، الذي خلا من التنصيص على التقلبات، ولم يتفق النصان إلا في ثلاثة سياقات اكتفى بها ابن دريد بذكرها في النص الثاني، وهي: ثوى، وأتا، والثَّوَّة. ويبدو أن هذا الاضطراب المنهجي والخلط بين مشتقات المادة الواحدة قد تكرر بين هذين البابين انظر مثلاً كذلك مادة (جَ أوى ١ / ١٧١) في الثنائي المعتل، ومادة (جَ وَ - و - ا - ي ٣ / ٢٢٩) من الملحق بالثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين الذي التزم بتسميته في الصفحات التالية بقوله مثلاً باب الباء في المعتل، ثم باب الثاء في المعتل، باب الجيم في المعتل وما تشعب منه حتى إنه يصرح مرة بقوله في ٣ / ٢٢٠: «انقضى الثاء في الثلاثي المعتل» وهذه هي التسمية الصحيحة التي كان يجب أن يلتزم بها. وينتهي هذا الباب بقوله في ٣ / ٢٦٨ بعد باب الواو في المعتل (وَ هَ - و - ا - ي): مضى، بقصد إنه قد مضى ذكره في باب الثنائي المعتل في مادة هَ - أ وَ يَ في ١ / ١٩٢ ومنه مادة وهى «.

قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: هذا آخر الثلاثي سالمه ومعتله وذوي الزوائد منه، وإنما أمللنا هذا الكتاب ارتجالاً، لا عن نسخة ولا تخليد في كتاب قبله؛ فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك، فيعذر إن كان فيه تقصير أو تكرير... ورأينا أن نصل ما تقدّم مما

تقدّمنا به هذا الباب بأبواب الهمز؛ لأنه قد شاب ذلك منها، فأردنا أن ننسق بعضها على إثر بعض...».

فهو يقر بما حصل من خلط بين المواد المهموزة والسالمة والمعتلة فأراد أن يميز المهموز ففتح باباً سّماه باب النوادر في الهمز ٣ / ٢٦٩ وأول باب فيه باب الألف في الهمز، فباب التاء في الهمز، فباب الثاء في الهمز إلى أن يصل إلى باب الهاء في الهمز الذي ينهيه بقوله في ٣ / ٢٩١: «ثم هذا النوع من الهمز»، واعتاد في هذه الأبواب أن يبدأ بالمدخل الذي أوله حرف الباب فباب الحاء مثلاً يبدأ بـ «حلاً» أي الحاء ثم قد تكون الهمزة ثانية نحو سَاب وضُؤْل، وقد تكون الهمزة ثالثة نحو حلاً وكلاً...

وبعد ذلك يفتح باباً للّفيف في الهمز ٣ / ٢٩٢ في ثلاث صفحات من القطع الكبير ويورد ما يورده دون ترتيب فيبدأ بقوله ١ / ٢٩٢: «وزأت الإناء توزئاً إذا ملأته» وتقول أسبأت لأمر الله إسبأ إذا أخبت له قلبك «وبعدها مباشرة يقول: ومما جاء من المقصور المهموز: الرّشأ الظي - قال الشاعر:

جارية كالرشأ الأكحل

والفرأ ولد الحمار الوحشي - قال الشاعر: فصرت كأنني فرأ مُتار، أراد متأراً فخفف الهمز...».

والجدير بالذكر أنه قد أورد مادة وزأ في الباب السابق (باب النوادر في الهمز) في باب الواو في الهمز ٣ / ٢٩٠ وكذلك وردت «أسبأ» في باب السين مع الهمز ٣ / ٢٨٣، ويستكمل باب اللّفيف، كما عنونه ببعض المفردات نحو: خطأ وكلاً وملاً وهدأ وسبأ وحدأ ونبأ، ثم يفتح أبواباً صغيرة غير محدّدة تحت عنوان واحد هو «ومن غير هذا الوزن» ويذكر تحته ألفاظ: فئة، وسئة القوس، ورئة ودابة مهموز ومائة والصيئة، ثم يذكر «ومن غير هذا الوزن الجؤجؤ والبؤبؤ والضؤضؤ واليؤيؤ» وهكذا إلى أن ينتهي إلى القول ٣ / ٢٩٤ «قد مضت جملة من جمهور الهمز المتصل بأبواب الثلاثي». ويذكر اسم الباب القادم بقوله: وهذه أبواب الرباعي الصحيح السالم من حروف اللين...».

وبعد ذلك يضع عنواناً لهذا الباب وهو « أبواب الرباعي الصحيح »
 ٣ / ٢٩٥ يفتتحه « باب الباء والتاء مع ما بعدهما » ويذكر تحته كلمات (مداخل) دون
 ترتيب، تشترك في حرفي الباء والتاء فقط نحو: جُعْتُب، وحَبْتُل، وُبَحْتُر وحَبْر وسَحْتُب
 والحَبْتَقَة وحَبْتُك، وحَلْتُ وبَحْتُر وبَحْتُرْب وحَبْتُل والحَبْتَلَة والحَبْتُب، وتَبْرُد ودَعْتُب وتَدْرَب
 والسَبْرَت والسَبْرُوت والسَبْرِيَت وترعَب والعَرَبَت وتَبْرُك وكَبْرِيَت وترَبَل وهَبْر ورَبْل
 والسَبْتَل والسَنْبَت وصُعْتُب والعَتَبَل والكُتْبَت ونَبْتَل والهَنْبَتَة. ويليه باب الباء والتاء في
 الرباعي الصحيح ثم باب الباء والجيم في الرباعي وهكذا يفتح لكل حرف باباً مع الحروف
 التي تليه حتى يصل إلى باب الكاف في الرباعي ولا يذكر سوى ثلاث كلمات وهي:
 الكلمة واحدة الكلم، وكَهْمَل ثقيل وخم، وكنْهَل موضع. ويذكر بعد ذلك ٣ / ٣٤٧:
 « انقضى الرباعي السالم » ويفتح بعد ذلك ٣ / ٣٤٨ باباً للرباعي سَمَاه باب من الرباعي
 فيه حرفان مثالان نحو: دَرْدَق، ودَهْدَقَه وكَرْكُم والدَّرْدَبَة والقرقل والكركسة وجرجم
 وتقرقم... ثم يقول ومن هذا الباب ٣ / ٣٤٩ نحو: شُرْب ودُعْب وحُلْب وينهيه بكلمة
 جُدْجُد. ويفتح باباً صغيراً (٣ / ٣٤٩ - ٣٥٠) كذلك بعنوان باب ما جاء من الرباعي
 على فَعْلٍ وفِعْلٍ وفُعْلٍ، وإن كان لفظه ثلاثياً فهو رباعي يلحق ببناء فَعْلَعْل.. فمنه
 عَكَب... وبَعِير خَرَب... وهَجَف... وفي ٣ / ٣٥٠ يفتح باباً قصيراً أيضاً بعنوان (ومما
 يلحق بالرباعي) نحو فرس سَبَطَر وأسد ضَبَطَر وبَعِير قَمَطَر... وينهيه بكلمة هَرَقْل وبعده
 يفتح باباً ٣ / ٣٥١ بعنوان باب ما جاء على فِعْلٍ وفَوْعْلٍ نح: رجل حَيْفَس (ضخم)...
 ورجل زَيْفَن طويل... وجَوْرٌ وزَوْرٌ...».

وبعده باب ٣ / ٣٥١ بعنوان « باب ما جاء على فُعْلٍ لفظه الثلاثي وهو
 الرباعي » نحو: غُرْبٌ وغَبْر.. ويفتح بعد ذلك باين أولهما باب فَعْلٍ وهو قليل نحو
 خَضَّم، وباب ما جاء على فُعْلٍ نحو هُدَبَد (٣ / ٣٥٢ - ٣٥٣) ثم يفتح باباً سماه باب ما
 يلحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد ٣ / ٣٥٣ ويوزعه على أبواب يفتحها للأوزان
 نحو باب ما جاء على فِعْلٍ وفَقْلٍ وفَوْعْلٍ وفَعْلَى من الأسماء والصفات، وكذلك فُعْلَى
 وفَعْلَى، وعلى فَعْلٍ، وما جاء في الشدة والصلابة، والسرعة، والمضاء، والسعة والسهولة،

وما جاء على فَعْلٌ وفِعْلٌ وفِعْلٌ، ثم وما يلحق بهذا الباب، وباب من الزوائد، ويلحق بهذا الباب، وباب ما جاء على فَعْلٌ وفِعْلٌ، وباب ما جاء على فَعْلٌ من الخماسي، وعلى ما جاء على فَعْلٌ، وما جاء على فَعْلٌ ويذكر الأوزان ويفتح لها أبواباً حتى ينتهي به الأمر بقوله هذا آخر أبنية الخماسي وهو وزن يَفْعِل، وبعده يفتح باباً للملحقات بالخماسي بقوله ٣ / ٣٩٩: « هذه أبواب ألحقت بالخماسي بالزوائد التي فيها، وإن كان الأصل على غير ذلك، ويوزعه على أبواب للأوزان حتى ينتهي منها في ٣ / ٤٠٥ بقوله « انقضت أبواب الخماسي » وبعدها أبواباً للأوزان يسميها أبواب اللفيف ٣ / ٤٠٦ ويبيّن لم سماها كذلك بقوله ٣ / ٤٠٦: « وإنما سميها لفيفاً لقصر أبوابه والتفاف بعضها على بعض » ويفتح أبواباً للأوزان نحو فَعْلِي... وفَعْلُول. وهي أوزان كثيرة تخللها أبواب دون عناوين ويُكتفى بكلمة (باب)، وبـ « مما يلحق بهذا الباب » ثم باب جمهرة من الاتباع ٣ / ٤٢٩ يقال (هذا جائع نائع)، وعطشا ونطشان، وفي ٣ / ٤٣١ (باب الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين إنها لغات)، يقال جذب وجذب وما أطيبه وأيطبه وربض ورضب ثم (باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة) ٣ / ٤٣٤: وكان الأصمعي يشدد فيه ولا يجيز أكثره وفي ٣ / ٤٤٠ (باب ثم تحيء حروف تختلف معانيها) وفي ٣ / ٤٤٦ (باب ما يذكر من الأطعمة)، وفي ٣ / ٤٤٧ (باب ما جاء على لفظ الجمع ولا واحد له)، و(باب ما تكلموا به مصغراً)، وفي ٣ / ٤٤٩: « باب حواليك ودواليك)، و(باب من النوادر) ويستمر في ذكرهما حتى يفتح باباً بعنوان قال الأصمعي أسماء رحاب الشجر) ٣ / ٤٦٧ وبعده (باب من اللغات عن أبي زيد) ٣ / ٤٧٢ و(باب من النوادر) ٣ / ٤٧٣ ثم يعود (باب من اللغات عن أبي زيد) ٣ / ٤٨٤ وفي ٣ / ٤٨٩ يفتح أبواباً لأسماء الأيام في الجاهلية، وباب لأسماء الشهور في الجاهلية، ولأسماء القداح قداح الميسر، وباب ما يستعار فيتكلم به في غير موضعه، وعدة أبواب بعنوان باب منه آخر. وفي ٣ / ٤٩٤ يفتح باباً لا صلة له بالخماسي ويسميها باب ما يتكلم به بالصفة وتلقى منه الصفة فيفضي الفعل إلى الاسم ويدّؤه بقوله: « قال أبو زيد: تقول العرب بتُّ بهذا المنزل وبُتّه وظفرت بالرجل وظفرته.. وثويت بالبصرة وثويتها.. كل هذا من كلام

العرب « إلى أن يصل إلى باب بعنوان « باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة » ٤٩٩ / ٣ ويذكر ألفاظاً كثيرة منها البُهرج: الباطل وهو بالفارسية نبهره - والدشت: الصحراء، والبستان... ومن الروميّة قومن وهو الأمير ٥٠١ / ٣ والسجنجل والقرايد والخندريس والقسطاس، ثم يرجع إلى الألفاظ الفارسية كالقيروان الجماعة وهو بالفارسية كاروان... ويذكر مما أخذ من السريانية ٥٠١ / ٣ ويذكر تحته ألفاظاً من الفارسية أيضاً كالخندق معرب كنده.. والاستبرق استروه... وذكر ألفاظاً كثيرة من عدة لغات في رأيه. إلى أن يصل إلى باب ما وصفوا به الخيل في السرعة ٥٠٥/٣، وإلى باب ما وصفوا به النساء ٥٠٧ / ٣ وباب ما زادوا في آخر الميم ثم أبواب من الواحد والجمع ويأتي بأوزان وجموعها ٥٠٨ / ٣ - ٥٠٩، ثم باب المنقوص وبعده مباشرة باب ما كان على أربعة أحرف ٥١٠ / ٣ « نحو مفتح ومفتاح فكل ما رأيت أنه يحتمل زيادة ألف وياء ثم جمعته زدت فيه ياء نحو قولك مفتاح ومفاتيح... » ثم يذكر أوزاناً وجموعها.

وينتهي كتابه ببيان عدد المفردات التي يمكن الحصول عليها من تقلبيات الثلاثي والرباعي والخماسي.

وينتهي ابن دريد كتابه بمثل ما بدأه بقوله ٥١٤ / ٣ « وإنما كان غرضنا في هذا الكتاب قصْدَ جمهور اللغة وإلغاء الوحشي المستنكر، فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئاً لم ينكر علينا ذلك لأننا أملينا حفظاً، والشذوذ مع الإملاء لا تدفع » وما جاء في آخر الكتاب يثبت أنه خالف مقصده وأحدث تخليطاً واضطراباً في خطته وأنه لم يرجيء الوحشي المستنكر ولم يقم بإلغائه بل استزاد منه في أبواب عشوائية لا رابط بينها، خاصة في آخر الكتاب حتى إنه ينبّه للغريب أحياناً كما في قوله ٤١٨ / ٣: « في باب ما جاء على مفعال، وهو كثير وإنما كتبنا منه ما يستغرب »، والمستنكر والوحشي في الكتاب لا يحتاج إلى بحث فهو مبذول بكثرة تفوق الحصر في الرباعي وما يليه من أبواب.

وبقي الركن الثالث في هذا النوع من التأليف المعجمي ألا وهو التقليل، الذي لم يذكره في مقدّمته كما ذكر ترتيبه الألفبائي وتقسيمه الصرفي للأبنية، وهما الركنان

الأول والثاني، ولكنه تبني التقلب عملياً وتطبيقاً دون الإشارة إليه نظرياً، وبدأ ذلك في الثنائي في باب الباء وليس في باب الهمزة إذ كان يبدأ بوضع الجذر تحت أول الحروف ترتيباً وهو الحرف الذي يفتح له الباب كالباء تبدأ بـ: ب ت ت وليس بـ: تـب، ثم يذكر التقلب بقوله ومن معكوسه أو واستعمل من معكوسه وقد يبدأ بالمعكوس كما في الثلاثي ل هـ هـ ١ / ١٢٢ الذي يبدوه بقوله: من معكوسه - هل الهلال - وأهل هلاً... إلخ» وفي أحيان أخرى كان يذكر التقلب دون التنبيه على أنه معكوس كقوله في باب الجيم والراء من الرباعي ٣ / ٣٢٣: «... وسهجر إذا عدا عدو فزع واسجهر كذلك، وهجرس ولد الثعلب وأسد جرهاس غليظ شديد وجرشح منتفخ الجنبين من الخيل وغيرها والشرجع الطويل ويسمى النعش شرجعاً أيضاً». ومما يجدر ذكره أنه كثيراً ما كان ينص على أن هذا الجذر مهمل نحو: ر ل ل من الثلاثي ٣ / ١٩٢: «مُهْمَل». وفي أحيان أخرى كان يبدأ الجذر بقوله استعمل من وجوها... (انظر الأبواب من ٣٧٣/٢ - ٣٨٦، ٣ / ٣١٠ - ٣٢٧).

وانتقل الآن إلى تحرير النص المعجمي عند ابن دريد وأبدأ بالضبط والناظر في جمهرة اللغة يجد أن ابن دريد لم يحرص على ضبط الكلمات كلها، وإنما يضبط بعضها ويترك بعضها الآخر، فضلاً عن أنه قد يضبط بعض الكلمة ويترك جزءها الآخر واكتفي بنموذج واحد أنقله كما جاء مضبوطاً في الجمهرة ويعطي الملاحظات السابقة وذلك من الثنائي الصحيح جذر ل هـ هـ ١ / ١٢٢ (طبعة مكتبة الثقافة الدينية) حيث يبدوه بقوله: «من معكوسه - هل الهلال - وأهل هلاً وإهلاً. ورفع الأصمعي هل وقال - لا يقال إلا أهل - وأهللنا نحن إذا رأينا الهلال - وأجاز أبو زيد هل الهلال وأهل وثوب هل - إذا كان رقيقاً - وامرأة هل إذا تفضلت في ثوب واحد في بيتها - وقال: أناة تزين البيت إما تلبست وإن قعدت هلاً فأحسن بها هلاً

وهل السحاب - إذا أمطر - وأهل للجمع - وللام والهاء مواضع في التكرير والاعتلال تراها إن شاء الله». ويبدو أننا كلما تقدمنا مع الكتاب تناقص اهتمامه بالضبط شيئاً فشيئاً فلو أخذنا مثلاً على ذلك من الجزء الثاني (ط. دار صادر) مادة خ م و

٢/٢٤٣: « (رجل وخم) ووخم بين الوخامة إذا كان ثقیلاً وقد قالوا وخم بين الوخوم وجمع وخم وخام وأوخام ووخم يوخم واستوخمت هذا الطعام إذا استثقلته ومرعى وخيم إذا كان لا ينجع في الماشية » بدأ بمقلوب أو معكوس خ م وَ دون أن يقدم كلمة معكوسة، وكاد أن يتخلى عن الضبط لولا ثلاث حركات، أكاد أقول إنها وردت عفواً لا عن قصد وتصميم، مع أن النص فيه كلمات لا يُفك التباسها سوى الضبط نحو رجل وخم، بين، ووخام، واستوخمت....

ويبدو أنه كان مضطراً في بعض الأحيان لوضع الحركات مع النص عليها إذا كان للفظ أكثر من نطق كما جاء في باب دَقَ ن ٢ / ٢٩٤: « (الدانق) معروف بكسر النون وهو الأفصح وفتحها وكان الأصمعي يأبى الفتح ».

لاشك أن معاني المفردات هو أكثر ما يُعنى به المعجمي، بعد إثبات وجود هذه المفردات في لسان العرب، ويعاني من أجل ضبط العلاقة بينها وبين ما تدلُّ عليه، أي الربط بين المدخل المعجمي ودلالته الصحيحة الدقيقة، فوصف المعنى وتثبيته يحتاج إلى أن يجمع بين الدلالات المحددة والمرسومة للألفاظ وبين معانيها المتطورة من خلال استعمالها المتجددة. ولا يخفى أن الدلالة المعجمية يحركها النطق بالألفاظ فتخضع في تحديد معناها إلى جملة من العوامل أو المؤثرات الصوتية والاجتماعية والنحوية والصرفية؛ بمعنى القاموسي يظل قاصراً بحاجة إلى الاستعانة بالسياق والتوظيف في الاستعمال من أجل تحديد المعنى الدلالي.

وأصبح أداء المعنى والتعريف بالمدخل وتفسيرها وشرحها معجمياً قضية تحتاج إلى تنظير ومنهجية، فلم يعد كافياً في الصناعة المعجمية، تأدية المعاني بالتضاد أو الترادف فقط. وقد قام الدكتور حلام الجليلي في كتابه (تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة)^(١). بحصر أهم نظريات التعريف المعجمي في ثلاثة اتجاهات عامة هي:

(١) من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م: انظر ص ٢٦ - ٣٠.

١ - اتجاه اسمي يسعى إلى الوقوف على معنى الاسم ولا يتجاوزه؛ أي التعريف الاسمي بالمرادف مثلاً؛ أي ينصب على معنى اسم الشيء كما هو مستعمل لا حقيقته وماهيته.

٢ - اتجاه منطقي يسعى إلى معرفة ماهية الشيء عن طريق بناء التعريف كما ذهب إليه أرسطو ومن تابعه من الفلاسفة والأصوليين العرب كابن سينا والغزالي، أي التعريف الذي يحتوي على الجنس والفصل والنوع والعرض. وأما ابن تيمية فارتضى الجمع بين التعريفين الاسمي والمنطقي الخالي من الحدود الأرسطية بجمعه في التعريف بين معنى الاسم وإثبات خصائصه دون التقيد بكليات أرسطو المذكورة آنفاً.

اتجاه بنيوي دلالي عام يسعى إلى تحديد معاني الكلمات بتحليل بنيتها فينضوي تحت هذا الاتجاه أهم النظريات التي بحثت عن المعنى في غير الاتجاهين السابقين، كاعتماد الصفات والملامح المميزة للمعرف، أو اعتماد نظرية الحقول الدلالية التي ترى أن معنى المدخل يتحدد بعلاقته بكلمات أخرى، أو اعتماد النظرية السياقية التي يؤدي بها المعنى عن طريق استعمال المدخل.

ويبدو للناظر في المعاجم العربية أن هذه المناهج في أداء المعاني قد تداخلت نتيجة لتباين المداخل التي قد تكون مواد لغوية وقد تكون موسوعية، إضافة إلى تعداد اجتهادات مؤلفي المعاجم، خاصة القديمة منها، الذين لم يكن بين أيديهم مناهج ووسائل محددة يلتزمون بها وينسجمون على منوالها، وعليه فإنه لا يمكننا حصر الشروح وأداء المعاني المعجمية العربية القديمة في التعريفات المذكورة آنفاً؛ لما يعترض طريقنا أيضاً من عدم التمييز في المعاجم بين المعاني الحسية والمعاني العقلية، والمعاني الأصلية والمعاني الفرعية، والمعاني الحقيقية والمعاني المجازية، باستثناء أساس البلاغة، مع الخلط الواضح وعدم الانتظام في أولوية تقديم بعضها على الآخر، وهي أمور حاول أصحاب المعجمين الوسيط والكبير تلافيها فيما بعد، بالتزامهمام بتقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي^(١).

(١) انظر: المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - ط إدارة إحياء التراث الإسلامي - دولة قطر؛ (١٤٠٦ هـ -

ولو أضفنا إلى ما سبق ما يجب أن يتوافر في التعريف المعجمي من عناصر لوجدنا أنه من العسير حصر أداء المعاني أو شرح المداخل في وسيلة واحدة، وهذا التعريف كما يسوقه الدكتور حلام الجيلاني^(١) هو: "صيغة تتكون من سلسلة من العبارات المعرفة أو (المعرفات) المرادفة للفظ المدخل بحيث إن كل عبارة معرفة تغتدي مختلفة عن غيرها، فتشكل معنى، أو أنها تشكل باصطلاح معجمي، لفظاً متعدد المعنى". وهو تعريف فضفاض يعني أن المعنى المعجمي قد يحتاج في شرحه وتفسيره إلى أكثر من عبارة، ويفترض اختلافاً بين هذه العبارات؛ بحيث نفهم منها أن هذا المدخل له معان متعددة أو مختلفة، وافترض أن هذا التصور كان يدور في مخيلة مصنفي المعاجم العربية؛ انطلاقاً من الاستخدامات المتعددة للمفردة العربية، فمعنى الكلمة يحدده استعمال الناس لها؛ فتعددت طرقهم في أداء المعاني؛ نظراً لتعدد مجالات الاستعمال واختلاف المستعملين لمفردات اللغة وتفاوتهم من خلال الشواهد اللغوية المتنوعة المحتج بها في النص القرآني، والحديث النبوي، والشعر العربي، ونثر العرب وحكمهم وأمثالهم وكتابتهم وأقوالهم الجارية على ألسنتهم، والأمثلة المصنوعة جرياً على لغة العرب وأساليبهم في بيئاتهم البادية والحاضرة، قديماً وحديثاً. وخير من يمثل هذا الانتشار الجغرافي في هذا التنوع الاستعمالي في وقته وهو ابن دريد (٣٢١هـ) في معجم الجماهرة في اللغة، الذي لو قلبنا صفحاته لوجدناها تفيض بلغات العرب من أهل اليمن والشام والعراق وأهل الحجاز في مكة والمدينة وأهل نجد وتميم وسائر قبائل العرب، ومن كلام العامة ولحنها، فضلاً عن الألفاظ المعربة من لغات الفرس والسريان والأحباش.

بعد هذا التقديم الضروري أرى أن أتبع شروح ابن دريد وتعريفه في الجماهرة مستثمراً التأسيس النظري والإجراء التطبيقي للمناهج والوسائل المستخدمة في تعريف المداخل المعجمية في المعاجم العربية الحديثة^(٢). وأبدأ بالتعريف الاسمي الذي يفترض لكل

(١) تقنيات التعريف: ص ١٤. ترجمة عن كتاب (Introduction ala Lexicographie): Dubios.

(٢) انظر: كتاب تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة: ص ٦، والباب الثاني (مناهج التعريف) (١٠٣ -

لفظ أو مدخل معجمي معنى يمكن الوقوف عليه وتأديته بلفظة أو أكثر لها علاقة بالمدخل قد تكون ترادفاً أو تضاداً أو اشتراكاً أو اشتقاقاً. وعليه يكون أداء المعنى بالترادف هو أول صور التعريف الاسمي، وهو من صور الشرح التقليدية التي اعتادها المعاجم العربية القديمة، واللفظ المرادف قد يكون معادلاً أو مساوياً أو مقارباً للمدخل؛ مما سمح أن يطلق عليه ترجمة، ومن أمثله في الجمهرة من الجزء الأول^(١): في باب الثنائي الصحيح باب الألف - مادة أ ب ب - ص ٥٣: "الأب: المرعى: قال الله عز وجل: (عبس - ٣١)، وفي مادة أ س س ص ٥٧: "الآس: المسموم". وفي مادة ب ك ك - من باب الباء ص ٧٤: "البك: الازدحام" وفي ٩٣/١ - مادة ج و و: "جو البيت: داخله، لغة شامية". وفي ١٧٠/١ - باب الميم: "الميم: البحر، وزعم قوم أنها لغة سريانية، والله أعلم". وفي ١٧٤/١ - مادة بربر: "البربرة: كثرة الكلام". وفي ص ٢٢٢ مادة ك ل ل: "الكلل: الصدر". وفي ص ٢٢٦ - مادة دأدأ: "الدأدأة: شدة السير، مثل: الدعدعة". وفي ص ٢٥٩ - مادة ث ب ر: "الثبور: الويل والهلاك". وفي ص ٢٦٢ - مادة ب ث ن: "البثنة: الأرض السهلة". وفي ص ٢٨٣ - مادة ح ب ل: "الحبلة: الكرم". وفي ص ٢٨٦ - مادة ح و ب: "الحوباء: النفس". وفي مادة برق: "البرق: الحمل، أعجمي معرب. وفي ص ٣٣٢ - مادة ري ب: "الريب: الشك، وفي ص ٣٤٠ - مادة صوب: "الصوب: ماء الغمام". وفي "الوصب: نحول الجسم"، و"الواصب: الدائم". وفي ص ٣٦٥ - مادة بعك: "بعكوكه الناس مجتمعهم". وفي ص ٣٦٥ - مادة بعل: "البعل: الزوج، وبعل الشيء: ربه أو مالكة". وفي ص ٣٦٩ - مادة غبق: "الغبوق: شرب العشي". وفي ص ٣٨٦ - مادة سحت: "السحت: وهو الحرام". وفي ص ٤٠٠ - مادة ت ص ل: "اللصت: في بعض اللغات، اللص". وفي ص ٤٣٨ - مادة سجح: "رجل أسجح وامرأة سجحاء، وهي السهلة الخدين". وفي ص ٤٥١ - مادة دجن: "الدجنة: الظلمة". وفي ص ٤٨٢ - مادة فجج: "الفجيعة: المصيبة". وفي ص ٤٨٨ - مادة فلج: "الفلوجة: الأرض الممكنة الزرع". وفي ص ٤٩٢ - مادة لجن: "اللجين: الفضة". وفي ص ٤٩٧ - مادة ج و ن: "الجون:

(١) جمهرة اللغة: لابن دريد، حققه وقدم له: د. رمزي البعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م.

الأبيض والأسود". وفي ص ٥٣٣ - مادة ح س ل: "الحسل: ولد الضب". وفي ص ٥٣٥
 - مادة سمح: السماح: الجود". وفي ص ٥٥٣ - مادة لحظ: "اللحظ: النظر". وفي ص ٥٥٤
 - مادة حفل: "الحفل: الجمع الكثير". وفي ص ٥٧٢ - مادة وحل: "الوحد: الطين
 الرطب خاصة". وفي ص ٥٨١ - مادة خ د ن: "الخدن: الصاحب". وفي ص ٥٨٩ - مادة
 خ ف ر: "امرأة خفرة: حية". ومما يمكن ملاحظته أنه لم يكتف بأن يكون المعنى كلمة
 مفردة. بل أورد المعنى أيضاً في صورة تركيب غير إسنادي وصفي أو إضافي كالأرض
 السهلة وكثرة الكلام وشدة السير، وماء الغمام، ونحول الجسم، وشرب العشي، والطين
 الرطب... الخ.

وأكتفي بهذا القدر من الترادف لأنتقل إلى علاقة أخرى بين المدخل ومعناه وهي
 التضاد بوصفه وسيلة من وسائل الشرح أو التعريف الاسمي ففي مادة حب - ص ٦٤:
 "الحب ضد البغض"، وفي ص ٦٧ - مادة برّ: "البر: خلاف البحر، والبر ضد العقوق". وفي
 ص ٩٢ - مادة جن: "الجن خلاف الإنس". وفي ص ٩٩ - مادة صح: "الصحة ضد
 السقم". وفي ص ١٠٠ - مادة حقّ: "الحقّ ضدّ الباطل"، وفي ص ١٠١ - مادة حلّ: "الحلّ
 ضدّ الحرّم". وفي ص ١٠٣ - حيّ: "الحيّ ضد الميت". وفي ص ١٠٨ - مادة خل: "والخلّة:
 ضد الحمض". وفي ص ٥٤٦ - "الحمض ضد الخلّة". وفي ص ١١٣ - مادة دق: "القَد
 خلاف القط"، وفي ص ١١٧ - مادة غذّ: "غذّ العرق إذا لم يرقأ". وفي ص ١١٨ - مادة
 ذمّ: "الذمّ خلاف المدح"، وفي ص ١٢١ - مادة سرّ: "السّرّ خلاف العلانية"، ومادة شرّ:
 "الشرّ ضد الخير". وفي ص ١٢٢ - مادة ضرّ: "الضرة ضد النفع"، وفي ص ١٦٠ - مادة غمّ:
 "الغم ضد الفرج". وفي ص ١٢٢ - مادة ضرّ: "الضرة ضد النفع"، وفي ص ١٦٠ - مادة
 غمّ: "الغم ضد الفرج". وفي مادة غيّ: "الغيّ ضد الرشد"، وفي ص ١٦٢ - مادة فلل:
 "الغفل: ما لم يكن له علم". وفي ص ١٨٤ - مادة لجلج: "الجلج الرجل إذا لم يبن في
 كلامه". وفي ص ٢١١ - مادة ضغضغ: "ضغضغ اللحم في فيه؛ إذا لم يحكم مضغه". وفي
 ص ٢٢٣ - مادة لهله: "يهلهل الشعر أي لا يحكمه، وفي ص ٢٤٧ - مادة لأوى: الليل ضد
 النهار". وفي ص ٢٧٦ - مادة ربح: "الربح ضد الخسران". وفي ص ٣٠٤ - مادة كذب:

"الكذب ضد الصدق". ومن الجدير بالذكر أنه في باب ص د ق يقول: "الصدق ضد الكذب". وفي ص ٣٠٥ - مادة بذل: "الابتذال ضد الصيانة، والبذلة ضد الصيانة". وفي ص ٣١٢ - مادة صبر: "الصبر ضد الجزع". وفي ص ٣١٥ - مادة رطب: "الرطب: اليابس". وفي ص ٣١٩ - مادة عرب: "العرب ضد العجم، وكذلك العرب ضد العجم"، وفي مادة عجم ص ٤٨٤: "العجم ضد العرب". وفي ص ٣٢١ - مادة غرب: "الغرب خلاف الشرق". وفي ص ٣٦٣ - مادة هبط: "الهبوط ضد الارتفاع". ومادة طيب: "الطيب خلاف الخبيث". وفي ص ٣٦٧ - مادة لعب: "اللعب ضد الجد". وفي ص ٣٨٦ - مادة فتح: "الفتح ضد الإغلاق". وفي ص ٤٢٢ - مادة كثر: "الكثير ضد القليل". وفي ص ٤٨٢ - مادة عجل: "العجل ضد البطء". وفي ص ٤٨٣: "العاجل ضد الآجل". وفي مادة جمع: "الجمع: خلاف التفريق". وفي ص ٤٩١ - مادة جمل: "الجمل ضد القبيح، والجمال ضد القبح". وفي ص ٤٩٤ - مادة جهل: "الجهل ضد الحلم". وفي ص ٥١٥ - مادة ح ض ر: "الحضر: خلاف البدو، والحاضر خلاف الغائب". وفي ص ٥٣٥ - مادة حسن: "الحسن ضد القبح، والحسن ضد القبيح". وفي ص ٥٤٧ - مادة حمض: "الحامض ضد الحلو". وفي ص ٥٦٥ - مادة حلم: "الحلم ضد الطيش". وفي ص ٥٩٤ - مادة حلم: "الحلم ضد الطيش". وفي ص ٥٩٤ - مادة خير: "الخير ضد الشر".

كذلك استفاد ابن دريد من علاقة الاشتراك اللفظي بين المدخل ومعناه؛ والاشتراك اللفظي، كما هو معروف، إيراد معانٍ للمدخل المعجمي الواحد، ففي ص ٩٦ - مادة ح ر: "الحر: خلاف العبد، وعبد معتق"، والحر: العتيق من الخيل والحر: الحمامة الذكر، والحر: ضرب من الحيات، والحر: طائر صغير". وفي ص ١٠٧ - مادة خل: "الخل معروف عربي صحيح وفي الحديث (نعم الإدام الخل)، والخل الرجل الخفيف النحيف الجسم... والخل الرجل الخفيف النحيف الجسم... والخل الطريق في الرمل... والخل عرق في العنق... والخل مصدر خللت الشيء أخله خلا إذا جمعت سجوفه وأطرافه بخلال... والخللة المودة، والخللة ضد الحمض، والخللة الحاجة... والخللة الخصلة والجمع خللال... والخللة الخمرة الحامضة أو المتغير طعمها". وفي باب ت م ن: "المتن الظهر من الناس

والدواب، والمتن الرجل الجليد... والمتن الغليظ من الأرض... وكل صلب فهو متين".
وفي باب ع ن ي: "العين معروفة... وعين الماء، وعين الشمس شعاعها الذي لا تثبت
العين عليه، وعين الذهب من المال خلاف الورق، والعين عين الكتابة، والعين عين الركبة،
والعين جاسوس القوم، والعين ناحية القبلة، وهي التي ينشأ منها السحاب التي ترحى
للمطر". وفي ص ١٠٢١ - مادة روب: "الرؤية: ما صبته من اللبن الحامض على اللبن
الحليب حتى يروب... ويونس فسر لنا فقال: الرؤية: الحاجة، يقال: قمت بروبة أهلي،
أي حاجتهم: جمام الفحل، يقال: أعرتي روبة فحللك، أي جمامه، والروبة: القطعة من
اليل، والروبة: اللبن الحامض يصب على الحليب حتى يروب، والروبة: مهموز، القطعة من
الخشب يرفع بها العس أو القدح".

وقد يلجأ للاشتقاق ظناً منه أن المعنى معروف ويمكن إدراكه بوضوح عن طريق
إيراد المشتقات في سياقات نصية يمكن أن تستدعي المعاني وتظهرها وتوضح خفاءها ففي
ص ١١٨ - مادة ذل: "ذل يذل بعد عز، وذلت الدابة بعد شماس وتصعب ذلاً، والرجل
ذليل، والدابة ذلول، والذلة مصدر في الذليل أيضاً... واستعمل من معكوسه: لذ الطعام
وغيره، إذا كان لذيذاً، ولذ الرجل الطعام والشراب، إذا وجده لذيذاً". وفي ص ١٣٨ -
مادة غشش: "غش يغش غشاً والاسم الغش، وفي الحديث (ليس منا من غشنا). وفي
ص ١٤٢ - مادة قص: "قص الشيء بالمقصين يقصه قصاً، وقص الحديث يقصه قصصاً"،
وفي ص ١٤٦ - عضض: "عض يعض عضاً وعضيضاً، والعضاض مصدر المعاضة، تعاضاً
عضاضاً". وفي ص ١٥٥ - مادة ع ف ف: "عف الرجل يعف عفاً وعفافاً وعفة وعفافة،
ورجل عف بين العفاف وعفيف بين العفافة... والتعفف: تفعل من العفاف". وفي
ص ١٦٦ - مادة كلل: "كل السيف والشفرة كلا وكلولاً، وكل الرجل والدابة كللاً،
وكل البصر كله". وفي ص ١٦٧ - مادة كي: "الكي: مصدر كويت الجرح وغيره أكويه
كياً، والمثل السائر: "آخر الدواء الكي". وفي ص ٢٣٧ - مادة س أ و ي: "ساءه يسوءه
سوءاً ومساءة. ورجل سوء، مهموز وغير مهموز". وكذلك الأمر مع مادة ب ج ر:
"جبر العظم جبوراً وجبره الله جبراً... والمصدر الجبور". وكذلك الأمر مع مادة ب ج ر:

"جبر العظم جبوراً وجبره الله جبراً... والمصدر الجبور". وفي مادة ب ج ن: "جبن الرجل جبناً فهو جبان...". وفي مادة ب خ ر: "والخبر معروف - أخبرني بكذا وكذا وأخبرت به فأنا مُخْبِرٌ ومُخْبَرٌ...". وفي مادة ت ش م: "شتمت الرجل أشتمه شتماً والاسم الشتيمة والشتيمة والمشتمة أيضاً ورجل شتامة كثير الشتم كما قالوا علامة ونسابة وما أشبهه". وفي مادة ث ح و: "حثا التراب يحثوه حثوا وحثاه يحثيه حثياً". وفي مادة ث ك ل: "استعمل منها الشكل وهو معروف ثكلت المرأة تثكل ثكلاً وهي تاكل وتكول وامرأة ثكلى ورجل ثكلان". وفي مادة خ ر س: "سخرت من الرجل سخرية وسخرأً وسخرياً ولا يقال سخرت به، وإن كانت العامة قد أولعت بذلك، ورجل سخرة يسخر من الناس ورجل سخرة يسخر الناس منه". وفي مادة خ و ف: "الخوف ضد الأمن، خاف يخاف خوفاً، والخيفة من الخوف والجمع خيف وطريق مخوف وقول مخيف، وأخاف الرجل وهو مخيف". وفي مادة ح ي و ا ي: "الحياء حياة الإنسان ممدود معروف استحياء استحياء، وحيي يحيا حياء وحيي يحيا حياة والحي حياة".

وقد يأتي التعريف الاسمي بالعبارة؛ أي يشرح المدخل المعجمي بجملة وهو كما يقول حلام الجليلي إنه: "ترادف بالمعادل الموضوعي لا بالمكافئ اللفظي". أو المقارب الدلالي وهو تعريف لا يتقيد بذكر الكليات الخمس التي يجب أن تتوافر في التعريف المنطقي وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام. ومن أمثلة التعريف بالعبارة في ص ٦٣ - مادة بث: "البث ما يجده الرجل في نفسه من كرب أو غم". ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ (يوسف - ٨٦)، وفي صفحة ٦٤ - مادة بحج: "الربح: ما يربحون من قداحهم". وفي ص ٦٧: "الشائط: الذي قد شيطته النار". وفي ص ٦٨ - مادة بز: "رجلٌ حسن البزة إذا كان حسن الثياب والهيئة". وفي ص ٧٠ - "المصرأة من الإبل والغنم التي قد اجتمع اللبن في ضرعها". وفي ص ٧٣ - مادة غ ب ب: "الغبّ من أورد الإبل: أن ترعى يوماً وترد يوماً من الغد، وبذلك سميت الحمى: الغبّ...". وفي ص ٧٥ - مادة ك ب ب: "الكب: الشيء المجتمع من تراب وغيره". وفي مادة بل: "البلة: داء يصيب الإنسان في جسمه". وفي ص ٧٨ - مادة

رتت: "الأرت": الذي في لسانه حبسة. وفي ص ٨٩ - مادة سحج: "المسجة: الخشبة التي يُطلى بها الحائط، لغة يمانية. وهي التي تسمى بالفارسية المألجة، قال أبو بكر: وأهل نجد يسمون المألجة المسيعة". وفي ص ٩٧ - مادة رحح: "الأرح: العريض الحافر من الخيل في رقة، وهو عيب". وفي ص ١٠١ - مادة قحح: "أعرابي قحّ، أي خالص لم يدخل الأمصار. ويقال: عربي قحّ، أي محض، وقحاح أيضاً. وهو الذي لم يدخل الأمصار ولم يختلط بأهلها، وقال قوم: بل هو الصميم الخالص". وفي ص ١١١ - مادة س د د: "السُدّة: ظلة على باب وما أشبهه لتقي الباب من المطر". وفي ص ١٢١ - مادة ر س س: "السّرر: داء يصيب الإبل في صدورها". وفي ص ١٢٨ - مادة هـ ر ر: "الهُرار: سلاح الإبل. فأما أهل اليمن فيسمون ما تساقط من العنب قبل أن يدرك: هُراراً". وفي ص ١٥٠ - مادة طلل: "الطَّل: الندى، وقال قوم: بل هو أكثر من الندى وأقل من المطر، هكذا فسّره أبو عبيدة في قوله جل وعز: ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ (البقرة - ٢٦٥). وفي ص ٢٤٦ - مادة وكي: "الوكاء: الحبل الذي يشد به السقاء". وفي ص ٢٨٧ - مادة بحج: "البُحّة: ما يجده الرجل في حلقه من خشونة". وفي ص ٢٩٣ - مادة خبل: "الخبال: داء يصيب الإنسان تسترخي منه مفاصله". وفي ص ٢٩٥ - مادة برد: "البرّد: ما يسقط من السماء". وفي ص ٣٣٣ - مادة عزب: "رجل عزّب وامرأة عزّب: التي لا زوج لها، والذي لا امرأة له، الرجل والمرأة في ذلك سواء". وفي ص ٣٦١ - مادة طبن: "الطابون: الموضع الذي تدفن فيه النار". وفي ص ٤١١ - مادة ت م ي: "اليتيم من الناس: الذي قد مات أبوه، ومن البهائم: الذي قد مات أمه، هكذا يقول الأصمعي". وفي ص ٤١٢ - مادة ت ي م: "التيمة: الشاة يتخذها أهل البيت للبنها وليسمونها". والأمثلة كثيرة جداً في الجمهرة وأكتفي بالأمثلة الآتية على هذه الوسيلة ولا تعليق لنا عليها سوى القول: إنها قاصرة عن بيان جوهر المعرف وتعريفه تعريفاً كاملاً أو كافياً، وإنما قد تعطي اعتباراً لخصيصة واحدة من المعرف إضافة إلى النوع أو الجنس كالهزار مثلاً ونوعه عنب وخاصيته تساقطه قبل إدراكه، أما التيمة فهي شاة وهذا نوعها مع وظيفتها التي تدل عليها فهو اقتناؤها من أجل

لبنها، والخبال نوع من الأمراض وخاصيته استرخاء مفاصل المريض به أو المصاب به من بني البشر.

و كنت أود أن أجد مواضع ينتقل فيه التعريف إلى درجة أكثر وضوحاً واكتمالاً ليلبغ ما يسمى بالتعريف المنطقي، وهو التعريف الحقيقي الذي تكتمل فيه العناصر أو الأركان الخمسة التي تجتمع للتعريف الشافي الكافي أو الجامع المانع، خاصة في أسماء الذوات من الحيوان والنبات وغيرها ولكن صاحب الجمهرة كان يهرب بقوله غالباً: إنه معروف فالضرب هذه الدابة المعروفة ٧٢/١. والبق البعوض معروف ٧٤/١. والشث ضرب من الشجر ٨٢/١، والخز معروف عربي صحيح ١٠٥/١. والخل كذلك ١٠٧/١. والحبق ضرب من النبت ٢٨١/١. والبرق والبصل والزئبق والبقر والخروب والبحر والجمل والقلم والثوم والثلج كل ذلك يعرف بكلمة معروف.

وبناءً على ما سبق فإن صاحب الجمهرة لم يعط عناية تذكر للتعريفين الاصطلاحي والموضوعي، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى أن تصنيف الجمهرة قد جرى عن طريق الإملاء والإلقاء من محفوظ ابن دريد؛ في حين أن التعريفين الاصطلاحي والموسوعي يحتاجان إلى تحضير وتأمل وتوثيق، عدا أن معجم الجمهرة لم يكن معجماً مختصاً؛ فلم يكن مصنفه ملزماً بالتعريف المنطقي الاصطلاحي الموسوعي، فكان يتعامل مع الاصطلاحات لغوياً في الدرجة الأولى دون الالتفات إلى التعريف الاصطلاحي فاصطلح الحج مثلاً: "مصدر حج البيت يحج حجاً". دون أن يتعرض لتعريفه الذي يتضمن ما يجب أن يؤديه الحاج من مناسك، من أجل أن تكتمل زيارة البيت بل وتأخذ صفة الحج من حيث المبدأ. ولننظر كذلك إلى تعريف الرمد الذي اكتفى بترديد مشتقاته بقوله في ص ٦٣٩: "الرمد من قولهم رَمَدَ الرجل يرمد رمداً، فهو رَمَدٌ وأرمد،" واللغة معروفة والجمع لغات ولغون ولغين ولغى" و"نجس بين النجس، والجمع أنجاس والاسم النجاسة". والأمثلة كثيرة.

واعتقد أنه استعاض، أقصد صاحب الجمهرة، عن التعريف الاصطلاحي بما سَمَّاه حلام الجليلي بالتعريف البنيوي^(١) وهو منهج متعدد الاتجاهات تهدف إلى تحديد معاني

(١) انظر: تقنيات التعريف: ص ١٥٥-٢٠٤.

المدخل المعجمية من خلال مكوناتها البنيوية التي تربطها بغيرها من المفردات. وقد يستند المنهج البنيوي إلى التعريف عن طريق تحديد العلاقات بين مفردات الحقل الدلالي الواحد، وهو تعريف تختص به معاجم الموضوعات كالمخصص، ومعجم الجمهرة ليس منها، وإذا تركنا هذا الاتجاه في التعريف البنيوي إلى اتجاه آخر فيه فسيكون ما سماه الجليلي أيضاً التعريف المقومائي الذي يقوم على تعريف المدخل على أساس رصد العناصر المميزة المكونة للمعنى، المجتمع فيه دون غيره، كقوله في الجب مثلاً - في مادة جبب ص ٦٣: "البئر العميقة التي لا طي لها، الكثيرة الماء البعيدة القعر، قال أبو عبيدة: لا يكون جباً يكون مما وجد محفوراً، إلا مما حفره الناس". وعليه فمقومات الجب: حفرة طبيعية، عميقة بعيدة الغور، كثيرة الماء. وفي مادة م ح ض - ص ٥٤٧: "اللبن المحض: الذي لم يخلطه شيء من الماء، ولا يسمى اللبن محضاً إلا إذا كان كذلك". فمقوم اللبن المحض عدم خلطه بالماء. وفي ص ٩٦ - مادة ح ر ر: "الحرة: أرض غليظة تركيبها حجارة سود". وعليه فمقومات الحرة وعورة الأرض بالحجارة السوداء كأن الشمس حرقها. وفي ص ١٠٢ - مادة ح م م: "الحمة: عين حارة تنبع من الأرض، ولا يجوز أن تكون باردة". فالحمة لا تسمى كذلك إلا إذا كان ماؤها حاراً. وفي ص ١٢٥ - مادة ر ق ق: "الركة: أرض يعلوها الماء القليل ثم ينضب عنها". فشرط الركة أرض جف ماؤها الذي كان مجتمعاً فيها. وفي ص ١٥٥ - مادة ع ف ف: "العفة والعفافة: ما يجتمع في الضرع من اللبن بعد الحلب". فما يتجمع في الضرع بعد الحلب يسمى عفافة. وفي ص ٢٠٧ - مادة كشكش: "وكشكشة بكر: لغة لهم يجعلون كاف المخاطبة شيئاً يقولون: عlish وإlish، يريدون عليك وإليك...". وفي ص ٢٣٥ - مادة روي: "الرؤي: عقد القوافي بآخر حرف في البيت، يقال: هذا حرف روي هذه القصيدة، لآخر حرف في القصيدة". فلا يوصف أي حرف في البيت بأنه روي إلا إذا كان آخر حرف في أبيات القصيدة. وفي ص ٢٧٣ - مادة ب ح ر: "البحر: معروف، والعرب تسمي الماء المالح والعذب بحراً إذا كثر". وهكذا شرط التسمية بالبحر أن تكون مساحة الماء كبيرة. وفي ص ٢٨٧ - مادة خير: "الخبراء: الأرض السهلة المنخفضة يجتمع فيها ماء السماء وتنبث السدور" وهكذا اجتمع للخبراء

سهولة الأرض وانخفاضها حتى تصبح تجمعاً لماء الأمطار، ومن ثم ينمو فيها السدر. وفي ص ٣٣٣- مادة: "الزَّغْب: الريش الذي ينبت على الفرخ قبل ريشه"، فليس أي ريش يسمى زغباً. وفي ص ٣٤٠- مادة س ل ب: "السَّلاب: الثياب السود تلبسها النساء في المأتم". حصر السَّلاب في السواد وحداد النساء. وفي ص ٣٥٠- مادة نصب: "النَّصْب جمعه أنصاب، وهي حجارة كانت تنصب في الجاهلية ويطاف بها ويتقرب عندها". وعليه فمقوم النصب في الجاهلية أن يكون حجراً يطاف حوله وتقدم القرابين عنده.

أما الاتجاه الثالث من التعريف البنيوي فهو التعريف التوزيعي، ونقصد به وضع المدخل في سياقات مختلفة لبيان دلالاته، وقد يتم التوزيع في عمليات إحلال وإبدال وتعويض في سياقات نحوية، ومن أمثلة ذلك: في مادة درش- ص ٦٢٨: "شرد فلان فلاناً وتشريداً، إذا طرده، وشرد به تشريداً، إذا سمع الناس بعيوبه، هكذا قال أبو عبيدة، وأنشد:

أي يسمع بي الناس، وحكيم هذا رجل من بني سليم كانت قريش قد ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

وفلان طريد شريد.

وشرد البعير يشرد شراداً وشروداً فهو شاد وشرود، إذا ذهب على وجهه نافراً.

وقواف شوارد، أي تشرد في البلاد كما يشرد البعير.

فقد وضع الفعل شرد في سياق يكون فيه متعدياً بنفسه، ومرة يتعدى بحرف جر، ومرة يكون لازماً. وأورد ما يشتق من الفعل (شريد، وشادره) في تركيبين وصفيين (فلان طريد شريد، وقواف شوارد).

كذلك الأمر في مادة س د ف- ص ٦٤٥: "السَّدَف: الظلمة، وهو من الأضداد عندهم، أسدف الليل يسدف إسداً، إذا أظلم، وأسدف الفجر إذا ضاء. وهي لغة لهوازن، دون سائر العرب، تقول هوازن: أسدفوا لنا، أي أسرجوا لنا، وتصغير سدف سديف.

وقد سمى العرب سديفاً، وهو تصغير سدف، ومسدفاً.

والسديف: شحم السنام.

وأسدفنا، إذا دخلنا في سدف الليل.

وجئت بسدفة، أي في بقية من الليل.

فقد أراد أن يبين معنى التضاد في السدفة فأسند فعلها إلى متضادين الليل والفجر، وكذلك أسند الفعل أسدف معدى بحرف الجر مرة ولازماً مرة أخرى؛ ليثبت التضاد أيضاً. ويصغر السدف مرة ويشق من السديف. بمعنى المسدوف وهو شحم السنام، واشتق كذلك اسم مرة منه مرة ثالثة وأدخلها في جملة متعلقة بالفعل بحرف الجر.

ويحسن أن نضرب مثلاً ثالثاً، فالأمثلة كثيرة، فيه تنويع في توزيع التسييق، من ص ٦٧٧ - مادة نقد: "والنقد من الغنم: الصغار الأجرام منها، والجمع نقاد، وراعي النقد نقاد، وراعي النقد نقاد، قال أبو زيد يصف أسداً:

كَأَنَّ أَثْوَابَ نَقَادٍ قُدرْنَ لَهُ يعلو بِحَمْلَتِهِ كَهَبَاءِ هُدَابَا

ونقد القرن والسنّ ينقد نقداً، إذا وقع فيه الفساد، قال الهذلي:

تَيْسُ تَيْسُ إِذَا يَنَاطِحُهَا يَأْلُمُ قَرْنًا أَرُوْمُهُ نَقْدُ

ونقدته الحية، إذا لدغته، عربي صحيح. وفي بعض الأخبار: أنا النقاد ذو الرقبة

بعثت إلى صاحب هذا القصر.

وناقذ الدنانير: الذي يعرف جيدها من مدخولها.

والنقد: خلاف النسيئة.

وأنقد: اسم من أسماء القنفذ، يقال في مثل: "بات فلان بليل أنقد"، وبليل ابن أنقد،

إذا بات ساهراً لأن القنفذ لا ينام الليل.

والنقد: ضرب من النبات".

ويربط حلام الجيلالي المنهج التوزيعي بالدلالة السياقية بقوله: "إن المنهج التوزيعي

يعتبر امتداداً للنظرية السياقية، التي لا يمكن أن يستغني عنها، أي تعريف في المعجم اللغوي،

وبخاصة مع ألفاظ التعدد الدلالي"، وهو كلام صحيح تماماً، فالسياق اللغوي هو إحدى

الوسائل الشائعة في المعاجم العربية قديمها وحديثها؛ ففي المعجم العربي الحديث لخليل

الجر، على سبيل المثال، جاء الفعل (ضرب) في اثنين وأربعين سياقاً، وفي كل سياق معنى مختلف.

وأنقل الآن إلى الاتجاه الرابع في المنهج البنيوي في التعريف، وهو التعريف الإجرائي أي تعريف المدخل بما ينتج عنه من آثار عملية أو ما يؤديه من وظائف أو تفسيره وتعريفه ببيان الكيفية الحسية التي يحدث فيها، كقوله في (الطُّثُ) ص ٨٣: "ضربك الشيء برجلك أو بباطن كفك حتى تزيله عن موضعه"، وكقوله في الجشع في ص ٤٧٧: "أن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك"، والضرية في ص ٣١٤: "وظيفة أو إتاوة يأخذها الملك ممن هو دونه"، وفي ص ٤٩٢ - المجلة: "صحيفة يكتب فيها شيء من الحكمة". وفي ص ٧٢٩: "الفراشة دويبة تطير بالليل فتسقط في النار"، وفي ص ٨٠٦: "المريء: مجرى الطعام والشراب إلى الجوف". وفي ص ٨٥٥: "المكس دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الجاهلية". وفي ص ٨٩٩: "الصوم الإمساك عن المأكول والمشرب". وفي ص ٩٠٠: "الصوة: علم من حجارة ينضب على علو من الأرض ليهتدى به". وفي ص ٩٢٧ - مادة غمط "الغمط: الثوب من صوف يطرح على الهودج وغيره". وفي ص ٩٤٣ - مادة نفع: "النقع أيضاً اختلاط الأصوات في حرب أو غيرها". وفي ص ٩٤٤: "النقعة: ما نحر من النهب قبل أن يقسم". وفي ص ٩٥٥ - مادة عهن: "العهن: الصوف، وأكثر ما يسمى المصبوغ منه أو المنفوش". وفي ص ٩٢٦ - مادة غيل: "الغيل: الماء الجاري بين الحجارة في بطن واد وغيره، والغيل: الشجر الملتف، والغيل: الماء بين الشجر". وفي ص ١٠٤٥ - مادة جلا: "الجالية: الذين أجلا عن منازلهم قهراً". وفي ص ١٠٦١ - مادة دل و: "الدالية: الأرض التي تسقى بالدلو والمجنون". وفي ص ١١١٩ - من أبواب الرباعي: "الذي للناس الإبل والحمير ويأخذ جعلاً". وفي ص ١١٢٢: "ورجل مطربل إذا كان يسحب ذيله ويتمطى في مشيه".

ولما لم يكن للمعجمين العرب قديماً، ويمكن أن نقول أيضاً حديثاً، مناهج محددة للتعريف، آثروا في تعريفاتهم وبيان معاني مفردات معاجمهم السهولة ومن أقرب سبيل، وكان همهم الأول هو إثبات وجودها، أقصد المفردات، وفي كلام العرب وروايتها

والاستشهاد لها في معاجمهم، ويأتي في الدرجة الثانية بيان معانيها التي حاولت استقراء سبلها وتصنيفها، ولا بد من الإشارة إلى أن العفوية التي لا تلتزم بمنهج معين منضبط في إيراد المعاني قد ألحقت خللاً وقصوراً في أداء معاني المداخل، حال أحياناً دون الوقوف على معانيها فكان ابن دريد في الجمهرة بعد أن يسجل وجود كثير من المفردات يصبح تحصيل معانيها من خلال استعمالها معروفاً فكان يكتفي في خانة المعنى بالقول (معروف)، ولا أجازف أو أبالغ إذا قلت إنه لو أردنا توزيع هذا النهج لكثرة وروده على صفحات الجمهرة لما خلت واحدة منها من كلمة (معروف)، ففي الجزء الأول: ص ٦٠: "الأم: معروفة"، وأم أوعال: هضبة معروفة". وفي ص ٦٣: "الجُبُّ: ماء معروف لبني ضبيّة". وفي ٦٦: "الدب هذه الدابة المعروفة". وفي ص ٦٧: "البر المعروف". وفي ٧١: "الصبا: معروف". وفي ص ٧٢: "الضب: هذه الدابة المعروفة". وفي ص ٧٤: "البق: البعوض معروف". وفي ص ٧٩: "القت: معروف". وفي ص ٨٢: "الثرثار نمر معروف". وفي ص ٨٤: "الثثة: معروفة". وفي ص ٨٩: "الخص: معروف". وفي ص ٩٣: "حو السماء: معروف". وفي ص ٩٥: "حد السكين وغيره: معروف". و"حدُّ الدار: معروف"، وفي ص ٩٨: "الشَّحُّ والشَّحُّ، لغتان، وهو معروف"، وفي ص ٩٩: "الحظ معروف"، وفي ص ١٠٠: "وحفُّ النسَّاج: معروف". و"الحقُّ: عربي معروف". وفي ص ١٠٤: "الخَدُّ: معروف". وفي ص ١٠٥: "الحزُّ: معروف". وفي ص ١٠٦: "خفُّ البعير وخفُّ النعام: معروفان"، و"الخفُّ الملبوس: معروف"، وفي ص ١٠٧: "الخلُّ: معروف عربي صحيح". وفي ص ١١٠: "الدَّرَّة: معروف". وفي ص ١١٢: "عِدَّة المرأة: معروفة". وفي ص ١١٥: "الدَّن: معروف"، و"الدَّانان جبلان معروفان". وفي ص ١١٧: "الذَّرُّ: جمع ذرَّة: معروف"، وفي ص ١٢٠: "الزَّرُّ: معروف". وفي ص ١٢١: "أَسِرَّة الكف: معروفة". وفي ص ١٢٧: "المهرُّ: السنور، معروف"، وفي ص ١٣٠: "الزق: معروف". وفي ص ١٣٤: "قس النصارى: معروف". وفي ص ١٤٢: "صُفَّة البيت: معروفة". و"فصُّ الخاتم: معروف". والقصة من القصص: معروفة". وفي ص ١٤٧: "الفِضَّة: معروفة". وفي ص ١٥٣: "الظِّلُّ: معروف". أكتفي بهذا القدر من المفردات في الصفحات المئة الأولى من الجزء الأول فقط.

وكان يلجأ كذلك إلى أسلوب آخر يذكر فيه كلمة معروف بعد بيان نوع المفردة المعجمية كقوله في ص ٧٢: "الضَّبُّ: هذه الدابة المعروفة، والضبيب: فرس من خيل العرب معروف". وفي ص ٩٩: "الأحص: ماء معروف، والحُضض والحَضض: دواء معروف". وفي ص ١٠٨: "خُمٌ: غدير معروف". وفي ص ١١١: "صَدَاء: ماء معروف". وفي ص ١١٢: "الرَّكَاء: داد معروف". وفي ص ١١٥: "الدَّوَّة: موضع معروف". "والوَدَّ: جبل معروف". وفي ص ١٢٧: "المُرَّة: شجرة معروفة". وفي ص ١٣٥: "السِّل: داء معروف"، وفي ص ١٣٩: "شِقُّ الكاهن: رجل معروف" الخ.

وقد يكتفي ببيان نوع المدخل المعجمي أو جنسه، كقوله في ص ٧١: "اليمام: ضَرْب من الطير". وفي ص ٧٣: "العبيبة: ضرب من الطعام". وفي ص ٧٥: "الكُبُّ والكَبَّة: ضرب من النبت". وفي ص ٨٢: "الشث: وهو ضرب من الشجر". وفي ص ٩١: "الأوتكى: ضرب من التمر". وفي ص ٩٦: "الحُرُّ: ضرب من الحيات". وفي ص ١١٣: "الفُداة: زعموا ضرب من الطير". وفي ص ١١٩: "اليعامير: ضرب من الشجر". وفي ص ١٢٩: "الزريف: ضرب من مشي الإبل". وفي ص ١٤٩: "الغطاط: ضرب من الطير". وفي ص ١٥٠: "القَطِط: ضرب المطر" ... وهكذا.

وفي بعض الأحيان يُتبع النوع مُشكِّكاً في المعنى بقوله: لا أعرف حقيقته، ما صحته. كقوله في ص ٩٠: "العجة ضرب من الطعام، لا أدري ما حدُّها". وفي ص ٩٢: "الجُم، زعموا: صدف من صدف البحر، لا أعرف في حقيقته"، "والمُجُّ والبُجُّ، زعموا: فَرْخ الحمام، ولا أعرف ما صحته". وفي ص ٩٦: "المُحاح في بعض اللغات: الجوع، ولا أدري ما صحته".

بعد هذا الحديث عن الأساليب التي اتبعها ابن دريد في تأدية معاني المداخل، وهذا هو العنصر الجوهرى في الصناعة المعجمية، أنتقل إلى الحديث عن العناصر الأخرى في بناء معجم الجمهرة وأبدأ بالاحتجاج الذي تقيّد فيه ابن دريد بالأصول العربية للاستشهاد وهي القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي وحكم العرب وأقوالهم، ولم يكن له منهج معيّن في ترتيب الشواهد عند إيرادها، وكل ما فعله بصورة منتظمة هو إيراد المدخل

مع معناه متبوعاً بالشاهد الذي يحتج به للمعنى نحو قوله في باب رَمَ مَ ١ / ٨٨ - ٨٩: "رَمَ العظم يَرِمُّ رَمًا ورَمِيمًا إذا نَحَرَ وَبَلِيَ والرَّمَّة العظم البالي - قال الشاعر لبيد بن ربيعة العامري:

والنِيبُ إن تَعَرُّ مِنِّي رِمَّةً خَلَقًا بعد الممات فإني كنتُ أَثَرُ

والنِيب جمع ناب وهي المُسِنَّة من الإبل - وهي تأكل الرَّمَم - عظام الموتى تتملح بها إذا لم تجد سبخة ولا ملحاً - يقول - فإن تأكل هذه النيب عظامي وأنا مَيِّت فقد أَثَّر منها بنحرها وأناحي، أَثَّر من الثَّار والرَّمَّة القطعة من الحبل وسُمي ذو الرمة بقوله:

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ مَثَلِ رُكُودٍ غَيْرُ ثَلَاثِ بَاقِيَّاتِ سُودٍ
وغير باقي ملعب الوليد وغير مرضوخ القفا مَوْتُودٍ

أشَعَثَ باقِي رِمَّةِ التَّقْلِيدِ

وقولهم (خذ هذا بِرُمَّتِهِ) أي اقْتَدُهُ بِحَبْلِهِ. والرَّمَّة في بعض اللغات الأَرْضَة - ويقال رَمَت الشيء أَرُمُّهُ رَمًا - إذا أَصْلَحَتْه (وجاء بالطَّم والرَّم) فأحسن ما قالوا فيه إن الطم ما حمله الماء، والرم ما حمله الريح، والرَّمَّة قاع عظيم بنجد تنصب فيه جماعة أودية وقالوا الرَّمَّة فخففوا، وقال الأصمعي - تقول العرب عن لسان الرمة (كل بَنِي يُحْسِنِي إِلَّا الْجَرِيبَ فَإِنَّهُ يُرْوِينِي) والجريب واد يَنْصَبُ فِي الرَّمَّة - ومن روى الْجَرِيبَ فهو خطأ قال الراجز:

حَلَّتْ سُلَيْمِي جَانِبَ الْجَرِيبِ بِأَجْلَى مَحَلَّةِ الْغَرِيبِ

ومن معكوسه - مَرَّ يَمَرُّ مَرًّا - وَجِئْتُكَ مَرًّا أو مَرَّيْنِ تريد مرة أو مرتين - قال ذو الرمة:

لَا بَلْ هُوَ الشُّوقُ مِنْ دَارِ تَخَوُّفِهَا مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ طَرِبُ

والمرُّ ضد الحلو، والمرَّة شجرة معروفة، والمرَّة القوَّة من قوى الحبل والجمع مِرَر ورجل ذو مِرَّة إذا كان سليم الأعضاء صحيحها وفي الحديث " لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لَغْنِي وَلَا لَذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ".

والمرّة - أحد أمشاج البدن - والمرّ والمرّ الحبل - وأنشد أبو حاتم عن أبي زيد:
 زوجك يا ذات الشايبا الغرّ والبرتلّات والحبين الحرّ
 أعياف فطناه مناط الجرّ بين وعائي بازل جورّ
 ثم ربطنا فوقه بمرّ

ومن خلال النصّ الآنف الذكر أستنتج طريقته في الاحتجاج بما يأتي:
 أ/ استشهد بالشعر والحديث وكلام العرب وأمثالهم، وبمعنى آخر نوع في احتجاجة
 ولا يعني خلو ما اقتطفناه من آية قرآنية أنه لم يستشهد بالقرآن فإن نصوص المعجم تزدحم
 بالشواهد القرآنية.

ب/ يذكر غالباً اسم الشاعر المستشهد بشعره.

ح - يقوم بشرح الغامض من ألفاظ ما استشهد به ويتجلى هذا النوع من
 الاستطراد ببيانه المقصود من النيب، وأثر ولا يكتفى بذلك بل يحزر معنى البيت كله.
 ثم ذكر من أقوال العرب وأمثالهم ووضح المقصود منها، وبيّن معاني الغامض فيها
 كالطمّ والرّم، ويشرح المقصود من الجريب ويستشهد لما قال، ومن إمعانه في الاستطراد
 أنه عند ذكر معنى الرّمة، بيّن لم سمي الشاعر غيلان بذي الرمة ويذكر شعره الذي كان
 سبباً في هذا التلقب.

د. غالباً ما يذكر الكلمة (المدخل) ومعناها ثم يتبعه بالشاهد كما فعل مع الرّمة
 والرّمة والجريب والمرّ وذو مرّه، وقد يحدث العكس، أي يذكر الشاهد ثم يبين المقصود
 من المستشهد له من خلال الشاهد كما فعل في قولهم (وجاء بالطمّ والرّم).

ومما يميّز نصّ الجمهرة كذلك التفات ابن دريد إلى التنويع اللهجي في المفردات؛
 بنصّه على انتماء اللفظ بصيغة ما أو بمعنى ما، على أنه يمانى أو حجازي أو من لغة قيس أو
 من لغة هذيل، والأمثلة قد يضيق بها الحصر ومنها قوله في باب ب س س ١ / ٣١:
 والسبّ بلغة هذيل الحبل، وقال أبو ذؤيب:

تدلّى عليها بين سبّ وخيّطة شديد الوصاة نابلّ وابن نابل

وفي باب خ ز ز ١ / ٦٦: "الزخبيخ - النار لغة يمانية". وفي باب س ق ق ١ / ٩٤: "وقَسَسْتُ ما على العظم - إذا أكلت ما عليه من اللحم أو امتخخته - لغة يمانية" وفي باب ش ق ق ١ / ٩٨: "القَشَّة ولد القرد الأنثى لغة يمانية.. والقَشُّ - رديء النخل نحو الدقل وما أشبهه، لغة يمانية". وفي باب ص ل ل ١ / ١٠٢: "المَصَلَّة - إناء يُصَفَّى فيه الخمر وغيرها لغة يمانية... ومن معكوسه لَصَّ ولَصَّ.. والجمع لصوص وفي بعض اللغات لَصَّت والجمع لُصُوت لغة طائية - قال الشاعر عبد الأسود الطائي:

فتركن جرماً غليلاً أبناؤها وبني كنانة كاللُصُوت المُرْد

وفي باب ت ر و ٢ / ١٤: "الوثر) الفرد ضد الشفع بكسر الواو لغة حجازية وفتحها نجدية". وفي باب ت ك ن ٢ / ٢٨: "والنتك لغة يمانية شبيه بالنتف". وفي باب د س و ٢ / ٢٦٧: "يقال وسادة ما توسدته ويقال إسادة لغة هذلية". وفي ٢ / ٢٧١: "السَّرْحان الذئب بلغة أهل نجد". وفي باب د ع ن ٢ / ٢٨٣: "الدَّعْن لغة أزدية وهو سعف يضم بعضه إلى بعض ويرمل بالشريط ويسط عليه التمر".

وفي باب د ع و ٢ / ٢٨٣: "الدَّوع ضرب من الحيتان لغة يمانية". وفي الجزء الثالث في باب س ط ل ٣ / ٢٧: "والسليط بلغة أهل اليمن الزيت، وبلغة من سواهم من العرب دهن السَّمِسِم". وفي باب ض ع ف ٣ / ٩٢: "الضَّعْف والضَّعْف لغتان وقد قرئ بهما والضَّعْف لغة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من بعد ضَعْفٍ قوة) فقال النبي ﷺ (ضَعْفٍ قوة) يا غلام". وفي باب ش ع ل ٣ / ٦١: "قال قوم العَلُوش ابن آوى لغة يمانية". وفي باب ب غ و اي ٣ / ٢٠٩: "وغَبَّيت شعري إذا قصرت منه لغة لعبد القيس" وفي باب الرائ والسين من الرباعي ٣ / ٣٣٨: "والفَرِسك الخوخ لغة حجازية يتكلم بها أهل مكة إلى اليوم" يقصد أيامه. وفي باب ما جاء على فُعْلُول فألحق بالخماسي ٣ / ٣٨١: "وكُرْشوم قبيح الوجه وأهل اليمن يقولون قَبَّحَ الله كرشته أي وجهه... ويقال غلام فُرهود ولا يوصف به الرجل وربما سمي شِبْل الأسد فُرهوداً لغة أزدية... والقُشْعور القشاء

لغة يمانية" ويحسن أن يكون ختام الأمثلة بلغة يمانية لأنه خصّها بفيض وفير من الاهتمام وهو أمر مفهوم فأصله يمانى، وإن عاش في البصرة.

وشغلت المعرّبات حيزاً لا بأس به في نص الجمهرة، وتنوّع أسلوبه في التعبير عن التعريب، ومن ذلك قوله في باب أسّ سَ ١ / ١٧: "فأما (الأس) المَشْموم فأحسبه دخيلاً، على أن العرب قد تكلمت به وجاء في الشعر الفصيح" وقد تكرر مثل هذا التعبير أي قوله (أحسبه) ويبدو أنه يلجأ إليه عندما لا تكون ثقته كاملة في تعريبه، ففي باب فَوَعْل ٣ / ٣٦٣: "وزورق أحسبه معرباً" ولم يزد على ذلك ولكنه في مكان آخر من الباب نفسه وفي الصفحة نفسها: "وقَوَصَر يقال تَقَوَصَر الرجل إذا تداخل وأما قَوَصَرَة التمر فلا أحسبها عربية محضة، وإن كانوا قد تكلموا بها وقد جاء في الشعر الفصيح" وهكذا يشكك في الأصل العربي للكلمة بعد تشكيكه في عجمة الكلمات السابقة عليها. ولكنه في مواضع أخرى يبدو متأكداً ويقطع بتعريبه دون أن يتبعه بأي تعليق كقوله في نفس الباب ٣ / ٣٦٠: "الجَوَسَقِ معرّب وهو قصر أو حصن"، وفي الصفحة نفسها يقطع بتعريبه ويؤكد ذلك بما يتبعه من تعليق كقوله: "وجورب اسم فارسي معرّب وقد كثر حتى صار كالعربي" ويأتي بشاهد بقوله بعدها قال رجل من بني تميم لعمر بن عبيد الله بن معمر:

انبذ برملة نبذ الجورب الخلق وعش بعيشة عيشاً غير ذي رَنق

ويفتح باباً للمعرّبات سمّاه "باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة" في الجزء الثالث / ٤٩٩ - ٥٠٣ ويحاول أن يوزع ما ذكره من معرّبات على اللغات التي اقترضت منها كالفارسية ويذكر ألفاظاً يرى أنها من أصل فارسي كالبهرج والأرجوان والدّشت والبستان ويتلوه قوله وما أخذوه من الرومية فيعدّ قَوْمَس وهو الأمير والسجنجل والخندريس والقسطاس، ويعود إلى الألفاظ الفارسية كالقيروان والسرراويل وبعده يذكر "وما أخذ من النبطية" ولكنه يذكر ألفاظاً أصلها فارسي تحت هذا العنوان كالخورنق (موضع الشرب) واليَلْمَق (القباء المحشو) وغيرها. ويبدو أنه قد أدرك أنه لم يأت بألفاظ نبطية فيضع العنوان نفسه ثانية (وما أخذ من النبطية) ويذكر المِرْعَزِي وأصله بالنبطية مريزي وينهي هذا العنوان بكلمة فارسية وهي كُرْبز وبعدها يضع عنوان (وما

أخذ من السريانية) كالتامور وطيجن وهو الطابق بالفارسية والمقلّى بالعربية، والرّزّدق السطر من النخيل والفرس تسميه رسته أي سطر ويذكر تحت هذا العنوان ألفاظاً أصلها فارسي كالخندق والجوسق والطست والهاون والعسكر والاستبرق يخلطها بألفاظ أصلها من الرومية كالثمي (الفلس) والقُمّقم أو من النبطية نحو كُدادي أي الخيوط المعقدة التي عرّبت جُدّاد. ويتلو ذلك عنوان وما أخذتها العرب عن العجم من (الأسماء) نحو قابوس وبسطام وهما في الفارسية كاؤوس وأوستام وثنى بعنوان " وما أخذه من الرومية " ويذكر تحته مارية ورومانس، ثم عنوان " وما أخذه من السريانية " ويذكر شرحبيل وشراحيل وسموعل. ثم يعود إلى الفارسية والرومية ويذكر ألفاظاً ليست أعلاماً كالتنّور ويقول فارسي معرب وكذلك الجوز، ويقول مما أعربوه حسب تعبيره الترياق والدرياق روميان معرّبان، وما يذكره كذلك وعرب الشام يسمون الخوخ الدراقن (أي الدراق) وهو معرّب سرياني أو رومي، ويسمّون الجمل عُمرُوساً وكما يقول أحسبه روميّاً. وهكذا امتلأ هذا الفصل بالخلط والارتباك وخلا من التحقيق العلمي مما يدلّ على أن ابن دريد لم يكن على دراية كافية باللغات المأخوذ عنها.

وهناك أمر آخر كان محل عناية من ابن دريد في نصوص الجُمهرة وهو توثيقه ما يأخذه عن اللغويين بنسبة الأقوال إلى أصحابها كقوله ي باب أَكْ كَ ١ / ١٩: " وكان بعض أهل اللغة يقول سميت مكّة - بكّة - لأن الناس يتباكون فيها؛ أي يزدحمون وكل شيء تراكم فقد تباك". وفي باب أَلْ لَ في ١ / ١٩ أيضاً: " (والأل) العهد فيما ذكر أبو عبيدة في قول الله عز وجل ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة - ١٠). وفي الباب نفسه والصفحة نفسها ينقل عن ابن الكلبي: " قال ابن الكلبي - كل اسم في العرب آخره ال أو إيل فهو مضاف إلى الله عز وجل نحو شرحبيل وعبد ياليل وشراحيل وشهميل.. " وكثيراً ما يجعل وساطته في النقل عمن لم يعاصره، أبا حاتم والمقصود السجستاني كقوله في باب ب ت ت ١ / ٢١: " وأخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة.. " وهو التعبير نفسه في باب دَ غَ و ٢ / ٢٨٩ وفي باب حَ لَ م ٢ / ١٩١: " قال أبو حاتم قلت للأصمعي... " وهو التعبير نفسه في باب دَ رَ عَ ٢ / ٢٤٩ وكذلك في باب ش د ن ٢ / ٢٧٠ وفي باب دَ فَ قَ ٢ / ٢٨٩: " وحدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي.. " وفي باب دَ غَ فَ ٢ / ٢٨٧: " وأنشدنا أبو حاتم، قال أنشدنا الأصمعي عن أبي عمود.. "

وأما اللغويون الذين ترددت أسماءهم كثيراً في الجمهرة فهم أبو عثمان الأشناندي والأصمعي وأبو عبيدة والخليل وأبو زيد وابن الكلبي، وأبو الخطاب الأخفش.

ومما لقي عناية من ابن دريد في نص الجمهرة الأعلام من أسماء الرجال والمواضع والوقائع والأيام والقبائل العربية وبطونها وأصنامها في الجاهلية وحيوانها ونواذرها وأشعارها وأسلحتها ففي باب ب ذ ذ ١ / ٢٧ ومقلوباته: "يوم ذي قار لما لقوا الفُرس وكانت العرب تزعم أن الفُرس لا يموتون فحمل رجل من بكر بن وائل فطعن رجلاً من الفُرس فصرع وصاح بقومه: "ويلكم إلهم يموتون". وفي باب ب ض ض ١ / ٣٣: "الضُبُّ هذه الدابة المعروفة، والأنثى ضَبَّةٌ...". وفي ١ / ٣٤: "والضَّبَّيبُ فرس من خيل العرب معروف... وقد سَمَّتِ العرب ضَبَّةً وضَبًّا، وبنو ضَبَّةَ بطن منهم وكذلك الضباب بطن أيضاً - وضَبُّ اسم الجبل الذي مسجد الخيف في أصله". وفي باب ج م م ١ / ٥٥: "المُجُّ اسم سيف من بعض سيوف العرب، قد ذكره الكلبي"، وفي باب ج و و ١ / ٥٦: "كانت العرب تسمي اليمامة في الجاهلية جَوْاً، قال الشاعر الأعشى:

فاستزلوا أهلَ جَوْ من منازلهم وهَدَّمُوا شاخصَ البنيانِ فَاتَّضَعَا

وفي باب ح د د ١ / ٥٨: "وبنو حَذَّاد بطن من العرب من طيء - وبنو حَذَّان بطن من بني سعد، والحَذَّان من الأزد". وفي باب ح ش ش ١ / ٦٠: "وَحَشُّ كوكب موضع بالمدينة معروف".

وفي باب خ و و ١ / ٧١: "خَوْ (خَوْ) كَثِيبٌ معروف بنجد - وَيَوْمُ خَوْ - يوم لبني أسد على بني يربوع قتل فيه ذوابُ بن ربيعة عتيبة بن الحارث اليربوعي". وفي باب ت م ي ٢ / ٣٠: "وفي العرب قبائل منسوبة إلى تيم: بنو تيم بن مرة منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبنو تيم بن غالب وهو تيم الأدرم من قريش أيضاً، وبنو تيم بطن من الرباب، وبنو تيم الله بن ثعلبة بطن من بكر بن وائل، وتيماء موضع ممدود قال الشاعر - الأعشى:

بالأبلقِ الفردِ من تيماءِ منزلِهِ حصنِ حصينِ وجارِ غيرِ غَدَّارِ

وأرض تيماء قفر لا أنيس بها". وفي باب ث غ و ٢ / ٤٧: "ويغوث اسم صنم معروف". وفي باب ر س ن ٢ / ٣٣٨: "والنَّسْر الطائر المعروف.. والنَّسْران نجمان في السماء، والنَّسْر ما بين الأربعين إلى الخمسين من الخيل، والجمع المناسر، وقد سَمَّتِ العرب

نُسيراً وناسراً - ونُسِرَ صنم كان في الجاهلية وقد ذكر في الترتيل، والنَّسار موضع، قال الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي:

وأما بنو عامر بالنَّسار غداة لقونا فكانوا نعاما

وفي باب رَشَ عَ ٢ / ٣٤٣: "عاشوراء يوم سمي في الإسلام، ولم يُعرف في الجاهلية، وليس في كلامهم فاعولاء ممدوداً إلاَّ عاشوراء هكذا قال البصريون، وزعم قوم عن ابن الأعرابي أنه سمع خابوراء..."، وفي باب رَشَ قَ ٢ / ٣٤٦ - ٣٤٧: "الشقرة في الخيل حمرة صافية يحمرُّ معها السيب والناصبة... وبنو شقرة بطين أحسبهم من بني ضبَّة، والأشقر بطن من العرب كانت أمهم تسمى الشَّقِراء.. وقد سمَّت العرب أشقر وشُقْران وشُقيرا والمشقَّر حصن بالبحرين قديم... والشارق صنم كان في الجاهلية وبه سمَّت العرب عبد الشارق... وأيام التشريق التي بعد الأضحى، وإنما سميت بذلك لأنهم كانوا يشرِّقون اللحم فيها... والقُرْش الجمع تَقْرَشُ القوم إذا تجمعوا وبه سميت قُرِيش لتجمعها.. وقال قوم قريش دابة من دواب البحر، وقال آخرون سميت قريش بقريش بن يخلد ابن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش، وقال قوم إنما سميت قريش قريشاً لأن قُصَيّاً قرَّشها أي جمعها ولذلك قُصَيُّ مُجَمَّعاً - قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

أبونا قُصَيٌّ كان يُدْعَى مُجَمَّعاً به جَمَعَ الله القبائل من فِهْرِ

وقال أيضاً:

نحن كنا سكاكنا من قريشٍ وبنا سميت قُريش قُريشاً

وقال آخرون: تَقْرَشُ الرجل إذا تَرَّه عن مدانس الأمور..".

وفي باب رَشَ مَ ٢ / ٣٤٩: "وقد سموا شِمراً أو مشمراً وشِمِرَ يرعش ملك من ملوك حمير والشرم الشق يقال شرم عينه إذا شق جفنه الأعلى وبه سمي (أبرهة بن الصباح) الحبشي الأشرم صاحب الفيل لشرم كان بعينه..".

وفي نهاية هذا المبحث لابد من الإشارة إلى تأثر الأزهري في تهذيب اللغة بأحد أساليب الجمهرة في أداء المعنى، رغم أن الأزهري قد وسم ابن دريد بافتعال العربية وأنكر عليه بعض

ما أورده في الجمهرة، ولكن ذلك لا ينفي أنه حذا حذو ابن دريد واستفاد منه صورة من صور أداء المعنى وهي تصدير المعنى بإذا الشرطية من مثل قول الأزهري في تقليب عز ١ / ٨٢: "... يقال عَزَّةٌ يُعَزُّه إذا غلبه وقهره" وفي الجمهرة في باب زَ عَ عَ ومعكوسه عَ زَ ١ / ٩٠: "... عَزَّ يُعَزُّ عَزًّا إذا قهر"، والأمثلة على هذا الأسلوب تفوق الحصر والعَدَّ في الجمهرة والتهذيب ولكن الجمهرة هو السابق والتهذيب مقلد ومتابع له في رأيي.

وأما المعجم الثاني الذي اقتفى أثر ابن دريد في الجمهرة فهو أحمد بن فارس الذي أقام ترتيب المداخل في معجم المقاييس على الترتيب التدويري للحروف حيث فتح لكل حرف باباً وأجراه في المداخل مع الحروف التي تليه ففي باب العين يأتي بالعين مع الغين، ويثلاثهما بالحرف الذي يلي الغين في الترتيب الألفبائي وهو الفاء فأفترض أن أول مدخل في باب العين هو عَ غَ فَ، إن كان مستعملاً ثم ع غ ق فـ: ع غ ك حتى يصل إلى ع غ ي وبعدها ينثني إلى ع غ أ، ثم ع غ ب حتى يصل إلى ع غ ع وهي مداخل أفترضها بناءً على منهج ابن فارس التدويري الذي بذر فكرته ابن دريد في الجمهرة الذي لو فتحنا معجمه على باب العين في الثلاثي في الجزء الثالث ص ١٢٦ وما بعدها (باب العين وما بعده) سنجد أن أول ما بدأ به هو باب العين مع الغين ويذكر أن "باب العين والغين مع باقي الحروف مهملات إلى الياء ولا يدور بالعين مع الحروف السابقة عليها في الترتيب كما فعل ابن فارس لكي يأتي بالعين والغين مع الألف (الهمزة) ومع الباء ومع التاء ومع الثاء والجيم والحاء والخاء.. إلخ؛ ولكنه يبدأ بباب العين مع الفاء والقاف (ع ف ق) ويليه باب العين والفاء والكاف (ع ف ك) إلى باب (ع ف ي) وهنا ينتهي ويبدأ مع العين والقاف وما يلي القاف وهو الكاف (ع ق ك) وهو مهمل عنده. ولا يظن المتابع أن ابن دريد قد أهمل الحديث عن العين مع الألف، والباء والتاء.. إلى العين مع العين مثلاً بل إنه سيجد العين مع الألف وما يثلاثهما في باب الألف (الهمزة)، وباب العين والباء وما يثلاثهما في باب الباء وهكذا لا يفوته شيء. وعليه يكون ابن فارس قد نقل الشق الأول من منهجه الذي يقرن الحرف بما يليه، عن الجمهرة واعتاض ابن فارس عن التقليل بالتدوير لكي تكتمل له المداخل.

٣-٣ مدرسة الترتيب الألفبائي الصرفي التدويري

(مقاييس اللغة) ^(١) لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)

ويمثل هذه المدرسة مُعْجَمًا يحمل اللغة ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس ^(٢) (ت ٣٩٥ هـ) وسأكتفي بالحديث عن (مقاييس اللغة) لأنه عمل معجمي أكثر نضجاً واكتمالاً بمنهج الأدق في عرض مادته وإن شابه هو الآخر شيء من الاضطراب في ترتيب مداخله، وأفترض أن (المقاييس) قد فصل ما جاء مجملاً في الجمل عدا اتفاقهما في الترتيب بحيث يغني حديث الترتيب والتنظيم في أحدهما عن الحديث في الآخر. كما أن المقاييس كما يقول محققه الأستاذ عبد السلام هارون في تقديمه ١ / ٤١: "من أواخر مؤلفات ابن فارس؛ فإن هذا النضج اللغوي الذي يتجلى فيه، من دلائل ذلك..."، وأنه أُلِفَ (المقاييس) "بعد تأليفه (المجمل)، وإن الناظر في الكتاين يلمس القوة في الأول (يقصد المقاييس)". ولأن التالي بالضرورة يفترض أن يكون أكثر نضجاً وقوة وتفصيلاً واكتمالاً من سابقه، فهو بالضرورة أولى بالدرس والبحث والتحليل؛ لأن تجربة المؤلف أصبحت أكثر غنى ونضجاً وحنكة وقدرة على تلافي ما وقع فيه من هنات في المصنّف السابق.

وأبدأ بعنوان المعجم وهو (المقاييس)، لبيان المقصود منه؛ فأقول لقد ورد هذا المصطلح وأقصد «مقاييس» في مقدّمة المعجم (١ / ص ١): "إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولاً تتفرّع منها فروع، وقد أُلِفَ الناس في جوامع اللغة ما أَلْفُوا ولم يُعْرَبُوا في شيء من ذلك عن مقاييس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول... وقد صَدَرْنَا كل فصل الذي يتفرّع منه مسائله.." ولا بد من الاعتراف أن في كلامه تعميماً يحتاج إلى

(١) مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، ١٩٩٦ م.

(٢) وهو أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، واضطربت الآراء في موطنه الأول، ويرى القفطسي أن أصله من همدان وتلمذ له فيها بديع الزمان الهمداني، وانتقل بعدها إلى الري بدعوة من آل بويه وتلمذ له فيها صاحب بن عباد، كان لغوياً وأديباً شاعراً وناقداً ترك مؤلفات عدة كالصاحبي في فقه اللغة والمجمل في اللغة والمقاييس وغيرها.

توضيح وتفسير وتفصيل؛ وقد يقصد بالأصول هنا الجذور التي تشتق منها المداخل في قياس مطرد لأداء معنى أو أكثر، ويبدو أن ابن فارس قد اعتمد على المعنى في بيان أصل المادة أو جذرها والدليل على ذلك قوله مثلاً في ١ / ١٠٧: " (أسر) الهمزة والسين والراء أصل واحد، وقياس مطرد وهو الحبس، وهو الإمساك.. " وواضح هنا أنه يقصد بالأصل الجذر (أسر) وما يشتق منه من صيغ قياسية وهو ما يمكن أن يفهم من قوله قياس مطرد أنها تدور حول معنى واحد هو الإمساك كقوله ١ / ١٠٧: " من ذلك الأسير، وكانوا يشدّونه بالقيد وهو الإسار؛ فسمي كل أخيد، وإن لم يُؤسّر، أسيراً... والعرب تقول: أسَرَ قَتَبُهُ؛ أي شدّه، وقال الله تعالى: (شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) يقال أراد الخلق، ويقال بل أراد مجرى ما يخرج من السبيلين، وأسرة الرجل رهطه. لأنه يتقوى بهم، وتقول: أسيرٌ وأسرى في الجمع وأسارى بالفتح، والأسرُ احتباس البول ". ومما يدل من اعتماده على المعنى في تقرير الأصل قوله مثلاً في موضع آخر ١ / ١٠٦: " (أسد) الهمزة والسين والdal يدل على قوة الشيء، ولذلك سمي الأسدُ أسداً لقوّته، ومنه اشتقاق كل ما أشبهه، يقال: استأسد النبت قوي... ". كذلك إذا كان للجذر أكثر من معنى فإنه يعبر عن ذلك بقوله (أصلان) كقوله مثلاً في ١ / ٨٣: " (أرك) الهمزة والراء والكاف أصلان عنهما يتفرع المسائل، أحدهما شجر والآخر الإقامة... "، وقد ينوّه أحياناً بأن الجذر أصل واحد أي له معنى واحد ولا يقاس عليه أي لا يشتق منه مشتقات، ولا يتفرّع عنه معانٍ، كقوله في ٨٢ / ١: (أرف) الهمزة والراء والفاء أصل واحد، ولا يقاس عليه ولا يتفرّع منه.. " أي يدور حول معنى واحد فقط ويأتي على صورة واحدة وهي (أرف) بقوله: " يقال أُرِفَ على الأرض إذا جُعِلَتْ لها حدود.. "؛ فكأنه أراد أنه لا يُشتق منه، ولا تؤخذ منه معانٍ أخرى.

وهي معالجة مختلفة نوعاً ما عن نظرية الاشتقاق الكبير أو الأكبر التي تبناها ابن جني بعد أستاذه أبي علي الفارسي، فالأمر ليس كما قال الأستاذ عبد السلام هارون محقق المقاييس ومن تابعه في ١ / ٣٩: " وهو (يقصد ابن فارس) يعني بكلمة المقاييس ما يسميه بعض اللغويين (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشترك

فيها هذه المفردات " نعم إنه يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو أكثر ولكن المفردات التي يقصدها ابن فارس هي مما يخص الاشتقاق العام أو الصغير بينما الاشتقاق الكبير يخص تقلبيات المادة، فابن فارس يربط مثلاً الجذر (أزف) بهذا الترتيب بين الحروف بمعنى الدنو والمقاربة ١ / ٩٤ ولا علاقة بتقلبياتها بهذا المعنى بل يذكر ما يشتق منها من مفردات نحو: أزف الرحيل، الأزفة، المتأزف، وتأزف، وآزف يؤزف إيزافاً، والمآزف والمأزفة. وهذه مفردات تشتق من الجذر أزف بصورة قياسية.

وهذه المشتقات هي الأبنية أو الصيغ سواء أكانت أفعالاً أو أسماء (أسماء فاعلين أو أمكنة) هي الفروع التي تؤخذ من الأصول على أسس قياسية، أي الفعل على مثال فَعَلَ وتفاعَلَ واسم الفاعل على مثال فاعل (أزفة)، ومتفاعِل (متأزف) واسم المكان مأزفة... إلخ، وهي التي ترتبط بمعنى أو أكثر، في رأيه، وهو عمل يتوافق مع ما اصطلاح على تسميته بالاشتقاق العام الذي يُعرّف عادة بأنه أخذ لفظ من لفظ آخر بشرط تناسبهما لفظاً ومعنى وهو أمر مختلف عن الاشتقاق الكبير الذي سَمّاه ابن جني الاشتقاق الأكبر وعرّفه في الخصائص ١ / ١٣٤ بقوله: " أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه " ويضرب الأمثلة لذلك بتقاليب (ق و ل) وهي ق و ل، ل و ق، ل و ق، و ق ل، و ل ق، التي تجتمع في رأيه على معنى جامع هو السرعة وقوة الحركة والخفة. وهي نظرية تخدم عند ابن جني العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول ويمكن بها حصر المهمل من المستعمل من مفردات اللغة كما أراد الخليل في العين فهو لا يؤدي إلى نمو مفردات اللغة، والمعنى الجامع ليس مطرداً في تقلبيات الجذور مهما امتلكنها من لطف الصنعة والتأويل الذي لا نملك له قياساً أو معياراً.

وبناء عليه فإن شرطَي الاشتقاق الأكبر (الكبير) وهما التقلب والمعنى الواحد الجامع ليسا من شروط ابن فارس، فهو لم يأبه للتقاليب قط فيما طرحه من مداخل أو من جذور للمداخل المعجمية، كذلك لم يقف عند شرط المعنى الواحد فقد يحمل المدخل ومشتقاته

أكثر من معنى وقد يقتصر المدخل على أصل واحد يدل على معنى واحد نحو قوله في (١ / ١٠٨ - ١٠٩): " (أشِر) الهمزة والشين والراء، أصل واحد يدل على الحِدَّة من ذلك قولهم: هو أَشِرُّ، أي بَطَر مُتَسَرِّعٌ ذو حِدَّة، ويقال منه أَشِرُّ يَأْشُرُ، ومنه ناقةٌ مُشِيرٌ، مفعيل من الأشر،... ورجل أَشِرٌ وَأَشُرٌ: رِقَّةٌ وَحِدَّةٌ في اللسان...". وقد يذكر للمدخل أصليين أي معنيين كما في مادة أزل مثلاً (١ / ٩٦ - ٩٧) حيث يقول: " وأما الهمزة والزاء واللام فأصلان: الضيق، والكذب، قال الخليل: الأزل الشدة..... وأما الكذب فالإزل...".

وقد يذكر للمدخل ثلاثة أصول كما في (أصل) ١ / ١٠٩ - ١١٠: "الهمزة والصاد واللام، ثلاثة أصول بعضها من بعض، أحدها: أساس الشيء، والثاني الحية، والثالث: ما كان من النهار بعد العشي..." فكأنه يريد أن هذا الجذر يؤخذ منه ثلاثة مشتقات، كل مشتق منها يكون أصلاً في معنى ما، واعتدَّ المعنى أصلاً لأنه يحدّد صيغة المشتق، فـ(الأصل) بصيغة (فَعْل) يعني الحَسَب، و(الأصلَة) بصيغة (فَعْلَة) تعني الحَيَّة العظيمة و(الأصيل) مأخوذ من أَصْل بصيغة أو بوزن (فَعِيل) فهو الزمان بعد العشي وجمعه أَصْلٌ وَأَصَال. وهكذا تكون لديه ثلاثة أصول بمعانيها المختلفة وهي: أَصْلٌ وَأَصْلَة وَأَصِيل من جذر واحد هو أ ص ل، فكأن كل صيغة منها هي الأصل في معنى ما يشتق منها.

وقد ورد عنده من الجذور ما يدل على أربعة أصول في معانيها مثل قوله في (١ / ٢٣١ - ٢٣٣): " (برم) الباء والراء والميم يدل على أربعة أصول: إحكام الشيء، والغرض به واختلاف اللونين، وجنس من النبات.. " أخذ منها أربعة مشتقات أو هي جذر لمشتقات أربعة هي بدورها أصول في تأدية المعاني فيشتق من (ب ر م): أَبْرَمَ (أَحْكَم) وَبَرِمَ (عَيِيَ) وَالْإِبْرِيمِ (النوعين من كل ذي خِلْطَيْن. كالليل والنهار، والدمع مع الإثم - إبريم)، والْبَرَمَة (الرائحة).

وورد كذلك عنده من الجذور ما له خمسة أصول، كل أصل له معناه الخاص به كما في ١ / ١٨٧: " (بل) الباء واللام في المضاعف له أصول خمسة هي معظم الباب، فالأول الندى يقال له بَلَلْتُ الشيءَ أَبْلُهُ.... (أي بَلَّ يُلُّ وما يشتق منها تكون في هذا المعنى).

والأصل الثاني: الإبلال من المرض.... إذا برأ منه (أي الإبلال وما يشتق منه يكون أصلاً في هذا المعنى).

والأصل الثالث: أخذ الشيء والذهاب به يقال بل فلان بكذا، إذا وقع في يده.... (أي البَلُّ وما يشتق منه أصل في هذا المعنى).

والأصل الرابع: البَلَل وهو مصدر الأبل من الرجال وهو الجريء الذي لا يستحي ولا يبالي (رجل أبل وامرأة بلأء) (أي الأبل وما يشتق منه أصل في هذا المعنى).

والأصل الخامس: فهي حكاية أصوات وأشياء ليست أصولاً تنقاس كالبليل صوت كالأنين وبليل الماء صوته والبلبل والبلبل، وهي مشتقات لا يكون أخذها أصلاً لغيره". وهكذا يكون المقصود من المقاييس الأصول المشتقة قياساً من الجذور، مع ارتباط كل أصل بمعنى خاص أو أكثر وهو خاص بالاشتقاق العام الذي تؤخذ منه المفردات بصورة قياسية دون أدنى عناية بالتقليبات التي تجتمع على معنى جامع وهو ما يدخل في الاشتقاق الكبير الذي اعتنى به ابن جني.

ومما يزيد في إصراراً على هذا الرأي أن ابن فارس كان يذكر الجذر بحروفه بوصفه مدخلاً مفرغاً من معناه ويتبعه بذكر حروفه مرتبة حسب المعنى المراد أو الأصل الذي تؤخذ أو تشتق منه المفردات التي ترتبط بمعنى أو أكثر. ويمكنني كذلك أن استدل على أن المراد بالقياس هو الاشتقاق قول ابن فارس في الصاحبي ص ٣٣: "أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم، أن للغة العرب قياساً وإن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان". ولا معنى لكلامه سوى أنه يريد الاشتقاق العام لأن المداخل تؤخذ على أساس قياسي من الفعل أو المصدر حسب الخلاف بين البصريين والكوفيين، ولا أثر هنا للتقليب هنا وما يترتب عليه من اشتقاق كبير أو أكبر. هذا عدا إشاراته أحياناً التي يصرح فيها بلفظ الاشتقاق كما في قوله في ١ / ٨١: " (أرط) الهمزة والراء والطاء كلمة واحدة لا اشتقاق لها، وهي الأرطى الشجرة.."، وقد يذكر تعبيراً آخر بديلاً عن الاشتقاق له وهو لا يقاس عليه ولا يتفرع منه كقوله في ١ / ٨٢: " (أرف) الهمزة والراء والفاء أصل واحد، لا يقاس عليه ولا يتفرع منه..".

هذا ما كان من أمر الثلاثي واشتقاقه أو قياسه أما ما فوقه من الرباعي والخماسي فله قياس آخر عند ابن فارس يمثله قوله في ١ / ٣٢٨ - ٣٢٩ (باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء): "اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا آخر في القياس، يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتُنَحَّتَ منهما كلمة آخذة منهما جميعاً بحظ، والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حَيَّلَ الرجل، إذا قال حيَّ على.. وقولهم عبشمي.. فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي، فنقول: إن ذلك على ضربين: أحدهما المنحوت الذي ذكرناه، والضرب الآخر الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس".

وهكذا ينتقل إلى نوع آخر من القياس وهو النحت وهو ما يُطْلَقُ عليه أحياناً الاشتقاق الكُبار، وهو اشتقاق كلمة من كلمتين فأكثر فليس له ضابط أو قاعدة وإن حاول ابن مالك في شرح التسهيل أن يقعد له بقوله: "قد ينبي من جزأي المركب فَعَلَّ بقاء كل منهما وعينه، فإن اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بلام الأول" (المزهر ٤٨٥/١) ولكن أبا حيان يقف عند المسموع من المنحوت ولا يجوز القياس عليه لأنه غير مطرد، وابن فارس يصر على قياسية النحت أيضاً في كتابه الصاحي في فقه اللغة بقوله في ص ٢٢٧: "ومذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضَبَطَ من ضبط وضير" مع أنه في معجم المقاييس يقر في النص المقتبس منه آنفاً، أن هناك ضرباً من الرباعي غير منحوت وُضِعَ على غير قياس؛ فمما يعني أن النحت ليس مطرداً، كما أن القياس في الثلاثي غير مطرد في جميع مواد اللغة كقوله على سبيل المثال في ١ / ٣٦٣ في مادتين: " (تب) التاء والباء والنون كلمات متفاوتة في المعنى جداً، وذلك دليل أن من كلام العرب موضوعاً وضعاً من غير قياس ولا اشتقاق.. " ويبدو حديثاً أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد انتصر لابن فارس وأصدر قراراً بجواز قياسية النحت ولكن بشروط، ونصه في العدد ١٣ من مجلته، ص ٢٥١: "النحت ظاهرة لغوية أخذ بها قديماً وحديثاً وقد وردت منه كثرة تجيز قياسيته، فينحت عند الحاجة من كلمتين أو أكثر على أن يستعمل الحرف الأصلي دون الزائد وأن يلتزم الوزن العربي إذا

كان المنحوت اسماً وأن تضاف ياء النسب إن كان وصفاً.. وأن يقتصر على فعلل وتفعلل إن كان فعلاً".

وانتقل الآن إلى نظام المعجم من خلال العنوان: مدرسة الترتيب الألفبائي الصرفي التدويري؛ أمّا الألفبائي فلأنه اتبع في ترتيب مواد الترتيب الألفبائي وفقاً لجذور هذه المواد، ففتح لكل حرف كتاباً، بدأها بكتاب همزة بحرف همزة وكان آخرها كتاب الياء أي فتح ثمانية وعشرين كتاباً بعد الحروف الهجائية، ووزع المداخل اللغوية على هذه الكتب، حسب الحرف الأول من جذر كل مدخل، وقسم كل كتاب إلى أبواب حسب الحرفين الثاني والثالث نحو باب الباء والتاء وما يثلهما حتى باب الباء والياء وما يثلهما. أما الوصف بأنه صرفي فلأنه قسم كل كتاب إلى أبواب صرفية، حسب اشتقاق المداخل على النحو الآتي:

ثلاثة، أولها: باب الثنائي المضاعف نحو: أبّ، أدّ، ألكّ، أمّ، أي هذا في كتاب همزة. وثانيها: باب الثلاثي الأصول من المواد نحو باب الثلاثي الذي أوله همزة مثل: وأول باب فيه: باب همزة مع الباء وما يثلهما يليه باب همزة والتاء وما يثلهما ولكنه في باب همزة والحاء عدل عن قوله وما يثلهما إلى قوله (وما معها في الثلاثي) ١ / ٦٧، وفي باب همزة والزاء عدل إلى (وما بعدهما في الثلاثي) ١ / ٩٤. وفي باب همزة والكاف رجع إلى (وما يثلهما)، ولكنه يعود في باب همزة والميم إلى قوله وما بعدهما في الثلاثي ١ / ١٣٣.

وثالثها: باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية ولم يفتح فصلاً لهذا الباب (أقصد الرباعي) في باب همزة، ولكنه فتح له باباً في باب الباء في ١ / ٣٢٨ بعنوان (باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء) ويقول فيه ١ / ٣٢٩: "فما جاء منحوتاً من كلام العرب في الرباعي أوله باء، البلعوم.. بلعوم وغير مُشكّل أن هذا مأخوذ من بلع" وهذه أول مدخل في هذا الباب تخرج عن قياس ابن فارس حيث لم يبين ممّ نحتت، عدا وضعها في غير مكانها فيفترض أن يأتي حسب ترتيبه بالباء مع التاء ولكنه أتى بالباء مع اللام؛ ولكن لا يلبث أن يعود إلى الترتيب الألفبائي الأولى بالاتباع

فيأتي بمدخل: بُحْتَرُ في ١ / ٣٢٩ فيقول: " ومن ذلك (بُحْتَر) وهو القصير المجتمع الخلق فهذا منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء، وهو من بَرَثْتُهُ فَبَثَرْتُ، كأنه حُرِمَ الطول فَبَثَرْتُ خَلَقَهُ. والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء، هو من حَثَرْتُ وَأَحَثَرْتُ، وذلك أن لا تُفْضِلَ على أحد، يقال أَحَثَرَ على نفسه وعياله، أي ضَيَّقَ عليهم، فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يُعْطَ ما أُعْطِيَهِ الطويل.

أما التدويري فوصف جاء من التزامه ترتيباً خاصاً وهو كما يقول عبد السلام هارون ١ / ٤٣: " ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه... ففي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلاثهما بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلاثهما ثم باب التاء والحاء وما يثلاثهما وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف، ثم يرجع أدراجه، ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلاثهما" مع مراعاة الحرف الثالث على الطريقة نفسها ففي باب التاء والراء وما يثلاثهما مثلاً يبدأ بما يلي الراء من الحروف وهو الزاي فيبدأ في ترز فترس، فترش، فترص حتى يصل إلى تره ثم يعود أدراجه أو يستدير إلى التاء والراء مع الباء والجيم والحاء (في ترب، وترج وترح) (انظر ١ / ٣٤٣ - ٣٤٧) ومن هنا جاء وصف التدويري حيث إنه كان بعد استكمال المداخل حسب أبوابها في كل كتاب في كتاب التاء مثلاً يفتح باباً للمضاعف بعنوان باب الكلام الذي أوله تاء في المضاعف والمطابق وبعد أن يستوفي أبوابه بادئاً بـ (ثج) حتى (ثن) يستدير إلى تأوئب (١ / ٣٦٧ - ٣٧٠) وبعدها ينتقل مباشرة إلى الثلاثي في ١ / ٣٧١ بعنوان باب التاء والجيم وما يثلاثهما وبعد أن يستوفي مداخله أي مداخل التاء والجيم ينتقل إلى باب التاء والذال وما يثلاثهما وهكذا إلى أن يصل إلى باب التاء والياء وما يثلاثهما، وبعدها يستدير إلى باب التاء والهمزة وما يثلاثهما والتاء والباء ثم التاء والتاء وبعد أن ينتهي من مداخلها، ينتقل إلى ما فوق الثلاثي بعنوان في ١ / ٤٠٣ باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء، ويذكر ما تحته من مداخل كالشقوق والثعلب والثرمطة واثبجر، وتجدد الملاحظة أنه في الشنائي والرباعي (فوق الثلاثي) يذكر المداخل مباشرة دون توزيعها على أبواب كما يفعل في الثلاثي، كذلك في باب أكثر من الثلاثي

لا يتقيّد إلا بالحرف الأول من المداخل دون مراعاة الحرفين الثاني والثالث، فلو ضربت مثلاً لذلك ما جاء في كتاب الجيم (باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أوله جيم) ٥١٣ - ٥٠٥ / ١ ستجد المداخل حسب ترتيبها عنده: جُذْمُور، جَرْدَب، جُمهور، جرثومة، جُعْفَل، جَلَمَد، جُراهم، جَمْعَرَة، جَسْرَب، جَهْضَم، مُجْرَهْد (وهنا كلمة تبدأ بالميم وليس بالجيم وإنما هي ثانية) جَعْظَار، تَجْرَجَم، ويعود إلى جَمْعَر، وبعدها جَعْفَر، وجرفاس، وذات الجنادع، جَلْعَد، جَحْدَل، تَجْرَمَز، تَجَحْفَل، جَحْشَم، جَحْشَل، تَجْعَشَم، جَعْبَر، جَلْنَدَح، جَلْفَزِيز، مُجْدَزِر، جُنْبَل، جنادف، جُرْضَم، جُخْدَب، جُرْشُع، جُنْدَب، جَنْدَل، وينتقل إلى مما وضع وَضْعاً ولم يعرف له اشتقاقاً نحو: الْمُجْلَنْظِي، الْمُجْلَعَب، الْمُجْلَخْد، وَجَحْمُظَتْ، الْجُخْدَب، وَالْجُعْشَم، الْجَلْنَفَع، أَجْلَخَم، الْجِعْثَن، الْجِرْسَام. والأمر لا يحتاج إلى تعليق فإيراد المداخل ليس له ضابط سوى العضوية والعشوائية.

وقبل أن أترك هذا الجانب من منهج ابن فارس في ترتيبه الألفبائي الخاص الذي وصفه الأستاذ عبد السلام هارون في ١ / ٤٢ - ٤٣ بقوله: " سلك طريقاً خاصاً به، لم يفتن إليه أحد من العلماء ولا نبّه عليه... وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه.. " أود أن أقول إن هذا المنهج أو هذا الطريق قد سبقه إليه ابن دريد في الجمهرة الذي لو فتحنا معجمه الجمهرة، على باب العين مثلاً في الجزء الثالث ص ١٢٦ سنجد أنه يذكر باب العين في الثلاثي - باب العين وما بعده. وأول ما بدأ به هو باب العين مع الغين وينبه إلى أنهما مع ما يثلاثهما مهملات ويفعل ابن فارس الشيء نفسه بأن يهمل باب العين مع الغين ويبدأ بباب العين مع الفاء وما يثلاثهما وهو القاف (عفق) تماماً كما فعل ابن دريد في الجمهرة الذي ينتقل هو الآخر إلى باب العين مع الفاء والقاف ثم باب العين والفاء والكاف (ع ف ك) إلى باب العين والفاء والياء (ع ف و) ويقف عند هذا الحد دون الاستدارة أو الرجوع إلى باب العين مع الحروف السابقة عليها كما فعل ابن فارس الذي انتقل إلى باب العين والفاء والتاء، وهذه الاستدارة هي الشق من الترتيب الذي يميّز عمل ابن فارس عن عمل ابن دريد في الجمهرة؛ ولكن يجب ألاّ تظن أن ابن دريد قد أهمل الحديث عن العين مع الفاء وما يثلاثهما كالتاء والتاء... والطاء والظاء لأننا سنجد العين مع الهمزة (الألف) وما يثلاثهما في باب الهمزة (الألف)، والعين مع الباء وما يثلاثهما في

باب الباء وهكذا مع كل حرف مما تركه في باب العين فلا يفوته شيء، ولا عجب فإنه قد عدّ الجمهرة من مصادره.

هذا ما كان عن منهج ابن فارس في ترتيب معجمه الذي لم يأت على ذكره في مقدّمته للكتاب التي شغلها بأمرين أحدهما المشتقات القياسية من كل جذر المرتبطة بمعنى أو أكثر وهي النظرية الاشتقاقية التي طبقها في المعجم، والآخر: مصادره التي اعتمد عليها في استنباط مقاييسه التي شغل بها معجمه، وعلى رأسها، كما يذكر، كتاب العين للخليل بن أحمد ويليهِ الغريب المصنف، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، ثم كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، والجمهرة لابن دريد.

والآن أنتقل إلى التّبع التفصيلي لعناصر تحرير النصّ المعجمي في كتاب مقاييس اللغة؛ من الضبط وأساليب تأدية المعاني والاحتجاج والمعلومات. وأبدأ بالضبط، وفي هذا الشأن يصادفني نص لعبد السلام هارون في مقدّمة التحقيق ١ / ٤٥ يقول فيها: "وعنت بضبط الكتاب معتمداً على نصوص اللغويين الثقات، وقد أضبط الكلمة الواحدة بضبطين أو ثلاثة حسب ما تنص المعاجم عليه..." وهذا قول يثير شكاً أو تساؤلاً فيما إذا كان الضبط الذي تحدّث عنه عبد السلام هارون من وضع ابن فارس وقام هارون بتدقيقه وتوثيقه وتثبيته كما وجده من خلال المعارضات والموازنات مع نصوص المعاجم وكتب اللغة الأخرى أم أن هذا الضبط من تأسيس عبد السلام هارون ووضعه معتمداً على نصوص المعاجم واللغويين الثقات؟!

ومهما كان الجواب على هذا التساؤل فإن الناظر إلى ضبط النص يجد الضبط تاماً للشواهد من الآيات القرآنية والآيات الشعرية، مع الضبط الضروري المزيل للبس والإبهام في بقية مفردات النص، وللاستدلال على ذلك أقتبس قوله في (أذ) من المضاعف ١ / ١٢ وأنقل الضبط كما جاء في النص: " (أذ) وأما الهمزة والذال فليس بأصل، وذلك أن الهمزة فيه محوّل من هاء، وقد ذكر في الهاء. قال ابن دريد: أذ يُؤذ أذاً: قطع، مثل هذ. وشَفْرَة أذوذ: قطعة. أنشد المفضل:

يُؤذُ بِالْـشَّفْرَةِ أَيَّ أذٍ مِنْ قَمْعٍ وَمَأْنَةٍ وَفَلْدٍ

ويلاحظ هنا أن استعان أيضاً بالضبط بالمثل إضافة إلى الضبط بالحركات كقوله: أذ...، مثل هذ". وقد يكون المثال وزناً كقوله في ١/٥٤ باب الهمزة والشاء وما يثلاثهما: "رجل أثير على فعيل"، وفي ١/٥٥ من الباب نفسه "ورجل أثر على فعل" وفي باب أنف ١/٥٧: "ومن العرب من يقول مؤثفاً بوزن مفعلة في اللفظ، وإنما هي مؤفلة..". وفي باب أجل ١/٦٥: "أجلى على فعلى". وقد يستعين بالنص على الحركة بعد وضعها نحو ما جاء في ١/٥٧ باب الهمزة والشاء والراء: "قال الأصمعي: هو الأثر بالضم وكسرهما يعقوب..". وفي ١/٥٨ (أنف): "قال أبو عبيد: يقال الإثفية أيضاً بالكسرة". وفي ١/٥٩ (أثل): "قال أبو عمرو: الأثل المجد أو المال، وحكاها الأصمعي بكسر الهمزة وضمها".

وبعد الضبط أنتقل إلى الحديث عن أداء المعنى في معجم المقاييس الذي سبق القول إن ابن فارس قد أقام هذا المعجم على الربط بين الاشتقاق والمعنى وكل معنى يشكل أصلاً في كل مدخل أو جذر، فبعد أن يقرر المعنى أو المعاني التي يمكن أن ترد لكل جذر، يشرع في البحث عن المشتقات التي تؤدي هذا المعنى أو هذه المعاني، من خلال السياقات اللغوية وشواهد كقوله على سبيل المثال في ١/٢٣٦ - ٢٣٧ جذر (برأ): "فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق، يقال برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً، والباري الله جل ثناؤه، قال الله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾^(١)، وقال أمية:

الخالق الباري المصور

والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايكته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم، يُقال برئت وبرأت. قال اللحياني: يقول أهل الحجاز: برأت من المرض أبرؤ أبرؤاً. وأهل العالية يقولون: [برأت أبرأ] برءاً، ومن ذلك قولهم برئت إليك من حقك وأهل الحجاز يقولون: أنا برء منك، وغيرهم يقول أنا بريء منك. قال الله تعالى في لغة أهل الحجاز: (إني برء مما تعبّدون)... ومن ذلك البراءة من العيب والمكروه، ولا يقال منه إلا برئ يبرأ. وبارأت الرجل، أي برئت إليه وبريء إلي. وبارأت المرأة صاحبها على

(١) ٥٤ - البقرة.

المفارقة، وكذلك بارأت شريكي، وأبرأت من الدّين والضمان. ويقال إن البراء آخر ليلة من الشهر، سُمّي بذلك لتبرؤ القمر من الشهر، قال:

يوماً إذا كان البراء نحساً

... قال الخليل: الاستبراء أن يشتري الرجل جارية فلا يطأها حتى تحيض. وهذا من الباب لأنها قد بُرئت من الريبة التي تمنع المشتري من مباشرتها. وبرأة الصائد ناموسه وهي قُترته والجمع بُراً، وهو من الباب، لأنه قد زایل إليها كل أحد، قال:

بها بُراً مثل الغسيل الملمّم

وكان من اللازم أن أقتبس النص كله لتفصيله فكراً فهو يحمل الحديث أولاً بقوله: فأما الباء والراء والهمزة فأصلان... أحدهما: الخلق... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايته. ثم يتناول كل أصل على حدة متبوعاً ما استعمل من مشتقات الجذر التي تؤدي كل معنى منهما محاولاً إثبات ما افترضه من معانٍ وتأكيده بالشواهد بعد أن يضع أحد المشتقات في سياق لغوي متبوعاً بشاهد قرآني أو شعري أو الاثنين معاً؛ فيسوق مثلاً لمعنى الخلق بقوله: برأ الله الخلق.. والباري هو الله.. ويؤكد هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾^(١)، وبقول الشاعر: الخالق الباري المصور.

ومما يلاحظ هنا أنه استعان بالمشتقات: برأ، ويرأ، والبرء، وباريء، ولم يكن ابن فارس بحاجة إلى التلطف في التأويل حتى يصل إلى المعنى، فهو معنى حقيقي.

أما المعنى الثاني لمشتقات برأ فهو التباعد من الشيء ومزايته كالبرء من المرض، ويستشهد لذلك بقول لأهل الحجاز وأهل العالية. وبعدها ينتقل إلى معنى أقرب إلى المجاز منه إلى الحقيقة في المزايلة والابتعاد كالخلاص من العيب ويمثل لذلك بقولهم: برئت إليك من حقل، وبشاهد قرآني: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾^(٢)، والمخالصة والمفارقة بين طرفين ويمثل لذلك بالقول: بارأت المرأة صاحبها، وبارأت شريكي.

(١) ٥٤ - البقرة.

(٢) ٢٦ - الزخرف.

ومن هذه المعاني المجازية قولهم إن البراء آخر ليلة من الشهر؛ لتبرؤ القمر من الشهر وأيده بشاهد شعري والاستبراء وهو عدم وطء الجارية، واستعمل من المشتقات لهذا المعنى: البرء والبروء والبرء (مصادر) وبراء وبريء (صفة مشبهة) والبراءة وأفعالها برىء يبرأ وبارأ وأبرأ، والاستبراء والبرءة.

وأما بيان معاني المفردات فقد اتخذ وسائل عدة أولها التعريف كما في ١ / ١١ مادة أخ " الأخيخة: دقيق يُصَبُّ عليه ماء فيُبرَق بزيت أو سمن ويشرب، قال:

تَجَشُّوْ الشَّيْخَ عَنِ الْأَخِيخَةِ

وفي ١ / ١٣ مادة أر: " الأُرُّ: أن تعالج الناقة ولادها، وهو أن يُؤْخَذَ غصنٌ من شوك قَتَادٍ فَيُيْلُ ثُمَّ يُذَرُّ عليه ملح فيؤرُّ به حياؤها حتى يذمى.

وفي ١ / ١٣ مادة أَرَّ: قال الخليل: الأَرُّ حمل الإنسانِ الإنسانَ على الأمر برفق واحتيال.

وفي ١ / ٢٥ مادة أم: " وأم عُوَيْفٍ: دويبة منقطة إذا رأت الإنسان قامت على ذنبها ونشرت أجنحتها، يُضْرَبُ بها المثل في الجبن.

وفي ١ / ٣٢ مادة أن: " قال يعقوب: الأثانة من النساء التي يموت عنها زوجها وتزوّج ثانياً، فكُلَّمَا رَأَتْهُ أَنتِ وَقَالَتْ: رَحِمَ اللهُ فُلَاناً".

وفي ١ / ٣٥ مادة أبر: " قال الخليل: الإبرة عَظِيمٌ مستوٍ مع طرف الزند من الذراع إلى طرف الإصبع. قال:

حَيْثُ تَلَاقَى الْإِبْرَةُ الْقَبِيحَا

وفي ١ / ٨٩ مادة أرى: " قال أبو علي الأصفهاني: التأرية أن تعتمد على خشبة فيها ثني جبل شديد فتودعها حُفْرَةً ثم تحثو التراب فوقها ثم يشدّ البعير ليلين وتنكسرُ نَفْسُهُ".

وفي ١ / ٢٥٢ مادة بصع: " قال الخليل: البَصْعُ الحرق الضيق الذي لا يكاد الماء ينفذُ منه".

وفي ١ / ٢٢٦، مادة برق: " البرقاء من الأرض: طرائق بقعة فيها حجارة سودٌ تخالطها رملة بيضاء، وكل قطعة على حياها بُرْقَةٌ".

وفي ١ / ٢٨١، مادة بقع: "أبو عبيدة: الأبقع من الخيل الذي يكون في جسده بُقَع متفرقة مخالفة للونه، قال أبو حنيفة: البقعاء من الأرضين التي يصيب بعضها المطر، ولم يصب البعض".

وفي ١ / ٣١١: مادة بهم: "البهيم: اللون الذي لا يخالطه غيره سواداً كان أو غيره".

وقد يؤدي معنى الكلمة بذكر مرادفها كقوله في باب الهمزة واللام ١ / ٢١: (الإِلّ: العهد). وفي ١ / ٢٣ باب الهمزة والميم (أم القرى: مكة). وفي باب الهمزة والباء والذال ١ / ٣٤: (الأبد: الدهر). وفي باب الهمزة والباء واللام ١ / ٤٣: (الإِبالة: الحُرمة من الخطب). وفي باب الهمزة والباء والهاء ١ / ٤٤: (الأُبهة: الجلال). وفي باب أح ن ١ / ٦٧: (قال الخليل: الأَحنةُ الحَقْد في الصدر، وأنشد غيره:

مَتَى تَكُ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِحْنَةً فَلَا تَسْتَثِرْهَا سَوْفَ يَدُو دَفِينُهَا

وفي باب أدب ١ / ٧٤: (الآدب: الداعي) قال طرفة:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

وفي باب أر ن ١ / ٨٦: (قال الخليل: الأَرَنُ النشاط). وفي باب أرج ١ / ٩٤: (الأريج رائحة الطيب). وفي باب أزف ١ / ٩٥: (المآزف: المواضع القَدِرة).

وفي باب أزر ١ / ١٠٢: (الأَزْرُ: القوة). قال البعيث:

شَدَدْتُ لَهُ أَزْرِي بِمَرَّةٍ حَازِمٍ عَلَى مَوْقِعٍ مِنْ أَمْرِهِ مُتَّفَاقِمٍ

وفي باب أسف ١ / ١٠٣: (الأسف الغضبان). وفي باب أسل ١ / ١٠٤: (قال الخليل: الأسَل الرِّماح)، (والأسَلَة مستَدِقُّ اللِّسان).

وفي باب أطم ١ / ١١٣: (الأَطِيمة: موقد النار). وفي باب أفن ١ / ١١٩: (الأَفْن: قلة العقل). وفي باب ألب ١ / ١٢٩: (قال ابن الأعرابي: أَلَب: رجع).

وفي باب أمر ١ / ١٣٩: (قال الأصمعي: الأَمارة العلامة). وفي باب أنى ١ /

١٤١: (قال الخليل: الأناة: الحِلْم). وفي باب أوس ١ / ١٥٧: (أَوْس: الذئب).

وفي باب أيم ١ / ١٦٥: (قال الخليل: الأيام: الدُّحان) قال أبو ذؤيب:
فلما جلاها بالأيام تحيَّزت ثبات عليها ذلُّها واكتئابها

وفي باب بجَّ ١ / ١٧٣: (قال ابن الأعرابي: البَجُّ: القطع). وفي باب بق ١ / ١٨٦: (والبقبة: كثرة الكلام). وفي باب بن ١ / ١٩١: قال الخليل: البنان أطراف الأصابع في اليدين) وفي باب به ١ / ١٩٣: (البهبة هدير الفحل). وفي باب بحت ١ / ٢٠٣: (قال الخليل: البَحْت الشيء الخالص).

وفي باب بذح ١ / ٢١٧: (البَذح: الشَّقُّ). وفي باب برع ١ / ٢٢١: (والبارع الأصل الجيد الرأي). وفي باب برك ١ / ٢٢٨: (قال أبو حاتم: البرك بفتح الباء: الصدر). وفي باب بسل ١ / ٢٤٨: (البسالة: الشجاعة). وفي باب بعق ١ / ٢٦٣: (قال الخليل: البُعاق شدة الصوت). وفي باب بغى ١ / ٢٧٢: (البَغْيُ: الفاجرة)، (والبَغْيُ: الظُّلم). وفي باب بقع ١ / ٢٨٢: (الباقعة: الداهية). وفي باب بكم ١ / ٢٨٤: (قال الخليل: الأبكم الأخرس).

وفي باب بلج ١ / ٢٩٦: (البَلَج: الإشراق). وفي باب بهأ ١ / ٣٠٧: (البهاء: الحُسْن والجمال). وفي باب بهت ١ / ٣٠٧: (البَهْتَةُ: الحيرة). وفي باب بور ١ / ٣١٦: (قال الخليل: البوار الهلاك،... والبائر الكاسد).

وأكتفي بهذا القدر من أداء المعنى بالمرادف أو بالترجمة كما يقال أحياناً، وانتقل إلى وسيلة أخرى في أداء المعنى عن طريق علاقة دلالية أخرى بين المفردات وهي التضاد كقوله في باب أخذ ١ / ٦٨: (تقول الأخذ، قال الخليل: هو خلاف العطاء). وفي باب آخر ١ / ٧٠: (الآخر نقيض المتقدم). وفي باب أرب ١ / ٩١: (قال ابن الأعرابي: الأربعة خلاف الأنثوطة، وأنشد:

وأربعة قد علا كيدي معاقمها ليست بفورة مأفون ولا برم

وفي باب أمن ١ / ١٣٣: (الأمانة ضد الخيانة). وفي باب أنث ١ / ١٤٤: (فقال الخليل وغيره: الأنثى خلاف الذكر). وفي باب أنس ١ / ١٤٥: (الإنس خلاف الجن). وفي باب بر ١ / ١٧٧: (البر خلاف البحر). وفي باب برح ١ / ٢٣٩: (قال الخليل:

البروح مصدر البارح وهو خلاف السانح). وفي باب برد ١ / ٢٤١: (البَرْد خلاف الحر). وفي باب بطن ١ / ٢٥٩: (البطن خلاف الظهر). وفي باب بعد ١ / ٢٦٨: (بُعد خلاف القُرب). وفي باب جحد ١ / ٤٢٦: (الجحود وهو ضد الإقرار). وفي باب جزع ١ / ٤٥٣: (الجزع: نقيض الصبر). وفي باب جزر ١ / ٤٥٦: (الجزر خلاف المد). وفي باب جعد ١ / ٤٦٢: (يقال شعر جعد وهو خلاف السَّبَط). وفي باب جمل ١ / ٤٨١: (الجمال وهو ضد القُبْح). وفي باب جهل ١ / ٤٨٩: (الجهل نقيض العلم).

ومن العلاقات الدلالية التي لعبت دوراً في أداء المعاني عند ابن فارس في المقاييس، الاشتراك اللفظي حيث يكون للفظ معنيان أو أكثر في استعمالات العرب، ومن ذلك في باب أتن ١ / ٤٨: (الأتان: الأنثى من الحُمُر... وأتان الضَّحَل: صخرة كبيرة تكون في الماء القليل يركبها الطُّحلب... قال يونس: الأتان مقام المستقي على فم الرُّكِيَّة، قال النضر: الأتان: قاعدة الهودج). وفي باب أتو ١ / ٥٠: (الخليل: الإتاوة: الخراج، والرَّشوة، والجعالة، وكل قسمة تقسم على قوم فتُجَبَّى كذلك قال:

يُودون الإتاوة صاغرينا

وفي باب أكل ١ / ١٢٢: (الأُكُل - فيما ذكره الأعرابي - طُعْمَة كانت الملوك تعطيها الأشراف كالقرى... ١ / ١٢٤: الأُكُل: حظ الرجل وما يُعطاه من الدنيا. وفلان ذو أُكْلَة في الناس إذا كان يغتابهم... ويقال ثوب ذو أُكُل، أي كثير الغزل، ورجل ذو أُكُل: ذو رأي وعقل، ونخلة ذات أُكُل، وأُكُل الشجرة: ثمرها، قال الله تعالى: ﴿تَوَاتَى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(١). وقرئت (أُكْلَهَا) بسكون الكاف من نافع وابن كثير وأبي عمرو. وفي باب ألق ١ / ١٣٢: (قال الخليل: الإلقة: السَّعْلَة، والذُّبَة، والمرأة الجريئة لخبثهن). وفي باب أهل ١ / ١٥٠: (قال الخليل: أهل الرجل زوجته، وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به). وفي باب أوب ١ / ١٥٢: (الأوب الرجوع، والأوب: ترجيع الأيدي والقوائم في السير... وفي ١ / ١٥٤ يقال: (جاءوا من كل أوب) أي ناحية ووجه.. والأوب: النحل). وفي باب بيض ١ / ٣٢٦: (البيضة للدجاجة وغيرها... وبيضة البلد، أي يُحَفَظ ويحصَّن كما تحفظ

(١) ٢٥ - إبراهيم.

البيضة، يقال حمى بيضة الإسلام والدين، وإذا عبّروا عن الدليل المستضعف بأنه بيضة البلد، يريدون أنه متروك مُفرد كالبيضة المتروكة بالعراء). وفي باب عين من كتاب العين: (قال الخليل: العين: الناظرة لكل ذي بَصَر... ومن الباب: العين: الذي تبعثه بتجسس الخبر... ومن الباب: العين الجارية النابعة من عيون الماء... ومن الباب العين: السحاب ما جاء من ناحية القبلة.. ومن الباب قولهم: أعيان القوم، أي أشرافهم... ومن الباب العين وهو المال العتيد الحاضر... وعين الشيء: نفسه... أمّا قولهم للميل في الميزان عين، لأن العين كالزيادة في الميزان... ومن الباب عين الركبة...).

وفي باب هلّ من كتاب الهاء... (الهلال الذي في السماء... والهلال: سنان له شعبتان، والهلال: الماء القليل في أسفل الرّكيّ، والهلال ضرب من الحيات، قال ذو الرمة: إليك ابتذلنا كلّ وهم كائنه هلال بدا في رمضة يتقلّب

ويقولون: الهلال: سلخ الحية، والهلال: طرف الرّحى إذا انكسر منها... والهلال: ما يَضُمُّ بين حنوي الرّحل، والجمع أهلة). وفي باب جحل من كتاب الجيم: (الجحل: السقاء العظيم،.. والجحل: اليعسوب العظيم، والجحل: الحرباء، قال ذو الرمة: فلما تقضت حاجة من تحمّل وأظهرن وأقلولّى على عوده الجحل

وفي باب جبه من كتاب الجيم أيضاً: (الجبهة: الخيل، والجبهة، من الناس: الجماعة، والجبهة: الكوكب، ويقال هو جبهة الأسد).

ومن الأساليب الطاغية في أداء المعنى استعمال إذا الشرطية الزمانية في جملة يتضمنها المدخل يتلوها بيان المعنى أو في تعبير دال على المعنى تتصدّره إذا وهو الأوسع استعمالاً. ومن الأسلوب الأول قوله في باب أثر ١ / ٥٧: (إذا تخلص اللبن من الزبد وخلّص فهو الأثر). وفي باب أدل ١ / ٧١: (قال أبو عبيد: إذا تلبّد اللبن بعضه على بعض فلم ينقطع فهو أدل). وفي باب أدى ١ / ٧٤: (قال أبو عبيد: تقول العرب لِلْبَن إذا وصل إلى حال الرؤوب، وذلك إذا خثر: قد أدى يَأْدِي أدياً). وفي باب أرك ١ / ٨٤: (إن أبا عبيد زعم أنه يقال للجرح إذا صلح وثمانل، أرك يَأْرِك أروكاً). وفي باب أزي ١ / ٩٩: (إذا نقص الماء قيل أزي). وفي باب أفل ١ / ١١٩: (قال الخليل: إذا استقرّ اللقاح في قرار الرحم فقد أفل). وفي باب أكل ١ / ١٢٣: (يقال في الطيب إذا توهّجت رائحته تأكّل). وفي

باب بث ١ / ١٧٢: (إذا بُسِطَ المتاعُ بنواحي البيت والدار فهو مبثوث). وفي باب بحر ١ / ٢٠١: (يقال للماء إذا غَلِظَ بعد عذوبة استبحر). وفي باب برق ١ / ٢٢٣: (قال اللحياني: يقال للناقة إذا شالت ذنبها كاذبةً ولقحت وليست بلاقح: أبرقت الناقة فهي مُبرِّقٌ وُبروق). وفي الباب نفسه ١ / ٢٢٤: (والإنسان إذا بقيَ كالمُتَحَيَّرِ قيلَ بَرِقَ بَصَرُهُ بَرَقًا). وفي باب يروى ١ / ٢٣٣: (قال الأصمعي: يقال للبعير إذا كان باقياً على السير: إنه لذو بُرَايَة). وفي باب بطح ١ / ٢٦٠: (إذا اتسع المسيل وعَرُضَ سُمِّيَ أبطح، قال ذو الرمة:

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِجَّتْ مُتَوْنَهَا عَلَى عُشْرِ نَمَى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ

وفي باب بقر ١ / ٢٧٩: (قال أبو حاتم: إذا خرج المهرُ من بطن أمه، وهو في السَّلا هو بَقِير، وضده السليل). وفي باب بقع ١ / ٢٨٣: (إذا تَغَيَّرَ اللون من حُزْنٍ يصيب صاحبه أو فَزَعٍ قيل ابْتُقِعَ). وفي باب بكم ١ / ٢٨٤: (إذا امْتَنَعَ من الكلام جهلاً أو تعمُّداً يقال بَكَمَ عن الكلام). وفي باب بكر ١ / ٢٨٩: (قال أبو عبيد: إذا ولدت المرأة واحداً فهي بِكْرٌ أيضاً).

ولابد من التنويه بأنَّ هذا الأسلوب في أداء المعنى قليل إذا قيس باستعمال (إذا) ضمن جملة المعنى فإن هذا الأخير نجده مبثوثاً على صفحات المقاييس، فقلماً تجد صفحة تخلو منه، بل إنه يمكن العثور على اثنين أو أكثر من نوع هذا الأسلوب الشرطي في التعبير عن المعنى ومنه ففي أول صفحة في باب أبّ من كتاب الهمزة ١ / ٦: (أبّ فلان إلى سيفه إذا ردَّ يده إليه ليستلّه). وفي باب أتّ ١ / ٧: (قال ابن دريد: أتّه يؤثّه: إذا غلبه بالكلام، أو بكّته بالحجة). وفي باب أل ١ / ١٨: (نثر على ثلاثة أمثلة في قوله: (قال الخليل وابن دريد: ألّ الشيء إذا لمع. وألّ الفرس يئللُ ألاّ إذا اضطرب في مشيه، وألّت فرائصه إذا لمعت في عدوه، قال:

حَتَّى رَمَيْتُ بِهَا يَيْلُ فَرِيصُهَا وَكَأَنَّ صَهْوَتَهَا مَذَاكُ رِخَامٍ

وفي باب أبو ١ / ٤٤ - ٤٥: (أَبَوْتُ الشيء أبوه أبواً إذا غذوته... وعتر أبواء، إذا أصابها وجع عن شمّ أبوال الأروى.... قال الخليل: فلان يأبو اليتيم، أي يغذو). وفي

باب أرز ١ / ٧٨: (يقولون: أرز فلان، إذا تقبّض من بُخله... ورجل أزور إذا لم ينبسط للمعروف.... ويقال ناقة أرزة الفقارة، إذا كانت شديدة متداخلاً بعضها في بعض، وقال زهير:

بـآرزة الفقارة لم يَخْنُها قِطافٌ في الرّكاب ولا خِلاء

وفي باب أرط ١ / ٨٢: (الإنسان يَهْرِطُ في كلامه، إذا خلط). وفي باب أرف ٨٢/١: (يقال أُرِفَ على الأرض إذا جُعِلَتْ لها حدود. وفي الحديث: «كل مال قُسم، وأُرِفَ عليه فلا شفعة فيه»). وفي باب أزم ١ / ٩٧ - ٩٨: (قال العامري: يقال أزم عليه إذا عَضَّ ولم يفتح فمه. قال أبو عبيد: أزم عليه إذا قبض بفمه، وبَزَمَ إذا كان بمقدّم فيه.... قال الخليل: أزمّت العنان والحبل: إذا أحكمت ضفره). وفي باب أزي في الصفحة نفسها: (قال الخليل: أزي الشيء يُأزِي إذا اكتر بعضه إلى بعض وانضم. قال:

فهو آز لحمه زيم

... وأزى الظلّ يأزي أزيّاً وأزيّاً إذا قص.

١ / ٩٩... ومن الباب قول الفراء: أزأتُ عن الشيء إذا كَعَعْتُ عنه... فلان إزاء مال إذا قام به ووليه). وفي باب أرح ١ / ١٠٢: (يقال أرح إذا تخلّف عن الشيء، وأرح إذا تقبّض ودنا بعضه من بعض).

وفي الصفحة نفسها باب أزر: (يقال تأزرّ النبت، إذا قوي واشتد). وفي باب ألق ١٣٢/١: (قال أبو علي الأصفهاني، عن القريعي: تألّقت المرأة، إذا شُمِرَت للخصومة واستعدّت للشر ورفعت رأسها...). وفي باب بحر من كتاب الباء ١ / ٢٠١ - ٢٠٢: (رجل بَحَر إذا كان سخيّاً.. وقال العامري: أَبَحَرَ القوم إذا ركبوا البحر... يقال بَحَرَت الغنم وأبحروها إذا أكلت عشباً عليه ندى. قال الشيباني: بَحَرَت الإبل إذا أَكَلَت النَّشْر). وفي باب نجع ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧: (قال الخليل: نجع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة الوجد، قال ذو الرُّمّة:

ألا أيُّ هذا الباععُ الوجدُ نفسه نَحْتُهُ عن يَدَيْهِ المقادر

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَآثِرِهِمْ﴾... قال الضبي: بَخَعْتُ الذبيحة إذا قطعت عظم رقبتها... وأرض مبخوعة، إذا بلغ مجهودها بالزرع وبخع لي بحقي إذا أقر). وفي باب تلع ١ / ٣٥٢: (يقال: أثلعت الظبية إذا سمّت بجيدها... ويقال تتالع في مشيته إذا مدّ عنقه. ولزم فلان مكانه فما تتلّع، إذا لم يُرد البراح.. ومن الباب تلع النهار وأثلّع إذا انبسط.

وقد استكثر أيضاً صاحب المقاييس من استخدام (أي) التفسيرية بين المدخل ومعناه ففي باب أح ١ / ٨: (قال الكسائي: في قلبي عليه أحاح؛ أي إحنة وعداوة). وفي باب أز ١ / ١٤: (يقال أزّتنا الريح أي ساقتنا)، وفي باب أم ١ / ٢٢: (وفلانة تؤم فلاناً أي تغذوه، أي تكون له أمّاً تغذوه وتربيته..). وفي ١ / ٢٧: (وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾^(١) أي إماماً يُهتدى به)... وفي ١ / ٢٨ (قال اللحياني: ما أحسن أُمته أي خلقه... والأمة في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾^(٢) أي بعد حين)... وفي ١ / ٢٩: (كلا جانبيك مولى المخافة يمينك وشمالك، أي صاحبها ووليها).

وفي الصفحة نفسها: (قال الأصمعي: «أمامها لقيت أمة عملها»، أي حيثما توجهت وجدت عملاً.. ويقولون: «أمامك ترى أثرك» أي ترى ما قدمت). وفي باب أثل ١ / ٥٩: (والعرب تقول: «هو مولع بنحت أثلته» أي مولع بثلبه وشتمه، قال الأعشى:

أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتُ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

... وتقول: أثل الله مُلْكَكَ، أي عظمه وكثره.... قال الأصمعي: أثلت عليه الديون تأثيلاً أي جمعتها عليه، وأثلته رجال أي كثرته بهم... ويقال تأثلت للشّاء أي تأهبت لهم..). وفي باب أذن ١ / ٧٧: (تقول العرب قد أذنت بهذا الأمر أي علمت.. وفعله بإذني أي بعلمي). وفي باب أرم ١ / ٨٦: (وفلانة حسنة الأرم أي حسنة فتّل

(١) ١٢٠ - النحل.

(٢) ٤٥ - يوسف.

اللحم). وفي باب أصر ١ / ١١٠: (والعرب تقول: « ما تأصِرُنِي على فلان آصِرَة » أي ما تعطيني عليه قرابة، قال الخطيب:

عطفوا عليّ بغير آ صِرَة فقد عظم الأواصرُ

أي عطفوا عليّ بغير عهد ولا قرابة). وفي باب أمر ١ / ١٣٧ - ١٣٨: (قال الأصمعي: يقال: لي عليك أَمْرَة مطاعة، أي لي عليك أنْ أَمْرَكَ مرة واحدة فتطيعني. قال الكسائي: فلان يؤامرُ نَفْسِيه، أي نفس تأمره بشيء ونفس تأمره بآخر... قال ابن الأعرابي: أَمَرْتُ فلاناً، أي جعلته أميراً... قال الخليل: وامرأة أَمْرَة أي مباركة على زوجها، وقد أمر الشيء، أي كثر. ويقول العرب: « من قلّ ذل، ومن أَمِر قلّ » أي من كثر غلب. وتقول: أَمِرَ بنو فلان أَمْرَة أي كثروا...).

ومن كتاب الباء، باب بت ١ / ١٧٠ - ١٧١: (قال الخليل: أبت فلان طلاق فلانة، أي طلاقاً باتاً... وضرب يده فأبتّها وبَّتّها، أي قطعها... وسكران بات أي منقطع عن العمل، وسكران ما يُبْتُ، أي ما يقطعُ أَمْرًا... وقد بَتَّتَ الرجل للخروج، أي تجهّز. قال العامري: يقال حجّ فلان حجّاً بَتّاً، أي فرداً... قال: ورجلٌ بَتٌّ، أي فرد، وقميص بَتٌّ، أي فرد) وفي باب بث ١ / ١٧٢: (وفي القرآن: ﴿وَزَرَأْنِي مَبْثُوثَةً﴾^(١) أي كثيرة متفرقة، قال ابن الأعرابي: ثمر بَثٌّ، أي متفرّق لم يجمعه كثر... وبثثت الحديث، أي نشرته). وفي باب بقع ١ / ٢٨٢ - ٢٨٣: (يقال بقعتهم باقعة، أي داهية.. قال ابن الأعرابي: سنة بَقَعاء، أي مُجْدِبَة... قال ابن السكيت: يقال بُقِع فلان بكلام سَوء، أي رمي... قال ابن الأعرابي: يقال لا أدري أين سَقَع وبَقَع، أي أين ذهب).

وقد يسوق المدخل في جملة يتلوها مباشرة المعنى في جملة أي دون شرط أو أي التفسيرية وغيرهما ويغلب أن تكون الجملتان قصيرتين كقوله في باب أل ١ / ٢١: (أَلَل السقاء: تغيّرت رائحته). وفي باب أم ١ / ٣٠: (قال يونس: هذا أمر مأموم: يأخذ به

الناس... وتيمّموا أطيب ما عندكم: تصدّقوا به). وفي باب أن ١ / ٣١: (قال الخليل يقول: إن الرجل يئن أنيناً وأنةً وأنا، وذلك صوته بتوجّع).

وفي باب ١ / ٣٤: (تأبّد البعير: توحش... وتأبّد المترل: خلا)، وفي باب أبز

٣٦/١: (تأبّس الشيء: تغيّر، قال المتلمس:

ألم تر أن الجوّن أصبح راسياً تطيف به الأيام لا يتأبّس

وفي باب أبق ١ / ٣٨: (قال أبو زيد: تأبّق الرجل: استتر، قال الأعمش:

ولكن أتاه الموت لا يتأبّق

وفي باب أتن ١ / ٤٨: (واستأتن الحمار: صار أتاناً بعد أن كان حماراً). وفي باب أذن

١ / ٧٧: (آذني فلان أعلمني.. وقال الفراء: تأذن ربكم: أعلم ربكم). وفي باب أرط

١ / ٨٢: (يقال نعجة هرطة، وهي المهزولة التي لا ينتفع بلحمها غثوثة). وفي باب أرم

١ / ٨٦: (أرمتهم السنة استأصلتهم). وفي باب أرى ١ / ٨٨: (ابن الأعرابي: تآرى بالمكان

أقام، وتآرى عن أصحابه تخلف). وفي باب أرب ١ / ٩١: (قال الأصمعي: تآربت في

حاجتي: تشدّدت). وفي باب أسل ١ / ١٠٤: (كل نبت له شوك طويل: فشوكه أسل).

وفي باب أسد ١ / ١٠٦: (يقال استأسد النبت قوي، ويقال استأسد عليه: اجترأ).

وفي باب أشب ١ / ١٠٨: (تأشبّ القوم: اختلطوا).

وقد يأتي المدخل في تركيب غير إسنادي، وصفي أو إضافي، ومن التركيب الإضافي

في باب أج ١ / ٩: (أجّة القوم: حفيف مشيهم واختلاط كلامهم). وفي باب أم ١ / ٢٢:

(أم الرأس: الدماغ) وفي ١ / ٢٣: (قال الخليل: أم التنايف: أشدها وأبعدها) وقد وردت

أم مع كلمات كثيرة في هذا الباب: ١ / ٢٣ - ٢٧ كأم القرى وأم القرآن وأم الكتاب

وأم الندامة... وآخرها أم الطعام: البطن. وفي باب أتن ١ / ٤٨: (أتان الضحل: صخرة

كبيرة تكون في الماء القليل يركبها الطحلب، قال أوس:

بِجَسْرَةٍ كَأَتَانِ الضَّحْلِ صَلْبَهَا أَكَلُ السَّوَادِيِّ رَضُّوه بِمِرْضَاحٍ

وفي باب أخذ ١ / ٦٩: (نجوم الأخذ: منازل القمر؛ لأن القمر يأخذ كل ليلة في

مترل منها، قال شاعر:

وَأَخَوَاتُ نُجُومِ الْأَخْذِ إِلَّا أَنْضَةٌ أَنْضَةٌ مَحَلٌّ لَيْسَ قَاطِرُهَا يُثْرِي

وفي باب آدم ١ / ٧٢: (أدم الأرض وأذمتها: وجهها). وفي باب أدو ١ / ٧٣: (رُجل مُؤد: عامل، وأداة الحرب: السلاح). وفي باب أرش ١ / ٧٩: (أرش الجناية: ديتها). وفي باب أرى ١ / ٨٨: (وأرئي الندى: ما وقع من الندى على الشجر والصخر والعشب). وفي باب أفق ١ / ١١٥: (آفاق الأرض: أطرافها). وفي باب ألف ١ / ١٣١: (قال الخليل: وأوالف الطير: التي بمكة وغيرها). وفي باب أنف ١ / ١٤٧: (قال يعقوب: أنف البرد أشده)، وفي باب أهل ١ / ١٥٠: (قال الخليل: أهل الرجل: زوجه). وفي باب أول ١ / ١٦١: (قال الخليل: آل الجبل: أطرافه ونواحيه.. وآل البعير ألواحه وما أشرف من أقطار جسمه... وآل الخيمة: العُمد).

وأكتفي بهذا القدر من أمثلة التركيب الإضافي، وأما التركيب الوصفي فمن أمثلته في باب أج ١ / ٩: (الماء الأجاج: الملح)، وفي باب أف ٦ / ١٦: (رجل أفاف: كثير التأفف). وفي باب أم: ١ / ٢٣: (الشجة الآمة: التي تبلغ أم الدماغ). وفي باب أبت ١ / ٣٣: (رجل مأبوت: أصابه الحر)، وفي باب أبل ١ / ٤٠: (إبل مؤبلة جعلت قطعاً قطعاً). وفي ١ / ٤٢: (قال الأصمعي: إبل مؤبلة: كثيرة)، وفي باب أثر ١ / ٥٥: (رجل أثر يستأثر على أصحابه)، وفي باب أثف ١ / ٥٨: (رجل مثفى تزوج ثلاث نسوة). وفي باب أرم ١ / ٨٦: (سكين آرم: قاطع)...، (وأرض مأرومة أكل فيها فلم يوجد بها أصل أو فرع). وفي باب أرث ١ / ٩٣: (نعجة أرثاء، فهي التي اشتعل بياضها في سوادها). وفي باب أسف ١ / ١٠٣: (الجمال الأسيف، وهو الذي لا يكاد يسمن). وفي باب أفق ١ / ١١٦: (الرجل الآفق الذي بلغ النهاية في الكرم)، وفي باب ألق ١ / ١٣٢: (امرأة ألقى: سريعة الوثب). وفي باب أنف ١ / ١٤٦: (بعير مأنوف يساق بأنفه)... (ورجل أناني عظيم الأنف... وامرأة أنوف: طيبة رائحة الأنف). وفي ١ / ١٤٧: (رجل مئاف يسير في أنف النهار، وخمرة أنف أول ما يخرج منها). وفي باب بت ١ / ١٧٠: (رجل أحق بات: شديد الحمق)، وفي باب بك ١ / ١٨٧: (رجل ألك: شديد غلاب). وفي باب بتر ١ / ١٩٤: (السيف الباتر القطاع)، (ورجل أباتر: يقطع رحمها، يترها). وفي

باب بحر ١ / ٢٠٢: (الرجل الباحر: وهو الأحق)، وفي ١ / ٢٠٣: (والدم الباحر: هو الشديد الحمرة)، (ورجل بَحْراني منسوب إلى البَحْرين).

ومن الأساليب القليلة التي استعملها لبيان المعنى أن يذكر المدخل مخصصاً إياه بجمار ومجرور كقوله في باب أبي ١ / ٤٥: (الأيّة من الإبل: الصعبة)، وفي ١ / ٣٢ باب أن ٣٢/١: (قال يعقوب: الأتانة من النساء: التي يموت عنها زوجها وتزوّج ثانياً). وفي باب أئف ١ / ٥٨: (قال أبو عمرو: المؤثف من الرجال: القصير العريض الكثير اللحم، وأنشد: ليس من القُرِّ بُمُسْتَبْكِينَ مُؤَثَّفٍ بلحمه سمين

وفي باب بَن ١ / ١٩٢: (قال أبو عمرو: البنين من الرجال: العاقل المتبّت). وفي باب أثر ١ / ٥٤: (الأثر من الدواب: العظيم الأثر في الأرض بخفه أو حافره).

ومن الأساليب القليلة كذلك في أداء المعنى التصريح بعد المدخل بلفظ المعنى أو بلفظ يعني متلوّيتين. بمعنى هذا المدخل كقوله في باب أم ١ / ٢٩: (قال أبو زيد: امضِ بمامي في معنى امضِ أمامي). وفي باب آدم ١ / ٧١ - ٧٢: (قال الكسائي: يؤدم يعني أن يكون بينهما المحبة والاتفاق). وفي باب أزف ١ / ٩٤: (قال الله تعالى: ﴿أَزِفَتْ آلَازِفَةُ﴾^(١) يعني القيامة). وفي باب ألك ١ / ١٣٣: (وقول العرب: «أَلَكْنِي إلى فلان»، المعنى: تحمّل رسالتي إليه. قال:

أَلَكْنِي إِلَيْهَا عَمْرُكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَايَةَ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا

وفي باب أمن ١ / ١٣٤: (أعطيت فلاناً من آمِنٍ مالي: معناه من أعزّه عليّ). وفي باب أمت ١ / ١٣٧: (قال الخليل: العوّج والأمت بمعنى واحد)، (وأمرته وأمرته كلهن بمعنى واحد). وفي باب بجل ١ / ١٩٩: (قال ثعلب: بَجَلٌ بمعنى حسب).

وفي باب أبس ١ / ٣٦: (يقال: أبست بمعنى حبست). وفي باب بصق ١ / ٢٥٣: (بَصَقَ بمعنى بزق، وبَسَقَ).

(١) ٥٧ - النجم.

وكان ابن فارس يكتفي أحياناً بالنص على أن الكلمة أو اللفظ معروف دون بيان المعنى كما في أرى ١ / ٨٨: (قال الخليل: آريُّ الدَّابَّةُ معروف). وفي باب أكل ١ / ١٢٢: (قال الخليل: الأكل معروف)، وفي باب ألف ١ / ١٣١: (قال الخليل: الألف معروف)، وفي باب أنف ١ / ١٤٦: (الألف، معروف)، وفي باب برد ١ / ٢٤٣: (البرْد، معروف). وفي باب برق ١ / ٢٢٥: (الإبريق معروف)، وفي باب بصل ١ / ٢٥٣: (البصل معروف). وفي باب بول ١ / ٣٢١: (البول معروف)، وفي باب بحر ١ / ٣٤١: (التجارة معروفة). وفي باب تين ١ / ٣٦١: (التَّين وهو معروف). وفي باب جلد ١ / ٤٧١: (الجلْد معروف). وفي باب جمر ١ / ٤٧٧: (الجمر جمر النار معروف). وفي باب جيش ١ / ٤٩٩: (الجيش معروف). وفي باب جبل ١ / ٥٠٢: (الجبل معروف).

بعد الحديث عن الأساليب التي اتبعها ابن فارس في بيان معاني المفردات، أنتقل إلى الحديث عن أصول الاحتجاج التي استشهد بها على المعاني وغيرها، ومن النظرة الأولى يظهر لنا أن معجم المقاييس قد تقيّد بأصول الاحتجاج المعهودة من القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب ونثرهم، على أن الشَّعر هو الغالب في الاستشهاد؛ فقد تصفحت صفحات الجزء الأول مثلاً فوجدت أن مادة الاستشهاد الأولى هي الشعر، ولم تخلُ صفحة قط من شاهد شعري بحيث أستطيع أن أحصي أو أعدّ أرقام الصفحات التي تحتوي على شاهد واحد فقط لقلتها، والغالب هو الاستشهاد بأكثر من شاهد في الصفحة الواحدة، فقد يصل عدد الأبيات في الصفحة الواحدة أربعة، ويندر جداً أن نثر على صفحة دون شاهد شعري نحو ص ٣٠٧ من الجزء الأول.

ويمكن تفصيل القول في منهجه في إيراد الشواهد الشعرية كآلآتي:

١ - يذكر الشاهد بعد أداء معنى المدخل نحو قوله في باب أرب

١ / ٩٢: (أرَبْتُ بكذا أي استعنت، قال أوس:

ولقد أَرَبْتُ على الهمومِ بِجَسْرَةٍ عَيْرَانَةٍ بِالرَّدْفِ غَيْرَ لَجُونِ

٢ - وقد يأتي بشاهد شعري بعد الشاهد القرآني لتأكيد المعنى كما في باب أد
١١/١: (الإِدُّ الأمر العظيم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾^(١) أي عظيماً،
وأنشد ابن دريد:

يَا أُمَّتَا رَكِبْتُ أَمْرًا إِذَا رَأَيْتَ مَشْبُوحَ الْيَدَيْنِ نَهْدَا
أَبْيَضَ وَضَاحَ الْجَبِينِ نَجْدَا فَلَسْتُ مِنْهُ رَشْفًا وَبَرْدَا

٣ - وقد يذكر الشاهد الشعري بعد حديث شريف كما في باب أنى ١ / ١٤١:
(قال رسول الله ﷺ للذي تخطى رقاب الناس يوم الجمعة: «رَأَيْتَكَ آذَيْتَ وَأَنْتِ» يعني
أخَرْتَ المجيء وأبطأت، وقال الخطيئة:

وَأَنْتِ الْعِشَاءُ إِلَى سُهَيْلٍ أَوِ الشَّعْرَى فَطَالِ بِي الْأَنْهَاءُ

ذكر الشاهد الشعري بعد مثل أو حكمة أو قول من نثر العرب كما في باب أثل
١ / ٥٩: (العرب تقول: «هُوَ مُوَلَّعٌ بِنَحْتِ أَثْلَتِهِ»، أي مُوَلَّعٌ بِثَلْبِهِ وَشَتْمِهِ. قال الأعشى:
أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتُ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

وقد تنوعت الأغراض من الاستشهاد بالشعر، والأصل في الاستشهاد بالشعر وغيره
من أصول الاحتجاج، في المعاجم أن يكون لمعاني الألفاظ ودلالاتها وهي المعاني المعجمية
التي وضعت المعاجم من أجلها في الدرجة الأولى، وبالضرورة يجب أن تشغل الشطر
الأكبر من الاحتجاج من مثل ما جاء في باب أط ١ / ١٦: (يقال أَطَّتِ الشَّجَرَةُ إِذَا
حَنَّتْ: قال الراجز:

قَدْ عَرَفْتَنِي سِدْرَتِي وَأَطَّتِ وَقَدْ شَمِطْتُ بَعْدَهَا وَاشْمَطَّتِ

وفي باب أفد مثلاً ١ / ١٢٠: (يقال أَفَدَ الرَّحِيلُ: قرب، والأفدُ المستعجل، قال

النابعة:

أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا نُزِلْ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ

وفي مثال آخر من باب بوا ١ / ٣١٤: (وتقول باء فلان بفلان؛ إذا قُتل به. قال:

ألا تنتهي عنا ملوكٌ وتثقي محارمنا لا ييؤء الدّم بالدم

أي من قبل أن ييؤء الدماء، إذا استوت في القتل فقد باءت).

ومما شغل نصيباً لافتاً في الاحتجاج، الاستشهاد بالشعر للصيغ الصرفية بعد بيان معنى الجذر، الذي قد يكون له غير معنى كما في باب أجّ مثلاً ١ / ٨ - ٩ وهو جذر قد يؤخذ منه الفعل أجّ، يعج. بمعنى عدا في قول الشاعر بصف ناقة:

فراحت وأطراف الصوى مُحزّلةٌ تئج كما أجّ الظليم المفزعُ

وللمصدر أجيج، كقول شاعر يصف فرساً:

كأن تردّد أنفاسه أجيج ضرام زفته الشمال

وعلى المصدر ائتجاج (بمعنى شدة الحر)، قال حميد:

ولهبُ الفتنة ذو ائتجاج

والمصدر أجّة (اسم المرة أو الهيئة) في قول ذي الرمة:

حتى إذا مغمعان الصيف هبّ له بأجّة نش عنها الماء والرطب

وقد يأتي الاستشهاد لبيان التنويع في الجموع كما في باب أم ١ / ٢١: (قال الخليل:

الأم الواحد، والجمع أمهات، وربما قالوا أمّ وأمّات، قال شاعر وقد جمع بين اللغتين:

إذا الأمّهات قبحن الوجوه فرجّت الظلام بأمّاتكا

وقد يذكر الشاهد الشعري بعد آية قرآنية مؤيداً لصيغة فيها كما في باب أنى ١ /

١٤٣: ﴿وهم أن﴾ قد انتهى حرّه.. قال عباس:

علانية الخيل يغشى متونها حميم وآن من دم الجوف ناع

وقد يؤتى بالشاهد لبيان الجمع فقط، ومن أمثلة ذلك في باب أحن ١ / ٦٧:

(وقال آخر في جمع إحنة (إحن):

ما كنتم غير قوم بينكم إحن تطالبون ها لو ينتهي الطلب

وقد يُستشهد بالشعر على أسماء المواضع والأماكن كما في باب أجا
١ / ٦٦: (أجا جبل لطّي، قال شاعر في أجا:

ومن أجا حَوّلي رعاناً كأنّها قنابلُ خيلٍ من كُميتٍ ومن ورَد

وفي باب أرك ١ / ٨٤: (ومن هذا الباب اشتقاق اسم أريك، وهو موضع قال

شاعر:

فمرّت على كُشبٍ غُدوةً وحاذت بجنب أريك أصيلاً

وكُتب وأريك جبلان بالبادية كما يقول المحقق في هامش ١ / ٨٤.

وقد يستشهد ابن فارس بالشعر لأيام العرب ففي باب أفق ١ / ١١٧ - ١١٨: (وأما

يوم الأفقة فمن أيام العرب، وهو يوم العُظالي... وفي ذلك يقول الشاعر:

فإن يك في جيش الغبيط ملامّةً فجيش العُظالي كان أخزى وألوماً

وهذا اليوم هو يوم الإياد، الذي يقول فيه جرير:

وما شهدت يوم الإياد مجاشعٌ وذا نجبٍ يوم الأسنّة ترغفُ

وقد يقع الاستشهاد بالشعر على الاختلاف في أسماء الحيوان والزواحف كقول ابن

فارس باب أيم ١ / ١٦٦ - ١٦٧: (فالأيّم من الحيات الأبيض، قال شاعر:

كأن زمامها أيمٌ شجاع ترأد في غصون مُغضلة

وقال رؤبة:

وبطن أيم وقواماً غسُلاً وكفلاً وعشاً إذا ترَجرجا

وبنو تميم تقول أَيْنُ، قال الأصمعي: أصله التشديد، يقال أَيْمٌ وأَيْمٌ قال:

إلا عواسِرُ كالمراطِ مُعيدةً بالليل مَورِدِ أَيْمٍ متغصّفٍ

.... وأما الحية التي تُدعى « الأَيْن » فذلك إبدال والأصل الميم، قال شاعر:

يسري على الأَيْنِ والحياتِ محتفياً نفسي فداؤك من سارٍ على ساق

وأكتفي بالأمثلة السابقة على تنويع الاستشهاد بالشعر، وبقي أن أضيف أن الاحتجاج بالشعر لم يتخذ نمطاً واحداً من حيث التصريح بالقائل؛ فأحياناً يذكر ابن فارس اسم الشاعر خاصة إذا كان الاستشهاد من طرفه، كما في باب أج ٩/١: قال حميد، وقال ذو الرمة، وقال عبيد بن أيوب العنبري.

وفي ١ / ٨٦ - ٨٧: قال الأعشى: قال ابن الأحمر، قال الهذلي.. وهكذا وهو كثير جداً.

وغالباً ما يميل إلى الاختصار في ذكر أسماء الشعراء كقوله قال الهذلي، والجعدي، والنابعة وبشر وعباس وزهير وأمّية وأبو النجم وطرفة والطرماح ولبيد والفزاري وأوس والمتلمس ورؤبة والشماخ والقطامي ومزاحم.

وإذا نقل الاستشهاد عن لغويين آخر لم يكن مضطراً للتصريح باسم الشاعر بل يكتفي بإسناد الإنشاد إلى أحد اللغويين كقوله: في ١ / ٦ مثلاً: وأنشد ابن دريد وغالباً ما ترد هذه الصيغة عن ابن دريد لكثرة نقوله عنه، وهو أمر تكرر كثيراً كما في ١ / ١١، ١٣/١، ٩٦ / ١، وهو أمر تكرر مع بقية اللغويين، وأحياناً يكتفي بقوله وأنشد يعني الواحد من هؤلاء اللغويين كالخليل والكسائي وابن الأعرابي وابن السكيت.

وإذا لم ينسب يكتفي بالقول: وقال، وقال شاعر وقال الشاعر، وقال الراجز، وقال آخر وقول القائل. وبما أنه من أهل القرن الرابع الهجري أستطيع أن أقول إنه احتج بشعر شعراء عصور الاحتجاج كامرئ القيس والأعمش والنابعة وزهير وطرفة وغيرهم من العصر الجاهلي وحسان ولبيد من المخضرمين والأخطل وجريز والفرزدق وذو الرمة ورؤبة والعجاج وغيرهم من العصر الأموي والشعراء مغمورين كالقَطِران وأسامة بن الحارث والفزاري وأبي قيس وأوس بن مغراء وعبد الله بن سلمة.

ويبقى في الاستشهاد بالشعر أنه كان يكتفي من بيت الشعر بصدوره أو عجزه فقط؛ أي الشطر الذي يتضمن اللفظ المستشهد له ومن أمثلة ذلك في باب أرق ١ / ٨٢: (ورجل أرق وآرق، على وزن فَعِلَ وفاعِل، قال:

فَبِتْ بَلِيلِ الْآرِقِ الْمَمْلَمِلِ)

وهو كما في الهامش عجز بيت لذي الرمة وصدره:

أتاني بلا شخص وقد نام صحبتي

ويغلب على هذا النوع من الاستشهاد الشعري ويكثر في أبيات الرجز للعجاج

ورؤية وأبي النجم.

وأما الاحتجاج بالقرآن الكريم فكان أحياناً يكتفي به في الاستدلال دون الاستعانة
باحتراج شعري مثلاً كما في باب ألت ١ / ١٣٠: (يقول: أَلْتَهُ يَأْلُهُ أَي يَنْقُصُهُ، قال الله
تعالى: ﴿لَا يَلِكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾^(١)، أي لا ينقصكم). وقد يتبع الشاهد القرآني
بشاهد شعري كما في باب آن ١ / ١٤٣: ﴿حَمِيمٌ إِنْ﴾^(٢) قد انتهى حره... قال عباس:
عَلَانِيَةً وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا حَمِيمٌ وَأَنْ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ

وقد يأتي بالشاهد القرآني بعد الشاهد الشعري كما في باب بئع

١ / ٢٠٦: (قال الخليل: بئع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة الوجد، قال ذو الرمة:

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتُهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرِ

ومنه قوله الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾^(٣). وقد يجتمع

للمعنى الواحد الاحتجاج له بالقرآن ثم بالحديث وبعده الشعر ففي باب بور ١ / ٣١٦:

(الباء والواو والراء أصلان أحدهما هلاك الشيء، وما يشبهه من تعطُّله وخلُّوه.. قال الخليل:

بَوَارِ الْهَلَاكِ، تقول: بارؤا وهم بُور؛ أي ضالُّون هلكى.. قال الله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا

بُورًا﴾^(٤)، قال الكسائي: ومنه الحديث: «أنه كان يتعوذ من بوار الأيم» وذلك أن تكسُد

فلا تجد زوجاً... وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ

(١) ١٤ - الحجرات.

(٢) ٤٤ - الرحمن.

(٣) ٦ - الكهف.

(٤) ١٢ - الفتح.

وإذا انتقلت إلى الاحتجاج بالحديث فإنه أشبه بالحديث عن الاحتجاج بالقرآن الكريم حيث لم يتردد في الاحتجاج به فاستشهد به متفرداً كما في باب أش ١ / ١٤: (قال ابن دريد: أش القوم يُؤشون أشاً، إذا قام بعضهم إلى بعض للشر لا للخير.. وفي الحديث: «كان إذا رأى من أصحابه بعض الأشاش وعظهم». واحتج كثيراً متبوعاً باحتجاج شعري كما في باب أذن ١ / ٧٦: (والأذن الاستماع... ومما جاء مجازاً واستعارة الحديث: «ما أذن الله تعالى لشيء كأذنه لني يتغنى بالقرآن»، وقال عدي بن زيد:

أيها القلب تعلل بددن إن همي في سماع وأذن

ولم يفته الاحتجاج بأقوال العرب وحكمهم وأمثالهم ففي باب أصر ١ / ١١٠: (والعرب تقول: «ما تأصرني على فلان آصرة»، أي ما تعطيني عليه قرابة قال الخطيئة: عطفوا عليّ بغير آ صرة فقد عظم الأواصر

أي عطفوا عليّ بغير عهد ولا قرابة).

ومن أمانة البحث التنويه بأمانة ابن فارس في نقله عن العلماء وإسناد الآراء والأقوال والأساليب إلى أصحابها من اللغويين أمثال أبي عمرو بن العلاء والخليل ويونس والكسائي وأبي عبيد والفراء والأصمعي والشيباني وابن الأعرابي وابن دريد أو الذي كان يسميه أحياناً الدريدي كقوله مثلاً في باب أحد ١ / ٦٧: (وقال الدريدي: ما استأحدث بهذا الأمر، أي ما انفردت به).

ولابد من الإشارة إلى أن اهتمام ابن فارس بالمعنى قد طغى على غيره من المعلومات الموسوعية الأخرى الصرفية والنحوية والتاريخية والنباتية والحيوانية والجغرافية، وهو أمر أقرب إلى الدقة والصواب فغاية التأليف المعجمي هو البحث عن معاني المداخل وما يشتق منها من مفردات وهو ما كان الشغل الشاغل لابن فارس في معجمه، ومع ذلك لانعدم أن نعثر على معلومة لهجية أو صرفية ييئها عرضاً كقوله في باب أجر ١ / ٦٢: فأما الإجار فلغة شامية، وربما تكلم بها الحجازيون.. وفي باب أتى ١ / ٥٠: (تقول أتاني فلان إتياناً وأتياً وأتية وأتوة واحدة، ولا يقال إتيانة واحدة، إلا في اضطرار شاعر، وهو قبيح..). ومما يمكن أن أضيفه في هذا الباب أنه كان يتعرض لأحاديث بعض أيام العرب ونوادهم كحديث يوم أفاقة في ١ / ١١٧، ويوم أواره ١ / ١٥٥، وكحديث بني أنف الناقة ١ / ١٤٦.

المراجع:

- ١- تقنيات التعريف بالمعاجم العربية المعاصرة: حلام الجليلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م.
- ٢- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، تحقيق وتقديم عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة - الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ٣- جمهرة اللغة: لابن دريد، حيدر أباد الدكن، ١٣٤٤هـ، وط دار صادر، بيروت، وط مكتبة الثقافة الدينية - مصر. وجمهرة اللغة، تحقيق وتقديم د. رمزي البعلبكي، دار الملايين، ط ١، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤٠٩/١٩٨٩م.
- ٥- الصاحبي في فقه اللغة - لأحمد بن فارس، مطبعة المؤيد، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.
- ٦- كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، الجزء الأول تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م. والجزءان الأول والخامس تحقيق المخزومي والسامرائي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢م.
- ٧- المحكم والمحيط الأعظم: لعلي بن اسماعيل بن سيده، تحقيق مصطفى السقا ود. حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
- ٨- المخصص لابن سيده - دراسة - دليل: محمد الطالبي، تونس ١٩٥٦م.
- ٩- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البيجاوي ومحمد أبي الفضل ابراهيم، دار إحياء العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، دون ت.
- ١٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - ط إدارة إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- ١١- مقاييس اللغة - لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣-٤ مدرسة الترتيب الألفبائي الجذرية

٣-٤-١ معجم الجيم^(١) للشيباني

لصاحبه أبي عمرو إسحاق بن مَرَار الشيباني^(٢) (ت ٢١٣ هـ) الذي قضى حياته ما بين الكوفة والبادية وبغداد فكان من أعلم زمانه باللغة وأحفظهم للشعر، فقد ذكر بعض من ترجم له أنه قد جمع أشعار إحدى وثمانين قبيلة كربية ومضر، وصنّف عدداً من الكتب في اللغة ككتاب غريب الحديث وكتاب خلق الإنسان وكتاب الخيل وكتاب الإبل، وغريب المصنف، وكتاب الجيم وهو الكتاب الوحيد الباقي من آثار الشيباني.

وكتاب الجيم هو المعجم الذي هو محل دراستنا، ولم يترك الشيباني، للأسف مقدّمة تعرّف بمنهجه وتعلّل تسميته وينقل محقق المعجم عن الفيروزآبادي قوله "الجيم هو الديباج، سمعته من بعض العلماء نقلاً عن أبي عمرو، مؤلف كتاب الجيم"^(٣) وكذلك قوله عن أبي عمرو: "وله كتاب في اللغة سماه الجيم، كأنه شبهه بالديباج لحسنه"^(٤). وأما ترتيب المعجم الخارجي فيقوم على توزيع الحروف إلى أبواب ويغلب على منهجه في ترتيب مداخله جمع الكلمات ذات الأصل أو الجذر الواحد ووضعها في باب الحرف الأصلي الأول، أي إنه قام بترتيب الكلمات حسب الحرف الأصلي الأول في جذورها، والأبواب حسب تسلسل الحروف ألفبائياً وهو ترتيب لم يسبق إليه.

(١) مما تذكره المراجع إن هناك ثلاثة معاجم باسم كتاب الجيم، للنضر بن شميل ولأبي عمرو الشيباني وهو موضوع بحثنا، ولشمر بن حمدويه. ولم يبق منها سوى كتاب الشيباني، بتحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، القاهرة، ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م.

(٢) انظر في ترجمته: إنباه الرواة للقفطي، ونزهة الألباء لابن الأنباري، والبغية للسيوطي والفهرست لابن الندم والبلغة للفيروزآبادي وطبقات اللغويين والنحويين لأبي بكر الزبيدي، مقدّمة التحقيق لمعجم الجيم ١ / ٦ - ٤٢. وكتاب دراسة في المعاجم العربية - كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني لقر نردم ١٨ - ٢٣.

(٣) مقدمة تحقيق الكتاب ١ / ٣٥.

(٤) السابق ١ / ٣٦.

ففي باب الألف (الهمزة) ٥٣ / ١ - ٧٧ يُفترض مثلاً أن يورد الكلمات التي يبدأ جذرها بالهمزة من مثل: الأوق، ألب، مأفول، الأفيق، المأموم، الإيباء، أنف، مؤرّب حتى ينتهي إلى الأتان والإدّة في آخر باب الهمزة. ولا يسع الناظر في هذا الجمع من الكلمات البالغ عددها ٢٩٥ كلمة إلا أن يؤمن على قول محقق المعجم في مقدّمته ٣٧ / ١ "فالكتاب - أعني كتاب الجيم - خطوة أولى استصفي فيها أبو عمرو الكلمات من شعر القبائل الذي جمعه ثم ضمّ إلى كل كلمة شاهدها... وما نظن أنه عنى نفسه بترتيب ما استصفي..". وذلك لما يصادفه القارئ من اختلال في إيراد المداخل وترتيبها، ويتجلى الخلل في نص المعجم بما يأتي:

أولاً: أنه أورد مفردات في باب الألف ليست من باب الهمزة بنحو: نَضَحَ ٥٤ / ١، الفُرْضَةُ (٥٤ / ١) نشط (٥٥ / ١)، الصَّرْمَةُ (٥٦ / ١) بدح (٦٥ / ١)، بزم (٦٥ / ١)، كعاير (٧٣ / ١)، ذنب عجار (٧٣ / ١)، شبكة الضباب (٧٣ / ١)، العرفجة (٧٤ / ١)، الجَلَجَةُ (٧٤ / ١) الفَتْل (٧٤ / ١)، المَجْ (٧٤ / ١). هذا غير ما أورده من حكايات تأتي استطراداً كحديثه عن الضبّ في باب الألف ٧٢ - ٧٣ مما أورده من شعر وحكايات عن الضبّ وحكمته، وليس من مناسبة لذلك سوى أن الشيباني أورد كلمة أَرَى الضبّ أي أنشب كفيه.

ثانياً: لم يلتزم من أصول الكلمات إلا بالحرف الأصلي الأول، ولم يأبه بالحرفين الثاني والثالث، فلم يراع أي ترتيب للحروف بعد الحرف الأصلي الأول فقد بدأ بالهمزة مع الواو والقاف نحو: الأوق ٥٣ / ١ وتثنى بـ "الألب" ٥٣ / ١، وأي بالهمزة واللام ثم الباء، وبعدها بالهمزة مع الفاء واللام (المأفول) ٥٣ / ١. ثم الهمزة والفاء والقاف (الأفوق) ٥٣ / ١ وهكذا إلى أن أنهى الباب بالهمزة والذال ٧٧ / ١.

ثالثاً: لم يعتن بذكر أصول الكلمات أو جذورها بل يبدأ بالمدخل على أية صورة كانت من الاشتقاق فقد تكون اسم مفعول أو مصدر أو فعلاً أو صفة مشبهة.. ويبدأ باب الألف (الهمزة) بالمصدر وهو (الأوق) وبعدها (الألب) وهي مصدر أيضاً ويليها مدخل (المأفول) وهو اسم مفعول ثم (الأفوق) على وزن فعيل وهي صفة مشبهة ثم يعود

إلى (الأوق) وبعدها (الأزوح) على وزن فَعول وهو من أوزان صيغة المبالغة، والأزوح أول مدخل يذكر أصل اشتقاقه أَزَحَ يَأْزِحُ أَزْوحاً. وقد يأتي المدخل فعلاً ويليّه بعض مشتقاته في ١ / ٥٤: (أَخَذْتُ شِرابي... واللَّبْنُ الآخذ.. قد أَخَذَ بعض الأخُوذة، يَأْخُذُ). وفي موضع ثان ١ / ٥٥: (قال الأكوعى: اسْتَأْخَذَ البعير إذا طردته فقام) وفي موضع ثالث ١ / ٧٤: (قال الهذلي المُسْتَأْخَذ: الذي يجد الوجع في عظامه كلها) ويلاحظ في هذا الموضع أنه استعمل اسم الفاعل مدخلاً. وهكذا تتقلب المداخل بين أنواع المشتقات دون الالتزام بمشتق معين في ابتداء هذه المداخل.

رابعاً: توزيع المدخل الواحد على عدة مواضع، ولا يحكم هذا التوزيع سوى توارد الخواطر وقد وقع هذا الأمر في ما ينوف على أربعين موضعاً في باب الألف، وقد تراوح عدد مرات توزيع المداخل من اثنتين نحو أزوح في ١ / ٥٣ وفي ١ / ٥٨ وأسيف ١ / ٥٦، وفي ١ / ٧٥، والمألوف ١ / ٥٩، وفي ١ / ٦٣، وفي ١ / ٦٤، والأطوم في ١ / ٦١، و١ / ٦٣، ١ / ٦٤. ومنها ما تكررت مشتقاته في أربعة مداخل نحو: أثرت في ١ / ٦١، ٦٥، ٦٧. والآس في ١ / ٦٢، ٦٢، ٦٨، ٧٤، ومنها ما تتكرر مشتقاته في خمسة مداخل كالمؤوم في ١ / ٦١، ٦١، ٦١، ٦٤، ٦٨.

ومنها في سبعة مداخل نحو تأبّد ومشتقاتها في ١ / ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٦٦، ٧٣، والإرة ومشتقاتها في ١ / ٥٦، ٥٦، ٦٠، ٦٥، ٦٦، ٧٥. ومنها ما تتكرر مشتقاته في ثمانية مداخل كما في أنف: ١ / ٥٤، ٥٥، ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٤، ٦٤، ٦٧. وقد يكون التكرار في تسعة مداخل مختلفة الاشتقاق نحو أربّ ومشتقاتها في ١ / ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٠، ٦٥، ٧١.

وقد يقع التكرار بصيغة واحدة للمدخل كما حصل في الأوق ١ / ٥٣، ٥٣ (صيغة المصدر) أزوح ١ / ٥٣، ٥٨ بصيغة فَعول، وأسيف بصيغة فَعِيل ١ / ٥٦، ٧٥، والمألوق بصيغة المفعول ١ / ٥٩، ٦٩، والمؤوم بصيغة المفعّل ١ / ٦١، ٦١، ٦١، ٦٤.

والآس ١ / ٦٢، ٦٢، ٦٨، ٧٤. والأميل: ١ / ٥٩، ٦٣، ٦٤. ومن المداخل ما تكرر بصيغ مختلفة كأن تكون فعلاً بحركات عينية أو مصدرأً أو اسم فاعل كما حصل مع

جذر أ ب ل الذي توزع في عدة مداخل مختلفة نحو: أبلت ١ / ٦٦، وأبلت ١ / ٦٧، وأبل ١ / ٧٠، وأبل ١ / ٦٧، وأبل ١ / ٧٦، ويؤبل ١ / ٧٦، والأبل ١ / ٦٦، ١ / ٧٠، والإبالة ١ / ٦٧، والأوابل ١ / ٧٤، والأبل ١ / ٧٥، والمستأبل ١ / ٦٣.

ومن يتأمل نصوص المعجم يتأكد له أن مادة المعجم مستقاة من مصدرين أولهما ما جمعه من شعر القبائل. والآخر مما نقله عن الرواة وعلى ما يقول فرندسم^(١) في دراسته عن الجيم (كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ص ٣٩): "وعلى ما يبدو أنها كانت في بادئ الأمر مجموعة ملاحظات في قصاصات من الورق والدفاتر جمعها في مناسبات مختلفة.. ثم رتبها فيما بعد ترتيباً أبجدياً غير دقيق". أما شعر القبائل فواضح من كثرة استشاداته به فوصل عدد الشواهد الشعرية على عهدة فرندسم حوالي ٤٣٠٠ بيت، وأما اعتماده على الرواية اللغوية فيظهر بوضوح في نقله أقوال الرواة في صفحات المعجم نحو قوله في ١ / ٥٤: وقال أبو السَّمْح.. وفي ١ / ٥٥: قال الأكوعي، وقال السعدي، وقال أبو المسلم، ثم وقال الأكوعي، وقال الطائي ويكاد هذا النهج يطغى على أغلب ما يورده من مداخل وما تقترب به من معان فإنه قول الراوي في بداية المدخل بقول الشيباني: وقال أبو السَّمْح، وقال الأكوعي، وقال الطائي، ثم يذكر بعد ذلك عدة مداخل إسناداً إلى هذا الراوي مكتفياً بقوله: وقال... وقال.. وهكذا وفي بعض الأحيان يتخلل أقوال الراوي قول دون إسناد لهذا الراوي، وقد يصدّرها الشيباني بقوله ويقال أو قد يذكرها دون إسناد وربما تكون له، وللتدليل على ذلك أقتبس من المعجم قوله في ١ / ٥٥: "وقال الأكوعي: الأُرثة: أن يُعطي الرجل الآخر الثوب أو الدابة يبيعها، فيسمي له شيئاً بأمره أن يبيعه به، فتلك الأُرثة... - والأُرثة: علامة تُجعل بين الحدّين من الأرض، وهي الأُرفة. (هذه لم يسندها إلى الأكوعي).

(١) دراسة في المعاجم العربية، كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني، تأليف فرندسم، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه د. حسن محمد الشّماع، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، إدارة الثقافة، ط ١، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

وقال: قد تَأَبَّدَ وَجْهُهُ، إذا كلف وكان فيه سُفْعَةٌ (وهنا رجع إلى ما قاله الأكوعي)
وقال: بعير أَسِيف، وهو السِيءُ الجسم لا يكاد يَسْمَن، وناقاة أَسِيفَةٌ.
وقال: قد أَوْقَتَنِي في طعامك وشرابك، إذا لم يجيء به في حينه، وفي عطائك إذا
رَدَّده.

- والإِراث: ما أَثَقَبَتْ به النار.

- والضَّرْمَة: ما اقتبست به ناراً، وهو المقباس.

والمدخلان الأخيران (الإِراث، والضَّرْمَة) لم يسندهما إلى الأكوعي ولا إلى غيره مما
قد يعني أنهما من روايته الخاصة مع أنه لم يسند لنفسه سوى ما جاء في ٥٢/١ - ٥٤.
ولكنه في موضع آخر قد يلجأ إلى صيغة أخرى بقوله: ويُقال، فكأنه يسند إلى مجهول،
وقد يكون منه وذلك في ٦١/١، يقول: " وقال الكلبي: إنه لآبن: قارٌّ ما يَّرح، مُبين
الأوْن.

وقال: المتأقُّ: الجادُّ؛ قال الطرماح بن حَكيم:

وَمُشَيْخٌ عَدُوُّهُ مِتَّاقٌ يَرْعَمُ الإِيجَابُ قَبْلَ الظَّلامِ

ويقال: قد أَنَفَ موضعُ البرَّة، إذا أَنتَنَ بعدما خُزِمَتْ، يَأْنَف.

وأما ما قاله فرنرديم ص ٣٩ من أن الشيباني قد " جمع الشواهد الشعرية التي فيها
كلمات يضمُّها باب واحد ثم شرع في الكتابة عنها " مما يعني أن ما وجد له من الكلمات
شاهداً شعرياً فتح له مدخلاً وبيّن معناه، وبحث له عن شبيه له في الأصل والجزر وضمه؛
فبرده (أي يرد مقولة فرنرديم) أن الشيباني كان ينقل عن الرواة وينهي نقله بقوله وأنشد؛
إذا كان هناك شاهد شعري، وقد ينقل عنهم دون شاهد شعري، والأمثلة على ذلك كثيرة
نحو قوله في ٦٣ / ١ من باب الألف: " وقال العذري: رِيحُ أَلُوب: باردة، إذا كانت تسفي
التراب، وقد أَلَبَتْ تَأَلَب، وأنشد:

مُزَعَزَعَةٌ تَسْفِي الترابَ أَلُوبُ

وقال السماء تَأَلَب، إذا مَطَرَتْ فهي أَلُوب، وأنشد:

بُعِثَتْ عَلَيْهِ أَلُوبٌ صَرَصَرُ

وفي أحيان أخرى يبدو أن الشيباني هو الذي كان يأتي بالشاهد على قول الراوية في مثل قوله: " وقال السعدي: أنف البعير المرتع إذا كرهه، وقد أنفتها البهمى قال ذو الرمة: رَعَتْ بَارِضَ الْبَهْمَى جَمِيمًا وَبُسْرًا وَصَمْعَاءَ حَتَّى آنَفَتْهَا نِصَالُهَا

وهناك مداخل لغوية يتركها الشيباني دونه شاهد منه أو من الراوية وهو أمر غالب في المعجم ومنه في ١ / ٥٥: " قال الأكوعي استأخذ البعير إذا طردته فقام." وفي ١ / ٦٤: " قال العبسي: المؤوم: الذي يصيبه الأوم، فيعظم رأسه ويدق جسّمه".

وفي ١ / ٦٥: " وقال الطائي: الإرة: المكان الذي يعتلج فيه القوم ويقتتلون".

كذلك يمكن أن نردّ مقولة فزرنديم الآنفه الذكر بقولنا إن الشيباني كان يذكر ألفاظاً ولا يذكر لها شاهداً أو معنى كما جاء في ١ / ٦٢: " وقال: هو أكيل الأسد" ولم يذكر لها معنى ولا علاقة لها بما بعدها أو قبلها إلا أنها (أكيل) مبدوءة بالهمزة. وفي الصفحة نفسها جاء قوله: " وقال: أرم يارم". دون أن يذكر لها شاهداً أو معنى.

وجاء في ١ / ٦٧: " وقال: أساس البناء « هكذا دون معنى أو شاهد. وفيها أيضاً: " وقال: قد أبل من مرضه" دون معنى أو شاهد وهي من باب الباء وجاءت في باب الألف.

وفي ١ / ٦٨: " وقال الأسلمي: قد أنت الصلاة." : " وقال الكلبي: قد أنال للصلاة ولم يُنل لها".

ودلالة مثل هذه الأمثلة واضحة على أن المنهج الغالب على معجم الجسيم هو الإتيان بالمفردة أو المدخل اللغوي متبوعين بالشاهد الشعري.

ويبدو أن هناك عذراً لفزرنديم فيما قاله من أن الشيباني قام بجمع الشواهد الشعرية التي فيها كلمات يضمها باب واحد ولم يفعل ما يفترض في تأليف المعاجم من البدء بجمع الكلمات ثم البحث لها عن شواهد؛ وذلك لأن الشيباني ذكر أبياتاً شعرية

منفردة منعزلة لا علاقة لها بما قبلها، أو بما بعدها؛ أي يأتي بها عَرَضاً خلال النصوص المعجمية وفيما بينها وكقوله في ٥٤/١: " وقال: (وقد يقصد هنا الراوية الذي سبق ذكره وهو هنا أبو السمع)، وقد يقصد الشاعر:

فَتَى لَا يَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ غَنِيمَةً وَلَا مُنْفِسَاتِ الْمَالِ حَلِيًّا عَلَى نَحْرٍ

وفي بعض الأحيان كان الشيباني أيضاً يذكر وأنشد (وربما يكون المنشد هنا الراوية) كقوله في ١ / ٦٦: " وأنشد (وهذه بعد نقله عن أبي الغمر):

وَمَا بَابُنْ آدَمَ مِنْ قُوَّةٍ تَرُدُّ الْقِضَاءَ وَلَا مِنْ حَوْلٍ
وَكُلُّ بَلَاءٍ أَصَابَ الْفَتَى إِذَا النَّارُ نُحِّيَ عَنْهَا جَلَلٌ

وفي أحيان أخرى يأتي بالبيت أو غيره مع ذكر قائله ويعلق عليه بجملة تبين المقصود منه كقوله في ١ / ٦٦: " وقال أبو النجم:

كَأَنَّ حِصَاَهَا مِنْ تَقَادُمِ عَهْدِهَا صِعَابُ الْأَعَالِي آبَدٌ لَمْ يُحَلَّلْ

أي لم يترل به أحد".

ومثل هذه السياقات قليلة ولا يصح تعميم دلالاتها على الكتاب بأجمعه، ولكن يمكن أن تشير بوضوح إلى أن الشيباني كان جماعاً للغة وجامعاً لأشعار قبائلها. فأراد أن يوفق بين الجمع بين المتداعي المعاني فيما بينها بخطة غير محكمة خاضعة لإعادة النظر والمراجعة، فتخللها أشعار ومفردات في انتظار ربطها باستعمالات ودلالات، ولكن يبدو أن العمر لم يمهله لاستكمال هذا النقص، وأميل إلى تفسير قرندم نفسه لهذه الظاهرة (الأشعار والمفردات غير المفسرة) بقوله ص ٤٠ من كتابه: " إن الشيباني كان يدون أبياتاً مختارة من الشعر تاركاً إياها للمستقبل ليشرح غريبها ويضعها في مكانها حسب الترتيب، وهكذا الحال عندما نعثر على كلمة في غير موضعها".

وهو تصور صحيح فإن المعجم وصل إلينا بصورته الأولية التي هي أقرب إلى المسودة التي لم يتح لصاحبها تنقيحها واستكمال نقصها وتنقيتها من الحشو وتبرئتها من الخلط لتخرج إلى الناس أكثر تنظيماً وأدق ترتيباً، يستدل على ذلك من قول أبي الطيب

في مراتب النحويين ص ٩١: "أما كتاب الجيم فلا رواية له؛ لأن أبا عمرو بخل به على الناس، فلم يقرأه عليه أحد".

وأنتقل إلى عنصر معجمي آخر في كتاب الجيم وهو ضبط المفردات، وقد التزم صاحبه بوضع الحركات على الحروف أينما كان هناك ضرورة للضبط، وفي غير الضرورة أيضاً فلا تكاد تند كلمة من ضبط أحد حروفها بحيث لا تحتاج إلى ضرب أمثلة للبرهنة على دقته في الضبط فما على القارئ سوى فتح المعجم على أية صفحة دون تعيين. ونادراً ما يلجأ إلى الضبط بالعبارة كما في ١ / ٢٣٩ (باب الحاء) (مال أبو المسلم: الخُشَف والخُشَف بضم الخاء وفتحها) واستعان الشيباني بالضبط الصرفي، إن جاز التعبير، وذلك باستعمال بعض المصطلحات الصرفية كقوله: مهموز، ممدود، لم يهمز وإن كان ذلك يحصل نادراً كقوله في ١ / ٥٤ من باب الألف: "وقال: تَمَرٌ يوبى عنه أي: لا يُؤْكَل منه شيء إلا قليلاً، وهو الإيباء حين يُوبى بطنه، ولم يهمله" وفي ١ / ٦٠ باب الألف: "والإساء، ممدود" وفي ١ / ٦٧ باب الألف (الهمزة): "وإثاء، ممدود" وفي ١ / ٦٩ باب الألف (الهمزة): "قد استأوذن.. الهمزة قبل الواو" وفي ١ / ٧٦ من باب الألف (الهمزة): "وقد آبل إيبالاً، مهموز" وقد يميّز في قلة بذكر الجمع أو الجماعة بتعبيره كما في ١ / ٦٠ من باب الألف: "الآري.. والجماعة الأواري" وقد يذكر مفرد الجمع كقوله في ١ / ١١٧ باب الجيم: "الجبَّاجِبُ: المستوى من الأرض، ليست بحزونة، والواحد: جبَّجَب" وفي ١ / ١٠١ باب التاء: "التربَّات: الأنامل والواحدة تُرْبَة". وفي ١ / ١٨١ باب الحاء: "القوسُ حنيّة. وجماعها حنيّ" وفي ١ / ٢٠٤؛ باب الجيم: "المحارف: الأميال، الواحد محرف".

أما أداء المعاني في معجم الجيم فقد تنوّع؛ إذ استخدم الشيباني وسائل عدة لشرح المفردات وتوضيح معانيها ومن ذلك:

- الشرح بالتعريف: كقوله في ١ / ٥٣ من باب الألف: (الأفيق: الجلد الذي قد دُبغ ولم يُقَطَّع) وفي ١ / ٥٥ من الباب نفسه: (قال الأكوعِيّ: الأُرْثَة: أن يعطي الرجل الآخر الثوب أو الدابة يبيعها، فيسمي له شيئاً يأمره أن يبيعه به فتلك الأُرْثَة) ويورد معنى آخر بعد ذلك مباشرة وبالوسيلة نفسها بقوله: "والأُرْثَة: علامة تُجَعَل بين الحَدَّيْن من الأرض، وهي الأُرْفَة" بقوله: وهي الأُرْفَة كأنه يفسرها بالمرادف أيضاً.

ومن ذلك أيضاً ١ / ٦٣: (قال النُميري: الأبدية التي تلزم الخلاء ولا تقربُ أحداً ولا يقربها).

وفي ١ / ٦٤ من باب الألف: (قال العبسي: المؤوم: الذي يصيبه الأوم فيعظم رأسه ويدقُ جسمه).

وفي ١ / ٧٤ من الباب نفسه: (الأنيث: المكان السهل الذي ليس فيه حزن ولا غلظ، وذاك يُربُّ الماء فلا يزال فيه ثرى).

وفي ١ / ٩٩ من باب التاء: (وقال (يقصد الأسعدي): المُتَلَبُّ: الذي يميل من الأرض المرتفعة إلى الأرض المنخفضة..).

وفي ١ / ١٠٢ من باب التاء: (التَّبر: ما كان مكسوراً من ذهب أو فضة).

وفي ١ / ١٠٦ باب الثاء: (وقال النُميري: امرأةٌ مثفاة: التي قد مات لها ثلاثة أزواج، ولا يُقبل عليها خير، وقال العُقيلي: المثفى: الذي تموت عنده ثلاث نسوة).

وفي ١ / ١١٥ باب الجيم: (وقال أبو الخليل الكلبي: الجشَر: الذين يبيتون في خيلهم وإبلهم وشاتهم، لا يأوون إلى أهل وهو قول الأخطل: كيف قَرَاكَ الغلَمةُ الجَشَرُ

وفي ١ / ١٤٢ باب الحاء: (هي مُحُول: الأنثى إذا ولدت مرةً ذكراً، ومرةً أنثى).
وفي ١ / ١٤٣ باب الحاء: (وقال (يعني البحراني): الحرقُوص: دُوَيَّةٌ سُوَيْدَاءٌ صغيرة مَلَسَاءٌ تطير بجناحين، والحرقُوص: نواة البُسرة الخضراء).

وفي باب الدال ١ / ٢٤٤: (وقال (السعدي): الدَّيْل: أرض مُستوية سهلة ليس فيها رمل ولا حزونة، تُثبت النَّصي والحلَمة والرَّخامي والبَقْل).

وفي باب الذال ١ / ٢٨١: (وقال السعدي: "الذَّارُّ من الإبل: التي تشرب قليلاً وتعاف كثيراً).

وفي باب الراء ١ / ٢٩٠: (الرَّدُّ، من الإبل: التي إذا شربت بركت فعظم ضرعها، وليس كله بلبن).

(والرُّوَاد، من الإبل: التي تَرِدُ الماءَ وفي بطونها ماء).

- الشرح بالمرادف كما في ١ / ٥٣ باب الألف:

(الأَوْقُ الثَّقَل)، و(الأَوْق: الجَوْر). وفي ١ / ٦٨ من باب الألف:
(والأوام: العطش، وأنشد:

قد علمت أَنِّي مروِّي هامها
ومذهب الغليل من أوامها
إذا جعلت الدَّلَوَ في خطامها

وفي ١ / ٧٤ من باب الألف: (الأزَّة: الصوت، وأنشد:
إذا استسمعت بالهَجَل لم تستمع به سوى سُكْرَةِ المَكَّاء أو أَزَّةِ الرعدِ

وفي ١ / ٧٥ من باب الألف: (التَّأَرَّى: القعود. قال أبو محمد:
إمَّا تَرِنِي خَلَقَ الْأَطْمُرَّ أَشْعَثَ لَا أَهْمٌ بِالتَّأَرِّي

وفي ١ / ٧٦ من باب الألف: (الأَلُّ: السُّرْعَة).
وفي ١ / ٨١ باب الباء: (وقال (الأسعدي): البَلَاط: الجلد).
وفي ١ / ٨٢ باب الباء: (وقال (الأسعدي): الأَبْلَج: الأبيض).
وفي ١ / ٨٥ باب الباء: (وقال (الوداعي): البُلْسُن: العَدَس).
وفي ١ / ١٠١ باب التاء: (وقال معروف: التَّرِبَات: الأنامل).
وفي ١ / ١٠٥ باب التاء: (وقال: (الكلبي) الثالب: الكبير).
وفي ١ / ١٠٦ باب التاء: (وقال (الكلابي) الثَلْبُ: الوَسَخ).
وفي ١ / ١١٣ باب الجيم: (وقال (الأكوعى): الجَوْنَةُ: الشمسُ،
قال:

تُبَادِرِ الجَوْنَةُ أَنْ تَمِيلَا

وفي ١ / ١٢١ باب الجيم: (وقال (الطائي): المَجْرَن: البَيْدَر، قاله
الحارثي).

وفي ١ / ١٢٢ باب الجيم: (وقال (العَدَوِي): الجَوْرَب: الغلالة).
وفي ١ / ١٥٢ باب الحاء: (وقال (الزهيري): الحَنْبَل: القبيح الخلق من الرجال).
وفي ١ / ١٥٩ باب الحاء: وقال (الطائي): المُحَبَّنْطَى: المَلَّان، غير مهموز).

وفي باب الحاء ١ / ٢٢٠: (الخُزْوان: الكبير).

وفي باب الحاء ١ / ٢٣٣: (وقال: (التميمي): الخازباز: الذباب الأزرق).

وفي باب الدال ١ / ٢٥٠: (الدَّعَج: السَّوَاد، والنَّعَج: البياض).

وفي باب الدال ١ / ٢٥٨: (الدَّرْفَس: العظيم).

- ومن أساليبه وضع المدخل ومعناه في سياق لغوي، ومن أكثر هذه الأساليب استعمالاً في كتاب الجيم السياق الشرطي، ويكون ذلك بسوق المدخل في جملة فعلية أو اسمية يتلوه المعنى مُصَدِّراً إذا الشرطية، وبتعبير النحاة المعنى شرط وجوابه مفهوم من الجملة السابقة عليه التي يتضمنها المدخل، ومن أمثلة ذلك في ١ / ٥٣ باب الألف: (وتقول: هم إلب عليه: إذا كانوا مجتمعين عليه)، وفي ١ / ٥٥ من باب الألف: (وقال السعدي: أنف البعير المرتع إذا كرهه).

وفي ١ / ٦٠ من باب الألف: (وقال (الكلاي): أَرَيْتُ لِلْجَمَلِ وَلِلْفَرَسِ إِذَا حَفَرْتُ حُفْرَةً فَدَفَنْتَ عَوْدًا فِيهِ رَسَنَ ثُمَّ دَفَنْتَهُ، وأخرجت عُروَةَ الرَّسَنِ فَرَبَطْتُ بِهِ وَهُوَ الْآرِيُّ). وفي ١ / ٦٥ من باب الألف: (وإنه لُمُؤَدُّ لِلسَّفَرِ، إذا كان قوياً عليه قد أخذ له أَهْبَتَهُ). وفي ١ / ٨٥ من باب الباء: وَقَالَ الثُّعْلِيُّ: لَقَدْ أُبْلِدَ فُلَانٌ إِذَا هَلَكَ مَالُهُ وَضَعُفَتْ حِيلَتُهُ).

وفي ١ / ٩٣ من باب الباء: (وقال (الهذلي): إنه بُنْزُهُةٌ مِنَ الْمَاءِ إِذَا كَانَ بَعِيداً مِنْهُ).

وفي ١ / ١٠١ من باب التاء: (وقال العدوي: هذا حَجَرٌ فِيهِ تَجَابٌ، إذا كان فيه فَضَّةٌ).

وفي ١ / ١١٢ من باب الجيم: (رجُلٌ مَجْشُورٌ، إذا كان به سُعَالٌ).

وفي ١ / ١٢٩ من باب الجيم: (وقال (السعدي): قَدْ أَجْلَحَّتِ الْإِبِلُ، إذا بَرَكْتَ

جميعاً).

وفي ١ / ١٦٥ من باب الحاء: (قال غسان: قَدْ أَحْقَدَتِ الْأَرْضُ، إذا لَمْ تُنْبِتْ وَقَدْ

سُقِيت).

وفي ١ / ١٦٦ من باب الحاء: (وقال (أبو الجراح): قَدْ حَبِطَ

جُرْحُهُ، إذا انْتَفَخَ وَوَرِمَ).

- وفي ١ / ٢٢١ من باب الحاء: (قد أخنى فلان بفلان إذا غدر به).
- وفي ١ / ٢٤٤ من باب الدال: (وقال: (أبو الخليل الكلبي): دأظ من الطعام، إذا أكثر منه يدأظ (دأظاً)).
- وفي ١ / ٢٨٣ من باب الذال: (وقال الهذلي: رمى فأذمى، إذا لم يقتل، وقد ذمت رميته إذا لم تمت).
- وفي الصفحة نفسها (قال أبو ذؤب العُقيلي قد ذكت الشاة، إذا هَرَمَت)، وهذا أسلوب لا تكاد تخلو صفحة من كتاب الجيم منه.
- وقد يحدث العكس بأن يسبق الشرط ويتلوه المعنى؛ أي يذكر المدخل في سياق الشرط، وجواب الشرط هو المعنى كقوله في ١ / ٦٢ من باب الألف: (وقال البكري: الآس: الطريق، إذا ضل عنك الطريق، ورأيت بَعْرًا أو أثرًا فذاك آسُه، وشركُه)، وقد يصدر هذا الأسلوب بـ "ويقال" نحو ما جاء في ١ / ٧٥ - باب الألف: (يقال للصبي: إذا لم يَقَرَّ: إنك لَأَبْت، وهو من النشاط والمرح) وفي الصفحة نفسها: (إذا احمرَّ الأراك فهو الكَبَات).
- وفي ١ / ٨٢ من باب الباء: (إذا سبح (يقصد الرجل) في الماء فانقطعت سباحته قيل: بَحِر).
- وفي ١ / ٩٩ من باب التاء: (ويقال للرجل، إذا ناء في الرِّكِيَّة ليقع فيها: أدركته بعد ما ائْتَلَبَّ ليقع). وفي باب الباء ١ / ١٠٠: (إذا غلظت الحَبَّة وامتألت فقد أُنْضَح (الزراع)، فإذا أبيضَّ ويست الحَبَّة فقد أصْرَب).
- وفي ١ / ١٣٠ باب الجيم (ويقال للإبل إذا بركت: مُجْلَحَمَة)، وفي الصفحة نفسها: (ويقال: إذا كان بين السُّلَّاميين خط في الحُفِّ: إنها لَمَعْبَرَة سَاعِنَة)، وفي باب الجيم أيضاً ١ / ١٣٢: (إذا طُلِيَ كَلُّه (البعير) بالقَطِرَان أو بالدُّهْن، قيل: أُذْمِج).
- وفي ١ / ١٥١ باب الحاء: (وقال (الكلابي): إذا تناضل الرجلان فكانا سواء هما الحَتْنان).

وفي ١ / ١٦١ باب الحاء (إذا كانت الإبل حِقَاقاً فهي طَرُوقَة الفحل، فإن بقي من الحقاق شيء لم يلقح فهي أَوَابٍ، والواحدة آبِيَة).

وفي ١ / ١٦٣ باب الحاء: (وقال (التميمي): إذا نبت الزرع كله فقد حشد يحشد فإذا أضمر، قيل: قد قمبع).

وفي ١ / ٢٢٩ من باب الخاء: (ويقال للشوب، إذا كان لِيناً: إنه لخميلة). وأكتفي بهذا القدر من هذا الأسلوب، وانتقل إلى أسلوب شاع بكثرة غير محدودة في أداء المعنى عند الشيباني وهو استعمال (أي) التفسيرية بين المدخل ومعناه، وغالباً ما يأتي المدخل في جملة تتلوها (أي) وبعدها المعنى مباشرة ومنه في ١ / ٥٥ باب الألف: (وقال: هو بإزائه؛ أي بجذائه، مُقَابِلُهُ)، ومنه في ١ / ٥٨ من باب الألف: (ما أَتَابَقَ منها: أي ما أُنْكَرُهَا)، وفي باب الألف أيضاً: (وقال (الكلابي): إنه لذو مُثْبَرٍ، أي ذو غِشٍّ) وفي ١ / ٦٥ من باب الألف: (وقال (العيسي): اجعل بيني وبينك أَمَاراً، أي: ميعاداً).

وفي ١ / ٨٥ باب الباء: (وقال العُذْرِي: برح الله عنه، أي: فرَّج الله عنه).

وفي ١ / ٨٧ من باب الباء أيضاً: (وقال: بِجْهٌ يُجْهٌ، أي: شَقَّه).

وفي ١ / ٩٤ من باب الباء: (وقال (الأزدي) بَاءَ به، أي: ذَهَبَ).

وفي ١ / ٩٧ من باب التاء: (وقال العُقَيْلِي: تَبَّنَ في هذا الشيء أي: فَطِنَ، يَتَبَّنُ يَتَبَّنُ: (وقال (الأسعدي): جاء تَوّاً، أي: جاء وَحَدَه).

وفي ١ / ١٠٦ من باب التاء: (وقال (الكلابي): يقال: إنه لَثَلِبَ الجِلْدَ، أي: وسخ).

وفي ١ / ١٠٨ من باب التاء: (وقال التميمي: إِنَّ في لحمه لَتَشْجِيرًا، أي: رَخَاوَة، وهو من السهام).

وفي ١ / ١١٤ من باب الجيم: (وقال (الأسدي): أَجْحَفَ به، أي: دَنَا مِنْهُ)، وفي باب الجيم أيضاً ١ / ١٢٣: (وقال (نصر الغنوي): جَشَّهُ بالعصا؛ أي: ضَرَبَهُ).

وفي ١ / ١٤٤ من باب الحاء: (وقال الأكوعي: هذا رجل أحمر، أي: ليس له سلاح، وإن كان أشدَّ سواداً من القار، وجاء يَعْدُو أحمر، أي: ليس له سلاح وقال:

وُخَضُّنَا الْبَحْرَ نَطْلُبُهُمْ وَكُنَّا أَغْزَى الْحُمْرِ فِي الْحَسَبِ الطُّوَالِ

وفي ١ / ١٥٣ من باب الحاء أيضاً: (وقال (الطائي): إنه لَحَزَوْرُ الْقَدَمِ؛ أي: قصير القدم).

وفي ١ / ٢٢٤ من باب الحاء: (ويقال: ضَرَبَهُ حَتَّى أَخْفَعَهُ، أي: صَرَعَهُ).

وفي ١ / ٢٢٨ من باب الحاء: (وقال (الطائي): أَصْبِيُوا بَخْنَعَهُ؛ أي: بَغْرَةً).

وفي ١ / ٢٥٢ من باب الدال: (وقال الطائي: دَأَيْتُهُ؛ أي دارأته ورفقت به).

وفي ١ / ٢٥٩ من باب الدال: (اندحاق السُّرَّة، أي خروجها)، وفي ١ / ٢٧٦ من باب الدال: (تقول: قد آدني هذا؛ أي أثقلني).

وفي ١ / ٢٨٢ من باب الذال: (وقال (الجراح): قد أذأب من هذا الأمر، أي أشفق منه).

وفي ١ / ٢٨٧ من باب الراء: (تقول: قد رَثَدُوا على هذا الماء، أي أقاموا، وهو الرَثْد). بعد هذا تتبع لوسائل الشيباني في أداء المعاني يمكنني أن أسجل الملاحظات الآتية: وأولها: تكرار اللفظ الواحد في غير موضع، وبمعان مختلفة نحو الأوق في ١ / ٥٣ في أول باب الألف بمعنى الثقل. إذ قال: (قال أبو عمرو الشيباني: الأوق: الثقل، يقال: ألقى عليه أوقه، وتقول: أما والله لتجدنَّه عليك ذا أوق قال:

وَالْجِنُّ أَمْسَى أَوْقَهُمْ مُجْمَعاً

وهي أول مدخل في المعجم، ويذكرها مرة أخرى بعد ثلاثة مداخل بقوله في الصفحة نفسها: (الأوق: الجور، وأنشد:

تَعْلَمُ يَا أَبَا الْجَحَّافِ أَنِّي أَخُ لَكَ مَا تَبَيَّنَتَ الطَّرِيقَا
وَمَا لَمْ تَغْشَ أَوْقَا إِنِ عَجَزَا بِرَأْيِ الْمَرْءِ أَنْ يَغْشَى الْأَوْقَا

ومن أمثلة هذا الوضع كذلك (المألوق) وردت في ١ / ٥٩ بمعنى: (الكذاب، وهو المحدود) ومرة أخرى في ١ / ٦٩ بمعنى: (الذي تمَّ جسْمُه، وليس له عقل). وهنا جاء المعيان دون شواهد ومنه كذلك لفظ (الآس) الذي ورد ثلاث مرات: الأولى في ١ / ٦٢ بمعنى الطريق، والثانية ١ / ٦٢ أيضاً بمعنى الجناء (للنحل آس، أي جناء)، ومرة ثالثة في ١ / ٦٨ بمعنى الأثر (ما بقي إلا آسه.. إلا أثره) ومرة رابعة في ١ / ٧٤ بمعنى السِّلْم (الآس: سَلَح الفحل)، وأوردها كلها دون شواهد.

وثانيها: تكرار اللفظ الواحد في غير موضع ولكن بمعنى غير مختلف نحو الأميل التي وردت في ١ / ٥٩ (الأميل من الرمل: أطول ما يكون) وفي ١ / ٦٣: (الأميل: أطول ما يكون من الرمل في السماء) وفي ١ / ٦٤ (الأميل من الرمل: المستطيل من الرمل العريض المستوى) وكذلك الأطوم التي وردت في ١ / ٦١ (الأطوم سمكة تكون البحر غليظة الجلد)، وفي ١ / ٦٤ (والأطوم: سمكة في البحر غليظة الجلد وهي قول الشماخ: **وجلدها من أطوم ما يُؤبَّسُه طَلَحٌ بضاحية الصِّداء مهزولٌ**

وكذلك الأزوح وردت في ١ / ٥٣ (الكاره لِوُجْهَةِ البطيِّءِ السيِّءِ المقادة، أَرَحَ بأَرْحِ أَرْوَحاً)، وفي ١ / ٥٨ وردت بالمعنى السابق ولكن بلفظ مختلف وهو (الحرون، أَرَحَ يَأْرَحُ) فالحرون هو السيء الانقياد. ولكن الأزوح في ١ / ٦٢ جاء بمعنى آخر بقول الشيباني (وقال الفريري: إنه لأزوح القدم، أي قصير القدم).

وثالثها: أنه كان يذكر ألفاظاً (أو مداخل) دون أن يقابلها بمعنى كقوله في ١ / ٥٨: (وقال: أَدَبْتُهُمُ الأَجْفَلَى)، (وقال: إنه لفي أَرْوَمَةٍ صالحةٍ، وفي أُرْيَةٍ) وفي ١ / ٦٢ (وقال: هو أكيَلُ الأسد)، (وقال: أَرَمَ يَأْرَمُ).

وفي ١ / ٦٤: (أَكْذَبُ كَذِباً مؤامراً ومُبْصِراً)، وفي ١ / ٧١ (وقال هم مُؤَرِّكون في الرَّمْث) وفي ١ / ٨٤: (وقال قد بَهَزَ بِجُمُعِهِ بَهْزاً شديداً) وفي ١ / ٩٧ (أَتَيْتُهُ ذِمَّةً)، وغير ذلك كثير.

ورابعها: قد يفسر المدخل أو الكلمة بأخرى غامضة تحتاج إلى تفسير كقوله في ٨٥/١: (وقال الحارثي: البالة من صُفِرَ مثل الصارخة) وفي ١ / ٦٧ (وقال الغنوي: أبَل فلان فلاناً إذا جعل له سواماً من الإبل) وفي ١ / ٨٧ (قال اليمامي أبو أحمد: البرمة: العظاية)، وفي ١ / ٩٣ (البتيلة من النخل: الودية) وفي ١ / ١٠٨ (وقال المكّي: الثُعرور: أصل العُنصل)، وفي ١ / ١١٦ (وقال: المُستجاف: الجائف) وفي ١ / ١٣٥ (وقال: الجذيد من الجبل مثل: الظرب). وفي ١ / ١٣٦ (المجدح من الكواكب: المرزم).

وخامسها: أنه كان يعني بإيراد معاني الألفاظ التي ترد في الشواهد مما يحتاج إلى بيان نحو قوله في ١ / ٧٤: وقال المرار:

تَقَلَّبْتُ هَذَا اللَّيْلُ حَتَّى تَهَوَّرَتْ إِنَاثُ النُّجُومِ كُلِّهَا وَذَكَوْرُهَا

إناث النجوم: صغارها، وذكورها: كبارها.

ولم يكتفِ الشيباني بتزويد معجمه بالمعاني فأضاف إليها ما يعنُّ له من معلومات لهجية كقوله في ١ / ٥٤: (وقال: مُراد جميع مَذْحَجٍ يقولون يؤوق: يطلع من مكان مُشْرِف). وفي ١ / ٦٣: (وقال: الأاراسة: الزَّرَاعُونَ وهي شامية). وفي ١ / ٧٠: (وقال الإِشَاءَة: الاضطرار، وأهل الحجاز يقولون: الإِجَاءَة، تقول: ما أجاءَكَ إلى كذا وكذا؟ أي: ما اضطرَكَ إليه، قال الله جل وعز: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ). وفي ١ / ١٢١: (وقال اليماني: الأَجْهَرُ: الذي لَا يُبْصِرُ بالليل، وبنو شيبان يقولون: الهُدْبُدُ). وفي ١ / ١٨٣: (قال: تقول بنو أسد: الحِثَاث: النَّوم، وأنشد:

ما ذاق في العينين من حِثَاثٍ

وفي ١ / ٢٣١: (وقال أبو القمَر: سمعتُ كنانةً وقريشاً والأزدُ يسمون القِرْدَة: الحَنْزَوَان). وفي ١ / ٢٣٤: (الخُضْعَة من النخل: التي تنبت من النواة، من لغة بني حنيفة). وفي ١ / ٢٧٢: (والدَّرْبَة: دعاؤك الضَّان، وهي لغة لبني فَرير، من طيء).

وقد قام فرندسم ص ٩٣ - ٩٤ بإحصاء المفردات التي ذكرت لكل قبيلة في كتاب الجيم: "لبنی أكثر بن سعد ٢٨٦، وأسد ٢٨٧، أزد ٢٨٨، أهل البحرين ٢٨٩، بلي

٢٩٠، فريز ٢٩٢، حنيفة ٢٩٣، حارث ٢٩٤، الحجاز ٢٩٥، حمير ٢٩٦، هذيل ٢٩٧،
كنانة ٢٩٩، مذحج ٣٠٠، مراد ٣٠٢، نجران ٣٠٤، فلسطين ٣٠٥، قيس ٣٠٦، قريش
٣٠٧، شيبان ٣٠٨، شام ٣٠٩، تغلب ٣١١، ثميم ٣١٢، ثقيف ٣١٣، طي ٣١٤، عقيل
٣١٥، يمن ٣١٧".

ومن المعلومات النحوية التي تضمنها النص قوله في ١ / ١٦٢: (هذا حينَ تثمرُ
النخل، وأثمر النخل نصب "حين" ورفع). وفي ١ / ١٧٥: (وقال عليهم لعنة الله حاشا
فلاناً، نصب). وفي ١ / ٢٣٣: (وقال الخازباز: الذباب الأزرق، وخفضه في الرفع
والنصب) وكذلك بنفس القدر تضمن النص أسماء جغرافية نحو قوله في ١ / ٦٣: (وقال
أضاعى: اسم وادٍ: في شِعْر عُذْرَة). وفي ١ / ٢٢٧ (وقال: الخَرْج: قرية باليمامة لبني قيس
بن ثعلبة). وفي ١ / ٨١: (وقال: البرك: جبل بين حلي وضنكان..).

ومما يلفت النظر لذلك عنايته بإيراد ما يعين له من قصص وحكايات عن الإنسان
والحيوان كحكاية الضب مع الإنسان، وحكمة الضب وحذره؛ بحيث لم تنفع معه حيلة
الضبع وخداع الثعلب (انظر ذلك في ١ / ٧٢ - ٧٣). كذلك حكاية البئر التي اختلف
عليها بنو أسد وبنو فزارة، وما جرى من تحكيم أسماء بن خارجة بينهما (انظر ذلك في
٢٩٦/١).

ويبقى الحديث عن احتجاجه أو استشهاده بأصول الاحتجاج التقليدية التي طغى
عليها الشعر، إذ أنه استشهد بحوالي (٤٣٠٠) بيت من الشعر في حين أنه لم يستشهد من
القرآن إلا بشاهدين، وشاهد واحد من الحديث الشريف وبثلاثين مثلاً (انظر: قرنردم،
كتاب الجيم، ص ٨٤). وعليه فإن الشعر له الأولوية في الاستشهاد وهو أمر اعتاد عليه
اللغويون العرب، النحاة منهم والمعجميون. وعلى حد تصريح قرنردم فإن أكثر من نصف
الشواهد الشعرية مجهولة القائل إذ بلغت (٢٤٠٠) شاهد والباقي لشعراء بلغ عددهم ٢٥٩
شاعراً من عصر الاحتجاج من امرئ القيس إلى ابن هرمة والاحتجاج بالشعر المجهول. ورد
بكثرة في كتاب العين وفي المعاجم المتأخرة عن الجيم والعين، خاصة تلك التي وضعت في

عصر الاحتجاج، فلم تكن الحاجة ماسة لمعرفة القائل بعينه بل كان الاهتمام منصباً على موضوع الاستشهاد وفصاحة المستشهد به، وظهرت الحاجة لمعرفة القائل بعد انقضاء عصر الاحتجاج وظهور علم الحديث الذي التزم فيه برواة الأحاديث وأسانيده.

أما كيفية الاستشهاد فجاءت في غير صورة فقد يأتي بالمدخل (الكلمة) مقرونة بمعناها ثم يحتاج لذلك من خلال شاهد شعري كما جاء في ٧٧ / ١:
(الإدّة: زماع أمر القوم واجتماعه، قال:

وباتوا جميعاً سالمين وأمرهم على إدّةٍ حتى إذا الناس أصبحوا

وقد يأتي بالشاهد بوصفه سياقاً لغوياً لمدخل ما ثم يبين معنى المدخل بعد ذلك كما في ٧٩ / ١: (وأنشد:

أبي القلب إلا حبه خلجية مُفلجة الأنياب رياء الأباهر

قال: الأباهر: بواطن الذراعين).

وقد يأتي بالأبيات الشعرية منفردة ليست شاهدة على قول سابق أو لاحق كقوله في ٨١ / ١: (وقال سعيد بن حياش، لبني زبّان:

يا زبّان يا أبا السّوءات
يا ألامّ الأحياء والأموات
إنّ النجوم ارتفعت هيهات
على زبّان كنّ عالياً

أما الاستشهاد بالقرآن والأمثال فقد ورد منه في ٧٠ / ١: "وقال الإشاءة: الاضطرار وأهل الحجاز يقولون: الإجابة... قال الله جل وعز: + فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة" ^(١)... وفي الأمثال: "قد أُشئت، عقيل، إلى عقلك؛ أي قد اضطرت إلى عقلك".

٣-٤-٢ أساس البلاغة^(١) للزمخشري^(*)

وهو حلقة ثالثة في الترتيب المعجمي الألفبائي، وهي أكمل وأدق من طريقة الشيباني الذي جعل ترتيب معجم الجيم مبنياً على الحرف الأصلي الأول فقط ولم يأبه للحرفين الثاني والثالث، وهي أسهل وأوضح من طريقة ابن فارس الذي اعتمد التدوير مع الترتيب الألفبائي؛ مما أضفى تعقيداً وأحدث اضطراباً في التطبيق خاصة فيما فوق الثلاثي. فإن الزمخشري يصف منهجه بإجمال شديد بقوله في المقدمة ص (د): « وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً. وأسهله متناولاً، يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع، من غير أن يحتاج في التنقير عنها إلى الإيجاب والإيضاع » فهو في نظره ترتيب سهل في تناول اليد ولا يحتاج إلى إعمال فكر. ولتوضيح ترتيبه لابد من العودة إلى القاموس نفسه الذي يظهر لنا أن ترتيب المداخل فيه ألفبائي بفتح باباً لكل حرف بادئاً بالهمزة فباب الباء إلى باب الياء، ومن أجل الوصول إلى المداخل تتوالى الهمزة مثلاً مع بقية الحروف حسب ترتيبها كالهمزة مع الباء، وما يثلاثهما نحو: أ ب ب، أ ب د، أ ب ر، أ ب س، أ ب ش، أ ب ص، أ ب ط، أ ب ق، أ ب ل، أ ب ن، أ ب هـ، أ ب و، أ ب ي، ثم الهمزة مع التاء وما يثلاثهما حتى الهمزة مع الياء، وينتقل إلى باب الباء الذي يفتحه بالباء مع الهمزة وما يثلاثهما حتى يصل إلى الباء مع الياء وما يثلاثهما في منهج معجمي واضح الترتيب يراعي أصول الألفاظ، أي جذورها الثلاثية. وهكذا لم يقف عند الحرف الأصلي الأول كما فعل الشيباني، وإنما اعتمد معه الحرفين الثاني والثالث الأصليين من جذور المداخل.

(١) أساس البلاغة : لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ — /

٢٠٠١ م.

(*) هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الشاعر، اللغوي، النحوي، المفسر الذي ترك مصنفات كثيرة من أشهرها : الكشف في تفسير القرآن، والفائق في غريب الحديث، والمفصل في النحو، وأساس البلاغة وغيرها.

ومما يمكن أن أحقه بحديث المنهج هو قوله في المقدمة أيضاً من د: « ومن خصائص هذا الكتاب.... تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة، والكناية عن التصريح.. » أي إنه فصل في كل مادة الحديث في المعاني الحقيقية عن المعاني المجازية، فخصص القسم الأول من حديثه للمعاني الحقيقية في مشتقات المادة وبعد ذلك ينثني إلى المعاني المجازية لمشتقات المادة التي يبدوها بقوله « ومن المجاز » وهذا يوجه النظر إلى أمرين أولهما غايته من هذا التقسيم والآخر وسيلته التي انصب عليها ميدان بحثه للوصول إلى غايته. أما غايته فلا بد أن تكون بلاغية بيانية، للنظر في وجوه الإعجاز القرآني وألوان البيان في أقوال العرب، وهذا الهدف واضح من قوله في المقدمة ص (ج): « لما أنزل الله كتابه مختصاً من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة التي تقطعت عليها أعناق العتاق السُّبُق، كان الموفق من العلماء الأعلام... من كانت مطامحُ نظره ومطارحُ فكره الجهات التي تُوصِّل إلى تبين مراسم البلغاء، والعثور على منازم الفصحاء والمخايرة بين متداولات ألفاظهم، ومتعاورات أقوالهم... والنظر فيما كان الناظر فيه على وجوه الإعجاز أوقف، وبأسراره ولطائفه أعرف... حتى يقال هو من علم البيان حَظِيّ، وفهمه فيه جاحِظِيّ، وإلى هذا الصوب ذهب عبد الله الفقير إليه، محمود بن عمر الزمخشري، في تصنيف « كتاب أساس البلاغة » أي إنه ألف الأساس من أجل تتبع وجوه البلاغة العربية في كلام العرب وشعرهم، وإدراك أسرار بلاغة القرآن وإعجازه في بيانه، أما وسيلته إلى ذلك، فهي كما قال في (ص د): تحيّر ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المُفْلِقِينَ، أو ما جاز وقوعه فيها وانطوائه من التراكيب التي تملح وتحسن... بسوق الكلمات متناسقة لا مُرْسَلَةٌ بدداً، ومتناظمة لا طرائق قِدداً، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية».

وهذا البيان منه يحدّد فيه الميدان الذي يبحث فيه عن دلالات الألفاظ وذلك من خلال استعمالها في أنساق لغوية يقتطفها من عبارات العربية التي وصفها بقوله في المقدمة ص ٦ بأنها من: « ما فصّح من لغاتها، وملح من بلاغتها، وما سمع من الأعراب في بواديها، ومن خطباء الحِلل في نواديها، ومن قراضة نجد في أكلائها ومراتعها، ومن

سماسرة قهامة في أسواقها ومجامعها، وما تراجزت به السُّقاة على أفواه قُلُبها، وتساجعت به الرعاة على شِفاه عُلُبها، وما تقارضته شعراء قيس وتيم في ساعات المماتنة، وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مُفْتَنَّة، وجوامع كَلَم في أحشائها مُجْتَنَّة.»

هذه هي مصادر معجمه ومواطن مدخلاته التي سيعتمد عليها في بيان دلالات هذه المدخلات، وفي تضاعيف ذلك كان يستعين بالآيات والأحاديث، بحيث يكون التركيب هو السياق الذي يحدّد معنى الوحدة المعجمية في القرآن والحديث ونثر العرب وشعرهم، حقيقة أو مجازاً، ولا أبالغ إذا قلت إن أساس البلاغة هو معجم للتراكيب والعبارات لا للكلمات مفردة التي لم يخلُ المعجم من إيرادها في المعاني الحقيقية، فاللفظ حين يكون مفرداً يقصّر عن أداء المعنى مستوفى ومنوعاً، فهناك معانٍ وظيفية لا تظهر ولا تكتمل إلا من خلال تركيب حقيقي أو مجازي، وبهذا التوجّه يضع الزمخشري بين يديه المساحة المشتركة بين علم البيان وعلم المعاجم التي تمثلها كما يقول الدكتور تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩): «العلاقة بين الكلمة ومدلولها... التي يصبح فيها التعبير اللغوي بحاجة إلى جواز الحقيقة العرفية (المعنى الحقيقي) إلى استعمالها آخر للفظ يسمى المجاز».

بعد هذا التقديم انتقل إلى نصوص الأساس وتحليلها لمعرفة مدى التزام الزمخشري بما جاء في مقدّمته، وينظر في أساليب السياقات اللغوية التي وظفها لبيان معاني المداخل. من يتصفّح الأساس يجد أن الزمخشري قد وظف أساليب متنوعة، أقصد قد يكون السياق اللغوي جملة، فعلية أو اسمية وقد يكون تركيباً غير إسنادي، إضافياً أو وصفيّاً.

وأبدأ بسياق الجمل الفعلية والاسمية التي تطالعنا في أول مدخل من مداخل الأساس من باب الهمزة - الهمزة مع الباء ١ / ١ (أ ب ب): «اطلب الأمر في إبانته، وخُذْه برَبَّانه؛ أي أوَّلُه، وأنشد ابن الأعرابي:

قَدْ هَزَمْتَنِي قَبْلَ إِبَّانِ الْهَرَمِ وَهِيَ إِذَا قَلْتُ كُلِّي قَالَتْ نَعَمْ

وَأَبُّ لِلْمَسِيرِ إِذَا قَهْيًا لَهُ وَتَجَهَّزَ، قَالَ الْأَعَشَى:

صَرَمْتُ وَلَمْ أَضْرِمْكُمْ وَكَصَارِمٍ أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحاً وَأَبُّ لِيْذْهَبَا

وتقول: فلان راع له الحب، وطاع له الأب أي زكا زرعه واتسع مرعاه». وهنا أسجل الملاحظات الآتية:

- توظيف مدخل أب ومشتقاته في جمل فعلية (اطلب في إبان، وأب للمسير، وطاع له الأب) وجملة اسمية واحدة هي (فلان راع له الحب).
- ظهر للمدخل، أب ومشتقاته ثلاثة معانٍ من خلال السياقات أولها: إبان بمعنى أول وخلال، وثانيها: أب بمعنى تجهّز وقهى، وثالثها: الأب: المرعى.
- صُدِّرَ المعنى بأي مرتين وبإذا مرة واحدة.
- احتج للمعنيين الأول والثاني بالشعر، والمعنى الثالث جاء في تركيب حسن مستملح.

- لم يذكر تركيباً مجازياً لهذا المدخل، وهو أمر يتكرر في كثير من المداخل.
- ولابد من مثال آخر للنظر فيما إذا تكرر هذا النمط من المعالجة أم لم يتكرر، وليكن «درج» من باب الدال ١ / ٢٦٧: «درج قرن بعد قرن، وهذه آثار قوم درجوا: انقضوا، ودرج فلان: مات وما ترك نسلًا، ودرج الشيخ والصبي درجًا وهو مشيهما. وفلان درّاج: يدرّج بين القوم بالنمائم. ورقى في الدرّجة والمدرّج. وأدرّج الكتاب: طواه. وأدرج الكتّيب في الكتاب: جعله في درّجه أي في طيّه وثنيه، وأدرجت المرأة صبيّها في معاوزها. واستدرجه: رّقه من درجة إلى درجة، وقيل استدعى هلكته من درّج إذا مات. واتخذوا داره مدرّجة ومدرّجا إذا مات، قال العجاج:

أمسى لعافى الرامسات مدرّجا

ومن الجواز: لفلان درجة رفيعة، وامش في مدارج الحق. وعليك بالنحو فإنه مدرّجة البيان. و(خلّه درّج الضّب) واستمر أدراجه. و(ذهب دمه أدراج الرياح) ودرّج الرياح. قال:

ذهبت دماء القوم بع — د مُغلّس درّج الرياح

وهم درّج السيول، قال ابن هرّمة:
أُصبّ للمنية تعثرهم رجالي أم هم درّج السيول

رُوي بالرفع والنصب. ويقال: «قد عَلِمَ السَّيْلُ الدَّرَجَ» و«من يَرُدُّ الفِرَاتَ عَنْ أَدْرَاجِهِ»، «وأنا دَرَجَ يَدِيكَ، ونحن دَرَجَ يَدِيكَ لا نعصيك، ودَرَجَهُ إلى هذا الأمر: عَوَّدَهُ إِيَّاهُ، كأنما رَقَاهُ من مِثْلَةٍ إلى مِثْلَةٍ، وتَدَرَجَ إِلَيْهِ». ويمكن ملاحظة ما يأتي على المثال السابق:

- توظيف المدخل (درج) ومشتقاته في جمل فعلية / وأخرى اسمية خاصة في المجاز.
- استعمل المدخل (درج) في معانٍ حقيقية نحو: دَرَجَ الشيخ والصبي، ويدرج بين القوم بالنمائم بمعنى المشي، وفي معانٍ مجازية نحو: ذهب دمه أدراج الرياح، وهم درج السيول، ونحن درج يديك.

- احتج بالشعر لأحد المعاني الحقيقية، ولمعنيين من المعاني المجازية.
- كما احتج بأمثال العرب نحو ذهب دمه أدراج الرياح، دخل دَرَجَ الضَّبِّ، وقد علم السيل الدَّرَج. ومن يرد الفرات عن أدراجهِ وكلها في المعاني المجازية. أما المعاني الحقيقية فكانت من غير الحكم والأمثال، أي من تمثيل صاحب الأساس.
- لم يذكر المعاني التي تدل عليها الاستعمالات المجازية.
- أدخل بعض المعاني الحقيقية في المعاني المجازية نحو لفلان درجة رفيعة. ودرجة إلى هذا الأمر.

هذا منهجه مع السياقات الجمالية باجمال.

أما المعاملة التفصيلية للمداخل مع الجمل الفعلية، فتأتي على صور منها إيراد المدخل في جملة فعلية والمعنى يقابلها في جملة مبدوءة بإذا نحو قوله في ١ / ٢ - أ ب ر: «آبرني فلان إذا اغتابك وآذاك»، وفي مادة أ ب ن: «يقال ابنه إذا عابه». وفي ١ / ٣ - أ ب ي: «أصابه أباؤه بالضم إذا كان يأبى الطعام» - وفي مادة أ ت ب: «تأتب القوس: إذا أخرج منكبيه من حمالة القوس فصارت على كتفيه». وفي ١ / ١٤٤ - ج هـ ر: «جهر الشيء إذا ظهر». وفي ١ / ١٤٥ - ج هـ ش: «جَهَشَتْ نفسه مثل حاشَتْ إذا نهضت إليه وهمَّ بالبكاء، وأجْهَشَتْ». وقد تصدر جملة المعنى (أي).

- كما جاء مثلاً في ١ / ١٥٤ - ح ج ج: «فلان تحجُّه الرِّفاق أي تقصده، قال:

يَحْجُونَ سَبَّ الزَّبْرَقَانِ الْمَزْعُفَرَا

و ١ / ١٥٥ - ح ج ز: « ما يُحْجَزُ فلانٌ في العلم أي لا يُقَدَّر على إخفاء أمره ». وفي ١ / ٢٥٩ - خ ي ل: « وافعل ذلك على ما خَيَّلْتُ أي على ما أرثكُ نفسك وشبَّهت وأوهمت، قال:

إنا ذمنا على ما خَيَّلْتُ سعد بن زيد وعمرو بن قميم

وفي ١ / ٢٦٢ - د ب ر: « من المجاز: وتقول: عصفتُ دَبوره، وسقطت عُبوره أي غاب نجمه ». وقد يأتي المعنى في جملة تلي جملة المدخل مباشرة دون أي أو إذا كما في ١ / ٢٦٢ - د ب ر: « تدبَّر الأمر: نظر في عواقبه.. وتدبر القوم: اختلفوا وتعاودوا... ومن المجاز: جعله دَبْر أذنه: أعرض عنه.. وولى دبره: انهزم ».

وفي ١ / ٢٨١ - د ل ي: « أدليتُ ذلوي: أرسلتها في البئر... ومن المجاز: داريت فلاناً ودليته صانعته ورفقت به... ». وفي ٢ / ٣٠٩ - ك س و: « من المجاز: اكتست الأرض بالنبات: تغطت به ». وفي ٢ / ٣٥٩ - ل و ي: « لوى الحبل: قَتَله... ومن المجاز: لَوَيْت عنه الحديث: طويته عنه.. والتوى عليه الأمر: اعتاص ». وفي ٢ / ٣٦١ - ل ه ق: « تلهوق فلان: تزئِن بما ليس عنده من سخاء ومروءة ودين قال رؤية:

والغرُّ مغرور وإن تَلْهُوَقَا

وفي مادة ل ه م: « ألهمه الله الخير: ألقاه في روعه ». وفي ٢ / ٣٦٩ - م ح ق: « محق الشيء: محاه وذهب به،... ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾^(١): يذهب ببركته وزيادته... ومن المجاز: وأحق الرجل والمال: هلك، مستعار من إلحاق القمر ».

وتنوع كذلك إيراده المداخل في جمل اسمية في صور مشابهة لتنوع إيرادها في الجمل الفعلية، وأول هذه الصور إيراد المعنى في جملة مصدرة بأي كما في ١ / ٦٤ - ب ن د: « هو كثير البنود أي كثير الحيل والدواهي ». وفي ١ / ٦٦ - ٦٧ - ب ن ي: « من المجاز: ملعون من هَدَم بُنيانَ الله أي ما رَكَّبَه وسوَّاه.. وهي من بنات طارق أي من بنات الملوك ».

(١) ٢٧٦ - البقرة.

وفي ٦٧ / ١ - ب و ي: « هذا ليس من بابتك أي مما يصلح لك، وفلان من أهون باباته الكذب وهي أنواع خبثه ». وفي ١٥٥ / ١ - ح ج ل: « من المجاز: بنو فلان يحجلون قدورهم، أي يسترونها كما تُستَر العرائس ». وفي ١٥٩ / ١ - ح د ق: « هم في حَذَقه البعير أي في خصب وماء كثير ». وقد تتصدر إذا جملة المعنى كقوله في ٦٩ / ١ - ب و ق: « من المجاز: فلان ينفخ في البوق إذا نطق بالكذب والباطل وما لا طائل تحته ». وفي ٧٦ / ١ - ت ب ع: « فلان متتابع العمل إذا كان غير متفاوت فيه.. وفلان يتابع الحديث إذا أحسن سياقه ». وقد يأتي المعنى في جملة غير مصدرة بإذا أو أي نحو قوله في ٢٣٣ / ١ - خ ص ب: « من المجاز: فلان خصيب الرحل: كثير خير المترل ». وفي ٢٥٢ / ١ - خ ن ز: « فيه ختروانة وهي الكبر ». وفي خ ن س: « في أنفه خنس وهو انخفاض القصة وعرض الأرنبة ». وفي ٢٧٠ / ١ - د س ع: « من المجاز إنه لمعطاء الدسائع وهي العطية الجزيلة، قال:

في العيص عيص بني أمي — ية ذي الدسائع والمآثر

بعد هذا العرض الدال للأساليب التي ساقها الزمخشري لبيان معاني المداخل، لابد من تسجيل ما تكرر في معجم الأساس حتى أصبح ظاهرة في هذا المعجم ألا وهي اللجوء إلى ذكر مشتقات المدخل دون التطرق إلى المعنى اكتفاء بدلالات هذه المشتقات وإيجاءها في ذهن القارئ العربي نحو قوله في مدخل أرق - ٩ / ١: « أصابه أرق، وأرقني الهم، وتقول: له حضن مؤرق، ودمع ممرق ». وبعدها مدخل أرك: « أفديك من مستاكه، يعود أراكه، وكأنهن ظباء أوارك، وتقول: هم متكئون على الأرائك، مع بيض كالترائك », وبعدها مدخل أرم: « تقول: نفس ذات أكرومة، من أطيب أرومة. وتقول: رأيت حسادك العرم، يحرقون عليك الأرم » لم يذكر المعاني وإنما اكتفى بالسياقات اللغوية التي تشي بالمعنى وهو ما تكرر بصورة لافتة نحو ما جاء في ١٤٩ / ١ - ح ب ط: « حبط بطئه: انتفخ حبطاً بالتحريك وفرس حبط القصيرى: مجفّر، وحبط جلده من السياط. ومن المجاز: حبط عمله حبطاً وحبطاً بالسكون، وأحبط الله عمله، وتقول: إن عمل عملاً صالحاً أتبعه ما يحبطه وإن أصعد كلاً طيباً أرسل خلفه ما يهبطه، استعير من حبط بطون الماشية إذا أكلت الخضر فاستوبلته وهلكت به، ومنه حبط دم القتيل: هدر وبطل ». وانظر كذلك المداخل: ح س س ١: ١٧٣، و ح ص ي ١: ١٧٩، ح ظ ي ١: ١٨٣، ح ل م ١: ١٩٥، ح ل و ١: ١٩٥، دهش ١: ٢٩٠ وغيرها كثير.

وقد يستعمل سياقات غير إسنادية كالتركيب الإضافي والتركيب الوصفي وأبدأ بالتركيب الوصفي نحو قوله في باب الهمزة (الهمزة مع الباء ١ / ١): «أ ب ر: شاة مأبورة: أكلت الإبرة في علفها، وعن مالك بن دينار: (مثل المؤمن كمثل الشاة المأبورة..). وفي ١ / ٥ - من باب الهمزة - أ ج ح: «ماء أجاج: يحرق بملوحتة». وفي ١ / ٩ من باب الهمزة - أرز: «شجرة أرزة: ثابتة». وفي مادة أرى ١ / ٩: «مهر أرن، ويوم أرونان وأرونانني شديد، قال:

وْظَلَّ لِنِسْوَةِ النُّعْمَانِ مَنَا عَلَى سَفَوَانٍ يَوْمَ أَرْوَنَانِي

وفي ١ / ١١ - باب أزم: «رجل أزوم: قليل الرزء من الطعام». وفي ١ / ١٢ - باب أس ف: «ومن الجواز: أرض أسيفة: لا تموج بالنبات». وفي ١ / ١٣ - باب أش ب: «ومن الجواز: عدد أشب: مختلط، وفي مثل: (عيصك منك وإن كان أشبا) ... وجمع مؤنثب ومؤنثب غير صريح...». وفي ١ / ١٣ - باب أ ص د: «باب مؤصد وقدر مؤصدة: مطبقة». وفي ١ / ١٦ - باب أفك: «... ورجل أفاك: كذاب... ومن الجواز: أرض مأفوك: مجدودة من المطر والنبات، وسنة أفكة: مجدبة». وفي ١ / ٥٧ - ٥٨ ب ق ع (باب الباء): «... غراب أبقع: فيه بقع من سواد وبياض... ومن الجواز: سنة بقاء وعام أبقع: لعام الجذب..».

وفي ١ / ٦٠ ب ل ج: «رجل أبلج: بين البلج والبلجة. قال: أبلج بين حاجبيه نوره إذا تغدَّى رفعت سؤوره

ومن الجواز: صباح أبلج، قال العجاج: حتى بدت أعناق صبح أبلجا نسور في أعجاز ليل أذعجا

وفي ١ / ١٥١ - ح ب ن: رجل أحبن: منتفخ البطن خلقة أو من داء...». وقد يلجأ إلى التركيب الإضافي؛ أي يجعل المدخل جزءاً من تركيب إضافي كقوله في ١ / ١٥٢ - ح ث ل: «حثالة الطعام ما سقط منه إذا نقي». وفي باب ح ش ر: ١ / ١٧٥: «حشرجة المريض صوت يردده في حلقه، يقال حشرج المريض، قال حاتم: إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر»

وأكثر ما يأتي هذا التركيب الإضافي ضمن جملة كقوله في ١ / ١٧٦ - ح ش و: « أنا في حشا فلان أي في كنفه وذراه... ». وفي ١ / ١٧٩ - ح ص ي: « من المجاز: ذو حصاة: وقور ». وفي ١ / ١٨١ - ح ط ب: « ومن المجاز هو حاطب ليل: للمخلط في كلامه ». وفي ١ / ١٨٣ - ح ظ ر: « ومن المجاز: هو نكد الحظيرة: للبخیل ». وفي ١ / ١٩٢ - ح ل س: « ومن المجاز: كن جلس بيتك أي الزمه، ونحن أحلاس الخيل وهم الآلفون لركوبها.. ». وفي ١ / ١٩٥ - ح ل م: «.. هذه أحلام نائم: للأماني الكاذبة ». وفي ١ / ١٩٦ - ح م ر: « ونحن من أهل الأسودين، لا من أهل الأحمرين أي من أهل التمر والماء، لا من أهل اللحم والخمر... ومن المجاز:.. خرجوا في حمارة القيظ أي في شدته ». وفي ١ / ٢٠١ - ح م ي: « ومن المجاز:.. إنه لشديد الحميا إذا كان عزيز النفس أبيتاً، قال الفرزدق:

شديد الحميا لا يُخاتِلُ قرئه ولكنّه بالصَّحاحان ينارِلُهُ

وفي ١ / ٢٢١ - خ ر ب: «.. اجعل هذا الحبل في خربة المزادة وهي عروقتها.. ». وفي ١ / ٢٢٤ - خ ر ص: «.. قطع خرصان الشجر أي قضبانها:

وكأن خرصان الرماح كواكب

وفي ١ / ٢٢٣ - خ ص ب: « ومن المجاز فلان خصيب الرجل: كثير خير المنزل... وفي الحديث « إن الله ليحب البيت الخصيب ». وفي ١ / ٢٣٦ - خ ض ر: « وإياكم وخضراء الدمن » أي المرأة الحسنة في منبت سوء ». وفي ١ / ٢٤٨ - خ ل ف: « هو خالفة أهل بيته أي فاسدهم وشرهم ». وفي ١ / ٢٥٠ - خ م ر: « وجدت خمرة الطيب: رائحته ».

وأختتم الحديث عن أساس البلاغة بالاستشهاد عند الزمخشري الذي تميّز عن سبقه من صنّاع معاجم المفردات بأنه لم يتقيد بحدود الاستشهاد الزمانية أو المكانية في الشعر، ويمكن أن يكون قد نهج في هذا الأمر منهج الثعالي في فقه اللغة وهو معجم موضوعي وليس من معاجم المفردات.

وإن الناظر في الشعر المحتج به في الأساس سيجد أنه مادة الاحتجاج الأولى، ويليّه الاحتجاج بالقرآن وقراءاته ثم الحديث الشريف وأقوال العرب وحكمهم وأمثالهم. وقد ترددت على صفحات هذا المعجم أسماء شعراء مشهورين ومغمورين من مختلف عصور الاحتجاج التي قيدها النحاة بمعياري الزمان والمكان، ولكن الزمخشري، وهو من أعلامهم، تجاوزها في معجمه

واستشهد بشعر أبي تمام وأبي نواس وهما متأخران عن زمن الاحتجاج وبدأوته. والشواهد الشعرية في الأساس تُعدُّ بالآلاف، وأكثر الأحيان كان يذكر صاحب الشعر كقوله قال زهير أو قال عدي أو حسان أو قالت الخنساء أو ليلي الأخيلية، أو أن الرقيات أو أن هرمة أو قال أبو نواس، أو قال أبو تمام وأحياناً أخرى يذكر: قال رجل من قریش، أو رجل من الضَّبَاب، أو قال بعض الهذليين أو بعض السعديين، أو أنشدني بعض العرب أو أنشدني بعض الحجازيين أو قال الحماسي. وأحياناً أخرى كان يقول: أنشد أبو عمرو أو وأنشد الأصمعي وأنشد ابن الأعرابي، وأنشد التوزي، وأنشد اليزيدي، وأنشد الحاحظ لأبي نواس أو لامرأة أو قال ذو الرمة أنشده سيبويه أو أنشد أبو عمرو لابن نُعَيْم... وهكذا. وفي أحيان أخرى لم يكن يصرِّح باسم الشاعر أو من أنشد شعره ويكتفي بذكر: قال فقط.

وكان يوظف الشواهد الشعرية وغيرها للاستدلال على معاني المفردات وتوضيحها وكقوله مثلاً في مادة ب أ ر، ص ٣٠ "الفاسق من ابتَارَ، والفؤيسق من ابتَهَرَ. ابتَارَتْ الجارية إذا قال فعلتُ بها وهو صادق، وابتَهَرْتُها إذا قال ذلك وهو كاذب، وأنشد الكميت:

قبيح بمثلي نَعْتُ الفتاة إما ابتهاراً وإما ابتشاراً

وقد يحتج لتثبيت وجود العبارة في كلام العرب كقوله في مادة ب د أ/ص ٣٤ "...وأبدأ في الأمر وأعاد، والله المبدئ والمعيد. وفلان ما يُبدئ وما يعيد إذا لم يكن له حيلة، قال عبيد:

أقفر من أهله عبيد فالיום لا يُبدئ ولا يُعيدُ

ومن استشهاده بشعر أبي نواس في مادة أ ه ب/ص ٢٦ على وجود التعبير: "...كاد يخرج من إهابه في عدوه. قال أبو نواس في طردياته:

تراه في الحُضُرِ إذا هَابِه كَأَنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ إِهَابِه

واستشهد من شعر أبي تمام لتثبيت وجود مفردة "اَثْمَهْلٌ" في مادة ت م هـ

ل/ص ٧١:

"اَثْمَهْلُ الرجلُ: طال واعتدل. وإنه لَمُتْمَهْلُ القَوَامِ. قال أبو تمام:

إن الأشياء إذا أصاب مُشْدَبٌ منه اَثْمَهْلٌ ذُرَى وأثَّ أسافلاً

٣-٤-٣ المصباح المنير^(١) في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي^(٢) (ت ٧٧٠هـ)

صنّف أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) الكتاب الموسوم بـ "الوجيز في فقه الإمام الشافعي"^(٣). وقد وصفه الغزالي في المقدمة بقوله: "أما بعد، فإني متحفك أيها السائل... بهذا الوجيز... بعد أن مخضت لك فيه جملة الفقه فاستخرجت زبدته، وتصفحت تفاصيل الشرع فانتقيت صفوته وعمدته، وأوجزت لك المذهب البسيط الطويل.. وأدجت جميع مسائله بأصولها وفروعها بألفاظ محرّرة لطيفة.. واكتفيت عن نقل المذاهب والوجوه البعيدة بنقل الظاهر من مذهب الإمام الشافعي المطلي، ثم عرّفتك مذهب مالك وأبي حنيفة والمزني والوجوه البعيدة للأصحاب...".

فاحتاج هذا الوجيز إلى شرح وإيضاح تولاهما عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ) في كتاب سماه "فتح العزيز في شرح الوجيز" الذي جاء مطوّلاً ومستملاً على ألفاظ تحتاج إلى تفسير؛ مما حدا بالفيومي أن يتصدّى لشرح غريبه وتوسّع وزاد عليه وأسهب في تصاريف الألفاظ وإعرابها ودلالاتها كما يعترف في مقدّمة المصباح بقوله: "إني كنت جمعت كتاباً في غريب شرح الوجيز للإمام الرافعي، وأوسعت فيه من تصاريف الكلمة وأصفت إليه زيادة من لغة غيره، ومن الألفاظ المشتبهات والمتماثلات، ومن إعراب الشواهد وبيان معانيها، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجة الأديب الماهر... فوعرت على السالك شعباه... فجرّ إلى ملل ينطوي على خلل.. وهكذا يكون قد أراد أن ييسط

(١) المكتبة العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

(٢) ولد في الفيوم، وانتقل إلى القاهرة وتلمذ فيها على يد أبي حيان الأندلسي، وارتحل إلى الشام وأقام في حماة حيث تولّى إمامة مسجد الدهشة فيها أيام المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي الأيوبي. وللفيومي من المصنفات نثر الجمان في تراجم الأعيان ومعجم المصباح المنير.

(٣) كتاب الوجيز في فقه الإمام الشافعي: لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الشرح الوجيز فأطنب إلى درجة الملل فالخلل؛ مما أحوج إلى إعادة النظر من الفيومي نفسه الذي أدرك ضرورة لفّ ما نشره واختصار ما أسهبه فاستدرك قائلاً بعد ذلك في المقدمة "فأحببت اختصاره على النهج المعروف والسبيل المؤلف ليسهل تناوله بضم منتشره.. وقيدت ما يحتاج إلى تقييد بألفاظ مشهورة البناء... وأعلم أني لم ألتزم ذكر ما وقع في الشرح واضحاً ومفسراً... (وسميته بالمصباح المنير في غريب الشرح الكبير)" أي أنه اختصر شرحه الذي جمعه في كتاب غريب شرح الوجيز للإمام الرافعي كما صرح بذلك، في المعجم الذي بين أيدينا وهو "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" وهو المشهور باسمه المختصر "المصباح المنير".

ونصّ في المقدمة على منهجه في ترتيب مداخله، فأول ما ذكره هو ترتيبه المواد ألفبائياً حسب جذورها مراعيّاً الحرفين الأصليين الأول والثاني بقوله: "معتبراً فيه (أي في المعجم) الأصول مقدّماً الفاء ثم العين" والفاء عند الصرفيين هي أول الحروف الأصلية، والعين هي ثانيها، فاقترضى ذلك أن يفتح لكل حرف باباً أو كتاباً حسبما جاء في المعجم، فكانت كتب المعجم بعدد الحروف الهجائية، وابتدأ بكتاب الألف وانتهى بياي "لا" والياء، وهما الحرفان الوحيدان اللذان عُثِنَا بباب، ومن الجدير ذكره أن "لا" المقصودة هي حرف المعنى المركب وليس رمزاً إلى صوت الألف، الصائت الطويل كما يذكر عند حروف الهجاء فيقال لام ألف وهي الألف اللينة؛ على أساس أن الألف التي تذكر أول الحروف الهجائية ويقصد بها الهمزة. ومما يدل على أن المقصود هو "لا" حرف المعنى المركب أن الفيومي يذكر معانيه النحوية (٦٧٦ - ٦٧٨) (النهي والنفي والعطف والدعاء والزيادة).

ومما اهتم ببيانه وضع الألف اللينة في عين المداخل المعجمية؛ فإذا كانت منقلبة عن واو تُردّ إلى ترتيب الواو في المدخل "فقال مثلاً، توضع في مدخل (قَوْل). وإذا كانت منقلبة عن الياء ترد إلى ترتيب الياء في المدخل فباع مثلاً توضع في مدخل (بَ يَ ع)؛ وهذا واضح من قوله في المقدمة: "إذا وقعت العين ألفاً وعرف انقلابها عن واو أو ياء فهو

ظاهر، وإن جهل (أي انقلابهما) جعلتها مكان الواو لأن العرب ألحقت الألف المجهولة بالمتقلبة عن الواو "فالعاج مثلاً في مدخل (ع و ج)."

كذلك وضع الهمزة إذا وقعت مكان الحرف الذي تسهّل إليه حسب حركة ما قبلها فالمكسور ما قبلها يجعلها مكان الياء فذئب في ذيب وبئر في بير، وإذا كان ما قبلها مضموماً جعلها مكان الواو فالبؤس في بوس واللؤم في لوم وإذا كان ما قبلها مفتوحاً جعلها مكان الألف ففأر وفأس في فار وفاس. وهو ما نصّ عليه في المقدمة أيضاً بقوله: "وإن وقعت الهمزة عيناً وانكسر ما قبلها جعلتها مكان الياء نحو البير والذيب، وإن انضم ما قبلها جعلتها مكان الواو لأنها تسهل عليها نحو البوس (أي في البؤس). وكذلك إن انفتح ما قبلها لأنها تُسهّل إلى الألف، والألف المجهولة كالقاس والراس؛ على أنهم قالوا الهمزة لا صورة لها وإنما تكتب بما تسهل إليه". وأما إذا كانت الهمزة لاماً في الكلمة فإنها توضع في الترتيب مع الواو أو الياء أو بعدهما فبدأ مثلاً تجدها في بدا، وبدا بعد بده؛ وعليه فإن جذر الباء والdal وما يثلثهما قد بدأ بالباء والdal والdal (لابدّ) ثم الباء والdal والراء (بدر) حتى وصل إلى بده فبدا ومعها بدأ. وهكذا مع كل الجذور فرفأ مع رفو ورقأ بعد رقي، وقرأ والقرء بعد قرئت ومرأ مع المريء وبعد مرّن.

كذلك نبّه إلى ترتيب الأسماء الزائدة على ثلاثة أحرف أي الرباعي والخماسي والسداسي فقال في المقدمة أيضاً: "وأما الأسماء الزائدة على الأصول الثلاثة، فإن وافق ثالثها لام ثلاثي ذكرته نحو البرقع فيذكر في برق، وإن لم يوافق لام ثلاثي فإنما التزم في الترتيب الأول والثاني واذكر الكلمة في صدر الباب مثل "اصطبل" فأوردها في الجذر الذي يبدأ بالهمزة ويثنّى بالصاد ويثلث بالطاء أي حسب نطقها، فجاءت الكلمة بعد أشنان وقبل أصل أما الإستبرق والأستاذ فلموافقة ثالثهما لام ثلاثي وهو الإست فذكرا بعد في جذر (أ س ت).

وأنتقل الآن إلى عناصر النص المعجمي في المصباح المنير وأولها الضبط، والظاهر أنه حرص على استخدام وسائل الضبط المتاحة كافة وأولها بالطبع وضع الحركات، الفتحة والضمّة والكسرة والسكون والشدة والتنوين على الحروف في بنى الكلمات أو هيئاتها، في

المدخل وشروحها وهو أمر لا يحتاج إلى البحث والتأمل ثم التمثيل له، فهو في كل كلمة وكل سطر، وكل مدخل وكل شرح، وكل صفحة دون أي استثناء.

ولا يكتفي بالضبط بالحركات فيتبعه بالنص على الحركة نحو: "(الإِبَانُ) بكسر الهمزة والتشديد الوقت" (كتاب الألف - مدخل الأب - ص ١).

ونحو: "الإِسْوَة: بكسر الهمزة وضمها القُدْوَة" (كتاب الألف - مدخل أُس و - ص ١٥).

ونحو: "الْبِرْطِيلُ: بكسر الباء الرَّشْوَة وفي المثل "الْبِرَاطِيلُ تَنْصُرُ الأَبَاطِيلُ". (كتاب الباء - مادة برطيل - ص ٤٢). والأمثلة لا تعد ولا تحصى.

وقد يضبط المدخل ويتبعه بالنص على الحركة وبالباب والمثال نحو: "تَقْبَةُ: (ثقباً) من باب فَتَلَ خَرَقْتُهُ (بالمثَقَب) بكسر الميم و(الثَّقْبُ) خَرَقٌ لا عمق له.. والجمع (ثُقُوبٌ) مثل فَلَسَ وفُلُوس و(الثُّقْبُ) مثال قَفْلُ لَغَةٍ" (كتاب التاء - ص ٨٢).

ونحو: "و(خَاطَرْتُهُ) على مالٍ مثل رَاهِنْتُهُ عليه وزناً ومعنى" (كتاب الخاء - ص ١٧٣).

ونحو: "و(الخَلْفُ) وزانٌ فَلَسَ الرديءُ من القَوْل... و(الخِلَافُ) وزانٌ كِتَابٍ شَجَر الصَّفْصَاف" (كتاب الخاء - ص ١٧٩).

وقد ينص مع الضبط، على نوع الحركات والحروف وأقتطف نصاً توافرت فيه أنواع من الضبط وهو "وَرَجَلَ (رَجَلًا) من باب تَعَبَ قَوِي عَلَى المَشْيِ. و(الرُّجْلَةُ) بالضم اسمٌ مِنْهُ وهو (ذو رُجْلَةٍ) أي قُوَّة عَلَى المَشْيِ، وفي الحديث "أَنَّ رَجُلًا مِنْ حَضْرَمَوْتٍ وآخر من كِنْدَةَ اختصماً إلى النبي ﷺ في أرض" فالْحَضْرَمِيُّ اسمه (عَيْدَانُ) (بفتح العين المَهْمَلَة وسكون الياء المثناة آخر الحُرُوف) ابنُ الأَشْوَ ع والكِنْدِيُّ امرؤ القَيْس بن عَابِس بكسر الباء المُوَحَّدة، واستعمل النبي ﷺ رجلاً على الصَّدَقَاتِ يقال اسمه (عبد الرحمن اللَّثْبِيَّة) بضم اللام وسكون التاء نسبة إلى لُثْبٍ بَطْنٌ من أَزْد عُمان، وقيل فتح التاء لغة" (باب الراء - ص ٢٢١).

وبعد الضبط أنتقل إلى بيان المعاني اللغوية للمداخل وأثني بالتعريفات الاصطلاحية للمواد الموسوعية؛ ولا بد من الإشارة إلى أنه قد يبدأ بالفعل من المدخلات إذا وُجد منها فعل.

ويغلب في أداء معاني الأفعال أن يأتي بالفعل مدخلاً متبوعاً بفاعله وبابه ومضارعه ومصدره ثم معناه كقوله في أبي (باب الهمزة) مثلاً ص ٣: "أبي: الرجل (يأبي) (إباء) بالكسر والمد و(إباءة) امتنع".

وأتى: الرجل (يأتي) (أتياً) جاء". وفي ص ١٥ أسن: الماء (أسوناً) من باب قعد و(يأسن) بالكسر أيضاً تغير فلم يُشرب فهو (أسن).

وفي كتاب الباء - ص ٥٠: "بشم: الحيوان (بشماً) من باب تعب أثخِمَ من كثرة الأكل فهو (بشم). وفي ص ٦٥: "بار: الشيء (ييور) (بوراً) بالضم هلك و(بار) الشيء (بوراً) كسد".

وفي كتاب التاء - ص ٨٤: "ثمل: الماء في الحوض (ثملاً) بقي...".

وفي كتاب الحاء - ص ١٤٢: "حفل: القوم في المجلس (حفلاً) من باب ضرب اجتمعوا".

وفي كتاب الراء - ص ٢٤٣: "راح) الرجل (رَوَاحاً) مات" وفي ص ٢٤٤: "استروح) الغصن ثمايل".

وقد يكون الفعل متعدياً بنفسه فيأتي به متبوعاً بمعمولاته ومصدره وبابه ويبين معناه ومن ذلك في كتاب الراء - ص ٢٤٣: "رفوت الثوب (رفواً) من باب القتل قتل و(رفيته) (رفياً) من باب رمى لغة بني كعب.. إذا أصلحته..".

وفي كتاب السين - ص ٢٦٥: "سبكت الذهب (سبكاً) من باب قتل أذبتُه وخلصته من خبثه"، و"سدلت: الثوب (سدلاً) من باب قتل أرخيته وأرسلته من غير ضم جانبه". وفي كتاب الغين - ص ٤٤٩: "غض الرجل صوته ومن طرفه ومن صوته (غضاً) من باب قتل خفض".

وقد يُعَدَّى الفعل بحرف الجر كقوله في كتاب الحاء - ص ١٥٤: "حَنَنْتُ عَلَى الشيء، (أَحِنُّ) من باب ضرب (حَنَنٌ) بالفتح و(حَنَاناً) عطفت وترحمتُ" وفي كتاب الطاء ص ٣٧٨: "طَمِعَ فِي الشَّيْءِ (طَمَعاً) و(طَمَاعَةً) و(طَمَاعِيَةً) مَخْفُفٌ فَهُوَ (طَمِعٌ) و(طَامِعٌ) ويتعدَّى بالهمزة فيقال (أَطْمَعْتُهُ) وأكثر ما يستعمل فيما يَقْرُبُ حصوله وقد يُسْتَعْمَلُ بمعنى الأمل. ومن كلامهم (طَمِعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ) إِذَا أَمَّلَ مَا يَبْعُدُ حَصُولُهُ..". وفي كتاب العين - ص ٣٩٠ لا عِبَقَ: بِهِ الطَّيِّبُ (عَبَقاً) من باب تَعَبَ ظَهَرَتْ رِيحُهُ بِثَوْبِهِ أَوْ بَدَنِهِ فَهُوَ عَبِقٌ".

وفي كتاب القاف - ص ٤٩٠ قَثَمَ: لَهُ فِي الْمَالِ إِذَا أَعْطَاهُ قِطْعَةً جَيِّدَةً، وفي ص ٥٠٧ "قَطَبَ: بَيْنَ عَيْنَيْهِ (قَطْباً) من باب ضَرَبَ جَمَعَ.. وجاء الناسُ (قَاطِبَةً) أَي جَمِيعاً" وفي ص ٥١١ "قَفَلَ: مِنْ سَفَرِهِ (قُفُولاً) من باب قَعَدَ، رَجَعَ".

ومن أساليبه في أداء معاني الأفعال كذلك أن يجعله مدخلاً ويليهِ مصدره (المفعول المطلق)، وأمثله كثيرة ومنها في باب الحاء - ص ١٤١: "حَفَدَ (حَفْداً) من باب ضَرَبَ أسرع" وفي ص ١٥٦ "حَاطَهُ: (يُحَوِّطُهُ) (حَوِّطاً) رَعَاهُ، وفي ص ١٥٩: "حَافَ: (يَحِيفُ) (حَيْفاً) جَارٍ وَظَلَمَ". وفي كتاب الحاء ص ١٨: "خَابَ: (يَخِيبُ) (خَيْبَةً) لَمْ يَظْفَرْ بِمَا طَلَّبَ، وفي المثل: (الْهَيْبَةُ خَيْبَةٌ) وفي كتاب السين - ص ٢٦٩: "سَخَطَ (سَخَطاً) من باب تَعَبَ و(السُّخْطُ) بالضم اسم منه وهو الغضب". وفي ص ٢٧٩ "سَفَلَ (سُفُولاً) من باب قَعَدَ، و(سَفَلَ) من باب قَرُبَ لَغَةً صَارَ (أَسْفَلَ) مِنْ غَيْرِهِ فَهُوَ سَافِلٌ" وفي الصفحة نفسها "سَفَهُ: (سَفْهاً) من باب تَعَبَ و(سَفْهَةً) بالضم (سَفَاهَةً) فَهُوَ سَفِيهٌ.. و(السَّفْهَةُ) نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ وَأَصْلُهُ الْخَفَةُ و(سَفْهَةً) الْحَقُّ جَهْلُهُ". وفي كتاب العين - ص ٤٤٠: "عَاشَ: عَيْشاً مِنْ بَابِ سَارَ، صَارَ ذَا حَيَاةٍ فَهُوَ (عَاشٌ)" وفي كتاب القاف - ص ٥١٠: "أَقْعَى: (إِقْعَاءً) أَلْصَقَ أَلْيَتِيهِ بِالْأَرْضِ، وَنَصَبَ سَاقِيهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا (يُقْعَى) الْكَلْبُ". وفي ص ٥١٤ "قَلَقَ: (قَلَقاً) فَهُوَ قَلِقٌ مِنْ بَابِ تَعَبَ اضْطَرَبَ".

وأنقل إلى معاني المداخل التي تنوع أدائها في المصباح المنير، وأبدأ بأداء المعاني بالترادف وأمثله كثيرة ومنها في باب الألف - مادة أبدأ - ص ١: "الأَبَدُ: الدَّهْرُ"، وفي

ص ١١ "الأَرَبُ بفتحيتين، و(الإِرْبَةُ) بالكسر و(المأْرِبَةُ) بفتح الراء وضمها، الحاجة". وفي ص ١٥ "الأُسُوة: بكسر الهمزة وضمها القُدُوة" وفي ص ١٨: "أَلَتْ: الشيء نقص". وفي ص ٢١: "الأَمَد: الغاية" وفي ص ٢٦: "الأنام: الجن والإنس". وفي كتاب الباء - ص ٤٢: "الْبُرْطِيلُ: بكسر الباء الرَّشُوة". وفي ص ٤٣: "الْبُرُّ بالضم القمح.. والْبُرُّ بالكسر الخير والْفَضْل". وفي ص ٤٤: "بَرَزَ الشيء من باب قَعَدَ ظهر". وفي ص ٦٣ "البَهْجَةُ: الحُسْنُ" وفي ص ٧٢: "التَّبَاب: الخُسران" وفي ص ٧٨: "التوت: الفرصاد". وفي كتاب الثاء ص ٨١: "الثعبان: الحيَّة العظيمة".

وفي ص ٨٤: "الثَّمن: العِوض". وفي كتاب الجيم - ص ٩٢: "الجَدَثُ: القبر" وفي ص ٩٣: "الجِدَار الحائط" وفي كتاب الخاء - ص ١٦٢: "الخَبُّ: بالكسر الخدَّاع". وفي كتاب الراء - ص ٢٤٨: "الرَّيْعُ: الزيادة والنَّماء". وفي كتاب الزاي - ص ٢٥٤: "الرُّلْفَةُ والرُّلْفَى: القُرْبَةُ". وفي كتاب السين - ص ٢٦٨ "السُّحْمَةُ: وزان غُرْفَةِ السَّوَاد". وفي ص ٢٧١: "السَّدْرَةُ: شجرة النبق" وفي ص ٢٧٢: "السَّرَّاج: المصباح". وفي ص ٢٧٣: "السُّرَادِق: الفسطاط" وفي كتاب الشين - ص ٣٠٦: "الشُّحُّ: البُخْل" وفي ص ٣٠٩: "الشَّرُّ: السُّوء والفساد والظُّلم". وفي كتاب الصاد - ص ٣٣٨: "الصَّرُّ: بالكسر البَرْد" وفي كتاب الطاء - ص ٣٧١: "الطَّرْف: الناحية" وفي ص ٣٧٥: "الطَّلَح: الموز"، وفي ص ٣٨٣: "الطَّيِّش: الخِفَّة" وفي كتاب العين - ص ٤٠١: "العُرَّة: بالضم الجَرَب" وفي ص ٤٠٢: "العَرْش: السرير" وفي كتاب الميم - ص ٥٧٦: "المَعَى: المُصْران".

وقد يأتي المرادف مسبوقاً بلفظ "بمعنى" نحو قوله في باب الألف - ص ٢١ "الأمر بمعنى الحال". وفي ص ٢٤: "أَمَّ: .. بمعنى بل". وفي كتاب الباء - ص ٤٨: "بَزَق: .. بمعنى بصق" وفي ص ٤٩: "تَسَقُّ بُسَاقاً بمعنى بَصَق". و"بَسَّلُ بمعنى شَجَع". وفي ص ٥٥: "قال ابن عباس الباء بمعنى من (في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ نَبْعَةً﴾)".^(١) وفي ص ٦٩ "ابتاع زيد الدار بمعنى اشتراها" وفي كتاب الجيم - ص ٩٣: "جدير بكذا بمعنى خليق وحقيق". وفي ص ١٠٠: "أَجْزَأُ فهو بمعنى كَفَى" وفي ص ١٠٧: "فالآخرة بمعنى

المتأخرة" وفي كتاب الحاء - ص ١٢٦ "حَذَر.. واحتذر واحترز كلها بمعنى استعدَّ وتأهب". وفي ص ١٣٦ "حَسَمَهُ: حَسَمًا.. فَأَنحَسَمَ بمعنى قطعه فانقطع" وفي ص ١٥١ "حَمَلَت المرأة بمعنى عَلَقَتْ". وفي كتاب الحاء - ص ١٧٨: "الخليفة: بمعنى السلطان الأعظم". ومن التنويع في أداء المعنى بالمرادف، توسط الضمير هو أو هي بين المدخل والمعنى، وإن كان هذا الأسلوب قليلاً، ومنه في ص ١٦٠ - كتاب الحاء: "حَيَاء، بالفتح والمد، .. هو الانقباض والانزواء" وفي كتاب الحاء - ص ١٦٥: "الحَذَرُ هو السَّتر". وفي ص ١٧٩: "الخَلْفَةُ بكسر اللام هي الحامل"، و"الخَلْف من القول هو السقط الرديء". وفي ص ١٨٦ "سميت خَيْلاً لاختيالها وهو إعجابها بنفسها". وفي كتاب الدال - ص ١٨٩ "الدَّجَال هو الكذاب". وفي كتاب السين - ص ٢٧٢: "الأسْرُب بضم الهمزة وتشديد الباء هو الرِّصاص"، وفي ص ٢٣٧ (كتاب الراء): "الرَّكْس: بالكسر هو الرجس". وفي ص ٢٧٨: "السَّفَر بفتحتيْن وهو قطع المسافة" وفي كتاب الشين - ص ٣٢٥: "الشُّهْرَة هي الانتشار" وفي كتاب الطاء - ص ٣٧٥ "الطُّلُس: هو الطُّرس".

ومن صور أداء المعنى بالترادف كذلك تشبيه المفردة المعجمية بمفردة أخرى بالنص على أنها مثلها وزناً ومعنى ففي كتاب الهمزة - ص ١٥: "أَسِف.. مثل غَضِبَ وزناً ومعنى"، وفي ص ٢٤: "أَمِنَ منه مثل سَلِمَ منه وزناً ومعنى". وفي ص ٢٩: "المؤئل المرجع وزناً ومعنى". وفي كتاب الجيم ص ٩٢: "الجَدْب: هو المَحَل وزناً ومعنى".

كتاب الحاء - ص ١٢٨: "حرد حَرْدًا مثل غَضِبَ غَضْبًا وزناً ومعنى" وفي ص ١٣٥ "حَسَّة حسًا فهو حَسِيس مثل قَتَلَهُ قَتْلًا فهو قَتِيل وزناً ومعنى". وفي ص ١٤١: "حَظَّلْتُهُ: حَظَلًا مثل حَظَرْتُهُ حَظَرًا وزناً ومعنى". وفي ص ١٤٥: "الحُكْلَةُ في اللسان كالْعُجْمَة وزناً ومعنى". وفي كتاب الحاء - ص ١٧٣: "خاطرْتُهُ على مال مثل راهَنْتُهُ عليه وزناً ومعنى" وفي ص ١٧٧: "الخِلْطَة مثل العِشْرَة وزناً ومعنى" وفي ص ١٨٠: "الخَلَّة مثل الخِصْلَة وزناً ومعنى". وفي كتاب الدال - ص ١٩٣: "دَرَن: الثوب دَرَنًا فهو دَرَنٌ مثل وَسَخَ وَسَخًا فهو وَسَخٌ وزناً ومعنى" وفي كتاب الضاد - ص ٣٦٥: "ضَمِنَ ضَمَنًا فهو ضَمِينٌ مثل زَمِنَ

زَمَنًا فهو زَمَنٌ وزناً ومعنى" وفي كتاب الطاء - ص ٣٧٥: "الطَّلَس هو الطَّرْس وزناً ومعنى".

ومن أساليب أداء المعنى في المصباح استخدام التضاد بوضع لفظ خلاف غالباً أو ضد أحياناً مقابل المفردة المعجمية وقد ورد كثيراً ومن أمثلته: في كتاب الباء - ص ٤١: "البرذون وهو خلاف العراب" وفي ص ٤٢: "البرُّ: بالفتح خلاف البحر" وفي ص ٥٢: "البطن: خلاف الظهر" وفي كتاب الجيم - ص ٩٢: "جديد وهو خلاف القديم"، "جدَّ (جدّاً) من باب ضَرَبَ ضد هَزَلَ" وفي كتاب الحاء ص ١٣١ "الحركة خلاف السكون" وفي ص ١٤٣: "الحقُّ: خلاف الباطل". وفي كتاب الخاء - ص ١٧٤: "الخطأ ضد الصواب" وفي ص ١٧٥: "خَفَّ.. ضد ثَقُلَ".

وفي ص ١٨٥: "الخَيْرُ: خلاف الشرِّ". وفي كتاب الزاي - ص ٢٥٨: "الزَّوج كلُّ اثنين ضد الفرد" وفي ص ٢٥٩: "والزَّوج عند الحساب خلاف الفرد"، وفي كتاب السين - ص ٢٨٧: "السَّماجة: نقيض الملاحة" وفي كتاب الصاد - ص ٣٣٥: "صَدَقَ (صِدْقاً) خلاف كَذَبَ". وفي كتاب الظاء ص ٣٨٦: "الظُّلْمَة: خلاف النور"، "والظنُّ: خلاف اليقين". وفي كتاب العين: "العدل: خلاف الجور"، وفي ص ٤٠٣: "التعريض: خلاف التصريح" وفي ص ٤٣٥: "العَوَج خلاف الاعتدال".

وقد وظف صاحب المصباح المشترك اللفظي في أداء المعنى دون الإشارة منه إلى ذلك، وهو قليل، ومن أمثلته في باب الخاء - ص ١٨٠ - ١٨١: "الخليل الصديق والخليل الفقير.. والخُلَّة بالفتح الفقر والحاجة، والخُلَّة مثل الخَصْلَة وزناً معنى.. والخُلَّة الصداقة.. وأخْلَ بالشَّيء قصَّر فيه، وأخْلَ افتقر".

وأحياناً كان يشير إلى الاشتراك كقوله في كتاب العين كقوله في باب العين - ص ٤٤٠: "(العَيْنُ) تقع بالاشتراك على أشياء مختلفة فمنها الباصرة، و(عين) الماء و(عين) الشمس، و(العين) الجارية و(العين) الطليعة و(عين) الشيء نفسه... و(العين) ما ضُرب من الدنانير وقد يقال لغير المضروب (عَيْن) و(العين) النَّقد يقال اشترت بالدين أو

بالعين". وفي كتاب الكاف - ص ٥٣٨: "الكل بالفتح الثقل، والكل: العيال والكل اليتيم، والكل الذي لا ولد له".

وقد يؤدى المعنى بالتعريف كقوله في كتاب التاء - ص ٧٢: "التبر: ما كان من الذهب غير مضروب، فإن ضرب دنانير فهو عين، وقال ابن فارس التبر ما كان من الذهب والفضة غير مصوغ" وفي ص ٧٤: "الترقوة: وزنها فَعْلُوَة بفتح الفاء وضم اللام وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين" وفي كتاب الحاء - ص ١٢٧: "الحشف: أردأ التمر وهو الذي يحف من غير نضج ولا إدراك فلا يكون له لحم". وفي كتاب الدال - ص ١٨٩: "الدبور: وزان رسول ريح تهب من جهة المغرب تقابل الصبا، ويقال تُقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق". وفي كتاب الراء - ص ٢٣٨: "الرّمضاء: الحجارة الحامية من حر الشمس، وفي ص ٢٤٨: "الرّبطة بالفتح كل ملاءة ليست لفقين أي قطعتين، وفي كتاب السين - ص ٢٨٣: "المسكين الذي لا شيء له، والفقير الذي له بلغة من العيش" وفي كتاب الشين - ص ٣١٥: "(الشعر) العربي هو النظم الموزون، وحده ما تركب تركباً متعاضداً، وكان مقفياً موزوناً مقصوراً به ذلك، فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعراً، ولا يسمى قائله شاعراً". وفي كتاب الصاد - ص ٣٤٧: "صماخ: الأذن الخرق الذي يُفْضِي إلى الرأس وهو السمع". وفي ص ٣٤٩: "الصنم: يقال هو الوثن المتخذ من الحجارة أو الخشب عن ابن عباس. ويقال الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب. و(الوثن) هو المتخذ من حجر أو خشب. وقال ابن فارس (الصنم) ما يتخذ من خشب أو نحاس أو الفضة" وفي كتاب العين - ص ٤٠٠: "الاسم المعرب الذي تلقته العرب من العجم نكرة نحو إبريسم ثم ما أمكن حمله على نظيره من الأبنية العربية حملوه عليه، وربما لم يحملوه على نظيره، بل تكلموا به كما تلقوه وربما تلعبوا به فاشتقوا منه" وفي ص ٤٠١: "العربون بفتح العين والراء قال بعضهم هو أن يشتري الرجل شيئاً أو يستأجره ويُعطي بعض الثمن أو الأجرة ثم يقول إن تم العقد احتسبناه وإلا فهو لك ولا أخذه منك".

واستخدم كذلك أي التفسيرية بوضعها بين المدخل المعجمي ومعناه وأمثله كثيرة
ففي كتاب الهمزة - ص ٢١ يقول: "الأمَد: بلغ أمدَه أي غايته" وفي ص ٢٢: "أمرته
فأتمر أي سمع وأطاع" وفي كتاب الباء - ص ٣٨ "لا بد من: كذا أي لا محيد عنه" وفي
ص ٤٦: "برهة: من الزمان بضم الباء وفتحها أي مُدة". وفي ص ٥٩: "أبكم: أي أخرس".
وفي ص ٦٥: "ذو بأس أي شدة وقوة، قال الشاعر:

فخيرٌ نحن عند البأسِ منكم إذا الداعي الثوبُ قال يا لا

وفي ص ٦٦: "البال: القلب، وخطر ببالي أي بقلبي، وهو رخي البال أي واسع
الحال". وفي كتاب التاء - ص ٧٦ "رجل تقي: أي زكي". وفي كتاب الجيم - ص ٨٩:
"جبروت بفتح الباء أي كبر، وجرح العجماء جبار بالضم أي هذر"، وفي ص ٩١: "جئل
الشعر.. أي كثر" وفي ص ١٠٩: "ضربه يجمع كفه بضم الجيم أي مقبوضة، وأخذ يجمع
ثيابه أي بمجتمعها". وفي ص ١١٠ "وكان عليه الصلاة والسلام يتكلم (بجوامع الكلم) أي
كان كلامه قليل الألفاظ كثير المعاني، وحمدت الله تعالى (بمجامع الحمد) أي بكلمات
جمعت أنواع الحمد والثناء على الله تعالى". وفي ص ١٤١ "حَفَد: ... و(إليك نسعى
ونَحْفد) أي نسرع إلى الطاعة وفي كتاب الخاء - ص ١٧٦: "قال ثعلب: (استخفيتُ)
منك أي تواريت"، و"خلوب مثل رسول أي كثير الخداع". وفي كتاب الراء - ص ٢٣٨:
"ويأكل المضطر من الميتة ما يسدُّ به الرَّمَق أي يُمسك قوته ويحفظها". وفي كتاب الصاد
- ص ٣٣٢: "وأخذتُ الحنطة ونحوها (بأصبارها) أي مجتمعةً بجميع نواحيها" وفي كتاب
الضاد - ص ٣٦٢: "ضفا الثوب .. فهو (ضاف) أي تامٌ سابغ". وفي كتاب الطاء -
ص ٣٧٧: "رجل (طَلَقُ الوجه) أي فرحٌ ظاهر البشر". وفي كتاب الظاء - ص ٣٨٨:
"اتخذت كلامه (ظَهرياً) بالكسر أي نَسياً مَنسياً". وفي كتاب العين - ص ٣٩٠: "وهو
حسن العبارة) أي البيان، بكسر العين وحكى في المحكم أيضاً فتحها أيضاً" وفي ص ٣٩١:
"وحملت (أعباء) القوم أي أثقالهم من دَيْن وغيره". وفي ص ٤١٥: "صِرْتُ له (عَضداً)
أي مُعيناً وناصرًا". وفي كتاب الغين - ص ٤٤٥: "غَرَّ بالكسر أي جاهل بالأمور غافل
عنها". وفي كتاب القاف - ص ٥١٧: "هو قَمِنٌ أن يفعل كذا بفتحيتين أي جدير
وحقيق".

ومن أساليبه في أداء المعنى أن يصدر معنى المدخل المعجمي إذا ففي كتاب الهمزة - ص ١٢: "أرشت بين القوم (تأريشاً) إذا أفسدت" و"تأرى بالمكان إذا أقام به" وفي كتاب الباء - ص ٣٥: "بَّت الرجل طلاق امرأته... إذا قطعها عن الرجعة" وفي ص ٦٣ "قال ابن السُّكْت (بنى على أهله) إذا زفت إليه". وفي كتاب التاء - ص ٧٢: "(تبع) الإمام إذا تلاه". وفي كتاب الجيم - ص ٩٣: "جدل الرجلُ جدلاً فهو جدل من باب تعب إلى اشتدت خصومته" وفي كتاب الحاء - ص ١٢٨: "حَرَد البعير إذا ييس عَصْبُهُ خَلْقَةً أو من عقال"، وفي ص ١٢٩ "أحْرَزَ قصب السُّبْق إذا سبق إليها فضمها دون غيره" وفي كتاب الحاء - ص ١٧٠ "خَشَعَتُ الأرض إذا سكنت واطمأنت"، وفي كتاب الدال - ص ١٨٨: "دَبَجَ الغَيْثُ الأرضَ (دَبَجاً) من باب ضرب إذا سقاها فأنبت أزهاراً مختلفة"، "(دَبَّرَ) الرجل عبده (تدبيراً) إذا أعتقه بعد موته" وفي كتاب الذال - ص ٢٠٦: "قالوا ذَحَجَت المرأة بولدها تذحج إذا رمته" وفي ص ٢٠٩: "ذَكَّيْتُ النار بالثقل إذا أثمت وقودها". وفي كتاب الراء - ص ٢٣٦: "رَكَبَ الشخص رأسه إذا قضى على وجهه بغير قصد". وفي كتاب السين - ص ٢٨٣: "واستكنَ إذا خضع وذل وتزاد الألف فيقال استكان". وفي كتاب الشين - ص ٣٠٦: "تَشَاحَّ القومُ بالتضعيف إذا شحَّ بعضهم على بعضهم"، و"شخص البَصَرَ إذا ارتفع..". وفي كتاب الغين - ص ٤٤٨: "قيل: أغضى على القذى إذا أمسك عَقْوَاً عنه"، و"غطا الليلُ يغطو إذا سَتَرَتْ ظلمته كل شيء".

ومما يؤخذ على صاحب المصباح في أداء المعاني أنه كان يكتفي بقوله معروف، ولكثرة هذا النهج يشكّل ظاهرة وأمثلتها تفوق الحصر من ذلك في كتاب الهمزة: "الإزار - ص ١٣، الأسد: ص ١٤ الأكل: ص ١٧، الإوز: ص ٢٩، وفي كتاب الباء: البحر: ص ٣٦، البرق: ص ٤٥، البرنية: ص ٤٥، البعر: ص ٥٣، البوق: ص ٦٦، البان: ص ٦٦. وفي كتاب التاء: الثرس: ص ٧٤، التل: ص ٧٦، التّوز: ص ٧٨، التين: ص ٧٩. وفي كتاب الثاء: الثلج: ص ٨٣. وفي كتاب الجيم: الجص: ص ١٠٢، الجُلجل: ص ١٠٦، الجيش: ص ١١٦. وفي كتاب الحاء: الحبل: ص ١١٩، الحمام: ص ١٥٢. وفي كتاب الخاء: الخبز: ص ١٦٣، الخُصِيّة: ص ١٧١، الخيل: ص ١٨٦.

وكان أحياناً يذكر نوع المدخل المعجمي ويتبعه بكلمة معروف كقوله مثلاً في ص ٣٥ الببغاء: طائر معروف وفي ص ٤١ البرسام: داء معروف وفي ص ١١٨ الحبارى

طائر معروف، وفي ص ١٥١ الحِمَصُ حَب معروف، وفي ص ١٥٠ الحمرة من الألوان معروفة وفي ص ١٧٤ الخُنْفَسَاء حشرة معروفة وفي ص ١٧٧ الخلط طيب معروف. أو يقول الاصطبل للدواب معروف ص ١٦ والإكاف للحمار معروف، أو يقول: البندق المأكول معروف ص ٣٨، والجزر مأكول ص ٩٨.

وقد يكتفي بذكر مشتقات المدخل دون بيان المعنى، ومن أمثلة ذلك في كتاب الباء ص ٥٦: "بَعْضُ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ (بَغَاضَةً) فهو (بَغِيزُ) و(أَبْغَضْتُهُ إِبْغَاضاً) فهو مُبْغَضٌ" والاسم (البُغْضُ) قالوا ولا يُقال بَعْضُهُ بغير ألف و(بَغَّضَهُ) الله تعالى للناس بالتشديد، فأبغضوه و(البِغْضَةُ) بالكسر و(البِغْضَاء) شدة البُغْضِ، وتباغَضَ القوم (أَبْغَضَ) بعضهم بعضاً". وفي كتاب الجيم - ص ٩١: "جَثَا على ركبته (جُثِيًّا) و(جُثُوًّا) من بابي عَلَا ورمى فهو (جاث) وقوم (جُثِيّ) على فُعُول".

والأمثلة كثيرة فانظر لذلك المواد: حَزَن ص ١٣٤، وجَلَب ١٤٥، وحلف ١٤٦ وخاف ١٨٤، والحاجة ١٥٥ وطلب ٣٧٥، وعكف ٤٢٥، وغزو ٤٤٦... الخ.

ومن العناصر التي تضمَّنْها نص المصباح المعلومات الموسوعية كذلك وأولها التحليلات الصرفية والوظائف النحوية والسمات اللهجية العربية القديمة والمعربات والأعلام من الأماكن الجغرافية والأحداث التاريخية. وأكتفي لكل عنصر بمثال وأبدأ بأكثرها شيوعاً على صفحات المعجم، وهي التحليلات الصرفية فهو المعجم الوحيد الذي يضع مولفه خاتمة له تكاد تقتصر على مسائل صرفية أو يحتوي على فصول في تصريف الأفعال: الثلاثي المهموز الآخر، أو الثلاثي المجرد اللازم والمتعدي وإسنادها إلى الضمائر وما يحدث لها من إدغام على لغات العرب (الحجاز، وأسد وكعب، ونجد) وفصل في تعدية اللازم بالهمزة والتضعيف أو بحرف الجر، وكيفية صياغة المضارع، ويفتح فصلاً كذلك للمضعف الثلاثي ومصدره وما يشتق منه ومن غيره من أسماء الفاعلين والمفعولين وآراء العلماء، وعن جموع الاسم الثلاثي، وجموع القلة وجموع الكثرة، وفتح فصلاً لصيغة فُعْلَةٍ (مثلثة الفاء) وفتح فصلاً للملفات العرب في صيغة الاسم الثلاثي (فُعِلَ)، وفصلاً لصيغة فَعَّيْلَ، ولصيغة الفُعُولَ، ولصيغة تَفْعَالِ، وفصلاً لتذكير الأعضاء وتأنيثها، وفصلاً في إسناد الأفعال إلى المؤنث الحقيقي وفصلاً في اسم التفصيل. وينتهي هذه الخاتمة بمصادره مما

سندكره في موضع آخر (انظر الخاتمة ٦٨٤ - ٧١١)، هذا غير ما يورده من مباحث في تصريف الكلمات والمداخل.

وأما المباحث التحوية فتكثر مع الأدوات النحوية وحروف المعاني والظروف ففي كتاب الهمزة على سبيل المثال مباحث: لإذ وإذا ومعانيها ووظائفها النحوية وإلاّ وإلى، وأمس وأم وأن وإن وأئى وأو وإيه وأي. وأما المباحث الصوتية فتظهر في بيان صفات الحروف ومخارجها.

وأما السمات اللهجية العربية القديمة فحرص أن يعرض ما تيسر له منها خاصة الاختلاف اللهجي في الصيغ الصرفية نحو قوله في كتاب الجيم ص ٨٩: "أَجْبَرْتُهُ عَلَى كَذَا بِالْأَلْفِ حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ قَهْرًا وَغَلْبَةً فَهُوَ مَجْبُرٌ هَذِهِ لُغَةٌ عَامَةٌ الْعَرَبِ وَفِي لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ يَتَكَلَّمُ جَبْرْتُهُ جَبْرًا مِنْ بَابِ قَتْلٍ وَجَبُورًا حَكَاهُ الْأَزْهَرِيُّ وَلَفْظُهُ وَهِيَ لُغَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَلَفْظُ ابْنِ الْقَطَّاعِ وَ(جَبْرْتُكَ) لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ وَحَكَاهَا جَمَاعَةٌ أَيْضًا، ثُمَّ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ (فَجَبْرْتُهُ وَأَجْبَرْتُهُ لُغَتَانِ جَيِّدَتَانِ)".

وقد يظهر الخلاف اللهجي بين العرب في حركات هيئة الكلمة كقوله في ص ١٠٨ "يَوْمَ الْجُمُعَةِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهِ، وَضُمَ الْمِيمُ لُغَةَ الْحِجَازِ، وَفَتْحُهَا لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ وَإِسْكَانُهَا لُغَةُ عُقَيْلٍ وَقُرَأَ بِهَا الْأَعْمَشُ".

وأما المعرّبات فنالت نصيبها في المصباح المنير وهو ما يوردها حسب ترتيب حروف المداخل، وأول حرف في الجذر فاستبرق في كتاب الهمزة مع السين والتاء بعد الاست وقبل الاستاذ، ص ١٤ حيث يقول: "الِاسْتَبْرَقُ: غَلِيظُ الدِّيَاكِجِ فَارِسِي مَعْرَبٌ"، والأستاذ "كَلِمَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ وَمَعْنَاهَا الْمَاهِرُ بِالشَّيْءِ؛ وَإِنَّمَا قِيلَ أَعْجَمِيَّةٌ لِأَنَّ السِّينَ وَالذَّالَ الْمُعْجَمَةَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ وَهَمْزَتُهُ مَضْمُومَةٌ" فالِاسْتَبْرَقُ يَقْرَأُ فَارِسِيَّتُهَا وَالْأُسْتَاذُ يَسْتَنْتِجُ عَجْمَتُهَا، وَأَمَّا الْإِسْطَبْلُ ص ١٦ مِنْ كِتَابِ الْهَمْزَةِ فَيَتَشَكَّكُ فِي أَمْرِهِ فَيَقُولُ: "الْإِسْطَبْلُ لِلدَّوَابِّ مَعْرُوفٌ، عَرَبِيٌّ، وَقِيلَ مَعْرَبٌ"، وَلَكِنَّهُ يَحْزَمُ بِأَنَّ الْبَنْفَسَجَ مَعْرَبٌ بِقَوْلِهِ فِي ص ٦٢ مِنْ كِتَابِ الْبَاءِ: "الْبَنْفَسَجُ وَزَانٌ سَفَرَجَلٌ مَعْرَبٌ، وَالْمَكْرَرُ مِنْهُ اللَّامَاتُ، وَوَزْنُهُ فَعْلَلٌ" وَقَدْ يَفْصِلُ الْقَوْلُ فِي أَصْلِ الْمَفْرَدَةِ وَبَيْنَ الْخِلَافِ فِي أَصْلِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِثْلُ "الْفِرْدَوْسِ - ص ٤٦٧ - فِي كِتَابِ الْفَاءِ: "الْفِرْدَوْسُ) الْبَسْتَانُ يَذْكُرُ وَيُونُثُ قَالَ الزَّجَّاجُ هُوَ مِنَ الْأَوْدِيَةِ مَا يُنْبَتُ ضَرْبًا مِنَ النَّبْتِ، وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ (الْفِرْدَوْسُ) بَسْتَانٌ فِيهِ كُرُومٌ، قَالَ

الفراء هو عربي واشتقاقه من (الْفَرْدَسَة) وهي السَّعة، وقيل منقول إلى العربية وأصله رومي"، وكما أنه اهتم بتعريب بنفسج صرفياً، اهتم كذلك بالتعريب الصوتي كقوله في السَّرْجِين من كتاب السين - ص ٢٧٣: "السَّرْجِين الزُّبْل، كلمة أعجمية وأصلها سِرْكِين بالكاف فعربت إلى الجيم والقاف فيقال سَرْقِين أيضاً".

واهتم من الأعلام بالدرجة الأولى بأعلام الأماكن وتاريخها نحو - ما جاء في كتاب الهمزة - ص ١١: "الأَرَب: ... يقال إن مأرب مدينة باليمن من بلاد الأزد في آخر جبال حضرموت، وكانت في الزمان الأول قاعدة التابعة وإنها مدينة بلقيس وبينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل وتسمى سبأ باسم بانيها.. ومأرب وزان مسجد.. ولا تنصرف في السعة للتأنيث والعلمية".

ومن الأعلام الدينية المكانية ما جاء في كتاب العين - ص ٤٠٤ - ٤٠٥: "(و)يوم عرفة) تاسع ذي الحجة علم لا يدخلها الألف واللام هي ممنوعة من الصرف للتأنيث والعلمية و(عرفات) موضع وقوف الحجيج، ويقال بينها وبين مكة تسعة أميال، ويقال بينها وبين مكة تسعة أميال، ويعرب إعراب مسلمات ومؤنات، والتنوين يشبه تنوين المقابلة وليس بتنوين صرف لوجود مقتضى المنع من الصرف وهو: العلمية والتأنيث، ولهذا لا يدخلها الألف واللام.. " ولا يكتفي، كما رأينا، في الأعلام بتحديد الموقع الجغرافي مثلاً ولكنه يضيف إليه البعد اللغوي صرفاً ونحواً.

ولا يفوتنا أن ننبه إلى اهتمامه بالمداخل الدالة على النبات كالباذنجان ص ٤٠ (من كتاب الباء): "الباذنجان من الخضراوات بكسر الذال وبعض العجم يفتحها فارسي معرّب" والحيوان كَالضَّبُّ في كتاب الضاد ص ٣٥٧: "الضَّبُّ: دَابَّةٌ تشبه الحِرْدَوْنَ وهي أنواع فمنها ما هو على قدر الحِرْدَوْنَ ومنها أكبر منه، ومنها دون العتر، وهو أعظمها؛ و"الضَّبُّع: بضم الباء في لغة قيس وسكونها في لغة تميم وهي أنثى وقيل تقع على الذكر والأنثى ... " والتقصير واضح في تعريف النبات والحيوان.

ويجدر الآن الانتقال إلى عنصر آخر في نص المصباح وهي الشواهد التي كانت تقليدية كما هو المعهود في الشواهد اللغوية المحتج بها من القرآن والحديث الشريف والشعر العربي وأمثال العرب وأقوالهم. ومن الجدير بالذكر أنه كان غالباً ما يبدأ المدخل بجملته من

صنعه خاصة إذا كان المدخل فعلاً كقوله: بذرت الحبَّ وبرَّع الرجل وبرك البعير وبكتَّ زيدٌ عمراً، وجثا على ركبته... وهكذا أما إذا كان المدخل اسماً فإنه قد يضيفه إلى ما يلزمه كقوله: جمرة النار وجهاز السفر وجواب الكتاب وصحن الدار وصماخ الأذن وضة النهر وضمير الإنسان وسرج الدابة والصفيرة من الشعر والثدي للمرأة.. وهكذا. ويأتي بالشاهد القرآني أو الشعري لإثبات وجود المفردة بصيغتها وحرركاتها ويثبت معناها. وقد احتج بالشعر دون أن يبين قائله ويكتفي بـ "قال الشاعر" وقد يذكر اسم الشاعر كقوله قال عنتره أو النابغة أو الفرزدق، دون أن يتجاوز حدود الاستشهاد الزماني أو المكاني. وقد يستشهد بكلام العرب على إثبات وجود المفردة كقوله في كتاب الباء مثلاً ص ٦١ على إثبات وجود أبله بقوله: "ومن كلام العرب (خير أولادنا الأبله العقول). بمعنى أنه لشدة حيائه كالأبله فيتغافل ويتجاوز فشبه ذلك بالبله مجازاً".

ويحسن أن أختتم الحديث عن المصباح المنير بما ختمه به صاحبه وهو الحديث عن مصادره التي نصَّ عليها في الخاتمة بقوله ص ٧١١: "وهذا ما وقع عليه الاختيار من اختصار المطول وكنت جمعت أصله من نحو سبعين مصنفاً ما بين مطول ومختصر فمن ذلك التهذيب للأزهري، ومختصر المزني والمجمل لابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت.. وكتاب المقصور والممدود لأبي بكر بن الأنباري.. وكتاب المصادر لأبي زيد.. وكتاب النوادر له، وأدب الكاتب لابن قتيبة وديوان الأدب للفارابي والصحاح للجوهري.. وكتب الأفعال لابن القوطية والسرقسطي وابن القطاع وأساس البلاغة للزمخشري، وكتاب ما يلحن فيه العامة والمعربات لابن الجواليقي، وغريب الحديث لابن قتيبة والنهاية لابن الأثير، وغريب اللغة لأبي عبيد بن القاسم بن سلام.. وكتاب الوحوش لأبي حاتم السجستاني وكتاب النخلة له، ومنه ما التقطت منه قليلاً من المسائل كالجمهرة والمحكم ومن كتب التفسير والنحو ودواوين الأشعار عن الأئمة المشهورين المأخوذ بأقوالهم الموقوف عند نصوصهم وآرائهم مثل ابن الأعرابي وابن جني، وسميته غالباً في مواضعه.. وكان الفراغ من تعليقه على يد مؤلفه في العشر الأواخر من شعبان المبارك سنة أربع وثلاثين وسبعمائة هجرية".

٣-٤-٤ محيط المحيط لبطرس البستاني (ت ١٨٨٣م)

الذي صدر في جزئين أولهما عام ١٨٦٦م والآخر صدر عام ١٨٦٩م. وهو على حد قول أحمد الخطيب (في المعجمية العربية المعاصرة — ص ٣٢٥): «أول معجم عربي مجدّد، ولعلّه أهمّها..» فهو متميز في منهجه وتبويبه ومحتواه. أما منهجية التبويب فتمثلها مخالفة الترتيب المعهود في أيامه وهي طريقة القاموس المحيط من التبويب على أساس الحرف الأصلي الأخير؛ إذ يقول في فاتحة كتابه: «وقد اخترت في ترتيبه اعتبار أول حرف من الكلمة دون الأخير، بخلاف اصطلاح الجمهور، لأن ذلك أيسر في التفتيش عليها..» أي إنه رتب المداخل على حروف الهجاء بحسب أوائل الكلمات، أي جذور هذه المداخل، ويضيف موضحاً في ذيل الفاتحة بعنوان (فائدة): «إذا شئت كشف لفظة، فإذا كانت مجردة فاطلبها في باب أول حرف منها، وإذا كانت مزيدة فجردّها أولاً من الزوائد ثم اطلبها في باب الحرف الأول من بقي، وإذا كان في الكلمة حرف مقلوب عند آخر فاطلب تلك الكلمة في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه» ففتح لكل حرف باباً مع مراعاة الحروف الثاني والثالث والرابع في المداخل هذا من حيث الترتيب الخارجي للمداخل، وهو إحياء للطريقة الألفبائية في الترتيب التي بدأها الشيباني في الجيم وطورها ابن فارس بترتيبه الألفبائي الذي قيّده بالتدويري في المقاييس وقام صاحب الأساس بتحريرها وتنظيمها وضبطها بجذورها الثلاثي بمراعاة ترتيب الحروف الأول فالثاني فالثالث.

الترتيب الداخلي فيمثله قوله في فاتحة الكتاب أيضاً: «ولأجل التسهيل على الطالب ميّزت بين الأفعال والأسماء وبين المجرد والمزيد من الفريقين — كل نوع على حدّته مُندرجاً مع نظيره من الأبنية» أي فصل بين الأفعال والأسماء فإذا بدأ المدخل بالأسماء استكملها ثم يخلص بعدها إلى الأفعال ففي باب الهمزة قد يبدأ بالأسماء من المدخل ثم يثني بالأفعال كقوله: «الأب اطلب أب و، وأب وآب الشهر الثامن من السنة المسيحية وهو ٣١ يوماً» وهذه ليست لها أفعال.

فينتقل إلى اسم ثانٍ وفعله: الأَبَاءُ القُصْبَةُ ج أَبَاءٌ، أَبَاهُ بِهِمْ رَمَاهُ بِهِ « وإلى اسم ثالث وأفعاله ومصادره وبعده: « الأَبُ الخُضْرُ والكلأ والمرعى أو ما أنبتت الأرض، ويقال الأَبُ للبهائم كالفاكهة للناس. أَبَّ يَبُّ وَيُؤَبُّ أَباً وَأَبِيّاً وَأَبَاباً وَأَبَابَةً هَزَمَ وإلى وطنه أَبّاً وإِبَابَةً وَأَبَابَةً اشتاق. ويده إلى سيفه رَدَّهَا لِيَسْلَهُ... ».

وقد يبدأ المدخل بالفعل كقوله في الهمزة مع الباء والتاء: « أَبَتَ الْيَوْمُ يَأْبَتُ وَأَبَتْ يَأْبَتُ وَيَأْبَتُ أَبَتاً وَأَبُوتاً اشْتَدَّ حَرُّهُ فَهُوَ آبَتٌ وَأَبَتْ وَأَبَتْ. والرجل من الشراب انتفخ. ورجلٌ مأبُوتٌ محرور، وَأَبْنَةُ الغُضْبِ شَدَّتْهُ، تَأْبَتَ الجَمْرُ واحتدم ».

وكذلك الأمر مع أَبَتْ، وَأَبَدَ وَأَبَّرَ، وهذه الأمثلة توضح منهجه في ترتيب المشتقات من المداخل وتفريقه بين الأفعال والأسماء وكما يقول الدكتور علي الحمد عنه في المعجمية العربية المعاصرة ص ٣٢٣ أنه قد « اختار منهجاً واحداً في الترتيب الداخلي، ففصل بين الأسماء والأفعال، وكان يبدأ في المجرّد ثم ينتهي إلى المزيد دون خلط بين المستويين وسجّل صور استخدام الفعل المختلفة، ومعنى الفعل في كل صورة ».

أما إضافته في المضمون فتمثلها زياداته على القاموس المحيط التي يُفصّلها بقوله في فاتحة الكتاب أيضاً: « فهذا المؤلّف يحتوي على مافي محيط الفيروز آبادي الذي هو أشهر قاموس للعربية من مفردات اللغة وعلى زيادات كثيرة، فقد أضفت إلى أصول الأركان فيه فروعاً كثيرة وتفصيل شتى وألحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد وغير ذلك مما لا يتعلق بمتن اللغة، وذكرت كثيراً من كلام المؤلّدين وألفاظ العامة في أماكنها خارجة عن أصل اللغة، وذلك كي يكون هذا الكتاب كاملاً شاملاً ».

فإضافاته متعدّدة ومختلفة كالمشتقات التي ذكرها تحت مداخلها التي عبر عنها بقوله: « أضفت إلى أصول الأركان فيه فروعاً كثيرة » كذلك اعتنى بالاصطلاحات العلمية والفنية وذكر دلالاتها اللغوية والاصطلاحية. وأما المسائل والقواعد التي أضافها فيبدو أنه يعني بها المسائل الصرفية والقواعد النحوية وهو ما سنُعنى باقتطاف شيء منها.

كذلك لم يقف عند كلام العرب الفصحاء فضمّ إليه المفردات المولّدة التي نطق بها المولّدون ممّن عاشوا بعد عصر الاحتجاج، كذلك التفت إلى ألفاظ العوام وسجّلها في

معجمه، وأظنه في هذا كان متأثراً بعمل ابن دريد في الجمهرة الذي اعتنى بالمستعمل في وقته إضافة إلى محفوظه من فصيح اللغة.

وسكت البستاني عن مراجعته إلا من قوله في فاتحة الكتاب: « هذا المؤلف يحتوي على ما في محيط الفيروز آبادي، الذي هو أشهر قاموس للعربية، من مفردات اللغة وعلى زيادات كثيرة... فاستحق أن يسمى محيط المحيط لأنه قد جمع ما ذهب في كتب اللغة شمايط » ولكنه لم يفصح في هذه الفاتحة عن كتب اللغة. التي جمع منها مادته وزياداته، واكتفى بذكر من يأخذ عنهم في سرده للمواد كقوله وضبطه الزمخشري أو قال في الصحاح، أو وقول الحريري.. إلخ.

والعناصر المعجمية في نص محيط المحيط، كما هو الحال في غيره أولها العنصر الصوتي، وأقصد ضبط المداخل وما يشتق منها، والناظر إلى نصه يجد أنه لم يقف عند طريقة واحدة في الضبط وفي مقدمتها بل وأكثرها هي وضع الحركات الفتحة والضم والكسرة والسكون على حروف بنية الكلمة وآخرها وهذه الوسيلة الغالبة في الضبط تطالعنا في كل صفحة وفي كل سطر، إن لم يكن في كل كلمة عند الضرورة. وفي ١١٣/١ مادة بقل (على سبيل المثال لا الحصر): « بَقَلَ الشيءُ يَبْقُلُ بَقْلًا ظَهَرَ، والأَرْضُ أَنْبَتَ والرَّمْثُ أَحْضَرَ.. » وفي ١٣٦/١ — مادة بهظ: « بَهَظَ الأمرُ يَبْهَظُهُ بَهْظًا غَلَبَهُ وَنَقَلَ عَلَيْهِ كَبْهَظُهُ وَبَلَغَ بِهِ مَشَقَّةٌ.. ». وقد يستعين مع الضبط بالنص على الحركة كقوله في ٢٣٥/١ — مادة جردن: « وجرذون كما مرَّج جُرْذَان بالضم وضبطه الزمخشري بالكسر وهو القياس لأن ما كان على وزن فُعْل بضم فُفتح يجمع على فِعْلَان بكسر فسكون كصُرْد وصرْدَان » وفي ٢٣٦/١ مادة جَرَد: « وفعل ذلك من جَرَّكَ، أي من أَجْلَكَ، وهو صيغة فَعَّلَى من الجر، قال الشاعر:

أَحَبُّ الشَّيْبِ مِنْ جَرَّكَ لَيْلَى كَأَنِّي يَا سَلَامَ مِنَ الْيَهُودِ

وربما قالوا من جَرَّكَ بتخفيف الراء والقصر، ومن جَرَّائِكَ بتخفيف الراء وتشديدها والمَدَّ.. والجرَّار فَعَّال من الجر » وفي هذا النصّ المقتطع وظَّف وسائل الضبط في نطق المداخل ومشتقاتها بوضع الحركات وبالنص عليها أحياناً، أو بضبط المداخل بنطقها بالمثال والوزن كقوله فِعْلَان وفَعَّلَى، وفَعَّال.

وقد ينص على نوع الحرف، كما نصَّ على حركته، كقوله في ٢٣٢/١ — مادة جرد: « والجَرْدُ أيضاً عيب في الدوابِّ أو هو بالذال المعجمة » وكقوله في ٢٣٥/١: « ومنهم من يُجَرِّدُ وفي رواية فمنهم المُجَرِّدُ كلاهما بالجيم، فيما ضبطه الأصيليّ وفسَّره بالإشراف على السقوط. وحكى ابن الصابوني المُجَرِّدُ بالزاي والجيم، وهو وهم، ورواية الجمهور بالخاء والراء ».

وانتقل الآن إلى جوهر العمل المعجمي وهو أداء معاني المداخل ومشتقاتها والمطلّع على أساليب المحيط سيظهر له تنوعها وتعدُّدها الذي يكشف في كثير منها عن معنى أقرب إلى الدقّة، إن لم يكن تام الدقّة. وقبل تفصيل القول فيها، تجب الإشارة إلى أنه كان يفتح باب كل حرف بالحديث عن أصل هذا الحرف ومعناه وصورته وأسمائه في اللغات السامية وموقعه في الألفبائية وفي حساب الجُمَّل وتقلباته الصوتية كالجيم مثلاً واستخداماته الصرفية كالتاء ومعانيه النحوية كالباء التي اقتطع حديثه عنها بوصفه أنموذجاً في ٥٨/١: « الباء هي الحرف الثاني من حروف المباني، ويقال لها في العبراني والسرياني بابت ومعناه بيت أو خيمة... والباء في حساب الجُمَّل عبارة عن ٢. ب حرف جر لإفضاء معاني الأفعال إلى الأسماء وحركتها الكسرة وهي تأتي لأربعة عشر معنى » ذكرها: « الإلصاق والتعديّة والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدل والمقابلة والتعويض والمجاورة والاستعلاء والتبعية والقسم والغاية والتوكيد. والأمر الثاني الذي غلب على عرضه هو إما أن يكون بالاسم أو الأسماء ثم يثني بالفعل وصوره من المجرد والمزيد أو العكس بالبدء بالفعل ومشتقاته ثم تتلوه الأسماء » هذا ما اعتاد عليه في مراعاة تسلسل مشتقاته المدخل وإن لم يتقيّد به دائماً.

وما يعنيني بالضرورة هو تتبع أداء المعاني وبيان أساليبه، وأوّل ما لفت نظري هو أسلوبه في وضع الأفعال مع تصرّيفاتها ومشتقاتها في سياقات لغوية لإظهار معانيها عند اختلافها، وأمثله بكثرة لا حد لها ولا أبالغ إذا قلت في كل مدخل مبدوء بالفعل ومنها في ٦١/١ — مادة بَتَّ: « بَتَّ الحبلَ والوصلَ يُبْتُه وَيَبْتُه وَيَبْتُه بَتًّا قَطَعَهُ، والصيامَ قَطَعَهُ على نفسه بالنِّية، والأمرَ أمضاه، والسَّفرَ فلاناً أجهره. وسكراناً لا يَبْتُ أي بحيث لا يقطع

أمراً. قال الأصمعي: «ولا يُقال يُبتُّ، وقال الفراء هما لغتان. وَبَتَّ الرجلُ يبتُّ بتوتاً صار مهزولاً بَتَّتْ قطع وزور، والوعد تَأَكَّدَ إنجازَه. وَأَبَتَّ الشيء قطعَه وأَبَتَّ الرجلُ انقطع ظهره. وَبَتَّه فأنَبَتَّ قطعَه فانقطع. الباتُّ القاطع والمهزول والأحمق والسكران.

الْبَتَاتُ الزاد والجهاز ومتاع البيت، وفي الحديث لا يُحْظَرُ عليكم النبات، ولا يُؤْخَذُ منكم عُشْرُ البتات. وفلان على بتات أمر أي مشرفٌ عليه. قال الراجز: وحاجة كنت على بتاتها. وقولهم تصدَّقْ فلان صدقة بتاتاً أي انقطعت من صاحبها وبائتة. وطلَّقها بتاتاً أي بائنة. الْبَتُّ كساء غليظ من وبر أو صوف، وقيل طيلسان من خز. وطحن بَتًّا أي ابتدأ في الإدارة باليسار قال الشاعر:

ونطحن بالرحى شزراً وبتاً ولو نُعْطِيَ المغازل ما عينا

والبَتَاتُ الذي يعمل البتُّ أو يبيعه والقطّاع، البتة القاطعة أو المقطوعة، يقال طَلَّقَهَا بَتَّةً أي طَلَّقَهَا قاطعة أو مقطوعة لا رجعة فيها. وقولهم لا أَفْعَلُهُ الْبَتَّةَ ولا أَفْعَلُهُ بَتَّةً، والتنكير قليل... أي هذا القول قطعة واحدة لا رجعة فيها ولا تردُّد»

والآن عليّ أن أتقصي الوسائل الأخرى وأولها أداء المعنى بالترادف كقوله ٣/١ — باب الهمزة: «الأبَاءَةُ القصبة ج أَبَاءٌ»، «الأبُّ الخضر والكلاء أو المرعى» وفي ٥/١ + مادة أبل: «الإبل وتُسَكَّنُ الباء الجمال..» وفي ٧/١ — مادة أتو: «الأتان الحمار» وفي ١١/١ — مادة أحن: «الإحنة الحقد والغضب» وفي ١٦/١ — مادة أرب: «الأربة بمعنى الحاجة... والأربي الداهية». وفي ٢١/١ — مادة است: «الاستبرق الديداج الغليظ».

وفي ٢٦/١ — مادة أصل: «الإصطبل مأوى الدواب» وفي ٥٣/١ — مادة إيح: «الآح بياض البيض» وفي ٦٧/١ — مادة بخت: «البخت الحظ والسعد.. الْبَخِيتُ المحظوظ» وفي ٦٨/١ مادة بخش: «البخشيش عطية مجانية أو إكرامية، تركيبة معناها الهبة... عامي» وفي ٧٦/١ — مادة برب: «البربط العود مُعَرَّبٌ» وفي ٩٧/١ — مادة بشك: «البشكى الخفيفة السريعة».

وفي ١٠٧/١ — مادة بعك: «الباعك الأحق» وفي ١١٦/١ — مادة بكر: «البكرج ابريق القهوة ونحوها شامي» وفي ١٣٦/١ — مادة بهل: «البهكلة المرأة الغضة». وفي ١٥٣/١ — مادة بيه: البيهس الأسد الشجاع». وفي ١٧١/١ — مادة تمر: «التمثم السَّمَاق». وفي ١٧٥/١ — مادة توج: «التاج الإكليل». وفي ٨٥/١ — مادة ثرثر: «الثرثارة المرأة الكثيرة الكلام». وفي ٢٠٧/١ — مادة جأل: «الجئال الضبع» وفي ٢٢٧/١ — مادة جذل: «الجدلة الفرحة» وفي ٢٣٥/١ — مادة جرد: «الجرّدق والجرّدقة الرغيف معرب كردة». وفي ٢٤٠/١ — مادة جرع: «الجرعيل الغليظ» وفي ١,٢٤١ — مادة جزل: «الجرؤل الأرض ذات الحجارة» وفي ٢٤٤/١ — مادة جرو: «الجرهام الأسد» وفي ٢٥٧/١ — مادة جعير: «جعبره صرعه، الجعبر القصير القامة..». وفي ٢٥٩/١ — مادة جعس: «الجعس الرجيع مولد.. الجعسوس القصير الدميم».

ومن الأجناس الدلالية التي استعان بها كذلك لإبراز المعنى، المشترك اللفظي الذي يمكن أن يترجم فيه اللفظ إلى عدة معانٍ كالْبؤبو في ٥٨/١ التي ذكر أنها تعني: «الأصل والسيد الظريف ورأس المكحلة وبذن الجرادة وإنسان العين ووسط الشيء» وفي ٦٣/١ — مادة بثن: «البثنة الزبدة والمرأة الحسناء والبضة، والنعمة في النعمة، والأرض السهلة والرملة اللينة» وفي ٨١/١ — مادة برز: «البرزخ الحاجز بين الشيئين، وما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث.. والبرزخ عند أهل الجغرافية قطعة أرض ضيقة محصورة بين بحرين.. كبرزخ السويس، وعند الحكماء الإشرافيين هو الجسم. وعند الصوفية هو العالم المشهود بين عالم المعاني والأجسام.. وبرازخ الإيمان ما بين أوله وآخره أو ما بين الشك واليقين».

وفي ٨١/١ — مادة برر: البرُّ الصلّة والجنة والصلاح والخير والاتساع في الإحسان والحج والصدق والطاعة والعدل وضد العقوق والطاعة والفؤاد وولد الثعلب والفأرة والجرذ».

وفي ١١٨/١ — مدة بلأز: «البَلَّاز الشيطان والقصير والغلام الغليظ الصُّلب».

وفي ٢٩/١ — ١٣٠ مادة بند: «البند العَلَم الكبير فارسي معرَّب ج بنود، قال الشاعر: تحت البنود الصواعق والبند أيضاً الحيلة. يقال فلان كثير البنود أي كثير الحيل، والقيد وسدُّ الماء، ومن الشطرنج البَيَزَق، ومن الجيش عشرة آلاف، ومن الكتاب الفصل أو الفقرة». وفي ٢٣٢/١ — مادة جرد: «الجرْد مصدر جَرَدَ (أي القَشَر) والفَرَج والذَّكَرَ والتَّرس والبقية من المال، ومكان جَرَدٌ لا نبات فيه، وثوبٌ جَرَد أي خَلَق..».

كذلك لجأ إلى بيان المعنى عن طريق التضاد بقوله مثلاً في ١٢/١ — مادة آخر: «الأخر ضد القُدُم.. آخرٌ ضد قَدَم.. واستأخر ضد تَقَدَّمَ» وفي ٤٥/١ مادة أنس: «أنس.. ضد توحَّش.. وأنسه ضد أوحشه.. الأئوس من الكلاب ضد العَقُور» وفي ٨١/١ — مادة برر: «البرُّ.. ضد البحر.. البرِّي خلاف البحري، ومن النبات خلاف البستاني، ومن الحيوان خلاف الأهلي والبرية الصحراء وضد الريفية.. والبرَّاني خلاف الجَوَّاني» وفي مادة برز من الصفحة نفسها: «الضمير البارز خلاف المستتر». وفي ١٠٣/١ — مادة بطن: «البطن خلاف الظهر» وفي ١٠٥/١ — مادة بعد: «بعد.. ضد قُرْب.. وبعده ضد قَرَّبه.. وباعد وابتعد ضد تقارب.. بعد نقيض قبل ١٠٦/١ والبُعد ضد القُرب والبعيد ضد القريب.. الأبعد ضد الأقرب». وفي ١١٤/١ — بقي: «بقي الشيء.. ضد فني» وفي ٢١٠/١ — مادة جبر: «الجبر خلاف الكسر.. والجبر بمعنى خلاف القَدَر.. كلام مولد».

وقد يتطرق إلى ما يسمى بالأضداد في اللغة، أي الألفاظ التي تحمل معنيين متضادين كما في ٢٥٨/١: «رجل جعد كريم ونحيل.. وفي ٢٥٩: «الجعفر النهر الصغير والكبير».

أما التعريف فهو وسيلة أخذت حيزاً ومساحة مناسبة في أداء المعاني كقوله في ٦/١ — مادة أتب: «الإتب النقيز وهو ثوب أو برد يُشَقُّ في وسطه فتلبسه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كميّن ودرع المرأة وما قصر من الثياب فنصف الساق أو سراويل بلا

رجلين أو قميص بلا كُمَيْن ج آتاب « وفي ٧/١ — مادة أتم: « المأتم كل مجتمع في حزن أو مصيبة أو فرح أو مسرة أو خاص بالنساء أو الشواب ج مآتم ».

وفي ٢٣/١ — ماد أسط: « الأسطرب آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب — يوناني، آلة يقاس بها ارتفاع الشمس والكواكب ».

وفي ٤٨/١ — مادة أني: « الأنْيُون نبات له بزر عطر ذو طعم لذيذ فيه حرافة محلل للرياح، معرَّب أنيزون ياليونانية، الواحدة أنيسونة والعامّة تقول يانسون » وفي ٧٧/١ — مادة برت: « البرتقان شجر أول ما استنبته أهل مملكة البورتغال فسمي بها وهو كثير الوجود والأجناس وثمره الناضج قليل الرائحة جداً حامض سكري لذيذ الطعم مبرّد نافع في الالتهاب الخفيف الحاصل في أعضاء الهضم واحدته برتقانه والعامّة تسميه بالبردقان » وفي ٨٥/١ — مادة برق: « البرقع والبرقع خريقة تثقب للعينين تلبسها الدواب ونساء الأعراب فتستر الوجه فقط أو الوجه ومقدم الجسم إلى الأرض ج براقع » وفي ١١١/١ — مادة بقر: « البقرة حيوان أهلي ذو أربع قوائم مشقوق الظلف ذلول منقاد للناس يستخدمونه للحرث وغيره من الأعمال ويتغذون بلحمه ولبنه ويتنفعون بجلده، والبقرة تقع على الذكر والأنثى. والتاء فيها للدلالة على أنها واحد من جنس ج بقر » وفي ١٦٩/١ — مادة تلل: « التلغراف آلة تبليغ الأخبار عن بعد بواسطة علامات معلومة اخترعها الفرنسيون عام ١٧٩٣م أو ١٧٩٤ وتعرف أيضاً بالموصل البرقي وبشريط الحديد، يونانية معناها الكتابة عن بعد ».

وفي ١٧٠/١ — مادة تلم: « التلمود مجموع شرائع وسنن وتفاسير اليهود أو الكتاب الذي يتضمنها وهو على قسمين المشنا وهو الشرائع المكتوبة والثاني الجيمار وهو السنن وتفاسير العلماء ». وفي ٢٠٨/١ — مادة جبأ: « الجبائية فرقة من المعتزلة أصحاب أبي علي الجبائي قالوا إن إرادة الله لا في محل، والله متكلم بكلام يخلقه الله في جسم وهو غير مرئي في الآخرة، والعبد خالق بفعله ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر يخلد في النار إذا مات بلا توبة ولا كرامة للأولياء، ويجب على الله لمن تكلف إكمال عقله واللفظ والأنبياء معصومون ». وفي ٢٣٤/١ — مادة جرد « التجريد.. عند العروضيين إخلاء

القافية من الرّدف وهو حرف اللين الواقع قبل الروي، ومن التأسيس وهو الألف الواقعة قبل ما قبل الروي، والقافية المشتملة على التجريد تسمى مجردة يقول الشاعر:

أُنبت أن أبا قابوس أوعديني ولا قرار على زار من الأسد

وحرص كذلك على أن يضع الأسماء في سياقات لغوية كالإضافة أو الوصف، خاصة إذا أدت هذه السياقات إلى اختلاف في المعنى كقوله مثلاً في ١٠٧/١ — مادة بعك: « البُعْكُوكَةُ الحرُّ، وُبُعْكُوكَةُ الناس مجتمعهم وُبُعْكُوكَةُ الصيف والشتاء اجتماع حرّه وبرده » وفي ١١٣/١ — مادة بقل: « البقلة اليمانية بقلة مائية لا طعم لها، وبقلة الضبّ وبقلة الرماة وبقلة الرمل والبراري وبقلة الحامضة وبقلة الأترُجِيَّة حشائش، وبقلة الأنصار الكرنب وبقلة اليهودية وبقلة الخطاطيف العروق الصُفر وبقلة المباركة الهندباء والرّجلة وكذا البقلة اللينة وكذا بقلة الحمقاء وبقلة الزهراء والعامّة تسميها الفَرْفَحِين. وبقلة الملك الشاهترَج، وبقلة الباردة اللباب وبقلة الذهبية القطف.. ».

وفي ١٤٨/١ — مادة بيض: « بيضة الاسلام حوزته وهو إنها مجتمعة.. بيضة القوم أي ساحتهم وبيضة النهار بيضه، وبيضة القبان ما يوزن به منه، وبيضة البلد الرجل الخامل الذي لا يعرف نسبه ومنه المثل: أذل من بيضة البلد أو هو أذل من بيضة النعام لأن النعام تتركها لضلالها عنها فتضيع. وبيضة البلد أيضاً واحدة الذي يُجتمِع إليه ويُقبل قوله، وبيضة البلد أيضاً الفقع وبيضة البيت الأصل والجرثومة، وبيضة العُقر آخر الأولاد لأن الأم صارت عاقراً بعده. وبيضة الديك قيل يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود وعليه قول أبي العتاهية:

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر لولا شهادة أطراف المساويك
قد زُرّتنا مرة في الدهر واحدة ثنيّ ولا تجعلها بيضة الديك

وبيضة الخدر جاريته، ومن أمثالهم أحسن من بيضة في روضة... » وفي ١٥١/١ — ١٥٢ مادة بين: « قال صاحب الكشاف: البيان هو المنطق الفصيح المعبّر عما في الضمير، وقيل البيان الكشف والتوضيح وقد يستعمل بمعنى الإثبات بالدليل » بعد ذلك يضع البيان في سياقات إضافية لبيان معانيه الاصطلاحية المختلفة حسب العلم المضاف إليه

بقوله: « بيان التقرير عند الأصوليين تأكيد الكلام بما يقطع احتمال المجاز أو الخصوص. وبيان التفسير وهو بيان ما فيه خفاء من المشترك والمحمل والمشكل والخفي، وبيان التفسير وهو البيان لمعنى الكلام مع تغييره كالتعليق والاستثناء، وبيان التبديل وهو النسخ. وبيان الضرورة وهو بيان يقع بغير ما وضع للبيان إذ الموضوع له النطق وهذا يقع بالسكوت الذي هو ضده، والبيان عند الصرفيين يطلق على إظهار الحرف أي عدم إدغامه مع التمكن من إدغامه نحو انمحي (في امحى). وعند النحاة يطلق على عطف البيان وهو تابع أشهر من متبوعه كجاء صاحبك زيد، وعند أهل البيان علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. »

وكثيراً ما يستعمل أي التفسيرية كذلك بين المفردة المعجمية (المدخل) وبين معناها كقوله في ٤/١ — مادة أبر: « سَلَّةٌ مأبورة أي مُصلحة » وفي مادة أبش: « يقال جاءت أباشة من الناس أي جماعة » وفي مادة أبو — ٦/١: « بأبي أي أفديك ». وفي ٨/١ — مادة أثث: « وشعر أثيث أي كثير ». وفي ٩/١ — مادة أجم: « جوهر أجوج أي مضيء منير » وفي ١٤/١ — مادة أدم: « وأطعمتك مأدومي أي أيتك بعذري » وفي ١٧/١ — مادة أرض: « وهو ابن ارض أي غريب » وفي ٢٠/١ — مادة أزر: « والمجلس أزر أي ممتليء من الناس » وفي ٢١/١ مادة أزي: « جلست إزاءه أي مقابله » وفي ٢٤/١ — مادة أشب: « جاء فلان في مَنْ تَأَشَّبَ إليه أي انضم إليه والتفَّ إليه ». وفي ٣٣/١ — مادة ألس: « يقال هو لا يدالس ولا يؤالس أي لا يخادع ».

وفي ٣٥/١ — مادة ألا: « لا آلو جهداً أي لا أترك شيئاً من الطاقة ». وفي ٣٧/١ — مادة أمت: « أجل مأموت أي مؤقت، وصيف أمج أي شديد الحر ». وفي ٦٢/١ — مادة بتل: « وصدقة بتلة أي منقطعة عن صاحبها لا يُرجع فيها » وفي ٧٤/١ — مادة بدأ: « أرض بذينة أي لا مرعى فيه ».

وفي ١٧٤/١ — مادة تنن: « فلان تنن فلان أي مثله وقرئته » وفي ١٨٠/١ — مادة ناد: « رَجُلٌ نَدَّ أي مقرر » وفي ١٨١/١ — مادة ثبت: « داء ثبات أي مُعْجَزٌ عن الحركة » وفي ١٨٣/١ — مادة ثجر: « وفي الحديث لا تَجْرُوا أي لا تَخْلَطُوا ثجير الثمر

مع غيره» وفي ٢٢٩/١ — مادة جرب: «يقال بالسيف جَرَبٌ أي صَدَأ» وفي ٢٣٢/١ — مادة جرد: «يقال سَنَة جارود أي مُقْحَطَة تجرد النبات، ورجل جارود أي مشؤوم» وفي ٢٧٥/١ — مادة جلل: «رجل جَلُّ أي جليل». وفي ٤٥٢/١ — مادة حَمَس: «يقال فلان لا يعرف الحُمَسَة أي الحُرمة.. يقال سنة حَمَسَاء أي شديدة.. والحُمس وهو لقب قريش وكنانه وجديله — أو لاعتصامهم بالحُمَسَاء أي الكعبة».

وقد يستخدم السياق الشرطي وإن كان قليلاً كقوله في ١٩/١ — مادة أَرَب: «وَرَبَ الماء إذا سال». وفي ٥٥/١ — مادة إيه: «تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل إيه.. قال ابن السريّ إذا قلت إيه يا رجل فإنما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود بينكما». وفي ٨٣/١ — مادة بَرَع: «عن ابن دريد كل شيء تباهى في جمال ونضارة فقد بَرَع وأصله من بَرَع الجبل إذا علاه» وفي ٩٢/١ — مادة بسر: «البسر أيضاً الشاب والشابة، والتمر قبل إرطابه وأوله طلع فإذا انعقد فسيابٌ فإذا اخضر واستدار فجدالٌ وسرادٌ وخلال فإذا كبر شيئاً فبغو ثم بلح فإذا عظم فبسر.. فإذا انتهى نضجه فرطب ومعو ثم ثمر» وفي ٩٣/١ — مادة بس: «بس السويق إذا لته.. من بس الإبل إذا ساقها».

وقد عني صاحب المحيط عناية زائدة بالألفاظ المعربة وبيان أصلها الأعجمي ومعناها لدرجة يمكنني أن أقول معها يقل أن تخلو صفحة من إشارة إلى مثل ذلك، ومن أمثلة ذلك قوله في ٤/١ — مادة أبر: «الأبرشية دائرة ولاية أسقف، يونانية معناها المجاورة والإبريز والإبريزي من الذهب الخالص الصافي فارسي معرّب».

الإبريسم الحرير قبل أن يخرقه الدود وبعد الخرق يسمى قَزاً مُعَرَّباً ابريشم بالفارسية والإبريق ج أباريق إناء من خزف له عروة وفم وبُلبله مُعَرَّب أب ريز بالفارسية ومعناه صاب الماء.

وفي الصفحة نفسها يذكر الإبزيم.. وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر ج أبازيم فارسي معرّب» وفي ١٠/١ — مادة أجر: «الآجر.. معرّب أكور بالفارسية..» وفي ١٢/١ — مادة آخر: «الأخور الاسطبل فارسي معرّب». وفي ١٦/١ — مادة

أرج: « الأَرْجَوَانُ مُعَرَّبٌ أَغْوَانٌ بِالْفَارْسِيَةِ شَجَرٌ لَهُ وَرْدٌ يَتَنَقَّلُ بِهِ الْفُرسُ عَلَى الشَّرَابِ وَالْأَحْمَرِ.. » وفي ١٧/١ — مادة أَرْج: « الْأَوَارِجَةُ مُعَرَّبٌ أَوَارَهُ بِالْفَارْسِيَةِ دَفْتَرٌ حِسَابِ الدَّخْلِ وَالْخَرْجِ » وفي مادة أَرْخ: « الْأَرْخُونُ يُونَانِي الرَّئِيسِ وَالْمَقْدَمِ.. وَالْإِرْدَخِلُ السَّمِينُ وَالرَّجُلُ الْكَرِيمُ سَرِيَانِيَّةٌ » وفي ٢١/١ — مادة أَسْب: « الْإِسْبَانُخُ وَالْإِسْفَانَاخُ بِقَلَّةٍ بَرِّيَّةٍ وَبِسْتَانِيَّةٍ مُعَرَّبٌ » وفي الصفحة نفسها مادة اسْت: « الْاسْتَاذُ الْمَعْلَمُ وَالْعَالِمُ وَأُسْتَاذُ الصَّنَاعَةِ رَئِيسُهَا فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ » وَالْإِسْتَارُ وَالْإِسْتَارَةُ فِي الْعَدَدِ أَرْبَعَةٌ.. جَ اسَاتِيرُ، يُونَانِي. الْإِسْتَبْرَقُ الدِّيَابِجُ الْغَلِيظُ مُعَرَّبٌ إِسْتَرَوَهُ بِالْفَارْسِيَةِ » وفي ٢٣/١ — مادة أَسْط: «الْإِسْطَرْلَابُ آلَةٌ يَقِيسُ بِهَا الْفَلَكيُّونُ ارْتِفَاعَ الْكَوَاكِبِ، يُونَانِي. الْإِسْطَقْسُ الْأَصْلُ وَتُسَمَّى الْعُنَاصِرُ وَهِيَ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْهَوَاءُ وَالنَّارُ وَالْإِسْطَقْسَاتُ يُونَانِي مُعَرَّبٌ. الْإِسْطُورَةُ الْحِكَايَةُ وَالْقِصَّةُ مُعَرَّبٌ اسْتُورِيَا بِالْيُونَانِيَّةِ جَ أُسَاطِيرُ.. وَالْإِسْفَسْتُ (فَارْسِيٌّ) نَبْتُ مَعْرُوفٌ.. الْإِسْفِيدَا جَ وَالْإِسْفِيدِيَا (فَارْسِيٌّ) طِينٌ يُحْلَبُ مِنْ أَصْفَهَانَ.. وَالْإِسْفِيُوسُ (يُونَانِيٌّ) مَعْنَاهُ الْبِرْعَوِيُّ (يُونَانِيٌّ) بَزْرٌ يُعْرَفُ الْأَحْمَرُ مِنْهُ فِي مِصْرَ بِالْبَرْلسِ وَالْأَسْوَدُ بِالصَّعِيدِي. الْإِسْقَنْقُورُ وَالسَّقَنْقُورُ (يُونَانِيٌّ) دَوِيْبُهُ.. تَعْرَفُ بِالتَّمْسَاحِ الْبَرِّي. الْإِسْقَرْدِيُونُ (يُونَانِيٌّ) الثُّومُ الْبَرِّي. الْإِسْقُورُونُ (يُونَانِيٌّ) مَعْنَاهُ مَزِيلُ الصَّفْرَةِ نَبَاتٌ يَعَالِجُ بِهِ الْبِرْقَانُ. الْإِسْقِيلُ وَالْإِصْقِيلُ (يُونَانِيٌّ) بَصْلُ الْفَارِ.. الْإِسْكَلَةُ وَالصَّقَالَةُ (إِيطَالِيَانِيَّةٌ) الْمِينَاءُ فِي بَحْرِ الرُّومِ أَوْ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْبَرِّ، جَ أُسَاكِلُ وَأَصَاكِلُ » وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْثَلَةَ الْآتِفَةَ دَالَةٌ عَلَى اِهْتِمَامِ الْبِسْتَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْمَعْرَبَةِ مُوزَعَةً أَكْثَرَهَا عَلَى الْفَارْسِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ.

وفي ١٢٢/١ — مادة بَلَطُ " « الْبَلَطَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْفُؤُوسِ وَانْظُرْ كَذَلِكَ ص ٢٦/١

مِنَ الْبَلَطُ أَوْ مُعَرَّبٌ بِالتَّهْ وَهِيَ اسْمُ الْفَأْسِ بِالتَّرْكِيَّةِ ».

كَذَلِكَ شَغَلَتْ الْأَلْفَاظُ الْمَوْلَدَةُ وَالْعَامِيَّةُ حِيْزاً لَا بِأَسْ بِهِ فِي نَصِّ الْحَيْطِ الْمَعْجَمِيِّ الَّتِي يَذْكُرُهَا وَيَصْنِفُهَا فِي ٢٧/١ مِثْلًا يَقُولُ: « كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ فَهُوَ إِطَارٌ لَهُ وَالْعَامِيَّةُ تَقُولُ طَارَ وَطَارَةٌ » وَفِي ٤٥/١: « الْإِنْسَانُ الْبَشَرُ أَوْ آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالْإِنْسَانَةُ بِالْهَاءِ عَامِيَّةٌ وَسُمِعَ فِي شَعْرَ:

إِنْسَانَةٌ فَتَانَةٌ بِدْرِ الدَّجِي مِنْهَا خَجَلٌ

وهو مولّد فلا يعتمد عليه، ج أناس» وفي ٤٨/١ — مادة أنس: «الأنسيون..
والعامّة تقول يا نسون». وفي ٥٠/١ — مادة أدب: «الأوب الرجوع.. والأوبات
القوائم والأوبة ضرب من الخيام، والعامّة تقول أوبّة». وفي ٥٤/١ — مادة أيق:
«الإيقونة التمثال والصورة.. والعامّة تقول قونه وقون». وفي ٥٩/١ — مادة باد:
«البادرُوج والبادرُوج وبلا ألف بقلّة طيبة الرائحة قيل تنفع من لدغ العقرب وتعرف
بالريحان الروحاني وهي المعروفة عند العامّة بالحبق... الباذنجان والبادنجان معرّب بادنكان
بالفارسية ومعناه بيض الجان، نبات يُعرف عند العامّة بالبتنجان والبيدنجان..». وفي
٦٢/١ — مادة بتع: «البتاع بلغة العامّة تحريف المتاع». وفي ٦٥/١ — مادة بجن:
«البجن ضرب من السمك.. وبجنّ المسمار ثنى رأسه بعد دقّه بجانب منفذه ويُعرف
بالتبشيم وهو من كلام العامّة». وفي ٧٢/١ — مادة بدر: «البدريّ من شهد بدرأ..
ومنه قول العامّة جئت بدرّي أي باكراً.. بدرق ماله وبذرقه برّده وأسرف فيه وأنفقه في
غير طاعة الله، مولّد» وفي ٨٦٨/١: «والمولّدون يستعملون الزعل بمعنى الملل والغيظ».
كذلك من الألفاظ التي لقيت عناية البستاني الألفاظ ذات الدلالات الدينية، خاصة
المسيحية (النصرانية) ومن أمثلة ذلك قوله في ٤٤/١ — مادة انج: «الإنجيل مكتوبات
متّى ومرقس ولوقا ويوحنا وربما تناول أيضاً أسفار العهد الجديد معرّب أو نجليون
باليونانية ومعناه إنباء جيد أو بشارة أو خبر مُفرح مُذكر ومؤنث ج أناجيل». وفي
٥٤/١ — مادة إيل: «إيل اسم الله تعالى بالعبرانية أو السريانية معناه القوي القدير».
وفي ٧٢/١: «بدل الكاهن لبس البدلة النصرانية، عاميّة» وفي ٧٣/١: «بدلة الكاهن
حلّته الكهنوتية وفي ٨٢/١: «البُرْشان خبزٌ فطيرٌ رقيق تستعمله الكنيسة الغربيّة
للتقدّيس».

وفي ١٠٢/١ مادة بطر: «البطرك والبطرق البطريق أو سيد الجحوس ومخفف
البطريرك، البطريك والبطريرك عند النصارى رئيس رؤساء الأساقفة أو رئيس الأساقفة،
وعند اليهود العالم، معرّب باتير أرخوس باليونانية ومعناه الأب الرئيس ج بطاركه
وبطاريك. والبطاركه أيضاً لقب رؤوس العيال قبل الطوفان وإبراهيم واسحق ويعقوب».

وفي ١٣٠/١: «البِنْدِيكُسْتِي عيد عند النصارى يُعرف بالعنصرة، يونانية معناها الخمسون» وفي ٢١٧/١: «ويطلق الجحيم عند النصارى على القبر أيضاً». وفي ٢٨٧/١ — مادة جمع: «ويطلق المجمع على جماعة من رؤساء الأديان يجتمعون لأجل النظر في مسائل دينية ومنه الجامع المسيحية من بلدية ومسكونية». وفي ٤٧٤/١ — مادة حور: «الحواري.. الناصر أو ناصر الأنبياء.. ج حواريون.. سُمِّي به أصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم، وقيل كانوا ملوكاً يلبسون الثياب البيض استنصر بهم عيسى من اليهود، وقيل كانوا قصّارين يحوِّرون الثياب أي يبيّضونها». وفي ٩٦٩/١ — ٩٧٠ — مادة سقف: «السَّقْف طول في الخناء، يوصف به النعام وغيره، قال ابن السكيت ومنه اشتق أسقف النصارى لأنه يتخاشع، والصحيح أنه أعجمي الأصل.. والأسقف والأسقف والمُسقف الملك المتخاشع في مشيته أو العالم. وعند النصارى فوق القسيس ودون المطران، مُعرب إبِسْكَبس اليونانية ومعناه رقيب أو ناظر، وليس بعربي خلافاً لجمهور اللغويين من العرب. والأسقفية درجة الأسقف ورعيته وما يُنسب إليه».

كذلك أعطى جزءاً من اهتمامه اللهجات العرب القديمة (لغات العرب) فإذا صادفه لفظ خاص باحدى هذه اللهجات نسبه إليه نحو قوله في ١١٦/١: «وتميم تقول ما أدري أين بَكَع بمعنى أين يَقَع أي ذهب» وفي ١١٨/١ — مادة بَلَت: «المبَلَّت المُحَسَّن من الكلام، وقول الشاعر وما زوّجت إلا بمهر مُبَلَّت قالوا هو المهر المضمون بلغة حمير». وفي ١٢٣/١ — مادة بَلغ: «البالغاء الأكارع في لغة أهل المدينة» وفي ١٣١/١ — مادة بَنَى: «بَنَى الكلمة بناءً صاغها وألزمها البناء. والطائيون يقولون بُنِتَ عوضُ بُنِيت».

وفي ٥٧/١ — مادة أْبَى: «إِيَّان بكسر الهمزة لغة سليم حكاهما الفراء وبها قرأ السلمي: إِيَّان يُبْعَثون». وفي ٢٢١/١ — مادة جدد: «الجديد... ج جُدَّد بضميتين كما هو القياس، وجُدَّد بضم ففتح على لغة تميم وكلب، وعليها لغة العامة». وفي ٨٦٩ — مادة زعف: «الزعانف أجنحة السمك وكل جماعة ليس أصلهم واحداً ومنه قول الشاعر:

عرفنا جعفرأ وبني عُبيد وأنكرنا زعانف آخرين

وكسرنون من آخرين على لغة بعض العرب». وفي ١/٥٠: «الخَباع الخباء في لغة تميم.. وفي أن المصدرية عن إبدال الهمزة فيها عيناً ومن ذلك قول الشاعر:

أَعَنَ ترسَمَت من خرقاء مَرَلَة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

واهتمَّ بالمصطلحات العلمية من المفردات المعجمية اهتماماً لا حدَّ له خاصة إذا كان الاصطلاح ليس خاصاً بعلم واحد فيبين معناه اللغوي أولاً ثم ينتقل به إلى معانيه الاصطلاحية في كل علم يستعمله. ومن أمثلة الاصطلاحات قوله في ١/١٥ - مادة أذن: «الأذان في اللغة الإعلام مطلقاً وفي الشرع الإعلام على وجه مخصوص، وفي العُرف النداء إلى الصلاة، ويطلق على الألفاظ المخصوصة المعروفة».

وفي ١/٦٢ - مادة بتر: «بَتَرَ.. قطع.. الباتر.. القاطع. البتر عند العروضيين هو اجتماع القطع والحذف كما في نقل فاعلاتن إلى فَعْلُن..» وفي ١/٦٣ «البتلوجيا قسم من علم الطب يبحث عن تشخيص الأمراض وعلاماتها وأسبابها، يونانية مركبة من باثوس وجع ولوغوس كلام» وفي ١/٧٠ - مادة بدأ: «الابتداء الافتتاح ويطلق في عُرف العلماء على ذكر الشيء قبل المقصود وهو المسمى بالابتداء العُرفي، وعلى ما يكون ابتداء إلى جمع ما عداه وهو المسمى بالابتداء الحقيقي، أو بالنسبة إلى بعض ما عداه وهو المسمى بالابتداء الإضافي، ويطلق عند القراء ما يقابل الوقف. وعند العروضيين على الركن الأول من المصراع الثاني وعلى الزحاف الواقع في الصدر والابتداء عند النحاة وهو تحرير الاسم عن العوامل اللفظية الغير الزائدة للإسناد.. والمبدأ.. وكان ذلك في مبدئنا أي في أول حالنا، ويطلق المبدأ عند الحكماء على السبب.. والمبدأ الفيّاض هو الله تعالى وعند بعض الحكماء هو العقل الأول.. والمبادئ في اصطلاح العلماء تطلق على ما تتوقف عليه مسائل العلم.. والمبادئ العالية هي العقول والنفوس السماوية». وفي ١/١٣٢ مادة بنى: «البناء مصدر بَنَى والمبنى ج أبنية.. والبناء عند الفقهاء عدم تحديد التحريم الأخرى وإتمام ما بقي من الصلاة التي سبق للمصلي الحدث فيها بالتحريم الأولى ويقابله الاستئناف.

وعند الصرفيين والنحاة لزوم آخر الكلمة حالة واحدة لغير عامل أو اعتلال كلزوم حيث الضم وكيف للفتح.. ويُطلق البناء أيضاً على الهيئة الحاصلة للفظ باعتبار الحروف

وحر كاتها وسكناتها ويسمى بالصيغة والوزن أيضاً». وفي ٣٢٧/١ — باب جي: «الجيولوجيا علم يبحث عن طبقات الأرض وأسباب هيئتها الطبيعية، يونانية مركبة من جي آي، أرض ولوغوس أي كلام والمعنى كلام عن الأرض».

وفي ٣٤٧/١ — مادة حجج: «.. الحجة البرهان. وعند النظر أعظم منه لاختصاصه عندهم بيقين المقدمات، وما ثبتت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يسمى بيّنة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى حجة. وقيل الحجة مرادفه للدليل.. والحجة عند المحدثين هو الذي أحاط علمه بثلاثمائة ألف حديث متناً وإسناداً وبأحوال رواه جرحاً وتعديلاً وتاريخاً وعند السبعية هو المأذون عند غيبة الإمام. وتطلق الحجة عند العامة على صك البيع الذي يكتب للشاري» هذا غيظ من فيض قد يصادف أمثلة منه في أغلب صفحات محيط المحيط.

أما المسائل النحوية والصرفية والعروضية والبلاغية والثقافية والعلمية الأخرى فقد فاضت بها صفحات هذا المعجم حتى غلب عليه الطابع الموسوعي كالمعاجم العربية القديمة.

وتأتي المباحث النحوية غالباً مع الحروف كالهزمة كقوله فيها ٣/١: «تأتي حرف نداء للقريب وحرف استفهام.. وقد تخرج الهزمة عن الاستفهام الحقيقي فتأتي للتسوية.. وللإنكار..». وفعل الأمر نفسه مع الأباء وذكر معانيها النحوية وانظر كذلك حديثه عن إن في ٤٧/١: «إن على وجهين أحدهما أن تكون حرف توكيد ونصب.. وقد تدخل عليها ما الزائدة فتكفها عن العمل، وتخفف إن.. والثاني أن تكون حرف جواب بمعنى نعم.. ويجوز فتح همزة إن وكسرها...».

وفي ١٤/١ — ١٥ يتحدث عن إذ الظرفية وعن إذ ما الشرطية وعن إذن حرف الجواب. وفي ٤٩/١ يتحدث عن أو ومعانيها النحوية الأحد العشر. ومن غير الحروف أقتطف حديثه النحوي الصرفي (إعراباً ونسباً وتصغيراً) عن لفظ حصر موت في ٤٠٨/١: «حَصَرَ مَوْتُ وتضم الميم.. مركبة من اسمين جُعِلَا اسماً واحداً فبني صدرهما وهو حَضَرَ على الفتح وأعرب ثانيهما وهو مَوْتُ إعراب ما لا ينصرف على القياس فيقال هذه حَضَرَ

موتٌ وذهبت إلى حضرموت بالضم في الأول والفتح في الثاني غير منونين. وأجازوا إضافة الأول إلى الثاني فأعربوهما منصرفين فيقال هذه حَضْرُ موت برفع الصدر وخفض العجز مُنُوناً كما يفعلون في رام هرمز، والأول هو المشهور المطرّد في الاستعمال وعليه قول الشاعر:

فلو أن واشٍ باليمامةٍ دارُهُ وداري بأعلى حضرموت اهتدى لي

والنسبة إليها حضرميٌّ مقتطعاً من الجزئين كما قالوا عبشمي في النسبة إلى عبد شمس. والتصغير حُضِيرُ موت بفتح الراء على البناء وإجرائها على مقتضى العوامل على الإعراب، والجمع حضارمة». وفي مثال آخر حديثه عن خالٍ نحواً وصرفاً ولغةً في ٦١٤/١ — ٦١٥: «خال الشيء يخأله.. من باب عَلمَ ظَنَّهُ وهي من أفعال القلوب ينصب مفعولين» وتقول في مستقبله إخال بكسر الهمزة وهو الأفتح وهي لغة طيٍ وعليها قول الشاعر:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وبنو أسد يقولون أخال بالفتح وهو القياس «ومباحث النحو والصرف في المحيط تفوق الحصر.

أما المعلومات البلاغية فكثيرة أيضاً من حديثه عن اصطلاح البلاغة لغة واصطلاحاً «علم البلاغة» كقوله في ١٢٣/١ — ١٢٤: «البلاغة الفصاحة.. يوصف بها الكلام وعلم البلاغة يطلق على علم المعاني والبيان والبديع» وحديثه عن علم البيان عند أهل البيان علم يُعرف به إيراد المعنى لواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه وهو ينحصر في التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية..» وانظر حديثه عن الجناس وفنونه في ٢٩٨/١ — ٣٠٠.

وأقتطف جزءاً من حديثه عن المجاز في ٣١٧/١ — ٣١٨ — مادة جوز: «والمجاز عند أهل العربية خلاف الحقيقة، ويطلق عند أهل البيان على اللفظ المستعمل لغير ما وضع له.. المفرد منه يعرف بالمجاز اللغوي.. ولا بد له من علاقة بين المعنى المستعمل فيه والمعنى الموضوع له ليصح استعماله، والعلاقة قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها، فإن كانت

العلاقة غير المشابهة فهو مرسل وإلا فهو استعارة.. والمجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما هو بمعناه إلى ملابس له غير ماهو له، وذلك على تأويل غير الظاهر من ذلك الإسناد..».

وتعرض للعروض واصطلاحاته في كل لفظ له علاقة به كقوله مثلاً في ١٤٦/١ — مادة بيت: «وبيت الشعر هو ما اشتمل من النظم على مصراعين صدرًا وعجزًا.. وبيت القصيدة أحسن أبياتها الذي يحق له الاعتبار. ومن أنشأ قصيدة في مدح أحد لغرض أو حاجة له إلى الممدوح وذكر حاجته في بيت يقال لذلك البيت بيت القصيدة».

ومن اصطلاحات العروض التي أفاض في الحديث عنها مبحث الزحاف في ٨٥٨/١ — مادة زحف لقوله: «الزحاف عند العروضيين تغيير يلحق ثاني السبب الخفيف أو الثقيل وهو قد يكون بحذف الحرف كالحبن أو بحذف الحركة كالإضمار أو بحذفها جميعاً كالوقص فيصير فاعلن بالخبن فعُلن بحذف الألف ويصير متفاعلن بالإضمار مُتفاعلن بسكون التاء فينقل إلى مُستفعلن، وبالوقص مُفاعِلن بحذف التاء المتحركة فيكون قد حذف حرفاً وحركة، ويطلق الزحاف على هذا التغيير برمته، لأن أكثره يسقط فيه حرف من بين حرفين فيزحف ما قبله إلى ما بعده حتى يلتقي به، ج زحافات. وقد يجتمع في الجزء نوعان من الزحاف كالحبل في مستفعلن فإنه اسم لاجتماع الحبن وهو حذف السين مع الطي وهو حذف الفاء فيصير مُتعلُن فيُنقل إلى فعِلُن، ويقال للأول الزحاف المنفرد وللثاني الزحاف المزدوج».

ومن المعلومات الموسوعية الأخرى التي أضافها إلى المدخلات المعجمية غير معانيها اللغوية والاصطلاحية، كلامه على سبيل المثل عن الحديث الشريف، وما تطرق إليه من الحديث عن علم الحديث في مادة حدث ٣٥٦/١: «والحديث في اصطلاح المحدثين قول النبي ﷺ وحكاية فعله وتقريره، وفي الخلاصة: أو قول الصحابي (وهو الذي أدرك النبي) والتابعي (وهو الذي أدرك الصحابة) وقال في الكليات الحديث اسم من التحديث وهو الإخبار ثم سمي به قول أو فعل أو تقرير يُنسب إلى النبي ﷺ، ويجمع على أحاديث على خلاف القياس.. والحديث ما جاء عن النبي ﷺ والخبر ما جاء عن غيره، والأثر ما روي عن الصحابة، ويجوز إطلاقه على كلام النبي ﷺ. وعلم الحديث علم تُعرف به أقوال النبي

ﷺ وأفعاله وأحواله، وقيل هو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة ٣٥٧/١ والمحدث اسم فاعل من التحديث، وعند المحدثين من تحمّل الحديث رواية واعتنى به دراية، والمحدث اسم مفعول من التحديث وعند المحدثين الصادق في ظنه وفراسته والمُلهَم من الله تعالى. وفي الحديث إن النبي ﷺ قال: «إن في كل أمة محدّثين...».

ومن علوم النبات حديثه عن الثوم وأنواعه وصفاته وطعومه في ٢٠٤/١ — مادة ثوم: «الثم نبات دقيق العرق والساعد يطول دون ذراع وتتولد له في الأرض فصوص كثيرة متلاصقة وهو شديد الحرافة قوي الرائحة محلل للرياح. وقد تكون تلك الفصوص صغيرة جداً لا ينفرك عنها القشر، وقد تكون قطعة واحدة. والأول يُقال له الشامي والثاني مصري والثالث جبلي. ومن الثوم البستاني المعروف. ومنه الثوم الكرّاثي والثوم البرّي وهو المسمّى ثوم الحية فيه مرارة وقبض. والكرّاثي مركّب القوة من الثوم والكرّاث. وبعض العامة يقول الثوم بالمشناة. الثومة الواحدة الثوم...».

ومن المعلومات التاريخية ما جاء في ٥١٩/١ — مادة خراج، عن الخوارج بقوله «صاروا في الإسلام يجعلون الخارجي من خالف السلطان والجماعة، ومن كان معتقداً بمذهب الخوارج وهم سبع فرق من كبار الفرق الإسلامية وهي الأباضية وهم أتباع أباض التميمي والمحكمة والبيهسية والأزارقة والنجدات والصفيرية والعجاردة...» كذلك في هذه المادة ٥١٩/١ مبحث عن الخُراج وأنواعه بقوله: الخُراج مثلثة الخاء الإتاوة، وأصله ما يخرج من غلة الأرض والعبد. ومنه الخراج بالضمان.. ثم سمي ما يأخذه السلطان خراجاً فيقع على الضريبة والحزبة ومال الفيء، وفي الغالب يُخصّ بالضريبة الأرض، وخراج الأراضي نوعان خراج مقاسمة وهو جزء معيّن من غلة الأرض كالربع والثلث.. والخراج عند العامة مسح الأرض لأجل ترتيب الأموال السلطانية. وخراج توظيف ويسمى خراج الوظيفة أو المواظفه وهو شيء معيّن من النقود أو الطعام يوضع الإمام عليه كما وضع عمر على سواد العراق لكل جريب صاعاً من بُر أو شعير...».

وفي ظني أن النماذج السابقة فيها دلالة كافية على اهتمام صاحب المحيط بإيراد ما تيسر له من معلومات موسوعية يستحضرها بعد المعاني اللغوية للمفردات أو المداخل المعجمية.

وانتقل بعد ذلك إلى الأعلام التي كان يحرص على التعريف بها ورواية ما يعرض لها من حكايات أو نوادر كقوله في ٢٦٥/١ — مادة حذم: « وحَذام مبنية على الكسر كقطام عَلَمًا لامرأة أو مُعَرَّبَةٌ غير منصرفة كسكاب عَلَمًا لفرس، هي المرأة الملقبة بزرقاء اليمامة يُضْرَبُ بها المثل في حدة البَصَرِ فيقال هو أبصر من الزرقاء، ومنه قول الحريري إن عندنا خبراً أغرب من العنقاء وأعجب من نظر الزرقاء، وذلك أنها في ما قيل كانت تبصر مسافة ثلاثة أيام وكان حسان بن ثُبَّع الحميري قد أغار على قومها بني جديس وأراد أن يغتالهم من حيث لا يعلمون فحمل أشجاراً في وجه قومه لئلا تراهم الزرقاء فتندر قومها. وكان قد نما الخبر إلى جديس فصعدت الزرقاء إلى حصن لهم يقال له الكلب ونظرت الأشجار تسعى فقالت:

أقسم بالله لقد دبَّ الشجر أو حميرٌ قد أخذت شيئاً يُجر

فلم يصدقوها حتى طرقتهم حسان، وفتك بهم فتكاً ذريعاً ففيل البيت المشهور:

ولولا المزعجات من الليالي لما عاف القطايب المنام

وقيل إنها تُعرب منصرفة كسحاب، والظاهر أنه تصحيف سكاب..». وفي ٤٦٣/١ — مادة حنب: « الحنبل القصير والفرو أو الخلق منه أو الخفُّ الخلق والبحر والضخم البطن. وأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني صاحب المذهب وإمام السُّنة، وتابعه حنبلي ج حنابلة؟. وفي ٤٦٩/١ تحدث عن حنين الأعرابي صاحب الحُفْنين وعن حنين المكان والغزوة، وعن حنين الطبيب فقال يحكي حكاية أخرى عن حنين صاحب الحُفْنين: « قال ابن السكيت عن أبي اليقظان كان حنين رجلاً شديداً ادَّعى إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف. فأتى المطلب وعليه خُفَّان أحمران فقال: يا عم أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع؛

فقالوا: رجع حنين بخفيته. فصار مثلاً. وحنين واد بين مكة والطائف حارب المسلمون فيه المسلمون فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة، وعليه في سورة براءة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾^(١). وحنين بن إسحق كان من أجل علماء الطب في عصره وضع كتاباً في هذه الصناعة نظراً وعملاً وجعله على طريق السؤال والجواب، ولذلك يقال له كتاب مسائل حنين. وأتى بعده ابن أخته وتلميذه حبيش الأعسم فزاد فيه زيادات مهمة، ثم انتدب لشرحه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن أبي صادق النيسابوري فشرحه شرحاً مستوفياً في مجلدين كبيرين، وهو من عمدة كتب الطب العربي..».

ومن عناصر نص المحيط المعجمي الاحتجاج الذي التزم فيه البستاني بحدود الاحتجاج حين استشهد بغير حدود ودون أي تحفظ بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف ولكنه تجاوز حدوده في الاستشهاد بكلام العرب من النثر والشعر.

أما الشعر فلم يتقيد بحدوده الزمانية وبالتالي المكانية المعهودة لدى المعاجم العربية القديمة فقد استشهد بالشعر الجاهلي منذ كليب بن وائل وامرئ القيس وعدي بن زيد وأبي دؤاد الإيادي والنابعة وطرفة والأعشى، وبشعر المخضرمين كحسان بن ثابت والإسلاميين كالفرزدق والأخطل وجريز، وأبي عطاء السندي وبشعر العباسيين كبشار بن برد وأبي تمام واستكثر بصورة لافتة من الاستشهاد بشعر المتنبي.

واحتج بشعر أبي الفتح البستي وأبي العلاء المعري وابن سينا وابن الفارض وصفي الدين الحلبي وصلاح الدين الصفدي وعبد الغني النابلسي كذلك احتج بشعر مجهول القائل ولشعراء مغمورين كزياد بن حمل وسابق البربري وحنش بن مالك وشعيب بن عبد الله أو لشعراء مجهولين كقوله قال رجل حميري أو كقول بعضهم.

أما أقوال العرب وأمثالهم، قديماً وحديثاً، فحاضرة تحت يده حين يعوزه الاستشهاد، وقد فعل ذلك في أقوال فصحاء العرب القدامى حيث اختار قولاً للسيدة عائشة يحتج به على أن البنات قد تعني التماثيل بقوله في ١/١٣٢: «البنات أيضاً التماثيل

الصغار تلعب بها الجوّاري، وفي حديث عائشة كنت ألعب مع الجوّاري بالبنات « وفي ٢٢٧/١ ينقل « قول الحباب بن المنذر أنا جُذيلها المُحكِّك وعُذيقها المرجَّب » شاهداً على أن الجذل هو عود ينصب للفصال (جمع فصيل) الجربى لتحتك به » وكذلك في ٤١٤/١ يحتج لقول عربي قديم بقوله: « والعرب يقولون للرجل القليل الخير إنه لنكد الحظيرة، قال أبو عبيد أراهم سمّوا أمواله حظيرة لأنه حظرها عنده ومنعها ». وقد يستشهد بالمثل العربي القديم ويذكر قائله إن كان له قائل ويبين دلالة وقصة ضربه كما في ٢٣٩/١ حين يقول: « الجريض الرّيق الذي يُغصّ به، وربما كُنّي به عن الغم والغصص ومنه المثل: حال الجريض دون القريض يُضرب لأمر يعوق دونه عائق، أول من قاله جوشن بن قنفذ الكلّابي حين منعه أبوه من الشعر فجاش صدره ومرض حزناً فرق له وقد أشرف على الهلاك وقال انطق بما أحببت، فقال حال الجريض دون القريض ». وأما لجوؤه إلى أقوال العامة حديثاً فمنه قوله في ٧٢/١ « البدرى من شهد بدرًا ومن الغيث ما كان قبيل الشتاء، ومنه قول العامة جئت بدرى أي باكراً » وفي ١٣٣/١: « وبهت اللون يبهت ضَعْف فهو باهت من كلام العامة ».

بقي علينا أن نقوم بجولة على صفحات الكتاب لالتقاط مصادره من أسماء العلماء واللغويين الذين نقل أقوالهم وآراءهم غير الفيروز آبادي في القاموس والصحاح للجوهري وأذكرهم حسب ورود أسمائهم في المحيط غير مرتبين تاريخياً كالبيضاوي والسيد الجرجاني في التعريفات والكوفيين ومنهم الكسائي والفراء والبصريين ومنهم سيبويه والبغداديين وابن السكيت وابن السري (ابن السراج) والمطرزي، والزمخشري وابن دريد وغيرهم. والحقيقة أنه ليس من مهمتنا حصر مراجعه وإحصائها، ولكن تكفي الإشارة إلى تنوع مراجعه؛ نظراً لتنوع ما أورده في معجمه من معلومات لغوية وتاريخية ودينية وعلمية أخرى. وأود التنويه كذلك بأن محيط المحيط، باعتماده المستعمل في عصره من مفردات اللغة ومصطلحاتها مع فصيح اللغة المجموع من معاجمها القديمة، قد اقتدى بابن دريد في جمهرة اللغة الذي التفت هو الآخر إلى المستعمل في عصره وإن كان غير فصيح؛ فكان محيط المحيط كما يقول فرحات الدريسي « يمثل ظهور حركة إحيائية معجمية جديدة توفّق بين التّزعة المقيّدة بماضي المعجم العربي ونزعة التحرر أو التجديد المطلقة ».

٣-٤-٥ المعجم الوسيط

هو أول حلقة في التأليف المعجمي الجماعي عند العرب، وكأنه مع المعجم الكبير رد مباشر على مصطفى الشهابي الذي رأى أن العمل المعجمي العربي تنقصه عناصر أساسية يتصدّرها العمل الجماعي من ذوي الاختصاص في التأليف المعجمي (انظر، مجلة المقتطف العدد ٩٧ / ١٩٤٠ — ص ٢٥٢ — ٢٥٧). وقد يكون فيه الاستجابة العملية لدعوات التجديد، منهجياً وموضوعياً، في التصنيف المعجمي، الذي يجب أن يتناسب والمعطيات العصرية في تأليف المعاجم، وهي دعوات وملاحظات ومآخذ سجّلها ابن الطيب الفاسي (ت ١٧٦١م) في إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس، وأحمد بن فارس الشدياق (ت ١٨٨٨م) في الجاسوس على القاموس وإذا كان البستاني (ت ١٨٨٣م) قد استطاع أن يتلافى كثيراً من هذه المآخذ في محيط المحيط بما التزم به من ترتيب خارجي أولاً وداخلي ثانياً، فإن المعجم الوسيط قد جعل منها مبادئ بما طُبّق فيه من إحكام في الترتيب والتبويب، وبما احتواه من عناصر التقليد والتجديد.

وبدأت الخطوات الأولى في تأليف المعجم الوسيط حين اتفق مجمع اللغة العربية في القاهرة مع وزارة المعارف المصرية على أن من أهم الوسائل لإنهاض اللغة وضع معجم يقدّم إلى القارئ المثقّف ما يحتاج إليه من مواد لغوية، في أسلوب واضح، قريب المأخذ، سهل التناول. واتفق على أن يسمى هذا المعجم «المعجم الوسيط» بعد المعجم الكبير الذي صدر الجزء التجريبي منه عام ١٩٥٦م، وكُلّ المجمع إلى لجنة من أعضائه وضع هذا المعجم «(ص ١٢ من مقدّمة الطبعة الأولى)، وقد تداولت على طباعته ثلاث لجان، وفي مقدّمة الطبعة الثانية — ص ٥ يذكر أعضاء اللجنة «إن المجمع أراد لهذا المعجم أن يفي بالحاجة إلى معرفة ألفاظ العربية ودلالاتها المختلفة فكان من همّ لجان الإعداد والتحرير، للوفاء بذلك، أن تحشد ما يمكن أن يتسع له مثل هذا المعجم من الألفاظ لتحقيق غرضين، أحدهما: أن يرجع إليه القارئ المثقف ليسعفه بما يسد الحاجة إلى تحرير الدلالة للفظ شائع أو مصطلح متعارف عليه.

والغرض الآخر: أن يرجع إليه الباحث والدارس لإساعتهما بما تمس الحاجة إليه من فهم نص قديم من المنشور والمنظوم». وسلكت اللجنة منهجاً رسمه مجلس المجمع استفاد واضعوه من التجارب المعجمية السابقة بإهمالهم سلباتها من الخلط والاضطراب في الترتيب الداخلي واعتمادهم سهولة الترتيب الخارجي وتنظيم المشتقات والمعاني عدا ما حرصت عليه اللجنة من استرشادها بالقرارات اللغوية التي اتخذها المجمع؛ مما أستطيع معه القول بأن المعجم الوسيط قد جمع بين عناصر المحافظة وعناصر التجديد. وعناصر المحافظة يمثّلها أولاً الترتيب الأبجدي حسب الحرف الأول لجذور المداخل المعجمية الذي بدأه الشيباني في الجيم دون ترتيب للمداخل في الباب وتابعه فيه ابن دريد في الجمهرة وابن فارس في المقاييس وطوّره كلاهما حسب طريقته، ولكنه استقر وانتظم على يد الزمخشري في أساس البلاغة الذي رتب مداخله حسب الحرف الأول فالثاني فالثالث من الجذر وحديثاً سارت على هذا النهج معاجم محيط المحيط سنة ١٨٦٩م ومختصره قطر المحيط، وأقرب الموارد سنة ١٨٨٩م، ١٨٩٤م، ومعجم متن اللغة سنة ١٩٥٨م. وعليه فإن ترتيب المعجم الوسيط (ط ١، ١٩٦٠م) حسب الجذور وأوائلها لا جديد فيه؛ قياساً على ما تلاه من تأليف معجمي كالمراجع ١٩٦١م، والرائد ١٩٦٥م، ولا روس المعجم العربي الحديث ١٩٧٨م على الطريقة الفرنجية التي لا تأبه بجذر الكلمة ولا باشتقاقها وإنما بنطقها الكامل، وهذا العنصر من المحافظة يشبهه ويوضحه الدكتور إبراهيم مذكور بقوله في تصدير الطبعة الثانية (ص ٣، ٤): «في وسعنا أن نقرر أنه استقام لجمعنا منهج في التأليف المعجمي يتمشى مع طبيعة اللغة العربية.. فهي لغة اشتقاقية تقوم على أسر من الكلمات وليس من الملائم أن نفرّق شمل هذه الأسر، وأن نوزع أفرادها بين جنبات المعجم، لا لشيء اللهم إلا محاكاة لترتيب أبجدي صرف يلائم بعض اللغات الأخرى، وفي هذا التوزيع ما يهدم وحدة المادة ما يقضي على أصول الدلالات وفقه اللغة، وما يحول دون الفهم الدقيق.. وفي حدود المادة يجب أن نبوّب في عناية، وأن نلتزم الترتيب الأبجدي في الدقة، فنيسرّ في غير بلبلّة، ونجدّد في غير شطط، ولا أدل على هذا من أن المجمع التزم في منهجه بوضع الكلمات المعربة في ترتيبها الهجائي، لأنها ليست لها في العربية أصول تنتمي إليها..».

ومن عناصر المحافظة كذلك في المعجم الوسيط الاحتجاج بالنصوص العربية عند بيان معاني المفردات، حيث استشهد بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأمثال العرب وأقوالهم، فضلاً عن شعرهم، وهو عنصر عبّر عنه الدكتور إبراهيم مذكور أيضاً في مقدمة الطبعة الأولى للمعجم بقوله في ص ١٣: «واستعانت اللجنة في شرحها للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها، وعزّزته بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية، والتراكيب البلاغية الماثورة من فصحاء الكتاب والشعراء...».

واعتمد واضعو المعجم الوسيط فيما أجروه من تحديد في مضامين المداخل وأقيستها على القرارات التي تبناها مجمع اللغة العربية في القاهرة منها (كما جاءت في ص ١٢ من مقدمة الطبعة الأولى):

- ١- فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق وتجوّز وارتجال.
- ٢- إطلاق القياس، ليشمل ما قيس من قبل وما لم يُقَس.
- ٣- تحرير السماع من قيود الزمان والمكان، ليشمل ما يُسمع اليوم من طوائف المجتمع.
- ٤- الاعتداد بالألفاظ المولدة، وتسويتها بالألفاظ الماثورة عن القدماء.

فكان من عناصر التجديد في المعجم الوسيط عدم الالتزام بقيود الزمان والمكان في الاحتجاج وإطلاق الاستشهاد ليشمل نثر العرب وشعرهم قديماً وحديثاً، ويعبّر عن ذلك الدكتور مذكور بـ «كل وضوح وصراحة حين يقول في تصدير الطبعة الأولى ص ٨: «إن اللغة ماضياً وحاضراً فلها قديمها الموروث، وحاضرها الحي الناطق، ولا بد أن يلاحظ ذلك في وضع معجم جديد للغة العربية.. فيستشهد فيه بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي أنشئ فيه وثبتت الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور، وفرضها تقدّم الحضارة ورقى العلم» ويجعل واضعو المعجم هذا الأمر من مميزات المعجم الوسيط كما جاء في ص ١١ من مقدمة الطبعة الأولى قولهم: «المعاجم الأخرى، سواء منها القلم والحديث، قد وقفت باللغة عند حدود معينة من المكان والزمان لا تتعدها، فالحدود

المكانية شبه جزيرة العرب، والحدود الزمانية آخر المائة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار، وآخر المائة الرابعة لأعراب البوادي».

وكان لجنة وضع هذا المعجم بقولها هذا لم تطلع على محيط المحيط الذي حرّر صاحبه الاستشهاد من قيود الزمان والمكان فاحتج بشعر أبي تمام والمنتبي وأبي الفتح البستي وأبي العلاء المعري وصفي الدين الحلبي وعبد الغني النابلسي؛ وعليه فالجديد في هذا الأمر هو تبنيّه من مؤسسة عربية رسمية كمجمع اللغة العربية في القاهرة، وتنفيذه في معجم صادر عنه ويحمل اسمه.

كذلك رأت اللجنة أن من أهم وسائل تطوير اللغة وتنميتها وتوسيع دائرتها أن تدخل في متن المعجم ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثّة أو المَعْرَبَة أو الدخيلة، التي أقرها المجمع، وارتضاها الأدباء، فتحرّكت بها ألسنتهم، وجرت بها أقلامهم، وهو أمر قدّم فالمعاجم القديمة احتوت على ما يفوق الحصر من المعربات والدخيل من الألفاظ، والمولّد خاصة المتأخر منها، ولكن الجديد فيه ما أقرّه مجلس المجمع من ألفاظ مستحدثة أو مصطلحات جديدة في مختلف العلوم والفنون، وهو أمر كذلك ليس جديداً على إطلاقه فمحيط المحيط قد اعتنى بالمصطلحات الجديدة والألفاظ المستحدثة والمولدة في زمانه.

أما إطلاق القياس فراعت لجنة المعجم في صياغتها لمواد المعجم ما أقرّه المجمع من قرارات فقبلت الألفاظ والصيغ والأساليب التي اجتهد في صياغتها المحدثون من اللغويين والهيئات اللغوية أو ممن شاع على ألسنة الكتاب والشعراء والأدباء المعاصرين وهو أمر نبه إليه الشدياق في الجاسوس على القاموس. وقد نصّت اللجنة في ص ١٣، ١٤ على ما اختارته اللجنة من أبواب الأفعال والمصادر والمشتقات، وأقيسة المطاوعة والتعديّة والجموع. وتبقى الإشارة إلى ما حرصت اللجنة على الاعتناء به في تحرير نص المعجم الوسيط من ضبط دقيق ورسم موحد للحروف وسهولة واختصار في الشرح وتعريف علمي والتوضيح بالصور لأصناف من النبات والحيوان والأجهزة مما سأقوم بتفصيله في مكانه.

والآن أعود إلى أبرز إضافة وأظهر تحديد في المعجم الوسيط وهو منهجه في الترتيب الداخلي للمواد وهو ما نصت عليه اللجنة في ص ١٤، وص ١٥ من مقدمة الطبعة الأولى والتزمت به بقولهم: « ويتلخص المنهج الذي نهجته اللجنة في ترتيب مواد المعجم فيما يأتي:

- ١- تقديم الأفعال على الأسماء.
 - ٢- تقديم المجرد على المزيد من الأفعال.
 - ٣- تقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي.
 - ٤- تقديم الفعل اللازم على الفعل المتعدي.
 - ٥- رتب الأفعال على النحو الآتي:
 - أ. الفعل الثلاثي المجرد: فَعَلَ: يَفْعُلُ، يَفْعَلُ، يَفْعَلِ.
 - فعل: يَفْعُلُ، يَفْعَلُ، يَفْعَلِ.
 - ب. رتب الفعل المزيد ترتيباً هجائياً على الوجه الآتي:
 ١. الثلاثي المزيد بحرف: أَفْعَلُ، فاعَلْ، فَعَّلَ.
 ٢. الثلاثي المزيد بحرفين: افْتَعَلَ، فاعَلْ، فَعَّلَ.
 - ج. الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف: افْتَعَلَ، انْفَعَلَ، تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ، افْعَلْ.
 - د. الرباعي المزيد بحرف: تَفَعَّلَ. مع ترتيب ما ألحق بالرباعي، ومضعفه.
- أما الأسماء فقد رتب ترتيباً هجائياً، ومما يلحق بهذا التنظيم ما استعملته اللجنة من رموز للضبط والتنظيم والاختصار وهي:

- ١- (ج) للجمع.
- ٢- (ـ، ـ، ـ) لبيان ضبط عين المضارع.
- ٣- (و) للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد.
- ٤- (مو) وهو اللفظ الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية.
- ٥- (مع) للمعرب وهو اللفظ الأجنبي الذي غيَّره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب.
- ٦- (د) للدخيل، وهو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير كالأكسجين.

٧- (مج) للفظ الذي أقره مجمع اللغة العربية.

٨- (محدثه) للفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامة.

ووزع الحروف على أبواب فجعل لكل حرف باباً تبدأ بياب الهمزة وتنتهي بياب الياء، فاشتمل المعجم الوسيط على ٣٠ ألف كلمة.

ومن عاداته أن يبدأ باب كل حرف بموقعه في الألفبائية ويثني بيان مخرجه على المدرج الصوتي، وصفته وينتقل إلى بيان وظائفه النحوية ودلالاته الصرفية كقوله مثلاً في باب الباء عن هذا الحرف: «الحرف الثاني من حروف الهجاء، ومخرجه من بين الشفتين وهو مجهور شديد. وهو من حروف المعاني فيجر الاسم بعده، ومن معانيه: الاستعانة مثل كتبت بالقلم. والسببية مثل أخذ بذنبه. والظرفية «لقد نصركم الله بيدر» والإلصاق ونحوه مثل: أمسكت بالقلم، وأخذت برأيك، والقسم مثل أقسم بالله، وتكون للتعدية مثل: ذهبت به».

يبدأ بعد ذلك بالمداخل التي يضعها بين هلالين وبعدهما شارحه (نقطتان) ثم المعنى ويضع الحركات على ما يحتاج إلى ضبط من بنية المدخل أو معناه مثل: (الآجر) ج ١/١ من باب الهمزة: اللين المحرق المعد للبناء، وفيه لغات (مع). وقد يذكر المدخل ويحيل إلى مكانه في الترتيب إذا لم يكن موضعه حينها، نحو: (الآح): انظر: (أى ح). (آدم): انظر (أ د م). أما الآيات الكريمة فيلتزم المعجم بضبط كلماتها بالحركات كما في ١٩/١: «وفي التريل العزيز: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ فُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾^(١)، ويفعل الشيء نفسه مع الأحاديث الشريفة كما في ٤٨/١: «وفي الحديث: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ». كذلك ينطبق هذا التصرف مع الشواهد الشعرية نحو ما جاء في ٦٥/١: «قال ساعدة بن جؤيئة الهذلي:

وَلَكِنَّمَا أَهْلِي بِـأَوَادٍ أُنَيْسُهُ سِبَاغٌ تَبَغَّى النَّاسَ مَشْنَى وَمَوْحَدًا

(١) ٢٨٦ - البقرة.

والأمثال عوملت كذلك كما في ١١٦/١: « وفي المثل: » في الجريرة تشترك العشيّة». ويبدو أنه لم يستعمل وسيلة أخرى للضبط غير وضع الحركات على بنية الكلمة. وانتقل الآن إلى وسائل وأساليب المعجم في أداء المعنى. ولا بد من الإشارة إلى أنه قد يكون المدخل اسماً، وقد يكون فعلاً وأبداً بأداء معاني الأسماء التي تحتاج إلى تعريف ومن أمثلة ذلك في ١/١ من باب الهمزة: «(الآذريون): نبات زهريّ خريفي، زهره أصفر أو أحمر ذهبيّ في وسطه خمل أسود، وهو من فصيلة المركبات الأنثوية من جنس كاندولا. (مع). وفي ٧١/١ — من باب الباب: « (بنكنوت): أوراق مصرفية رسمية مطبوعة يتعامل بها الناس بدلاً من النقد، وأول من اتخذها الصينيون (د).

وفي ١١٥/١ — باب الجيم: « (التجريدية): (من الناحية الفنية): اتجاه حديث يقوم على تصوير فكرة الفنان أو شعوره تصويراً لا يعتمد على محاكاة لموضوع معيّن مع استخدام الألوان أو الأشكال الهندسية أو الأنغام الموسيقية. (مع)».

وفي باب الحاء ١٩٣/١: (الحلقوم): تجويف خلف تجويف الفم، وفيه ست فتحات. فتحة الفم الخلفية، وفتحتا المنخرين، وفتحتا الأذنين، وفتحة الخنجرّة وهي مجرى الطعام والشراب والنفس (ج). وفي ٢٢٦/١ — باب الخاء: « (الخرسانة): خلطٌ من الإسمنت والحجر والرمل، وهو من مواد البناء. وإذا أضيف إلى هذا الخلط الحديد فهي الخرسانة المسلّحة. (محدثة). وفي ٢٧٨/١ — باب الدال: « (الدردية): ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان ». وفي ٣١٧/١ — باب الذال: « (الذود): القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر (مؤنث)، وفي الحديث: «ليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة ». وفي ٣٣٧/١ — باب الراء: «(الرّخو) — (من الأصوات) صوتٌ عند مخرجه ينحبس الهواء انحباساً ناقصاً يسمح بمرور الهواء، مُحدثاً حركة احتكاكية تسمى بالرخاوة، كالزاي والسين مثلاً ».

وفي ٣٩١/١ — باب الزاي: (الزخرفة): فنٌ تزيين الأشياء بالنقش أو التطريز أو التطعيم وغير ذلك ». وفي ٤٣٠/١ — باب السين: « (التسعير الجبري): أن تحدّد الدولة بما لها من السلطة العامّة ثمناً رسمياً للسّلع، لا يجوز للبائع أن يتعدها » (مع).

وفي ٥١٢/١ — باب الصاد: (الصاروخ): قذيفة نارية أسطوانية الشكل مخروطية تقذف إلى مسافات بعيدة بتأثير انفجارات الغازات التي تندفع من أسفل الاسطوانة. (مج)
وفي ٥٤٦/١ — باب الضاد: (الضوَّطار): من يدخل السوق، وليس معه رأس مال، فيحتال للكسب.».

ومن الأسماء ما لا يحتاج إلى تعريف ويمكن الإحاطة بمعناه ومحتواه بوضع مرادف له أوضح منه من كلمة أو أكثر، يكون أقرب إلى ما يسمى الترجمة من لغة إلى أخرى، نحو قوله في ٢/١ — باب الهمزة: (الأبْدُ): الدهر..». وفي ٤/١: «(الأتان): الحمارة.. (الأتون): الموقد الكبير..». وفي ٣٧/١ — باب الباء: «(البتعُ): نبيذ العسل». وفي ١٠٦/١ — باب الجيم: «(الأحبةُ): الأسد. (الجُبَّةُ): الجبان. (الجُثَّةُ): الجَسَدُ». وفي ٢١٩/١ — باب الخاء: «(الخجخاجة): الأحمق (الخَيْدَبُ): الطريق الواضح». وفي ٢٩٤/١ — باب الدال (الدليل): المرشد. (الدُّلْمُ): الفيل.. (الدُّلْسُ): الداهية.».

وقد ترد الترجمة مع الأفعال أيضاً نحو ما في ٦/١ — باب الهمزة: «(أَثَلَ) — أثولاً: تأصل وقدم». وفي ٧/١ — باب الهمزة: (استأَحَدَ): انفراد. وفي ١٠/١ — باب الهمزة: (تَأَدَّدَ): تشدَّد. وفي ٣٧/١ — باب الباء: (انبتر): انقطع. وفي ٣٩/١ — باب الباء: (تبجَّسَ): تفجَّر وفي ١٠٢/١ — باب الثاء: (تثوَّبَ): تطوَّع للخير. وفي ١٢٢/١ — باب الجيم: (جَسَّرَهُ): شجَّعَهُ. وفي ١٦٢/١ — باب الحاء (تَحَدَّمُ): تحرق. وفي ٢١٨/١ — باب الخاء: (ختعر): اضمحل. وفي ٢٩٤/١ — باب الدال: (تدلَّقَ): اندفع.

وقد يورد المعجم أكثر من معنى للمدخل المعجمي إذا كان من المشترك اللفظي والأمثلة كثيرة ومنها ٣٦/١ — باب الباء: (البأسُ): الشدَّة في الحرب. و — الحرب. و — العذاب الشديد. و — الخوف... (البأساء): المشقَّة. و — الفقر. و — الحرب. و — الداهية. (البؤس): المشقَّة. و — الفقر.

وقد توضع الأسماء أقصد (المدخلات المعجمية الاسمية) في سياقات لغوية نحوية (إسنادية وغير إسنادية بالوصف والإضافة وبالجار والمجرور) وذلك بعد بيان معناه، وقد وقع كثير منه كما في ٣٩/١ — باب الباء: (البَحْتُ): الصَّرْف الخالص لا يخالطه غيره.

يقال: شراب بحت: غير ممزوج. وخُبز بحت: غير مأدوم. وعَرَبِي بحت: خالص النسب.. وأكل اللحم بحتاً: بغير خُبز.. « وفي ٢٠٠/١ — باب الحاء: (الحميم): الجمرُ يتبخَّر به. و — القَيْظ. و — المِطْل الذي يأتي بعد أن يشتد الحر. و — الماء الحارُّ. وفي الترتيل العزيز ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ^(١). و — العَرَق. و — القريب الذي تَوَدُّهُ وَيُوَدُّكَ. والحميم بالحاجة: الكلفُ بها. (ج) أَحْمَاء. « ومن المفردات المعجمية الاسمية ما لا يظهر معناه إلا من خلال سياق وصفي أو إضافي أو إسنادي كما في ٢٦٩/١ — باب الدال: « (الدَّيَّاجَة): ديباجة الوجه: حُسن بشرته، وديباجة الكتاب: فاتحته. ويقال: لكلامه وشعره وكتابه ديباجة حسنة: أسلوب حسن. الديباجتان: الخدَّان. تقول: هو يصون ديباجتيه. وديباجة في القضاء: ما يُصدَّر به الحكم من ذكر المحكمة ومكانها وقضاها وتاريخ صدورها (مع) و — (في القانون الدولي): ديباجة المعاهدة مقدمة تتضمن ذكر الدواعي التي دعت إلى عقدها (مع).

أما إذا بدأ المدخل بالفعل فإنه يتبعه بمشتقاته، ويذكر معنى الفعل بعد المشتقات مباشرة، وقد يسوقه في تراكيب لبيان معانيه الأخرى نحو ما جاء في ٦/١ — باب الهمزة: (أَجَّت) النار — أَجًّا، وأجيجاً، وأَجَّة: تلهَّبت وتوقَّدت، وكان للهبها صوت. ويقال: مرَّ يَوْجٌ في سيره: إذا كان له حفيف كحفيف اللهب. وسمعت أَجَّة القوم: حفيف مشيهم اضطرابهم. و — الشيء: لَمَعَ وتوهَّج. و — النهار: اشتد حرُّه. و — الأمر: اختلط. و — الماء أجوجاً، وأجوجة: مَلُح ومرَّ. (أَجَّج) النار: ألهبها. و — بينهم الشرُّ: أوقده وأثاره. و — الماء: جعله أجاجاً. (مع) .. و — النهار: اشتد حرُّه...

وقد يُعدَّى الفعل بحروف الجر بعد بيان معناه اللازم كقوله في ٣٥٦/١ — باب الراء: « (رَغِبَ) فلان — رَغْباً، ورُغْبَةً، ورُغْبَةً: حرص على الشيء وطمع فيه. و — إليه: ابتهل وضرع وطلب. ويقال رَغِبَ إليه في كذا وكذا: سأله إياه. و — عن الشيء: تركه متعمداً وزهد فيه. و — بنفسه عن الشيء — ترفع عنه. و — بنفسه

(١) ٢٤ - ٢٥ - النبأ.

عن فلان: رأى لنفسه عليه فضلاً. و — بفلان عن كذا: ربأبه عنه. ويقال: رغب رأيه أحسن الرغب: كان سخيًا واسع الرأي. و — الشيء وفيه: أراد.»

وقد يؤدي المعجم معنى المفردة بضدها أو بخلافها، وإن كان في ندرة، كقوله مثلاً في ٢٩/١: «(الإنس): خلاف الجن. وفي ١٤١/١: (الجن): خلاف الإنس. وفي ١٧٤/١: (الحسنة): ضد السيئة من قول أو فعل.» وفي ٦٣/١: (بعُد): ضد قُرْب. و(بعُد): نقيض قبل.»

وبقيت الوسيلة الجديدة في أداء المعاني وهو التوضيح بالرسم والصورة للنباتات كالآس والبردى والنج والآنسون والأرطي والأراك والأقحوان والأدوات كالإبريق والإبريم والمبضع والبكرة والثرس، والحيوانات كعجل الأيس والإبل وابن آوى والأيل والحيوانات البحرية كالأخطبوط والإسفنج والأنشوجة والطيور كالذُرَّاج والبجعة والحبارى والآلات كالسفينة والدبابة والدراجة والزواحف كالثعابين والنمل الأحمر وأعضاء الجسم البشري كالرئة والزندان والذراع والإصبع. وقد بلغت الصور فيه ٦٠٠ صورة.

ومن العناصر اللافتة للنظر في المعجم هو هذه الألفاظ المعربة والدخيلة والمولدة والمحدثة والألفاظ التي أقرها الجمع، وعرفها ووضع لها رموزها وقد بلغت، دون المعرب، كما أحصاها الدكتور عبد العزيز مطر ٢٧٠٦ ألفاظ بنسبة ٩%. ومن المعربات التي ذكرها ورمز لها بـ «مع» أذكر في ١/١: «الآجر»، و «الآذريون»، وفي ٢/١: «الإبريسم»، «الإبريق»، «الأُبرا»، «الإبريز»، «الإبريم» وفي ٣/١ إبليس وفي ١ / ٤ الأُتْرُج شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء (مع). وفي ٧/١: «الإجاص» و«الإجانة»: إناء تُغسل فيه الثياب. و — الحوض حول الشجرة «على التشبيه» ج أجاجين. (مع). وفي ٩ / ١: (الإخشيد): لقب ملوك فرغانة، ومعناه ملك الملوك و — لقب محمد بن طُغج الذي تولّى إمارة مصر عام ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م. لأن آبائه من ملوك فرغانة. وفي ١٣/١: (الإردب): مكيال يسع أربعة وعشرين صاعاً، أوست وبيات.

و — القناة التي يجري فيها الماء على وجه الأرض. و — القرميد وفي ١٤/١:
(الأركون): رئيس القرية. (مع) وفي ١٧/١: (الإستاج): ما يلف عليه الغزل بالأصابع
لينسج (مع) (الأستاذ). و (الإستار)، و (الإستبرق) و (الأسْبَّة): البقايا المتخلفة من
الصناعات الكتانية والقطنية، وتستعمل في تنظيف الآلات. (مع)، و (الإسطبل).
و (الأسطول). (الأسطوانة وفي ١٨/١: (الأسقف، والأسكرُجة) (الإسكيم): ثوب
الراهب (نصرانية معربة و (الأسوار) كلمة فارسية معناها الفارس والقائد في الجيش (ج)
أساورُ وأسورة (مع) وفي ٢١/١ (الإفرنج والإفرنجة و (الإفريز) وفي ١ / ٢٢: (الإقليم)،
و (الأقنوم) وفي ١ / ٣٢: (الإهليلج) و (الأوج). لحن من ألحان الموسيقى. وفي ١ / ٣٤:
(آيار) و (إيل)، و (أيلول). ذكرتُ المعربات في باب الهمزة فقط التي قد تنوف على
الأربعين.

وأما الألفاظ التي أقرها المجمع ورمز لها بـ (مج) فتصل إلى ١٢٨٣ حسب
إحصاء الدكتور عبد العزيز مطر، فيحسن أن أذكر طرفاً منها، نحو ما جاء في ١٨/١ —
مادة أسف (باب الهمزة): « (الأسفلت)»: أحد المنتجات الثقيلة التي تتخلف عن تقطير
البتروال الخام. ويُستعمل في تعبيد الطرق ونحو ذلك. (مج). وفي مادة أسق: (الإسقالة):
ما يربطه المهندسون من الأخشاب والحبال، ليصل بها إلى المحال المرتفعة. ج أساقيل.
(مج). و (الأسقربوط): مرض يصيب الجسم من سوء التغذية. ومن أعراضه الضعف
العام. وآلام في الأطراف. (مج) وفي ٣٦/١ — باب الباء: « (بئر السّلم): فراغ داخل
المبنى يرتفع فيه درج السلم. (مج) وفي ٣٧/١: « (البتروال): زيت للوقود والاستصباح،
يستنبط من بعض أجواف الأرض، ومن مشتقاته النّفط. ومعناه زيت الحجر. (مج). وفي
٩٨/١: (الثقافة): العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذف فيها. و (المثقاب): أداة
ذات طواف حادة لعمل المثقوب المستديرة. وفي ١١٥/١ — (جرد): من معانيه التي
أقرها الجميع: « جَرَد مافي المخزن أو الحانوت: أحصى ما فيه من البضائع وقيمتها.
(مج). وتتوزع هذه الألفاظ إلى ألفاظ مقترضة أقر المجمع تعريبها بمفهومها في اللغة
المقترضة منها، وقد لا يوجد لها بديل في العربية كالأسقربوط فقد يكون لها بديل في
العربية (كالجولوجيا ١٥٠/١) (علم الأرض في ١٤/١) أو ألفاظ عامية أقرها المجمع بمعانيها
عند العوام كبئر السّلم أو ألفاظ عربية ترجمة لألفاظ أجنبية أو بديلة لها كالمجهر ١٣٤/١

وهو المعروف بالمكرفون أو ألفاظ عربية أقر لها الجمع معنى اصطلاحياً جديداً متداولاً نحو جَرَدَ ١١٥/١ وجواز السفر ١٤٧/١، ومعاهدة حُسن الجوار ١٤٦/١.

والألفاظ المحدثّة بلغت ٦٥١ حسب إحصاء الدكتور مطر ومنها قوله مثلاً في ١٥١/١: (جَبَدَ) و — الأمر: مَدَحَه وفضَّلَه (محدثه) وفي ١٩٤/١: (الحَلَّة): و — إناء معدني يُطهى فيه الطعام (محدثه) وفي ٣٤٣/١: (رَسَبَ): و — التلميذ: أخفق في الامتحان. (محدثه). وفي ٣٦٢/١: (الرفيق): و — المواطن في المجتمع الشيوعي. (محدثه). (المرافق): من يرافق الرئيس أو القائد ويلازمه (محدثه).

أما الألفاظ المولدة فتبلغ ٥٣٥ مثل قوله في ٧٨/١: (بَيَّضَ) و — الرسالة ونحوها: أعاد كتابتها بعد تسويدها. (مو). وفي ٨٢/١: (التخت): و — جَوْقة الموسيقيين والمغنين. و — من الزهرة: ما يحمل أوراقها. وفي ٩٩/١: (الثالوث): ما كَوْن من ثلاثة ومنه الثالوث المقدس «.

ويحسن أن أضرب أمثلة من قرارات الجمع التي راعتها لجنة المعجم خاصة قياسية بعض الصيغ، وقياسيه صوغ أخرى بأوزان معينة كإضافة أربع صيغ إلى صيغ اسم الآلة المشهورة (مِفْعَل ومِفْعَلَة ومِفْعَال) نحو ثَقَابَة على وزن فَعَالَة (٩٨/١ — مج) وساقية: — دولاب يدار فيرفع الماء إلى الحقل (مو) ٤٣٧/١، على وزن فعلة.

وفي ١١٨/١ — (الجاروف): أداة الجرف تكون مع الكناسين والفَعْلَة. (مو) — على وزن فاعول. وفي ١٧/١ (الإسار): ما يقيد به الأسير. (على وزن فعال).

وفي مثال آخر وهو قياسية الاشتقاق من المعرب وإن لم يكن في إقراره جدّة على السلوك اللغوي عند العرب قديماً. ومن أمثلة ما تَضَمَّنَه المعجم في ٥٥/١: (بَسْتَر) اللبن: عَقَّمَه على طريقة العالم الفرنسي باستور.

وفي مقدمة الطبعة الأولى (ص ١٣ — ١٤) سجّلت اللجنة ما راعته من قرارات الجمع في صياغة مواد المعجم، وقد بلغت أحد عشر قراراً أسهمت بتوفير مواد معجمية أو مفردات معجمية شغلت مع المعرب والدخيل والمولد والمستحدث حيزاً مناسباً على صفحات المعجم الوسيط بل إنها من أهم عناصر النص المعجمي في هذا المعجم.

وأنتقل إلى عنصر آخر في نص المعجم الوسيط وهو الاحتجاج وقد نصّت اللجنة على ما استعانت به من نصوص وما استشهدت به من كلام العرب بقول الدكتور

مذكور في تصدير الطبعة الأولى ص ٨: « فيستشهد فيه (أي في هذا المعجم) بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي أنشئ فيه، وثُبتت الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور، وفرضها تُقدّم الحضارة ورقي العلم» والتزمت اللجنة بذلك بقولها يعتمد عليها. وعزّزته بالاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأمثال العربية، والتراكيب البلاغية الماثورة من فصحاء الكتاب والشعراء.. » وكل ذلك يعني أن اللجنة لم تتقيد في احتجاجها بالحدود المكانية والزمانية للاستشهاد والجديد في هذا الأمر هو صدوره عن هيئة أو مؤسسة عربية رسمية هو مجمع اللغة العربية في القاهرة وهو جهة لغوية عربية عليا همها الأول المحافظة على سلامة اللغة العربية، قادرة على الوفاء بحاجات الحياة في عصرنا الحاضر، فكان يجب أن يوفر هذا المجمع لمعجم صادر عنه عناصر الجدة والمعاصرة، وعلى حد قول الدكتور المذكور في ص ١٠ من تصدير الطبعة الأولى: « يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة، ويثبت أن في العربية وحدة تضم أطرافها، وحيوية تستوعب كل ما اتصل بها وتصوغه في قالبها، فيه ألفاظ حديثة، ومصطلحات علمية.. » فدخل في هذا المعجم الألفاظ المولدة والمحدثة وما أقرّه المجمع إلى جانب المعرب والدخيل والأصيل، دون تعيين مصادرها القديمة والحديثة. والمؤشر الجوهري يكون في تجاوز حدود الاحتجاج الزمانية والمكانية في الشعر، فكما احتج المعجم بشعر امرئ القيس الجاهلي احتج بشعر المتنبي ت ٣٥٤ هـ (في ١/٨) واحتج للفرزدق من المشهورين، وللعين المنقري من المغمورين، وكان أحياناً ينسب الشعر لقائله وفي أحيان أخرى لا ينسب، خاصة إذا كان احتجاجة بأنصاف الأبيات.

ولا بد من الإشارة إلى أن أكثر احتجاجة كان بالقرآن الكريم والحديث الشريف والمثل العربي، وهو أمر منصف للغة فالنثر هو الأصل في اللغة والأكثر استعمالاً في النصوص العلمية والأدبية والخطاب الإعلامي والثقافي والتداول الشعبي.

بقي أن نقول إن من قام بإخراج الطبعة الثانية من هذا المعجم: الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد.

واعتمدت على النسخة المطبوعة على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي — دولة

قطر ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٥ م.

٣-٤-٦ المعجم الكبير^(١)

لقد طوى مجمع اللغة العربية في القاهرة فكرة إخراج معجم تاريخي بعد وفاة صاحبها فيشر سنة ١٩٤٩، الذي أراد أن يكون في ضخامته على غرار معجم اكسفورد التاريخي، واستعاض المجمع عن ذلك بنشر معجم، سَمَّاه المعجم الكبير الذي صدر منه جزء تجريبي سنة ١٩٥٦م في نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير، وخضعت مادة هذا الجزء لمتابعة ومراجعة بإشراف المجمع، ثم قام بمراجعة ما أعدَّوه خبراء متخصصون في اللغات العربية والسامية الأخرى والفارسية والتركية، وتُعرض بعد ذلك المادة المحرَّرة والمراجعة على لجنة المعجم الكبير، التي كوَّنها المجمع من كبار رجال الأدب واللغة والعلم، حتى استقر الرأي على إخراج هذا الجزء باسم الجزء الأول من المعجم الكبير، بصياغة وتنسيق أعضاء من اختارهم منها لجنة المعجم الكبير، وهؤلاء الأعضاء هم: الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج والأستاذ عبد الحميد حسن، والدكتور مهدي علّام، والدكتور إبراهيم مذكور، الذين قاموا خلال عام بمهمة المراجعة والتنقيح والضبط والتحقيق والتحرير حتى استوى لهم هذا الإنجاز. وقامت دار الكتب المصرية بطباعة الجزء الأول سنة ١٩٧٠ الذي اتسع لباب الهمزة في نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، وأعيدت طباعته سنة ٢٠٠٦ في مطابع روز اليوسف بالقاهرة بأمر من رئيس المجمع الدكتور محمود حافظ، وقد روعي فيه أن يقوم على ثلاثة أسس، أو كما جاء في ص (ز) من تقديم المعجم ثلاثة جوانب أساسية هي: جانب منهجي هدفه الأول دقة الترتيب ووضوح التبويب، وجانب لغوي عُني بأن تصوّر اللغة تصويراً كاملاً فيجد فيها طلاب القلم حاجتهم، ويقف عشاق الحديث على ضالّتهم. وفيه أخيراً جانب موسوعي يقدّم ألواناً من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات أو الأعلام، وروعي في هذا الجانب الجمع بين القلم والحديث ما

(١) المعجم الكبير، الجزء الأول، مجمع اللغة العربية، القاهرة، طبع بمطابع روز اليوسف، ٢٠٠٦م (من طبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠م).

أمكن. وتتابع صدور المعجم الكبير عن المجمع في أجزاء منفصلة، واختص كل جزء بحرف.

وإذا انتقلنا إلى منهج المعجم في الترتيب الخارجي لمداخله أو مواده فقد جاء في الصفحة ط من منهج المعجم ومادته "رتبت (المواد) على حسب أصولها وفق الحرف الأول فالثاني فالثالث من حروف الهجاء على نحو ما جرى عليه الزمخشري في أساس البلاغة؛ أي كان ترتيبه ألفبائياً حسب جذور الكلمات وقد فُتح لكل حرف باب وخصّص لكل باب جزءاً من المعجم، والجزء الأول لباب الهمزة. ويختص بالجذور التي تبدأ بحرف الهمزة، ومع الهمزة ما يثنيها ويثلاثها، وبدأ بالهمزة الممدودة، أي بالهمزة مع الهمزة مع ما يثلاثها على الترتيب الآتي: آء، آب، آج، آح، آدم، آذار، آراء، آزر، آس، آش، آصف، آلس، آمد، آمل، آمون، آمين، الآن، آه، آي. ولا بد من الإشارة إلى أنه كان يذكر في كل مدخل من المداخل السابقة الكلمات التي تزيد على ثلاثة أحرف خاصة إذا كانت الكلمة غير عربية الأصل؛ أي ليس لها جذر عربي ففي مدخل أ ب مثلاً ورد: الآبجون، وآبل، والآبنوس، والآبى. وفي مدخل آج يبدأ (آجر) مباشرة، لأنه لا وجود لكلمة آج في المعجم العربي حتى ينتهي إلى أجوج.

وفي مدخل (آم) كذلك يبدأ بآمد ثم آمل فآمون، فآمين وهكذا، وفي مقابل ذلك فإن بعض المداخل كمدخل (آح) اكتفى بذكره ساكن الحاء ومفتوحها ومكسورها ومضمومها.

وبعد أن ينتهي من باب الهمزة مع الهمزة وما يثلاثها فأكثر ينتقل إلى الهمزة والباء وما يثلاثها وهذه طريقة جرى على استخدامها أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة، وسرى كذلك أن المعجم الكبير قد اقتفى أثر هذا المعجم في أداء المعاني.

وتحت هذا العنوان أقصد (الهمزة والباء وما يثلاثها) جاءت المداخل: أ ب أ، أ ب ب، أ ب ت، أ ب ث، أ ب ج، أ ب خ، أ ب د، أ ب ر، أ ب ز، أ ب س، أ ب ش، أ ب ص، أ ب ض، أ ب ط، أ ب ع، أ ب ق، أ ب ك، أ ب ل، أ ب ن، أ ب هـ، أ ب و، أ ب ي حتى يصل إلى الهمزة والتاء وما يثلاثها وهكذا حتى ينتهي هذا الجزء أقصد باب الهمزة إلى الهمزة والياء وما يثلاثها.

أما عن تنظيمه الداخلي للمواد فقد سار على المعجم الكبير على المنهج الذي أقيم عليه المعجم الوسيط حيث قدّمت الأفعال على الأسماء، وقدّم الثلاثي على الرباعي والمجرد على المزيد واللازم على المتعدّي (انظر الجزء الأول من المعجم الكبير الصفحات من ك - م وفي المعجم الوسيط في ص ص ١٤ - ١٥). والمصادر تذكر بعد الأفعال مباشرة مع الالتزام بذكر ما نصّت عليه المعجمات من مصادر الثلاثي مع تقديم القياسي، مع إغفال مصادر الثلاثي المزيد ومصادر الرباعي المجرد والمزيد أما الأسماء فيذكر المشتق منها والجامد بعد الأفعال، مرتبة ترتيباً هجائياً مع تقديم الألف اللينة على الهمزة (من الصفحة س في الجزء الأول من المعجم الكبير).

كذلك نصّ منهج المعجم على أن الملحق بالرباعي على أن يذكر في ترتيبه الحرفي فدوسر مثلاً ترد حسب نطقها في باب الدال مع الواو والسين والراء وتجال لبيان معناها إلى مادة دسر كذلك الأمر مع ما اختلف في أصله الاشتقاقي وما وقع فيه إبدال أو قلب. وأمّا المعرّبات فما خضع منها لقوانين الاشتقاق العربية ردّ إلى أصله الثلاثي وجاء في مادته كلجام في لجم أي في باب اللام والجيم وما يثلثهما، وما لم يخضع للاشتقاق يذكر في ترتيبه الحرفي كالإبريز أو ابريسم أو ابريق التي ذكرت في مادة أبر أي مع الهمزة والباء وما يثلثهما مع الإشارة إلى أصلها غير العربي.

أما تنظيم معاني المواد فقد جاء في ص (ك) من الجزء الأول أنها: "رُتبت متدرّجة من الأصلي إلى الفرعي، ومن الحسي إلى المعنوي، ومن الحقيقي إلى المجازي، ومن المؤلف إلى الغريب وأغفلت في الكلمات المقلوبة والمبدلة اكتفاء بذكرها في أصولها قبل القلب أو الإبدال. واستؤنس في استنباطها بما ورد في المعجمات القديمة، وبخاصة في مقاييس اللغة لابن فارس".

وقد جمع مادته اللغوية من المعجمات ومن كتب الأدب والعلم والتاريخ دون توثيق لهذه المصادر إلّا ما انفرد منها برواية أو برأي خاص. وقد يكمل المادة اللغوية من قرارات المجمع كجموع التفسير القياسية.

وأنتقل الآن، بعد هذه المقدمات الضرورية، إلى عناصر نص المعجم الكبير، وتحسن الإشارة قبلاً إلى ما استعمله من رموز للاختصار والضبط والتنظيم وهي كما جاءت في صفحة غير مرقمة قبل التقدم مباشرة:

١- (*) تسبق رأس الكلمة المفسرة.

٢- (—) لبيان ضبط عين المضارع بالحركة (وهو ضبط جرى استخدامه في الوسيط).

٣- (o) للمادة الفرعية تمييزاً لها عن المادة الأصلية.

٤- (و _): للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد (وهي مستخدمة في المعجم الوسيط).

٥- (ج) لبيان الجمع (وهي نفسها في المعجم الوسيط).

٦- [] يحصران بينهما تفسيراً لما تقدمهما من لفظ غامض في كلام أو شعر.

٧- (_) للإشارة إلى أن المعنى بالتفسير هو ما يليها، أما ما قبلها فقد ذكر لأنه مظنة الطلب لهذا التعبير.

ويجدر التنويه أنه استعمل كذلك بعض الرموز التي استعملها المعجم الوسيط للدلالة على المولد (مو) وللدخيل (د) ومحدثة للمستحدث، ونص على المعرب دون ترميز. وقد اعتنى المعجم بضبط بُنى المداخل وسرده بوضع الحركات على ما يحتاج إلى ضبط، وأما الشواهد فيقوم بضبط هيئات البنى الصرفية مع الحركة الإعرابية والمثال من مادة آجر ١/٦-٧، أنقلها كما وردت:

- آجر: أم اسماعيل عليه السلام (انظر: هاجر).

- الآجر (معرب agūra آجورا السريانية المأخوذة أصلاً من aguruu أجُر في الأكديّة، وهذه أيضاً أصل آكور الفارسية):

الطين المحروق يُبنى به.

- الآجر: الآجر، قال ثعلبة بن صُعَيْر يصف ناقته:

تُضْحِي إِذَا دَقَّ الْمَطِي كَأَنَّهَا

فَدَنُ ابْنِ حَيَّةٍ شَادَهُ بِالْأَجْرِ

[دَقَّ الْمَطِيَّ: ضَمُّرٌ لَطُولِ السَّفَرِ. الْفَدَن: الْقَصْرُ].

- الْأَجْر: الْأَجْر.

- الْأَجْرُ: الْأَجْرُ، قَالَ أَبُو كَذْرَاءَ الْعَجْلِيَّ:

بَنَى الْبِنَاءَ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرُمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْأَجْرِ وَالطِّينِ

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ضَبْطِ عَيْنِ الْمُضَارِعِ يَقْتَطِفُ مَثَلًا مِنْ مَادَّةِ أ ب ت ٢١/١:

- أَبَتِ الْيَوْمَ ————— أَبْتَأَ وَأَبُوتَا، اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَسَكَنْتْ رِيحُهُ.

هذا هو النهج الغالب في الضبط، ولكنه استعان بوسائل أخرى للضبط كالنص على الحركات مع وَضْعُهَا، وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي ٥/١: "الْأَبْنُوسُ.. بَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِهَا وَضَمِ النُّونِ، وَرَوِي بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَكُسْرِهَا، وَيُقَالُ فِيهِ: أَبْنُوسٌ وَأَبْنُوسٌ وَأَبْنُسٌ" كَذَلِكَ لَمَّا جَاءَ فِي ٦٣٣/١: "أَوْهَ، قَالَ الْمُتَنَبِّي يَمْدَحُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ بْنِ بُؤْيَهَ: أَوْهَ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا

وَأَوْهَ، وَأَوْهَ، وَأَوْهَ بِسُكُونِ الْهَاءِ مَعَ تَشْدِيدِ الْوَاوِ، وَأَوْتَاهُ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْوَاوِ الْمَشْدُودَةِ وَالْمُثَنَاءِ الْفَوْقِيَّةِ، وَأَوْ بِكُسْرِ الْوَاوِ مَنْوُوتَةٌ وَغَيْرُ مَنْوُوتَةٍ، وَأَوِيَّاهُ بِتَشْدِيدِ الْمُثَنَاءِ التَّحْتِيَّةِ، وَأَوْهَ بِضَمِّ الْوَاوِ مَعَ الْمَدِّ، وَأَوَاهُ، قَالَ أَحْمَدُ شَوْقِي:

رُومًا حَنَانِكَ وَاغْفِرِي لِفَتَاكِ أَوَاهُ مِنْكَ وَآهٍ مَا أَقْسَاكِ

وَيَلَاظُ فِيهَا سَبْقَ النَّصِّ عَلَى الْحُرُوفِ (الْمُثَنَاءُ الْفَوْقِيَّةُ أَيْ التَّاءُ، وَالْمُثَنَاءُ التَّحْتِيَّةُ أَيْ الْيَاءُ).. وَفِي ٦٣٨/١: "أَيُّ (بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ)... إِي، بِكُسْرِ الْهَمْزَةِ.." وَفِي ٦٦٥/١: "إِيَّةَ (بِسُكُونِ الْهَاءِ)... وَحَكِي ابْنَ سَيِّدِهِ كُسَرَ الْهَاءِ فِيهَا... إِيَّاهُ (بِالتَّنْوِينِ)... وَيُرْوَى إِيَّاهُ بِالكُسْرِ..".

وَقَدْ يَسْتَعِينُ لَضَبْطِ الْمَدْخُلِ بِذِكْرِ بَابِهِ أَيْ بِمَا هُوَ أَوْضَحُ فِي تَوْزِيْعِ الْحُرُوكَاتِ عَلَى الْهَيْئَةِ كَقَوْلِهِ فِي ٤٦/١: "أَبَقَ، مِنْ بَابِ مَنَعَ". وَفِي ٩٨/١: "أَتَمَّ... جَعَلَهُ صَاحِبُ الْقَامُوسِ مِنْ بَابِ مَنَعَ".

وقد يستعين بتشبيه المدخل بمثال هيئة حركاته أوضح كقوله في ٥٠/١: "أباييل ... جمع لا واحد له أو مفردة إبييل كسكين"، وفي ٨٣/١: "إثاءة (كقراءة) .. فأثأته كأقمته...". وفي ٢٢١/١: "الأرومة بالفتح كأكولة.." ويلاحظ هنا الضبط بالحركات مع النص على الحركة والتشبيه بالمثل.

وأنقل إلى جوهر العمل المعجمي وهو أداء معاني المداخل ولا بد لي من تسجيل الملاحظات العامة التي وردت في أبواب المعجم وجميع المداخل وهي:

١- البدء في كل باب بالتعريف بحرف ذلك الباب ببيان موقعه بين الحروف الهجائية، كالهزمة أول الحروف الهجائية (باب الهزمة)، والباء ثاني الحروف الهجائية (باب الباء)، والتاء الحرف الثالث من حروف الهجاء (باب التاء)، ثم يثني ببيان مخرج حرف الباب وصفته وقيمه في حساب الجمل وأقسامه وصور كتابته وهذا خاص بالهزمة، وأحواله الصرفية ومعانيه النحوية، وأقتطف من باب الهزمة: ٣/١: "الهزمة: أول الحروف الهجائية.. ليست لها صورة ملتزمة، فتكتب ألفاً مثل: بدأ، وواواً مثل يؤمن وياءً مثل يستنبئونك، وربما لا يكون لها حرف مثل: بناء... وهي قسمان: همزة وصل، وهمزة قطع.. وتقع الهزمة أصلية... وزائدة... ومبدلة من حرف أصلي... * أ: لنداء القريب... و-: للاستفهام.

وأقتطف من باب الباء ٧/٢: "الباء: ثاني الحروف الهجائية: صوت مخرجه الشفتان حين تنطبقان فينحبس الهواء، ثم تنفجران فجأة، فيندفع الهواء، ويحدث صوتاً انفجارياً سَمَاهُ سيبويه "شديداً"، والباء صوت مجهور، مرقق لأن مؤخر اللسان أثناء نطقه مستقل. وقيمه في حساب الجمل اثنان، وترد حرف جر لمعان كثيرة بعضها قريب من بعض، حصرها ابن هشام في أربعة عشر معنى... الخ.

وأقتطف من باب التاء ٩/٣: "التاء: الحرف الثالث من حروف الهجاء، مخرجه طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا وهو صوت مهموس.. وشديد.. ومرقق..

وقيمته في حساب الجُمَّل ٤٠٠. ويقلب طاء في صيغة افتعل التي فاؤها: (ص) أو (ض) أو (ط) أو (ظ).. ويقلب دالاً في افتعل التي فاؤها (ز) أو (ذ) أو (د)... وبالنسبة إليها تأتي وتاوي.. والتاء من حروف الزيادة، وتزداد لمعان...". والمعجم الكبير في هذا المسلك أقرب إلى محيط المحيط للبستاني.

٢- يصدر كل مدخل بنظيره من اللغات السامية إن وجد، ثم المعاني بعدها والنظائر السامية كتبت بالحروف العربية ثم بحروف لاتينية، ومثال ذلك من باب الهمزة - مدخل الهمزة الممدودة مع الباء ٤/١: "آب - معرب (في العبرية المتأخرة والآرامية اليهودية - والآرامية المصرية - والسريانية ʿab (آب، والأصل في هذا abu أب في الأكديّة).: الشهر الخامس من شهور السنة عند الأكديين والعبريين، والحادي عشر من الشهور السريانية، يقابله أغسطس من الشهور الرومية، ومسرى من الشهور القبطية. قال محمد بن عبد الملك الزيات:

بَرْدُ الْمَاءِ وَطَالَ الْـ لَيْلُ وَالتَّذُّ الشَّرَابِ
وَمَضَى عَنْكَ حَزِيرَا نُ وَتَمَّزَّزْ وَآب

- الآب: الأَقْنُومُ الأوَّل عند النصارى.

ومن باب التاء (مدخل التاء والألف وبالباء) ١١/١: "التَّابُوت: (في الحبشية، tābōt (تابوت)، وفي الآرامية اليهودية tēbūtā (تيبوتا) وفي العبرية tēbā (تيا): الصندوق تُحَرِّز فيه الأشياء. وفي القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٨) وفيه أيضاً: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ (طه - ٣٩).

وفي الأساس، قال الشاعر:

تُجَاوِبُ الصَّوْتِ بِتَرْنَمِوتِهَا وَتُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ تَابُوتِهَا

(التَّرنَمُوت: التَّرنُم)

و — (عند علماء الآثار المصرية): صندوق من حجر أو خشب كانت توضع فيه الجثة...

٣- بعد ذكر النظائر السامية يأتي على ذكر المعاني الكلية للمدخل نقلاً عن ابن فارس من معجم مقاييس اللغة، ثم يتلو ذلك المعاني التفصيلية للمدخل ففي باب الهمزة، مدخل أب ب ١٩/١ أب (في العبرية والآرامية والسريانية والآكدية والحيتية).

١- العُشب. ٢- الحركة. ٣- التَّهْيُؤ.

قال ابن فارس: "للهمزة والباء في المضاعف أصلان: أحدهما المرعى والآخر: القصد والتَّهْيُؤ".

- أبٌ للسير — (بالكسر على القياس في المضعف اللازم، وبالضم على خلاف القياس) أباً، وأبياً، وأباباً، وأبابةً وإبابة: تهيئاً للذهاب وتجهز. يقال: أبٌ للحرب....

و — — إلى وطنه أباً، وأبابةً، وإبابة، وأباباً: نزع واشتاق.

قال النابغة الشيباني:

قلبي يئبُ إليها من تذكُّرِها كما يئبُ إلى أوطانه الجمَلُ

و— الشيء: حرَّكه.

و— يده إلى سيفه: ردَّها إليه ليستلَّه.

و— فلاناً: قصده، ومنه أبٌ آبه: قصَدَ قصَّده.

ومما يجدر ذكره في هذا الشأن أنه إذا لم يجد ما ينقله عن ابن فارس كان يجتهد واضعو المعجم فيضعون للمدخل ما يحتمله من معنى أو معان نحو مادة أم ج ٤٥٨/١: الشدة في حر أو عطش أو سير ثم يفصل المعاني. وكذلك الأمر مع مدخل أم ض ٣٧٩/١: ١- العزم. ٢- الشك.

٤- في عرض المعاني التفصيلية يقدِّم الأفعال ويلتزم في عرضه بالترتيب الذي ذكره في منهج المعجم، وهو الترتيب نفسه الذي التزم به المعجم الوسيط؛ أي يبدأ بال مجرد لازماً أو متعدّياً بحرف الجر أو بنفسه ثم المزيد لازماً ومتعدّياً ثم ينتهي إلى

الأسماء. وأقتطف أمثلة من مدخل أبد ٢٥/١ - ٢٦ بعد المعاني الكلية والاقْتَباس عن ابن فارس يذكر الأفعال نحو:

- أَبَدَت البهيمة — أَبُوداً: نَفَرَتْ وتوحشت.

و- الرجل: جاء بآبدة.

و- الشاعر: أتى في شعره بأوابد، أي غرائب..

و- بالمكان: أقام به ولم يبرحه.

و- فلاناً: جاء بآبدة.

- أَبَدَ — أَبُداً: توحَّش...

و- عليه: غضب.

- أَبَدَ الحيوان: توحش.

و- فلان: أتى بآبدة.

و- القول أو الشُّعْر: أتى به غريباً مستعصياً.

- تَأَبَّدَت البهيمة: أَبَدَتْ، ويقال تَأَبَّدَ فلان...

و- الدار: أفقرت من أهلها...

و- الزمان: طال وامتد...

وبعد أن يستوفي ما يمكن أن يرد من أفعال يأتي على ذكر الأسماء مثل: الأبد

(من الحيوان)، المقيم بمكان لا يبرح.

ومن الطير، ومن الإناث، ومن اللفظ.

الآبدة: الداهية يُنْفَرُ منها ويستوحش.

و-: الفَعْلَةُ الغريبة أو الكلمة الغريبة.

(ج) أوابد، وآبدات، وأُبد.

ويذكر بعد ذلك ما يأتي من هذه المادة من أعلام أو أماكن أو مصادر

ومشتقات.

وانتقل إلى أساليب أداء المعاني التفصيلية وأبدأ بما يبدأ به المعجم، أي بأداء معاني الأفعال التي يذكرها لازمة ومتعدية في سياقات لغوية لإظهار معانيها ويتنوع أداء المعاني، والأمثلة توضح وأبدأ بأداء المعنى بالمرادف، أي يكتفي بمفردة مرادفة في معناها للفعل.

في ٤٢/١ - مادة أبض: "أَبَضُ العِرْقُ ونحوه — أبضاً: نبض".

في ٤٦/١ - مادة أبق: "أَبَقَ فلان: تأثم".

في ٤٩/١: مادة أبل: "أَبَلَ الأبلُ: كَثُرَتْ".

في ١٠٥/١: مادة أج: "أَجَّ الشيءُ: أضاء".

في ١١٥/١ مادة أج م: "أَجَمَتِ النارُ — : توقدت وتلهَّبت.

في ١٤٤/١ مادة أد: "أَدَّ — أَدَّا، وأديداً: صاح وصوَّت، يقال: أَدَّ البعير: هَدَرَ.

أَدَّ الشيء أدّا: قوي.

أَدَّ الأمرُ: عَظُمَ.

أَدَّ الحيوانُ: نَدَّ وشرَّد.

أَدَّ في الأرض: ذهب.

وقد يكتفي بذكر الفعل مفرداً دون سياق تركيبي، ويتلوه مرادفه مباشرة وأمثلة

ذلك كثيرة، ففي ٢٠/١ - مدخل أبب: "أَبَّب: صاح".

وفي ٤٣/١ - مادة أبض: "تَأَبَّض: تقبَّض".

وفي ٧٩/١ - مادة أتى: "أتى: عاد".

وفي ٩٢/١ - مادة أثف: "أَثَف -: ثبت واستقر".

وفي ٩٥/١ - مادة أثل: "أَثَلَ: عَظُمَ".

وفي ١١٢/١ - مادة أجل: "أَجَلَ — : تأخر".

وفي ١٢٩/١ - مادة آخر: "استأخر: تأخر".

وفي ١٨٤/١ - مادة أرج: "أَرَجَ — : كذب".

وفي ١٩٢/١ مادة أرر: "في العبرية أرر: لَعَن".

وفي ١٩٣/١ مادة أرز: "أَرَزَ — : تقبُّض وتجمع".

مادة أرز: "أَزَّ (كفرح): صَوَّت".

وفي ٢٢٤/١ مادة أرن: أرَن — : دنا".

وهذه الوسيلة أقل من سابقتها، إضافة إلى أنه غالباً ما يقرن الفعل بمصدره فيها. وقد استكثر المعجم أيضاً من وسيلة أخرى تذكر المدخل في سياق إسنادي بحيث يكون الفعل متعدياً بنفسه أو بحرف الجر، ويؤدي المعنى في سياق إسنادي أيضاً ومن أمثلة ذلك:

في ١٩/١ - مادة أبب: "أَبَّ يده إلى سيفه: رَدَّها إليه ليستلَّه".

وفي ٢١/١ - مادة أتب: "أَبَّت اليوم — أبتاً وأبوتاً: اشتد حرُّه، وسكنت ريجه".

وفي ٢٥/١: مادة أبد: "أبد الشاعر: أتى في شعره بأوابد، أي غرائب لا يُعرف معناها بادئ الرأي".

وفي ٣٠/١: مادة أبر: "أَبَر بين القوم — أبراً: سعى بينهم بالنميمة".

وفي ٣١/١: "اِئْتَبَرَ فلانٌ فلاناً: سأله أن يصلح ما عنده من نخل أو زرع..".

وفي ٤٥/١ - مادة أبط: "تَأَبَّط الشيء: أخذه تحت إبطه".

وفي ٤٩/١: - مادة أبل: "أبل فلان — أبلأً وأباله: حذف مصلحة الإبل والشاء.

و— الإبل والوحش أبلأً: جَزَّأت عن الماء بالرُّطْب".

وفي ٩٣/١: - مادة أثف: "أَثَف الرجلُ المرأة: تزوّجها ثالثة على اثنتين في عصمته".

وفي ٩٩/١: - مادة أثم: "أَثَم فلاناً: أوقعه في الإثم".

وفي ١٠٥/١: - مادة أج ج: "أَجَّ الظيمُ أجّاً، وأجيجاً: سُمع حفيف عدّوه..".

وفي ١٧٧/١: - مادة أ ر ب: "أَرَبْتُ يَدُ فُلَانٍ: افْتَقَرْتُ فَاحْتَاجُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ".

وفي ١٨٢/١: - مادة أ ر ث: أَرَثَ النَّارَ: أَوْقَدَهَا.

- حَرَّكَ جَمْرَهَا لِيَسْتَعْلَ.

- بَيْنَ الْقَوْمِ: أَفْسَدَ وَأَغْرَى.

وفي ٣٣٩/١: - مادة أ ص و - ي: "أَصَابَ الْبَنْتُ — أَصَوًّا: كَثُرَ وَاتَّصَلَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

وفي ٣٤٤/١: - مادة أ ط ر: "أَآَرَهُ عَلَى الْحَقِّ: جَمَلَهُ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ إِيَّاهُ.

٣٤٥/١: "أَطَّرَتِ الْفَتَاةُ: بَقِيَتْ فِي بَيْتِ أَبَوَيْهَا زَمَانًا لَا

تَتَزَوَّجُ".

يُنْتَقَلُ الْمَعْجَمُ بَعْدَ الْأَفْعَالِ إِلَى الْأَسْمَاءِ، وَلَهُ أَصَالِيْبٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَيْضًا فِي بَيَانِ مَعَانِيهَا وَعَلَى رَأْسِهَا أَدَاءُ الْمَعْنَى بِالْمُرَادِفِ نَحْوُ مَا يَأْتِي:

فِي ٣٢/١ - مادة أ ب ر: "الْأَبَارُ: الرِّصَاصُ".

-: "الْأَبَارُ: صَانِعُ الْإِبْر، وَبَائِعُهَا".

و-: الْبُرْغُوثُ.

-: "الْمُتَبَرُّ: اللِّسَانُ".

و-: النَّمِيمَةُ.

فِي ٥٠/١ - مادة أ ب ل: "أَبَايِلُ: جَمَاعَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ".

فِي ٥١/١: "الْإِبِلُ: الْجِمَالُ وَالنُّوقُ".

فِي ٥٨/١ - مادة أ ب هـ: "الْأَبْهَةُ: الْعِظْمَةُ وَالْكَبْرُ وَالنَّخْوَةُ".

فِي ٥٩/١ - مادة أ ب و: "الْأَبُّ: الْوَالِدُ".

فِي ٧٧/١ - مادة أ ت ن: "الْأَتُونُ: الْمَوْقَدُ".

فِي ٩٩/١ - مادة أ ث م: "الْإِثْمُ: الذَّنْبُ".

فِي ١٠٠/١: "الْأَثُومُ: الْفَاجِرُ".

فِي ١٢١/١ - مادة أ ح ن: "الْإِحْنَةُ: الْحَقْدُ وَالضَّغِينَةُ".

وفي ١/١٤٥ - مادة أ د د: "الإِدّ: الأمر العظيم المنكر".

: "و-: العجب".

: "و-: الداهية".

وفي ١/١٥٣ - مادة أ د م: "الأُدْمَة: السُّمْرَة".

وفي ١/١٨٥ - مادة أ ر ج: "الأُرِيح: الرِّيح الطيبة".

"المؤرَّج: الأسد".

وفي ١/١٩٥ - مادة أ ر ز: "الأُرِيز: الصقيع".

- "الأَرِيْزَة: النفس".

وفي ١/٢٤٨ - مادة أ ز ف: "الآزفة: القيامة".

"المتآزف: الضعيف الجبان".

وفي ١/٥٦١ - مادة أ ن ف: "الأَنْفَة: الاستكبار".

وفي ١/٥٧٤ - مادة أ ن ي: "الأَنَى: الحلم والوقار".

- : "الإِنَى: الإدراك".

- : "و-: الوقت".

وقد تؤدي معاني الأسماء بالتعريف وأبدأ بالآنسون كما جاء في تعريفه في ١/١٧ - مادة أنس: "الآنسون: في اليونانية أنيسون... نبات حولي من فصيلة الخيميات، زهرة أبيض صغير، وثمره حب طيب الرائحة، يستعمل في أغراض طبية، ويتخذ منه شراب لطيف. ومن أسمائه القديمة: "رازيانج رومي" و"كمون حلو". واسمه في المغرب "جَبَة حلوة" وفي عامية المصريين والشاميين: "ينسون". ويجدر القول إنه قد اصطحب هذا التعريف صوراً لهذه النبتة.

وفي ١/٣٢ - مادة إ ب ر: "الإبرة: أداة من المعدن أحد طرفيها محدّد والآخر به ثقب يدخل فيه الخيط أو السلك يخاط بها".

وفي ١/٣٣: "الإبرة المغنطيسية: صفيحة من الفولاذ أو الحديد المغنط تستعمل لتعيين الاتجاه، وترتكز على سن أفقي أو رأسي بحسب المراد منها...".

وفي ٧٢/١ - مادة أتب: "الإتب: بُرد، أو ثوب يؤخذ فيشق في وسطه، ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كُمّين".

وفي ٧٥/١ - مادة أتم: "المأتم: كل مجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح، وغلب استعماله في الحزن".

وفي ١٥٢/١ - مادة آدم: "الأدّمان: مرض يصيب طلع النخل، فيتعفن ويسود كما يصيب قلب النخلة".

وفي ٢٣٢/١ - مادة أرى: "الأرّي: ما يلصق بالقدر من الطعام، أو ما يلزق بأسفل القدر يشبه القشرة السوداء.

وفي ٢٦٣/١ - مادة أسبر: "الاسبرين (Aspirin): اسم يطلق على حمض (الأسيتيل ساليسليك) وهو مركب متبلور أبيض اللون يستعمل لخفض الحرارة وتخفيف الألم".

وفي ٢٨٥/١ - مادة أسطل: "الأسطول (في اليونانية ستولس: قوة بحرية، أسطول): مجموعة سفن بحرية تضم قطعاً تختلف في الحجم والشكل والغرض... ويطلق الأسطول أيضاً في الاستعمال الحديث على مجموعة سفن التجارة والصيد وأسراب الطائرات".

وفي ٣٣٧/١ - مادة أصل: "أصول الفقه: العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية".

وفي ٤٥٠/١ - مادة ألو: "المثلاة: الخرقه التي تمسكها المرأة عند النوح، وتشير بها، وفي الجمهرة: خرقه سوداء تشير بها النائحة".

وقد يؤدي معنى الاسم بالتضاد كقوله في ١١٣/١ - مادة أجل: "الآجلة: الآخرة ضد العاجلة، وهي الدنيا".

وفي ١٢٩/١ - مادة أخ - : "التأخر: خلاف التقدم".

"الآخر: مقابل الأول".

وفي ١٣٠/١ - "الآخرة: مقابل الأولى".

"الأخِر: ضد القدم".

"الأخرى: مؤنث الآخر".

"المؤخَر: خلاف المقَدَم".

وفي ١٣١/١ -

وفي ١٣٦/١ - مادة أخ و: "الأخت أنثى الأخ".

وفي ٣٣٦/١ - مادة أصل: "الأصلي (من الألفاظ): ما يقابل المولّد".

وقد يكون المدخل المعجمي من ألفاظ التضاد، أي يدل على معنيين متضادين في

مثل قوله:

في ١٧٤/١ - مادة أذى: "الأذى: المؤذي، أو الشديد الإيذاء. (ضد)

فالأذى: شديد التأذي أي الذي أصابته شدة الأذى أيضاً.

وفي ٢٧١/١ - مادة أسد: "أسدٌ — : شَجُع فصار كالأسد..".

— "و—: فزع عند رؤية الأسد. (ضد).

وعليه فكلمة أسد لها معنيان متضادان بذكره كلمة (ضد).

وفي ٣٥٩/١ - مادة أفد: "أفد فلان: عَجَل وأسرع".

: "و— : أبطأ وتأخر (ضد).

وفي ٣٦٧/١ - مادة أفف: "اليأفوف: الجبان".

"و— : الحديد القلب (ضد)".

وفي ٤٥٧/١ - مادة أمت: "الأمت: المكان المرتفع".

"و— : الوَهْدَة بين نَشْرَيْن (ضد)".

وقد أورد مثل ذلك في الأفعال فقد جاء في ٤٤٨/٤٤٧ "ألَى وائلَى وتألَى بمعنى

اجتهد وقصّر".

ومن وسائله في أداء معاني الأسماء أنه كان يسوق هذه الأسماء أيضاً في تركيب غير

إسنادي: إضافي، أو وصفي، أو يلحقها بجار ومجرور، ومن التركيب الإضافي قوله:

في ٢٧/١ - مادة أبد: "أوابد الشعر: هي التي لا تُشَاكل جودة..".

- "وأوبد العرب: ما كانوا عليه في الجاهلية في عبادتهم
ونُسُكهم وعاداتهم... كوأد البنات".

وفي ٣٢/١ - ٣٣ - مادة أبر: إبرة آدم، إبرة الحاكي، إبرة الذراع وإبرة الزهرة،
إبرة العقرب، وإبرة الفرس، وإبرة القرن واللسان، وإبرة المحقن، وإبرة النحلة، وبيت
الإبرة".

وفي ٨٨/١ - مادة أثر: "أثر السيف: ضربته".

: "وأهل الأثر: رجال الحديث".

وفي ٩٣/١ - مادة أثف: "أثافي العرب: سليم وهوزان ابنا منصور...".

وفي ١١٠/١ - مادة أجر: "وأجر المرأة: كناية عن مهرها".

وفي ١١٤/١ - مادة أجل: "أجل الإنسان: وقت انقضاء حياته".

وفي ٢٢٠/١ - مادة أرم: "أرمة القصاب: الخشبة التي يُقَطَّع عليها اللحم (مو)".

وفي ٢٢١/١ - مادة أرم: "أرومة الرجل: أصله".

وفي ٢٧٣/١ - مادة أسد: أسدُ الله، أسد آباد، أسد الأرض، أسد البحر، أسد
العدس، أسد المن، داء الأسد.

وفي ٢٧٧/١ - مادة أسر: "عوذُ الأسر: عود كان يعالج به من احتبس بوله.

وفي ٢٨١/١ - مادة أس الإنسان: قلبه".

وفي ٢٨٤/١ - مادة أسطم: "أسطُمُ الملوك: صميمه".

مادة أسطوان: "أسطوان الدار: دهليزها".

: "أساطين العلم: الثقات المبرزون".

وفي ٤٧٠/١ - مادة أمر: أمير البحار، أمير الحج، أمير السلاح، أمير الصدقات، أمير

اللواء، أمير المؤمنين...، مأمور الأوقاف، مأمور

الضرائب، مأمور المركز...".

وورد بصورة أقل التركيب الوصفي ومنه في ٢٢/١ - مادة أبت: "ليلة أبتة:

شديدة الحر".

وفي ٨٢/١ - مادة أتى: "طريق مَأْتِي: عامر مسلوكة" وفي ٤١/١ - مادة أبس "امرأة أباس: سيئة الخلق".

وفي ١١٠/١ أ ج ر "الأجر الحقيقي: ما للنقد الذي يحصل عليه العامل من قوة الشراء".

وفي ٢٧٧/١ - مادة أسر: "الأسر النهرى: (River capture) ظاهرة تحدث من اشتباك منع نهر رافد - يجري في أرض منخفضة - بمجرى نهرٍ انحداري - يجري في أرض أعلى، فيسلب الرافد ماء النهر الانحداري...".

وفي ٢٨٢/١ - مادة أسس: "المؤسسات الخيرية، مجموعة الأموال التي يخصصها مالكةا من طريق الهبة، أو الوصية لغرض مُعَيَّن يستمر بعد وفاته) سواء أكان هذا الغرضُ خاصاً أم عاماً، وتماثل في الشريعة الإسلامية الأموال الموقوفة".

وفي ٢٩٧/١ - مادة أسل: "الحروف الأسليّة: هي الصاد والزاي والسين، لأن مبدأها من أسلة اللسان".

وفي ٤٧٠/١ - مادة أمر: "الأمير الكبير: أكبر الأمراء سناً في دولة المماليك".
وفي ٤٧٣/١ - المؤتمر الصحفي: (Press Conference): اجتماع يُدعى إليه ممثلو الصحف ووسائل الإعلام الأخرى ليلقي عليهم الداعي بياناً ويجيب عما يوجه إليه من أسئلة (محدثة).

وفي ٥٣٢/١ - مادة أنث: "بلد دَمِيث أنيث: طيب الرية حسن النبات.

ويقال: "سيف أنيث: ليس بقاطع.

: "أرض مئناث: سهلة مُنْبَتَة ليست بغليظة.

: "وسيف مئناث: حديدته لينة".

وأكتفي بهذا القدر من التركيب الوصفي وأنتقل إلى الأسماء التي يلحق بها جار

ومجرور كما في ٢٢/١ - مادة أبت: "الأبنة من الغضب: شدته وسورته".

وفي ٤٥/١ - مادة أبط: "الإبط من الرمل: منقطع معظمه، أو مارق منه".

: "من الحبل: سَفْحُه".

وفي ٩٠/١ - مادة أثر: "الأثري من الأشياء: القديم".

: "أثير بكذا: جدير به".

وفي ٩٢/١: "المأثور (من الأخبار): ما يبقى ويُتناقل".

: "المأثورة (من الآبار): التي كشفت بعد ما طُمِرَتْ".

وفي ٩٤/١ - مادة أثف: "المؤثف (من الرجال): القصير العريض اللحيم".

وفي ٩٧/١ - مادة أثل: "الأثلة (من كل شيء): أصله".

وفي ١٢٦/١ - مادة أخذ: "الآخذ من اللبن: الحامض".

وفي ١٣٣/١ - مادة أخ و: "الأخ (من النسب): من وُلد من أبيك وأُمك أو من

أحدهما". و"الأخ (من الرضاع): من رضع من أم الآخر".

وفي ١٥٩/١ - مادة أدي: "الأدي (من الثياب): الواسع".

: "و- (من المال والمتاع): القليل".

: "و- (من الآنية والأسقية): الصغير".

: "الأديّة (من الغنم والإبل): القليلة العدد".

وكان للاشتراك اللفظي نصيب يمكن الإشارة إليه في أداء معاني المداخل المعجمية،

ساعد على وروده طريقة عرض المعاني أو سردها وهي أشبه بطريقة المعاجم الأوروبية في

إيراد المعاني من خلال سياقاتها والأمثلة كثيرة، وأكتفي منها بما يأتي:

من مادة أصر - ٣٢٩/١:

الأَصْر، والأَصْرُ، الأَصْرُ: ما يَثْقُلُ على الإنسان من أمر، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَا

تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وقال النابغة يمدح:

يا مانع الضِّيم أن يغشى سَرَاتَهُمُ والحامل الإصر عنهم بعد ما غرقوا

و- العهد: وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ (آل

عمران - ٨١).

و- الذُّب.

و— الإثـم.

و— العقوبة، وفي الحديث عن شهر رمضان: "إن الله ليكتب أجره ونوافله ويكتب إصره وشقائه من قبل أن يُدْخِلَه".

وأختتم وسائل أداء المعاني بما استعان به من صور وخرائط ورسوم وهي كثيرة كالآذريون ١٠/١، وخريطة آسيا ١٣/١ وصورة آمون ١٦/١ والآنسون ١٧/١، وصورة إبراهيم باشا ٣٥/١ وآثار أبي سنبل ٦١/١، وصور لنباتات كأذن الأرنب ١٦٧/١ وأذن الدب ١٦٩/١ وآذان الفيل ١٧٠/١، وصور بعض الطيور والحيوانات، خاصة غير المألوف منها.

واشتمل المعجم الكبير، إضافة إلى معاني المفردات، على المصطلحات، وأعلام الأشخاص والبلدان، وأسماء النبات والحيوان. انظر ص ص: ق، ر لبيان الجانب الموسوعي في المعجم.

أما المصطلحات فعني المعجم بإيراد القديم منها كاصطلاحات الفقهاء والمحدثين والمناطق والعروضيين، واكتفى من المصطلحات وألفاظ الحضارة التي أقرها المجمع بما شاع استعماله في الأوساط العلمية والحياة العامة، أو كان وثيق الصلة بالاستعمال الأدبي واللغوي بوجه عام.

ومن أمثلة ذلك في ٦٤/١ — مادة أبو: "الأبوية Patriachy: نظام اجتماعي، يتألف من جماعة أو جماعات، أصلها أُسرٌ مشتركة في الدم بحيث تخضع جميعها لسلطة حاكم هو أكبر الذكور فيها".

وفي ١٤١/١ — مادة أدب: "الأدب (في الاصطلاح): يطلق بوجه عام على جملة المعارف الإنسانية، وبوجه عام على الكلام الذي يعبر عن الأفكار والمشاعر والتجارب الإنسانية في قلب فني يعجب ويؤثر، ويسمى أدباً إنشائياً، وهو أحد فروع الدراسات التي تدور حول الكلام واتجاهاته ونواحي الجودة فيه...".

وفي ٢٦٥/١ — مادة است: "الاستاتيكا (Statics): أحد قسمي علم الميكانيكا، يبحث فيه عن شرائط اتزان القوي، وسكون الأجسام".

وفي ٢٨٢/١ - مادة أسس: "التأسيس (في القافية): أَلِفٌ بينها وبين حرف الرَّوْيِ حرف يسمى الدخيل، وذلك نحو قول النابغة:

كليني لَهُمْ يا أُمَيْمَةَ ناصب ليل أُقاسيه بطيء الكواكب

فالألف من الكواكب تأسيس، والكاف دخيل، والباء رَوْيٍ".

وفي ٣٨٩/١ - مادة أكسيد: "الأكسيد: الاسم الكيماوي للصدأ، وهو الطبقة الهشة التي تعلق الحديد ونحوه من المعادن، وتحدث من اتحاد الحديد ونحوه وبعض مكونات من الهواء، وخاصة الأكسجين".

أما أعلام الأشخاص والبلدان فلا تخلو مادة من علم قديم أو حديث، تاريخياً وجغرافياً، وفي ميادين العلم كافة ففي مادة آدم مثلاً في ٨/١ ورد: "آدم عليه السلام: أبو البشر، وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (البقرة - ٣٤).

ومن أعلام التاريخ الحديث: "آدم سميث (Adam Smith) (١٧٩٠م): فيلسوف واقتصادي، نشأ في "اسكتلندا"، وتعلّم في جامعتي جلاسجو واكسفورد ثم رحل إلى فرنسا، واتصل بأصحاب دائرة المعارف والاقتصاديين. ومن أهم كتبه: "بحوث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها" ويذهب إلى أن العمل مصدر الثروة، وأن العرض والطلب والمنافسة، وحرية التجارة، أكبر مشجّع على الإنتاج.

وفي مادة آمد - ١٥/١: "آمد (وتسمى أيضاً - قره آمد - أي آمد السوداء). أعظم مدن ديار بكر، وهو بلد قديم حصين على "نهر دجلة" في غربيه، ويحيط النهر بأكثره في شكل الهلال، فتحت سنة (٢٠ هـ = ٦٤٠م). (له صورة مصاحبة للمادة).

وفي ٣٥٦/١ - مادة أغسطس: "أَغُسْطُس: لقب لعدد من ملوك الرومان، أشهرهم أوكتافيوس (١٤م). - الشهر الثامن من الشهور الرومية (الإفرنجية)، يقع بين شهري يوليه وسبتمبر، وعدد أيامه واحد وثلاثون، ويقابله شهر آب من الشهور السريانية، وفي صبح الأعشى: أغسُتْ".

ومن النبات في ٤٩٨/١ - مادة أمم: "أم الشُّعُور: شجرة من الفصيلة الصفصافية أغصانها كثيرة مدلاة ومتهدّلة كالشعور، والأوراق رحيمة مسنّنة الحافة.. وهي كثيرة

الانتشار على حافات الترع، ومن أسمائها: خادعة الرجال، وصفصاف رومي، وفي مصر أم الشعور" (المادة مصحوبة بصورة للشجرة).

وفي ٥٦٢/١ - مادة أنف: "انفلونزا (Influenza): مرض مُعدٍ حادٌ سببه في الغالب فيروس، ويتميز بالحمى والتهابٍ رشحيٍّ في القناة التنفسية أو القناة المعدية المعوية".

وتجدر الإشارة إلى طريقة إيراده الأعلام، خاصة من الأشخاص المشاهير من الرجال والنساء؛ فما كان منه مشتقاً يورده المعجم في مادته التي اشتق منها فأنس بن مالك في مادة (أ ن س)، وغير المشتق ذكر حسب ترتيبه فإساف في مادة أسف وأسد الله (حمزة بن عبد المطلب) في مادة أسد. وينطبق ذلك على أسماء النبات والحيوان. وفي تعريف الأعلام يذكر في ص (ر) أنه: "روعي في التعريف بالعلم ذكر وفاته قرين اسمه بالتاريخين الهجري والميلادي وشهرته التي اقتضت إيراده وآثاره الأدبية أو العلمية أو الفنية، ولكل علم ما يناسبه بسطاً وإيجازاً" فالتاريخ الهجري مثلاً لم يذكر مع الأعلام الأوروبية:

أما أسماء الحيوان والنبات فيذكر أسماءها العربية في موادها ورتبت حسب نطقها، وقد ترد إلى ما يفترض أنه جذرها كأقحوان من (ق ح و). وجرى تعريفها علمياً بذكر مقابلها الأجنبي وفصيلتها.

وفي الجانب الموسوعي نالت المعلومات النحوية والصرفية عناية المعجم الكبير، ومن ذلك ما جاء في تقليب المدخل المعجمي "أ ب" في أوضاعه النحوية.

في ٥٩/١ مادة - أبو * الأب: الوالد، وأصله أبو وإذا ثني الأب قيل أبوان، على الإتمام، وسمع في تشنيته (أبان) قالت تُكْتَم بنت الغوث:

بَاعَدَنِي عَنْ شَتْمِكُمْ أَبَانُ
عَنْ كُلِّ مَا عَيَّبَ مَهْذَبَانُ

وفي اللسان: قالت الشَّيْبَاء بنت زيد بن عمارة:

نَيْطَ بِحَقِّي مَا جَدَّ الْأَبَيْنِ
مَنْ مَعَشَرَ صَيَغُوا مِنَ اللَّجَيْنِ

واللغة المشهورة: هذا أبوك، ورأيت أباك، ومررت بأبيك، على الإتمام. وقد يقال: هذا أبك بالنقص، قال رؤبة:

بأبه اقتدى عدي في الكرم
ومن يشابه أبه فما ظلم

وسمع فيه: أباً، كعصاً، قالوا: هذا أباً، ومررت بأباً، وجاء أباك ونظر إلى أباك...". وفي ٦٤/١: "ويقال في النداء: يا أبةً يا أبةً، وفي لغة قليلة يضمها، والتاء عوض من ياء المتكلم فأصله: يا أبي. وعند الوقف تبقى التاء، أو تقلب هاء... ويقال أيضاً في النداء: يا أبتا... ويقال في الوقف: يا أبتاه.

ومما نال عناية فائقة في المعجم الكبير المعاني النحوية للحروف والأدوات والظروف خاصة حروف الأبواب كالهزمة والباء والتاء.. "فالباء حرف جر لمعان كثيرة حصرها ابن هشام في أربعة عشر معنى" (٧/٢).

وفي ١٥٩/١: من الهزمة والذال وما يثلهما: "إذ...: ظرف للزمان الماضي ملازمة للسكون وتضاف إلى الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) وقد يسبقها اسم زمان فيستغنى عن الجملة بعدها وتنون... وقد تركب (إذا) مع (ما) الزائدة (١٦١/١): "إذ ما: أداة شرط وجزاء، تجزم فعلين، وتعرب حرفاً مثل إن، أو ظرفاً مثل متى. والجزم بها قليل، قال الشاعر:

وإنك إذ ما تأت ما أنت أمرٌ به تُلف من إياه تأمر آتيا

وأما إذن في ١٦١/١: كلمة للجواب والجزاء، ويفصل القول مع الشواهد فيما ترد له، ويذكر وظيفتها النحوية من نصبها للمضارع الشروط وينتقل إلى رسمها فيقول في ١٦٢/١: "وُثِرَ سَمَ نَوْهَا أَلْفًا، ويوقف عليها أَلْفًا ويوقف عليها بِالْأَلْفِ كذلك عند الجمهور، تشبيهاً بتنوين المنصوب، والمآزني والمبرد يكتبانها نوناً، ويقفان عليها بالنون مثل: أن ولن. وقال الفراء: إن عملت كتبت بالألف، وإلا كتبت بالنون للفرق بينها وبين إذا. ونالت اللهجات العربية القديمة نصيبها في المعجم الكبير، ومن ذلك مثلاً الحديث عن أن في ٥٦٧/١: "أن حرف للتوكيد ونفي الشك، وفي القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٨﴾ . وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن المفتوحة عنياً، يقولون: نشهد عنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف قال قيس بن الملوّح:

أيا شُبّه ليلي لا تُراعي فإنني لك اليوم من وحشية لصديق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى عن عظم الساق منك دقيق

وفي ٥٧٩/١ - مادة أهل: "استأهل فلان الشيء: استحقه واستوجهه قال الأزهري: سمعت أعرابياً فصيحاً من بني أسد يقول لرجل - شكر عنده يداً أوليها - وتستأهل يا أبا حازم ما أوليت، وحضر ذلك جماعة من الأعراب فما أنكروا قوله. وقال الزمخشري في الأساس: سمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالاً واسعاً. وقال صاحب القاموس: لغة جيدة. وأنكره الأصمعي، وقال: إنما يقال: هو أهل ذاك، وأهل لذاك..".

ومما نال الاهتمام في نص المعجم الكبير المعرّبات وهي على نوعين: أولهما ما أطلق عليه النظائر السامية وتسميتها بالمعرّبات تنقصه الدقة العلمية، وقد كتبت بحروف لاتينية متلوّة بالنطق العربي. والآخر المعرّب من غير اللغات السامية الذي يرد إلى أصله الفارسي أو اليوناني أو غيرهما، ويوضع في المعجم كالنظائر السامية حسب ترتيب حروفه أي حسب نطقه، والأمثلة توضح ففي ٥٣/١ مادة أبل: "الأبيل (معرّب abīlā (أبيلا: حزين، راهب، تقي في السريانية". وفي ٦٥/١ - مادة أ ب ي: (في الحبشية abaya أبي: أبي، رفض. وترد المادة بمعنى الرفض أيضاً في العربية الجنوبية القديمة (في النقش السبئي RES 10:4176، والنقش المعيني RES 3695: 8,7). وتدل المادة على معنى الرغبة ضد الرفض - في العبرية والآرامية وبعض اللهجات العربية الحديثة).

وفي ٧٢/١ - مادة أ ت ت: "الأثون (في الأكديّة atūnu أو utūnu أثون (من ud(tu)na [أرون أو أثون] في السومرية): أثونا في آرامية العهد القديم والآرامية اليهودية áttōna أثونا في السريانية (والآرامية الفلسطينية المسيحية): ettōn (إثون في الحبشية، وقد انتقلت الكلمة إلى العربية من الآرامية): الموقد" ويبدو أنه قد فات أصحاب المعجم التنبيه على أن مثل هذه المواد اللغوية هي سامية الأصل أي من اللغة السامية المفترضة أمّا للعربية وأخواتها التي انفصلت وصارت لغات مستقلة، ومن الطبيعي أن يكون هناك مواد لغوية مشتركة فيما بينها وليست خاصة بإحداها دون الأخرى، فليس من الدقة العلمية أن

يقال مثلاً أن (أتون) أكديّة الأصل ثم عرّبت، بل هي سامية الأصل فوجدت في الأكديّة والآرامية والحبشية والعربية والسريانية، ويجدر التنبيه إلى أن السومرية ليست لغة سامية. وأما الكلمات الأخرى التي يمكن عدّها معربة حقاً فهو ما كان أصله غير سامي كالفارسية أو اليونانية كالإبريق على سبيل المثال التي وردت في باب الهمزة حسب النطق في مادة أبر، فجاءت بعد المدخل إبريز وقبل المدخل إبريل، فهذه المداخل اشتركت في الهمزة والباء والراء والياء واختلفت في الزاي والقاف واللام؛ فروع في ترتيبها الحروف المشتركة أولاً ثم اتبع في تواليها الترتيب الأببائي للحروف التي اختلفت فيها، فالزاي ثم القاف ثم اللام، وهذا هو الترتيب المتبع في المعرّبات والأعلام من الأشخاص والبلدان والمواضع الجغرافية وأسماء النبات والحيوان والمعادن غير العربية الأصل.

فالإبريق في ٣٨/١: (في الفارسية الحديثة أبريز: إبريق. آب: ماء + ريز: وعاء. وفي السريانية، عن الفارسية أيضاً ábrēqa أبريقاً: إبريق): إناء له عُروة وقناة ينصبُّ منها السائل، قال عديّ بن زيد:

فَدَعَوْا بِالصُّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةً فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْق

وفي مادة أبل - ٥٤/١: * إبليس - معرّب. (في اليونانية: (وكتبت هنا بالحروف اليونانية) ديابولوس: نمام، عدوّ، الشيطان): علّم على من وسوس لآدم وزوجه، والقول بأنه مشتق من أبلس غير صحيح. ورد ذكره في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (البقرة: ٣٤، طه: ١١٦)، وقال الفرزدق:

أَلَا طَالَمَا قَدِ بَتُّ يُوْضِعُ نَاقِي أَبُو الْجَنِّ إِبْلِيسَ بَغِيرِ خَطَامِ

وفي باب الهمزة والتاء وما يثلثهما - ٧٠/١ - *: أتابك (الأصل التركي) آتا = أب، بك = سيد). لقب سلجوقي أطلق أول ما أطلق على نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥هـ - ١٠٧٣م) وكان يطلق أيضاً على الأمير، علّم أبناء السلطان فنون السياسة والحرب.

وآتابك العساكر: أكبر أمراء الجيش في الدولة المملوكية..."

وفي مادة أسق - ٢٩١/١: * الإسْقالة: (وفي الإيطالية Scala): ما يربط من الأخشاب والجبال ليتوصّل به إلى المحالّ المرتفعة، وتسمّة أيضاً سْقالة". وأمثلة المعرّبات الاصطلاحية لا تعد ولا تحصى في هذا المعجم.

أما الاحتجاج لمعاني المفردات واستعمالاتها فقد سلك فيه مسلك المعاجم قديمها وحديثها فقد استشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب من الشعر والنثر. وقد فصل القول في مصادر هذه الشواهد وكيفية الاستشهاد بها وأنقله كما جاء في الصفحة (ص) من الجزء الأول:

أ- الحديث: أورد منه ما جاء في أحد الكتب الستة أو مسند الإمام أحمد، واكتفى منه بما يجزئ ويغني، وقد يضاف إليه ما نقل عن النهاية لابن الأثير والفائق للزمخشري، هذا غير استشهاده بالمأثور عن الصحابة.

ب- الأمثال: ولم يقتصر على ما ورد في المعجمات، بل أضيف إليه ما جاء في كتب الأمثال مبيّناً مضربه، وأشار إلى ما قد تحويه بعض النصوص من خرافات وأساطير.

ج- الشعر: أوثّر منه المنسوب إلى قائل على غير المنسوب، والواضح على الغامض ما لم يكن بد من ذكر هذا، وعند ذلك يفسر منه ما يعين على إيضاحه. وإذا تواردت الشواهد على دلالة واحدة سيقّت مرتبة ترتيباً زمنياً بحسب أصحابها، معوّلاً على رواية ديوان الشاعر إن وجد، مع الإشارة إلى ما جاء في كتب اللغة من خلاف، وإن عزت نسبة الشعر إلى قائله نص على المصدر الذي أخذ عنه. واستشهد بالشعر القديم والحديث، تأكيداً لوحدة اللغة، وغرساً لنواة في سبيل المعجم التاريخي. وفي آخر كل جزء ثبت بالشعراء المستشهد بشعرهم مع تاريخ وفاتهم وما لم يكن تحديد تاريخ وفاته غزّي إلى عصره.

لقد تمّ الخروج على قيدي الزمان والمكان عند الاستشهاد بالشعر على يد الزمخشري في الأساس، وظل هذا الخروج من الزمخشري، ومن تبعه كالبيستاني في محيط

المحيط أمراً استثنائياً، بلا إجماع أو اتفاق عليه من جمهرة اللغويين الذين اشتد حرصهم على نقاء اللغة وفصاحتها، ولكن هذا الخروج أصبح مألوفاً ومقبولاً بعد صدور المعجمين الوسيط والكبير عن مجمع اللغة العربية في القاهرة فأعضاؤه من سدنة اللغة المشرعين لقواعدها المحافظين على صحتها، فقد تم الاحتجاج في المعجم الكبير هذا بشعر البارودي (ت ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م) وأحمد شوقي (ت ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) وحافظ إبراهيم (ت ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) كما تم الاحتجاج بامرئ القيس (ت ٨٠ ق.م - ٥٤٥م) وغيره من شعراء العصر الجاهلي، وزيد الخيل الطائي (ت ٩هـ - ٦٣٠م) وغيره من شعراء صدر الإسلام وكذلك مع شعر العصرين الأموي والعباسي وأخص بالذكر أبا تمام (ت ٢٣١هـ - ٨٤٦م) والمتنبي (ت ٣٥٤هـ - ٩٦٥م) وغيرهم، انظر على سبيل المثال قوائم المحتج بشعرهم في الصفحات ٦٨١ - ٧٠٠ من الجزء الأول من المعجم الكبير.

وبقي لدينا بيان مصادر هذه الموسوعة اللغوية والعلمية بمعناها الشامل، أقصد المعجم الكبير، وجاء في مقدمة المعجم ج ١/ص و: "واستقر رأي المجمع على أن العربية ليست مقصورة على ما جاء في المعجمات وحدها، بل لها مظان أخرى، وفي مقدمتها كتب الأدب والعلم.." ويذكر منها في ١/ص ك "مقاييس اللغة لابن فارس" ويذكر بعضها في مقدمة الجزء الثاني ص ٤ وهي: "كتاب التكملة والذيل والصلة للصاغاني" في أجزائه الستة، و"ديوان الأدب للفارابي" في أجزائه الأربعة و"كتاب الجيم للشيباني" في أجزائه الثلاثة، و"كتاب الأفعال للسرقسطي" في أجزائه الأربعة، و"كتاب الإبدال لابن السكيت"، و"كتاب التنبيه والإيضاح" في جزأيه. ومن يستعرض صفحات المعجم سيصادفه من أسماء الكتب الصحاح للجوهري والأساس للزمخشري ومعجم البلدان لياقوت واللسان لابن منظور والتاج للزبيدي، ومن الأسماء التي تردت كذلك سيويه والفراء والأصمعي وابن الأعرابي وكراع النمل وأبي الطيب اللغوي صاحب الإبدال، والسيرافي والأزهري وابن جني والجوهري وابن سيده، غير النقل الدائم في أغلب المواد عن ابن فارس في مقاييس اللغة. هذا غير اعتماده في مادة النظائر السامية في الجزء الأول على الدكتور سيد يعقوب بكر رحمه الله.

٣-٤-٧ المعجم العربي الأساسي*

وهو حلقة أخرى في التأليف المعجمي الجماعي عند العرب، بعد المعجمين الوسيط والكبير الصادرين عن مجمع اللغة العربية - القاهرة.

والمعجم العربي الأساسي صدر سنة ١٩٨٨ عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، التي قامت على حد قول مديرتها العام ص ٨ من المقدمة: "بإعداد الخطة، والدراسات الضرورية لهذا المعجم، تصوّراً وتخطيطاً وتنفيذاً" وقد صدر بالتعاون مع مؤسسة لاروس العالمية التي تشرف على إصدار المعاجم والموسوعات ذات المكانة العلمية وباللغات المختلفة من أجل "التمكين لهذا القاموس الأساسي الذي وضع بصفة خاصة لغير الناطقين باللغة العربية، من أجل أن يصل إلى أيدي جمهوره في خارج الوطن العربي...".

وقامت المنظمة العربية التي صدر عنها هذا المعجم بخطوات منهجية عملية (انظر ص ٨ - ٩ من المقدمة) أولها الدورة التدريبية في صناعة المعجم العربي التي قام بتنظيمها مكتب تنسيق التعريب بالرباط (من ٣١ مارس/ آذار إلى ٨ إبريل/ نيسان ١٩٨١م) اشترك فيها باحثون معجميون من عدد من الأقطار العربية انتهت إلى إقرار المبادئ الأساسية في تأليف المعجم العربي.

وآخرها اجتماع خبراء في الصناعة المعجمية من الأقطار العربية في تونس من ٢٢ - ٢٧ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨٢م، وتقرر فيه إصدار المعجم العربي الأساسي، وأن يهتدي في تصنيفه بمبادئ صناعة المعاجم التي أقرت في ندوة الرباط، أما الغرض من تأليفه فقد وردت بإجمال في المقدمة (٨-٩) حيث أريد له أن يكون مرجعاً ميسراً، يذلل صعاب العربية لغير الناطقين بها، وأن يكون مخصصاً لمن بلغوا مستوى متوسطاً أو متقدماً لغير الناطقين بها، وأن يكون مخصصاً لمن بلغوا مستوى متوسطاً أو متقدماً في دراستها، وللمدرّسين منهم وللطلبة الجامعيين من غير العرب خاصة، في أقسام الدراسات العربية

* المعجم العربي الأساسي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب - تونس ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ - (لاروس).

والإسلامية في الجامعات الأجنبية، وللمثقفين منهم بصفة عامة... وعامة المثقفين من العرب والمستعربين.. ولعله يكون في المستقبل القريب أساساً لإصدار معاجم حديثة ثنائية بين اللغة العربية ولغات أخرى".

أما السمات التي تميز هذا المعجم التي فرضتها الأهداف منه والوظائف التي يؤديها فقد ساققتها المقدمة (ص ٩-١٠) بإجمال كذلك ويمكن إبرازها بما يأتي:

١- الإحاطة والشمول لكل ما يحتاج إليه مستعمل هذا المعجم فغطى مجالات معرفية كثيرة في الدين والآداب والعلوم والفنون والإعلام.

٢- أما السمة الموسوعية الثانية التي اتسم بها فهو ما يتناوله من المصطلحات الجديدة الحضارية والعلمية والتقنية. ويتعرض في إيجاز إلى الإعلام من الأشخاص قديماً وحديثاً من العلماء والأدباء والخلفاء والشعراء والقادة والفنانين وإلى الأماكن الجغرافية كالبلدان والمدن والأنهار.

٣- استعماله اللغة الحية الفصيحة، والمستعملة في هذا العصر، على امتداد الوطن العربي، وقد يعرض الاستعمالات القطرية الخاصة.

٤- تجنبه الحوشي والغريب والمهمل والمهجور من الألفاظ، ويورد ما شاع من مفردات اللغة الحية الجارية على السنة مثقفي العربية والمبسوطة في المؤلفات والدراسات، إضافة إلى المولّد والمعرّب الذي استعمله رجال العلم والفكر والأدب وما أقرته المجامع والمؤسسات العلمية العربية.

٥- تميزه كذلك بالبساطة والوضوح بما تضمّنه من منهجية ترتيب موادّه وكيفية استخدامه وبما استعمل فيه من رموز وما زوّد به من النظام الصرفي للعربية للأسماء والأفعال ونظام إملائها وطرق تنميتها.

٦- التزامه التأريخ للأحداث بالتقويمين الهجري والميلادي.

٧- ومن خواصه ندرة استشهاده بالشعر (انظر باب الحاء - ص ٣٣٦ - مادة حقّ كذلك باب الراء - مادة ردّ - ص ٥١٥ وهما موضعان عثرت فيهما على شاهدين شعريين) ولكنه استعان بالشواهد القرآنية والحديث، والأمثال والعبارات السياقية ولغة المعاصرة.

٨- إن المعجم حصيلة عمل جماعي، فقام على تأليفه نخبة من العلماء والمعجميين وهم الأساتذة: أحمد العايد، والدكتور داوود عبده، والدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور صالح جواد طعمه، والجيلاني بن الحاج يحيى، وندم المرعشلي. وقام بمراجعته الأساتذة: الدكتور تمام حسان، والدكتور حسين نصّار، وندم المرعشلي. وقام بتحريره: الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، وبالتنسيق الأستاذ الدكتور علي القاسمي. وأما فريق الإعداد الفني والإشراف الإداري الأساتذة: أحمد وليد طلبة وأديب اللجمي وشحادة الخوري والدكتور طه حسن النور وحسن السحري وفرج المزوغي وخليل النحوي، وقام بالتقديم للمعجم الأستاذ الدكتور يحيى الدين صابر.

ويرد بعد التقديم مبحث قصير عن اللغة العربية، نشأتها، وخصائصها، وطرق تنميتها بالاشتقاق والنعت والتعريب والمجاز الذي يقصد به التطوير الولاوي. ويأتي المبحث السابق حديث أقرب إلى التفصيل منه إلى الإجمال عن النظام الصرفي في اللغة العربية (من ص ١٨-٨٥) يبدؤه بالفعل من حيث زمانه (ماض ومضارع وأمر)، ومن حيث تركيبه الثلاثي (المجرد والمزيد) والرباعي (المجرد والمزيد) ومن حيث بنيته (الصحيح والمعتل) ومن حيث عمله (اللازم والمتعدي، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول) ومن حيث تصريفه (الجامد والمتصرف). ويثنى بالاسم (المتصرف والجامد) والمصادر والمشتقات والنكرات ثم المعارف من الأسماء (كالضمائر وأسماء الموصول، والمعرف بـأل والمضاف إلى معرفة، والمعرف بالنداء) والأسماء المفردة والمثناة وشروط الثنية والجموع كالذكر السالم والمؤنث السالم والتكسير وصيغة منتهى الجموع والأسماء من حيث بنيته (الصحيح الآخر والمقصور والمنقوص والممدود وصياغتها) ومن حيث نوعه (المذكر والمؤنث وعلاماته وأنواعه) ومن حيث تصغيره والنسبة إليه صحيحاً ومقصوراً وممدوداً ومحذوف الآخر ثم ينتقل إلى الحروف: المختصة بالأسماء، والمختصة بالأفعال، والمشاركة. وبعدها يتحدث عن أحوال صرفية تصيب الأفعال والأسماء كالادغام والإعلال والإبدال. وبعده يتبعه حديث عن الاسم صفة وموصوفاً وعلماً مفرداً ومركباً، ثم العدد مفرداً ومركباً، ومعطوفاً وعقوداً، وتذكير العدد وتأنيثه وتعريفه وكناية ثم المنوع من الصرف

ومواضعه، ثم يتحدث عن الظروف معربة ومبينة وأسماء الأفعال، والإعراب والبناء ويعرفهما ويبين مواضعهما في الأسماء والأفعال والحروف.

ولا يفوته الحديث عن قواعد الإملاء فيفتح لها مبحثاً في طرق كتابة الهمزة في أول الكلمة ووسطها وآخرها، في الأفعال والأسماء، وكذلك الألف المتطرفة في الأفعال والأسماء. ثم يتحدث عن مواضع الفصل والوصل والحذف والزيادة وعلامات الترقيم.

ونصل إلى منهجية المعجم في ترتيب مداخله، واستخدامه، والرموز المستعملة فيه، ولا يخضع الأمر هنا إلى استنتاج، فقد تكفل بتوضيحها نصاً المشاركون في وضع المعجم وتحريره فقد وردت في ص ٥٩ - ص ٦١ من المعجم هذه الإيضاحات.

وأولها - ترتيب المعجم ويذكر تحت هذا العنوان:

- رتبت مواد المعجم أو الجذور التي يشتمل عليها، في أبواب بعدد حروف الهجاء حسب حرفها الأول، ثم رتبت مواد كل باب وفقاً للحرف الثاني فالثالث (واعتمد في ذلك التسلسل الألفبائي (المشرقي) المعهود للحروف وليس الألفبائي المغربي، أو الأبجدي السامي، أو الصوتي الخليلي).
- أدرج الفعل الثلاثي المجرد حسب الترتيب التالي: فَعَلَ، فَعُلَ، فَعِلَ، ثم تلتته الأفعال الثلاثية المزيدة: بحرف فالمزيدة بحرفين فالمزيدة بثلاثة أحرف، ثم بالتضعيف فالمزيدة بالألف ثم المزيدة بالهمزة: وفَى، وأفَى، أوفى (وفي). أما الرباعي المجرد فأدرج حسب تسلسل أحرفه ثم تلاه المزيد بحرف فحرفين (أي اعتمد في ترتيب الأفعال على ما جاء في المعجمين الوسيط والكبير).
- رتبت الأسماء المُعَرَّبَة من مصادر ومشتقات وغيرها حسب تسلسل حرفها الأول، فحروفها الأخرى؛ فالإسلام في إ س ل ا م وليس في سلم، كما رتبت الأسماء المبنية والحروف حسب تسلسل أحرفها أيضاً.
- أدرجت مصادر الأفعال المجردة والمزيدة مع أفعالها، ثم ذكرت منفردة، ومع الفعل ذكر المشتقات منه.
- عندما يكون للكلمة أكثر من معنى، تُدرج المعاني المتعددة مرقمة بالتسلسل.

وثانيها: استخدام المعجم: واعتمدت في ذلك القواعد الآتية (باختصار):

١- الأفعال: أ- يرجع في الأفعال إلى الفعل المجرد الثلاثي أو الرباعي، وتحذف منه الأحرف الزائدة.

ب- يفك الادغام فيها.

ج- يعاد الحرف المقلوب إلى أصله.

د- يرجع بالمضارع والأمر إلى الماضي.

٢- الأسماء: أ- يرجع في مصادر الأفعال الثلاثية والرباعية والمزيدة منها إلى أفعالها المجردة.

ب- (تعامل الأسماء المشتقة معاملة المصادر).

ج- تطلب الأسماء الجامدة والمعربة والدخيلة حسب ترتيب حروفها

(أي حسب نطقها فأسطول في باب الهمزة وليس في باب

السين).

د- يعاد الحرف المحذوف إلى أصله فأب في أبو.

٣- الحروف: تطلب اعتماداً على تسلسل حروفها (الأول فالثاني...)

ثالثها (آخرها): رموز المعجم:

﴿﴾ القوسان المزهران: قرآن. هـ: هجري. م: ميلادي. مص: مصدر. مـ: مفرد/ها. ج: جمعه/ها. ج-ون: جمع المذكر السالم منه. ج-ات: جمع المؤنث السالم

منه. ج: ج: جمع الجمع. مذ: مذكرها. مؤ: مؤنثه. (-): تكرار الكلمة (المدخل). (ت): توفي بتاريخ. .../...: أو (في صيغ الفعل وتصاريفه. مج: لفظ اعتمده مجمع اللغة العربية.

مو(مولد): لفظ عربي استعمل قديماً وأعطي معنى جديداً بعد عصر الرواية. مح (محدث): كلمة عربية حملت معنى في العصر الحديث. مع (معرب): لفظ أعجمي دخل العربية مع

تغيير ليتوافق مع أوزان العربية. د(دخيل): لفظ أعجمي دخل العربية دون أن يصيبه تغيير.

وقد فتح في المعجم لكل حرف باباً وتبدأ الأبواب بالهمزة وهو أول الحروف

الهجائية وتنتهي بالياء وهو الحرف الثامن والعشرون من الحروف الهجائية. وكل باب يبدأ

بيان مخرج الحرف الذي فتح له الباب، وصفاته الصوتية ثم وظائفه النحوية؛ وهي طريقة أصبحت تقليدية لتداولها في المعاجم القديمة والحديثة. ويسترسل بعد ذلك بإيراد المداخل بالتسلسل المفترض في منهج المعجم؛ ففي باب الهمزة يبدأ بالهمزة مع الهمزة (الحرف الثاني) والباء (الحرف الثالث من الجذر) حتى ينتهي إلى الهمزة مع الياء (الحرف الثاني من الجذر) مع الحرف الثالث من الجذر.. وهكذا مع كل باب من أبواب المعجم.

وأنقل إلى عناصر نص هذا المعجم وأبدأ بالعنصر الصوتي، أي ضبط بُنى المداخل وشروحها، والنظرة الأولى لا تخطئ أنه قد اعتمد كلياً على وضع الحركات على حروف الكلمات كلها حتى الحركة الإعرابية خاصة في المداخل والشواهد القرآنية والحديثة، وغالباً ما يحتاج إلى الحركة للضبط وأمن اللبس، ويكثر ذلك في ضبط عين الفعل ماضياً ومضارعاً فعلى سبيل المثال في باب الراء - مادة ر ك ن - "رَكَنَ/رَكِنَ يَرُكُنُ/يَرَكُنُ رَكْنًا ورُكُونًا فهو راكن: إليه: مال إليه واعتمد عليه "ركن إلى الهدوء": ﴿وَلَا تَرْكُونُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١).

بعد الإلمام بالطريقة الوحيدة التي التزمها في ضبط المفردات؛ أنتقل إلى أساليب أداء المعنى في هذا المعجم، ويجدر أن أذكر القارئ بما نُصَّ عليه ص ٥٩ في منهجية المعجم من أنه "عندما يكون للكلمة أكثر من معنى، تدرج المعاني المتعددة مرقمة بالتسلسل" ولكنه لم يفصل القول في تدرّجه إذا كان قد راعى إيراد الأصلي قبل الفرعي، والحسي قبل المعنوي، والحقيقي قبل المجازي، كالذي نبّه إليه المعجم الكبير. ويحسن أن أذكر أنه في المواد بدأ بالأفعال وتتلوها الأسماء.

وأبدأ بما اعتاد أن يبدأ به في كل مادة، وهو الفعل فيأتي بماضيه فمضارعه فمصدره مجرداً ثم مزيداً، لازماً ومتعدياً، ويورده في سياقات لغوية تتلوها المعاني التي يؤديها من خلال هذه السياقات مؤيدة بالشواهد فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر من باب الباء - مادة ب ط ل ص ١٦٢: "بَطَلٌ يَبْطُلُ بَطْلًا وَبُطْلَانًا باطلٌ:

(١) ١١٣ - هود.

١ — الشيء: ذهب ضياعاً. ٢ — الأمر: فسَدَ وسقط حكمه ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) "بَطَلَ البيع"، و"بَطَلَ الدليل".
بَطَلَ يُبْطِلُ بَطَالَةً/ بَطَالَةً بَطَالًا: — العاملُ: لم يجد عملاً يتفق مع استعداده
نظراً لحالة سوق العمل.

يَطُلُ يُبْطِلُ بَطُولَةً فهو بَطَلٌ: — المحاربُ: شجع واستبسل.
بَطَلٌ يُبْطِلُ تَبْطِيلًا: ١ — العاملُ: عطَّله، ٢ — القرارُ: ألغاه.
أَبْطَلَ يُبْطِلُ إِبْطَالًا: ١ — الحكمُ ونحوه: ألغاه "أبطل القرار" ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٢)، ٢ — جاء بالباطل.

عند النظر إلى المعاني مقابل السياقات اللغوية سنجد أنها تراوحت بين بيان المعنى
بالترايف نحو فسَدَ، وشجع، وعطل وألغى. وبين إيضاح المعنى بالشرح مع الاستعانة
بالشواهد والأمثلة.

وبعد الأفعال ينتهي إلى الأسماء والمشتقات من هذه المادة ويبدأ بـ: "أباطيل: (عادة
في صورة الجمع) لفظ يطلق على كل أشكال الباطل وكل ما هو عبث وغرور"، وهذا هو
التعريف.

"إِبْطَال: ١ مص أَبْطَلَ، ٢ [طبيياً]: عملية وقف نشاط مادة ما أو تأثيرها".

وهذا تعريف منطقي أيضاً.

باطل ج بواطِل وبُطُل:

١ — مالا ثبات له عند الفحص، عكسه الحق "كلام باطل" وهو تفسير بالـضد،
والجدير بالذكر أنه يعرف الحق في ٣٣٧/١ بعكس ذلك تماماً بقوله: "الثابت
بلا شك عكسه الباطل".

٢ — لغو وعبث ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً﴾^(٣). وهذا بيان المعنى بالمرادف.

(١) ١١٨ — الأعراف.

(٢) ٢٦٤ — البقرة.

(٣) ١٩١ — آل عمران.

ما سبق مجرد أمثلة لبيان التنوع في أداء المعاني. وأرى أنه من الضروري أن أسرد أمثلة أخرى لكل نوع قدر المستطاع. وأبدأ بأمثلة أداء المعنى بالترادف ففي باب الهمزة مادة أ ب ر ي ز / ص ٦٦: "إبريز: ذهب خالص..". وفي مادة أ ب ل / ص ٦٧: "إبل: الجمال والنوق (مؤنث)". وفي باب الباء مادة ب ر ط ل / ص ١٤٧: "برطيل ج براطيل: رشوة" البراطيل تنصر الأباطيل" [مثل]. وفي مادة ب ر ع / ص ١٤٨: "براعة: مصدر برع، مهارة". وفي باب الثاء مادة ث ك ن ص / ص ٢١٦: "ثكنة ج ثكن وثكنات: مقر الجند" عادت قوات الجيش إلى ثكناتها بعد استتباب الأمن في البلاد". وفي باب الجيم - مادة ج ف و / ص ٢٥٤: "جفوة: النفور والتباعد،" عادت العلاقات بينهما إلى مجاريها بعد فجوة دامت بضعة شهور". وفي باب الدال مادة د ك ن، ص ٤٥: "دكان ج دكاكين: متجر أو حانوت" وفي باب السين مادة س ج ن ج ل ص ٦١٠: "السجنجل: المرأة" وفي مادة س ج و - ٦١٠: "سجًا..: سكن" سجًا الليل".

أما أداء المعنى بالتعريف فإنه في كثرته لا يقل عن أداء المعنى بالترادف، وفي باب الهمزة - مادة أ ج ر - ص ٦٤: "آجر: من آجرة: لبن محرق يُعدّ للبناء وتكون المادة المحرقة من الطين أو أي مخلوط آخر كالجير والرمل أو الإسمنت والرمل". وفي مادة أ ب ر ص ٦٦: "إبرة ج إبرات وإبرات وإبر: أداة دقيقة أحد طرفيها محدّد والآخر مثقوب يُخاط بها" وفي باب الباء مادة ب ر د ع - ص ١٤٥: "بردعة ج برادع: ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه كالسرج للفرس" وفي مادة ب ن ي - ص ١٧٩: "بنوية: مذهب في العلوم والفلسفة مؤداه الاهتمام أولاً بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض، وقد امتد هذا المذهب إلى علوم اللغة عامة وعلم الأسلوب خاصة، ويعرف أحياناً باسم البنائية والتركيبة"، وفي باب التاء - مادة ت ب ن ص ١٩٤: "تبّئ ج أثبان: ما يُهشّم من سيقان القمح والشعير بعد درسه، تغذى به الماشية". وفي باب الجيم مادة ج ل د - ص ٢٥٥: "جلاد ج - ون: الذي يتولّى الجلد والقتل" وفي باب الحاء - مادة ح ض ر - ص ٣٢٧: "حضارة: ١ مص حضر، عكسه البداوة، ٢ ج حضارات مجموع الخصائص الاجتماعية والدينية والخلقية والتقنية والعلمية والفنية الشائعة في شعب معيّن

كالحضارات الهندية واليونانية والعربية "لابد لكل حضارة غربية أو شرقية من أن تنظم المادة والروح معاً". في باب الرء - مادة ر د ف - ص ٥١٦ "ترادف: ١ مص ترادف، ٢ [في علم اللغة]: تطابق اللفظين أو تقاربهما في المعنى". وفي باب السين - مادة س ك ك - ص ٦٣٢: "سكة الحديد: طريق ممهّد عليه قضبان من الحديد متوازيان تسير عليهما القطر الآلية". وفي باب الصاد - مادة ص ح ر - ص ٧٢٢: "صحراء ج صحار (الصّحاري) وصحاري: أرض واسعة قفر لا ماء فيها ولا حياة" الصحراء الكبرى في إفريقيا". وفي باب الطاء - مادة ط ف ل - ص ٧٩٥ "طُفَيْلي: ١ ج - ون: من يذهب إلى المجالس والولائم من غير أن يدعى إليها" كان أشعب طفيلياً" وهو نسبة إلى طُفَيْل رجل كوفي غطفاني اشتهر بذلك".

وقد يجمع أحياناً في أداء المعنى بين الترادف والتعريف كما جاء في مادة ب ر ج ل - ص ١٤٣: "بَرَجَل ج بَرَجِل: بَرَكَار/ فَرَجَار وهي آلة مركبة من ساقين متصلتين تثبت إحدهما وتدور حولها الأخرى تُرْسَم بها الدوائر والأقواس". وفي باب الباء - مادة ب ر ق - ص ١٤٨: "برقية ج برقيات: تلغراف وهي رسالة ترسل من مكان إلى آخر بواسطة جهاز البرق، "تبادل الرؤساء والملوك برقيات التهاني بمناسبة عيد الفطر المبارك".

وقد يؤدّي المعنى في هذا المعجم أيضاً بضده أو عكسه وهو اللفظ الذي اعتاد عليه كقوله في باب الباء - مادة ب ر د - ص ١٤٤: "بارد عكس حار". وفي مادة برر - ص ١٤٦: "برّ: ١ ج برور: أرض يابسة، عكسه بحر". و"برّي: منسوب إلى البرّ قوات/ معركة برّيّة: ميدانها البرّ، عكسه قوات/ معركة بحرية أو جوية. نبات برّي: ما لا يُزرع عادة، عكسه نبات بستاني، وهنا أيضاً أدى المعنى بالجمع بين الترادف والتضاد.

وفي مادة ب ط ن - ص ١٦٣: "باطن ج بواطن وأبطنة: رقم ١ خفيّ كل شيء وداخله، عكسه ظاهر. "يرى العالمون ببواطن الأمور كذا وكذا". وفي مادة ب ع د - ص ١٦٥: "بَعَدَ يَبْعُدُ بُعْدًا/ بَعْدًا: ١ — الشخص: نأى، عكسه قرب". وفي ص ١٦٦ "بَعِيدٌ ج بُعْدَاء، وللعاقل — ون: ١. ناء عكسه قريب" لم يكن يسمع صوتها فقد كان

بعيداً عنها". ٢. غريب عكسه قريب "ربّ بعيد أقرب من قريب". ومن الجدير بالذكر أنه جاء في الظاهر عكسه باطن (ص ٨١١)، وقرب عكسه بُعد (ص ٩٧٥).

وفي باب التاء - مادة ت ح ت - ص ١٩٥: "تَحْتَ: عكس فوق، وهو ظرف مكان..". وفي مادة ح ر ر - ص ٣٠٤: "تَحْرِيرِي: ... كتابي، عكسه شفهي (امتحان تحريري). وفي مادة ح ض ر - ص ٣٢٧: "حَضَارَة: ا مص حَضَر، عكسه البداوة" و"حَضَر: .. ال - من الناس: ساكن الحَضَر، عكسه البدو..". و"حَضَرِي: منسوب إلى الحَضَر عكسه بدوي.."، و"حَضُورِي: منسوب إلى الحضور I "حوكم حضورياً"، بحضوره عكسه غيابياً، حكم حضوري: في حضور المتهم عكسه "حكم غيابي".

وقد يستعمل ألفاظاً تفيد القضاء بدلاً من لفظ عكس، ومن ذلك استعمال لفظ "خلاف" كقوله في باب الباء - مادة ب ع د - ص ١٦٥: "بَعْد: خلاف قبل...". وفي مادة ب ن ي - ص ١٧٨: "بِنَاء: [في اللغة] أ- لزوم آخر الكلمة حالة واحدة، خلاف الإعراب" وفي ص ١٧٩: "مَبْنِيٌّ: [في النحو] ال - : خلاف المَعْرَب، وهو ما لا تتغير حركة آخره". وفي باب العين - مادة عَجَم - ص ٨٢٤: "العَجَم: خلاف العرب".

وفي باب التاء - مادة ث ن ي - ص ٢٢١: "الثَنائية: تقابل الأحادية". وفي باب الظاء - مادة ظ ه ر - ص ٨١١: "ظَهَر ج ظهور وأظْهَر: مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز، مقابل البطن". وفي باب العين - مادة عدم - ص ٨٢٧: "العَدَم: ضد الوجود، فهو نفي شيء من شأنه أن يوجد"، وفي باب الواو - مادة وجد - ص ١٢٩١: "وُجُود: كون الشيء واقعاً، عكسه العَدَم".

وإن طريقة عرضه لمعاني المواد في تتابعها وتسلسلها على طريقة القواميس الأوروبية، بوضعه المداخل المعجمية في سياقات لغوية، أفضى إلى دلالات مختلفة للفظ الواحد أو المدخل المعجمي، وصار هذا المدخل مشتركاً لفظياً، والأمثلة الدالة كثيرة ومنها على سبيل المثال الفعل "قضى" في باب القاف - مادة ق ض ي - ص ٩٩٣ - ٩٩٤: "قضى يقضي قضاءً: ١ - الله: أمر ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١)، ٢ - وطَرَهُ: بلغ مراده،

(١) ٢٣ - الإسراء.

٣ - حاجته: بلغها وأتمها وفرغ منها... "قضى مدة العقوبة"، ٤ - الدّين: دَفَعَه،
٥ - الصلاة: أدّاها، ٦ - الأمر إليه: أبلغه إياه، ٧ - الشخص نجبه أو أجَلَهُ: مات،
٨ - عليه: قَتَلَهُ "قضى على المقاومة" ٩ - على الخطر: أبعد، ١٠ - بين الخصمين: حَكَمَ
بينهما ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(١).

أما المثال على المشترك اللفظي من الأسماء فهو كلمة "عين" في مادة ع ي ن -
ص ٨٨٢: "عَيْنٌ: ج عيون وأَعْيُن: ١ عضو الإبصار... ٢ يَنْبُوعُ الْمَاءِ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ
عُيُونًا﴾^(٢) ٣ جاسوس "وكان عيناً لدولة أجنبية" ٤ النفيس من كل شيء "هذه القصيدة
من عيون الشعر" ٥ عين الشيء: ذاته، نفسه (وتستكمل للتوكيد)... ٦ الحاضر من كل
شيء: "بعته عيناً بعين" .. عَيْنٌ ج أعيان.

"العَيْن: مدينة من إمارة أبو ظبي فيها جامعة الإمارات العربية المتحدة".

"العين: كتاب - معجم ألفه الخليل بن أحمد...".

ومما يجدر ذكره أن المعجم قد تخلّى عن أحدث وسيلة لإيضاح المعنى وهي
الاستعانة بالرسوم والصور والخرائط، وهي أبلغ في ربط الألفاظ أو المداخل المعجمية
بمعانيها والتميز بين أنواعها وأشكالها خاصة في المحسوسات من النباتات والحيوانات
والأفلاك الشمسية والمركبات والأجهزة الكهربائية والأدوات الحضارية والمعادن والمواقع
الجغرافية وتضاريسها... الخ.

وهي طريقة بدأها حديثاً "المنجد" وكانت من وسائل المعجمين الوسيط والكبير
الصادرين عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيرها من المعاجم الحديثة.

وقد كان للجانب الموسوعي في المعجم العربي الأساسي حظه الوافر من
المصطلحات والأعلام من البلدان والأشخاص والأجناس والكتب والأديان، وحروف
المعاني.

(١) ٧٢ - طه.

(٢) ١٢ - القمر.

وأبدأ بالمصطلحات التي تنوعت لغوياً وأدبياً وعلمياً ودينياً واجتماعياً وتربوياً وإنسانياً وتاريخياً وجغرافياً، وكان يُنص على نوع المصطلح قبل تعريفه بقوله مثلاً في الفلك أو في النحو وهكذا. ومن ذلك اصطلاح تأثرية في باب الهمزة - مادة أثر - ص ٧٠: "تأثرية: مص صناعي، ١ [في النقد]: الانطباعية، وهي مذهب يرى أن النقد لا يخضع لقواعد عقلية بقدر ما يخضع للذوق الشخصي والتأثر الذاتي، ٢ [في الفن]: اتجاه يقوم على التعبيرات عن تأثرات الفنان أكثر من التعبير عن ظاهر الأشياء".

وفي باب الزاي - مادة زوج - ص ٥٩١ - ازدواجية: "ازدواجية اللغة: استعمال اللغة الفصيحة واللغة الدارجة وهو خلاف الثنائية، أي استعمال لغتين مختلفتين كالعربية والانجليزية". وأمثلة الاصطلاحات الأجنبية في باب الباء - ص ١٢٨: "باثولوجيا: علم الأمراض أسبابها وأعراضها". وفي باب الراء - ص ٥٦٣: "روماتيزم: مصطلح عام يطلق على حالات مختلفة من آلام العضلات والمفاصل".

ومن أعلام الأشخاص في باب السين - ص ٦٣٢: "السكّري: أبو سعيد الحسن بن الحسين (٢١٢ - ٢٧٥هـ / ٨٢٧ - ٨٨٨م): عالم أديب راوية، جمع العديد من دواوين الشعراء، وألف "النبات، والوحوش، وغيرهما".

وفي باب الطاء - ص ٧٩٧: "طلعت حرب (١٢٨٤ - ١٣٦٠هـ / ١٨٦٧ - ١٩٤١م): اقتصادي مصري ورائد النهضة الصناعية في أرض الكنانة، أسس عدة شركات وطنية وتوّج أعماله بتأسيس بنك مصر (نحو ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م) برأس مال وطني خالص".

ومن أعلام الأماكن والبلدان "عكاظ" على سبيل المثال - ص ٨٥٧: "عكاظ: سوق للعرب في الحجاز بين نخلة والطائف كان الشعراء يلقون فيها قصائدهم". وفي ص ٩٢٢ - الفُرات: "نهر ينبع من أرمينيا ويجري في تركيا وسورية والعراق، ويتحد مع نهر دجلة ليكون شط العرب". وفي ٩٦٢ - قبرص: "قبرص: جزيرة في شرق البحر الأبيض المتوسط، يتألف سكانها من أقلية تركية وأغلبية يونانية عاصمتها نيقوسيا". وفي

ص ١٠٣٤ - "كربلاء: مدينة مقدّسة في وسط العراق ومركز محافظة كربلاء، فيها استشهد الحسين بن علي، وفيها مرقده".

ومن الأعلام الدينية ص ٩٨: "الأقصى، المسجد، الجامع الكبير المقدّس في مدينة القدس، من أهم الجوامع الإسلامية، يقع جنوب الصخرة، كان قبلة الإسلام الأولى قبل الكعبة ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^(١) وفي ص ٧١٦ - الصائبة: "قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنهم على ملة نوح وقبلتهم مَهَبُ رِيح الشمال عند منتصف النهار، كان مقرهم حَرَّان".

وفي ص ١٠٢٢ - "كاثوليكية: مجموعة التعاليم المسيحية التي تدين بها الكنيسة الرومانية وعلى رأسها البابا".

ومن أعلام الكتب أذكر ص ١٨٥ "البيان والتبيين: كتاب من الأدب والبلاغة ألفه الجاحظ". وفي ص ١٠٢٢ "الكامل في اللغة: كتاب في الأدب واللغة من تأليف المبرد، يعد أحد مصادر الأدب الأساسية".

والأمثلة للأعلام من كل نوع تفيض بها صفحات المعجم ولا مجال لحصرها، فأكتفي بما ضربته من أمثلة.

ويبقى لدينا من المعلومات الموسوعية المصطلحات النحوية والصرفية، والأدوات النحوية ووظائفها، والأمثلة كثيرة جداً فلو أخذنا المدخل (جمع) ص ٢٦٢: "جمع... [في النحو] صيغة تدل في العربية على ما يزيد على اثنين، وهي على أنواع: أ- جمع التكسير مثل جَمْع ج جموع وجمع ج مجامع ب- جمع المذكر السالم مثل مُؤْمِن ج مؤمنون (في حالة الرفع) ومؤمنين (في حالي النصب والجر) ج- جمع المؤنث السالم جامعة ج جامعات (في الرفع) وجامعات (في حالي النصب والجر) واجتماع ج اجتماعات واجتماعات.

ومن الأدوات نقتطف ما جاء عن "أو" ص ١١٨: "أو: حرف يدل على أحد الشيئين ومن معانيه: ١ الشك ﴿لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٢)، ٢ التخيير "سافر

(١) ١ - الإسراء.

(٢) ١٩ - الكهف.

بالقطار أو بالسيارة"، ٣. بمعنى بل ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(١).
٤. التقسيم "الكلمة اسم أو فعل أو حرف"، ٥. الغاية. بمعنى إلى أن، ويأتي بعده المضارع منصوباً "أقرأ أو أناأم" "لأستسهل الصعب أو أدرك المنى".

كذلك المعربات كان لها حظ وافر من نص هذا المعجم التي اكتفى بكتابتها بالحروف العربية المضبوطة بالحركات ولم يلجأ كالمعجم الكبير مثلاً إلى إردافها بالحروف اللاتينية أو غيرها.

وغالباً ما يكتفي ببيان ما تدل عليه بالتعريف ونادراً ما ينص على أصله اللغوي ومن المعربات القديمة من (باب الباء) برنامج ص ١٥١ "برنامج ج برامج: منهج أو مخطط يوضع لغرض ما" "تنشر الصحف برامج الإذاعة والتلفزيون في صفحة خاصة"، ومن المعربات الحديثة في باب الهمزة - ص ١١٨: "أوتوستراد: طريق عريضة ثنائية الاتجاه يسمح فيها بتجاوز السرعة المحددة داخل المدن". ومن المعربات ما كان يعرفه ثم يذكر مقابله العربي كما جاء في باب الياء - ص ١٣١: "بجامة/بيجامة ج بجامات: حلة من قطعتين تلبس في البيت، منامة".

ومن المعربات ما كان يكتفي بذكر مقابله العربي فقط مثل ما جاء في ص ١٧٧ (باب الباء) "البنك: المَصْرَف"، و"بنكنوت: أوراق مالية" وفي باب التاء ص ١٩٦: "تراجيديا: مأساة، وفي باب السين ص ٦١٠: "السَّجْنَجَل: المرأة". ومما يذكر أنه كان أحياناً يبين معنى المدخل العربي بذكر مقابلة المعرب مثل ما جاء في باب التاء ص ١٤٨: "برقية ج برقيات: تلغراف...". وأحياناً يعرف المعرب مع أن له مقابلاً عربياً ففي باب الباء مثلاً ص ١٣٠: "بَتْرُول/بَتْرُول: سائل قابل للاشتعال يستخرج من باطن الأرض" ومقابله العربي كلمة "نَظَط"، لم يذكرها. وأحياناً يفسر المعرب بمعرب آخر كقوله في باب الباء - ص ١٤٩: "بَرْكار: بَرْجَل"، وفي ص ١٧٦: "بَنْدُورَة: الطماطم".

ومما يجدر ذكره أيضاً عن المعربات في هذا المعجم أنه كان لا يلقي بالاً إلى أصل الكلمة المعربة (المدخل المعجمي المعرب) إلا ما ندر، من مثل قوله في باب الجيم -

ص ٢٦٠ "جُمُرُكُ ج جمارك الضريبة التي تؤخذ على البضائع المستوردة... أصله: كمرك (تركية) وعربيته مَكْسٌ". وقلما يرد الإشارة إلى أن اللفظ معرب أو دخيل، ومنه مثلاً: مادة فَرَمَل/ص ٩٣١ رمز بـ (د) أي دخيل. بينما لم يرد مثلاً في بستر وتلفن وكهرب.

وأنقل إلى الاحتجاج في المعجم العربي الأساسي الذي غلب وطفى فيه الاستشهاد بالنثر على الشعر، فكانت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ التي وظفت في إيضاح معاني المداخل المعجمية في الدرجة الأولى، ويبدو أن هذه الغاية كانت وراء استشهاد بالآقوال الشائعة المعاصرة ولغة الصحف والإعلام، فضلاً عن الأمثال، إذ لم يكن من همّ مؤلفيه استنباط قواعد نحوية أو صرفية أو استخلاص دلالات.

ومن أمثلة العبارات المعاصرة التي استخدمت قرائن أو مميزات بين دقائق المعاني أقتطف من باب الرءاء - مادة روح، ري ح ص ٥٥٧ - ٥٥٨:

راح يَرُوحُ رَوَاحاً رَائِح: ١ الشخص: رجع في العشي (من الزوال إلى الليل): "راح إلى بيته بعد عمل النهار"....

I راح ضحية له: أصابه سوء عن طريقه.

راح يَرِاحُ/ يَرِيحُ رَوَاحاً وَرِيحاً رَائِح مَرِيح - الشيء: اشتَمَّه "مَنْ أَعَانَ عَلَى مَوْمن لَمْ يَرِحْ/ يَرِحْ رائحة الجنة" [حديث]، وهو هنا لإثبات صيغة يَرِحْ وَيَرِح.

راح يَرِاح رَوَاحاً وَرَاحَةً رَائِح: للشيء: نشط وأخذته له خفة وأريحية: "أجد راحة في قراءة القرآن".

رَوَّح يَرُوحُ تَرَوِّحاً: - الشخص: عاد إلى بيته (محدث).

راوَح يراوَح مُراوَحَةً: - بين الشيئين أو العملين: تناول هذا مرة، وذاك أخرى، ويقال كذلك: راوَح بين جنبيه إذا تقلب عليهما.

أراح يريح إراحة...: أراحه: أدخله في الراحة: "أراح نفسه". "أراح ضميره"، "أراح أعصابه"، "أرحنا بالصلاة" [حديث].

أراح إبله: ردّها في المساء عن المرعى إلى مَراحها: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾^(١).

تراوَحَ يَتراوَحُ تَراوُحاً: ١- بين كذا وكذا: تردّد "تراوَح عدد المتظاهرين بين ٦٠٠ و٧٠٠ شخص".

ارتياح: مص ارتاح "أعرب عن ارتياحه الشديد".

أُريحية: مص صناعي: ارتياح وخفة للندى والكرم: "فيك أريحية".

استراحة: ١ مص استراح ٢ ج استراحات: غرفة للانتظار في الأماكن العامة (محطة قطار/ مركز عمل...) "انتظر وصول القطار في استراحة المحطة".

راحة: ١ مص راح "راحة البال"، "لم يذق طعم الراحة، ٢ ج راح وراحات: باطن الكف "دفعه براحة يده" ٣ عطلة: "الراحة الأسبوعية" ٤ استراحة: "ما ذاق طعم الراحة"، "هذا وقت الراحة بالنسبة لي".

روح ج أرواح: ١ النفس وما به حياتها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١).

أما الشعر فكان استشهاده به نادراً؛ فلم يقع نظري، راجياً ألا يكون قد خانني، إلا على ثلاثة أبيات ولم تنسب لقائلها وهي على الترتيب الآتي:

في باب الهمزة - مادة أول - ص ١٢٠: (وهو للمنتبي):

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لَا تَبِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

وفي باب الحاء - مادة حق - ص ٣٣٦: (لشاعر معاصر هو علي محمود طه):

أخي جاوز الظالمون المدى فحقَّ الجهادُ وحقَّ الفدا

وفي باب الراء - مادة ردّ - ص ٥١٥ (وينسب لعبد الله بن الزبير أو لغيره):

فردّ شعورهن السُّودَ بيضا وردّ وجوههن البيضَ سودا

وقد يحتج بشطر بيت من الشعر كما جاء في ص ١١٨: لأستسهلنَّ الصَّعبَ أو أدركُ المُنَى.

ويجدر التنويه بأن مؤلفي المعجم قد سكتوا عن مراجعهم ومصادرهم، سواء في مقدمة المعجم أو على صفحاته مع أن التعويل واضح على المعجمين الكبير والوسيط، خاصة في أداء المعاني وإن كان تقصيره عنهما مادياً، وواضحاً، شكلاً ومضموناً؛ نظراً لاختلاف الغايات والأهداف.

المراجع:

- ١- أساس البلاغة - لجار الله الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ٢- دراسة في المعاجم العربية، كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني: لفرندم، ترجمة وتقديم د. حسن محمد الشماخ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، إدارة الثقافة، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٣- كتاب الجيم: لأبي عمرو الشيباني، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، القاهرة، ١٩٧٤م - ١٩٧٥م.
- ٤- محيط المحيط: بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، بلا ت.
- ٥- المصباح المنير: لأحمد بن محمد بن علي المُقَرِّي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بلا ت.
- ٦- المعجم العربي الأساسي: تأليف وإعداد جماعة من اللغويين العرب، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة، لاروس، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ٧- المعجم الكبير: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطابع روز اليوسف، (عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٠م)، ٢٠٠٦م.
- ٨- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة (إخراج الدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه) دار إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- ٩- الوجيز في فقه الإمام الشافعي: لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣-٥ مدرسة الترتيب الألفبائي الهجائية الحديثة

٣-٥-١ المرجع - لعبد الله العلايلي (ت ١٩٩٦م)

وهو جيل جديد من التأليف المعجمي يقوم على ترتيب مفرداته بحسب لفظها لا بحسب جذرها، وهو أول معجم من هذا النوع وقد صدر في بيروت ١٩٦٣م / ط ١ وتبعه معجم الرائد لجبران مسعود الذي صدر في بيروت أيضاً سنة ١٩٦٥م. وأما ثالث هذه المعاجم فمعجم لاروس - المعجم العربي الحديث للدكتور خليل الجر الذي يصرّح بأن معجمه هو أول محاولة من نوعها في العالم العربي.. وقد أعلنّا منذ عام ١٩٥٥م. لكن ظروفًا خاصة خارجة عن إرادتنا حالت دون دفع المخطوط إلى المطبعة وظلّ ينتظر عشر سنوات إلى أن أصبحت الظروف مواتية فقدّر لهذا المعجم أن يرى النور. وقد ظهرت خلال هذه الفترة معاجم جديدة اعتمدت الأسلوب الأبجدي الذي كنا أول من نادى به..» ولعله يقصد المرجع سنة ١٩٦١ والرائد سنة ١٩٦٥، وقد رأى معجم لاروس النور سنة ١٩٧٣م وصدر بعده القاموس الجديد للطلاب سنة ١٩٧٩م وتأليفه جماعي.

والمرجع كما يصفه العنوان معجم وسيط علمي لغوي فني، وهو أقرب إلى الموسوعة اللغوية وهو كما يقول صاحبه عنه في ص: ه من مقدّمته: «المرجع، عمل يتصل بالأساس اللغوي ويتصاعد مع اللغة تصاعدها الطبيعي، الحيوي الحضاري، فهو يكشف عن تطوّر اللغة في جانبها اللغائي «الفيلولوجي»، ثم يحقق دلالتها القديمة ويصل بينها وبين ما يحمل الذهن الحديث من طوابع ومفاهيم، ليفرغ أخيراً إلى فتح الاشتقاق على مصراعيه وتطبيقه بأوسع أشكاله» فغرضه من معجمه مدّ جسور من التواصل بين القديم والحديث من دلالات ألفاظ اللغة؛ من أجل أن تواكب اللغة العربية التقدّم الحضاري والعلمي المتسارع وذلك لإدراكه أن «في المعاجم القديمة طائفة كبيرة من الأخطاء، كما أنّها لم تعرض لكثير من التراكيب التقليدية، فوق أنّها هجرت المصطلح العلمي والفني هجراً تاماً» وهو إدراك فيه نظر لو راجعنا المعاجم خاصة معاجم الاصطلاحات القديمة كالتعريفات مثلاً، فكان المرجع كما يقول فؤاد أفرام البستاني في تمهيده «ليس بالمعجم اللغوي الصرف، إنّما هو إلى ذلك معجم اصطلاحات علمية وتاريخية وجغرافية واجتماعية، اصطلاحات مقرّرة أو مقترحة. وهو فوق ذلك معجم ترجمة؛ إذ أن المؤلف

حرص في تطلبه دقة التحديد ووضوح التعريف أن يضع بإزاء الألفاظ المهمة، ما يقابلها في الفرنسية والإنجليزية، وإذا بكتابه خمسة معاجم في معجم واحد « يقصد أن ما اشتمل عليه المرجع من مداخل لغوية أو مفردات معجمية عربية أولاً واصطلاحات علمية ثانياً ومفردات مترجمة ثالثاً، وإضافته الألفاظ الفرنسية رابعاً والإنجليزية خامساً مقابل الألفاظ العربية جعل منه معجماً متعدداً حُكماً وإن كان موحداً في الظاهر. ويمكن أن أصف أنه أقرب إلى المعجم التاريخي. بمتابعته المولد والمغرب تاريخياً حسب العصر التي نشأ فيها.

هذا من حيث المضمون، أما منهجه في ترتيب المداخل فقد جمع بين المحافظة والتحديث. أما التحديث في الترتيب فاتباعه الطريقة الفرنجية في الترتيب كما قال في ص: ح من مقدمته مع تنويهه بأنه ليس مستحدثاً في المعاجم العربية الاصطلاحية إذا يقول في تسويغ ترتيب المصطلحات خاصة حسب نطقها لا حسب جذرها (ص: ح من المقدمة): بعنوان أرباب العلوم في معاجمهم، كالكليات « للكفوي » والتعريفات « للجرجاني .. وكشاف الفنون، أو قل على الطريقة الفرنجية في الترتيب » وزيادة في التوضيح يتابع قائلاً « وأشدّد على كلمة « المصطلح » مما يوقع في الظن أنه اقتصر في هذا الترتيب على المصطلحات فقط، ولكنه في الحقيقة زاد عليها المشتقات بقوله بعد بضعة سطور: « أما المشتقات وحدها فقد استبحت لنفسه أن تُذكر وفق لفظها.. مع الإحالة التي بحثها حيث تقع في النطق » ويقصد المشتقات الاسمية، وليس الفعلية وهي التي حظيت بالجانب المحافظ في ترتيبه بصريح قوله في الصفحة نفسها من المقدمة.

بعد قوله « وأشدّد على كلمة (المصطلح) لئلا يُظنّ أنني عمدت إلى هذه السُّنة في التصريف أيضاً، وشأنه الإساءة إلى جوهر العربية وروحها؛ وذلك لأن العربية، كأخواتها الساميات، قائمة على الترابط العضوي، فكل جنوح بها في دائرة تصريف الأفعال، عن الاندراج تحت الجذر يؤدي إلى التفسير الذي لا يغتفر، فعمدت، لهذا كله، إلى إثبات تصريف الأفعال مجردة ومزينة تحت الجذر.. كما لاحظت أن كثيراً من الأفعال ليست مأخوذة من المعنى المصدرى للجذر، بل من أسماء الأعيان؛ ولذا أثبت الأفعال بالمعاني المذكورة تحت اسم العين نفسها » وهي ملاحظة ذكية وإدراك دقيق للاشتقاق من غير أسماء المعاني.

ووضع مسرداً للمصطلحات والرموز التي استعملها مما يدل على ما اعتنى به من مضمون المعجم من المولد قديمه وحديثه، والمغرب قديمه وحديثه أيضاً، وبالمثلن والجمع

والمذكر والمؤنث وبأقسام الكلام من فعل واسم وصفة ومصدر، وبالمشتقات وتصريفات الفعل الثلاثي الستة. ولم يفته أن يميز بين المصطلحين الإنجليزي والفرنسي، وهو أمر مستحدث في المعاجم العربية أصبحت به هذه المعاجم ثلاثية وليست موحدة أي عربية عربية فقط، وقد وضع في نهاية الجزء الأول المطبوع مسرداً ألفبائياً للمفردات الإنجليزية والفرنسية التي وردت فيه، وفيما يأتي مسرد المصطلحات:

(*) مولد قديم.	(*) دخيل بتعريب قديم.	(O) مولد حديث.
(*) دخيل بتعريب حديث.	(//) أي تعني الكلمة أيضاً.	
(انج) مختزل كلمة: الإنجليزية.	(ث) باب فتح يفتح. (ج) جمع.	
(جج) جمع الجمع.	(خس) باب عظم يعظم.	
(س) باب ورث يرث.	(سم) اسم.	
(شق) المشتقات الفرعية من الجذر الأصلي.		
(صف) صفه.	(ع) باب علم يعلم.	
(فا) فاعل.	(فر) مختزل كلمة فرنسية.	
(فع) فعل.	(ل) باب نصر ينصر.	
(م) مؤنث.	(مث) مثني.	
(مص) مصدر.	(ن) باب ضرب يضرب.	

وكان يذيل كل صفحة بالرموز المستعملة فيها.

وقد فتح لكل حرف باباً وبدأ بالألف (الهمزة) ولكنه انتهى عند حرف الجيم والذي لم يكتمل بدوره فكانت آخر كلمة فيه « جَخلد » وقسمت كل صفحة إلى عمودين وقد بدأ كل حرف بالحديث عن رقمه بين حروف الهجاء، وفي المجاميع العلمية وفي حساب الجُمَّل، ويثني بالوظائف النحوية لكل حرف إذا كان له من ذلك شيء ويثلي بذكر مخرجه وصفاته الصوتية وميكانيكية نطقه فالباء مثلاً في ١ / ٣٤٠: « هي الحرف الثاني من حروف الهجاء والمباي. وفي العلوم تستعمل رمزاً للطائفة الثانية من المجاميع، وفي حساب الجُمَّل تساوي: ٢ ». «

ب — ترد نحويّاً على وجوه « (حرف جر، وقسم وتأكيد مع الشواهد والأمثلة) ». باء: « صوت شفوي شديد مجهور.. ». والتاء في ١ / ٤٩١: هي الحرف

الثالث من حروف المباني. وفي حساب الجمل: ٤٠٠. ت: التاء المبسوطة وترد نحوياً على وجوه.. «. ة: وتسمى التاء المربوطة وترد لحالات... تا: اسم يشار به إلى المؤنث.. تاء اسم الحرف الثالث من حروف الهجاء وهي صوت شديد مهموس.. «.

وأبدأ بعنصر الضبط الذي يلتزم به كاملاً في المداخل التي ميّزها أيضاً بالبنط الأسود. وفي الشروح التالية له قد يلتزم بالضرورة من الحركات خاصة الإعرابية الذي قد يصل في أحيان قليلة إلى ضبط بنية الكلمة بكاملها ويترك الباقي غير مشكول اعتماداً على تمييز القارئ و أنقل مثلاً برسمه وبضبطه وترقيمه كما جاء تماماً في:

٤/١: « آجر: » سم « غضار طيني يقطع على أشكال مخصوصة يشوى بالنار، ويستخدم في البناء، يعرف بالقرميد واحده: آجرّة » انج Brick، و « فر brique)، وله صيغ أخرى: آجور، آجر، آجر، أجور، أجر، أجرّ آجرون، يأجور؛ قيل دخيل من الفارسية أو الآرامية أو المصرية القديمة والصواب أنه أصيل العرق في الساميات، وينظر إلى المعاقبة بين الهمزة والحاء. ومن (المنسوب) الآجرّي: (٥، سم) طيباً: راسب ترابي في البول « انج B. Dust Deposit » واشتقوا بملاحظته فعلاً مزيداً (أجرّ تأجيراً، فهو مؤجر) الطين: طبخه وصيره آجرّاً « Brickmaking » و " فر Cuire LAB. » وفي قلة ورد بالمعنى نفسه (آجرّ إيجاراً، (استأجر).

« آجل: » صف « الجالب الفعل، والسبب في وقوعه مثاله شعراً: قد احتربوا في عاجل أنا آجله « خوات بين جُبَيْر » // — « مجازاً مرسلًا ». المحدد الميعاد // — « سم تزييلي » المؤخر من الأيام الآتية. ومن (التركيب) عاجلاً أو آجلاً: يقال لتأكيد الفعل أو الوقوع « فر » TOT ou Tard و « أنج SOONER OR LATER » ومن (الركبات) البيع الآجل: « فر VENTE A. TERME » المضروب له موعد يؤخر وجوب الأداء. «، على أنه قد ورد عنده النص على الحركة خاصة إذا كان للمدخل ضبط مختلف كقوله في ٥٤٧/١ « تركة: فعله، سم » ووردت أيضاً بكسر التاء وسكون الراء... «.

وأود الانتقال إلى أداء المعنى في هذا المعجم، ويبدو لي أن تعامله مع المداخل كان نمطياً ومنظماً؛ فقد يكون المدخل اسماً أو صفة أو فعلاً أو حرفاً أو أحد المشتقات، ويبدأ مع كل مدخل ببيان قسمه الكلامي ثم يبين معناه وقد يسلك بعد ذلك مع كل نمط السلوك المناسب له وأفضل أن أتناول كل نمط على حدة بالتفصيل وأبدأ بمدخل اسمي وهو

إبرة التي جاء ترتيبها حسب نطقها وجذرهما بعد إبرنتي وقبل إبريج في ٢٢/١: إبرة: «سم» كل مستدق حاد الرأس، أصلها الإبدال من الواو // — أداة دقيقة ذات سم «ثقب» ورأس محدد، تصنع من الصلب أو الحديد أو العاج، ج إبر، إبار، إبرات «انج NEEDLE» و «فر AIGUILLE» وهذه الخطوة تتضمن:

١. تحديد القسم الكلامي للمفردة وهي اسم الذي رمز له بـ «سم».

٢. بيان معناها اللغوي بالتعريف.

٣. بين جمعها.

٤. ووضع مرادفها الإنجليزي، ومرادفها الفرنسي.

والخطوة الثانية هي تتبع المفردة في استعمالاتها الاصطلاحية فيذكر في ٢٢/١ أيضاً: «//» «تشبيهاً» شوكة العقرب، وحُمه بعض الحشرات كالنحلة «انج STING» و«فر DARD» //: تشريحياً: عَظِيم مستوٍ مع طرف الزند من الذراع إلى الطرف الإصبع. // — بيطرياً: ما اتخذ أي استدق من عرقوبي الفرس. // — فلكياً: انظر الشوكة. // — (٥) أداة جراحية في الطب البيطري. // — منخس عضوي حاد الرأس تحت به بقر الحراثة «فر AIGUILLON» // — نباتياً: انظر السَّداة». يذكر لها سبعة معانٍ اصطلاحية تعريفية من خلال استعمالاتها العملية ومن ضمنها المعنى المولّد حديثاً وهو الأداة الجراحية، وقابل معنيين منهما بمرادفهما الفرنسي وأحدهما مرادفه الإنجليزي. وبعدها تأتي الخطوة الثالثة بوضع المفردة في مركب غير إسنادي (إضافي، ووصفي) بقوله في ٢٢/١ أيضاً: «ومن (المركبات) — الاستقصاء: أداة جراحية «انج EXPLORATION» الراعي: انظر الغرنوفي.. — شمسية جهاز يعين خطأ صحيحاً في أي مكان «انج SOLAR COMPASS»، مغنطيسية «انج MAGNETIC N. الملاح: انظر البوصلة، الحكّ، القنباص.. — الانحراف «انج DIPPING N. والمركبات الإضافية هي: إبرة الاستقصاء، وإبرة الراعي وإبرة الملاح وإبرة الانحراف، وأما الوصفي فمركبان: الإبرة الشمسية والإبرة المغنطيسية. ويضع مقابلاتها الإنجليزية فقط.

والخطوة الرابعة هي تحويل الإبرة إلى صيغة صرفية وصفية غير إسمية عن طريق النسب إليها وما آلت إليه هذه النسبة من استعمالات ودلالات بقوله في ٢٢/١ «(المنسوب) الإبري:

« صف » بائع الإبر. // من الأشياء: ماهو حد الطرف « انج - NEEDLE
POINTED « ومن (المركبات) التواء الإبري: تشريحياً بإزاء « انج - STYLOID
PROCESS «.. الإبريات: (٥) بإزاء « فر - HYDNESS « فصيلة الفطور البرية من رتبة
الدعاميات، أصبحت بالنسب وصفاً للإنسان وغيره، وجمعاً مولداً حديثاً.

أما الخطوة الخامسة والأخيرة ففي اشتقاق الأفعال مجردة ومزيدة وصيغها ومعانيها
الحقيقية والمجازية بقوله: « واشتقوا بملاحظتها فعلاً مجرداً من « ن، ل » « -، -، -، أبر،
إبر، إبرة) الشاة: أطعمها الإبرة في العلف. // العقرُبُ الغلام: أصابته بإبرتها «انج»
TO STING و « فر - PIQUER » // « مجازاً » خصمه: اغتابه « انج - TO
BACKBITE « و « فر - MEDIRE ». // العدو: أهلكه مثاله مأثور: لو عرفناه
لأبرنا عترته.

ومزيداً (أبرتأبيراً) الزمن الأطلال: عفى عليها محاهها، كأن عقرب الدهر أصابتها
بإبرتها. // الأثر: طمسه: مثاله مأثوراً: لا تؤبروا آثاركم فتولتوا دينكم أي تنقصوه.
// (٥) الجرح: خاطه « اشتق أفعالاً مجردة (أبر: يأبر، ويأبر من بابي نصر ينصر
وضرب يضرب) ووضعها في سياقات لغوية تركيبية حتى تظهر معانيها وزادها إيضاحاً
بوضع المرادف الإنجليزي أو الفرنسي بازائها، واحتج لأحدها بالمأثور من الحديث. أما
المزيد من (أبر) فاكتفى بوضعه في سياقات تركيبية ويين معناه بالمرادف العربي فقط من
خلالها واحتج لأحدها بالمأثور وكان الثالث منها مولداً ومما تجب ملاحظته مع هذه
المفردة، أقصد إبرة، وما يشتق منها أنه استعمل أي التفسيرية مرتين الأولى لتفسير معنى
الإبرة في سياق معين في قوله: « بيطرياً: ما انحدأ أي استدق.. » فكأنه رأى أن « انحدأ »
تحتاج إلى توضيح ففسرها باستدق بوساطة أي. أما المرة الأخرى فكانت تفسيراً للفظه
جاءت في الشاهد « فتولتوا دينكم أي تنقصوه » فتُنقصوه تفسير لـ « تولتوا ».

ومن الأنماط الفعلية « بسط » الذي جاء ترتيبه حسب جذره التصريفي بعد بس
أي ب س س ولا يوجد: ب س ش، ب س ص، ب س ض فكان ب س ط هو
ومشتقاته قبل بسق حيث لا يوجد: ب س ظ، ب س ع، ب س غ، ب س ف. وقد

جاء في باب الباء مع السين والطاء في ٣٩٩/١ وبدأ بالصيغة المجردة أي بَسَطَ يَبْسُطُ بقوله (بسط): بصيغة الفعل مجرداً جاء من (ل) (-، -) بَسَطَ، فهو باسط) الثوب نشره، ومن عباراتهم بسط عليهم العذاب. // اليد: مَدَّهَا مثاله قرآنًا: لئن بسطت إلي يدك لتقتلني «المائدة: ٢٨»، «انج TO EXTEND «وفر» ETENDRE. ومن (الكنيات) بسط عليه يده: أدخله في حمايته // «تريلاً» المكان القوم: وسعهم. ومن عباراتهم: فرش لي فراشاً لا يبسطني. // السيف: سلَّه وشهره // «مجازاً» النعمة: أوسعها مثاله قرآنًا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(١) // الضيف: سرَّه // الشخص: جرَّاه بطرح الكلفة. // الجليس من الجليس: أزال عنه الاحتشام. // القول: أسهب فيه. // «كناية» المرء علي: فضَّله /// العذر: أبداه، وقبله. والبناء للمجهول (بُسِطَ يده علي): سُلِّط. وجاء من (خس): (-، -) بساطة فهو بَسِطٌ الرجل: كان فروحاً مطلق اللسان بالدعابة. // (•) الشيء: خلا من التركيب؛ وشاع في استعمالات المناطق والحكماء ومن اليهم، ويرجح أنه مقتبس من السريانية «انج TO BE SIMPLE» // المرء: كان ساذجاً «بدأ الفعل المبني للمعلوم بصيغته المجردة فَعَلَ يفعل أي بسط يبسط ووضعه في سياقات تركيبية حقيقية وبين معناه من خلالها، واحتج لبعضها بالقرآن وبعضها ما وصفه بعباراتهم، وذكر مرادف أحدها (مدّ) بالانجليزية والفرنسية وذكر له معنيين كنائين وستة معان مجازية. وقد ورد الفعل في جميع استعمالاته متعدياً بنفسه، ومعانيها بالمرادف العربي، أحدها مولّد قدّم وذكر المبني للمجهول منه بُسِطَ على وزن فَعَلَ وذكره في سياق تركيبية بين معناه من خلاله بالترادف. وبعدها مباشرة نص على أن الفعل قد يأتي بصيغة فَعَلَ يفعل: بَسَطَ يبسط مع مصدره والصفة المشبهة منه ولكنه أتى لازماً ولم يأت متعدياً، وساقه في ثلاثة تراكيب متلوّاً بمعانيها، وأحدها وضع مرادفه الإنجليزي.

وانتقل بعد ذلك إلى صيغ الفعل الزيدة: «ومزيداً» كثر فيه (ابتسط فهو مُبْسِطٌ) ذراعيه: فرشهما ومدّهما. // (٥) صفيحة المعدن: سوّاهما وأزال تغضناتها «انج TO

FLATTEN « و « فر APLANIR » (أبسط انبساطاً فهو منبسط) النهار: امتدّ// — الشعاع: انتشر// — « مجازاً » الشخص: اجتراً وأدّل وطرح الاحتشام// — منه، وإليه: انشرح (باسط مباسطة) جليسه: أسقط الاحتشام معه. (بسط تبسيطاً فهو مُبَسِّطٌ وذاك مبسط) الثوب: نشره// — (*) الموضوع المعقد: يسره « TO SIMPLIFY ». (تبسط تبسطاً، فهو متبسط) المسافر في البلاد: سار فيها طولاً وعرضاً// — المرء — تتره// — الشعاع: انتشر// — العدل عليهم: امتد رواقه// — المرء: ترك الاحتشام « المزيد منه على التوالي: بالألف والتاء، وبالهزمة وهما لازمان ((ابتسط، وأبسط) وبالألف والنون (انبسط) وهو لازم. حقيقة أو مجازاً وهو نفسه تعدى بحرفي الجر من وإلى ومعدى بالألف باسط وبالتضعيف بسط ومنه استعمالان مولدان أحدهما حديثاً فوضع مرادفه الإنجليزي والفرنسي إلى جانب معناه بالعربية (وهو ابتسط صفيحة المعدن) والثاني قديماً ووضع مرادفه العربي والإنجليزي.

وبعدها ينتقل إلى المشتقات الأخرى من الفعل ويرمز لها بـ « شق » وهي بَسَطَ (المصدر) وبُسط (صفة) و بَسَطَاء (صفة) وبَسَطَة بالمعنى الاسمي (كاسم المرة أو الهيئة) وصفة، وكذلك: « سم » الرهن الربوي// — (عامي قدم مفصّح) وعنه بَسَطَه السُّلم: البسطة التي تخلّل الدرجات « LANDING OF THE STAIRCASE » وبقية المشتقات: باسط، باسوط، بساط، بسوط، بسيط، بسيطة، مَبْسُط، مبسوط، انظرها «.

أما الأنماط التي تخص حروف المعاني فإنه غالباً ما يعرفها أو يصفها ثم يذكر معانيها النحوية وقد تأتي بالمعاني النحوية دون وصف أو تعريف كأل مثلاً في ٢٤٧/١ الذي قال فيها: « أل: نحوياً ترد على أربعة أوجه: أ. أداة تعريف... ب. اسم موصول. بمعنى الذي... ج. زائدة.... د. معاقبة للتونين... هـ. مرادفة لـ هل.... (وعليه ترد على خمسة أوجه وليس أربعة).

أما أل في ٢٤٧/١ فقال فيها: « أل: حرف استفتاح. وترد نحوياً على ثلاثة أوجه... » وأما التي عرفها أو بيّن معناها فهي أو في ٣٢٢/١: « أو: حرف عطف يدل على أحد شيئين أو الأشياء، وقد تُشرب معنى آخر فتد لو جوه:

- أ. الشك.. (ومثاله قرآني).
- ب. الإيهام.. (ومثاله قرآني أيضاً).
- ج. التخيير.. (بمثال من عنده: سافر بالطيارة أو السيارة).
- د. الإباحة... (بمثال من عنده كل عنياً أو تفاحاً).
- هـ. مطلق الجمع كالواو: ومثاله شعراً أتى الخلافة أو كانت له قدراً « جرير ».
- و: التقسيم...
- ز. الإضراب.
- ح. الاستثناء: مثاله شعراً: كسرت كعوباً أو تستقيما، أي إلا أن تستقيم.
- ط. الغاية بمعنى إلى... مثاله شعراً: لاستسهلن الصعب أو أدرك المنى.
- ي. التقريب... «.

ويبقى أن أذكر اسماً معرباً لمعرفة كيفية تعامله معه ترتيباً وتعريفاً وليكن الاسم «أكسجين» الذي جاء ترتيبه كأنه كلمة عربية الأصل في باب الهمزة مع الكاف والسين والجيم بعد أكسجة التي بعد أكسب، وقبل أكسد في ٢٤٢/١: «أكسجين (*)» لكلمة «انج OXYGEN» و «فر N....» عنصر وزنه الجوهري (١٦) ووزنه الذري (٢٣)، وهو مولّد الحوامض وأصلها، يكثر وجوده في الطبيعة حُرّاً ومتحدّاً وخواصه الطبيعية: غاز لا لون له ولا رائحة ولا طعم، ثقله النوعي (١,١٠٥٦)، قليل الانحلال في الماء. وخواصه الكيماوية: أنه يتحد بأكثر العناصر الكيماوية تقريباً. وخواصه الحيوية: أنه عنصر التنفس والاحتراق واشتقوا منه فعلاً (أكسج أكسجه) المعدن: أكسده «فر OXYGENER».

(تأكسج تأكسجاً) المعدن: امتزج به وتأكسد «فر SO.» واضح أنه أشبعه تعريفاً ببيان خواصه وطبيعته وتأثيره واشتقاقه.

ويحسن قبل أنهي الحديث عن أداء المعاني، أن أنوّه بحرصه على التأريخ للألفاظ المعربة خاصة والمعاني التي استحدثت للألفاظ العربية ففي ٥٤٨/١ مثلاً يؤرخ للفظ ترم، ويعين لغتها الأصلية وتاريخ دخولها إلى العربية أو تعريبها بأنه في أيام الحروب الصليبية بقوله: «ترم: (اللاتينية) التخيم //— الأجل المحدد، ج تُروم؛ وقد تطرّق إلى العربية إبان

الحروب الصليبية، وورد ذكره عند أبي شامة مؤرخ ذلك العهد، وأخطأ من ظنه من العبرانية أو السريانية».

أما تنبيهه على تطور المعاني في الألفاظ، وتاريخ هذا التطور الدلالي لهذا فكقوله في ٥٤٧/١: « تَرَكه: فعله اسم » كل ما يُتَبَقَّى وَيُخَلَّفُ.. (عباسي رابع) هي التي تؤول إلى بيت المال لعدم وجود الوارث أو العاصب... ».

كذلك مما يحسب له هذا التتبع الدقيق للمصطلحات بعد بيان معناه اللغوي في كافة المجالات العلمية ففي ٢٩١/١ مثلاً: « انحراف: « مص » الميل عن الاعتدال » انج DELINATION « .. // — جغرافياً: الميل عن خط الاستواء // — كهربائياً: ... ومن مركباته المستحدثة: انحراف مغنطيسي.. والانحراف الدائري.. والانحراف الحقيقي.. // — فلكياً: ... // — بصرياً: في الطبيعيات.... ومن مركباته: الانحراف المعياري... والانحراف الجنسي... وانحراف السلطة.. والانحراف نحوياً... ». هذا غير حرصه على تحقيق أصول الألفاظ المعربة والدخيلة الفارسي واللاتيني والسرياني واليوناني قديماً وتركياً وأوروبية حديثاً.

كذلك لا بد من التنويه بلحوئه إلى الرسوم والصور للنباتات والحيوانات والأجهزة والآلات. وغيرها في جميع مجالات الحياة لبيان ما قد تعجز عنه الكلمات من تصورات وأشكال ومعان.

أما الاحتجاج في المرجع فقد يأتي بالمعنى ويحتج له بقوله ومثاله قرآناً أو ومثاله مأثوراً أو مثاله شعراً.

وقد يذكر اسم الشاعر أو يترك الشعر دون نسبه خاصة إذا كان المستشهد به أحد شطري البيت الشعري وقد احتج بشعر جاهلي كامرئ القيس ولقيط الإيادي وبشعر إسلامي كجرير والفرزدق والأخطل، وشعر عباسي كبشار بن برد (ت ١٦٧هـ)، وبشعر المتنبي ت ٣٥٤هـ مما يعني أنه لم يتقيد بحدود الاستشهاد الزمانية والمكانية. على أنه تجب الإشارة إلى أنه في أكثر المعاني كان يسوق المفردات الدالة عليها في أمثلة يصطنعها بنفسها أو يقول من عباراتهم.

٣-٥-٢ الرائد جبران مسعود

وهو معجم لغوي معاصر كما وصفه صاحبه الذي انتهى من وضعه في الرابع عشر من أيلول ١٩٦٣م، وظهرت طبعته الأولى في آذار ١٩٦٤م / بيروت وما بين يديّ الطبعة الثالثة في مجلدين الصادرة عن دار العلم للملايين في بيروت ١٩٧٨م.

وأما عن دواعي تصنيف هذا المعجم فيقول مصنفه في مقدمته ص ١١ «... فما إن استقر بي التدريس حتى لفت انتباهي قعود الكثيرين من التلاميذ عن المطالعة، وقصورهم عن استيعاب بعض أمثيلهم، يرافق ذلك برم يائس متألم أحياناً، ولم يكن القعود والقصور والبرم لتقاعس في نفوسهم أو وهن في عزائمهم، وهم الذين وطنوا النفس على العمل المخلص ولكن الوسيلة كانت تخوفهم أو تعجزهم... ورحت اتحرّى الأمر، فإذا بالحقائق تشير إلى العقبات الكأداء التي كانت تسد عليهم المنافذ، ومنها عقبة كدت أراها مستعصية، عنيت بها المعجم... فرحت ألقن التلاميذ طرق البحث في المعاجم... لكن النتيجة لم تأت على مستوى الرجاء، لأن أساليب المعاجم لم تكن على مستوى العصر، فأنتى للباحث أن يهتدي بسرعة وبسهولة إلى معاني الكلمات المطلوبة، والكلمات مبثوثة في المعاجم بطرائق تختلف أحياناً بين معجم وآخر حسب قواعد تحاول مراعاة المنطق الصرفي وغيره، ولكنها لا تراعي منطق المخارج الأبجدية في أوائل الألفاظ؟ أنى للباحث المستهدي أن يقف على المعنى المراد واللفظة تائهة في مظاهها بين إعلال وإدغام واشتقاق وتعريب فإذا بالمدرسة تُدرّج في باب الدال لا في باب الميم... وإذا بـ (قال) تحار بين (قول) و (قيل)؟ وهكذا أدركت يقيناً أن طالبي العربية في عنت.. فإن صعوبة الاهتمام إلى الكلمات فيها تحجب عن الطالب الدرّ في غياهب الصدف... ودون بلوغ الأرب أهوال وأهوال...» وفي ص ١٢ « وحصل لدي بعد إحياء الحيلة وإعمال الفكر أن وسائل إحياء العربية وإغنائها وتقريبها وخدمة مريديها وضع معجم عصري يحدث انقلاباً في المظهر ويساعد على تطوير الجوهر، معجم عصري تثبت فيه الكلمات وفقاً لحروفها الأولى» وهذه خطبة لا تحتاج إلى بيان وشرح وإن كانت لا تخلو من تصنّع وتكلف في إبداء الأسباب فطلاب الأحداث لم يكونوا بحاجة ماسّة إلى المعاجم

فمعلمهم يسد حاجتهم. ويضيف أن من أسباب عنت التلاميذ أن ترتيب المعاجم القديمة كان يعيقهم عن الوصول إلى المعاني فيها وكان الحل الذي يهتدي إليه هو وضع (الرائد) الذي وصفه بأنه معجم لغوي عصري - ورُتبت مفرداته وفقاً لحروفه الأولى؛ أي يراعي النطق الكامل للمدخل وليس جذره الذي يحتاج إلى معرفة وثيقة بعلم الصرف العربي. بما ينطوي عليه من إعلال وإدغام واشتقاق، ويوضح ترتيبه بقوله في ص ١٢ من مقدمته: «تثبت فيه الكلمات وفقاً لحروفها الأولى (فالمدرسة) في باب الميم، و (درس) في باب الدال، وتدارس في باب (التاء)، مع مراعاة الربط بين الكلمات ذات الأصل الواحد ما أمكن الربط، يضاف إلى هذا التغيير في المظهر تعديل في الجوهر، يُبقي على المعاني المتوارثة المقبولة..» أي إنه أراد أن يكون مجدداً في المنهج والمضمون. ورغب في الوقت نفسه أن يضمن معجمه من عناصر المحافظة مالا يمكنه الاستغناء عنه، وأترك له تفصيل ما أجمله آنفاً عن نهجه وأسلوبه. بما وضعه من خطوط تشتمل على عناصر التجديد والمحافظة من خلال إنجاز الخطوط التي اتبعها في تصنيف الرائد وذلك في ص ١٢ - ١٣ حيث قال: «وحين أقف الآن بمعجمي أعرض نهجه وأسلوبه، أجديني قد وقفت فيه موقف القلم وموقف الجديد.. وإنني في ما يلي موجز بالخطوط صورة العمل الذي انتهيت إليه:

أولاً: صنفت الكلمات وفقاً لحروفها الأولى؛ فلم تبق حاجة الرجوع إلى المصادر والأصول... وقد حافظت على العلاقة بين الكلمة وأصلها.. فوضعت أمام الأفعال التي اختلفت أوائلها عن أوائل أصولها، وأمام الأفعال المعتلة، وأمام بعض الأسماء، ثلاثة حروف تشير إلى الأصل قبل الزيادة أو قبل الإعلال..

ثانياً: رقت الشروح.. وقدمت من المعاني الأهم على المهم، وقرّبت المعاني المتشابهة بعضها من بعضها الآخر.

ثالثاً: احتفظت بالشروح التقليدية المتعارف عليها في المعاجم القديمة... ولكنني جانبت المعاني والشروح الصعبة.

رابعاً: أكملت الشروح الناقصة متخذاً من العلم بفروعه المختلفة دليلاً...

خامساً: أضفت إلى المعاني القديمة معاني مستحدثة أملاها التطور والابتكار وأثبتتها أقلام الكتّاب.

سادساً: أضفت إلى المعجم مئات الكلمات من فروع شتى كالفلسفة وعلم النفس والتربية والحقوق والرياضة وغيرها..».

وبعد ذلك يذكر مصادره ومراجعته التي اعتمد عليها بقوله في ص ١٤ من المقدمة: « ومن المصادر والمراجع التي اعتمدتها: (لسان العرب)، و (قطر المحيط)... و (البستان) و (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية..) و (المنجد) و (المعجم العسكري) (فرنسي - عربي)، و (قاموس التربية وعلم النفس التربوي) و (مصطلحات الاقتصاد السياسي لمجمع فؤاد الأول) و (عقد الجمان في علم البيان) لناصيف اليازجي ورسالة (في حدود الأشياء ورسومها) للكندي وموسوعة لاروس...».

ولم يفت صاحب الرائد أن يصدر معجمه باصطلاحات أو رموز مختصر استخدمها في المعجم نحو: ج: الجمع، جج: جمع الجمع، م: المؤنث، مث: المثنى، مص: المصدر، فا: اسم الفاعل، من: اسم المفعول، ر: راجع، وذيل هذه الرموز بملاحظة من بندين بقوله:

- لم نفرّق في ترتيب الكلمات بين الألف اللينة والهمزة.

- لم نفعك الإدغام في الكلمات فلفظة (تكة) مثلاً وردت في (ت.ك.ت) لا في (ت.ك.ك).

وهذا تجديد في منهج الترتيب يحدث انقلاباً في المظهر كما يقول، وتعديل في الجوهر الذي يكون في رأيه بأن «يسهل الشرح.. وينظم المعاني بحيث يراعي في تقديمها أو تأخيرها أولية النسبة أو أفضلية الشيوع هذا فضلاً عما يضاف من معان مستحدثة في اللغة وعلومها، وما يضاف إلى المعجم من كلمات جديدة تحمل منه جنى التطور والنحت والاشتقاق والاختصاص، ومن لقاح الاحتكاك الحضاري، ما لا يمكن إغفاله أو طرحه» وهذه عناصر التجديد في رأيه ذكرها دون أن يضرب أمثلة لها، وهي في الحقيقة من لوازم المعاجم التي تجب مراعاتها، وليست كمالية بحيث يمكن الاستغناء عنها، وأين الجدة فيها؟ فكل المعاجم قديمها وحديثها كمحيط المحيط والمعجم الوسيط والمرجع حاول أصحابها

سهولة الشرح وتنظيم المعاني والاستفادة من عوامل التنمية اللغوية خاصة الاشتقاقية منها بإضافة ألفاظ وتقريب أخرى وإمكانات التطور الدلالي الذي يصيب الألفاظ مراعاة للتطور الحضاري. ومع حرصه على التجديد في المظهر والجوهر كما نصّ لم يستطع أن يتخلص من عناصر المحافظة في معجمه التي حدّدها بقوله ص ١٢: «مع مراعاة الربط بين الكلمات ذات الأصل الواحد ما أمكن الربط... ويبقى على المعاني المتوارثة المقبولة» ولكنه لم يُعط أمثلة للأميرين.

وعلى كل حال فإن (الرائد) يمكن أن يصنف بأنه معجم محدّد في ترتيب مفرداته وفقاً لحروفها الأولى كما في عنوانه وإن كان مسبقاً إليه عملياً بمرجع العاليلي ونظرياً بمعجم لاروس، أما التجديد في المضمون فكان من البستاني في محيطه والجمع في المعجم الوسيط.

ولابد من الإشارة إلى أنه فتح لكل حرف باباً، بدأها بحرف الألف (أ-١) وانتهى بحرف الياء. وصدر كل حرف بالحديث عن الحرف نفسه من حيث رقمه بين حروف الهجاء وفي حساب الجمل، ثم وظائفه النحوية فالتاء (ت) مثلاً في ٣٤٧/١ قال فيها: «١- الحرف الثالث من حروف الهجاء، وهذا هو حساب الجمل عبارة عن أربع مائة (٤٠٠). ٢- ضمير رفع للمتكلم والمخاطب والمخاطبة، للمفرد والمثنى والجمع نحو: «قرأت، قرأت، قرأت، قرأت، قرأت، قرأت، قرأت، قرأت» ٣- حرف تأنيث في الاسم والفعل نحو: قرأت، قارئة. ٤- حرف التمييز المفرد من الجمع. أو الواحد من الجنس نحو: (عظمة) واحدة (العظم). ٥- حرف المبالغة: نحو (علامة). ٦- حرف جر للقسم نحو (تالله). ٧- حرف زائد... (وذكر أربعة مواضع تزايد فيها). ومن الحروف من ليس له وظيفة نحوية فيكتفي برقمها بين حروف الهجاء وفي حساب الجمل كالراء (ر) ٧٠٢/١ التي قال فيها: (الحرف العاشر من حروف الهجاء. وهو في حساب الجمل عبارة عن مئتين (٢٠٠)).»

أما الضبط بالحركات فقد التزم فيه بالضرورة بوضع الحركات على الحروف في بنية الكلمة من المداخل وشروحاتها وكذلك يهتم بالحركة الإعرابية على آخر الكلمة لتمييز الوظائف النحوية بين الفاعل والمفعول مثلاً، ومن أمثلة ذلك ٧٠٢/١ من حرف الراء:

«رَأْيًا ورُؤْيَةً ورَاءَةً ورَّيَانًا. (رأى) ١- نظر بالعين أو بالقلب أو بالعقل. ٢- هُ: أبصره بعينه. ٣- الشيء: اعتقده، ومن حرف الزاي في ١ / ٧٨٥: (الزَّنَجِيل. ١- الخمر. ٢- نبات له عروق في الأرض حَرِّفه المطعم لها عقد. (الزَّنْدِيق) مَنْ يُضمر الكفر ويخفيه ويظهر الإيمان. ج، زَنَادِقَةٌ وزَنَادِيق. ومما يجدر ذكره في باب الضبط أنه إذا كان للكلمة أكثر من ضبط بمعنى أن تكون مثلثة الضبط في أولها مثلاً فإنه يذكرها متتالية ويبيّن معناها في كل ضبط كقوله في باب السين ١/ ٨٢٣: السَّفَارَةُ: ١- مص. سفر. ٢- ر. السَّفَارَةُ. السَّفَارَةُ: ما يكنس. السَّفَارَةُ: ١- مص. سَفَرٌ يسْفِرُ ويسفِر. ٢- إقامة الصلح بين القوم. ٣- عمل السفير. ٤- منصب السفير. ٥- مقر السفير.

والآن أنتقل إلى أداء المعاني الذي طغى عليه الإيجاز والاختصار، ويغلب عليه الأداء بالمرادف، وقد يلجأ أحياناً إلى التعريف، ويسوق المعاني دون شواهد وكتبت المداخل باللون الأحمر، ويكتفي بالكلمة ومعناها أو معانيها فالفعل مثلاً يذكر صيغته الأولى وربما مضارعه أو مصدره ثم يسوقه في تراكيب متلوة بالمعنى من خلالها، ومن ذلك على سبيل المثال فقط قوله في ١ / ٦٤٦ من باب الحاء: «خَوَى تخوية. (خ و ي) ١- الشيء: خلا. ٢- خلا بطنه وضمّر. ٣- السحاب: خلا من المطر. ٤- الجمل: أبعد بطنه عن الأرض في بروكه. ٥- الطائر: بسط جناحيه ومدّ رجليه عند الوقوع. ٦- الماشية: بلغت غاية السَّمَن. ٧- تِ النجوم: مالت للغروب».

وأما المثال الاسمي فيبادر إلى ذكر جمعه ثم بيان معناه غالباً بالترادف وقد يحتاج إلى أن يكون أحد معاني هذا الاسم تعريفاً كالساعة مثلاً في ١ / ٧٩٥ - باب السين: «الساعة. ج: ساع وساعات. ١- جزء من أجزاء الوقت: «مضت ساعة من الليل». ٢- مقدار ستين دقيقة من الزمان. ٣- الوقت الحاضر. ٤- القيامة. ٥- آلة يعرف بها الوقت بحسب الساعات والدقائق والثواني، منها ما يُلبَس باليد، ومنها ما يعلّق على الحائط، ومنها ما يوضع على طاولة أو نحوها، ومنها الآلي والمضاد للماء وللمغطيس، وما إلى ذلك».

أما المصادر العربية فقد يذكر أولاً فعلها الذي أخذت منه بين هلالين ثم يبين معناها بالتعريف الاصطلاحي غالباً كما في التراث ١ / ٣٨٢ من باب التاء: «التَّراث. (ورث) ١- ما يخلفه الميت لورثته. ٢- ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل (التراث الإنساني والتراث الأدبي) وقد يذكر المصدر متلوّاً برمز المصدر ثم معناه نحو الرأفة في باء الرءاء ١/٧٠٩: «الرَّأفة: (مصدر رأفَ رَوْف. ٢- أشد الرحمة».

ومن الطبيعي أيضاً أن يضع المعرّبات حسب نطقها بين المداخل ويفسره بالمرادف دون أن يبين أنها معرّبة يضعها في باب الهمزة في ١ / ٤٨: «الإِسْتَبْرَق: السدياج الغليظ الصفيق الحسن». وفي باب الباء ١ / ٣٣٩: «البَنْدَر. ج بنادر. ١- العَلَم الكبير ٢- الفقرة من الكتاب ٣- الفقرة الكاملة من القانون أو من الحكم ٤- القيد ٥- الحيلة ٦- البحيرة».

وفي باب التاء ١ / ٣٩٠: «التَّرياق: ١- دواء تُدفع به السموم ٢- الخمر». ومن حق الرائد علينا أن ننوّه باستعانتته بالصور والرسوم لتعريف القارئ بممدولات: أسماء الإنسان والحيوان والنبات والآلات والأدوات، ولكنه لم يضعها بإزاء الألفاظ الدالة عليها وإنما يجمعها في لوحات منفصلة عن الأبواب تضم إحداها مجموعة من الصور تخص المداخل المبدوءة بالهمزة كالأسد والإسفنج والأذن والإسطوانة.. وثانية لرسوم المداخل المبدوءة بالباء كالبقرة والبطاطا والبومة وبوابة وبؤبؤ العين وثالثة للمبدوءة بالتاء كالتفاح والترس والتلفزيون والتمساح. ورابعة للتاء كالثوم والثريا والثلاجة وخامسة للجيم كالجزرة والجناسوس والجبين وسادسة للحاء كالحصان والحصاء والحنطة والحافلة... إلخ، ووضع هذه اللوحات ما بين ص ٣٢٠ - ٣٢١ وفتح لوحات أخرى مثلاً لحروف الحاء إلى الصاد ما بين ص ٦٥٦ - ٦٥٧.

وصاحب الرائد لم يُعنَ بالشواهد فلم يكن لها محل في معجمه، كذلك لم يُلقَ بالاً إلى المعلومات الموسوعية اللغوية أو الدينية أو التاريخية أو العلمية الأخرى كما فعل صاحب المرجع مثلاً، ولم يبد اهتماماً بالأعلام من بني البشر ولا الأماكن والبلدان.

٣-٥-٣ المعجم العربي الحديث - لاروس للدكتور خليل الجر

وهو معجم موسوعي اعتبره الحلقة الثالثة من المعاجم الهجائية الحديثة ذات المنهج الفرنجي في تركيب المداخل، أي الترتيب حسب النطق الكامل دون الجذر، وقد نشرته مكتبة لاروس باريس عام ١٩٧٣م، التي كان تأليفه بطلب منها إلى المؤلف الذي يقول في تصديره « لقد أضحت اليوم كلمة لاروس مرادفة لكلمة معجم نظراً للقيمة العلمية التي اتصفت بها معاجم مؤسسة لاروس.. التي طلبت إلي وضع معجم عربي.. باشرت العمل فيه منذ عشرين سنة يتنازعني عاملان: عامل الرغبة في إسداء خدمة لأبناء الضاد ودارسيها من الأجانب... وعامل التهيب أمام فتح هذا الباب الجديد الذي يخرج عن التقليد القديم في وضع المعاجم العربية » وهذا يعني أنه سيتبع في ترتيب مداخله طريقة مختلفة عما اعتدناه من معاجم المفردات القديمة فاختر ترتيب المفردات وفقاً لحروفها الأولى إذ يقول في الصفحة الثانية من التصدير « عمدت إلى ترتيب الكلمات وفقاً لترتيب حروفها الأولى. وكانت تلك أول طريقة من نوعها في العالم العربي، ولعلها أبرز ما يتميز به معجمنا، وقد أعلنّا منذ عام ١٩٥٥م عن هذا المعجم وعن طريقة تنسيقه الأبجدي، وبأشرنا التجارب الطباعية في عام ١٩٥٨م لكن ظروفًا خاصة خارجة عن إرادتنا حالت دون دفع المخطوط إلى المطبعة وظل ينتظر عشر سنوات.. إلى أن قُدِّر له أن يرى النور. وقد ظهرت خلال هذه الفترة معاجم جديدة اعتمدت الأسلوب الأبجدي.. « لعله يقصد معجمي المرجع ١٩٦١م، والرائد ١٩٦٤م. بعد هذا التقديم التاريخي عن معجمه، واختياره الترتيب الذي اختاره يدلف إلى بيان ما راعاه من أمور في إثبات المفردات وشرحها وتنسيق طباعتها وهي باختصار:

١- تحديد الكلمات تحديداً علمياً صحيحاً وواضحاً لا شرحها بضدها.. أو بأنها معروفة..

٢- الإكثار من الشواهد والأمثلة في تعريف الكلمات،.. وقد تبيننا في ذلك شعار لاروس « معجم بلا أمثلة بدون هيكل عظمي ».

٣- الإكثار من الرسوم وإرفاقها بالشروح الواقية.. ولا سيما رسوم الآلات والأدوات.

٤- حذف الألفاظ النابية والألفاظ التي سقطت من الاستعمال.. وإثبات الكلمات الجديدة المستعملة في فروع العلوم الحديثة سواء أكانت هذه الكلمات من أصل عربي اتخذت بحكم الاستعمال معاني جديدة.. أو كانت دخيلة معربة أو باقية على حالها كالرادار.

٥- اعتماد الحرف الأسود للكلمات المعروفة ومصادر الأفعال للتفريق بينها وبين تعريفاتها.. وقد أشرنا إلى حركة عين الثلاثي بالفتحة أو الضمة فوق خط صغير والكسرة تحته. (وهذه قد سبقه إليها المعجم الوسيط).

٦- الإتقان في الإخراج والأناقة في الطباعة والتزيين باللوحات العلمية الملونة وغير الملونة.

وبعد هذا التصدير يفتح لقواعد العربية بضع صفحات تخص أنواع الفعل وأوزانه وإعرابه وما يتعدى إليه من مفاعيل، يتلوه حديث عن الاسم والمصدر وبقية المشتقات وإعرابها وتركيبها مع النواسخ، بعد ذلك الضمير وأنواعه وأسماء الإشارة والموصول والاستفهام والشرط ويتبع ذلك أحاديث عن بقية الأبواب النحوية كالتوابع والإضافة وأساليب الإنشاء وينتهي هذا الفصل بحديثه عن الحروف وأنواعها، ويعرّج على كتابة الهمزة والإحلال.

ولا يهمل التنبيه على المصطلحات أو الرموز التي استعملها في المعجم وهي:

إجـ	اجتماع	ف	فارسي
أف	أفعل التفضيل	فا	فاعل
إقـ	اقتصاد	فر	فرنسي
إيـ	إيطالي	فقـ	فقه
بد	بديع	فلـ	فلك
تر	تركي	فيـ	فيزياء
تشـ	تشريح	قا	قانون
ج	جمع	كلـ	كلام

كيمياء	كيـ	جمع الجمع	جج
لاتيني	لا	جغرافية	جفـ
مصدر	مصـ	حساب	حـ
معرب	معـ	حشرات	حشـ
اسم المفعول	مفـ	حياة، حيوان	حيـ
منطق	منـ	رياضيات	ريـ
موسيقى	مو	سرياني	سر
نبات	نبـ	صفة	صفـ
علم النفس	نفـ	صوفية	صو
هندسة، هندي	هنـ	طب	طبـ
	يوناني	يو	

وحان الآن بعد هذا التقديم الولوج إلى النص وأبدأ بضبط النص الذي اكتفى منه بوضع الحركات على حروف المباني من المداخل وشروحا عند الضرورة ولتلافي اللبس أو الخلط، أي لم يعتن بضبط بنية الكلمة كاملة، ونالت عنايته والحركة الإعرابية التي تميز الفاعل من المفعول به، وهذا الأمر ينطبق على الشواهد والأمثلة توضح ففي مادة آس - ص ٤ يقول: « الآسن: المتغير الرائحة والطعم واللون (فيها أنهار من ماء غير آسن) (قرآن) وفي ٦٥/١: (أَرْفَلْ إِرْفَالاً: جرّ ذيله - تبخر - خطر بيده - ثيابه: أرخاها (أرفل رِفْلُهُ): أرسل ذيله - في ثيابه: اختال فيها وتبخر. وهما مثالان كافيان للدلالة على طريقتيه في الضبط.

ولابد من الإشارة إلى أنه قد فتح لكل حرف باباً من باب حرف الهمزة إلى باب حرف الياء وعرف فيها بـ ٥٣٥٠٠ كلمة تخللها ٣٥٢٥ رسماً في ١٣٠٧ صفحات منها ١٦ صفحة ملوثة. وفي آخر المعجم فهرس بالأمثال العربية التي استعملها وحكاية كل مثل، يتلوه فهرس بالفرنسية من صفحتين للرسوم والصور.

وقد بدأ كل حرف ببيان رقمه بين حروف الهجاء وجمعها وقيمته بين حساب الجُمَّل والنسبة إليها، وهل هي قمرية أو شمسية وبعد ذلك ينتهي إلى بيان معانيها النحوية أو وظائفها واستعمالاتها في اللغة كالفاء مثلاً في ٨٩٠/١: « ف: الفاء » الحرف العشرون من حروف الهجاء، مؤنثة. ج: فاءات، وهي قمرية وبمثابة ٨٠ في حساب الجُمَّل والنسبة إليها: فائي. وترد الفاء على وجوه: ١. حرف عطف يفيد: أ. الترتيب في المعنى ﴿ خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴾^(١). أو الترتيب في الذكر: وهو عطف مفصل على مجمل ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾^(٢) - التعقيب بمعنى ثم ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴾^(٣)، وبمعنى الواو « بسقط اللوى بين الدخول فحومل » (امرؤ القيس). ج - السببية: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾^(٤). ٢. تكون في جملة الشرط، فإن كان الجواب دالاً على الواقع وجبت الفاء ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٥) ﴿ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وكذلك إذا كان دالاً على الاستقبال من غير تأثير أداة الشرط ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾^(٦). ٣. تكون زائدة دالة على التوكيد في الكلام فتكون في الخير ﴿ قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾^(٧). وفي غير الخير ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾^(٨).

(١) ٧ - الانفطار.

(٢) ٤٥ - هود.

(٣) ١٤ - المؤمنون.

(٤) ١٥ - القصص.

(٥) ١٧ - الأنعام.

(٦) ١١٥ - آل عمران.

(٧) ٨ - الجمعة.

(٨) ٤ - المدثر.

وبعد ذلك يدلف إلى المداخل وبيان معانيها فالفاء مثلاً مع الهمزة ٨٩٠/١ وما بعدها، وما يثلثهما حتى يصل إلى فأي — فأواً و — فأياً رأسه: فَلَقَهُ، ثم ينتقل إلى الفاء مع الألف وما يثلثهما: من فاء إلى فاوض ثم فَايْنُ مفاينة هـ: باراه في الحِسَّة. ثم إلى الفاء مع الباء ولم يذكر سوى مدخل واحد وهو (فبراير) هو: شهر شباط، وهو الشهر الثاني من السنة الغربية. فإلى الفاء مع التاء ومع يثلثهما بادئاً بـ (فتأ) إلى (الفتى) من كل شيء: الشاب العجيب — السخي الكريم. ج: فتاء. وبعد الفاء مع الثاء وما يثلثهما بادئاً بـ فتأ — فتوءاً، وآخر مدخل منها: فَتَغَ — فَتَغاً رأسه: شَدَحَهُ. وينتقل إلى الفاء مع الجيم وما يثلثهما من فجأ إلى الفجيجة، ثم الفاء مع الحاء وما يثلثهما من: فحأ — فَحَوّاً بكلامه كذا: أشار به إليه، إلى الفحيم: الشديد السواد. ج: فحام. ثم الفاء والحاء وما يثلثهما فكان أول مداخلهما فَخَتَ إلى الفخير... وهكذا حتى ينتهي إلى الفاء مع الياء ٩٢٢/١ وما يثلثهما وأول المداخل: في: حرف جر.. ويبين معانيها النحوية (الظرفية)، ومعنى على والباء وإلى وبعد، والتعليل والمصاحبة وللمقايسة (وما علمي في بحره إلا قطرة)، حتى ينتهي إلى القيول: ولد الفيل. ج: مفيولاء [على غير قياس]. وهكذا يتدرج مع كل حرف يثنيه مع بقية الحروف بالترتيب الأبجائي ثم يثلثهما مع بقية الحروف بالترتيب الأبجائي أيضاً.

والآن يحسن أن أنتقل إلى ما اتبعه من طرق في أداء المعاني ومن أجل البيان الدقيق لطريقته أرى أن أتناول مدخلاً فعلياً ثم مدخلاً اسمياً. فالذي يحصل مع الفعل أنه يذكره متلوّاً بمضارعه ومصدره ثم يسوق الفعل في تراكيب يكون فيها لازماً ومتعدّياً وقد يكون إحداها قرآنياً، ويبين معناه بالترادف من خلال كل سياق وأرى في «ضرب» مثلاً نموذجياً للمدخل الفعلي بلزومه وتعديته بنفسه بحروف الجر، وما يترتب على ذلك من معان: «ضرب — ضرباً وضرباناً: تحرك — القلب: نبض. — العرق: اختلج — الضرس أو نحوه: اشتدَّ وجعه. — ت العقرب: لدغت. — الزمان: أجرى صروفه. — في الأرض: ذهب وأبعد و — في الأرض: سار في ابتغاء الرزق ﴿وَأَخْرُونَ يَصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ

يَتَعَوَّنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿١﴾ - هَضَّ وَأَسْرَعَ فِي السَّيْرِ - فِي الْمَاءِ: سَبَحَ. - عَنِ الْأَمْرِ: كَفَّ
وَأَعْرَضَ - اللَّوْنُ إِلَى اللَّوْنِ: مَالَ - بِيَدِهِ فِي الْمَاءِ: سَبَحَ - بِيَدِهِ: أَشَارَ. - بَيْنَهُمَا الْقَوْمُ:
أَفْسَدَ. - فِي الْأَمْرِ: شَارَكَ فِيهِ. - عَنِ الْأَمْرِ: كَفَّ وَأَعْرَضَ - اللَّوْنُ إِلَى اللَّوْنِ: مَالَ -
بِيَدِهِ إِلَى كَذَا: أَهْوَى. - عَلَى الرِّسَالَةِ: خَتَمَ. - النَّوْمُ عَلَى أُذُنِهِ: غَلَبَهُ - عَلَى أُذُنِ فُلَانٍ:
مَنَعَهُ أَنْ يَسْمَعَ. - فُلَانٌ عَلَى يَدِ فُلَانٍ: أَفْسَدَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ. - الْقَاضِي عَلَى يَدِ فُلَانٍ: حَجَرَ
عَلَيْهِ وَمَنَعَهُ التَّصَرُّفَ - الدَّهْرُ بَيْنَهُمْ: فَرَّقَ - بِالْقَدَاحِ: أَجَاهَا. - فِي الْبُوقِ نَفْخٌ - ضَرْبًا
وَتَضْرَابًا الشَّيْءِ. صَدَمَهُ وَأَصَابَهُ - الْخِيَمَةُ: نَضَبُهَا - الْأَجَلُ أَوْ الْمَوْعِدُ: عَيْنُهُ - الْمَثَلُ: قَالَهُ
وَبَيْنَهُ ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ ^(١) - الدِّرَاهِمُ: سَكَّاهَا. - الْخَاتَمُ وَنَحْوُهُ:
صَاغَهُ - ضَرَبَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: خَلَطَهُ - الْعِدَدُ بِالْعِدَدِ: كَرَّرَهُ بِقَدْرِهِ. - عَلَيْهِ الْحِصَارُ:
حَاطَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ. - عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةُ: أَوْجَبَهَا. - أَوْجَبَهَا. - عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ: أَذْلَهُمْ
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ ^(٢) (قرآن). - بِذَقْنِهِ الْأَرْضَ: أَطْرَقَ جُبْنًا أَوْ
اسْتَحْيَاءً. - لَهُ الْأَرْضُ كُلُّهَا: طَلَبَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ. - الرَّقْمُ الْقِيَاسِيُّ فِي الرِّيَاضَةِ أَوْ الْإِنْتِاجِ:
تَجَاوَزَهُ إِلَى رَقْمٍ جَدِيدٍ لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ - عَنْهُ صَفْحًا: أَعْرَضَ عَنْهُ. - عَنْهُ جَرَوْنُهُ: زَهْدٌ فِيهِ.
- هَ الْبَرْدُ أَوْ الْحَرُّ: أَصَابَهُ. - الصَّلَاةُ: أَقَامَهَا «لَقَدْ جَاءَ الْفَعْلُ (ضَرْبٌ) فِي اثْنَيْنِ
وَأَرْبَعِينَ سِيَاقًا لُغَوِيًّا، وَكُلُّ سِيَاقٍ أَدَّى فِيهِ الْفَعْلُ مَعْنَى مُخْتَلَفًا، بِسَبَبِ اسْتِعْمَالِ الْفَعْلِ لَازِمًا
وَمُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ وَمُتَعَدِّيًا بِحَرْفِ الْجَرِّ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّهُ أَدَّى مِنْ خِلَالِ هَذَا السِّيَاقِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ
مَعْنَى وَهُوَ مِثَالٌ عَلَى قُدْرَةِ اللُّغَةِ وَطَوَاعِيَةِ مُفْرَدَاتِهَا عَلَى تَغْطِيَةِ الْمَعَانِي الْمُسْتَحْدَثَةِ.

وَأَمَّا الْمَدَاخِلُ الْأَسْمِيَّةُ فَيَتَنَوَّعُ أَدَاءُ مَعَانِيهَا فَقَدْ يُوْدَى الْأَسْمُ بِالْتَرَادُفِ كَقَوْلِهِ فِي
١/١٦٦: «الْأَمْنَةُ: الْإِطْمِئْنَانُ (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً) (قُرْآن)» وَفِي ١/٢١٣:
«الْبَاصِرَةُ: الْعَيْنُ ج: بِوَاحِدٍ». وَفِي ١/٢٤١: «الْبُعْكَوْكُ: شِدَّةُ الْحَرِّ». وَفِي ١/٣٠١:
«التَّصْبِيرُ: مَصْدُورٌ - التَّحْنِيطُ». وَفِي ١/٤٣٨: «الْحَرْبُ: الشَّدِيدُ الْغَضَبُ». وَفِي

(١) ١٣ - يَس.

(٢) ٦١ - الْبَقْرَةُ.

١/٤٥٩: « الخلابس: الشجاع ». وفي ١/٤٨٦: « الخربد: اللبن الرائب الحامض ». وفي ١/٦٢٣: « الزركش: الحرير المنسوج بالفضة. ج زراكش ». وفي ١/٧٠٦: « الشرس: السيء الخلق ». والأمثلة تفوق الحصر.

وقد يضطر بعد بيان المعنى بالمرادف أن يلجأ إلى التضاد لإبراز المعنى كقوله مثلاً في ١/١٧٥: « الانحطاط: مصد و - فل: الهبوط، مقابل الارتفاع » وفي ١/٢٤١: « بُعد: نأى، ضد قرب » و « البُعد: مصد و - النأي: ضد القرب ». وفي ١/٤٥٩: « الحلال: الجائز شرعاً. ضد الحرام ». وفي ١/٤٨٦: « الخراب: مصد و: الدمار، ضد العمران...»، « الحرب من البيوت: الذي لا عمران فيه.. ضد العامر ». وفي ١/٦٨٥: « السواد من الألوان: خلاف البياض ».

ومن الأسماء ما يكون له أكثر من معنى بالتراصف أو التعريف، أي من المشترك اللفظي فيؤدي هذه المعاني وكأنها تتراصف على المدخل الواحد كقوله في ١/٢٤١ عن البعل: « البعل: الزوج ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾^(١) ج: بعال وبُعول وبُعوله ﴿وَبُعُولُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدْهِنَّ﴾^(٢). - كل زرع أو شجر لا يُسقى أو هو الأرض التي تسقيها السماء فقط. - الأرض المرتفعة التي لا ينالها السقي - ربُّ الشيء ومالكه - عند الوثنيين: الرب الخالق ﴿أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٣). وفي ١/٣٢٥: (التقليد: مصد و - ما يكتبه السلطان لمن دونه يصرح فيه بتقليده الحكم ج: تقاليد. - عند الناس ما اتصل بهم من أمور العقائد أو غيرها نقلاً عن السلف. - الإتيان من غير نظر وتأمل في الدليل. - اقتداء شخص بآخر في أعماله وأطواره ».

وفي ١/٦١٧: « الزاوية: مؤنث الزاوي - من البيت: ركنه. - المسجد غير الجامع ليس فيه منبر. - مأوى للمتصوفين والفقراء. - آلة ذات ضلعين مستقيمين متصلتين

(١) ٧٢ - هود.

(٢) ٢٢٨ - البقرة.

(٣) ١٢٥ - الصافات.

يحدث اتصالهما زاوية قائمة يستعملها النجارون والحدادون والبناءؤون. ج: زوايا - هـ: الانفراج الحاصل من ثلاثي مستقيمين يسميان ضلعي الزاوية « الزاوية القائمة »: الزاوية التي يكون ضلعاها أو وجهها متعامدين، وقياسها تسعون درجة (٩٠). (الزاوية الحادة)... (الزاوية المنفرجة) ومن الأسماء ما يحتاج إلى التعريف ولا ينفع معه أداء المعنى بالترادف كالمصادر والاصطلاحات التي وضع للعلوم التي تنتمي إليها رموزاً خاصة في الطب (طب) والحساب « جـ » والفيزياء « في » وهكذا. وأسماء الحيوان والنبات والآلات والمعرّبات من ذلك الاستقراء ٨٦/١: « الاستقراء: مصدر و - : طريقة يمكن بها الوصول إلى أحكام عامة بواسطة الملاحظة والمشاهدة الحسية، والاستقراء عماد العلوم الطبيعية في صوغ نوااميسها وهدفه تكوين حكم عام مبني على حقائق جزئية ».

وفي ١٧٤/١: « الإنجيل يومو: كتاب العهد الجديد عند المسيحيين فيه سيرة السيد المسيح ودعوته » ج: أناجيل، والإنجيل واحد بأربعة نصوص: بحسب متى: بحسب مرقس، بحسب لوقا، بحسب يوحنا.

في ١٧٧/١: « الإنسان: المخلوق الحي المفكر، من رتبة اللبونات، وفصيلة الأوالي، يمتاز بالنطق وانتصاب القامة وكبر الدماغ، يستوي فيه الذكر والمؤنث. ج: أناسي وأناسية وأناس. - البشر » لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم « (قرآن). وفي ١٧٢/١: «الانثروبولوجيا يومو: دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان ».

وفي ١٩٨/١: « الأورانيوم عنصر معدني رقمه الذري ٩٢ وثقله النوعي ١٨,٧ يوجد في الطبيعة بشكل أكسيد الأورانيوم. ذرة الأورانيوم قليلة الإشعاع تنفلق عند قذفها بالنوترونات فتعنتق طاقة هائلة (انظر لوحة الذرة).

وفي ٢٠٨/١: « البَابُونَج في مو: نبات عشبي بري وزراعي من فصيلة المركبات له زهر أصفر مكلل ببياض، يُعرف في المصطلح النباتي بـ (الأقحوان النبيل) ».

وفي ٣٤٠/١: « التَّمْساح: حيوان من الزحافات البرمائية في شكل الضب كبير الجسم طويل الذنب قصير القوائم، على رأسه وظهره وذنبه ترس متين كترس السلحفاة مؤلف من فلوس قرينة متصل بعضها ببعض ج: تماسيح ».

وفي ٤٦٩/١: « الحنيف: الذي يميل إلى الحق في الدين وغيره. - في الجاهلية: فهو الحاج ﴿وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مِّنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ﴾^(١). وإذا ذكر وحده فهو المسلم ﴿أَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾^(٢) ج: حُنَفَاء. « الحنفاء»: فريق من العرب كانوا يُنكرون الوثنية قبل الإسلام. ».

وفي ٤٧٠/١: « الحوالة المصرفية: أمر صادر إلى مصرف من شخص له حساب فيه يكلفه دفع مبلغ المال عند الاطلاع عليه لشخص معين أو الأمر شخص معين أو لحامله. ».

وفي ١٢٨٣/١: « الوريد: العرق الرئيسي الذي يجري فيه الدم في الجسم، ويُدعى الفليق في العضد، والأكحل في الذراع والأشجع في ظاهر الكف والراشقة في باطن الذراع .. ». ».

وأمثلة أداء المعنى بالتعريف طاغية في الأسماء والصفات والمصطلحات والمعربات في كافة مناحي الحياة.

أما حروف المعاني والظروف فيهتم ببيان معانيها النحوية أقصد المعاني أو الوظائف التي تؤديها في التراكيب كقوله في بل ٢٤٦/١: « بل: أداة ترد على ثلاثة وجوه:

١- عاطفة تكون بعد النفي والنهي.....

٢- ابتدائية إذا جاءت بعدها جملة، وتفيد عندئذ الإضراب عما قبلها.

٣- استئنافية لقطع كلام والأخذ بآخر...، وقد تجيء لا قبل بل...». ».

«وما هجرتك لا بل زادي شغفاً هجرٌ وبعد تراخي لا إلى أجل»

ومن الظروف « حيث في ٤٧٣/١: « حَيْثُ: ظرف مكان مبني على الضم يلزم الإضافة إلى الجملة « وقفت حيث وقف الناس»، وتلحقه « ما » الكافة فيتضمن معنى الشرط، ويجزم فعلين « حيثما تذهب أذهب»، ويرد للدلالة على الزمان أيضاً.

(١) ٦٧ - آل عمران.

(٢) ١٥ - يونس.

ولابد من الإشارة إلى أن المؤلف قد اعتنى عناية فائقة بالمعربات ورمز لها بـ « مع » وتعريفها وإدراجها بين المداخل العربية حسب نطقها وقد رمز لأصولها الأجنبية، لكل أصل برمز خاص به فالفارسي: « ف »، والفرنسي: « فر »، والإيطالي: « إي »، والتركي: « تر »، والسرياني: « سر »، واللاتيني: « لا »، واليوناني: « يو »، والهندي: « هن » أمّا ما لا يعرف أصله فيكتفي برمز المعرب: « مع » فقط.

ومن ذلك ٢١١/١: « البارومتر: يومع: آلة تستعمل لقياس ضغط الهواء وبالتالي لقياس الارتفاع عن سطح البحر وارتفاع تقلبات الطقس... » وفي ٢٣٢: « البروليتارية يومع: الطبقة العاملة في المجتمعات الرأسمالية ».

وفي ٢٦٠/١: « البيمارسيان ف مع: محل معد لإقامة المرضى ويطلق على المستشفى ».

وفي ٣٣٣/١: « التلفزيون يومع: نقل الصور المتحركة من بعد بواسطة التيار الكهربائي أو الموجات الهرتزية ».

وفي ٥٤٨/١: « الديباج ف مع: الثوب الذي سداه ولحمته من الحرير، القطعة منه، ديباجة ».

وفي ٦٨٦/١: « السُوفسطائية: يو مع: فرقة فلسفية نشأت في اليونان، أنكرت الحقيقة المطلقة وآمنت بالمعرفة الحسية ».

وفي ٦٨٨/١: « السيرج ف مع: السّيرج، وهو دهن السمسم ».

وقد يكتفي مع المعرب بمرادفه فقط دون تعريف فكأن المرادف هو الترجمة العربية أو المقابل العربي له كقوله في ٩٣/١: « الأسربقون يو مع: الأكسيد الأحمر الرصاصي ».

وفي ٩٥/١: « الإسكيم يو مع: ثوب الراهب ».

وفي ٢٥٧/١: « البيرق ف مع: اللواء والعلم »، « والبيرقدارف مع: حامل العلم ». وفي ٣٣٣/١: « التلفون يو مع: الهاتف ». وفي ٦٨٨/١: « السيكلوجيا يو مع: علم النفس ».

وبقي أن نقول إنه لم يكتفِ بأداء المعنى بالكلمات وإنما زاد عليها الصور والرسوم بحيث احتوى المعجم العربي الحديث على ٣٥٢٥ رسماً و ١٦ صفحة ملوَّنة وكان يضع الصور والرسوم اللازمة والمتاحة على الهامش الأيمن من الصفحة اليمنى، وعلى الهامش الأيسر من الصفحة اليسرى فالأرز في ٦١/١: «الأرز:..... - جنس شجر عظيم ورسوخه في الأرض: (ووضع صورتين إحداهما لأرز لبنان، وأخرى لأرز المغرب)».

وأفني حديثي عن المعجم العربي بحديث الاحتجاج فيه والمطالع لهذا المعجم سيجد أن القرآن الكريم بآياته هو مرجعه الأول وعمود استشهاده «الإكثار من الشواهد والأمثلة في تعريف الكلمات ولاسيماً ما ورد منها في القرآن لها البقاء والاستقرار» وطريقة احتجاجه بالقرآن الكريم أن يأتي بالآية بعد بيان معنى المفردة ليدل على هذا المعنى، ويضع بعد الآية كلمة قرآن بين هلالين ومن أمثلة ذلك الكثيرة جداً في ٤٢/١: «أخزى إخزاء هـ: أوقعه في الخزي والهوان: — هـ جعله يستحي ويذل ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾^(١) ولا يذكر السورة ولا رقم الآية فيها. ويأتي الحديث الشريف في المترلة مع الشعر بعد القرآن الكريم ويفعل مع الحديث تعامله مع القرآن حيث يذكر الحديث بين هلالين بعد معاني المفردات ومن أمثلة ذلك ما جاء في ١٧٠/١: «الإصر: العهد الثقيل المؤكد» «أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي — الثَّقل ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾^(٢) — الإثم» «فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الإصر وعليكم الصبر» (حديث).

وأما احتجاجه بالشعر فقد يذكر الشعر كاملاً دون ذكر قائله في الغالب نحو ما جاء في ٧٥/١ مثلاً: استأسد استأساداً: صار كالأسد في جرأته وأخلاقه: **إني وجدت زهيراً في مآثرهم شبه الليوث إذا استأسدوا أسدوا**

(١) ٧٨ - هود.

(٢) ٢٨٦ - البقرة.

وقد يذكر الشاعر نحو ما جاء في ٦٨٩/١ شاهداً على المجرور بعد « لاسيما » قوله مثال في شعر امرئ القيس:

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جُلجل

وقد يستشهد بشطر من البيت كقوله في ١٦٥/١:

« الأمة: الوالدة: » « يا أمتاً لا تجزعي » (أبو فراس) وهذا شاهد كذلك على أنه لم يلتزم بقيد الاستشهاد الزماني ولا المكاني فأبو فراس توفي ٣٥٧هـ، ولم يكن بدوياً. وكذلك اصطنع أمثلة من عنده لتوضيح المعاني إذا لم يجد قرآناً أو حديثاً أو شعراً، ولم ينس أمثال العرب أو أقوالهم وهي كثيرة من مثل ما ورد في ٨٨/١: « استغلي استلغاء هـ استمعه واستنطقه: » « إذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستلفهم. »

وفي ٨٩/١: « استنسر استنساراً: صار كالنسر قوة » استنسر البغاث « مثل يضرب في الضعيف الذي يدعي القوة ». ومن الجدير بالذكر أنه قد ختم معجمه بطائفة من الأمثال العربية مع قصصها.

ومما يذكر في هذا المقام أنني وجدت له استشهاداً من التوراة في ٧٦٧/١ « ضرس — ضرسات الأسنان: كلت من تناول الحامض » الآباء أكلوا الحصرم وأسنان البنين ضرس « (التوراة) ».

المراجع:

- الرائد: جبران مسعود، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٧٨م.
- المرجع: لعبدالله العلايلي، بيروت، ١٩٦٣م.
- المعجم العربي الحديث: للدكتور خليل الجر، مكتبة لاروس، باريس، ١٩٧٣م.

٣-٦ مدرسة التقفية « الباب والفصل »

٣-٦-١ معجم التقفية في اللغة^(١) - للبندنجي (ت ٢٨٤ هـ)

ظل الخلاف قائماً حول مبتكر طريقة القافية والفصل ما بين الجوهري (ت ٤٠٠ هـ) في معجم تاج اللغة وصحاح العربية، وخاله الفارابي (ت ٣٥٦ هـ) في ديوان الأدب حتى حسمه ظهور معجم التقفية في اللغة لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البندنجي^(٢) المتوفى عام ٢٨٤ هـ، فلم يعد الخلاف مطروحاً فابتكار ترتيب المداخل المعجمية حسب قوافيها أي آخر حرف فيها، أصبح من حق البندنجي الشاعر الضرير في معجم التقفية الذي احتل مكانه بجدارة، نظراً لسبقه الزمني.

ومنهج هذا المعجم الذي أراده صاحبه^(٣) « أن يجمع (فيه) ما قدر عليه، وبلغه حفظه (ما) لا غنى لأحد من أهل المعرفة والأدب عن معرفته »

فألفه تأليفاً متناسقاً متتابعاً ليسهل على الناظر فيما يحتاج إلى معرفته، وهذا التأليف المتناسق يقوم على منهج أساسه ترتيب الألفاظ « المداخل » وفق نهاياتها، ومن أجل ذلك فتح ثمانية وعشرين باباً بعدد الحروف الهجائية المرتبة ألفبائياً إلاّ باب الألف أو الهمزة اللتين فتح لهما أربعة أبواب وفصلاً وكان أول الأبواب باب الألف الممدودة (٣٨ — ٨٢) ذكر فيه من الألفاظ ما كان آخره همزة قبلها ألف زائدة سواء أكانت هذه الهمزة أصلية كالاجتزاء ٤٦/١، والسّلاء يقال سَلَأْتُ السَّمن أي خَلَصْتَهُ من دَرَنِهِ ٥٧/١ والإنساء: التأخير ٥٩/١، أم كانت منقلبة عن أصل كالهجاء والسخاء ٤٢/١، ٤٣ والنداء ٤٤/١ والاختباء والاهتداء ٤٩/١، ٥٠ أم زائدة نحو حمراء وصحراء وبيضاء ٧٠/١. وثاني

(١) التقفية في اللغة، لأبي بشير اليمان بن أبي اليمان البندنجي، تحقيق د. خليل إبراهيم العطية، بغداد، ١٩٧٦ م.

(٢) انظر في ترجمته: مقدّمة المحقق د. خليل العطية ص ٩ — ٢٢. والفهرست ٨٢/١ ومعجم الأدباء ٦٤٦/٥ ط دار الكتب العلمية، أنباء الرواة ٧٣/٤ وبغية الوعاء ٣٥٢/٢.

(٣) ومن أساتذته ابن الاعرابي وأبو نصر بن حاتم الباهلي وابن السكيت والرياشي ت ٢٥٧ هـ معجم التقفية في اللغة : ٣٦/١.

الأبواب باب الألف المهموزة ويقصد بها الهمزة التي تكتب على ألف في آخر الكلمة كالنبا والصدأ ٨٣/١ وفتح فيها أبواباً تحت عنوان باب منه آخر ٨٦/١ وذكر كلمات تنتهي بتاء تانيث مسبوقه بالهمزة وبوزن مختلف كالكمأة والهيئة على وزن فَعْلَة في حين ما فتح به الباب كان على وزن فَعَلَ.

وباب آخر ثان « من باب الألف المهموزة » ألفاظه على وزن فعالة كالرداء والجرأة ٨٧/١ وباب آخر ثالث ألفاظه على وزن فعلة كالجأأة ٨٩/١.

وثالث الأبواب باب الألف المهموزة في التسكين ويبدو أن المقصود هو الهمزة التي تكتب منفردة في آخر الكلمة كالملاء والخبء والبذاء والجزء والوطء ٩١/١. والبء والدرء ٩٦/١ والدَّفء والقرء والبُء ٩٧/١ ولكن تخلل هذا الباب كلمات تنتهي بألف غير مهموزة ٩٢/١ — ٩٥ نحو:

الصَّبَا، والشَّجَا والرَّحَى والنَّدَى والصَّدَى والمدى القرى والكرى وهو ما يجب أن يكون في باب الألف المقصورة وهي الباب الرابع « من باب الألف » ٩٩/١ — ١٠٤ نحو الأبا والجبَا والغضا والشَّفا والجوى ورهوى والجَلَا والخَلَى والطلَا والعَلَى، ويفتح فصلاً دون عنوان (١٠٥ — ١٢٦) ويبدو أنه تابع لسابقه، أي تنتهي كلماته بالألف المقصورة كالحِمَى واللَّمَى والبُنَى والضُّنَى والهوى والجوى والسلوى والبلوى والتقوى والحيرى، والمولى، والعُتْبَى، والمَشْتَى والجَمْزَى والعدوى والأدنى والقُصوى والقرى والخُطَى والقُوى والصُّوى.

ويمكن أن نستخلص منهجه في ترتيب المداخل من خلال معالجته في هذا الأبواب

كالآتي:

أولاً: فتح في معجمه أبواباً لحروف العربية بترتيبها الألفبائي كباب الألف مهموزة وغير مهموزة وباب الباء إلى باب الياء.

ثانياً: رتب الألفاظ حسب نهاياتها، ودون الالتفاف إلى جذورها ووزعها على أبواب الكتاب فالنسي في باب الهمزة والسَّغْب في باب الباء والفَلَج في باب الجيم والفرو في باب الواو والراية في باب الياء، وهكذا..

ثالثاً: كذلك لم يعط اهتماماً، عند ترتيب الكلمات في الباب الواحد، لحرفها الأول، وكانت، عنايته في الدرجة الأول بحرفها الأخير يشهد لذلك قوله في المقدمة ص ٣٧: « ونظرنا في نهاية الكلام فجمعنا إلى كل كلمة ما يشاكلها ما نهايتها كنهاية الأول قبلها من حروف الثمانية والعشرين » وفي الدرجة الثانية بوزنها الصرفي ففي باب الباء مثلاً تجد: العتب ثم الرتب ثم الرجب ثم اللحب والنخب والسحب والصحب، والشرب، والركب، والشخب، والأذب والجذب والعيب والنذب والجذب والعذب والخرب والضرب والغرب والصرب والعضب والعكب، والسرب، والكرب والحسب، واللشب والعصب والنصب والقصب والقضب والحصب والحضب والخطب والوطب والشطب والعصب والقطب والشعب والكعب والنعب.. إلخ والأمثلة لا تحتاج إلى تعليق سوى النظر فيها لإدراك تركيزه على الحرف الأخير والوزن في كل كلمة وكلها على وزن « فَعَلَ » ولم يكن للحرف الأول أي اعتبار فالعين قبل الراء، والراء قبل اللام، والنون قبل السين... إلخ.

رابعاً: بما أن أوزان الألفاظ مختلفة تراه يسجل لكل وزن في كل باب قافية خاصة به يشهد لذلك قوله في المقدمة ص ٣٧: « وقد يأتي من كل باب من هذه الثمانية والعشرين من أبواب عدة » يقصد ما سماه قوافي «؛ لأننا إنما أَلَفناه على وزن الأفاعيل «يقصد الأوزان» فلينظر الناظر المرتاد. وزن الكلمة في أي الأبواب هو » ويقول قبلها «جمعنا إلى كل كلمة ما يشاكلها» يقصد من الوزن والحرف الأخير فبعد وزن فَعَلَ في باب الباء يفتح ما يسميه بقافية أخرى، أي بوزن آخر وهو فَعَلَ كالحَبَب والسَبَب والشَبَب والنَدَب.. والعَجَب والحَدَب.. والأَرَب والقَصَب والنَّصَب.. والشَّنَب.. إلخ وتليها قافية أخرى على وزن فَعَّلَ نحو: الشرجب والجسرب والشوقب والشوذب.. والثعلب.. والربرب ويدخل في هذه القافية نفسها في وزن آخر وهو مَفْعَل كالمركب والملعب والمضرب والمطلب والمهرب والمحب والمذهب، وخلالها يطرق وزناً آخر وهو أَفْعَل: الأَصْهَب والأَشْهَب والأَعْصَب والأَحْقَب الأغْلَب والأَشْنَب والأَشْيَب والأَرْتَب ثم يرجع إلى وزن مَفْعَل كالمخضب والمضرب والمَرْقَب ويتخلله وزن مَفْعِل كالمُعْقَب

والمَجْرِب والمَغْرِب.. إلخ وهكذا يصادفنا في كل باب قوافٍ متعددة ففي باب الباء مثلاً بعد افتتاحه بألفاظ على وزن فَعْل يتخلله كلمات على وزن فَعْل كالتَرَب وحِزْب وخَصْب.. وكلمات على وزن فَعْل كالحُبُّ والصُّلْب والقُصْب، ويفتح قافية بعنوان قافية أخرى على وزن فَعْل كالأَوْب والثَوْب والجَوْب والرَّوْب.. والرَّيْب والسَّيْب وبعد ذلك يفتح القوافي الآتية للباء: فَعْل ثم فَعْلَل، ثم فَعَال ومعهما فَعَال وفَعَال، وتفعيل، ومعه فَعِيل وفُعُول والمَفْعُول ثم فَعْلَة ومعه إفْعَلْه والفعَالَة ثم فَعُولَة كالعُرُوبَة والحَلُوبَة ومعه فَعِيلَة نحو عجيبَة وضريبَة وطبيعَة ثم فَعِلَة ومعه فَعْلَة، ويرجع إلى وزن فَعْل كالزَّرَب والدَّأَب ثم قافية (وزن) فاعل وينهى القوافي بوزن مَفْعَلَة نحو مَسْعَبَة.

ومما سبق على من يريد الكشف عن كلمة في معجم التقفية أن ينظر إلى الحرف الأخير في هذه الكلمة فيفتح على بابه، وعليه كذلك أن يلم بوزنها علّه يجد الكلمة في إحدى قوافي ذلك الباب؛ لأنه لا يلتفت إلى الحرف الأول كي يكون دليلاً عليها، وقد كان أكثر اعتماد البندنيجي في القوافي على الأسماء أو المصادر والأسماء المشتقة منها وندر إيراد الأفعال عنده بوصفها مداخل في معجمه.

وإذا انتقلت إلى الحديث عن ضبط الكلمات في معجم التقفية فإن الظاهر للعيان هو اعتماد صاحبه على الضبط اللازم للمداخل وشروحاتها وشواهدا من ناحية، إضافة إلى الاعتماد على الوزن خاصة في المداخل من ناحية أخرى ومن أمثلة غير المداخل قوله ص ٤٩: « يقال مَرَيْتُ وأَمَرَيْتُ كما يقال: فَعَلْتُ وافتعلْتُ » وقد يلجأ إلى النص على الحركة بعد ضبط الكلمة كقوله في ص ٧١: « الحَذْوَة العطية بكسر الحاء وضمها » وقوله في ص ٦٩٠: « والنَّيْء بالكسر اللحم الطري »، وهما أمران مبذولان في كل صفحة من صفحات المعجم بحيث لا يحتاج الأمر إلى شواهد.

وسكت مصنّف معجم التقفية عن مصادره ولم يذكر من أخذ عنهم لا من العلماء ولا من الأعراب ولا من الرواة إلا في ندرة كقوله في ص ٦٢٤: « قال الأصمعي وأبو عبيدة: القَيْل: الملك » وفي ص ٦٢٩: « وقال غير الأصمعي.. » وفي ص ٦٤٤: « قال أبو حاتم سمعت الأصمعي.. وقال الأصمعي.. وفي ص ٦٥٤ قال الأصمعي وفي ص ٦٥٣

قال أبو عبيدة ولم يذكر أحد ممن ترجموا له أنه ارتحل إلى البادية فقد ولد أعمى في البندنجين ونشأ بها ملازماً لأبي الحسن علي بن المغيرة « الأثرم » الذي كان يروي كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي فحفظ عنه أدباً كثيراً وأشعاراً كثيرة^(١)؛ عدا شيوخه الذين تذكرهم كتب التراجم كابن الأعرابي وأبي نصر الباهلي وابن السكيت والرياشي، ولا شك في تأثيرهم في لغة البندنجي وأدبه.

ولكن هناك علماء ثلاث تتردد أسماءهم في المعجم وهم أحمد بن عبد الله بن مسلم أبو جعفر الدينوري (ت ٣٢٢ هـ)، وأبو عمر محمد ابن عبد الله بن أبي هاشم المعروف بأبي عمر الزاهد « غلام ثعلب » ت ٣٤٥ هـ، وابن خالويه ت ٣٧٠ هـ وقد بين محقق المعجم أنهم من أصحاب التعليقات التي أقحمت في المتن وقام بتصنيفها « هذا المحقق » إلى تصويب ما وقع فيه المصنف من أوهام، أو إلى إتمام أو استدراك على المصنف أو اعتراض عليه^(٢) يدل على ما ذكر المحقق سنوات وفاتهم التي كانت بعد وفاة البندنجي بعشرات السنين.

والآن سأتوجه إلى بيان وسائل أداء المعاني في هذا المعجم، وهي جوهر بحثنا في معاجم العربية، وأبدأ بتأدية المعاني بالترادف، أي بذكر مرادف المدخل كقوله في ص ٣٩: « الخباء: بيت الوبر »، « والحصباء: الحصى » وفي ص ٤١: « النجاء: السرعة قال طرفة:

وإن شئت سامي واسط الكور رأسها

وعاقت بضيعها نجاء الخفّيد

وفي ص ٤٢: « الهجاء: الذم » وفي ص ٤٤: « الحذاء: النعل » وفي ص ٤٦: « الرشاء: الحبل، والانتشاء: السكر، والطرمساء: الظلماء ». وفي ص ٥٢: « المكاء:

(١) انظر مقدمة المعجم : ص ١٢.

(٢) انظر : السابق نفسه ٢٥ — ٢٧.

الصغير، قال الله عز وجل: ﴿مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ﴾^(١). وفي ص ٦١: «البواء: المقتول بالمقتول، قالت ليلي الأخيلية:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

والسواء: وسط كل شيء، قال الله عز وجل: ﴿إِنِّي كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(٢) وفي ص ١٩٨: «الغابة الأجمة» وفي ص ٢١٥: «الكريت: الكامل، يقال جاورت بني فلان حولاً كريئاً». وفي ٢٤٥: «الأج: السرعة، والبجع: الشق أيضاً» وفي ص ٢٦٩: «الرقاحه: إصلاح المعاش... وإن بكر من وائل في الجاهلية كانوا إذا حجوا يُلبون فيقولون: لبيك اللهم لبيك جئناك للرباحة لا للرقاحة».

وفي ص ٣١٩ «العتيد: الدائم» وفي ص ٣٢٢: «الجلمود: الحجر، والأحدود: الحفرة في الأرض، قال جل وعز: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾^(٣)، والوقود: الحطب، والوقود اللهب» وفي ٥٢٥: «المقاط: الحبل» وفي ص ٥٢٤: «الاعتقاط: الاعتماد بالعمامة» وفي ص ٥٢٨: «الإلظاظ: اللزوم للشيء والعلوق به، ومنه قوله رسول الله ﷺ: «أَلْظُوا بِيَاذَا الْجَلال والإكرام» وفي ص ٥٤٨: «الهرثوع: القملة الكبيرة ويقال هي الصغيرة، وقال جرير:

يَقْصُ اَهْرَانَع لَا يَزَال كَأَنَّهُ (بأذل حيث يكون يتذل)

وفي ص ٥٥: «الجُرْشُع: البعير والضخم البطن وقال: لقد ظننت غير مقلية يُحِبُّ بِهَا الْجَمْلُ الْجُرْشُع» وفي ص ٦٨١: «الحسني: الماء المستخرج من الرمل. وجمعه أحساء... والوعى: الحفظ.. والخزي: الهوان.. والبغي: الظلم، والبغي: الطلب».

(١) ٣٥ - الأنفال.

(٢) ٦٤ - آل عمران.

(٣) ٤ - البروج.

وقد يذكر بعض المترادفات متنوعة بمعناها كقوله ص ٤١: « والنافقاء والرهطاء والداماء والقاصعاء والغايباء هذه كلها جَحْرَةُ اليرابيع والضَّبَاب ». وقوله ص ٤٩: « الامتراء والافتراء: الكذب »، وفي ص ٨٠ « الإحكاء والاحتكأء: شدُّ العُقَد جميعاً » وقد يلجأ إلى أسلوب آخر لبيان ترادف الألفاظ على معنى واحد كقوله في ص ٩٤: « والذرا: كَنَفُ الرجل، والحشا كذلك »، وفي ص ٩٦: « الكَفء: قَلْبُ الإناء.. وكذلك الجَفء » وقد يستخدم لفظ مثل كما في ص ٧٢: « الحرقاء: المخروقة الأذن والشرقاء مثلها »، وفي ص ٥٥٦: « الهَجَنع: الطويل والهمَلع مثل الهَجَنع »... ص ٥٥٧ والْمِلْع مثل الهمَلع « وله طريقة أخرى في بيان الترادف، بتفسيره الكلمات المترادفة بلفظ واحد أي معنى واحد كقوله في ص ٧٧: « الصِداء: مصدر صاديت الرجل مُصاداة وصِداء أي داريته... والحِباء: مصدر حايت الرجل محابة وحِباء، أي داريته، والسِناء: مصدر سانيت الرجل مساناة وسِناء أي داريته ».

وقد وردت كثيراً في معجم التقفية الألفاظ التي يمكن عدُّها من المشترك اللفظي، أي كلمة واحدة في هيئة موحدة ولها غير معنى نحو قوله في ص ٤٣: « العِداء: الظلم، قال الراعي:

كتبوا الدُّهيم من العِداء لِمْسْرِفٍ عادٍ يُريدُ خيَانَةً وَغُلُولاً

والعداء: الشغل، قال زهير:

فَصَرَمَ حَبْلَهَا إِذْ صَرَّ مِنْهُ وَعَادَكَ أَنْ تَلَاقِيَهَا الْعِدَاءُ

يقال منه: عداني عنك كذا وكذا، أي شغلني... ».

في ص ١٣٢: « الغَرْب: الدَّلُو التي يستقى بها على السانية. والغَرْب: الحدُّ من كل شيء. والغَرْب: النشاط في السير.. والغَرْب: عِرْق يسقى فلا ينقطع، ويقال للعَيْن بها غَرْبٌ إذا كان الماء يسيل منها... والغَرْب: موضع غروب الشمس، يقال: شَرَقَ وغَرْبَ ». وفي ص ٦١٧: « النجل: الوليد... ومنه أُخِذَ الإنجيل، لأنه من نجلت الشيء أي أخرجته... والنَّجل: النَّزُّ.. والنَّجل الشَّقُّ.. والنَّجل: الطعين بالرمح... والنَّجل: الدَّفْع... » وفي ص ٦٢٤: « الحَوْل: القوة، والحَوْل: السَّنة، يقال قد حال عليه الحَوْل، والحَوْل:

مصدر حال الرجل في ظهر دابته... والحول: مصدر خلت بين القوم: أي فرقت. والحول: مصدر حالت القوم أي انقلبت « وفي ص ٦٣٦: « الصوم: حرب من الشجر، الصوم: ذرق النعام... والصوم: العذرة: الصوم: عن الطعام والشراب، وكل مُصمِك عن شيء من الأشياء فهو صائم عن الكلام، والصوم: القيام وكل قائم ساكت صائم وقال النابغة:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَأُخْرَى تُعَلِّكُ اللَّجْمَا

والصوم: صوم النهار، يقال صام النهار إذا قام قائم الظهيرة، وقال: إذا صام النهار وهَجَرًا.

وقد يستخدم التضاد في بيان المعنى؛ أي يبين معنى اللفظ بذكر ضده كقوله في ص ٤١: « والشتاء ضد الصيف ». وفي ص ٤٣: « الرِّخَاء ضد الشَّدَّة » وفي ص ٨٤: « الدَّفَأُ ضد القُرَّ، والخطأ ضد الصواب » وفي ص ٦٢٢: « الهَزَل ضد الجد » وفي ص ٦٨٠: « الحلو ضد الحامض » وفي ص ٦٨٨: « الحي ضد الميت ».

ومن وسائل صاحب التقفية في أداء المعنى، حرصه على تعريف المداخل حين يحتاج الأمر ذلك كقوله ص ٣٩ في تعريف الهباء: « والهباء: الغبار الذي ينتثر من الشمس إذا دخلت في خصاصة البيت » قال الله جل وعز: « فجعلناه هباءً منثوراً ». وفي ص ٤١: « فأما النافقاء: فهو الجحر الذي يجعل فيه اليربوع أماكن رقيقة، فإذا حفر من ناحية ليدخل عليه فيؤخذ، حفر بعض تلك الأماكن الرقيقة فخرج؛ ومن ذلك أخذ النفاق لأنه خداع... » وفي ص ٦٠: « الخنفساء: دويبة سوداء وهو يُمدد ويقصر » وهو تعريف، كما نرى، قاصر، فلم يبين سوى جنسها العام ولونها. وفي ص ٦٣: « الإقواء أن تقول بيتاً خَفَضاً وبيتاً رَفَعاً، والإكفاء: أن تعيد القافية مرتين أو ثلاثاً » وفي ص ٧٢: « العَضباء: المكسورة القرن من النصف فما فوقه، وهي التي تُهَي أن يُضْحَى بها ».

وفي ص ٨٤: « اللَّبَأُ: أول ما تُحَلَبُ الشاة عند وضعها » وفي ص ١٠٥: « المدمى: السهم الذي يرمي به الرجل عدوه، ثم يرميه به عدوه، كما جاء في الحديث ». وفي ص ١١٧: « البُقَيْرِي: لعبة يلعب بها الصبيان يجمعون تراباً ثم يؤثرون فيه بأيديهم »

وفي ص ١٣٢: «العَرَب: الدُّلُو التي يُسْتَقَى بها على السانية» وفي ص ١٨١: «التجيب: البياض في رجل الفرس إلى فوق الحافر بشيء»، وفي ص ١٩٥: «العَرُوب: وهي المرأة العاشقة لزوجها» وفي ص ٢٠٧: «القارب: زورق يكون مع المركب في البحر يخرج فيه إلى الساحل» وفي ص ٣١٤: «الصَّمَد: السيد الذي يُصَمَد إليه في الحوائج» وفي ص ٣٢٢:

كَأَنَّهُمَا وَابْنُ أَيَّامٍ تُرِييُهُ من قرة العين مُجْتَاباً دِياً بُوْد

وفي ص ٥٢٨: «والعظاظ: السَّهْم الذي رُمي به اضطرب ولم يُصَب»، وفي ص ٥٤٧: «الرَّصِيع: الحِرْقَة من حرير تُجعل على القوس الكريمة...» وفي ص ٦٢٦: «التَّجَل: سَعَة العين وعِظَم المُقْلَة وكثرة بياضها».

وكثيراً ما كان يلجأ إلى اشتقاق المدخل ووضعه في سياق لغوي يتلوه المعنى مسبقاً إذا أو أي التفسيرية نحو قوله ص ٧٧: «الدَّرَاء: مصدر دارأت الرجل مدارأة؛ أي خاصمته، قال الله عز وجل: ﴿فَأَذَرَتْهُمُ فِيهَا﴾^(١)، الصِّدَاء: مصدرٌ صَادَيْتُ الرجل مَصَادَةً وصِدَاءً أي داريته قال أبو صخر:

إِنِّي أَرَى مَنْ يُصَادِينِي لِأَهْجُرَهَا كزاجرٍ عن سبيل الله صَدَّادٍ

وفي ص ٨٢: «الإغواء، يقال: أغواه يُغْوِيه إغواءً إذا حمّله على الغي، ويقال غَوَى الفصيل يَغْوِي غَوًى شديداً إذا شرب من اللبن حتى يكاد يسكر، ويقال: غَوَى الرجل يَغْوِي غَوًى إذا كان من أهل الغي»، وفي ص ٩٨: «والصَّبُّ: مصدر صَبَّ الرجل أي خرج من شيء إلى شيء»، وفي ص ١٣٦: «العَصْب: مصدر عَصَبَ الرِّيقَ بفيه يَعَصِبُ عَصَباً إذا ييس» وفي ص ١٣٧: «ويقال: عَصَبَ الناقة يعصّبها عَصَباً إذا شَدَّ فَخَذَهَا بجبلٍ لِتَدْرَ» وفي ص ١٧١: «والإذهاب: مصدر أذهب الرجلُ أي كَثُرَ عنده الذَّهَبُ، والإزباب: مصدر أزبَّ الرجلُ أي كثر عنده الزبيب» وفي ص ١٨٩: «والتَّجْنِيب يقال: جَنَّبَ بنو فلان فهم مجنبون إذا لم يكن في إبلهم لَبَن». وفي ص ٢١٢: «الإسنان:

مصدر أُسْنَتَ الرجل أي أصابته السُّنَّة، الإِزِيَات: مصدر أَزَات الرجال أي كُثِرَ عنده الزيت «». وفي ص ٢٣٠: «الْعَلَتْ: شدة القتال، يُقال: عَلَتْ بعض القوم ببعض إذا اشتد قتالهم» وفي ص ١٣٤: «الْفَلَج: مصدر فَلَجَ يَفْلِجُ: إذا قَسِمَ» وفي ص ٢٣٦: «والْحَبَج: مصدر حَبَجَهُ بالعصا إذا ضربه بها... والهِمَج: مصدر هَمَجَتِ الإبل من الماء تَهْمَجُ إذا شَرِبَتْ عليه أداته «.

وقد يورد الاشتقاق في سياق لغوي بعد أداء معنى المدخل، بعكس الأسلوب السابق الذي كان يورد فيه الاشتقاق متلوّة بالمعنى، ومن أمثلة ذلك في ص ٩٦: «والسَّلَّ: النقد، يقال: سلَّته مائة درهم اسلَّوه سلًّا أي نقدته...

والشَّنُّ: البُغْض، يقال: شَنَّته اشنَّوه شَنًّا وشَنَّاته أشنَّاه شَنًّا « وفي ص ١٢٨: «والرَّبُّ: إصلاح الأمر وجمعه، يقال رَبَّيتُ الأمر أَرَبُّهُ رَبًّا إذا أصلحته وجمعت بعضه إلى بعض «. وفي ص ١٣٠: «والرَّجَبُ: الهَيْبَةُ، يقال فلان يَرْجُبُ فلاناً أي يهابه، قال الكميت: وَمَنْ غَيْرُهُمْ أَرْضٌ لِنَفْسِي شَيْعَةً وَمَنْ غَيْرُهُمْ لَا مَنْ أَجَلٌ وَأَرْجَبُ

وفي ص ١٣١: «والجَذْبُ: العَيْبُ، يقال: إن فلاناً ليجدِبُ فلاناً جَذْباً أي يعيبه، قال ذو الرمة:

فيا لك من خَدٍّ أسيل ومنطقٍ رخيِم، ومن خَلْقٍ تَعَلَّلَ جادِبُه

والنَّدْب: الدُّعَاء، يقال: ندب فلان فلاناً إذا دعاه « وفي ص ١٤٣: «القَشْبُ: الخلط، يقال: قَشَبْتُ الشيء إذا خلطت به شيئاً آخر « وفي ص ١٤٦: «الشُّوبُ: المزاج، يقال: شُبْتُ الشراب أشوبه شوباً « وفي ص ١٧٥: «والنُّزَاب: صوت الطباء، يقال: نَزَبَ الظِّي يَتَرَبُّ نَزِيًّا « وفي ص ١٨٣: «والتحريب الإغضاب، يقال حَرَبْتُ فلاناً أَحَرَّبُهُ تحريماً أي أغضبته قال جرير:

إني إذا الشاعر المغرور حرَّبي جَارٌ لقبر علي مَرَّانَ مرموسُ

وقد يذكر مشتقات المدخل دون أداء المعنى لثقلته بأن ذلك يكفي في الإيحاء بالمعنى وتوصيله كقوله ص ٤١: «الرجاء: رجاؤك الشيء ترجوه أن يأتيك « وفي ص ٥٤: «والبلاء: يكون في الخير والشر يقال أبلَّيته بلاء حسناً، ابتلى ببلاء سوء « وفي ص ٥٨:

«النجاء: مصدر ناجيت فلاناً أناجيه» وص ٧٥: «الإبطاء: مصدر أبطأت فلاناً». وفي ص ٧٦: «الإغلاء: مصدر أغليت السعر وأغليت القدر». والإحماء: مصدر أحميت الحديد» وفي ص ٨٧: «والرداءة: مصدر ردؤ الرجل يرُدُّ، والجرأة: مصدر جرؤ الرجل يجرؤ» وفي ص ٨٨: «والبراءة، يقال برئت إليك من فلان فأنا أبرأ إليك منه براءة، ويقال: أنا بريء من ذلك، ونحن بريئون، ونحن بُراءٌ منكم، ويقال: أنا برءٌ منكم وكذلك الجميع، نحن برءٌ منكم وبُراءٌ جميعاً».

وفي ص ١١١: «اللغا: اللغو، يقال فيه: لغى يلغى لغى فمن قال: لغى، قال: يلغى لغاً، ومن قال لغاً، قال: يلغو لغواً، وقال الله جل وعز: «والغوا فيه» فهذا دليل على أنه لَغِيَ يلغى كما يقال: رَضِيَ يَرْضَى وَلَقِيَ يَلْقَى...»، وفي ص ١٩٧: «اللبابة: من اللب، يقال: لب فلان يَلَبُّ لبابة» وفي ص ٢١٢: «الإنصات مصدر أنصت، ومن قال: انتصت فهو مصدر انتصت، يقال نَصَتْ أنصت نصيتاً وانتصت انتصاتاً كما يقال، فَعَلْتُ أفعل فعلاً، وافتعلتُ وافتعلُ افتعالاً وكذلك انتصت انتصاتاً».

ومن وسائل البندنجي في أداء المعنى استخدام أي التفسيرية بعد المدخل، ويتلوها المعنى بقوله في ص ٤٣: «عداني عنك كذا وكذا أي شغلني» وفي ص ٤٥: «ناديت فلاناً أي جالسته في النادي»، وفي ص ٥٠: «عصى فلان بالسيف واعتصى به أي حملة معه» وفي ص ٥١: «نَضَوْتُ السيفَ وانتضيته أي سللته من غمده» وكذلك نَضَوْتُ عني الثوب وانتضيته إذا ألقيته عني» وفي ص ٥٢: «قَفَوْتُ أثره واقتفيته أي طلبته»، وفي ص ٥٥: «أتلني على فلان أي أحلني عليه، قال زهير:

وجارٌ شاهدٌ عدلٌ عليكم وسيان الكفالة والتلاء

وفي ص ٦٢: «وَأَلَوْتُ الريحُ كذا وكذا: أي ذهب به» قال ذو الرُّمة:

ألوى بها كلَّ عَراضٍ أَلَتْ بها وجافلٌ من عجاج الصيف مَهْجُومٌ

وفي ص ٧٠: «دار قوراء أي واسعة»، وفي ص ٧١: «الحلّة الشوكاء: أي اللينة» وفي ص ٧٥: «أربى فلان على فلان أي زاد عليه... أخبيت النار أي أطفأتها... أردت فلاناً أي أهلكته» وفي ص ١٤١: «إنه لواسعُ السرب أي رخيُّ البال... إنه

لأمن في سربه أي في نفسه « وفي ص ١٩٢: « سَرَبَ الفحل يسرُّبُ أي سار في الأرض، وذهب على وجهه » وفي ص ٢٠٦: « لَعَبَ الصبي أي سال لعبه » وفي ص ٢٣٨: « ضَرَحْتُ الثوب أي صبغته » وفي ص ٤٠٣: « أنا على صير أمر أي على شرف أمر ». وفي ص ٥١١: « ما لفلان عافطة ولا نافطة، أي ليس له شيء ».

وقد يستخدم الأسلوب الشرطي بإذا بحيث تكون إذا مسبقة بالمدخل ومتلوّة بالمعنى كقوله في ص ٦٦: « أغريت فلاناً بفلان إذا أولعته به » وفي ص ٧٠: « ناقة قرواء إذا كانت طويلة الظهر » وفي ص ٨١: « ناقة حنواء العنق: إذا كان في عنقها كالقَعَس » والقَعَس دخول الظهر وخروج الصدر. وفي ص ٨٤: « طَسِيء الرجل يَطْسَأ إذا أُنْخِم ». وفي ص ١١٢: « قد دُلِظ في صدره إذا دُفِع ». وفي ص ١٢٨: « رَبَيْتُ الأمر أَرْبُهُ رَبّاً إذا أصلحته وجمعت بعضه إلى بعض »... وصبّ فلان يَصُبُّ صبابةً إذا دخلته رقة من الشوق والعشق « وفي ص ١٤٣: « قَشَبْتُ الشيء إذا خلطت به شيئاً آخر » وفي ص ١٧٦: « أَقْلَبْتُ الخبزة إذا نضجت ».

وفي ص ٢١٧: « سَبَّت المرأة شَعْرَهَا إذا عَقَصَتْه وأرسلته » وفي ص ٢٩٠: « جنح الليل إذا دنا، ومنه جَنَحَت السفينة إذا دَنَت من الشَّط » وفي ص ٣٧٠: « حَصَرَ الرجل يَحْصِر حَصْراً إذا استَحْيَا وضائق عليه الحيلة » وفي ص ٥١٣: « لَطَطْتُ الشيء أُلَطُّهُ: إذا سترته » وص ٥٨٤: « هاف يومنا إذا اشتدَّ حرُّه والعطش فيه ».

ومما يجدر ذكره أنه كان يبدأ الأسلوبين السابقين بقوله: يقال... إذا أو أي... إلخ. بعد هذه الجولة مع أساليب البندنجي في أداء معاني المداخل في معجم التقفية يمكن تسجيل بعض السلبيات التي يمكن عدّها تهرّباً من أداء المعنى في مقدّماتها سرده لفظاً أو اثنين أو أكثر دون معنى متلوّة بمدخل يذكر معناه، ولا يتفق هذا المدخل مع ما يسبقه إلا في الوزن والقافية كقوله في ص ٤٦: « والاعتزاء والانتماء والاجتزاء: اجتزاء الإبل بالرطب عن الماء » وقوله في ص ٤٧: « والقضاء والفضاء والمضاء والعطاء، والغطاء، والدُّعاء والرِّعاء والوعاء. والبغاء: هو الزنى » في المثال السابق اتفقت الأربع الأولى في

الوزن والقافية، أما بقية الألفاظ فلم تتفق مع الأولى إلا في القافية، واتفقت « البغاء » التي بين معناها مع سابقتها « الرِّعاء والرِّعاء » في الوزن والقافية ولم يذكر معنييهما ولا معاني الألفاظ السابقة عليها. والأمثلة كثيرة جداً وقد تجدها في كل قافية من الكتاب على هذا المنوال منها ص ٤٩: « البقاء، واللقاء، والشِّفاء، والسَّقاء والاستقاء، والارتقاء وهو الصعود... » وفي ص ٥٠: « الاعتداء، والاهتداء والاقْتداء، والاقْتضاء، والانتضاء وهو انتضاء السيف من غمده أي سلَّه »، وفي ص ١٣١: « الجَذب، والعَذب، والحِزب: السَّرَق والفساد » وفي ص ٢١٤: « الإِبَاطة والإِمَاطة والشِمَاطة، والإِقَاطة: وهي المَقْدِرَة » وفي ص ٢٢: « الوقت، والمقت، والسكت: السكوت ».

وفي ص ٢٤٤: « الوَهَج، والهَرَج، والعوج في الدين أو الرأي أو الكلام » وفي ص ٢٥٢: « العلاج والديباج، والهملاج والأملاج: وهو الرضاع القليل، والمنهاج، والمبهاج: الجارية ذات البهجة أو الرجل » وفي ص ٢٦٤: « الطمّاح، والسماح، والرواح، والجناح، والجُنّاح: وهو الذَّنْب »، وفي ص ٢٩٦: « البَذخ، والفتخ: الخواتيم، والفَسْخ والمَسْخ، والنَّسْخ، والشَّمْخ: الارتفاع ».

وفي ص ٥٦١: « السُّرعة، والشُّفعة، والقَزعة، والقرعة، والجُمعة، والركعة، والصَّفعة والطلعة: طلعة النخل وطلعة الرجل، يقال: غَرَّبَ عني طلعتك: أي شخصك، والدُّمعة والصنعة والجُوعَة: التي تجوعها » وفي ص ٦١٦: « الهَلَكَة، والحركة، والرَّمكة، والرَّيكة: الوحل »

وفي ص ٦٣٣: « الشَّحْم، والضَّخْم، والرَّدْم: السَّد »، وفي ص ٦٥٣: « الطُّغْيَان، والنسيان والعِصيان والثَّيِّبان، واللَّبَّان: الصدر » وفي ص ٦٩٢: « التراضي، والتقاضى، والتعاطي والتواطى، وأصله التواطؤ، وهو المواطأة على الأمر، والتداعي... ».

ومما يمكن تسجيله عليه في هروبه من أداء المعنى لجوئه إلى ما يسمى بالتلازم الذي يتشكل بوصف المدخل أو إضافته كقولهم مثلاً برد قارس أو صمت القبور أو عرق النسا أو هبوب الريح اعتقاداً منه أن هناك تلازماً بين المضاف « المدخل » المضاف إليه المعروف

الذي يلزم عنه وضوح معنى المدخل كقوله في ص ٤٨: « الصفاء: من صفاء الماء والمودة »
وفي ص ٥٤: « البلاء: بلاء الثوب » قال العجاج:

المرءُ يُبْلِيهِ بَلَاءُ السَّرْبَالِ مَرُّ اللَّيَالِي واختلاف الأحوال

وفي ص ٥٦: « الجلاء: جلاء العروس والسيف والمرأة » وفي ص ٥٧:
« الصَّلاء: صلاء النار » وفي ص ٧٦: « الإملاء: إملاء الكتاب » وفي ص ٨٠: « الإبراء:
إبراء الناقة » وفي ص ٨٣: « الصدا: صدا الحديد »، وفي ص ١٠٥: « البنى: بنى المجد
والمكارم، قال الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن وعدوا أوفوا، وإن عقدوا شدوا

وفي ص ١٠٦: « والجنى: جنى النحل، قال ذو الرمة:
ونلنا لقاطاً من حديثٍ كأنه جنى النحل ممزوجاً بماء الواقع

وفي ص ١٠٧: « والهوى: هوى النفس » وفي ص ١٣٠: « العتب: عتب الرجل
على صاحبه » وفي ص ١٧: « النقاب: نقاب المرأة » وفي ص ١٨٧: « والعسيب:
عسيب النخلة » وفي ص ١٨٩: « الهبوب: هبوب الريح » وفي ص ١٩٥: « والغروب
غروب الشمس » وفي ص ١٩٧: « الإجابة: إجابتك الداعي،.. والإصابة: إصابة المعنى »
وفي ص ١٩٩: « الإطابة: إطابة الطعام »، وفي ص ٢٠٢: « والقربة: قربة الماء، وفي ص
٢٥٨: « التبرج: تبرج النساء للرجال » قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١).

ومن الوسائل السلبية في أداء المعاني هو اكتفاء البندنجي بذكر جمع المدخل إن
كان مفرداً، أو مفردة إن كان جمعاً دون ذكر المعنى كقوله في ص ٥٨: « الملاء: جمع
ملاءة، والأفلاء: جمع فلو، والأملاء: جمع ملآن » وفي ص ٦٠: « الظماء: جمع ظمآن.
والأماء: جمع أمة » وفي ص ٨٨: « الأشاء: واحدة الأشياء. والملاءة: واحدة الملاء ».

(١) ٣٣ - الأحزاب.

وفي ص ١١٠ « النوى: جمع نواة، والقطا: جمع قطاه وفي ص ١٢٥: « الكوى: جمع كوة، والمعنى: واحد الأمعاء » وفي ص ١٧٥: « الأنساب: جمع نَسَب، والأحساب: جمع حَسَب.. والأنصاب جمع نَصَب، والأوصاب: جمع وَصَب » وفي ص ٢١١: « الثَّرات: جمع تِرَّة.. والعدَّات: جمع عِدَّة.. والسُّمات: جمع سِمة، والهبات: جمع هِبة والصفات: جمع صِفة... والكُرات: جمع كُرَّة.. والصلَّات: جمع صلة، والثقات: جمع ثقة ».

وقد يلجأ إلى أداء المعنى بوسيلة لغوية قاصرة وغير كافية بقوله عن المدخل إنه ضَرَبٌ من.. تعيّن حبس المدخل ولا تعطي مواصفاته الدقيقة التي تميّزه عن أفراد جنسه أو نوعه كقوله ص ٨٤: « القرأ: ضَرَب من العُمرة » ولم يبين معنى العُمرة. وفي ص ١٠٠: « الغضا: ضَرَب من الشجر، واحداً غضاة » وفي ص ١٣٥: « العَصَب: ضَرَب من البرود » وفي ص ١٣٨: « النَّعْبُ: ضَرَب من السير » وفي ص ١٦٧: « التَّنْضُب: ضَرَب من الشجر، الواحدة تنضبه » وفي ص ١٩٢: « والعندليب: ضرب من العصافير صغاراً جداً » وفي ص ٢٠٢: « الجنية: ضَرَب من النبات » وفي ص ٢٠٤: « الحُلْبَة: ضَرَب من الحبوب » وفي ص ٢٥٦: « العرفج: ضَرَب من الشجر » وفي ص ٦٩٦: « الأزابي: ضروب مختلفة من السير ».

والاحتجاج اللغوي من العناصر التي يجب استكمال الحديث فيها بوصفها جزءاً من تحرير النص المعجمي فالمؤلف عاش في عصر الاحتجاج فكانت شواهد عريية خالصة من القرآن الكريم، ومن الحديث الشريف، ومن كلام العرب شعره ونثره، فقد تصل الآيات القرآنية المستشهد بها إلى ٢٥٠ آية، ومن الأحاديث الشريفة ١٢٠ حديثاً. ومن أمثال العرب وأقوالهم ٦٦، وأما الشعر فقد غلب الاستشهاد به على غيره فإن الأشعار المحتج بها قد بلغت ١٣٨٦ بيتاً موزعة على صفحات المعجم البالغة ٧٠٦ بمعدّل بيتين وأكثر لكل صفحة، واحتج لشعراء مشهورين، وشعراء مغمورين، من المهلهل وامرئ القيس إلى ابن هرمة عبر عصور احتجاج، إضافة إلى احتجاجه بأبيات مجهولة القائل في مواضع كثيرة.

ولا بد من التنويه بأنه كان يؤدي معاني المفردات التي تحتاج لذلك في الشواهد التي يسوقها ومن أمثلة ذلك ص ١٨٣ احتجاجه على لفظ « التأريب » بيت من الشعر لا بن مقبل وهو:

شُم المخاميص تنسيهم معافطهم ضَرَبُ القِداحِ وتأريبٌ على الخطر

ويتبعه بقوله: « و يروى على اليَسَر، معافطهم: أرديتهم، واليَسَر: صاحب الميسر والتأريب: عَقَدَ الحبل ... ».

واشتمل نص التقفية أيضاً على الألفاظ اللهجية في أحد عشر موضعاً لبلحرث بن كعب و تميم والحجاز وطى وغيرها ومن أمثلة ذلك ص ٢٠٧: « والقالب: البُسرة في لغة بلحرث بن كعب »، وفي ص ٣٦٧: « والكفر: القرية بلغة أهل الشام » وفي ص ٣٧٦: « كل فرد وتر، وأهل الحجاز يفتحون الواو من الفرد... ومن تحتهم من قيس و تميم يسوونهما في الكسر ».

كذلك لم يَفُتَ البنديجي أن ينبه إلى الأصل الأعجمي لبعض ما مر معه من هذه الألفاظ كقوله في ص ٢٥٩: « البرُّج: فارسي يريد بردة » ولم يبيِّن معناها في العريية وقد تكون بمعنى السبي أو العبيد « انظر هامش ص ٢٥٩ ». وفي ص ٦٤٤: « الغلصمة: المذبج. والزردمة مثل الغلصمة.. والزردمة فارسية معرَّبة ». وفي ص ٧٠٩: « الحادية: إحدى حوايا البطن. وهي أيضاً حوية، وهي نبات اللبن وهو بالفارسية وسكنجه » وكأنه يبيِّن اللفظ العربي الذي يحتاج لبيان معناه بلفظ أعجمي شائع الاستعمال بدليل قوله في موضع آخر سابق ص ٦٨٢: « قال الأصمعي قيل لخلف الأحمر: ما الطُّلاوة ؟ هي التي يقال لها بالفارسية: خرهيه ».

وأختتم الحديث عن معجم التقفية بما أراده منه صاحبه كما يذكر محقق الكتاب ص ٢٥: « يبدو أنه أراده معجماً للجمهور، أعدّه خصيصاً، لأهل الأدب والمعرفة، ولم يُرد به العامة ولكنه أراده به أنصاف المتعلمين أو لعله أراده به الشعراء خاصة من ذوي الأصول غير العربية ».

٣-٦-٢ تاج اللغة وصحاح العربية^(١) لإسماعيل بن حماد الجوهري^(٢) (ت ٣٩٣ هـ)

وهذا المعجم هو حلقة أخرى من مدرسة التقفية «الباب والفصل»، وهذه الحلقة أدق ترتيباً وأحسن صنفاً وأكثر تنظيماً وأوسع جمعاً من الحلقة الأولى التي يمثلها معجم التقفية ذو الغرض التعليمي المحض أو الخاص بالشعر فهو للخاصة من أصحاب المعرفة والأدب دون عامة الناس وسوادهم وهم أصحاب اللغة المتحدثون بنشرها وحفظه مفرداتها، وإن أبسط مقارنة بين المعجمين لا تخطئ الفارق الكبير بينهما في منهج الترتيب وعدد المواد فالجوهري كان على حق حين قال عن معجمه: أيها الناس، إني عملت في الدنيا شيئاً لم أسبق إليه...» ويبدو أنه قد فاق معجم ديوان الأدب للفارابي مع ما بينهما من اتفاق في التقسيم إلى فصول فالأستاذ أحمد عبد الغفور في مقدمته على الصحاح ص ١١٨ يقول: «وديوان الأدب للفارابي — خال الجوهري — معجم جيد، ولكنه لا يرتفع إلى درجة الصحاح لما فيه من تعقيد وصعوبة وإغفاله العناية بالاشتقاق... وتركه تفسير كثير من المفردات وتشيتت شمل المادة الواحدة باختلاف صيغها وإهماله الحروف والمبني للمجهول». أما المنهج الذي أقام عليه الجوهري الصحاح فلم يكن جديداً ولا مبتكراً بكليته كما يرى محققه الأستاذ أحمد عبد الغفور الذي يبدو أنه لم يطلع — في أثناء كتابته مقدمة الصحاح سنة ١٩٥٦ — على معجم التقفية في اللغة للبندنجي الذي ظهر عام ١٩٧٦ محققاً ومطبوعاً على يدي الدكتور خليل إبراهيم العطية، وكان بإمكان الأستاذ عبد الغفور أن ينصف البندنجي في الطبعة الثانية لمقدمة الصحاح التي ظهرت في بيروت

(١) تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ١، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

(٢) تنظر ترجمته: إنباه الرواة ١/١٩٤، بغية الوعاة ١/٤٤٦، شذرات الذهب ٣/١٤٢ معجم الأدباء ٦/١٥١، ولد في فاراب وتوفي في نيسابور ورحل إلى بغداد والبادية في الحجاز وديار ربيعة ومضر وشافه الأعراب فهو كما قال عنه الحموي في معجم الأدباء «كان الجوهري من أعاجيب الزمان والمكان ذكاء وفطنة... كان يؤثر السفر على الحضر، ويطوف الآفاق واستوطن الغربية على ساق» وتُنظر كذلك مقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار.

١٩٧٩م، أي بعد ظهور معجم التقفية بثلاثة أعوام التي كانت كافية للاطلاع على هذا المعجم وردّ الحق إلى نصابه، هذا غير إعلان الشيخ حمد الجاسر عن اكتشافه لمخطوطة معجم التقفية في مجلة العرب العدد ٧، سنة ١٩٦٧م / ص ٥٧٧ — ٥٨٨، كما يذكر محقق هذا المعجم ص ٢٨.

ولكن يمكن القول، الآن، إن المنهج الذي أقيم عليه الصحاح كان أكثر دقة في ترتيبه وتنظيم مداخله بإضافته مراعاة الحرف الأصلي الأول من جذر المدخل، بعد مراعاة الحرف الأصلي الأخير من الجذر الذي أقيم عليه معجم التقفية الذي أهمل الحرف الأصلي الأول، وقام البنديجي بتفريق المداخل عشوائياً في كل باب «فصل» إلى قواف أو أوزان شعرية، فيفتح، على سبيل المثال، باب الباء بوزن فَعْل (ص ١٢٧ — ١٤٤) فبدأها بكلمة سَاب أي بالباء مع السين وبعدها الجَاب ثم الوَاب فالرَاب فالأَبُ «هذا في الصفحة الأولى»، وينهى الباب في الصفحة الأخيرة منه بكلمات: القلب «على وزن فَعْل» وبعده القلب ثم يعود إلى القلب فاهْلَب، وبعدها الهَلَب ثم القُصَب، وآخر كلمة هي الشَّجَب. ومن ينظر إلى المداخل السابقة وغيرها في الكتاب يدرك لأول وهلة العشوائية فأى تنظيم أو ترتيب يمكن أن يوصف به هذا المنهج عندما يبدأ قافية الباء بالسين «سَاب» ثم مع الجيم ثم الباء مع الواو، وتليها الباء مع الهمزة وهي التي يُفترض أن يبدأ بها الباب، أي يبدأ بكلمة الأَبُ، التي آخرها ويمكن أن تليها كلمة أثَب التي أوردتها في ص ١٤١ عدا أنه كان يُقحم كلمات بوزن مختلف نحو: الطَّب، والسَّب، وشَغَب والخُصَب والخُطَب والإتَب وغيرها كثير على وزن فَعْل، ونحو الصَّلَب على وزن فَعْل، ونحو الشَّرَب والحُب والدُّب والقلب والهلَب على وزن فَعْل، ويبدو أنه قد فطن إلى نقص في الكلمات التي على وزن فَعْل ففتح قافية كما هو مُعَنَوَن ص ١٤٥ مع قافية أخرى فهي على وزن فَعْل آخرها الباء كالأَوَب والجَوَب والحَوَب والرَّوَب والشَوَب والصَّوَب والجيب والشيب والعيب والغيب والرَّيب والسَّيب. وغالباً ما يأتي بهذه المداخل دون اشتقاقها خاصة جذرها، فلا تستطيع أن تستدل على المداخل ومعانيها من خلال جذورها وبحروفها الأولى، فليس لدى الباحث عن الكلمة ومعناها من دليل في معجم التقفية سوى الحرف الأخير من هذه الكلمة إضافة إلى وزنها الذي ربما حظي بفتح قافية له، وعليه أن يجهد نفسه بتفتيش الباب كله عساه يعثر على ما يريد.

وعلى ما تقدّم كان هناك نقص في منهج البندنجي استكمّله وتلافاه الجوهري، بمراعاته الحرف الأصلي الأول مع الحرف الأصلي الأخير من جذر الكلمة، وهذا هو مكن ابتكاره المنهجي الذي لم يكن للعشوائية مكان فيه. تتوالى فيه المداخل حسب ترتيب جذورها المعتمد على لام الكلمة المجردة من الزائد، المقيّد بفائها « الحرف الأصلي الأول » مع النظر إلى ما بينهما من حروف فلم يترك مجالاً للحدس أو الاحتمال؛ فمنهجه الذي نظم على أساسه معجم الصحاح، كما سقط من الصحاح ١٢٤ فصلاً منها من باب الراء سقط منه فصل اللام وأكثرها باب الظاء سقط منه ١٢ فصلاً يصفه محققه الاستاذ أحمد عبد الغفور ص ١٢٣ هو أنه: « أفرد لكل حرف من حروف الهجاء باباً خاصاً به إلا الواو والياء فجمعهما في باب واحد... وختم المعجم بالألف اللينة وهي غير المهموزة وغير المنقلبة عن واو أو ياء، ويذكر في الفصول الكلمات الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية » وعليه فقد فتح في الصحاح ثمانية وعشرين باباً وجعل هذه الأبواب للحروف الأخيرة من جذور الكلمات وقسم هذه الأبواب إلى فصول بعدد حروف المعجم أيضاً إلا الألف اللينة فليس في بابها فصول وعليه يجب أن تحتوي الأبواب على سبعمائة وستة وخمسين فصلاً ويذكر المحقق ص ١٢٧ بأن أكثر الأبواب ناقصة الفصول والأبواب الكاملة خمسة هي: الألف المهموزة واللام والميم والنون والواو والياء » وجعل هذه الفصول للحروف الأصلية الأولى، فسار حشد المداخل في الصحاح باعتباري الباب والفصل مع النظر إلى الحرف الثاني في الثلاثي، والثاني والثالث في الرباعي والثاني والثالث والرابع في الأصول الخماسية. ففي باب الباء مثلاً فتح فصولاً لحروف العربية من الهمزة إلى الياء وهكذا مع كل الحروف.

وبناء على ما تقدّم فقد بنى الجوهري في الصحاح نظاماً أكثر إحكاماً وانضباطاً لا تخلط فيه أو اضطراب مما جعل هذا المنهج في الترتيب موضع إشادة وتقريظ من المؤرخين واللغويين كالثعالبي والباخرزي والقفطي والتبريزي وغيرهم ممن أجمعوا على أن ترتيبه سهل قريب التناول، ومن أجل ذلك جعله ابن منظور أحد معاجم الخمسة التي استقى منها مادته، ولم يكتف من الصحاح بمادته وإنما اعتمد منهجه الذي أثنى عليه في مقدّمة اللسان بقوله: « ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، قد أحسن ترتيب مختصره وشهرة بسهولة وضعه، فخفف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليها مأخذة فتداولوه وتناقلوه ».

وأما لماذا عدّه ابن منظور مختصراً ؟ فلأن الجوهري قد نصّ على انتقائيه واكتفائه بما صحّ عنده من اللغة بقوله في مقدّمته ص ٣٣ : « قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة .. على ترتيب لم أسبق إليه، وتهديب لم أغلب عليه... بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية ومشافهتي بها العرب العاربة، في ديارهم بالبادية... » كأنه كان يقوم بجمع ما يستطيع من ثروة لغوية ويعمد إلى ما تثبت صحته لديه فيثبت به في معجمه وي طرح سواه مما لم يصح عنده، وسماه صِحاح العربية بكسر الصاد وهو المشهور وإن جاز بفتحها.

وأنقل الآن إلى عناصر النص العجمي عند الجوهري وكيف حرّرها ؟ وأبدأ بعنصر الضبط الصوتي الذي يستدلّ به على نطق الكلمات، وأول ما نطالعه في معجم الصحاح هو الضبط بالحركات المبتوثة في صفحات المعجم بل يطال الألفاظ التي للضبط كلها وهذه الطريقة التقليدية الشائعة في المعاجم العربية.

وقد ينص أيضاً، بعد وضع الحركات على الحروف، على نوع الحركة زيادة في الإيضاح كقوله في مادة « برأ » ٣٦/١ : « وبرئت من المرض بُرْءاً بالضم وأهل الحجاز يقولون: برأت من المرض برْءاً بالفتح... والبرأة بالضم: فترة الصائد... والبراء بالفتح: أول ليلة من الشهر » ولا تكاد تخلو صفحة من هذا المنهج، بحيث لا يحتاج إلى تخصيصه بالشواهد، ولكن ما أود التنبيه إليه ما أثبتته الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مقدمة الصحاح ص ١٢٥ من أن الجوهري قد « التزم — فوق هذا « يقصد وضع الحركات » — طريقة للضبط بالحركات لم يتبعها أحد قبله، فإذا أراد ضبط اسم قال: « الكُدار » بالضم... » وهو تصريح فيه نظر لأنني وجدت في العين نصّ الخليل بالحركة بعد الضبط. في مادة ع ق ر « ويقال: عُقِر الدار، وعُقِر الدار بالرفع والنصب » يقصد بضم العين وفتحها كذلك جاء في جمهرة ابن دريد قوله في مادة ش ع ر: « والشعر معروف بتحريك العين وتسكينها » ويقصد القدماء بالتحريك الفتح غالباً نحو قول الجوهري في ٢٦١/١ مادة ق ل ت: « والقَلْتُ بالتحريك: الهلاك » ويقصد فتح اللام لأنه ذكر قبلها « القَلْتُ بإسكان اللام » وفي ٢٨١/١: « الرَمْتُ بالتحريك » تفتح الراء والميم « والرَّمْتُ بالكسر » بكسر الراء.

كذلك استعان الجوهري بوسائل أخرى مع الضبط نحو النص بأن المدخل على مثال كذا، أي ينطبق على وزنه وكيفيته كقوله في ٣٧/١ — مادة بوا « والباءة مثال الباعة » وفي ٣٩/١ — ماد ثفا: « الثفاء على مثال القراء ».

وفي ٤٠/١ مادة جراً: « الجرأة مثال الجرعة » وفي ٤٢/١ — مادة جيا: « يقال جاء يجي جيئة... مثال الرجفة والرحمة ». وفي ٤٥/١ — مادة حمأ: « حمأ مثل قفا، وحمو مثل أبو، وحم مثل أب ». وفي ٣٤٠/١ — مادة مذحج: « مذحج مثال مسجد » وفي ٣٥٥/١ — مادة برح: « وبراح مثل قطام » وفي ٣٩٥/١ مادة قرح: القرخ والقرح لغتان مثل الضعف والضغف ».

وكذلك قد يستعين بالوزن نفسه وليس بالموزون كقوله في ٣٥/١ مادة بدأ « والبدء الأول ومنه قولهم: أفعله بادي بدء — على فعل — » وفي ٣٨/١ — مادة تأتا: « رجل تأتا على فلال » وفي ٤٢/١ — مادة جيا: « المجيء: الإتيان... والاسم الجيئة على فعله بكسر الجيم » وفي ٤٤/١ — مادة حطأ: « أبو زيد: الحطياء على فاعل: الرذال من الرجال » وفي ٤٩/١ — مادة درأ: « طريق ذو دروء على فاعل.. » وفي ٥٣/١ — مادة رشأ: « الرشأ على فعل بالتحريك ولد الطيبة... » وفي مادة رطأ: « رجل رطياء على فاعل أي أحرق » وفي ٥٥/١ — مادة سبأ: « السبأ على فعال بكسر الفاء ».

وفي ٥٨/١ مادة شناً: « الشنوءة على فعولة: التقزُّز... » وفي مادة شياً: « الشيء... والجمع أشياء غير معروف، قال الخليل: إنما ترك حرقه لأن أصله فعلاء، جمع على غير واحدة.. لأن الفاعل لا يُجمع على فعلاء.. قلبوا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة فصار تقديره لفعلاء.. وقال الأخفش هو أفعلاء... وقال الكسائي: أشياء أفعال مثل: فرخ وأفراخ.. وقال الفراء: أفعلاء... ».

وفي ٦٦/١ — مادة قمأ: « عمرو بن قميئة الشاعر على فعيلة ». وفي ٢٦٧/١ — مادة مات: « وأصل ميت ميوت على فيعل » والأمثلة كثيرة تفوق الحصر.

ومن وسائل ضبطه أيضاً نصه على الهمز وعدمه لقوله في ٣٦/١ مادة بذا: « امرأة بذية — بلا همزة... والبرية: الخلق، وقد تركت العرب الهمزة.. قال الفراء: وإن أخذت البرية من البرى — وهو التراب — فأصلها غير الهمز » وفي ٣٨/١ مادة بها: « قال الأصمعي في كتاب الإبل: ناقة بهاء — بالفتح ممدود — » وفي ٤٠/١ مادة جراً:

« الجُرْأَة مثال الجرعة: الشجاعة، وقد يترك همزه، فيقال الجرّة مثال الكُرة » وفي ٤٢/١ مادة حتأ: « حَتَأْتُ الكساء حَتّاً... يهمز ولا يهمز، فيقال حَتَوْتُهُ حَتّواً ». وفي مادة حجأ: « حَجَّيْتُ بالشَّيء حَجّاً، إذا كنت مولعاً به ضنيناً، يُهَمَز ولا يُهَمَز » وفي ٤٤/١ مادة حبطأ: « رجل حَبَطاً وحَبْنَطاً — وحَبْنَطَى أيضاً بلا همز: قصير ضخم البطن، وكذلك المُحَبْنَطِيّ يُهَمَز ولا يُهَمَز » وفي ٤٩/١ — مادة درأ: « المدارأة في حسن الخلق والمعاشرة، فإن الأحمر يقول فيه: إنه يُهَمَز ولا يُهَمَز يقال: دارأته وداريته إذا اتقىته ولأتيته ». وفي ٥٣/١ — مادة رفأ: « رَفَأْتُ الثوب أرفؤهُ رَفّاً.. وربما لم يُهَمَز، والرِّفَاء بالمد الالتئام والاتفاق... وإن شئت كان معناه بالسكون والطمأنينة فيكون أصله غير الهمز ». وفي ٥٤/١ — مادة زنأ: « والزَّناء: بالفتح والمد: القصير » وفي ١٦٥/١ — مادة صوب: « والمصيبة: واحدة المصائب. والمصوبة بضم الصاد مثل المصيبة، وأجمعت على همز المصائب وأصله الواو، كأنما شبهوا الأصلي بالزائد، ويُجمع أيضاً على مَصَاوِب، وهو الأصل ».

وأنقل إلى الموضوع الأهم في النص المعجمي وهو أداء معاني المداخل. وقد تنوعت أساليبه وأبدأ منها بما يطلق عليه الترجمة أو التفسير بالمرادف كقوله في ٤٠/١ — مادة جراً: « الجُرْأَة مثل الجرعة: الشجاعة » وفي ٤٢/١ — مادة جياً: « الجحيء: الإتيان » وفي ٤٥/١ مادة حمأ: د الحمأ: الطين الأسود، قال الله تعالى: ﴿مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ﴾^(١) وفي ٤٨/١: « الدَّرء: الدفع، وفي الحديث: « ادروؤا الحدود ما استطعتم »، وفي ٥١/١ مادة دوا: « الداء: المرض » وفي ٥٧/١، مادة شئأ: الشَّئَاءَة مثال الشناعة: البغض » وفي ٦١/١ — مادة عبأ: « العبء بالكسر: الحَمْل، والجمع أعباء، وأنشد لزهير:

الحاملُ أعباءُ الثقيلِ عن الـ جاني بغير يد ولا شكرٍ

وفي ٦٤/١ — مادة قثأ: « القثاء: الخيار » وفي ٦٩/١ — مادة كلاً: « الكلاء: العشب » والمُكَلَّأ: شاطئ النهر ومرفأ السفن » وفي ٧٩/١، مادة وبأ: الوَبْأ، يُمَدُّ

(١) ٢٦، ٢٨، ٣٣ - الحجر.

وَيُقَصِّرُ: مرض عام وجمع المقصور أُوْبَاء والممدودة أُوْبَيْة». وفي ٨٦/١ — مادة أب: «الأب: المرعى، قال الله تعالى: ﴿وَفَكَهْمَةً وَأَبًا﴾»^(١) وفي ١١٢/١ — مادة حسب: «الحصباء: الحصى» وفي ١١٦/١ — مادة حوب: «الحوب، بالضم، الإثم،... والحبوباء: النفس» وفي ١٥٩/١ — مادة شهرب: «الشهربة: العجوز الكبيرة» وفي ١٧٣/١ — مادة طيب: «الطوب: الآجر بلغة أهل مصر» وفي ٢٣٣/١ — مادة وصب «الوصب: المرض» وفي ٢٨٢/١ — مادة دلهث: «الدلهات: الأسد».

وفي ٣٢٧/١ — مادة طخرج: «الطَّرج: النمل»، وفي ٣٧٨/١ مادة شحج: الشُّحُّ: البخل مع حرص» وفي ٣٨١/١ — مادة صرح: «الصَّرح: القصر» وفي ٣٩٧/١ مادة قمح: «القمح: البُرُّ». وأمثلة هذه الوسيلة تفوق الحصر وما سقناه مجرد أمثلة.

والتعريف من الوسائل الشائعة أيضاً في الكتاب كقوله في ٥٣/١ ماد رشأ: «الرَّشَأ: على فَعَلٍ بالتحريك: ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى». وفي ٥٦/١ مادة سيأ: السَّيَّء بالفتح: اللَّبَن الذي يكون في أطراف الأخلاف قبل نزول الدَّرَّة» وفي ٥٩/١ — مادة صوا: «قال الأصمعي: الصَّاء مثل الطاعة ما يخرج من رَحِمِ الشاة بعد الولادة من القذى». وفي ٦٤/١ — مادة فيأ: «قال ابن السكيت: الظلُّ ما نَسَخَتْهُ الشمس، والفَيء ما نَسَخَ الشمس. وحكى أبو عبيدة عن رؤبة: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فَيء وظلٌّ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظلٌّ» وفي ٦٧/١ — مادة كرفأ: «الكِرْفَاء: السحاب المرتفع الذي بعضه فوق بعض» وفي ٦٨/١ — مادة كفأ: «الإكفاء في الشعر: أن يُخَالَفَ بين قوافيه بعضها ميم وبعضها نون، وبعضها دال، وبعضها طاء...» وفي ٧٩/١ — مادة نوا: «والتَّوْء: سَقُوطُ نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رُقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً» وفي ٨٠/١ — مادة وجا: «ابن السكيت: قال الطائي: الوجئة: الجرادُ يُدَقُّ ثم يُلْتُ بِسَمْنٍ أو بِزَيْتٍ فيؤكل. قال وسمعت الكلابي يقول: الوجيئة التمرُ يُدَقُّ حتى يخرج نواه ثم يُبَلُّ بِلَبَنٍ وِسْمَنِ حتى يَتَدَنَ ويلزَمَ بعضه بعضاً فيؤكل» وفي ٨٦/١ — مادة أتب: «الإتب: البَقِير، وهو ثوب أو بُردٌ

يُسْقَى في وسطه فتلقيه المرأة في عنقها من غير كُم ولا جيب..» وفي ٩١/١ — مادة ترب: «التَّريَّة: واحدة الترائب وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى التندوة».

وفي ١١٥/١ — ١١٦ — مادة صلب: «الحلب: نبت تعاده الطباء... قال الأصمعي: هي بقلة جعدة غبراء في خضرة تبسط على الأرض، يسيل فيها اللبن إذا قطعت منها شيء» وفي ١٣٨/١ — مادة رقب: الرقوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد، وقال: **وكأهلها شبيخة رقوب**

والرقوب: المرأة التي ترقب موت زوجها لترثه. والرقوب من الإبل: التي لا تدنو من الحوض مع الزحام، وذلك لكرمها» وفي ١٧١/١ — مدة طرب " «الطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور» وفي ١٧٩/١ — مادة عرب: «تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها» وفي ٢٥٧/١ — مادة صوت: الصييت: الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون «قبيح» وفي ٢٩٩/١ — مادة برج: «التبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال» وفي ٣٥١/١ — مادة هلبج «الهلابة: قال خلف الأحمر: سألت أعرابياً عن الهلابة فقال: هو الأحق الضخم القدم الأكل... هو الذي جمع كل شر» وفي ٣٩٦/١ — مادة قرح: «القرواح: الأرض البارزة للشمس لم يختلط بها شيء قال أوس:

فَمَنْ بَنَجَوْتَهُ كَمَنْ بَعْقَوْتَهُ والمستكن كمن يمشي بقرواح

وفي ٤٠٧/١ — مادة ملح: «الملاحى بالضم: غلب أبيض في حبة طول».

ومن وسائل صاحب الصحاح في الشرح والتفسير بيان المعنى بذكر نقيض المدخل أو ما يضاده في أمثلة كثيرة جداً نقتطف منها ما يؤدي الغرض كقوله ٤٧/١ — مادة خطأ: «الخطأ: نقيض الصواب» وفي ٨١/١ — مادة وطأ: «الوطأ: خلاف الغطاء»، وفي ٨٤/١ — مادة هنا: «التهنئة: خلاف التعزية» وفي ١١٩/١ — مادة حزب: «الحزاب: ضد العمارة» وفي ٩٧/١ — مادة جذب: «الجذب نقيض الخصب» وفي ١٢٠/١ — مادة خصب: «الخصب بالكسر: نقيض الجذب»، وفي ١٦٣/١ — مادة صعب: «الصعب: نقيض الذلول» وفي ١٦٥/١ — مادة صوب: «الصواب نقيض الخطأ» وفي ١٧٣/١ —

مادة طيب: «الطيب: خلاف الخبيث» وفي ٢٦٦/١ — مادة موت: «الموت: ضد الحياة» وفي ٢٧٢/١ — مادة أنث: «الأنثى: خلاف الذكر... وتأنث الاسم: خلاف تذكره» وفي ٢٧٨/١ — مادة حدث: «الحديث نقيض القدم» وفي ٢٨١/١ — مادة خبث: «الخبث: ضد الطيب» وفي ٣٥٧/١ — مادة ترح: «التَّرح: ضد الفرح» وفي ٣٦٨/١ — مادة راح: «الرَّواح: نقيض الصباح» وفي ٣٨١/١ — مادة صحح: «الصحة: خلاف السَّقم» وفي ٣٨٣/١ — مادة صلح: «الصلاح: ضد الفساد» وفي ٣٨٤/١ — «الإصلاح: نقيض الإفساد» وفي ٣٨٨/١ — مادة طلح: «الطلاح: ضد الصلاح». وفي ٣٩٣/١ — مادة قبح: «القبح: ضد الحسن».

ومن الوسائل التي شاعت في صحاح العربية أن تتوسط «أي» التفسيرية بين المدخل ومعناه كما في قوله ٤٤/١ — ماد حكأ: «أَحَكَاتُ الْعَقْدَةَ وَأَحَكَيْتُهَا: أي شددتها» وفي ٤٦/١ — مادة خجأ: «رجل خُجَاءُ أي نُكْحَةً» وفي مادة خذأ: «الكسائي: خَذْتُ لَهُ، وَخَذَاتُ خُذُوءًا؛ أي خَضَعْتُ» وفي ٤٨/١ — مادة خَلَأَ: «خَلَّاتُ النَّاقَةِ أي حَرَّكَتْ وَتَرَكَّتْ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، وفي ٥٣/١ — مادة رزأ: «رجل مُرَزَّأُ أي كريم، يصيب الناس خيره، وقد رَزَأَتْهُ رَزِيئَةٌ أي أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ» وفي مادة رطأ: «رجل رطيء أي أحمق» وفي ٥٧/١ — مادة شأأ... مَشْنُوءُ أي مُبْغَضٌ، وإن كان جميلاً، لرجل مَشْنَأٌ... أي قبيح المنظر... لا أَبَ لَشَانَتِكَ: أي لِبُغْضِكَ» وفي ٥٩/١ — مادة شأأ: «أَشَاءُهُ، أَلْجَأُهُ» وفي ٦٥/١ — مادة قَضَأَ: «فِي عَيْنِهِ قُضَاءٌ، أي فساد، فِي حَسْبِهِ قُضَاءٌ، أي عيب» وفي ٦٦/١ — مادة تكأكأ: «أي جَبُنَ وَضَعُفَ وَنَكَّصَ» فِي ٩٩/١ — مادة كَلَأَ: «كَلَأَهُ اللَّهُ كِلَاءً بِالْكَسْرِ، أي حَفَظَهُ وَحَرَسَهُ» فِي ٩٩/١ — مادة جَعَبَ: «جَعَبَتْهُ أي صَرَعَتْهُ» فِي ١٠٧/١ — مادة حجب: «حجبه أي منعه من الدخول» فِي ١١٨/١ — مادة خَدَبَ: «خَدَبَهُ بِالسِّيفِ، أي ضربه.. وَخَدَبَتِ الْحَيَّةُ، أي عَضَّتْ، وفي لسانه خَدَبٌ، أي طول، وقد خَدَبَ، أي كَذَبَ... وَرَجُلٌ خَدَبٌ، أي ضنم» وفي ١٦٥/١ — مادة صوب: قومٌ صَيَّابٌ، أي خيَّارٌ» فِي ٢٣١/١ — مادة وأب: «أَتَّابَ الرَّجُلُ:

أي استحيا « ٢٥٣/١ — مادة سلت: « سَلَّت بالسيف أنفه، أي جَدَعه.. وسَلَّت رأسه، أي حلقة ».

وأكتفى بهذا القدر من أمثلة هذه الوسيلة التي أخذت قسطاً وافراً من صفحات الكتاب، وتجدر الإشارة إلى أن أداء المعاني باستعمال أي التفسيرية كان يسبقه الإتيان بالمدخل في سياق نحوي « جملة فعلية أو اسمية أو سياق غير إسنادي وصفي أو إضافي »، وهو الأمر نفسه الذي يحدث حين يؤدي المعنى في سياق نحوي شرطي تكون أدواته إذا التي تصدر المعنى كقوله مثلاً في ٦٨/١ — مادة كفاً: « قال الفراء: أكفأ الشاعر، إذا خالف بين حركات الروي » وفي ٦٩/١ — « أبو زيد: وهبت له كفأة ناقتي.. إذا وهبت له ولدها ولبنها ووبرها سنة » وفي ١٢٧/١ — مادة ذرب: « ذرب الجرح، إذا لم يقبل الدواء ».

وفي ١٣٧/١ — مادة رغب: « رغبْتُ في الشيء، إذا أردته... ورغبت عن الشيء إذا لم ترده وزهدت فيه » وفي ١٥٠/١ — مادة أسهب: « أسهب الرجل، إذا أكثر من الكلام » وفي ١٧٩/١ مادة عرب: « أعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب » وفي ١٩١/١ — مادة غرب « اغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث « اغتربوا لا تَضُؤُوا » وفي ٢٠٠/١ مادة قرضب: « قرضب الرجل، إذا أكل شيئاً » وفي ٢١٨/١ — مادة لحب: « رجل ملحَب، إذا كان سبباً بذئ اللسان » وفي ٢٤٤/١ — مادة بهت: « بهت الرجل، بالكسر، إذا دهش وتحير » وفي ٢٩٠/١ — مادة كرت: كَرَّتْهُ الغمُّ يكرُّه بالضم، إذا اشتد عليه وبلغ منه المشقة » وفي ٣٠٠/١ — مادة بهج: « بهجنى هذا الأمر بالفتح وأبهجنى إذا سرَّك » وفي ٣١٥/١ — مادة دلج: « أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل ». وأكتفى بهذا القدر من هذه الوسيلة التي تتوازي في كثرتها مع استعمال أي، وإنهما قد يتبادلان المواقع.

وكما توسل بالترادف والتضاد لإثراء معاني المفردات، وجد متسعاً في المشترك اللفظي لأداء هذه الوظيفة الدلالية؛ بما يسمح به اللفظ الواحد من أداء عدة معانٍ بالوضع أو بالسياق المستعمل فيه اللفظ من مثل لفظ الدفء في ٥٠/١: « الدَّفء: نتاج الإبل

وَأَلْبَاهَا، وما ينتفع به منها، قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾^(١) وفي الحديث: «لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ»، الدَّفء: السخونة... والاسم الدَّفء بالكسر هو الشيء الذي يُدْفئُك.. وتقول: اقعد في دَفء هذا الحائط، أي كِنِّه «وفي ١١١/١ مادة حسب: «الحُسبان بالضم: العذاب، وقال أبو زياد الكلابي أصاب الأرض حَسْبَانُ أي جراد، والحُسبان: الحساب، قال الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾»^(٢) قال الأخفش: الحُسبان جماعة الحساب. والحسبان أيضاً سهام قصار...».

وفي ١٢٨/١ — ١٢٩ — مادة ذنب: «الذُّنوب: الفرسُ الطويل الذَّنْب. والذُّنوب: النصيب. الذُّنوب: لحم أسفل المتن. الذَّنْب. الذُّنوب: الدلو المملأ ماء» وفي ١٣٧/١ — ١٣٨ مادة رقب: «الرقيب: الحافظ. الرَّقِيب: المنتظر.. والرقيب: المؤكَّل. ورقيب النجم: الذي يغيب بطلوعه.. الثالث من سهام الميسر» وانظر المشترك في ١٣٨/١ الرقوب، وفي ١٤٢/١: الزَّرب وفي ١٤٤/١: الأزيب وفي ١٦٦/١ الضَّب، وفي ٢١٤/١ — ٢١٥ مادة كلب: الكلب: معروف... والجمع كِلاب... والكلب: الشعيرة، والكلب: المسمار الذي في قائم السيف، وفيه الذؤابة. والكلب: حديدة عقفاء يعلّق عليها المسافر الزاد من الرّحل... والكلب سَيْرٌ يُجَعَل بين طرفي الأدم إذا خُرِز... وكلب الفَرَس: الخط الذي في وسط ظهره، وكتب: حيٌّ من قُضاعة» وفي ٢٣٤/١ — مادة وغب: «الأصمعي: الوَغْب: الأحمق... والوَغْب أيضاً: سَقَط المتاع... والوَغْب أيضاً: الجَمَل الضخم» وأنهى الأمثلة بمدخل السبت في مادة سبت في ٢٥٠/١: «السَّبْت: الراحة. والسَّبْت: الدهر، والسبت: حَلَق الرأس. والسبت: إرسال الشعر عن المقص، والسبت ضرب من سير الإبل، قال أبو عمرو... هو العَنَق... والسَّبْت: قيام اليهود بأمر سَبْتها...».

وأمثلة الاشتراك السابقة كافية للاستدلال على اتخاذها وسيلة لتأدية المعنى، ومن أراد المزيد يمكنه أن يراجع الصحاح فإنه سيجد الكثير.

(١) ٥ - النحل.

(٢) ٥ - الرحمن.

وأنتقل إلى وسيلة أخرى كاعتماده على الاشتقاق في بيان المعنى وأضرب مثلاً
يمكن أن يكون أنموذجاً في اعتماد الجوهري على مشتقات المدخل مكتفياً بوضعها في
سياقات لغوية دالة تجري على السنة الناطقين باللغة غير مقترنة بمعناها، وهذا المثال في
٣٦١ — مادة برأ: « تقول برئت منك، ومن الديون والعيوب براءة. وبرئت من المرض
برئاً بالضم، وأهل الحجاز يقولون: برأت من المرض برءاً، وأيضاً هو الباريء، والبريء:
الخلق: » هذه الوحيدة التي قرنها بمعناها «... وأبرأته مما لي عليه وبرأته تبرئة. والبرأة
بالضم: قُترة الصائد » وهنا تفسير الغامض بغامض مثله « والجمعُ برأً مثل صُبره وصُبر،
قال الشاعر الأعشى:

فأوردَها عيناً من السيف رِيَّةً بها بُرأً مثل الغسيل المَكَّم

وتبرأ من كذا، وأنا برء منه وخلاء منه، لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر في الأصل
مثل سمع سماعاً، فإذا قلت: أنا بريء منه وخليء منه ثنيت وجمعت وأثنت، وقلت في
الجمع: نحن منه برءاء مثل فقه وفقهاء، وبرءاء مثل: كريم وكرام، وأبرءاء مثل شريف
وأشراف، وأبرياء أيضاً من نصيب وأنصباء، وبريئون، وامرأة بريئة وهما بريئان، وهن
بريئات برايا « ورجل بريء وبرءاء مثل: عجيب وعُجاب... » والمثال ليس بحاجة إلى
التعليق فلم يظهر فيه سوى مشتق مقرون بمعناه هو البريئة وبقية المشتقات من أفعال
ومصادر وأسماء فاعلين وصفات مشبهة، ومفردات وجموع، وردت دون معانيها.

ومثال ثان من مادة كمأ ٧٠/١: « الكمأة واحدها كمء على غير قياس، وهو من
النوادر، تقول هذا كمء وهذا كمآن وهؤلاء أكمؤ ثلاثة، فإذا كثرت فهي الكمأة
وكمآت القوم كمأ: أطعمتهم الكمأة. وخرج الناس يتكمؤون، أي يجتنون الكمأة
وأكمآت الأرض: كثرت كمأها ». تعامل مع لفظ الكمء جمعاً ومفرداً ومثنى وفِعلاً ولم
يبين معناها.

وأضيف مثلاً ثالثاً من مادة ثقب لم يذكر فيه معنى الثقب بل تركه للسياقات
اللغوية كي تدل عليه كقوله في ٩٣/١: « الثَّقب بالفتح: واحد الثقوب، والثَّقب بالضم:
جمع ثُقبه، ويجمع أيضاً على ثُقب. المِثْقَب: ما يثقب به. وثَقَبَت الشيء ثَقْباً، وثَقَّبَتْهُ، شَدَّدَتْ

للكثرة. وذرُّ مُثْقَبٌ أي مثقوب، وتثَقَّب الجلد إذا ثَقَّبَهُ الحَلَمُ». الناطق بالعربية قد يدرك المعنى من خلال السياقات ولكن من أراد أي يصل إلى المعنى من غير أهل اللغة لا يخرج بطائل. ومما يعد من هذا القبيل هو ما يفتح به المادة من مشتقات دون بيان معناها كقوله في مادة ثوب ٩٤/١: «الثوب: واحد الأثواب والثياب، ويجمع في القِلَّة على أثُوب، وبعض العرب يقول أثُوب فيهمز... كذلك دار وأدور على هذا المثال، قال الراجز:

لكل دهر قد لبست أثُوباً

قال سيبويه: يقال لصاحب الثياب ثَوَّابٌ « وينتهي من هذا المعنى في هذه المادة بذكر ما يشتق منها فقط، وينتقل بعدها إلى معنى آخر لهذه المادة بذكره مع مشتقاته كقوله: «وثاب الرجل يثوبُ ثوباً وثوباناً: رجع بعد ذهابه...» ومثل هذا قوله في مادة جلب ١٠٠/١: «جَلَب الشيء يَجْلِبُهُ ويَجْلِبُهُ جَلْباً وجَلْباً وجلبت الشيء إلى نفسي واجتلبته بمعنى» دون أن يبين هذا المعنى وفي ٢١٩/١ — مادة لعب تجد أنموذجاً آخر على الركون على السياقات اللغوية دون الاقتران بالمعنى في قوله: «اللَّعب معروف واللَّعب مثله. وقد لعب يلعب وتَلَّعب: لعب مرة بعد أخرى. ورجل تلعبه: كثير اللعب، والتَّلعب بالفتح: المصدر وجارية لعب، والألُوبة: اللَّعب، والمَّلعب: موضع اللَّعب وهكذا حتى يصل إلى ما يشتق من هذه المادة من غير معنى اللعب وهو اللَّعب وهو ما يسيل من الفم.

ومما يؤخذ عليه أنه كان لا يعطي معنى للمدخل بل يكتفي بقوله معروف ومن أمثلته قوله في ٩٣/١ — مادة ثعلب: «الثعلب: معروف» وفي ٩٨/١ مادة جرب «الجرب: معروف» وفي ١٠١/١ مادة جنب: «الجنب معروف» وفي ١٠٤/١: «الجواب معروف» وفي ١١٣/١ — مادة حطب: «الحطب معروف» وفي ١١٥/١ — مادة حلب: «الحلبة: حَبُّ معروف» وفي ١٢٦/١ — مادة ذب: «الذباب معروف» وفي ١٢٩/١ — مادة ذهب ك «الذهب معروف» وفي ١٣٩/١ — مادة ركب: «الركبة معروفة» وفي ٢١٣/١ — مادة كلب: «الكلب معروف» وفي ٢١٩/١ — مادة لعب: «اللعب معروف» وفي ٢٤٤/١ — مادة بيت: «البيت معروف» وفي

٢٥٠/١ — مادة زيت: « الزيتون معروف » وفي ٢٥٧/١ — مادة صوت « الصوت معروف » وفي ٣٠٢/١ — مادة ثلج: « الثلج معروف » وفي ٣١٣/١ — مادة دجج: « الدجاج معروف » وفي ٣٢٢/١ — مادة سرج: « السرج معروف... والسراج معروف ».

وقد أضيف إلى هذه الوسيلة طريقة أخرى يكتنفها الغموض أيضاً وهي تأدية المعنى بقوله عن المدخل إنه ضَرَبَ من... كقوله في ٩٧/١ — مادة جخدب: « الجُخدُب: ضَرَبَ من الجنادب » وفي باب جذب « الجُنْدَبُ والجُنْدُب: ضرب من الجراد » في ١١٧/١ — مادة خبب « الخبب: ضربٌ من العدو » وفي ١٩٩/١ — مادة قرب: « التقريب ضرب من العدو » وفي ٢٠١/١ — مادة قرطب: « القرطبيّ بتشديد الباء: ضرب من اللعب » وفي ذ/٣٢٩ — مادة عسج: « العوسج: ضرب من الشوك » وفي ٣٩٥/١ — مادة قرح: « القُرْحان: ضرب من الكمأة » وفي ٣٤٧/١ — مادة وجج: « الوجج: ضرب من الأودية ».

ومما يمكن أن يكون محل ملاحظة أيضاً هو أن يردف المدخل بلفظ يحتاج هو الآخر إلى شرح وتفسير كقوله في ٦٣/١ مادة فقأ: « الفقء: الساياء » وفي ١٢١/١ — مادة خطب: « الأخطب: الشَّقراق » وفي ١٦٤/١ — مادة صلب: « الصليب: وَدَكَ العظام » وفي ٢١٥/١ — مادة كنب « الكناب بالكسر: الشمراخ » وفي مادة كهب: « الأصمعي: الكُهْبَة لون من القُهْبَة » وفي ٣٠٣/١ — مادة حجج: « الحجج: الحَبَقُ » وفي ٣٠٨/١ — مادة خجج: « خَجَجَ بها: حَبَقَ » وفي ٣٢٥/١ — مادة شمرج: « الشَّمْرُج بالضم: الجُلُّ الرقيق النسج » وقد ورد هذا الأسلوب أيضاً مع بعض الألفاظ المعرَّبة نحو قوله في ١٢٥/١ — مادة دلب: « الدولاب: واحد الدواليب، فارسي معرَّب » وفي ٣١٢/١ مادة دبج: « الدَّيَّاج: فارسيٌّ معرَّبٌ ويجمع على دبايج... » وفي ٣٢٠/١ — مادة زنفلج: « الزَنْفِيلَحَة بكسر الزاي والفاء وفتح اللام شبيهه بالكِنْف وهو معرب واصله بالفارسية زين بيله ». وفي ٣٢٤/١ — مادة شفرج: « الشُّفَارِج مثال العُلابط،

فارسي معرّب وهو الذي تسميه الناس بشّبارج، عن يعقوب «. وفي ٣٥١/١ — مادة هـلج: «الإهليج معرّب قال ابن السكيت: هو الإهليج والإهليجة بالكسر». وأنتقل الآن إلى عناصر أخرى في نص الصحاح المعجمي مما ورد بكثرة لافتة للنظر ويأتي في الصدارة الاحتجاج، والمعلومات النحوية والصرفية والصوتية واللهجية، والألفاظ المعرّبة وأسماء الأعلام من رجال وبلدان وأماكن ومصادره.

وأبادر إلى القول بأنه احتج بالقرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب وأقوالهم والنثرية. وقد يجري الاحتجاج في المادة الواحدة بما أو بأغلبها ومثال ذلك مادة نسأ في ٧٦/١ — ٧٧ ففي مدخل النساء بمعنى التأخير يحتج بقولهم: «من سرّه النّساء ولا نساء فليخفف الرداء — بالمد — وليأكر الغداء، وليقل غشيان النّساء» ويستشهد كذلك بآية قرآنية وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾^(١) ويقول: انتسأت بمعنى تأخرت وتباعدت بقول الشاعر «لم يذكر اسمه»:

إذا انتسؤا فوّت الرّمّاح أتّهم عوّائرُ نبلٍ كالجراد تُطيرُها

واستشهد لشعراء من مختلف عصور الاحتجاج، ولشعراء مشهورين كامرئ القيس والأعشى وطرفة وليد وحسان والفرزدق وجرير والكميت وغيرهم ولمغمورين كمالك بن زغبة الباهلي وأبي صدقة الدّبيري والجميح بن الطّمّاح الأسدي وغالباً ما يهمل اسم الشاعر الراجز ونادراً ما يذكر رؤية ويكتفي بـ «قال الراجز» أو «وقال» وإذا كان الشاعر مغموراً أو مجهولاً فإنه يقول عند الاستشهاد وقال الشاعر أو قال فقط ولم يتقيد بالحد المكاني للاحتجاج فاستشهد لعدي بن زيد ولا بالزمان فاستشهد بشعر أبي العطاء السندي (١٨٠ هـ) وأبي نواس (١٩٨ هـ) وأبي محمد اليزيدي (٢١٠ هـ) والعناني (٢٠٨ هـ) وأبي تمام (٢٣٨ هـ) واستشهد لشعر مجهول القائل.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن الحديث الشريف قد أخذ مساحة واسعة من الاستشهاد فقد يحتج بحديث على دلالة لفظ ما كقوله في ٥٤/١ — مادة زناً — وفي الحديث: «نهى

أن يصلي الرجل وهو زنا» استدل بحديثه ﷺ على أن زناً بمعنى حقن «البول». وقد يستدل بحديث الرسول ﷺ على بنية صرفية معينة نحو صيغة فعول كقوله في ٥٣/١ — مادة رقأ: «والرقوء على فعول بالفتح ما يوضع على الدم فيسكن، وفي الحديث: «لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم» وفي ٦٦/١ — مادة قيا، استدل على أن مصدر قاء هو قىء كقوله وفي الحديث: «الراجع في هبته كالراجع في قبئه». وصيغة الاحتجاج كما سبق أن يقول، وفي الحديث ولا يذكر من الحديث إلا موضع الاشتهاد.

وأما أقوال العرب من أمثال وغيرها فقد سدت فراغاً في الاستشهاد حيث الأصل في استعمال اللغة وهو نشرها، وقد تنوع كالأستدلال على استعمال صيغة جاءت على غير الأصل مثلاً كقوله في ٥٢/١ — مادة رثأ: «ابن السكيت: قالت امرأة من العرب رثأت زوجي بأبيات، وهمزت وأصله غير مهموز» أي رثيت. وقد يستدل بأقوالهم على لفظ مستعمل في معنى خاص كقوله في ١٩١/١ — مادة غرب «كاستعمال لفظ مغربة بمعنى الخبر الذي طرأ عليهم من بلد سوى بلدهم بقولهم «هل جاءكم مغربة خبر».

لقد قيل عن الجوهري — إنه كان أنحى اللغويين وخطيب المنبر الصربي فكان أمراً طبعياً أن يولي اهتماماً للمعلومات النحوية والصرفية واللهجية ولا يتوانى عن إيرادها كلما سنحت له فرصة مع ما يقوم به من التحليل والتعليل والإشارة إلى الشذوذ والقياس في كل مسألة صرفية أو نحوية يثيرها كقوله في ٤٢/١ — مادة جاء: «المجيء: الإتيان، يقال جاء يجيء جيئة، وهو من بناء المرة الواحدة إلا أنه وضع موضع المصدر مثل الرجفة والرحمة، الاسم الجيئة على فعلة بكسر الجيم، وتقول: جئت مجيئاً حسناً وهو شاذ؛ لأن المصدر من فَعَلَ يَفْعَلُ مَفْعَلٌ بفتح العين، وقد شذت منه حروف فجاءت على مَفْعَلٍ كالمجيء والمحيض والمكيل والمصير» وهذا مثال لمسألة صرفية بين فيها وجه الصواب، ووجه الشذوذ والوارد منها. وفي ١٦٢/١ — مادة صحب يتحدث في مسألة صرفية صوتية: «واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضاً، وأصله اصتَحَبَ؛ لأن تاء الافتعال تتغير عند الصاد مثل اصطحب، وعند الضاد مثل اضطراب وعند الطاء اطلَّبَ وعند الظاء مثل اظلمَّ وعند الدال مثل ادَّعى وعند الذال مثل ادَّخَرَ عند الزاي مثل ازدجر، لأن التاء لان مخرجها

فلم توافق هذه الحروف لشدة مخارجها فأبدل منها ما يوافقها لتخفف على اللسان ويعذب اللفظ به « وهو هنا يتكلم عما يسمى في علم الأصوات بالمماثلة فالتاء المرققة، التي لانت على حد تعبيره، وقعت بعد حرف مفخم كالصاد والضاد والطاء والظاء في صيغة افتعل، فاستصعبت العرب الانتقال من المرقق إلى المفخم فنطقت المرقق حرفاً مماثلاً في فخامته لسابقه فنطقت التاء طاء تتناسب مع الصاد في اصطحاب، ومع الضاد في اضطراب وهذه مماثلة جزئية، وأما اظلم فمماثلة كلية. وأما ادعى واذخر فالأصل فيهما ارتعى واذخر فحصل التحول من الهمس « في التاء » إلى الجهر في الدال والذال محكومة بتأثير الصوت الأقوى وهو من المماثلة الكلية أيضاً. وأما ازدجر فأصلها ازتجر أي أثرت الزاي وهي الصوت الجهور في التاء المهموسة فنطقت التاء صوتاً مجهوراً وهو الدال لتمثيل الزاي فكانت المماثلة جزئية فكانت الحقة والعذوبة في النطق كما ذكر صاحب الصحاح وهو هنا كأنه يتمتع من علم الأصوات الحديث الذي سمي هذه الظاهرة بقانون الصوت الأقوى « قانون جرامونت ».

وأما المسائل النحوية فكان يحرص فيها على تحرير المسألة بشواهدا وتحقيقها وتأصيلها وأراد العلماء فيها كما فعل مع لات ولت على سبيل المثال فأمالات في ٢٦٥/١ فيبدأ بذكر الشاهد من القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(١) قال الأخفش: شَبَّهُوا لَاتَ بِلَيْسَ وَأَضْمَرُوا فِيهَا اسْمَ الْفَاعِلِ « يقصد التقدير: ولات الحين حين مناص ». قال: ولا تكون لات إلا مع حين. وقد جاء حذف حين في الشعر، قال مازن بن مالك: « حَنَّتْ وَلَاتَ هُنَّتْ، وَأَنَّى لَكَ مَقْرُوعٌ ». فحذف الحين وهو يريد. قال: وقرأ بعضهم « ولات حين مناص » فرفع حين وأضمر الخبر. قال أبو عبيد: هي لا، والتاء إنما زيدت في حين، وكذلك في تَلَانٍ، وإن كتبت مفردة. قال أبو وجزة: العاطفون تَحِينَ مَامِنْ عَاطِفٍ وَالْمَطْعَمُونَ زَمَانٌ أَيْنَ الْمُطْعَمِ

وقال المؤرِّج: زيدت التاء في لات كما زيدت في ثُمَّتَ ورُبَّتَ.

وفي ٢٨٠/١ — مادة حيث، يتناول بنية صرفية هي حيث بوصفها ظرف مكان يقلبها في أوضاع نحوية ودلالية: بناءً وإعراباً وإضافةً وشرطاً؛ أي يتعامل معها دلالةً وصرفاً ونحواً، بقوله: « حيث: كلمة تدل على المكان؛ لأنه ظرف في الأمكنة، بمنزلة حين في الأزمنة، وهو اسم مبني، وإنما حُرِّك آخره لالتقاء الساكنين. فمن العرب من يبينها على الضم تشبيهاً بالغايات، لأنها لم تحيَّ إلا مضافة إلى جملة، كقولك أقوم حيث يقوم زيد ولم تُقل حيث زيد. وتقول حيث تكون أكون. ومنهم من يبينها على الفتح مثل كيف، استثقالاً للضم مع الياء. وهي من الظروف التي لا يُجازى بها إلا مع ما، تقول: حيثما تجلس أجلس، في معنى أينما. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(١) في حرف ابن مسعود: أين أتى؟ والعرب تقول جئت من أين لا تعلم، أي من حيث لا تعلم» وأكتفي بما ذكرت، والمسائل الصرفية والنحوية كثيرة.

أمَّا المعلومات اللهجية فتوزعت على مستويات اللغة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية، فقد يسجل أحياناً الخلاف بين لغتين « لهجتين » في نطق كلمة ما نحو قوله في ٩٢/١ — مادة توب: « قال القاسم بن معين: لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التابوت فلغة قريش بالتاء، ولغة الأنصار بالهاء ».

وقد يذكر لفظاً بدلالة معينة بلهجة معينة لقوله مثلاً في مادة سبب ١٤٥/١: «السَّبُّ: الحبل في لغة هذيل قال أبو ذؤيب « يقصد الهذلي »:

تَدَلَّى عَلَيْهَا بَيْنَ سَبٍّ وَخَيْطَةٍ بِجَرْدَاءٍ مِثْلَ الْوَكْفِ يَكْبُو غَرَابُهَا

عصب: « المعصوب في لغة هذيل: الجائع » وفي ٢٣١/١ — مادة وَثَبَ: « وَثَبَ في لغة حمير: أقعد » وفي ٢٥٨/١ — مادة عفت: « الأعفت في لغة تميم: الأعسر، وفي لغة غيرهم: الأحق » والألفت كذلك في ٢٦٤/١. وفي ٢٦٤/١ — مادة الصت: «اللَّصْتُ بفتح اللام: اللص في لغة طيء، والجمع لصوت ».

وقد يسجل سمة لهجية صوتية خاصة ببعض العرب كقوله في ٢٦٩/١ — مادة نوت النواتي الملاحون في البحر خاصة، وهو من كلام أهل الشام واحدهم نوتي. وأما قول الراجز:

يا قبح الله بني السعلانت
عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفَاء ولا أكيات

فإنما يريد الناس وأكياس، فقلب السين وهو لغة لبعض العرب، عن أبي زيد، وانظر كذلك ٢٩٧/١ — باب الجيم إبدال الياء جيماً « عند بعض العرب.

وقد يأتي على ذكر سمة لهجية نحوية لقوله في ٢٧٦/١ — مادة ٢٧٦: وأهل الحجاز يقولون: أَتُونِي ثَلَاثُهُمْ وَأَرْبَعَتُهُمْ إلى العشرة فينصبون على كل حال، وكذلك المؤنث أَتَيْنِي ثَلَاثُهُنَّ وَأَرْبَعُهُنَّ. وغيرهم يعربه بالحركات الثلاث يجعله مثل كلهم. فإذا جاوزت العشرة لم يكن إلا النصب كقول: أَتُونِي أَحَدَ عَشْرَهُمْ.. وللنساء: أَتَيْنِي أَحَدَى عَشْرَتُهُنَّ.»

كذلك التفت الجوهري إلى الألفاظ الأعجمية وقام بتعريف المعرب بقوله ١٧٩/١ « تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها » فانتظمت في نصّ الصحاح كالألفاظ العربية الأصل أي حسب ترتيب جذورها فجرّبان وجورب في باب جرب (٩٩/١) أي عاملهما معاملة المدخل العربي، والجردبان (٩٩/١) في جردب ومن الجدير بالذكر أنه اللفظ الوحيد في هذا الجذر، أي أنه فتح مدخلاً لهذه الكلمة « جردبان بما افترضه لها من جذر يتناسب مع جذور العربية وهو هنا رباعي في جُرْبَان وجورب أَتَبَعُهُمَا لأصل ثلاثي، وهكذا مع الألفاظ المعربة: الحُب بمعنى الخابية في مادة حبب ١٠٥/١ والدولاب في مادة دلب ١٢٥/١ والقيقب والقيقبان في مادة ققب ٢٠٤/١ والبخت في مادة ٢٤٣/١ والياقوت في مادة يقت ٢٧١/١ والبرّج في برّج ٢٩٩/١ والخَلْبَخ في مادة خَلَج ٣١٢/١ والديباج في مادة دبج ٣١٢/١ والزَنْفِيلَجَه في مادة زنفلج ٣٢٠/١ وكذلك الصاروج والصولجان والصمّج والصنّج والفيج والفيهج والقَبج والمَجّ والمُوزَج وهي في مواضعها حسب ما افترضه لها من جذور من حروفها وقد نصّ غالباً

على كل منها أنها « فارسي معرب » أو هو معرب وأصله بالفارسية... أو معرب وهو بالفارسية، أو وهو معرب وقد يذكر المعرب دون معناه بالعربية.

كذلك الأعلام أخذت حظها وافرأ في نص الصحاح، والمقصود بالأعلام أسماء الرجال والقبائل والبلدان والحيوان والتضاريس الجغرافية كالجبال والوديان كقوله في ٣٤/١. مادة أجا: « أجا على فعل بالتحريك: أحد جبلي طيء والآخر سلمى.. » وقوله في ٣٧/١ — مادة بوا: « منه قولهم: باءت عرار بكحل، وهم بقرتان قتلت إحداهما الأخرى » وفي ٥٥/١ — مادة سبا: « سبا: اسم رجل، ولد عامة قبائل اليمن وهو سبا من يشجب بن يعرب بن قحطان يصرف ولا يصرف » وفي ٥٨/١ — مادة شنا: « ومنه أزد شنوءة، وهم: حي من اليمن ينسب إلى شني » في ٦١/١ — مادة طوا: « الطاءة مثل الطاعة: الإبعاد في المرعى، يقال فرس بعيد الطاءة. قالوا: ومنه أخذ طيء مثل سيد، أبو قبيلة من اليمن، وهو طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن حمير، والنسبة إليه طائي على غير قياس ».

وفي ٦٢/١ — مادة فجا: « فاجأه الأمر، مفاجأة وفجاء.. وفجأه الأمر بالكسر والنصب فجاءة بالمد والضم. ومنه قطري بن الفجاءة المازني.. » وفي ٩١/١ — مادة ترب: « ويترب بفتح الراء: موضع قريب من اليمامة قال الأشجعي:

وَعَدْتُ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مواعيد عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَتَرَبِّ

وفي ٩٣/١ — مادة ثعلب: « الثعلبية: موضع بطريق مكة » وفي ٩٤/١ — مادة ثلب: « والثلبوت: اسم واد بين طيء وذبيان » وفي مادة خجدب ٩٧/١: « الجخدب ضرب من الجنادب.. ويقال له أيضاً أبو جنخادب كما يقال للأسد أبو الحارث » وفي ٩٩/١ — مادة جرب: « الأجربان: بنو عبس وذبيان » وفي ٣/١. إمادة جنب «... والمجنّب أيضاً: أقصى أرض العجم إلى أرض العرب، وأدنى أرض العرب إلى أرض العجم، قال الكميت: ثُمُعَتَرَكَ الطَّفُّ فَاَلْمَجْنَبُ.

وفي ١١٢/١ — مادة حصب: « ويحصب بالكسر: حي من اليمن... » وفي ١١٥/١ — مادة حلب: « وحلب: مدينة بالشام » وفي ١١٨/١ — مادة خبب: « قال الراعي: ما إن أتيت أبا خبيب وإفداً يوماً أريد لبيعتي تبديلاً

والخببيان: عبد الله بن الزبير وابنه، ويقال: هو وأخوه مصعب... ».

وفي ١٢٠/١ — مادة خشب: « والأخشبان: جبلا مكة. وفي الحديث: « لا تزول مكة حتى يزول أخشابها » وفي ١٤٦/١ — مادة سحب: « وسحبان اسم رجل من وائل، كان لسيّناً بليغاً، يضرب به المثل في البيان » وفي مادة سكب ١٤٨/١: « سَكاب: اسم فرس، مثل قَطام »

وفي ١٦٠/١ — مادة شَيْب: « شَيْبة: اسم رجل، ومفتاح الكعبة في ولده، هو شَيْبة بن عثمان بن طلحة بن عبد الدار بن قصي... وشَيْبان ومِلْحان: شَهراً قُمَاح وهما أشدُّ الشتاء برداً؛ سُمِّيَا بذلك لبياض الأرض بما عليها من الثلج والصقيع ». وفي ٧٨/١ — مادة عذب: « العُذيب: مات لتميم » وفي ١٨٠/١ — مادة عرب: « يوم العروبة: يوم الجمع ».

ومن المعلومات التي اهتم بها أيضاً حكايات الأمثال التي شغلت حيزاً من نصّ الصحاح كما في ١٨٠/١ التي يحكي فيها قصة مثل: « مواعيد عرقوب » ففي مادة عرقب يقول: « وعرقوب اسم رجل من العمالقة ضربت به العربُ المثلُ في الخلف فقالوا: « مواعيد عرقوب »: وذلك أنه أتاه أخ له يسأله شيئاً فقال عرقوب: إذا أطلعَ نخلي. فلما أطلعَ قال: إذا أبلح، فلما أبلح قال: إذا أزهي، فلما أزهي قال: إذا أرطبَ قال: إذا صار تمراً، فلما صار تمراً جدّه من الليل ولم يعطه شيئاً. قال الأشجعي:

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مواعيدَ عرقوبِ أخاه يَتَرَبِّ

ويبقى أمر أخير لا بد من الإشارة إليه وهو حرص الجوهري على ذكر مصادره ومراجعته من علماء اللغة وروايتها فهو يصرّح في مقدّمته بمصادر تحصيله اللغوي بقوله ف ص ٣٤ « بعد تحصيلها » أي ما صحّ من اللغة « بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية » فإذا كان في المقدّمة، كما نرى، قد أجمل مصادر اكتسابه اللغة وتحصيلها بالرواية عن الأعراب والدراية من علماء اللغة فإنه يفصل القول في نصوص الصحاح ويصرّح بأسماء من نقل عنهم على صفحات الكتاب وكلهم من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين كأبي عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه ويونس والكسائي والفراء وأبي عبيدة والأخفش وأبي زيد الأنصاري والأصمعي والليثاني وأبي عبيد وابن الأعرابي وابن السكيت والمازني وثعلب وأبي موسى الحامض وغيرهم أرجو فيما قدّمت أن يعطي صورة إيجابية عن مضمون هذه الثروة اللغوية التي نعتها جامعها الجوهري بـصحاح العربية على أساس أنه اقتصر على الصحيح وطرح ما لم يصح عنده.

٣-٦-٣ لسان العرب^(١) - لابن منظور (ت ٧١١ هـ)

وابن منظور هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المتوفى عام ٧١١ هـ، كان مُعَرِّماً باختصار الكتب المطوّلة كالأغاني وتاريخ دمشق وغيرهما وقد جاء في ترجمته أن الصفدي قال: لا أعرف في الأدب وغيره كتاباً مطوّلاً إلا وقد اختصره، وينقل عن ابنه أي ولد ابن منظور، أنه ترك بخطه خمسمائة مجلدة مختصرة.

أما لسان العرب فهو الحلقة الثالثة في مدرسة ترتيب القافية ولم يسمع ابن منظور مادته رواية أو مشافهة عن الأعراب من بادية الجزيرة العربية فقد انتهى في عهده زمن الفصاحة وآل الأمر إلى أن «أصبح اللحن في الكلام يعد لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايير معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاسحوها في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعت كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون، وسميته لسان العرب» (من مقدمة اللسان ص ٨)، ومن أجل ذلك ينفي المشافهة في الجمع، في موضع سابق من المقدمة بقوله: «وأنا.. لا أدعي فيه (أي في اللسان) دعوى فأقول شافهت أو سمعت، أو فعلت أو صنعت، أو شددت أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت» معتمداً على روايات الأزهري وابن سيده اللذين على حد قوله في الصفحة نفسها من المقدمة: «لم يخلوا لأحد مجالاً، فإنهما عيّنا في كتابيهما عمن روي.. ولعمري لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفيا» وإذا كانت مقولته عن الأزهري صحيحة فإنها عن ابن سيده غير دقيقة فقد عاش في الأندلس ولم يعرف البادية ولا ارتحل إليها وإنما كانت روايته وجمعه عمّن سبقه من العلماء ومن كتب اللغة كما يصرّح في ص ١٥ من مقدمته. وهو أمر قد مر ذكره عند الحديث عن معجم المحكم والمحيط الأعظم.

(١) لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ط ٣، دار الفكر، بيروت،

وكان قبل نفيه المشافهة قد اعترف في ص ٧ من المقدمة أنه قد جمع مادة كتابه من خمسة معاجم أو كتب في اللغة مع بيان مزاياها التي كانت سبباً في اعتماده عليها واستغنائه عن غيرها وبيان ذلك في قوله: « ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق... ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره وشهره، بسهولة وضعه... ومع ذلك قد صحف وحرف... فأتيت له الشيخ أبو محمد بن برّي فتتبع ما فيه وأملى عليه أماليه... فرأيت أبا السعادات بن محمد بن الأثير الجزري قد جاء في ذلك النهاية، وجاوز في الجودة حد الغاية غير أنه لم يضع الكلمات في محلها... فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج.. وغني بما فيه عن غيره، وجمع من اللغات والشواهد والأدلة... لأن كل واحد من هؤلاء العلماء تفرد برواية رواها، وبكلمة سمعها من العرب شفاهاً، ولم يأت في كتابه بكل ما في كتاب أخيه... فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرّق.. فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع، وصار هذا بمتلة الأصل وأولئك بمتلة الفروع.. » وعليه فإن مصادره وأصوله خمسة هي تهذيب اللغة وهو أجملها لأبي منصور الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) وتاج اللغة وصحاح العربية وهو أحسنها ترتيباً للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) وحواشي ابن برّي (ت ٥٧٦ هـ) عليه والمحكم والمحيط الأعظم وهو أكملها لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) والنهاية في غريب الحديث وهو أجودها لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ).

ويختار من بين هذه الأصول منهج الصحاح في ترتيب المداخل بعد أن نظر في كتب اللغة أو معاجمها فرأى أن « علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يُفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع... وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب، وتخليط التفصيل والتبويب، ورأيت أبا نصر الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره، وشهره بسهولة ومنعه... فخفف على الناس فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه... ورتبته

ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول..» (المقدمة: ص ٧). والأبواب بلام المدخل أو الجذر والفصول لفاء الجذر أو المدخل، ففتح أبواباً لحروف الألفبائية العربية.

وقسم كل باب إلى فصول بعدد حروف العربية مع مراعاة الحرف الثاني في الثلاثي الأصل والحرفين الثاني والثالث إن كانت المادة رباعية أو خماسية فالترتيب مثلاً في باب الباء فصل الراء مع مراعاة الجيم لأن جذرها هو (رجب).

والعرقوب في باب الباء فصل العين مع مراعاة الحرف الثاني وهو الراء والثالث وهو القاف فجذره من مادة «عرقب» ولا بد من الإشارة إلى جمعه الجذور المعتلة الآخر في باب واحد، ويجدر التنبيه لذلك إلى أن ابن منظور قد خالف الجوهري، في تقديم فصل الهاء على فصل الواو وهو بهذا يتفق مع الترتيب المعهود للألفبائية العربية في حين أن الجوهري خالف هذا الترتيب بوضعه فصول الواو قبل فصول الهاء. ومما يجدر التنويه به أيضاً أنه كان يفتح الباب بالحديث عن مخرج حرف ذلك الباب وصفاته الصوتية؛ أي يفتح الباب بدرس صوتي صرفي كقوله في باب الباء مثلاً: «الباء من الحروف المجهورة، ومن الحروف الشفوية.. قال الخليل بن أحمد: الحروف الذلقة والشفوية ستة: الراء واللام والنون والفاء والباء والميم... ولما سهلت في المنطق كثرت في أبنية الكلام.. فإذا ورد عليك خماسي مُعرّي من الحروف الذلقة والشفوية، فاعلم أنه مُؤكّد، وليس من صحيح كلام العرب...». ولم يفته كذلك أن يفتح، بعد مقدّمة اللسان، فصلين (بايين) يخصان الحروف العربية أولهما باب في تفسير الحروف المقطّعة التي تبدأ بها بعض السور القرآنية أو كما تسمى فواتح السور نحو: ألم، كهيعص، حم.. الخ. وروى في هذا الفصل ما استطاع أن يجمعه من آراء العلماء في تفسيرها كابن عباس وعكرمة وقتادة وعيسى بن عمر والأخفش وسعيد بن جبير وقطرب وأبي إسحاق الزجاج وأما الآخر فهو في علم الأصوات جرياً على عادة من سبقوه في التقديم لمعاجهم بمقدمات في أصوات العربية كالخليل في العين والأزهري في التهذيب وابن دريد في الجمهرة والأخيران عالّة على الخليل وهو بعنوان باب ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها وتكلم فيه عن صفات الحروف جهراً وهمساً وبين المقصود من الاصطلاحين وترتيبها الصوتي حسب مخرجها

عند الخليل في العين وعند سيبويه في كتابه. ويذكر أكثر الحروف تكراراً في الاستعمال وهي: ال م هـ و ي ن، وأقلها تكراراً وهي: ظ غ ط ز ث خ ض ش ص ذ، ويذكر الحروف التي إذا حلت كلمة من أحدها فليست بعربية وهي ستة أحرف: د ب م ن ل ف وهذه الحروف لا تخلو منها أكثر الكلمات ويحرص في آخر هذا الباب أن يذكر بعض الخواص العلاجية المتوهمّة للحروف بعد تقسيمها إلى هوائية ونارية وترايبية ومائية، ولا يفوته أن يذكر من صنّف كتباً في هذه الخواص.

ويخصّص مبحثاً للهمزة يقدّم فيه لبأها يتكلم فيه عن الأصلية والمبدلة منها، وما يصيبها من تليين وحذف وقلب وإبدال وتحقيق وتخفيف وزيادة، وعن صور كتابتها.

والآن بعد هذه المقدمات النظرية والتنظيرية للسان العرب لا بد من الانتقال إلى تتبع التفصيلي للجوانب التطبيقية لهذا المصنّف وأبدأ بالضبط الصوتي للمداخل وشروحها الذي اعتمد فيه غالباً على وضع الحركات مباشرة على الحروف في الألفاظ كفعله مثلاً في خبأ ٦٢/١ (باب الهمزة فصل الخاء المعجمة): «خبأ الشيء يخبؤه خبأً: ستره... واختبأت: استترت وجارية مخبأة أي مُستترة... والمخبأة من الجوّاري هي المخدّرة التي لا بُرُوزَ لها، وفي حديث أبي أمامة: لم أرَ كاليوم ولا جلدَ مخبأة. المخبأة: الجارية التي في خدرها لم تتزوج بعد لأن صيانتها أبلغ من قد تزوّجت». وهو كما نرى لم يكتف بضبط البنية الصرفية وإنما يُلحقها في أكثر الأحيان بالضبط الإعرابي كما في ٦٨ / ١ - مادة خلأ: «وخلأ الإنسانُ يخلأُ خلُوءاً: لم يبرح مكانه. وقال اللحياني: خلأت الناقة وتخلأ خلأً، وهي ناقةٌ خاليءٌ بغير هاء، إذا بركت فلم تقم...».

وكان أحياناً يُتبع الضبط بالنص على الحركة كما في ٦٩ / ١ مادة خلأ مثلاً: «الخلأ بالكسر والمدّ: المباعدة والمُجانبَةُ» وفيها أيضاً: «كان أبو عمر الزاهد يقول في الرّؤاسي أحد القراء والمحدّثين، إنه الرّؤاسي، بفتح الرّاء والواو من غير همز، منسوب إلى رؤاس قبيلة من بني سليم، وكان ينكر أن يقال الرّؤاسي بالهمز، كما يقوله المحدّثون وغيرهم» ومن هذا القبيل أي النص على الحرف بالوصف قوله في ١٦٤ / ١ عن قذاها: «ويروى قذاها، بالبدال المهملة، قال وصوابه بالذال المعجمة».

وقد يستعين بالوزن في بيان هيئة الصيغة كما في ١ / ٦٨: «حكى أبو علي الفارسي عن أبي زيد: أخطأ خاطئةً، جاء بالمصدر على لفظ فاعلة». وفي ١ / ٧٥: «وطريق ذو دُروء، على فُعلول: أي ذو كسور». وفي ١ / ٩٥: «قال سيويه: سألت الخليل عن سَوَائِيَّة فقال هي فَعَالِيَّة بمتزلة عَلَانِيَّة». وقد يوضح هيئة اللفظ بذكر المثال الذي يكون في العادة واضحاً ولا خلاف على ضبطه نحو ما جاء في ١ / ٩٠: «زُكَاة، مثل هُمَزَةٍ وَهُبَعَةٍ..». وفي ١ / ٩٢: «زَنَاءٌ أي بوزن جَبَان» وقد يجمع بين أكثر من وسيلة في وقت واحد كما جاء في ١ / ٧٣: «وقوله تعالى: كأنها كوكب دري، روي عن عاصم أنه قرأها دُرِّي، فضم الدال، وأنكره النحويون أجمعون، وقالوا دِرِّي، بالكسر والهمز جيد، على بناء فَعِيل، يكون من النجوم الدَّرَائِي التي تَدْرَأ، أي تنحط وتسير..». فقد جمع هنا بين وضع الحركات، والنص عليها، وعلى الحروف، وذكر الوزن مع ضبطه. أما أداء المعاني في لسان العرب فقد تنوعت أساليبه ومنها التفسير بالمرادف أو بالترجمة نحو: «الْمُدَارَاة: المخالفة والمدافعة» في ١ / ٧١، وفي ١ / ٧٨: «الدَّيْنِيَّة: النَّقِيسَة»، وفي ١ / ٨٧: «الرَّفَاء: الالتئام والاتفاق والبركة والنماء»، وفي ١ / ١٠٢: «الشَّنُوَّة: على فَعُولَة: التقزُّز من الشيء». وفي ١ / ١٢١: «الْفَرَاء: مهموز مقصور: حمارُ الوَحْش». وفي ١ / ١٣٩: «الكفاء: النظير والمساوي». وفي ١ / ١٥١: «اللَّبُّوَّة: الأُنثى من الأسود». وفي ١ / ٢٠٤: «الأَبُّ: الكلأ».

وفي ١ / ٢١٦: «التَّأْلِيْب: التحريض». «والتَّأْنِيْبُ: أشدُّ العَذْل، وهو التَّوْبِيْخ والتثريب». وفي ١ / ٢١٧: «التَّأْنِيْب: المبالغة في التَّوْبِيْخ والتعنيف... والأَوْب: الرجوع». وفي ١ / ٢٤١: «المثالب: العيوب». وفي ١ / ٢٤٤: «الثَّبة: الجماعة من الناس.. والثواب: جزاء الطاعة». وفي ١ / ٢٦٥: «الجَرْسَبُ: الطويل... الجَسْرَب: الطويل». وفي ١ / ٢٦٩: «الجَلْب والجَلْبَة: الأصوات، وقيل: هو اختلاط الصوت». وفي ١ / ٢٧٧: «الجَنِيْب: الغريب». وفي ١ / ٣١٠: «الحَيْزُبُون: العجوز». وفي ١ / ٣١٨: «الحَصْبَاء: الحصى». وفي ١ / ٣٥٠: «الحُرْشُب بالخاء: الطويل السمين».

وفي ١/٤٥٥: «السَّبُّ: الشَّتْم». وفي ١/٤٦١: «السَّحَابَةُ: الغَيْم». وفي ١/٤٦٧: «السَّرْحُوب: الطويل، الحسن الجسم». وفي ١/٤٩٣: «الشَّرْجَب: الطويل». وفي ١/٦٢٦: «العُطَاب: الدُّخَان، والقَلْب: الغبار». وفي ١/٦٥٣: «الغِيهَب: شدة سواد الليل». وفي ١/٦٧٨: «القَضْب: القطع». وفي ١/٦٨٩: «القليب: البئر لم تُطَو». وفي ١/٧٢١: «الكوكبة: الجماعة». وفي ١/٧٤٢: «اللُّغُوب: التعب والإعياء». وفي ١/٧٥٧: «النَّشْب: المال والعقار». وفي ١/٧٨٣: «الهُدْرِيَّة: كثرة الكلام في سرعة».

وقد يحتاج المدخل إلى تعريفه، والتعريف يكون عادة بالجمل وليس بالمفردة الواحدة كقوله في ١/٣٥ - بهأ: «البهأ بالفتح والمد: الناقة التي تستأنس إلى الحالب، وهو من بهأت به، أي أنست به، ويقال: ناقة بهاء». وفي ١/٦٢ - خبأ: «المُخْبَأة: الجارية التي في خدرها لم تتزوج بعد لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت». وفي ١/٧٤ - درأ: «الدَّرِيَّة: حَلَقَةٌ يَتَعَلَّم عليها الطعن، وقال أبو زيد: الدَّرِيَّة، مهموز: البعير: أو غيره الذي يستتر به الصائد من الوحش، يَخْتَلِ حتى إذا أمكن رميه رمى». وفي ١/٨١ - رَأأ: «الرُّأْرَاءُ تحريك الحَذَقَة وتحديد النظر».

وفي ١/١٠٧ - صبأ: «الصابئون: قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، بكذبهم. وفي الصحاح: جنس من أهل الكتاب، وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار، التهذيب، الليث: الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح، وهم كاذبون. وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ قد صبأ، عَنُوا أنه خرج من دين إلى دين».

وفي ١/١٥٥ - مرأ: «الْمَرِيء: مجرى الطعام والشراب، وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم الذي يجري فيه الطعام والشراب ويدخل فيه». وفي ١/٢٧٩ - جنب: «الجنبية: العليقة، وهي الناقة يعطيها الرجل القوم يمتارون عليها له».

وفي ١/٣٢٠ - حصب: «الحَصَب: الحَطَب الذي يُلْقَى في ثُور، أو في وقود، فأما ما دام غير مستعمل للِسُجُور فلا يسمى حَصَباً». وفي ١/٤١٦ - ردب:

«الإِرْدَبُ: مكيال ضخيم لأهل مصر، قيل: يضم أربعة وعشرين صاعاً». وفي ١ / ٤٣٢ - ركب: «المتراكب من القافية: كل قافية توالى فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين، وهي مُفَاعَلَتْنِ وَمُفْتَعِلُنْ وَفَعِلُنْ». وفي ١ / ٥٤٠ - ضب: «الضُّبَابَةُ: سحابة تُغَشِّي الأرض كالمدخان، والجمع: الضباب، وقيل: الضباب والضُّبَابَةُ: ندى كالغبار يغشي الأرض بالغدوات». وفي ١ / ٥٨٩ - عرب: «تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العربُ على منهاجها». وفي ١ / ٦٣٢ - عنكب: «العنكبوت: دُوَيَّةٌ تَنْسُجُ في الهواء وعلى رأس البئر، نسجاً رقيقاً مُهْلَهْلاً، مؤنثة وربما ذكّرت في الشعر، قال أبو النجم:

مما يُسَدِّي العنكبوت إذ خلا

وحين يعجزه الإتيان بالمعنى يلجأ إلى ذكر ما يضادّه أو يناقضه أو يخالفه كقوله في ١ / ٣٤ - بطأ: «الإبطاء نقيض الإسراع». وفي ١ / ٦٥ - خطأ: «الخطأ والخطأ: ضد الصواب». وفي ١ / ٧٥ - دفأ: «الدَّفْءُ والدَّفَأُ: نقيض حِدَّة البرد». وفي ١ / ٩٧ - ساء: «أساء الرجل إساءة: خلاف أحسن». وفي ١ / ٢٧٧ - جنب: «الجنابة ضد القرابة». وفي ١ / ٣٠٣ - حرب: «الحرب نقيض السلم». وفي ١ / ٣٥٥ - خصب: «الخصب: نقيض الجذب». وفي ١ / ٣٩٦ - ذوب: «الذوب: ضد الجمود». وفي ١ / ٥٢٣ - صعب: «الصَّعْبُ: خلاف السَّهْل، نقيض الذَّلُول». وفي ١ / ٥٢٧ - صلب: «الصَّلابة ضد اللين». وفي ١ / ٦٣٧ - غرب: «الغرب: خلاف الشرق». وفي ١ / ٦٤٨ - غضب: «الغضب نقيض الرضا». وفي ١ / ٦٦٢ - قرب: «القرب نقيض البعد». وفي ١ / ٦٦٣: «التقارب: ضد التباعد». وفي ١ / ٧٠٤ - كذب: «الكذب نقيض الصدق». وفي ١ / ٧٣٩ - لعب: «اللعب: ضد الجد».

وسخر كذلك جنساً دلاليّاً آخر وهو الاشتراك اللفظي لتحديد المعاني التي يمكن أن ترد للفظ الواحد ففي ١ / ٢٦ - بأبأ: «البُؤْبُؤُ: السيد الظريف الخفيف، قال الجوهري: البُؤْبُؤُ: الأصل، وقيل الأصل الكريم أو الخسيس، وقال شمر: بؤبؤ الرجل: أصله، وقال أبو عمرو: البُؤْبُؤُ: العالم المُعَلِّم. وفي المحكم: العالم. ويقال: البُؤْبُؤُ: إنسان العين. وفي التهذيب: عَيرَ العين وقال ابن خالويه: البُؤْبُؤُ بلا مدٍّ على مثال الفُفْلُ، قال: البُؤْبُؤُ: بؤبؤ

العين... وقال ابن خالويه: البُوَيْؤُ بغير مد: السَّيِّدُ». وفي ١ / ١١٥ - طناً: «الطَّنُّ: التُّهْمَةُ. الطَّنُّ: المترل، والطَّنُّ: الفجور. قال الفرزدق:

وضارية ما مرَّ إلا اقتسمته عليهنَّ خواص، إلى الطَّنِّ، مخشَفُ

وابن الأعرابي: الطَّنُّ: الرِّبِّيَّة، الطَّنُّ: البساط. والطَّنُّ: الميل بالهوى، والطَّنُّ: الأرض البيضاء، والطَّنُّ: الروضة، وهي بقية الماء في الحوض. وأنشد الفراء:

كأنَّ على ذي الطَّنِّ عَيْناً بَصِيرَةً

أي على ذي الريبة. وفي النوادر: الطَّنُّ شيء يتخذ لصيد السباع مثل الزُّبْيَةِ. والطَّنُّ في بعض الشعر: اسم للرماد الهامد. والطَّنُّ بالكسر: الريبة والتهمة والداء». وفي ١ / ٤٤٠ - ٤٤١ - روب: «الرُّوبَةُ: بقية اللبن المُرُوب... والرُّوبَةُ والرُّوبَةُ: خميرة اللبن الفتح عن كراع. ورُّوبَةُ اللبن: خميرة تُلقَى فيه من الحامض ليروب... والرُّوبَةُ في الأصل، خميرة اللبن، ثم يستعمل في كل ما أصلح شيئاً، وقد تهمز... والرُّوبَةُ والرُّوبَةُ والأخيرة عن اللحياني، حمام ماء الفحل، وقيل هو اجتماعه... ورُّوبَةُ الرجل: عقله... والرُّوبَةُ: الحاجة... والرُّوبَةُ: إصلاح الشأن والأمر، والرُّوبَةُ: قوام العيش، والرُّوبَةُ: الطائفة من الليل. ورُّوبَةُ بن العجاج مشتق منه، فيمن لم يهمز؛ لأنه ولد بعد طائفة من الليل.. وقيل: الرُّوبَةُ الساعة من الليل... والرُّوبَةُ: مكرمة من الأرض كثيرة النبات والشجر هي أبقى الأرض كلاً وبه سمي روبه بن العجاج كذلك روبه القَدَح ما يوصل به، والجمع رُوب. والرُّوبَةُ: شجر التُّلْك. والرُّوبَةُ: كُلوْبٌ يُخْرَج به الصيد من الجُحْر، وهو المِحْرُش، عن أبي العمثيل الأعرابي.»

وقد يبدأ بالمدخل في سياق لغوي مصحوباً بمشتقاته متبوعة بالمعنى الذي يجمعها كما في ١ / ٤٠ مادة جَسَأَ: «جَسَأَ الشيءَ يَجْسَأُ جُسُوءاً وجُسْأَةً، فهو جاسئ: صُلْبٌ وخَشَنٌ، وجبل جاسئ وأرض جاسئة ونبت جاسيء: يابس.. وجَسَأَتْ يده من العمل تَجْسَأُ جَسْأً: صُلِبَتْ.. وجَسَأَتْ يد الرجل جسُوءاً إذا ييست». وفي ١ / ٦٨ - مادة خلأت: «خلأت الناقة تَخْلَأُ خَلَأً وخِلَاءً بالكسر والمد، وخُلُوءاً وهي خُلُوء: بَرَكَتْ».

وفي ١ / ٩٥ - سلاً: « سَلَأَ السَّمَنُ يَسْلُوهُ سَلَأً وَاسْتَلَأَهُ: طَبَخَهُ وَعَاجَلَهُ فَأَذَابَ زَبْدَهُ ».

وفي ١ / ١٢١: « فَسَأَ: فَسَأَ الثَّوْبَ يَفْسُوهُ فَسَأً وَفَسَأَهُ فَتَفَسَأَ: شَقَّهُ فَتَشَقَّقَ ».

وفي ١ / ١٥٨ - ملاً: « مَلَأَ الشَّيْءَ يَمْلُؤُهُ مَلَأً، فَهُوَ مَمْلُوءٌ، وَمَلَأَهُ فَاَمْتَلَأَ، وَتَمَلَأَ، وَإِنَّهُ لَحَسَنُ الْمَلَأَةِ أَيِ الْمَلءِ. وَإِنَاءٌ مَلَّانٌ، وَالْأَنْثَى مَلَأَى وَمَلَّانَةٌ وَالْجَمْعُ مِلَاءٌ.. ».

ويلاحظ هنا أنه استغنى بذكر المشتقات عن ذكر المعنى، وهذا النمط متكرر ومنه مادة ترب في ١ / ٢٢٧: « التُّرْبُ والتُّرَابُ والتَّرْبَاءُ والتُّرْبَاءُ، والتَّوْبُّبُ، والتَّيْرَبُ، والتَّوْرَابُ، والتَّيْرَابُ، والتَّيْرِبُ والتَّيْرِبُ، والأخيرة عن كراع، كله واحد، وجمع التراب أتربة وتربان، عن اللحياني.. ». وتغلب الجملة الفعلية على السياقات اللغوية التي يبدأ بها المفردة أو المدخل المعجمي.

وقد تُساق المفردة المعجمية في جملة اسمية أيضاً كقوله في ١ / ٣٧ - مادة بؤأ: «هم بؤأ في هذا الأمر: أي أكفأ نظراء». وفي ١ / ٨٥ - مادة ردأ: « هذا شيء رديء بين الرداءة، ولا تقل رداوة، والرديء: المنكر المكروه ». وفي ١ / ١٢٥ - فاء: «إنه لسريع الفيء والفئمة، والفئمة الرجوع » وقد تكون الجملة الاسمية آية قرآنية كما في مادة سوأ - ١ / ٩٨: « قال الله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ أَلْسُوءٌ ﴾^(١)، أي الفساد والهلاك يقع فيهم»، وفي ١ / ٩٩: « قوله عز وجل: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ﴾^(٢) قال الزجاج: سوء الحساب أن لا يُقبلُ منهم حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة، لأن كفرهم أحبط أعمالهم ».

وقد تكون الجملة الاسمية حديثاً شريفاً كقوله في ١ / ٧ - مادة دأأ: « وفي الحديث: ليس عُفْرُ اللَّيَالِي كَالدَّآدِي، الْعُفْرُ: الْبَيْضُ الْمُقْمَرَةُ، وَالدَّآدِي: الْمَظْلَمَةُ لِاخْتِفَاءِ الْقَمَرِ فِيهَا ». وقد ترد الجملة الاسمية في صورة مثل عربي كقوله في ١ / ١٢١ - مادة فرأ: «الفرأ: حمار الوحش، وقيل الفتي منها، وفي المثل: كُلُّ صَيْدٍ فِي جَوْفِ الْفَرِّ ».

(١) ٩٨ - التوبة.

(٢) ١٨ - الرعد.

وقد يكون السياق اللغوي تركيباً غير إسنادي، وصفيّاً وإضافياً ومن السياقات الوصفية: في ١ / ٤٦ - مادة جزأ: « ظبية جازئة: استغنت بالرُّطْب عن الماء ». وفي ١ / ٥٦ - مادة حصاً: « رجل حنصاً: ضعيف ». وفي ١ / ٧٣ - مادة درأ: « كوكب دُرِّي، على فُعِيل، مندفع في مُضِيّه من المشرق إلى المغرب من ذلك ». وفي ١ / ٧٨ - مادة دنأ: « رجل دَنِيء ودانيء، وهو الخبيث البطن والفرج، الماجن ». ومن السياقات الإضافية كما في ١ / ٧٥ - مادة درأ: « دُرُوء الطريق: كسوره وأحقيقه ».

وفي ١ / ١٠٠ - مادة شطأ: « شاطئ النَّهر، جانبه وطرفه.. وشَطْءُ الشجر: ما خرج حول أصله ». وفي ١ / ١١٦: « ظِمُّ الحياة: ما بين سقوط الولد إلى وقت موته ».

وفي ١ / ١٧٢ - مادة نشأ: « قال الزجاج: ناشئة الليل ساعات الليل كلها.. قال أبو منصور ناشئة الليل: قيام الليل.. وقيل: ناشئة الليل أوله، وقيل كله ناشئة متى قمت فقد نشأت... ونَشِيئة البئر: ترابها المخرَج منها.. ».

ومن باب السياق لا نخرج حتى نذكر أنه كان يلجأ، لبيان المعاني التي تخرج إليها المفردة المعجمية، خاصة إذا كانت فعلاً، إلى استخدامات الفعل لازماً ومتعدياً بنفسه وبحروف الجر كما في ١ / ٩٢ - مادة زناً: زَنَّا الظلُّ يَزْنأ: قلص وقصُر ودنا بعضه من بعض قال ابن مقبل يصف الإبل:

وَتُولِجُ فِي الظِّلِّ الزَّناءَ رُؤوسَهَا وَتَحْسِبُهَا هِيماً، وَهِنَّ صَحَائِحُ

وَزَنّاً إِلَى الشَّيْءِ يَزْنأ: دنا منه. وزناً للخمسين زناً: دنا له...

وقد زَنَّا بَوَلِّهِ يَزْنأ زناً وزنوءاً: احتقن، وأزْنَاهُ هو إزْناء إذا حقنه. ومن هذا القليل في مثال آخر مادة سلاً في ١ / ٩٥: « سَلَأَ السَّمَنَ يَسْلُوهُ سَلّاً واستَلَّاهُ: طَبَخَهُ وعالجه فأذاب زُبْدَهُ. وسَلَأَ السَّمْسِمَ سَلّاً: عَصَرَهُ فاستخرج دُهْنَهُ. وسَلَأَهُ مائة درهم: نقده. وسَلَأَهُ مائة سَوَوطٍ سَلّاً: ضَرَبَهُ بِهَا. وسَلَأَ الجذْعَ والعَسِيبَ سَلّاً: نزع شوكههما... وسَلَأَ النخلةَ والعَسِيبَ سَلّاً: نزع سَلَاءَهما... والسَلَاءُ شوكة النخل ».

كذلك كثر في لسان العرب استعمال «أي» التفسيرية بين المفردة المعجمية ومعناها. وقد يسوق المفردة في جملة يفسرها بجملة أخرى بينهما أي، ومن أمثلة استخدام «أي»: في ١ / ٢٦ - في مادة بأبأ: «تأتانا أي أسرعنا». وفي ١ / ٢٧ - مادة بدأ: «بادي الرأي أي أول الرأي» وفي ١ / ٢٨: «بدء أي أولاً» وفيها أيضاً: «يقال فلان ما يديء وما يعيد أي ما يتكلم ببادئة ولا عائدة». وفي ١ / ٣٥ - مادة بها: «بهأت به أي أنست به». وفي ١ / ٣٦ - مادة بوا: «فلان حريص على الباءة أي على النكاح». وفي ١ / ٣٧: «هم بواء في هذا الأمر: أي أكفأ نظراء». وفي ١ / ٦٢ مادة خبا: «جارية مخبأة أي مستترة». وفي ١ / ١١١ - مادة ضبا: «اضطبات منه أي استحييت». وفي ١ / ١١٥ - مادة طنا: «وإنه لبعيد الطنء أي المهمة». وفي ١ / ١١٨ - مادة عبا: «ما أعبا بهذا الأمر أي ما أصنع به». وفي ١ / ١١٩ - مادة عدا: «وفي المثل: إن تحت طريقتك لعندأوة أي خلافاً وتعسفاً».

وكان السياق الشرطي في أداء المعنى من الأساليب اللافتة للنظر أيضاً فقد وردت بكثرة لا حصر لها، فقد يرد معنى المفردة المعجمية بعد إذ الشرطية كقوله في ١ / ٣٣: «استبرأ المرأة: إذا لم يطأها حتى تحيض». وفي ١ / ٣٥: «بكؤت الناقة: إذا قل لبنها». وفي ١ / ٤٠ - مادة تفا: «وتفي تفا: إذا احتد وغضب». وفي ١ / ٤٣ - مادة جبا: «يقال: جبا عليهم يجبا: إذا خرج». وفي ١ / ٥١ - مادة جنا: «الأصمعي: جناً يجناً جنوءاً: إذا انكب على فرسه يتقي الطعن، قال مالك بن نويرة:

ونجأك منّا بعدما ملّت جانها ورُمّت حياض الموت كل مرام

وفي ١ / ٩٣ - مادة سبا: «انسبأ هو وسبأته بالنار سبأ إذا أحرقت بها، وأنسبأ جلده: إذا تقشّر. وقال:

وقد نصل الأظفار وأنسبأ الجلد

وفي ١ / ١٣٦ - مادة كئأ: «وقد كئأ اللبن وكئع، يكئأ كئأ إذا ارتفع فوق الماء وصفا الماء من تحت اللبن». وفي ١ / ١٤٤ - مادة كفا: «وهبت له كفأة ناقي وكفأهما، تُضم وتفتح، إذا وهبت له ولدها ولبنها ووبرها سنة». وفي ١ / ٢٤٧ - مادة

ثَوَّب: « ويقال: ثَوَّب الداعي تَثْوِيًّا إذا عاد مرةً بعد أخرى، ومنه تثويب المؤذن إذا نادى بالأذان للناس إلى الصلاة، ثم نادى بعد التأذين فقال: الصلاة، رحمكم الله، الصلاة.. وقيل: إنما سُمِّي الدعاء تَثْوِيًّا من ثاب يثوب إذا رجع ». وفي ١ / ٢٦٥ - مادة جَرَشَب: « ابن شميل: جَرَشَبَت المرأة إذا وَلَّتْ وَهَرَمَتْ ». وفي ١ / ٣٢٣ - مادة حَظَب: « الأزهرى: رجلٌ حُظَبَةٌ حُزُقَةٌ إذا كان ضيقَ الخلق، وَرَجُلٌ حُظْبٌ أيضاً، وأنشد: حُظْبٌ، إذا ساءلته أو تَرَكتَه قَلَاكِ وإنْ أَعْرَضْتَ رَأَى وَسَمْعَا »

وفي ١ / ٣٢٣ - مادة حَظَرَب: « حَظَرَبَ قَوْسَه: إذا شَدَّ تَوْتِيرَهَا ». وفي ١ / ٤٤٧ - مادة زَرَب: « أَزَرَبَ البَقْلُ إذا بدا فيه اليبسُ بِحُضْرَةٍ وَصُفْرَةٍ... وَزَرَبَ الماءَ وَسَرَبَ إذا سَالَ ». وفي ١ / ٤٨٢ - مادة شَبَب: « وَرَجُلٌ مَشْبُوبٌ إذا كان أبيضَ الوجهِ أَسْوَدَ الشَّعْرَ، وَأَصْلُهُ من شَبَّ النارُ إذا أوقدها، فتَلَأَلَتْ ضياءً ونوراً ». ولا يخلو أداء المعاني في اللسان من تقصير كقوله في ١ / ١٠٤: « والشَّيْءُ: معلوم ». وفي ١ / ١١٢: « الضَّوْءُ والضَّوْءُ: بالضم: معروف ». وفي ١ / ١٢٨ - قَتَأ: « القَتَاءُ والقَتَاءُ، بكسر القاف وضمها، معروف ». وفي ١ / ٢٥٩ - جَرَب: « الجَرَبُ: معروف ». وفي ١ / ٣٢١ - حَطَب: « الحَطَبُ: معروف ». وفي ١ / ٣٥٠ - خَرَب: « الخَرُوبُ بالتشديد: نبت معروف ». وفي ١ / ٥٤٣ - ضَرَب: « الضَّرَبُ: معروف ». وفي ١ / ٦٩٨ - مادة كَتَب: « الكتاب: معروف ».

بعد أن فصَّلت القول في وسائل أداء المعنى في اللسان يجدر أن ألفت إلى عناصر نصِّ المعجمي الأخرى كالمعلومات اللغوية والثقافية مع أن ابن منظور قد فتح، بعد المقدمة وتفسير الحروف القرآنية المقطعة، باباً لألقاب الحروف ومخارجها وصفاتها وآخر للهمزة، كان يفتح باب كل حرف بحديث صوتي عن هذا الحرف وهو ما نوَّهت به في تقديمي للسان، فهذا الأمر شغل حيزاً مناسباً في نصِّ اللسان، ولكن المعلومات النحوية والصرفية واللهجية أخذت حيزاً أوسع من هذا النص، فلم يترك فرصة تتيح له أن يقول فيها شيئاً من النحو أو الصرف، إلّا فعلها ومن الأمثلة النحوية في ١ / ٣٢ - مادة برأ: « قوله عز وجل: براءة من الله ورسوله، قال: في رفع براءة قولان: أحدهما على خبر الابتداء، المعنى:

هذه الآيات براءة من الله ورسوله، والثاني براءة ابتداء، والخبر إلى الذين عاهدتم، قال: وكلا القولين حسن « ومنها أيضاً في ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ - مادة حَبَّ: « حَبَّذا: ومنه قولهم: حَبَّذا زيدٌ، فَحَبَّ فعل ماضٍ لا يتصرف، وأصله حُبَّ، على ما قاله الفراء، وذا فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جُعلاً شيئاً واحداً فصاروا بمترلة اسم يُرْفَعُ ما بعده، وموضعه رفع بالابتداء وزيد خبره، ولا يجوز أن يكون بدلاً من ذا؛ لأنك تقول: حبذا امرأة، ولو كان بدلاً لقلت: حَبَّذا المرأة، قال جرير:

يا حَبَّذا جبلُ الرِّيانِ من جَبَلٍ وحَبَّذا ساكنُ الرِّيانِ مَنْ كانا
وحَبَّذا نفحاتٌ من يَمَانِيَةٍ تأتيك، من قبل الرِّيانِ، أحياناً

قال أبو الحسن بن كيسان: حَبَّذا كلمتان جُعِلتا شيئاً واحداً، ولم تُعَيَّرا في تننية، ولا جمع، ولا تأنيث، ورُفِعَ بها الاسم، تقول: حَبَّذا زيدٌ، وحَبَّذا الزيدان وحَبَّذا الزيدون، وحَبَّذا هندٌ، وحَبَّذا أنتِ وأنتما، وأنتم، وحَبَّذا يُتَبَدُّ بها، وإن قلت: زَيْدٌ حَبَّذا، فهي جائزة، وهي قبيحة؛ لأنها حبذا كلمة مدح يُتَبَدُّ بها لأنها جواب.. وحَبَّذا في الحقيقة: فَعَلَ واسم، حَبَّ بمترلة نَعَم، وذا فاعل بمترلة الرجل.. «.

وقد تناول في حديثه السابق جانبي المفهوم النحوي وأقصد بذلك التركيب أو بناء الجملة، والإعراب.

والمسائل الصرفية كثيرة ومنها في ١ / ٦٧ - مادة خطأ: « الخطيئة على فعيلة: الذُّب، ولك أن تشدَّ الياء، لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واو ساكنة قبلها ضمة.. فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واواً، وبعد الياء ياء وتُدْغِم.. والجمع خطايا نادر، وحكى أبو زيد في جمعه خطائي بهمزتين على فعائل، فلما اجتمعت الهمزتان، قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة ثم استثقلت، والجمع ثَقِيل، وهو مع ذلك معتل، فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين... فتصير خطايا، وإنما أبدلوا الهمزة حين وقعت بين ألفين؛ لأن الهمزة محانسة للألفات، فاجتمعت ثلاثة أحرف من جنس واحد، وهذا الذي ذكرناه مذهب سيبويه «.

واقترضى تكامل العلاقة بين الصَّرف والنحو في العربية أن يورد صاحب اللسان نصوصاً تؤكد هذا المفهوم حين يتحدث عن أشياء، صرفياً بوصفها جمع شيء، وما يترتب على ذلك نحوياً من ناحية صرفها ومنعها من الصرف إذ يقول في ١ / ١٠٤: «الشيء... الجمع أشياء، غير مصروف، وأشياوات وأشياوات وأشايا وأشاي.. وقال اللحياني: وبعضهم يقول في جمعها: أشايا وأشايه... وأشياء: لفعاء عند الخليل وسيبويه وعند أبي الحسن الأخفش أفعلاء، وفي التتريل العزيز: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(١)، قال أبو منصور: لم يختلف النحويون في أن أشياء جمع شيء، وأنها غير مجرأة، واختلفوا في العلة فكرهت أن أحكي مقالة كل واحد منهم، واقتصرت على ما قاله أبو إسحاق الزجاج في كتابه لأنه جمع أقاويلهم على اختلافها واحتج لأصوبها عنده وعزاه إلى الخليل فقال قوله: لا تسألوا عن أشياء، أشياء في موضع الحذف، إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف».

ومن الجوانب اللغوية التي نالت عناية ابن منظور في اللسان، لهجات العرب قديماً وأولها المستوى الصوتي كالهمز بتسهيله وتحقيقه كقوله في ١ / ٣١ - برأ: «والبريئة: الخلق، وأصلها الهمز، وقد تركت العرب همزها، ونظيره النبي والذرية، وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب، يهمزون البريئة والنبي والذرية، من ذرأ الله الخلق، وذلك قليل.. وقال اللحياني: أجمعت العرب على ترك همز هذه الثلاثة، ولم يستثن أهل مكة».

وقد يكون الحديث في المستوى الصوتي الصرفي، وأقصد حركات البنية الصرفية كقوله في ١ / ٣١ - برأ أيضاً: «أهل العالية يقولون: برأت أبرأ برءاً وبروءاً، وأهل الحجاز يقولون: برأت من المَرَضِ برءاً بالفتح، وسائر العرب يقولون: برئت من المرض... وغير أهل الحجاز يقولون: برئت، بالكسر؛ برءاً بالضم». وفي ١ / ١٢٠ - مادة فتأ: «روي عن أبي زيد قال: تميم تقول أفْتَأْتُ وقيس وغيرهم يقولون: فَتَتُّ». وفي ١ / ٢٣٣ - توب: «قال القاسم بن معين: لم تختلف لغة قريش والأنصار.. إلا في التابوت، فلغة قريش بالتاء، ولغة الأنصار بالهاء».

(١) ١٠١ - المائدة.

المعربات التي ذكرها في ١ / ٢٦١ - مادة جرب: « جَرَبَان الدرع والقميص: جيبه وقد يقال بالضم وهو بالفارسية كَرِيَان.... فارسي معرَّب ». وفي ١ / ٢٦٣: « الجَوْرَب: لفافة الرَّجُل، مُعَرَّب وهو بالفارسية كَوْرَب، الجمع جَوَارِبَة، زادوا الهاء لمكان العُجْمة ». وفي ١ / ٤٧٩ - مادة سيب: « السَّيْب: التفاح، فارسي، قال أبو العلاء، وبه سُمِّي سيبويه: سيب التفاح، وَوَيْه رائحته، فكأنه رائحة التفاح ». وفي ١ / ٢٧٤ - مادة جلب: « والجُلَّابُ: ماء الورد، فارسي معرَّب.. قال أبو منصور أراد بالجلَّاب ماء الورد، وهو فارسي معرَّب، يقال له جلّ وآب ».

وفي ١ / ٣٧٧ - مادة دلب: « والدُّولاب والدَّوْلَاب كلاهما واحد الدَّواليب، وفي المحكم: على شكل الناعورة، يُسْتَقَى به الماء، فارسي معرَّب.. » وما يظهر لي أنه كان لديه خبرة بالفارسية أكثر من غيرها.

كذلك كان للعروض حظٌّ وافر في نص اللسان، بتأثير من التهذيب والصاح والمحكم، على ما يبدو ومن أمثلته في اللسان ما جاء في ١ / ١٤٢ - ١٤٣ مادة كفاء: « أَكْفَأُ في الشعر، خالف بين ضروب إعراب قوافيه، وقيل: هي المخالفة بين هجاء قوافيه، إذا تقاربت مخارج الحروف أو تباعدت. وقال بعضهم: الإكفاء في الشعر هو المعاقبة بين الراء واللام والنون والميم. قال الأخفش: زعم الخليل أن الإكفاء هو الإقواء. قال: وسألت العرب الفصحاء عن الإكفاء، فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر البيت والاختلاف من غير أن يُحْدُوا في ذلك شيئاً، إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف، فأنشدته:

كَأَنَّ فِي قَارورة لم تُعْفَصِ
منها، حجاجاً مُقْلَةً لم تُلْخَصِ
كَأَنَّ صِيرَان المَهَا المنْقَرِ

فقال: هذا هو الإكفاء. قال: وأنشد آخرُ قوافي على حروف مختلفة، فعابه، ولا أعلمه إلا قال له: قد أَكْفَأْتُ. وحكى الجوهري عن الفراء: أَكْفَأُ الشاعر إذا خالف بين حركات الرَّوِيِّ، وهو مثل الإقواء.... قال الأخفش: وبالجملَة فإن الإكفاء المخالفة.. وفي حديث النابغة أنه كان يُكْفِيءُ في شعره، هو أن يخالف بين حركات الرَّوِيِّ رفْعاً ونصباً وجراً، قال: وهو الإكفاء، وقيل: هو أن يخالف بين قوافيه، فلا يلزم حرفاً واحداً ».

ومن أمثلة الحديث في العروض كذلك ما ورد في ١ / ٤٣٢ - مادة ركب: «المُتْرَاكِب من القافية: كل قافية توالَتْ فيها ثلاثة أَحْرُف متحركة بين ساكنين، وهي مُفَاعَلَتُنْ وَمُفْتَعَلُنْ وَفَعْلُنْ لَأَن فِي فَعْلُنْ نَوْنًا ساكنة، وآخر الحرف الذي قَبْلُ فَعْلُنْ نون ساكنة، وفَعْلٌ إذا كَانَ يعتمد على حَرْفٍ متحرك نحو فَعُولُ فَعِلْ، اللام الأخيرة ساكنة، والواو في فَعُول ساكنة».

ونالت الأعلام كذلك نصيبها من التعريف في لسان العرب، سواء أكانت هذه الأعلام أسماء رجال أو بلدًا أو جبالاً وغيرها ومن ذلك في ١ / ٩٤ - سبأ: «وسبأ: اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن، يُصْرَف على إرادة الحي، ويترك صرفه على إرادة القبيلة، وفي التثنية: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾^(١) وكان أبو عمرو يقرأ لِسَبَأً، قال:

من سَبَأٍ الحاضرين مأرب، إذ يبنون من دون سبيلها، العرما

وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، يُصْرَف ولا يصرف، ويمد ولا يُمد. وقيل: اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس، وقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٌ رَقِيقٌ﴾. قال الزجاج: سبأ هي مدينة تُعرف بمأرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال،... وفي الحديث ذكر سبأ قال: هو اسم مدينة بلقيس باليمن، وقالوا: تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ، فبنوه... وضرب العرب بهم المثل في الفرقة..». ومن الأعلام الرجال أيضاً ما ذكره في ١ / ٦٢٣ - عقب: «ويعقوب: اسم إسرائيل أبي يوسف عليهما السلام، لا ينصرف للعجمة والتعريف..». ومن أعلام الجبال عند العرب أجأ في ١ / ٢٣ - مادة أجأ: «أجأ على فَعَل بالتحريك: جبل لطيف يذكّر ويؤنث، وهناك ثلاثة أجبل: أجأ وسلَمَى والقوْجاء، وذلك أن أجأ اسم رجل تعشّق سلمى وجمعتهما العوجاء، فهرب أجأ بسلمى وذهبت معها العوجاء فتبعهم بَعْلُ سلمى فأدركهم وقتلهم، وصلب أجأ على أحد الأجبل، فسمي أجأ وصلب سلمى على الجبل الآخر، فسمي بها وصلب العوجاء على الثالث فسمي باسمها قال:

إذا أجأ تلفعت بشعافها علي وأمسّت بالعماء مُكَلَّلَه
وأصبحت العوجاء يهتز جيدها كجيد عروسٍ أصبحت مُتَبَدَّلَه

وهكذا كان يذكر العلم وحكايته في التاريخ والتراث ووضع الصوفي والنحوي في اللغة.

أما الاستشهاد بآراء العلماء، والاحتجاج بمصادر اللغة فقد امتلأت منهما صفحات اللسان، ولقيا من ابن منظور العناية الكافية بل الزائدة فقد كان الرجل ثقة وأميناً في توثيق ما ينقله أو يحتج به من آراء، فقد زخر نص اللسان بأسماء من احتج برأيهم من العلماء واللغويين أذكر منهم حسب ورودهم في نص مقتطف من اللسان في ١ / ٢٤ - مادة ألاء: «أَلَاءُ كُ شَجَر، ورقه وحَمَلُه دَبَاغٌ، يُمدُّ ويُقَصَّر، وهو حسن المنظر، مُرُّ الطعم، ولا يزال أخضر شتاءً وصيفاً، واحدته آلاءة بوزن أَلَاعِه، وتألّفه من لام بين همزتين. أبو زيد: هي شجرة تشبه الآس لا تغيّر في القيط، ولها ثمرة تشبه سنبُل الدُرّة ومنبتّها الرمل والأودية... وروى ثعلب: إهابٌ مألٍ: مدبوغ بالألاء. وآء: على وزن عاع: شجر، واحدته آءة. وفي حديث جرير: بين نخلة وضالّة وسِدْرَة وآءة. الآءة بوزن العاعة، وتجمع على آء بوزن عاع: هو شجر معروف. ليس في الكلام اسم وقعت فيه ألف بين همزتين إلاّ هذا، هذا قول كُرَاع، وهو من مراتع النعام، وتصغيرها أُوَيّاءة، وتأسيس بنائها من تأليف واو بين همزتين... قال ابن برّي: والدليل على أن أصل هذه الألف التي بين الهمزتين واو قولهم في تصغير آءة: أُوَيّاءة » ولا أحصيهم عدداً ولكن يمكنني أن أذكر دون ترتيب تاريخي من ترددت أسماءهم عند تقليب صفحات اللسان كأبي عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه والكسائي والأخفش والفراء والأصمعي وابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي عبيد وابن السكيت والمبرد وأبي عثمان المازني والزجاج وأبي علي الفراسي وابن جني وابن الأنباري هذا غير الأزهري والجوهري وابن سيده وابن بري وابن الأثير أصحاب المعاجم التي استقى ابن منظور مادته منها.

أما مصادر الاحتجاج التي اعتمدها ابن منظور فهي القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب ونثرهم. وقد فاق الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف غيره من المصادر، فيندر أن تخلو صفحة من اللسان من حديث، للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه.

فكانه قام بنثر أو توزيع أحاديث كتاب: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير على صفحات اللسان، وعبارته التي تسبق احتجاجه قوله: وفي الحديث كقوله في ١ / ٦٨ - مادة خلأ: «وفي الحديث: أن ناقة النبي ﷺ، خلأت به يوم الحديبية، فقالوا: خلأت القصواء...». أو يقول وفي حديث ابن عباس ٦٦/١، أو في حديث أم زرع ١ / ٦٩، أو في حديث أبي هريرة ١ / ٦٩ رضي الله عنه: «وَبَرَّ تَدَادًا مِنْ قَدُومِ ضَانٍ أَيْ أَقْبَلَ عَلَيْنَا مُسْرِعًا» أو في حديث ابن مسعود، أو وفي الحديث أن النبي ﷺ قال... أو روي في الحديث أن النبي ﷺ...

وكان للقرآن الكريم وقراءاته النصيب الوافر في لسان العرب، وغالباً ما يقول عند الاستشهاد بآية قرآنية: وقال الله تعالى، أو وفي التثنية العزيز، أو قال الله عز وجل، وقوله تعالى. أو وقال سبحانه، أو وقال عز من قائل. ومن شواهد ذلك في ١ / ٩٨: «قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾»^(١)، أي الفساد والهلاك يقع بهم... وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو: دائرة السوء بضم السين ممدودة في سورة براءة وسورة الفتح، وقرأ سائر القراء السوء بفتح السين في السورتين.

أما الشعر فكان له نصيب الأسد أيضاً في الاحتجاج به، وتنوع الاستشهاد به؛ فقد يحتج بالشعر للاستدلال على لفظ أو علم جغرافي كما في ١ / ٢٣ - مادة أجأ - للاحتجاج على وجود ثلاثة جبال: أجأ وسلمى والعوجاء:

إذا أجأ تلفعت بشعافها علي وأمست بالعماء مكلله
وأصبحت العوجاء يهتز جيدها كجيد عروسٍ أصبحت متبدله

أو يحتج به على اسم نبات كشجر الآلاء بقوله في ١ / ٢٤: قال ابن عتمة:
فخر على الآلاء لم يؤسد كأن جبينه سيفٌ صقيلٌ

وقد يكون للاحتجاج على لفظ دال على زمن معين كلفظ البراء أول يوم في الشهر كقوله في ١ / ٣٣: « ليلة البراء: في الصباح البراء، بالفتح: أول ليلة من الشهر؛ قال:

يا عَيْنُ بُكِّي مالِكاً وَعَبَساً يَوْمًا، إذا كان البراء نحساً »

وقد يكون للاحتجاج على إطلاق لفظ على شخص ليكون اسماً له كقوله في ٤٧/١ - « وأبو جزء: كنية، وجزء بالفتح: اسم رجل قال حَضْرَمِي بن عامر:

إِنْ كُنْتَ أَزْنَتْنِي بِهَا كَذِباً جزء، فلا قَيْتُ مِثْلَهَا عَجَلاً »

وقد يحتج بيت من الشعر على مسألة صرفية، والمسائل الصرفية كثيرة في العربية، كالاحتجاج لصيغة الجمع كقوله في ٣٤/١ - مادة بطاء: « وهو بطيء.. والجمع بطاء، قال زهير:

فَضْلُ الْجِيَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ، فلا يُعْطِي بِذَلِكَ مَمْنُوناً وَلَا نَرْقَا »

أو لإثبات صيغة فعلية كقوله في ١ / ١٧٨ « ناء الرجل مثل ناع، كناية، مقلوب منه إذا بُعد، أو لغة فيه، أنشد يعقوب:

أَقُول، وقد ناءت بهم غُرْبَةُ النوى نوى خَيْتُغُور، لا تَشْطُ دِيَارُكَ »

وقد يُستشهد بالشعر على صيغة اسم المفعول كما في ١ / ١٩٢: « الموداة: المهلكة والمفازة وهي في لفظ المفعول، وأنشد شمر للراعي:

كَائِنْ قَطَعْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ مُودَاةٍ كأنَّ أَعْلَاقَهَا، فِي آلِهَاءِ الْقَزَعِ »

وقد يحتج بالشعر على صيغة صرفية دالة على اسم صوت ضحك الإنسان أو اسم صوت دعاء الإبل إلى علفها كقوله في ١ / ١٧٩ - « الهأهأة: دعاء الإبل إلى العلف، وهو الضحك العالي، وهأهأ إذا قَهَقَهَ وأكثر المدّ وأنشد:

أَهْأَهْأَ، عند زاد القوم، ضَحْكُهُمْ وأنتم كُشِفَتْ، عند اللقا، خُور؟

..... ورجل هأهأ وهأهأ من الضحك، وأنشد:

يا رُبَّ يِضَاءٍ مِنَ الْعَوَاسِجِ هَاهُأَ، ذاتِ جَبِينِ سَارِجِ »

وفي ١ / ٥١٤ - مادة شيب: « والشَّيب، بالكسر، حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب، قال ذو الرمة، ووصف إبلاً تشرب في حوضٍ مُثَلَّم، وأصوات مشافرها شيبٌ شيبٌ: تَدَاعَيْنِ، باسم الشَّيبِ في مُثَلَّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسَلَامٍ »
وقد يحتج بالشعر على صيغة نحوية أقصد تركيباً له دلالة خاصة نحو ما جاء في ١ / ١٨٩: « يا هَيَّءَ مالي: كلمة أَسَفٍ وتَلَهُّفٍ، قال الجُمَيْحُ بن الطَّمَّاح الأسدي، ويروي لنا نافع بن لقيط الأسدي:

يا هَيَّءَ مالي ؟ مَنْ يُعَمَّرُ يُفْنِيهِ مَرُّ الزَّمانِ عَلَيْهِ، وَالتَّقْلِيْبُ »

وما جاء في ١ / ٢٩١ - مادة جَبَّ: « حبذا.. أصله حُبْتُ على ما قاله الفراء، وإذا فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جُعِلَ شيئاً واحداً فصار بمتزلة اسم يُرْفَعُ ما بعده وموضعه رفع بالابتداء، وزيد خبره، ولا يكون أن يكون بدلاً من ذا، قال جرير:

يا حبذا جَبَلُ الرِّيانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا ساكِنُ الرِّيانِ مِنْ كانا
حبذا نَفَحَاتُ مِنْ يمانِيَةٍ تأتيك مِنْ قَبْلِ الرِّيانِ أحياناً »

وقد يحتج بالشعر على ظاهرة عروضية كقوله في ١ / ٤٦: « المجزوء من الشعر ما حذف منه جزءان أو كان على جزئين فقط.. التهذيب: والمجزوء من الشعر: إذا ذهب فعل كل واحد من فواصله:

أَصْبَحَ قَلْبِي صُـرْدا لا يـــــــشْتَهِي أن يـــــــردا

ذهب منه الجزء الثالث من عجزه ».

وأما الاحتجاج بالشعر على دلالات الألفاظ فهو الأساس في الاستدلال به، وهو الأمر الذي لا يحتاج إلى البرهنة عليه فأمثلته منشورة ومتفرقة في صفحات اللسان.

لقد حاول الالتزام بحدود الاحتجاج الزمانية والمكانية التي افترضها اللغويون العرب، ولكنه تقيّد بالدرجة الأولى باحتجاج المعاجم التي أخذ معجمه منها كالتهذيب والصحاح والمحكم والنهاية في غريب الحديث وحاشية ابن بري الذي احتج بشعر بشار بن برد، وأورد اللسان ما ذكره ابن بري بقوله في ١ / ٣١: « قال ابن بري لم يذكر

الجوهري برأت أبرؤ بالضم في المستقبل. قال: وقد ذكره سيويه وأبو عثمان المازني وغيرهما من البصريين، قال: وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم لحن بشار بن برد في قوله:
نَفَرِ الْحَيُّ مِنْ مَكَانِي، فَقَالُوا فَرَزِ بَصْرٍ لَعَلَّ عَيْنَكَ تَبْرؤُ

وغالباً ما يذكر اسم الشاعر نحو قوله: قال جرير، قال ابن غنمة، قال زهير بن أبي سلمى، قال الكميت، قال أبو النجم، قال سلامة بن جندل، قال الكميت، وقول لبید وقول صخر الغي يمدح، قالت لیلی الأخيلية، وقول التغلي، قال مفروق بن عمرو الشيباني يرثي اخوته، وأنشد أبو زيد، وأنشد (أي الليث) لأبي ذؤيب: قال العجاج يصف الأثافي، قال أسماء بن خارجة يصف ذئباً.. قال عدّي بن زيد العبّادي يصف جارية، قال الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فأجابه أبو المثلّم، وأنشد الأخفش لعامر بن الطفيل، وقال حوَّاس بن لُقَيْم الضَّبِّي يهجو وقد نسبه ابن القطاع لحوَّاس بن القُعطَل وليس له، قال أبو منصور.. وأنشد قول زهير ومنه حديث العباس بن مرداس (ثم يذكر بيتاً من الشعر)، ومنه قول المثقّب العبدي، قال: وأنشدني بعض بني كلاب، قال إبراهيم بن هرمة، أمّا سَمِعَ قول ذي الرمة، وقالت امرأة من العرب، وفي شعر العباس، فأما قول ابن أصرم، وشاهده قول نُهَيْك بن أساف الأنصاري... الخ. ولكنه قد يغفل اسم الشاعر وله صيغ مختلفة في ذلك ومنه: قال، قال الشاعر، وقول الشاعر، قال يصف وحشاً، وقوله..، ومنه قوله، ومنه قول الآخر، وقال الآخر، ويُروى، وأنشد، وأنشد ثعلب، قال الراجز.. وهكذا.

وأما أقوال العرب وحكمهم وأمثالهم فقد نالت نصيبها كذلك من الاحتجاج ومن أمثلة ذلك في مادة درأ - تدارأ ١ / ٧١ - احتج للتداري بقوله: « وقال بعض الحكماء: لا تتعلموا العلم لثلاث ولا تتركوه لثلاث: لا تتعلموه للتداري ولا للتماري ولا للتباهي، ولا تدعوه رغبة عنه ولا رضا بالجهل، ولا استحياء من الفعل له .. والأصل في التداري التدارؤ، فترك الهمز ونُقل الحرف إلى التشبيه بالتقاضي والتداعي ».

وفي ١ / ٧٣: « قال أبو عمرو بن العلاء سألت رجلاً من سعد بن بكر من أهل ذات عرق، فقلت: هذا الكوكب الضخم، ما تسمونه ؟ قال: الدّرّيء، وكان من أفصح الناس ».

وفي ١ / ٧٨ - دنأ: « والعرب تقول: إنّه لدَنِيٌّ في الأمور، غير مهموز، يتبع خساسها وأصاغرّها ».

٣-٦-٤ القاموس المحيط^(١) للفيروزآبادي (ت ٨١٦ هـ)

والفيروزآبادي هو العلامة مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الذي ينتهي نسبة إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الشيرازي، وفيروزآباد بلد أبيه وجده، أحب السفر وطلب العلم ومن أجله انتقل من مسقط رأسه كارزين إلى شيراز ثم تركها إلى بغداد وارتحل إلى الشام وأقام بالقدس ومنها إلى القاهرة، وبعدها قصد مكة المكرمة ومنها إلى دهلي الهندية، واستقر به المقام في اليمن التي دخلها عام ٧٩٦ هـ في ظل السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس الذي زوجه ابنته وعينه قاضي القضاة، تزود في هذه الرحلة بما استطاع من علوم الدين واللغة وأظهر نبوغاً وتفوقاً ظهرت آثارهما في مؤلفاته ومصنفاته في التفسير والحديث والتاريخ واللغة.

ومن هذه المؤلفات معجم القاموس المحيط، أي البحر الأعظم كما يصرح في الصفحة الثانية من مقدمته، ويقصد بذلك المحيط بلغة العرب التي فات صحاح الجوهري نصفها على حد قوله وذلك بأنه شرع في وضع كتاب جامع لفصح اللغة وشواردها باسم (اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعباب) يقصد محكم ابن سيده وعباب الصاغاني مع ما ضمّه إليهما من زيادات، وقدّر أن يصل إلى ستين سِفرًا أو جزءاً، قد يعجز الطلاب تحصيله، وسئل أن يختصره مع الإلتزام بمباني اللغة ومعانيها وكما يقول جـ ١ ص ٢: « وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد، مطروح الزوائد، مُعَرَّباً عن الفُصَح والشوارد، ولخصت كل ثلاثين سِفرًا في سفره، وضمّنته خلاصة ما في العباب والمحكم، وأضفت إليه زيادات من الله تعالى بها وأنعم » الذي أتمه بمكة المكرمة كما يذكر في آخر الجزء الرابع / ص ٤١٥: « وقد يسّر الله تعالى إتمامه بتمتلي على الصفا بمكة المشرفة تجاه الكعبة المعظمة زادها الله تعالى تعظيماً وتشريفاً » ويهديه في زيب إلى السلطان الملك الأشرف إسماعيل بقوله جـ ١ / ص ٦: « فأتحفت مجلسه العالي (مجلس الملك الأشرف)

(١) القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر -

بهذا الكتاب، الذي سَمَّا إلى السماء لما تسامى، وأنا في حَمْلِهِ إلى حضرتِهِ وإن دُعِيَ بالقاموس كحامل القطر إلى الدَّأْماء.. » والدَّأْماء من أسماء البحر.

والقاموس المحيط هو الحلقة الرابعة في مدرسة التقفية أي رَتَّب المداخل المعجمية حسب ترتيب معجم الصحاح للجوهري، ويبدو أنه أراد أن يصنّف معجماً يفوق الصحاح، في مادته ومن أجل أن يكون هذا التفوق واضحاً وملموساً ويمكن العثور عليه بسهولة ارتأى الفيروزآبادي أن يرتب معجمه على نسق الصحاح، وهي طريقة الباب والفصل التي بيّنها في بيتين من الشعر وجدهما الهوريني في هامش نسخة المؤلف وبخط يده؛ ونقلهما (أي الهوريني) في ديباجته على القاموس وهما:

إذا رُمْتُ في القاموس كشفاً للفظه فأخرها للباب والبدء للفصل
ولا تعتبر في بدئها وأخيرها مزيداً ولكن اعتبارك بالأصل

أي رتب المداخل المعجمية حسب جذورها وجعل لأواخرها أبواباً ولأوائلها فصولاً لهذه الأبواب؛ دون النظر إلى الزوائد من حروف هذه المداخل؛ معنى ذلك أنه فتح ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء العربية وجعل في كل باب ثمانية وعشرين فصلاً بعدد الحروف نفسها، وبالطبع أولها باب الهمزة الأصلية التي يفترض أن تكون لام الكلمة باصطلاح الصرفيين ويكون الفصل الأول فيها أوله أو فاؤه همزة أصلية أيضاً، والثاني يكون من المداخل فاؤه باء والثالث فاؤه تاء وهكذا حتى يصل إلى الياء، وهذا هو الأصل ولكن هناك من الأبواب ما كانت فصوله أقل من ذلك فباء الحاء مثلاً فيه ثلاثة وعشرين فصلاً دون الحاء والظاء والعين والغين والهاء، وباب الحاء ستة وعشرون فصلاً دون الحاء والغين، وباب الذال يخلو من فصول التاء والضاد والظاء والياء، وباب الزاي دون فصول التاء والضاد والظاء والياء، وباب السين دون فصول التاء والظاء وأقل الأبواب فصولاً هو باب الظاء الذي خلا من فصول التاء والثاء والذال والزاي والسين والضاد والضاد والطاء والظاء والهاء. ولا تفسير لذلك سوى أن هذا الناقص هو من قبيل المهمل في اصطلاح الخليل.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن هذه الطريقة في ترتيب المداخل روعي فيها الحرف الثاني في الثلاثي، والحرفان الثاني والثالث في الرباعي، فنَدَر مثلاً قبل نَدَر، وعَرَبَد قبل عَسَجَد. كما أن المادة الثلاثية مقدّمة على ما كانت مادته رباعية أو خماسية فحنت مثلاً قبل حَنَبَتْ في باب الثاء فصل الحاء.

ويحسن الآن أن أنتقل إلى عناصر النص المعجمي عند الفيروز آبادي، وأبدأ بعنصر الضبط الصوتي بالحركات الذي يطالعه القارئ في كل كلمة من كلمات القاموس المحيط، وأقصد بذلك المداخل وشروحها ولم يكتف بذلك بل كان يزيد عليها النص على الحركة وعلى الشدّة، والقصر والمد والهمز مع ذكر المثال المشهور إذا لزم كقوله في باب الهمزة فصل الياء ٣٦/١: «الْيُرْتَأ: بضم الياء وفتحها مقصورة مُشدّدة النون، والْيُرْتَأ بالضم والمد الحنّاء، وَيُرْنَا صَبَغَ به كحَنّا، ابن برّي إذا قلت اليرتأ بفتح الياء همزت لا غير، وإذا ضمنت جاز الهمز وتركه» وأما المثال فمثل يرايا كخطايا ٨/١ والجرأة كالجرعة ١٠/١ ويكثر من قوله كَمَنَعَ وجَعَلَ. ولم يَفْتِ الفيروز آبادي أن يبين معالم منهجه في الضبط بقوله في مقدّمة القاموس ٤/١: «ومن بديع اختصاره (أي القاموس المحيط)، وحسن ترصيع تقصاره: أني إذا ذكرت صيغة المذكر أتبعها المؤنث بقولي وهي بهاء، ولا أعيد الصيغة، وإذا ذكرت المصدر مطلقاً أو الماضي بدون الآتي (أي دون المضارع) فالفعل على مثال كَتَبَ، وإذا ذكرت آتية بلا تقييد فهو على مثال ضَرَبَ، على أني أذهب إلى ما قال أبو زيد إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فَعَلْ فأتت في المستقبل (يقصد في المضارع) بالخيار إن شئت قلت يفْعَل بضم العين، وإن شئت قلت يفْعِل بكسرهما، وكل كلمة عرّيتها عن الضبط فإنها بالفتح... وما سوى ذلك فأقيده بصريح الكلام... مكتفياً بكتابة ع د ج م عن قولي موضع وبلد وقرية والجمع ومعروف» ويمكن وضع أهم معالم الضبط التي نصّ عليها في نقاط هي:

- التزامه بوضع الحركات من غير الفتحة على الحروف في بنية الكلمة أما المحرّك من الحروف بالفتح فيتركه دون ضبط.

- ومن اختصاره استغناؤه بالرموز الآتية عوضاً عن التصريح بالكلام فالموضع:
ع، والبلد: د، والقرية: هـ، والجمع: ج، ومعروف: م.
 - أنه إذا ذكر الفعل دون مضارعه يكون هذا الفعل على مثال كَتَبَ، أي مضارعه مضموم العين مثل يَكْتُبُ، إذا ذكر مضارع الفعل دون تقييد لحركة عينه فهو على مثال ضرب أي مضارعه مكسور بالعين على مثال يضربُ.
 - الأفعال على وزن فَعَلَ قد يكون مضارعها على وزن يَفْعُلُ أو يَفْعِلُ.
- أما العنصر الأهم في النص المعجمي، وهو مسوِّغ وضع المعجم، أقصد بذلك تأدية معاني المداخل، وأول ما يلاحظ في هذا السياق أنه كان يبدأ بأحد مشتقات المادة فإذا بدأ بالفعل فإنه يبين معناه ثم يتبعه ببقية المشتقات نحو خَضِبَ في ٦٤/١: « خَضِبَهُ يَخْضِبُهُ لَوْنُهُ كَخَضْبِهِ، وكف وامرأة خَضِيبٌ وَبَنَانٌ مَخْضُوبٌ وخَضِيبٌ ومَخْضَبٌ كَمُعْظَمٍ، والخاضبُ الظِّلِم.. وخَضَبَ الشَّجَرُ يَخْضُبُ كَسَمِعَ وَعُغِي خُضُوباً واخْضَوْضَبَ اخْضَرَّ والنخلُ خَضَباً اخْضَرَّ طَلْعُهُ، واسم تلك الخُضْرَةِ الخَضْبُ ج خُضُوبٍ، والأرض طَلَع نباتها كأخْضَبَتِ والخَضْبُ الحديد من النبات يُمَطَرُ فَيَخْضَرُ كَالخُضُوبِ كَصَبُور.. ». وقد يحدث هذا الأمر مع المصدر كقوله في ٦٥/١: « الخَطْبُ الشَّانُ والأمر صَعُرَ أو عَظُمَ ج خطوط، وخطَبَ المرأةَ خَطْباً وخطبةً وخطِيبٍ بكسرهما واختطَبَها وهي خطبُه وخطبَتُه وخطِيباهُ وخطِيبَتُه وهو خطبُها بكسرها وبضم الثاني ج أخطاب وخطِيبُها كسكَّيت ج خطِيبون ويقول الخاطِبُ خطب بالكسر ويُضَمُّ فيقول المخطوب نَكَحَ ويُضَمُّ.. ». وقد يؤخر المشتقات بعد بيان المعاني التي ترد للمفردة المعجمية نحو قوله في ٧٧/١: « الرقيب الله والحافظ والمنتظر والحارس وأمين أصحاب الميسر أو الأمين على الضريب والثالث من قداح الميسر، ونجم من نجوم المطر يراقب نجماً آخر وفرس الزبرقان بن بدر وابن العم، وحيّة خبيثة ج رقيات ورُقَب بضميتين، وخلف الرجل من ولده وعشيرته، والنجم الذي في المشرق يراقب الغارب أو منازل القمر كل منها رقيب لصاحبه.. » ويبدأ بعد ذلك ببيان المشتقات ويبيّن معانيها. ولا بد من الإشارة كذلك إلى ما تميز به شرحه لمعاني المفردات من إيجاز واختصار فكن صنيعة في بيان المعاني كما وصفه في مقدمته ٢/١-٣:

« من حسن الاختصار، وتقريب العبارة وتهذيب الكلام وإيراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة.. »، ولبيان ذلك علينا أن نضع أيدينا على ما تيسر له من أساليب في أداء المعاني كالترجمة أو الترادف والتضاد والاشتراك اللفظي والتعريف وغيرها وأبدأ بأداء معاني المفردات عن طريق وضع مرادفاتهما بعدها مباشرة ومن ذلك في باب الهمزة — فصل الجيم ١٠/١: « الجزء البعض ويفتح » وفي فصل الحاء ١٣/١: « الحمأة الطين الأسود المتن » وفي فصل الدال ١٥/١: « الداء المرض ج أدواء ». وفي فصل الضاد ٢١/١: « الضوء: النور ويضم ». وفي فصل العين ٢٣/١: « العيب بالكسر: الحمل والثقل من أي شيء » وفي ٣٣/١ — فصل الواو: « الوضأة: الحسن والنظافة » وفي باب الباء فصل الكاف ١٢٦/١: « الكَثَب كجعفر الصلب الشديد » وفي باب التاء فصل الدال ١٥٣/١: « الدشت الصحراء » وفي باب الجيم فصل العين ٢٠٦/١: « العُرْبُج: بالضم الكلب الضخم، وفي باب الجيم فصل الغين ٢٠٩/١: « الغُمَاهِج: الضخم السمين » وفي باب الحاء فصل الخاء ٢٧٥/١: « الفَحُّ: المصيدة ».

أما أداء معنى المدخل بنقيضه أو بما يضاذه كما في باب الهمزة فصل الخاء ١٤/١: « الخطأ ضد الصواب » وفي فصل الدال ١٥/١: « الدفء: بالكسر ويُحرَّك نقيض حدة البرد » وفي فصل السين ١٩/١: « السوءى ضد الحسنى » وفي باب الباء فصل التاء ٤١/١: « تعب كفرح ضد استراح ». وفي فصل الخاء ٦٢/١: « الخراب ضد العمران ». وفي فصل الذال ٧٢/١: « ذاب ضد جمد ».

وفي فصل الطاء ٧٦/١: « الرطب ضد اليابس » وفي فصل العين ١٠٦/١: « العُربُ بالضم وبالتحريك خلاف العجم » وفي فصل الغين ١١٥/١: « الغَضَبَة ضد الرضا » وفي باب الدال فصل الفاء ٣٣٣/١: « فسد كنصرَ وعقدَ وكرم ضد صلح » وفي باب الدال فصل القاف ٣٤٣/١: « التَّوَد نقيض السوق ».

ومن الأساليب التي تشكل ظاهرة في القاموس المحيط هي إيراد أكثر من معنى للمفردة المعجمية وهو ما يطلق عليه المشترك اللفظي ومن أمثلته في باب الباء فصل الهمزة ٣٧/١: « الإربُ بالكسر الدَّهَاء، كالإربة ويضم، والتُّكْر والحُبْث والغائلة والعضو

والعقل والدين والفرج والحاجة». وفي فصل التاء ٤١/١ «التَّغَب القبيح والريبة وبالتحريك الفساد والهلاك والوَسَخ والدَّرَن والقحط والجوع والعيب» وفي فصل الجيم ٥١/١: «الجَوْب الخرق والقطع والدلو العظيمة ودرع المرأة والثرس والكانون» وفي فصل الحاء ٦٠/١: «الحَوْب والحوبة الأبوان والأخت والبنْت والحَوْبَة رقة فؤاد الأم والهمَّ والحاجة والحالة.. والرجل الضعيف ويضم، والأم وامرأتك أو سُرَّتْكَ والدابة ووسط الدار والإثم» وفي فصل الراء ٨٠/١: «الرَّيْب صرف الدهر والحاجة والظَّنَّة والتَّهمة والريبة بالكسر» وفي فصل السين ٨٤/١: «السَّرْب الماشية كلها والطريق والوجهة والصَّدْر والخرز وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها والطريق والبال والقلب والنفس وجماعة النَّخل..».

وفي فصل الشين ٩١/١: «الشَّعْب: كالمَنع الجمع والتفريق والإصلاح والإفساد والصَّدْع والتفرُّق والقبيلة العظيمة والجبل ومَوْصِل قبائل الرّأس والبُعد والبعيد وبطن من هَمْدان..».

وفي باب التاء فصل الميم ١٦٣/١: «المَحْتُ الشديد واليوم الحار.. والعاقل أو الذكي.. والخالص» وفي باب التاء فصل الهمزة ١٦٧/١: «الإرث بالكسر الميراث والأصل والأمر القديم.. والرّماد والبقية من كل شيء.. وفي باب الجيم فصل العين ٢٠٧/١: «العِلْج بالكسر العير والحمار وحمّار الوحش السمين القويُّ والرغيف الغليظ الحرف، والرجل من كفّار العجم ج علوج وأعلاج» وفي فصل الغين ٢٠٨/١: «العَوْهَج الطويلة العُنُق من الظّلّمان والنوق والظباء والناقّة الفتية والطويلة الرّجلين من النعام والظبية في حَقْوَيها خطّان سوداوان والحَيَّة وفحل إبل كان لمهرة والعواهج قوم من العرب».

وأما التعريف فكان من وسائل الفيروز آبادي لأداء معاني المفردات خاصة الاصطلاحية منها، ومن ذلك في باب الهمزة فصل الحاء ١٢/١: «الحُلَاءة كبرادة: ما يُحَكُّ بين حجرين لِيُكْتَحَلَ به» وفي فصل الراء ١٧/١: «الرَّهْيَاء الضعف والتواني وأن تجعل أحد العدلين أثقل من الآخر.. وأن يفسد رأيه ولا يحكمه أو يحمل حملاً فلا يشدّه».

وفي باب الباء فصل الهمزة ٣٧/١ « الإثب بالكسر والمثبثة كمكثسة: برد يُشَقُّ فتلبسه المرأة من غير جيب ، ولا كُميين أو ما قَصَرَ من الثياب فنَصَفَ الساق ».

وفي فصل الجيم ٥٠/١: « الجَلْعُبة: الناقة الشديدة في كل شيء والهرمة التي قَوَّست وولَّت كبراً ». وفي فصل الحاء ٥٥/١ « الحرب: دار الحرب بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم ». وفي ٥٨/١: « العُتْلُ الجافي الغليظ الشديد والبخيل والضيق الخُلُق السريع الغضب » وفي فصل اراء ٧٣/١: « رُبَّ حرف خافض لا يقع إلا على نكرة أو اسم، وقيل كلمة تقليل أو تكثير أو لهما أوفى ».

وفي ٧٥/١: « الإردبُّ كقرشب مكيال ضخيم بمصر ويضم أربعة وعشرين صاعاً » وفي فصل الطاء ١٠٠/١ « الطُحْلُب بضم اللام وفتحها خُضرة تعلو الماء المُزمن ». وفي باب الحاء فصل الكاف — ٢٥٤/١: « الكشح ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخَلْف » وفي باب الدال فصل العين ٣٣٢/١: « العُدَّة كل عُقدة في الجسد أطاف بها شحم وكل قطعة صلبة بين العَصَب .. ».

وإذا كان المدخل المعجمي من الأفعال فإنه يكثر من إدخاله في سياق لغوي نحوي وقد يلحقه ببعض مشتقاته ويذكر المعنى بعد ذلك كقوله في فصل الباء من باب الهمزة ٩/١: « (بكأت) الناقة كَجَعَل وكرُم، بَكاً وبكاءةً وبُكُوءاً وبُكَاءً فهي بكيء وبكئة، قل لبُنها » وقد يذكر السياق اللغوي متلوّاً بالمعنى وبعد ذلك يذكر بعض مشتقاتها وما يرد لها من معانٍ كقوله في فصل الحاء — بابا الهمزة ١٢/١: « (حضا) النار، كمنع، أوقدها أو فتحها لتلتهب كاحتضاها فحَضَّأت والمحضاً والمحضاء عودٌ يُحضأ به وأبيض حَضِيء يقق ».

وقد يُنَوِّع في السياق فيوقع الفعل على أكثر من مفعول لتمييز معنى عن آخر كقوله في باب الهمزة فصل السين ١٨/١: « (سلاً) السَّمْن، كمنع، طبخه وعالجه كاستلاه، والسَّمْسِم عَصْره، والجِدْع نزع سُلاءه أي شوكة ».

وقد يكتفي بذكر المشتقات دون معناها ظناً منه بوضوح دلالتها كقوله في فصل القاف باب الهمزة ٢٦/١: « (قاء) يقِيءُ قِيئاً واستقاءً وتقِيأً وقِيَّاه الدواء وأقائه والاسم القِيَاء كغراب والقِيَّوء الكثير القِيء .. ».

وقد يستعين بأيّ التفسيرية بوضعها بعد المفردة المعجمية من مثل قوله في باب الهمزة فصل الرء ١٧/١: « رفاً: بالرفاء والبنين أي بالالتئام وجمع الشمل » وفي ١٩/١ — فصل السين: « عليهم دائرة السوء بالوجهين أي الهزيمة والشر والردى والفساد » وفي ٢٢/١ — مادة طنء: « حَيَّة لا تُطْنِئُ أي لا يعيش صاحبها » وفي ٨٨/١ — مادة شب « ما شُبَّ به أي أُوْقِدَ كالشُّبُوب » وفي ٩٦/١. مادة صقب: « الجار أحقُّ بصقبه أي ما يليه ويقرب منه ». ولا بد من الإشارة إلى أنه لم يعط الكثير من المداخل معنى « م » بعدها إشارة إلى أنها معروفة واكتفى بذكر الرمز.

وهناك عناصر أخرى في نص القاموس المحيط كاهتمامه بالمفردة المعربة من مثل قوله في ٤٨/١ — مادة جردب: « وَجَرْدَبَانُ مُعَرَّبٌ كَرَدَهَ بَانَ أي حافظ الرغيف.. الجرداب بالكسر وسط البحر مُعَرَّبٌ ».

وفي ٤٩/١ — مادة جلب: « الْجُلَّابُ كزُّنَارُ ماء الورد مُعَرَّبٌ » وفي ٥٢/١ — مادة جوب: « وَجُبَانُ بالضمة (قرية) بمرو، مُعَرَّبٌ كُوبَانُ ».

وفي ٨١/١ — مادة زرب: « الزَّرِّيَابُ بالكسر الذهب أو مأوه مُعَرَّبٌ » وفي ١٩٩/١ — مادة زنج: « الزَّنْفِيلَجَةُ بكسر الزاي وفتح اللام.. مُعَرَّبٌ زَنْ يَلُّهُ... » « والزاج ملح والزيج بالكسر خيط البناء مُعَرَّبَانُ ».

وفي ٢٢١/١ — مادة همج: « الهملاج بالكسر من البراذين، المَهْمَلَجُ والهمْلَجَةُ فارسي مُعَرَّبٌ، وشاة هملاج لا مخّ لهاها ». وفي فصل الياء باب الجيم الإيارجة بالكسر وفتح الرء معجون مُسهل م ج إيَارَج مُعَرَّبٌ إيَّاره وتفسيره الدواء الإلهي ». وفي ٢٧٠/١ — باب الخاء فصل السين: « الإسفاناخ نبات م مُعَرَّبٌ فيه قوة جالية غسالة ينفع الصدر والظهر ». وحديثه عن الإسفاناخ يقودني إلى عنصر آخر في نص القاموس المحيط وهو عناية الفيروز آبادي بذكر ما يعرفه من فوائد طبية للنباتات وما يمكن الاستشفاء بغيرها من المواد كقوله في ١٢/١ — ١٣ — عن الحلاء: « ما يحكُّ به بين حجرين ليكتحل به.. والحلوء كصبور حجر يستشفى بحكاكته الرَّمْد ».

وفي ٤٢/١ — ٤٣ — مادة ثعلب: « وداء الثعلب م وعَنْبُهُ نَبَتٌ قابضٌ مُبرَّدٌ وابتلاع سبع حبات منه شفاء لليرقان وقاطعٌ للجبل ».

وفي ٦٠/١ — مادة حلب « الحُلْبَة .. بالضم نبت نافع للصَّدر والسُّعال والرَّبْو والبلغم والبواسير والظَّهر والكبد والمثانة والباءة ».

ومن العناصر التي نالت اهتماماً واسعاً في القاموس المحيط الأعلام والمواضع والبقاع، التي كانت تذكر في أواخر المداخل، وكان للمُحدِّثين النصيب الوافر من الأعلام الواردة حسب نصّه كقوله مثلاً في مادة بطُّو ٩/١: « والبَطِيء كأمير لَقْبُ أحمد بن الحسين العقولي المحدث » وفي الصفحة نفسها مادة تُنا يذكر « إبراهيم بن يزيد ومحمد بن عبد الله وأحمد محمد ومحمد بن عمر بن تانة التَّائِنُون مُحدِّثُون » وفي ١٣/١ مادة خبأ: « وأبو خُبَيْثَة كجهينة محمد بن خالد وشُعيب بن أبي خُبَيْثَة مُحدِّثُون » وفي ٤١/١ مادة تاب: « أحمد بن يعقوب التائب مقرئ كبير متقدِّم وعبد الله بن أبي التائب مُحدِّثٌ متأخر ». وفي مادة ثعب ٤٣/١: « وابن عُباد وابن سُهيل وابن مُسلم وابن يزيد محدِّثين بل كان يعرض كل ما يَعْنُ له من أسماء من غيرهم ومواضع وبلدان في كل مادة لغوية وأقتطف مما جاء في باب الهمزة على سبيل المثال من الجزء الأول: ص ٧: « أجأ » جبل لطيء وبزنته وة بمصر وفي ص ١٠ « ثاء ع ببلاد هذيل » وفي مادة جبأ « الجُبَّاء .. كورة بخوزستان وة بالنهر واه .. وة باليمن » وفي مادة الجزء: « وَحِيَّة بنت أبي نُجْزاة بضم التاء وسكون الجيم صحابة » وفي ص ١٢ — مادة الحدأة: « حَدَاءُ بن ثَمَرَة وَبُنْدُقَة بن مَظَّة قَبيلتان » وفي مادة حطأ « الحطِيئة .. لقب جَرَوَل الشاعر » وفي ص ١٣ مادة حنا « الحنَّاءتان رملتان، ووادي الحنَّاء م بين زبيد وتغز » وفي ص ١٥ مادة الداء: « دَاءَة جَبَل بمكة وع لهذيل » وفي ص ١٨ — مدة سبأ: « سَبَأ كجبل ويُمنع بلدة بلبقيس ولقب ابن يَشْجُب بن يَعْرُب واسمه عبد شمس يجمع قبائل اليمن عامة ووالد عبد الله المنسوب إليه السبئية من العُلاة » وفي ص ٢١: « ضَبَأ: ضابئ واد في ديار بني ذبيان وابن الحَرَب البُرْجُمي الشاعر » وفي ص ٢٢ — ٢٣ « الطاءة: منه طيء أبو قبيلة أو من طاء يَطْوُء إذا ذهب وجاء ».

وفي ص ٣٥ — هذا « الهَدَى بماء ع بين الطائف ومكة وة بأعلى مرَّ الظَّهْران ». وفي باب الباء ص ٣٩: د آبة دُقْرَب ساوة ود بإفريقية ومآب د بالبلقان .. وآب شهر مُعَرَّب » وفي مادة الأهبة: « ابن عُمر راجز وأبو إهاب بن عزيز صحابي وكسحاب ع قُرب المدينة وكعثمان صحابي » وفي مادة ببة: « دار ببة بمكة .. بَرْدِزْبَة بفتح الباب وكسر الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الباء جد البخاري فارسية معناها الزراع » وفي

ص ٣٩ — ٤٠: «البَوَابَةُ عَقَبَةُ كُؤُودٍ بِطَرِيقِ الْيَمَنِ.. وَفَرَسُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ.. وَالْبَابُ دُجْلَبٌ وَجَبَلٌ قُرْبَ هَجَرَ وَالْبَابَةُ تُغَرُّ بِالرُّومِ وَهِيَ بِيخَارَى مِنْهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ.. وَبَابًا مَوْلَى لِلْعَبَّاسِ وَمَوْلَى لِعَائِشَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ بَابَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَابَا أَوْ بَابِي أَوْ بَابِيَّةٌ تَابِعِيُونَ». وهذه الأمثلة غِيْضٌ مِنْ فَيْضٍ يَمْلَأُ صَفْحَاتِ الْقَامُوسِ.

وَمِنَ الْعُنَاوَاتِ الَّتِي شَغَلَتْ حِيزًا كَذَلِكَ فِي نَصِّ الْقَامُوسِ الْحَيْطُ الْمَعْجَمِيُّ الْمَسَائِلُ الصَّرْفِيَّةُ وَالنَحْوِيَّةُ وَمَا يَرِافِقُهَا مِنْ ذِكْرِ أَصْحَابِهَا اللَّغَوِيِّينَ وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ فِي مَادَّةِ شَاءَ ٢٠/١ «وَالشَّيْءُ مَجْ أَشْيَاءَ وَأَشْيَاوَاتُ وَأَشَاوَاتُ وَأَشَاوَى.. وَتَصْغِيرُ شَيْءٍ شَيْءٌ لَا شُؤْيَ أَوْ لُغْيَةً عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ مُوسَى النَّحْوِيِّ، وَحِكَايَةُ الْجَوْهَرِيِّ عَنِ الْخَلِيلِ أَنَّ أَشْيَاءَ فَعْلَاءَ وَأَنَّهَا جُمِعَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدَةٍ كَشَاعِرٍ وَشُعْرَاءَ إِلَى آخِرِهِ حِكَايَةُ مُخْتَلَّةٍ ضَرَبَ فِيهَا مَذْهَبُ الْخَلِيلِ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ وَلَمْ يَمَيِّزْ بَيْنَهُمَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَخْفَشَ يَرَى أَنَّهَا أَفْعَلَاءَ وَهِيَ جُمِعَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدَةٍ الْمُسْتَعْمَلُ كَشَاعِرٍ وَشُعْرَاءَ فَإِنَّهُ جُمِعَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدَةٍ لِأَنَّ فَاعِلًا لَا يُجْمَعُ عَلَى فُعْلَاءَ. وَأَمَّا الْخَلِيلُ فَيَرَى أَنَّهَا فَعْلَاءَ نَائِبَةً عَنْ أَفْعَالٍ وَبَدَلَ مِنْهُ وَجُمِعَ لَوَاحِدِهَا الْمُسْتَعْمَلُ وَهُوَ شَيْءٌ. وَأَمَّا الْكَسَائِيُّ فَيَرَى أَنَّهَا أَفْعَالُ كَفَرَّخَ وَأَفْرَاخَ تُرِكَ صَرْفُهَا لِكثَرَةِ الِاسْتِعْمَالِ لِأَنَّهَا شُبِّهَتْ بِفَعْلَاءَ فِي كَوْنِهَا جُمِعَتْ عَلَى أَشْيَاوَاتٍ فَصَارَتْ كَخَضْرَاءَ خَضْرَاوَاتٍ فَحِينَئِذٍ لَا يَلْزِمُهُ أَنْ لَا يَصْرَفَ أَبْنَاءَ وَأَسْمَاءَ كَمَا زَعَمَ الْجَوْهَرِيُّ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْمَعُوا أَبْنَاءَ وَأَسْمَاءَ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ..».

وَفِي ٧٣/١ — مَادَّةُ رُبٍّ: «رُبٌّ وَرُبَّةٌ وَرُبَمَا وَرُبَّمَا بَضْمُهُنَّ مُشَدَّدَاتٌ وَمُخَفَّفَاتٌ وَبِفَتْحِهِنَّ كَذَلِكَ.. وَرُبٌّ كَمَذْ حَرْفٍ خَافِضٍ لَا يَقَعُ إِلَى عَلَى نَكْرَةٍ أَوْ اسْمٍ، وَقِيلَ كَلِمَةً تَقْلِيلٌ أَوْ تَكْثِيرٌ..» وَفِي ٢٩/١ مَادَّةُ مَرُوءٍ: «وَفِي أَمْرِيٍّ: مَعَ أَلْفِ الْوَصْلِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ فَتَحَ الرَّاءُ دَائِمًا وَضَمُّهَا دَائِمًا وَإِعْرَابُهَا دَائِمًا وَتَقُولُ هَذَا أَمْرُؤُ وَمَرُوءٌ وَرَأَيْتُ أَمْرَءًا وَمَرَّءًا أَوْ مَرَّرْتُ بِأَمْرِيٍّ وَبِمَرَّءٍ مُعْرَبًا مِنْ مَكَانَيْنِ» وَقَدْ تَكُونُ الْمَعْلُومَةُ تَارِيخِيَّةً دِينِيَّةً كَقَوْلِهِ فِي ٢١/١ — صَبَأٌ: «وَالصَّابِئُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبِلْتَهُمْ مِنْ مَهَبِّ الشَّمَالِ عِنْدَ مُنْتَصَفِ النَّهَارِ: وَفِي ٣٠/١ — نَبَأٌ: «وَتَنَبَّأَ ادْعَايَا (ادْعَى النُّبُوَّةَ بِقَصْدٍ) وَمِنْهُ الْمُتَنَبِّئُ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ خَرَجَ إِلَى بَنِي كَلْبٍ وَادَّعَى أَنَّهُ حَسَنِيٌّ ثُمَّ ادَّعَى النُّبُوَّةَ فَشَهِدَ عَلَيْهِ بِالشَّامِ وَحُبْسٍ دَهْرًا ثُمَّ اسْتَتَبَ وَأَطْلَقَ».

وكقوله في ٤٢/١ — مادة ثعلب: « الثعلب م وهي الأنثى أو الذكر ثعلب وثعلبان بالضم واستشهاد الجوهري بقوله: أَرَبُّ يبول الثعلبان برأسه! غلط صريح وهو مسبوق فيه، والصواب في البيت فتح الثاء لأنه مثنى، كان غاوي بن عبد العزى سادناً لصنم بني سليم فبينما هو عنده إذ أقبل ثعلبان يَشْتَدَّانِ حتى تَسْنَمَاهُ فبالا عليه فقال البيت، ثم قال: يا معشر سليم لا والله لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، فكسره ولحق بالنبي ﷺ فقال: ما اسمك فقال غاوي بن عبد العزى، فقال بل أنت راشد بن عبد ربه ».

ومما يلفت النظر كذلك في نص القاموس اهتمام الفيروز آبادي بأسماء الأصوات أو حكايتها كقوله في ٧/١ — مادة آء: « آء كعاع.. حكاية أصوات وزجر للإبل » وفي ٩/١ — (التأتأة) حكاية الصوت وتردد التأتأة في الثاء ».

وفي ١١/١: « حَاحًا بالَّتيس دعاه وحيء حيء دعاء الحمار إلى الماء ». وفي ١٤/١: « دَأ دَأ: تدأدأت الإبل رَجَّعت الحنين في أجوافها.. والدأداة صوت وقع الحجر على المسيل.. وصوت تحريك الصبي في المهد » وفي ١٨/١ « سأسأ بالحمار سأسأة وساساء زجره ليحتبس أو دعاه ليشرب ».

وفي ١٩/١: « شَأشَأ وشُؤشُؤ دعاء الحمار إلى الماء وزجر الغنم والحمار للمضي أو شُؤشُؤ دعاء للغنم لتأكل أو تشرب » وفي ٢٥/١ — القَاءَاء أصوات غربان العراق » وفي ٣٢/١: « الوأواء كدَحْداح صياح ابن آوى ». وفي ٣٩/١ — بَّيه: « حكاية صوت صبي ». ولم يخل القاموس المحيط من الاحتجاج وإن أشار صاحبه في المقدمة إلى أنه «محذوف الشواهد » ولم يستطع أن يستغني عنها خاصة عندما كان يرد على أوهام الجوهري على حدّ تعبير الفيروز آبادي، فقد اضطر إلى إيراد شواهد شعرية ونثرية، وإن كانت قليلة ومنه في ١٧/١ — رَقَأ: « رَقَأ الدمع كجعل رُقُوءاً جفّ وسكن.. وقول أكثم لا تسبوا الإبل فإن فيها رَقُوء الدَّم، أي تُعطي في الدِّيَات فَتَحَقِّنُ الدماء، ووهم الجوهري فقال في الحديث ورقاً العرق رُقُوءاً ارتفع ».

وفي ١٨/١ — مادة سبأ: « وتفرقوا أيدي سَبَأً وأيادي سَبَأً تبددوا.. » وفي ١٩/١ — مادة ساء يحتج بالقراءات القرآنية على فتح السين وضمها في السوء بقوله:

« ولا خيرَ في قولِ السُّوءِ بالفتح والضم إذا فتحت فمعناه في قول قبيح وإذا ضمنت فمعناه في أن تقول سُوءاً، (وقُرئ عليهم دائرة السُّوء) ^(١) بالوجهين أي الهزيمة والشر والردى والفساد.. (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُّوء) ^(٢) في قراءة.. ».

ويذكر من أمثال العرب للاحتجاج للفظ « مساوي » بقوله في ١٩/١: « والخيلُ تجري على مساويها، أي وإن كانت بها عُيوب فإن كرمها يحملها على الجري. ».

كذلك يحتج بالمثل العربي على تسهيل الهمز للفظ الفراء بقوله في مادة فراء ٢٤/١: « الفراء.. حمار الوحش.. كلُّ الصيد في جوف الفراء بغير همز لأنه مثل والأمثال موضوعة على الوقف ».

وفي ٣٤/١ — مادة توکا، يحتج بحديث الرسول ﷺ على استعمال « مُتَكِيء » بمعنى الجالس على هيئة المترَّبَع بقوله: « وقوله ﷺ أما أنا فلا أَكُلُ مُتَكِناً أي جالساً على هيئة المتمكن المترَّبَع ونحوها من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل، بل كان جلوسه للأكل مُقْعِياً مُستوفزاً غير مترَّبَع.. ». وقد يستشهد بالشعر على استعمال لفظ ما بمعنى معين نحو استعمال هاء بمعنى التلبية بقوله في ٣٦/١ — مادة هاء: « هاءً بنفسه إلى المعالي رفعها.. وهاءً كجاء تلبيةً قال (شعر):

لا بل يُجيبُك حين تدعو باسمه فيقول هاءً وطالما لبى

وفي ١٩٩/١ — مادة الزَّلَج: «.. ومُزَلَج كَمُقْبِل لقب عبد الله بن مطر لقوله: ثلاقي بها يومَ الصَّباحِ عَدُونًا إذا أُكْرِهَتْ فيها الأَسِنَّةُ تُزَلَجُ

(١) ٩٨ - التوبة.

(٢) ١٠ - الروم.

٣-٦-٥ تاج العروس من جواهر القاموس^(١) للزبيدي^(٢) (ت ١٢٠٥هـ)

يقول الزبيدي في مكتوب له إلى أحد شيوخه (نقلًا عن مقدمة تحقيق التاج ص ط): «ومما من الله تعالى عليّ أني كتبت على القاموس شرحاً غريباً في عشر مجلدات جمعتها خمسمائة كراس، مكثت مشغلاً به أربعة عشر عاماً وشهرين واشتهر أمره جداً» الذي أنجزه سنة ١١٨٨هـ، أي هو شرح للقاموس المحيط وهو المعجم الذي صنّفه الفيروز آبادي في مدينة زبيد اليمانية التي تُنسب إليها المرتضى الزبيدي لإقامته فيها قبل ارتحاله إلى القاهرة سنة ١١٦٧ هـ من الحجاز التي امتدت زيارته إليها وتلقّى عن علمائها المرغني والفاصي والعيدروس في مكة والمدينة والطائف من ١١٦٣هـ — ١١٦٦هـ (مقدمة التحقيق ص حي) ويبدو أن هناك عوامل أخرى كانت وراء تصنيف تاج العروس، زيادة على الإقامة في زبيد موطن تأليف القاموس، منها شهرته الواسعة في وقته التي يصفها الزبيدي بقوله ص ٢ من المقدمة «قد اخترق الآفاق مشرقاً ومغرباً» ولمّا اشتمل عليه من دقة واتقان وإحاطة في الاشتقاق والدلالات، يشهد لذلك أن القاموس المحيط أصبح بعد طباعته في القرن التاسع عشر مرجعاً للهيئات العلمية فقد وضعه كلوت بك عميد مدرسة الطب في القاهرة بين أيدي أساتذة المدرسة لاستخراج الاصطلاحات العربية منه عند ترجمة المصنفات الطبية التي أحضرها كلوت من فرنسا لتدريسها في القاهرة. وقد عبّر عن هذا الشمول والإتقان وأدرك هذه الشهرة الزبيدي

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٥م.

(٢) هو أبو الفيض محب الدين محمد بن المرتضى بن محمد الزبيدي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب، ولد في الهند وارتحل إلى اليمن، وأقام في مدينة زبيد التي نسب إليها، ومنها ارتحل إلى القاهرة التي ووضعه فيها كتابه تاج العروس الذي استغرق أربعة عشر عاماً وشهرين من سنة ١١٧٤هـ إلى ١١٨٨هـ. وقد بلغت مؤلفاته في مقدمة تحقيق تاج العروس (١٠٧) مؤلفاً. واعتمدت على النسخة التي حققها عبد الستار فراج، سلسلة التراث العربي - وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

بقوله في مقدمته ص ٢ إن « كتاب القاموس المحيط للإمام محمد الدين الشيرازي أجل ما ألف في الفن، لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب.. » وفي هذه المقدمة يضيف الزبيدي عاملاً ثالثاً بقوله عن القاموس ص ٢: « حيث أوجز لفظه وأشبع معناه، وقصر عبارته وأطال مغزاه، وأشبع معناه، وقصر عبارته وأطال مغزاه، لوّح.. وكفى فأغنى عن الإفصاح، وقيد من الأوابد.. واقتض من الشوارد.. ولما كان إبرازه في غاية الإيجاز، وإيجازه عن حد الإعجاز تصدّى لكشف غوامضه ودقائقه رجال من أهل العلم... » وقد تنوع اهتمام العلماء بالقاموس المحيط فمنهم من شرح خطبته أو مقدمته، ومنهم من صبّ اهتمامه على مادة الكتاب أي مفرداته ومنهم من اهتم بمقارنته بالصحاح للجوهري، ومنهم من استدرك عليه واعترض ومنهم من قام بشرحه، ومنهم من لخصه. (انظر ص ٤ من المقدمة).

ويمكن أن نقول إنها قامت حركة علمية حول القاموس المحيط شرحاً ومقارنة واستدراكاً وتلخيصاً لإدراك من تعهّدوه للأسباب الداعية لذلك ممّا فصله الزبيدي آنفاً من إيجاز وتلويح وإطالة وتقييد للأوابد والشوارد فأرادوا كشف غوامضها وإزالة إبهامها، ولكنهم في نظر الزبيدي قصّروا وعجزوا أن يوفوه حقّه، فأخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة فقال على إثر تلك الدواعي في ص ٤: « فلما آنست من تناهي فاقة الأفاضل إلى استكشاف غوامضه والغوص على مشكلاته.. قرعت ظنوب اجتهادي، واستسعيت يعبوب اعتنائي في وضع شرح عليه، ممزوج العبارة، جامع لموادّه بالتصريح في بعض، وفي البعض بالإشارة، واف بيان ما اختلف من نُسَخه، والتصويب لما صحّ منها من صحيح الأصول، حاوٍ لذكر نكته ونوادره، والكشف عن معانيه والإنباه عن مضاربه، وما أخذه بصريح القول، والتقاط أبيات الشواهد له » مستمداً ذلك من الكتب التي يسرّ الله تعالى بفضلها وقوفي عليها... ».

ويذكر بعد ذلك قائمة بهذه الكتب أو المصادر وتصدّرتها المعاجم فكان أعلاها في رأيه صحاح الجوهري يليه تهذيب الأزهري والمحكم ولسان العرب وكتب غريب القرآن

والحديث وغيرها من المعاجم وكتب اللغة والتراجم والدواوين الشعرية وشروحها والمراجع التاريخية وعلوم القرآن وتفسيره، وكتب الحيوان والطب والنبات. بعد ذلك ينتقل إلى بيان منهجه في جمع مادة الكتاب بقوله ص ٩: « ولم آل جهداً في تحري الاختصار، وسلوك سبيل التنقية والاختيار، وتجريد الألفاظ عن فضيلة.. سوى أنني جمعت فيه ما تفرّق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم.. وسميته: « تاج العروس من جواهر القاموس ».

وأنقل إلى القسم الثاني من مقدّمة تاج العروس الذي اشتمل على عشرة مقاصد أغلبها منقول عن المزهري كما ذكر وهي مرتّبة باختصار: وفي توقيف اللغة واصطلاحها، في سعة لغة العرب، في عدة أبنية الكلام، في المتواتر والآحاد من اللغة، في الأفصح (من الناس والكلام) الاطراد والشذوذ والحقيقة والمجاز والاشتراك والترادف والتضاد، في آداب اللغوي، متفرّقات كمراتب اللغويين والتصنيف في اللغة، ترجمة الفيروز آبادي، (الأسانيد المتصلة إلى المؤلف (الزبيدي) وعلى أثر هذا المقصد العاشر يدلف الزبيدي إلى شرح خطبة القاموس التي استغرقت خمساً وسبعين صفحة (انظر في المقدّمة المقاصد وشرح الخطبة من ص ١٢ — ١٢٤).

وكان من البدهي أن تُنسج مدخلات تاج العروس على منوال ترتيبها في القاموس المحيط، وإن اختلف في معالجة المادة وشرحها؛ وعليه فقد التزم طريقة الباب والفصل، أي يرتّب المداخل حسب أواخر أصولها أو جذورها، والفصول لأوائل هذه الجذور، لذا نجده قد فتح لكل حرف باباً ويفترض أن تكون الأبواب ثمانية وعشرين ولكنه يجمع السواوي واليائي الآخر في باب واحد كما فعل صاحب القاموس المحيط وفتح في كل باب ثمانية وعشرين فصلاً وصدر كل باب بالحديث عن الحرف الذي عقد له ذلك الباب، كأن يتحدث أولاً عن مخرجه وصفاته وطريقة إملائه وإبداله ففي باب الهمزة يقول عن الهمزة « ويُعبر عنها بالألف المهموزة، لأنها لا تقوم بنفسها ولا صورة لها، فلذا تكتب مع الضمة واواً ومع الكسرة ياءً، ومع الفتحة ألفاً ».

وفي باب الجيم يقول عن الجيم « من الحروف التي تؤنث ويجوز تذكيرها.. وهي من الحروف المهجورة.. وهي أيضاً من الحروف المحصورة.. يجمعها قولك قطب جد، وهي حروف القلقة.. والجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد وهي من الحروف الشجرية وقال أبو عمرو (قد تبدل الجيم من الياء المشددة) قال (و) قد أبدلوها من الياء (المخففة) أيضاً (كفقيمج)... ».

وفي باب الدال: « المهملة حرف من الحروف المجهورة ومن الحروف النطعية وهي الطاء والتاء في حيز واحد، قال شيخنا نقلاً عن أئمة اللغة والتصريف إنها أبدلت باطراد من تاء الافتعال.. كازداد... وكأذكر.. وأدراً... وهذا من قبيل بدل الأدغام. وقد أبدلت بغير اطراد مع الجيم نحو اجدمعوا لغة في اجتمعوا.. ».

والمقصود بقوله شيخنا هو اللغوي محمد بن الطيب الفاسي وهو عمدته في الشرح كما ذكر في ٣/١.

أما طريقته في الضبط فقد جاءت الطبعة القديمة التي كان الفراغ منها سنة ١٣٠٧هـ خالية من الحركات، أي كما نقلت عن مؤلفها الذي كان يأخذ بضبط صاحب القاموس كقوله مثلاً في فصل الهمزة من باب الجيم ٣/٢ « الأبج محرقة الأبد » ويقصد بالتحريك الفتح، وقد يزيد عليه بالنص على الحركات والحروف توضيحاً وتكميلاً كقوله في (المؤرج) ٤/٢ « ومنه سمي المؤرج (بالكسر أبو فيد) بفتح الفاء وسكون الياء التحتية وآخره دال مهمة » وفي ٥/٢ و (الأسج بضميتين) هي (النوق السريعات وأصله الوسج) بالواو... وسيأتي في (الأسج كزمج) أي على وزان سكر.. « وهنا يضيف إلى ضبط المصنف النص على مثال الكلمة دون وضع الحركات. ومن أمثلة هذا الضرب أيضاً ما جاء في ٦/٢: « (البحرج) كجعفر وبرثن كذا ضبطه غير واحد هكذا بالراء بعد الحاء المهملة وفي اللسان والتهديب بالزاي قبل الجيم، وضبطه شيخنا بالحاء المعجمة والراء المهملة وصوبه وهو الجؤذر، وقيل البخرج (ولد البقرة الوحشية) ».

وفي ٧/٢ « (الإبريج) بالكسر (المنخضة) بكسر الميم قال الشاعر:

لقد تمخض في قلبي مودقها كما تمخض في ابريجه اللبن

أما الطبعة الحديثة التي بدأ بتحقيق جزئها الأول الأستاذ عبد الستار فرّاج سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م فقد جاءت مضبوطة بالحركات والحروف أو الضبط بالمثال أو بالوزن خاصة في الاستدراكات كقوله ي مادة أل أ ١٣٢/١ (من الطبعة المحققة): «وَأَلَاءَاتُ بوزن فعّالات» حتى في هذه كان مقلّداً للفيروز آبادي الذي استطاع على مثل هذا بقوله «وزنّه» في مثل (أجأ جبل لطيء وبرزته).

على أن الزبيدي قد زاد على صيغة الضبط هذه في ١٢٧/١ (الطبعة المخففة) «(أجأ) محرّكة مهموز مقصور..»، ويجب الاعتراف بأن الطبعة المحققة هي الأولى بالدرس والبحث والأخذ عنها خاصة في الضبط لاحتوائها على الضبط بالحركات الذي التزم به المحقق، علاوة على ضبط المصنف والشارح بالنص على الحركات والحروف والأوزان والأمثال.

وليس له منهج موحد في بيان معاني المفردات وشرح ما يتعلق بها من أحكام لغوية، ومما يجدر ذكره إن عبارة الزبيدي امتزجت بعبارة القاموس التي ميّزت بوضعها بين هلالين، وشرح الزبيدي وتعليقاته مرسلّة وغير مقيدة وأبدأ بما بدأ به الزبيدي في ١٢٥/١: «(الأبءة، كعباءة: القصبة) أو هو أجمة الحلفاء والقصب خاصة، كذا قاله ابن برّي (ج أباء) بالفتح والمد» حصر الكلمة ومعناها، كما جاءت في القاموس، بين هلالين، وبعد ذلك ترك لنفسه الحرية لأن يأتي بمعان أخرى منقولة عن لغويين، كالمعنى الذي ذكره لابن بري. ويتلوه بمعنى آخر لابن قتيبة مع شاهد شعري (قال: الأبءة: القصب، وماؤه شر المياه، ويقال: الأبءة هنا (يقصد في الشاهد الشعري) الماء الذي يبول فيه الأروى فيشرب منه العتر فيمرض».

وبعدها يدخل في مستوى لغوي آخر هو أصل الكلمة اشتقاقها متتبعاً إشارات القاموس وكاشفاً لها برد الآراء إلى أصحابها بالتفصيل. وينتهي حديثه بجملة من القاموس تضيف معنى ثالثاً وذلك بقوله في ١٢٦/١: «(وأبأته بسهم. رميته به). ولا بد من تحليل نماذج أخرى مختلفة كما في ١٣٥/١ مادة بأبأ: «قال الليث بن المظفر: البأبأة: قول الإنسان لصاحبه بأبي أنت، ومعناه أفديك بأبي فتشّق من ذلك فعل فيقال (بأبأه).

والاختلاف عن المثال السابق يبدو في تقديمه معنى للمفردة المعجمية من خارج القاموس المحيط يكون مدخلاً للمعنى الذي أورده وهو مسلك قليل في التاج، ويأخذ بعد ذلك بالتعامل مع مشتقات المدخل وما يمكن أن تؤديه من معانٍ ثم يدلف من باباً إلى البؤبؤ الذي يمكن عدّه من المشترك اللفظي بما يورده القاموس له من معانٍ قد تصل إلى ستة. والاختلاف الآخر الذي يسوقه هو اختتامه بما يستدرك عليه، أي على القاموس؛ حيث استدرك على معنيين لم يأت على ذكرهما القاموس بقوله في ١٣٧/١: «ومما يستدرك عليه: باباً الرجل: أسرع، نقله الصَّغاني عن الأحمر. والبأء: زجر السنور، قاله الصغاني».

ولم يورد استدراكاً على النموذج الأول وهذا هو محل الاختلاف. أما المشترك بينهما فهو ازدحام المسائل الصرفية والنحوية وتداخلها مع المعاني.

والنموذج الثالث هو أن يكون المدخل المعجمي بكامله مستدرَكاً على القاموس كما في ت ك أ — ١٦٠/١: «ومما يستدرك عليه {ت ك أ} تكأ، ذكره الأزهرى هنا هنا وتبعه صاحب اللسان، وسيأتي في وكأ إن شاء الله تعالى» يقصد أن المدخل تكأ يجب أن يكون بعد المدخل تفأ وقبل المدخل تنأ. وفي ١٦١/١ يقول: «ومما يستدرك عليه هنا {ت ل أ}: تلاء وجاء منه الأتلاء، كأنصار؛ قال ياقوت في معجمه: قرية من قرى ذمار باليمن» أي بعد مدخل تنأ وإن كان ترتيبها الألفبائي قبلها.

والنموذج الرابع هو كثير أيضاً حيث يبدأ بمدخل القاموس المعجمي، وينشغل بعد ذلك باشتقاقاته وشواهداها ونقوله وما يميزها من حركات وبعدها ينقل معناه الذي ورد له في القاموس، أي إنه يفرّق بين المدخل ومعناه بالمسائل الصرفية المنقولة عن العلماء والمراجع كما ١٥١/١ — مادة ب ك أ: «(بكأت الناقة) أو الشاة (كجعل وكرُم بكأ)، قال أبو منصور (يقصد الأزهرى): سمعنا في غريب الحديث بكؤت تبكؤ، وروى شمر عن أبي عبيد، وبكأت الناقة تبكأ، قال أبو زيد: كل ذلك مهموز بفتح وسكون، قال سلامة بن جندل:

وقال مَحْبِسُهَا أدنى لِمَرْتَعِهَا ولو تُفَادِي بِكَ كُلِّ مَحْلُوبٍ

وزاد أبو زيد فيه: البُكَاء بالضم (وبكاءة) محرّكة، كذا هو مضبوط عندنا في النسخ وفي العباب بالفتح والمدّ (وبُكُوءاً) كقعود، وكلاهما مصدر بَكُوْ بالضم (و) زاد أبو زيد (بُكَاء) على وزن غُرَاب، وفي بعض النسخ بضم فسكون (فهى) أي الناقة أو الشاة (بَكِيءٌ وبَكِيئةٌ) بالهاء وبدونها أي (قلّ لبنها) « وهذا هو معنى المدخل بكأت الناقة، ولا ينقطع عند هذا الحد بل يستمر في توضيح وتوثيق ما ذكره القاموس بالشواهد والنقول.

والنموذج الخامس للمدخل كما في ١٣٠/١ — أزا: « (أزا الغنم، كمنع) أهمله الجوهري (: أشبعها) في مرعاها. (و) أزا (عن الحاجة: جَبْنٌ ونَكَصَ) أي تأخر وقهقر على عَقْبِهِ، قاله الفراء » وما بعد أي هو تفسيره لنكص التي ذكرها القاموس.

وأكتفي بهذه النماذج لأعود إلى وسائله أو أساليبه في تأدية المعنى مما تابع فيه القاموس أو إضافه من معان أو أساليب. وأبدأ بإيراد المرادف، وسأنتقل أولاً المعنى الذي جاء في القاموس موضوعاً بين هلالين ثم زيادة الزبيدي مرسله دون تقييد بأهله وقد تكون زياداته في استدراكه، أي سأوردها بالكيفية التي وردت فيها في التاج ففي مادة أ ب أ — ١٢٥/١: « (الأبءة: القصبة) ... الأبءة: الْقَصَبُ ». وفي مادة أش أ — ١٣٠/١: « (الأشء: صغار النحل) .. ١٣١/١ ومما يستدرك عليه: الإشاءة: موضع، قال يا قوت: أظنه باليمامة أو بيطن الرُّمّة ».

وفي ١٣٤/١ — ١٣٥ — مادة أ و أ: « (آء: ثمر شجر) .. ومما يستدرك عليه: البابأة: زجر السنور، قاله الصَّغَانِي ». وفي ١٤٠/١ — مادة ب و أ: « (البدء: السيد) .. والبدء: المفصل، والعظم بما عليه من اللحم .. ». وفي مادة ب ر أ — ١٤٩/١: « ومما يستدرك عليه: والبرية: الخلق ». وفي ١٧٠/١ — مادة ج ر أ: « (الجرأة: الشجاعة) .. وفي النهاية والخلاصة: الجرأة: الإقدام على الشيء والهجوم عليه ». وفي ١٧٤/١ — مادة ج ز أ: « ومما يستدرك عليه: الجزء: النصيب والقطعة من الشيء .. ١٧٥/١ والجزء: اسم للطرب عند أهل المدينة » وفي ١٩٤/١ — مادة ح ط أ: « قال الليث: الخطء: شدة الصَّرَع » وفي ٢٠٧/١ — مادة خ ت أ: « قال الأصمعي: اختتأ: ذلّ، وقال غيره: اختتأ: انقمع » وفي ٢١٧/١ — مادة خ ل أ: « أخبرنا أبو العباس عن ابن الأعرابي قال:

وفي ٢٤٢/١ — مادة رجأ: « المرجئة طائفة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل كأنهم قدّموا ، وأرجؤوا العمل، أي أخرّوه؛ لأنهم يرون أنهم لو لم يصلّوا ولم يصوموا لنجّاهم إيمانهم ». «

وفي ٢٣٤/١ — مادة ردأ: « والمردأة: الحَجَر الذي لا يكاد الرجل الضابط يرفعه بيديه ». «

وقد يستعمل « أي » التفسيرية بين المفردة المعجمية ومعناها كقوله في ١٥٣/١ — مادة ب و أ: « قال ابن الأنباري: يقال فلان حريص على الباء والباءة والباء بالهاء والقَصْر، أي النكاح » وفي ١٧٢/١ — مادة جزأ: « أنثت أي ولدت أنثى » وفي ١٧٦/١ — جثأ وفي حديث الحسن « جَشَأَت الروم على عهد عمر » أي نهضت وأقبلت من بلادها. وفي ١٨٦/١ — مادة حبأ: « قال المازني: سمعت أبا زيد يقول: احْبَنَطْتُ، بالهمز، أي امتلاً بطني » وفي ١٨٧/١ « وقيل في الطفل المحنطى: أي ممتنع ». «

وفي ٢٢٩/١ — مادة د ن أ: « قال ابن السكيت: لقد دَنَأَتْ في فعلك أي سَفَلَتْ ومُحِنَتْ » وفي ٢٣١/١ — مادة دوا: « قال سيويو: رجلٌ داءٌ فَعِلَّ أي ذو داء ». « وفي ٢٣٩/١ — مادة رثأ: « قال الجوهري والصاغاني: الرثئة تفتأ الغضب، أي تكسره وتذهبه ». « وفي ٢٤٧ / ١ — مادة رفا: « يقال: من اغتاب خرق، ومن استغفر الله رفاً؛ أي خرق دينه بالاغتياب، ورفأه بالاستغفار ». «

وفي ٢٤٨/١ — رأ: « رفاً أي تزوّج ». « وفي ٢٥٢/١: « وما يستدرك عليه: عن ابن الأعرابي: رَمَأْتُ على الخمسين وأرمأتُ، أي: زدت ». «

وكثيراً ما لجأ إلى السياق الشرطي لأداء المعنى لقوله في ١٤٥/١ — بذأ « وما يستدرك عليه: باذأت الرجل إذا خاصمته ». « وفي ١٥٩/١ — تطأ: « وما يستدرك عليه هنا: تَطَأَ. في التهذيب: أهمله الليث، وعن ابن الأعرابي: تَطَأَ الرجلُ إذا ظَلَمَ، كذا في اللسان ». « وفي ١٥٨/١ — مادة بوا: « وما يستدرك عليه:.. الفراء: بَاءَ بوزن باع إذا تكَبَّرَ ». « وفي ١٧٦/١ — مادة حشأ: « يقال: جَشَّوْا إذا نهضوا من أرض إلى أرض ». «

وفي ١٧٧/١ — حشأ: « ومما يستدرك عليه :.. وجشأ فلان عن الطعام إذا اتَّخَمَ فَكَّرَه الطعام » وفي ١٨٠/١ مادة جنأ: « إذا أَكَبَّ على الرجل يقيه شيئاً قيل: أَجْنَأ ». وفي ١٨٦/١ — مادة حَبَطَ: « قيل حَبَطَ بطنه إذا انتفخ.. قال المبرد...: حَبَطَ بطنُ الرجل إذا انتفخ لطعام أو غيره. واحبناً الرجل إذا امتنع.. ». وفي ٢١٥/١ — مادة خطأ: « ورجل خطأ إذا كان ملازماً للخطايا غير تارك لها » وفي ٢٢١/١ — مادة درأ: « دَرَأْتُ وَضَيْنَ البعير إذا بَسَطْتَهُ على الأرض ثم أبركته عليه لِتَشُدَّهُ به، قال المثقَّب العبدى يصف ناقته:

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضَيْنِي أَهَذَا دَيْنُهُ أَبَدًا وَدَيْنِي

في ٢٢٩/١ — مادة دَفَأَ: « أدفأت الجريح دافأته ورفأته ودافأته إذا أجهزت عليه.. الصهميم من الرجال والجمال إذا كان حميَّ الأنف أبيضاً شديد النفس بطيء الانكسار » وفي ٢٣٠/١ — مادة دَنَأَ: « وفي كتاب المصادر: دَنُؤُ الرجلُ يَدْنُؤُ دُنُوءًا ودنأه إذا كان ماجناً ».

وقد يسوق المفردة المعجمية في تركيب وصفي (غير إسنادي) في ١٣٣/١ — مادة أَلَأَ: « سِقَاءٌ مألوءٌ: دُبِغَ به » وفي ١٦٩/١ — مادة جَبَأَ: « امرأة جَبَأَى: قائمة الثديين ». وفي ١٧٤/١ مادة جزأ: « ومما يستدرك عليه.. بَعِيرٌ مُجْزِيٌّ: قويٌّ سَمِينٌ، وشيءٌ مَجْزُوءٌ مُفَرَّقٌ مُبْعَضٌ ».

وفي ١٧٧/١ — مادة حشأ: « ومما يستدرك عليه: سَهَمٌ جَشَأٌ: خفيف ». وفي ١٨٧/١ — ح ت أ: « يقال: رجل حِنْتَأَو وامرأة حِنْتَأَو وهو الذي يعجب بنفسه، وهو في عيون الناس صغير ».

وفي ٢٣٩/١ — مادة رثأ: « رجل مَرَثَو: ضعيف الفؤاد، قليل الفطنة ». أما التركيب الإضافي ففي قوله مثلاً في ١٤٣/١ — مادة بدأ: « ومما يستدرك عليه: بادئ الرأي: أوله وابتدأه » وفي ١٦٩/١ — مادة جَبَأَ: « جَبَأَةُ البطن: مَأْتَنُهُ » وفي ١٧٤/١ — مادة جزأ: « ومما يستدرك عليه.. وفي البصائر: جزء الشيء ما يتقوم به جملة » كأجزاء السفينة، وأجزاء البيت ». وفي ٢٢٥/١ — مادة درأ: « ومما يستدرك

علي.. ذات المداراة: هي الناقة الشديدة النفس..». وفي ٢٣٢/١ — مادة دوا: «ومما يستدرك عليه.. داء الأسد: الحمى، قاله أبو منصور، وداء الظبي: الصحة والنشاط، قاله أبو عمرو، واستحسنه أبو عبيد، وأنشد الأموي:

لا تجمهينا أمَّ عمرو فإنما بنا داء ظبي لم تخنه عوامله

وداء الملوك: الترفة والتنعم. وداء الكرام: الدين والفقر، وداء الضرائر: الشر الدائم وداء البطن: الفتنة العمياء.»

وبقي أسلوب سوق المفردة المعجمية في جملة كما في ١٣٦/١ — مادة بأبأ: «وبأبأته، أيضاً، وبأبأت به: قلت له: بابا وقالوا: بأبأ الصبي أبوه إذا قال له بابا.» وفي ١٤٩/١ — مادة برأ: «ومما يستدرك عليه:.. أبرأته: جعلته بريئاً من حقي.» وفي ١٥٢/١ — مادة بكأ: «ومما يستدرك عليه: بكأت عيني: قل دمعها..» وأبكأ زيد: صار ذا بُكاء وقلة خير، وقول الشاعر:

ألا بَكَرت أمَّ الكلاب تلومني تقول ألا قد أبكأ الدرَّ حالبه

زعم أبو ريش أن معناه: وجد الحالبُ الدرَّ بكثاً، كما نقول: أحمدَه: وجده حميداً.. وبكّىء الرجل كفرح: لم يُصب حاجته..» وفي ١٥٦/١ — مادة بوا: «أبأت الإبل مباءةً أنخت بعضها إلى بعض، قال الشاعر:

حليفان بينهما ميرةً يبيئان في عطن ضيق

... وأبأت المرأة أديمها جعلته في الدِّبَاغ.. وفي الحديث: «الجراحات بواء» يعني أنها متساوية في القصاص» وفي ١٥٧/١ — «ومما يستدرك عليه: استباء المنزل: اتخذه مباءة» وفي ١٦٠/١ — مادة ت ف أ: «استفاء فلان ما في الوعاء: أخذه.» وفي مادة تنأ — ١٦١/١: «ومما يستدرك عليه: تنأ على كذا: أقرَّ عليه لازماً لا يفارقه.» وفي ١٦٩/١ — مادة جبأ: «جبأ الجرأ: هجم على البلد...»

وكما ساق المفردة المعجمية في حديث شريف، قد يسوقها في شاهد شعري كقوله في ١٧٦/١ — مادة جشأ: «وتجشأ، قال عمرو بن الإطنابة:

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تُحمدي أو تستريحي

يريد: تَطَلَّعت ونَهَضت جَزَعاً وكرَاهةً»، وفي ١٧٧/١: «وجشأت المعدة وتجشأت: تنفست... وجشأت الأرض: أخرجت جميع نبتها».

وفي ١٨١/١ — ١٨٢ — مادة ج هـ ج أ: «ويستدرك عليه. جَهَجَأَ الرجل: زجره ودفعه، وقد جاء في الحديث، هكذا قال ابن الأثير» وفي ٢٢٥/١ — مادة درأ: «ومما يستدرك عليه: ودراً الحائط بيناء: ألزقه به، ودراً الشيء: جعله له رداءً، ودراه بحجر: رماه، كرداه».

وأما أداء المعنى بالتضاد وتنويعه بالاشتراك اللفظي والتعريف فقد سبقه إليها صاحب القاموس، وقد ذكرت أطرافاً منه وأمثلة عند الحديث عن القاموس المحيط. وانتقل إلى عناصر أخرى في نص تاج العروس كالألفاظ اللهجية كقوله في ١٤٥/١ — مادة برأ: «برأ.. مثلثاً، والفتح أفصح قاله ابن القطاع في الأفعال وتبعه المازني، وعليه مشى المصنف وهي لغة أهل الحجاز.. قلت: وكذلك برا يبرو كدعا يدعو وصرحوا أنها لغة قبيحة.. في لغة الحجاز وتميم» وفي ١٧٤/١ — مادة جزأ: «الجزأة بلغة بني شيبان: الشقة المؤخرة من البيت».

وفي ٢٢٨/١ — ٢٢٩ — مادة دفأ: «ومما يستدرك عليه: الإدفاء: هو القتل، في لغة بعض العرب، وفي الحديث: أتني بأسير يُرعد، فقال لقوم: «اذهبوا به فادفوه» فذهبوا به فقتلوه، فوداه رسول الله ﷺ، أراد الإدفاء من الدفء.. فحسبوه بمعنى القتل في لغة أهل اليمن..».

وفي ٢٤٧/١ — مادة رفا: «أعرب في المصباح فقال إنه يقال: رَفِيتُ، بالياء أيضاً من باب رمى، وهو لغة بني كعب» وفي ٢٦٩/١: «قال ابن الفرج: سمعت الباهليين يقولون: سطا الرجل المرأة ومطأها».

وفي ٣٠٢/١ — مادة شياً: «(أشأه إليه).. لغة تميم، يقولون: شرُّ ما يُشِيئُك إلى مُخَّة عُرْقوب، أي يُجِيئُك ويُلجئُك، قال زهير بن ذؤيب العدوي:

فيال تميم صابروا قد أشيئتم إليه وكونوا كالمحرَّبة البُسْل

وفي ٣٠٥/١ — مادة صأصأ: « وفي لسان العرب: قال الأموي: في لغة بلحارث بن كعب. الصيص هو الشيص عند الناس ».

كذلك اهتم الزبيدي بالأساليب المجازية التي كان يذلل بها المواد، وأحياناً كان يورده في المستدركات على القاموس المحيط وكان يصدرها بقوله: ومن المجاز كقوله في ١٤٥/١ — مادة بدأ: « ومما يستدرك عليه: ... ومن المجاز: وُصفت لي أرض كذا فأبصرتها فبذأتها عيني، أي ازدرتها » وقد ينقل عن أساس البلاغة للزمخشري فيقول (كما في ٣٢٣/١ — طأطأ): « وفي الأساس: ومن المجاز: طأطأت المرأة سترها: حطته، وطأطأ الحفرة: طمها.. ».

وفي ٣٣٥/١ — مادة ظمأ: « وفي الأساس — من المجاز: فرس مُظمأ أي مُضمر، ورمح أظمأ: أسمر وظي أظمأ: أسود... وفي ٣٣٦/١: وفي الأساس: ومفاصل ظماء، أي صلاب لا رهل فيها، من باب المجاز ».

وفي ٣٩٤/١ — مادة كفأ: « وفي الأساس: ومن المجاز: أكفأ في الشعر: قلب حرف الروي من راء إلى لام أو لام إلى ميم... » وفي ٤٠٥/١ — مادة كلاً: « وبلغ الله بك أكلاً العمر، أي أقصاه وآخره وأبعده، وهما من المجاز وهذا أسلوب مختلف في التنبيه على المجاز، يذكر فيه المجاز عقب إirاده ». ومثله في ٤١٣/١: « وتلألأت النار: اضطربت، وهو مجاز » وفي ٤١٢/١ « وإطلاق اللؤلؤة على البقرة بجاز ».

وفي ٤٣٥/١: « وتملاً غيظاً وشيعاً وامتلاً، قلت: وهو من المجاز » ومما يمكن أن ألحقه بهذا العبارات التي صدرها بقوله ومن سجعات الأساس ومن أمثلة ذلك في ١٣١/١ — مادة أشأ: ومن سجعات الأساس: ليس الإبل كالشاء، ولا العيدان كالأشاء ». ومنه كذلك في ١٤٦/١ — مادة برأ: « ومن سجعات الأساس: حق على البارئ من اعتلاله، أن يؤدي شكر البارئ على إبلاله » ومنها في ١٧٦/١ — مادة حشأ: « ومن سجعات الأساس: إذا رأى طرة من الحرب نشأت، جاشت نفسه وجشأت ».

ومن العناصر التي طغت في نصّ تاج العروس، وميّزته على غيره من النصوص المعجمية هي هذه البحوث الصرفية والنحوية التي انتشرت على صفحات المعجم ومن أمثلة ذلك في ١٣٠/١ — ١٣١ مادة أشأ: « وقال نصر بن حماد: همزة الأشاء منقلبة عن الياء، لأن تصغيرها أشي، ولو كانت مهموزة لكان تصغيرها أشيئاً، قلت: وقد ردّه ابن جني وأعظمه، وقل ليس في الكلام كلمة فاؤها ولا مها همزتان، ولا عينها ولا مها همزتان، بل قد جاءت أسماء محصورة، فوقعت الهمزة منها فاءً ولاماً وهي آءٌ وأجاءه ».

وهو هنا يرد الآراء إلى أصحابها ولم يذكر المصنف الذي نقل عنه. ومثل قوله في ١٤٦/١ — مادة برأ: « باريٌّ وبريء » بالهمز فيهما، وروى بغير همز في الأخير، حكاه القزّاز، وقال ابن درستويه: إن الصّفة من برأ المريض باريء على فاعل، ومن غيره بريء، وأنكره الشّلوّبين وقال: اسم الفاعل في ذلك كله باريء ولم يُسمع بريء ».

وقد يشير إلى المسألة أو الظاهرة الصرفية دون ردّها إلى أحد فيذكرها بصيغة المبني للمجهول كقوله في ٢١٢/١ — مادة خطأ: « (والخطيئة: الذنب) وقد جُوز في همزتها الإبدال؛ لأن كل ياء ساكنة قبلها كسره، أو واو ساكنة قبلها ضمّة، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق ولا هما من نفس الكلمة، فإن قلب الهمزة بعد الواو واواً وبعد الياء ياءً، فتدغم فتقول في مقروء مقروء، وفي خبيء وخبيّ بتشديد الواو والياء » ولكنه لا يلبث أن يعود إلى رد الرأي إلى صاحبه بقوله في ٢١٣/١: « وقال الليث: الخطيئة فعيلة، وجمعها كان ينبغي أن يكون خطائيءً بهمزتين، فاستثقلوا النقاد همزتين فحفّفوا الآخرة منهما... وفي العباب: وجمع خطيئة خطايا وكان الأصل خطائي على فعائل، فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياءً، لأن قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقل وهو معتلّ مع ذلك، فقلبت الياء ألفاً، ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين ».

وكان الحديث في الجوانب الصرفية والنحوية في لفظ « أشياء » من أبرز مواطن الشرح في التاج بشرحه ما أوجزه صاحب القاموس فكانت الإضافة فيه ظاهرة، وامتزج فيها حديثه بحديث الفيروز آبادي — بما قام به الزبيدي من تعليقات وردّه الآراء المختلفة لأصحابها مفصلاً وموضحاً في الصفحات من ٢٩٣ — ٣٠٢ اقتطف منه ما يفي بالغرض

ويكفي بالاستدلال منطلقاً من قول المصنف: « والشيء.. ج أشياء » ونقل رأي الخليل في وزنها وهو « أن أشياء فعلاء » والأخفش (أشياء وزنها أفعلاء).. ثم قوله: وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازني وجميع البصريين إلا الزيادي منهم فإنه كان يميل إلى قول الأخفش.. (وأما الكسائي فيرى أنها) أي أشياء (أفعال كفرخ وأفراخ) أي من غير ادعاء كلفة، ومن ثم استحسّن كثيرون مذهبه، وفي شرح الشافية لأن فعلاً معتلاً العين يجمع على أفعال.. فإن قلت: إذا كان الأمر كذلك فكيف مُنعت من الصرف وأفعال لا موجب لمنعه قلت: إنما (ترك صرفها لكثرة الاستعمال) فخفّت كثيراً فقابلوا خفتها بالثقل وهو المنع من الصرف (لأنها) أي أشياء (شُبّهت بفعلاء) مثل حمراء في الوزن.. قال شيخنا: قوله: لأنها شُبّهت، الخ من كلام المصنف جواباً عن الكسائي، لا من كلام الكسائي. قلت: قال أبو إسحاق الزجاج في كتابه في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾^(١) في موضع الخفض إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف، قال: وقال الكسائي: أشبه آخرها آخر حمراء وكثر استعمالها فلم تنصرف. انتهى، فعرف من هذا بطلان ما قاله شيخنا، وأن الجوهري إنما نقله من نص كلام الكسائي، ولم يأت من عنده بشيء.. قال أبو إسحاق الزجاج: وقد أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ في هذا، والزموه أن لا يصرف أبناء وأسماء..

قال الإمام علم الدين أبو الحسن السخوي الدمشقي في كتابه سفر السعادة وسفير الإفادة: وأحسن هذه الأقوال كلها وأقربها إلى الصواب قول الكسائي، لأنه فعل جُمع على أفعال مثل سيف وأسياف، وأما منع من الصرف فيه فعلى التشبيه بفعلاء.. وقال الجار بردي في شرح الشافية، ويلزم الكسائي مخالفة الظاهر من وجهتين:

الأول منع الصرف بغير علة، والثاني أنها جُمعت على أشاوى، وأفعال لا يجمع على أفاعل.. وذكر الشهاب الخفاجي في طراز المجالس أن شبه العجمة وشبه العَلَمية، وشبهه الألف مما نصّ النحاة على أنه من العِلل.. وقال أبو إسحاق الزجاج في كتابه الذي حوى

أقاولهم واحتج لأصوبها عنده وعزاه للخليل، فقال: قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ في موضع الخفض إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف.»

وأكتفى بهذا القدر من الاستدراكات والتعقيبات والاستطرادات التي اقتضاها تتبع المادة، وهذا ديدنه عندما تعرض له مسألة صرفية أو نحوية يفرض عليه اختلاف الآراء الاختصار والاستطراد، وكان كثيراً ما ينطلق من الصحاح مثل هذه المسألة التي بدأها بملخص لها من الصحاح وبعد ذلك تعقب آراء اللغويين كابن بري، والجريري، والحياتي، والخليل، والأخفش وحسام زاده، والفراء، والسخاوي، وابن سيده، وابن مالك وابن هشام وأبي حيان والرجاج وسيبويه والمازني، والبصريين والكوفيين، والجاربردي، وقد أشبع القول في جوانب هذه المسألة صرفياً ونحويًا.

وفي بعض الأحيان يوجز ويلخص دون تتبع متعمداً أن يقرر الخلاصة مع الأمثلة كقوله في ٢٠١/١ مادة حمأ: «اعلم أن المشهور أن الفعل المجرد يرد لإثبات شيء وتزاد الهمزة لإفادة سلب ذلك المعنى، نحو شكى إلى زيد فأشكيتة؛ أي أزلت شكواه، قال في الأساس: ونظيره قذيت العين وأقذيتُها وفي التهذيب: أحماؤها إذا نقيتها من حماتها...».

ولقيت القراءات عناية خاصة في تاج العروس ومن ذلك توسعه في بيان قراءات السوء (٢٧٢/١ وما بعدها) التي أوجزها الفيروز آبادي في القاموس، واقتطف مثلاً لم يكن فيه الحديث شرحاً بل كان إضافة وتعليلاً وتوجيهاً من الزبيدي كقوله في ٢٨٥/١ — ٢٨٦ مادة ش ن أ: «... وقُرئ بهما، أي شنان بالتحريك والتسكين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾^(١) فمن سكن فقد يكون مصدراً ويكون صفة كسكران.. وقرأ عاصم شنان بإسكان النون، وهذا يكون اسماً، كأنه قال: ولا يجر منكم بغيض قوم...».

كذلك نال العروض اهتمام الزبيدي فقد يجزئه اشتقاق المفردة المعجمية لغوياً وإشارة القاموس الموجزة اصطلاحاً إلى عرض المادة بتوسّع مع الشواهد ومن ذلك ما جاء مثلاً في ٣٩٣/١ — ٣٩٦ مادة كفأ: «(و) أكفأ في الشعر إكفاء: (خالف بين) ضروب

(إعراب القوافي) التي هي أواخر القصيدة، وهو المخالفة بين حركات الروي رفعاً ونصباً وجراً (أ وخالف بين هجائها) أي القوافي، فلا يلزم حرفاً واحداً تقاربت مخرج الحروف أو تباعدت على ما جرى عليه الجوهري، ومثله بأن يجعل بعضها ميماً وبعضها طاءً... مثال الأول (الميم):

بُنِيَّ إِنِّ الْبَرَّشِيَّ هَيِّنُ المنطق اللَّيِّنُ وَالطَّعْمُ

ومثال الثاني (الراء وليس الطاء كما ذكر):

خَلِيلِي سِيرَا وَاتْرَكَ الرَّحْلَ إِنِّي بِمَهْلَكَةٍ وَالْعَاقِبَاتُ تَدُورُ

مع قوله:

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوٌ الْمَلَاظُ نَجِيبٌ

ويستطرد: « وقال بعضهم: الإكفاء في الشعر هو التعاقب بين الراء واللام والنون. قلت: وهو أي الإكفاء أحد عيوب القافية الستة التي هي: الإيطاء، والتضمين والإقواء، والإصراف، والإكفاء، والسناد، وفي بعض شروح الكافي: الإكفاء هو اختلاف الروي بحروف متقاربة المخرج أي كالطاء مع الدال كقوله:

إِذَا رَكِبْتُ فَاجْعَلَانِي وَسَاطَا إِنِّي كَبِيرٌ وَلَا أَطِيقُ الْعُنْدَا

يريد العُنْتُ، وهو من أقبح العيوب... » وينقل آراء للزمخشري وللأخفش عن الخليل ولأبي عبيد البكري، وابن جني وابن بري حتى ينتهي إلى القول ٣٩٦/١: « وفي حديث النابغة أنه كان يكفيء في شعره، وهو أن يخالف بين حركات الروي رفعاً ونصباً وجراً، قال وهو كالإقواء وقيل: هو أن يخالف بين قوافيه فلا يلزم حرفاً واحداً في اللسان».

ومما أعاره الزبيدي اهتمامه أيضاً تفصيل الحديث عن الأعلام كقوله في ١٤٨/١ — مادة برأ: « (و) البراء (اسم. و) البراء (بن مالك) بن النضر الأنصاري أخو أنس رضي الله عنهما، شهد أحداً وما بعدها، وكان شجاعاً، استشهد يوم تُسْتُر، وقد قتل مئة مبارز (و) البراء بن (عازب)، بالمهمل، ابن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي أبو عُمارة،

شهد أحداً وافتتح الري سنة ٢٤ هـ، في قول أبي عمر والشيباني وشهد مع علي الجمل وصفين، والنهروان ونزل الكوفة، وروى الكثير، وحكى فيه أبو عمرو الزاهد القصر أيضاً (و) البراء بن (أوس) بن خالد، أسهم له رسول الله ﷺ خمسة أسهم (و) البراء بن (معزور) بالمهملة، ابن صخر بن خنساء ابن سنان الخزرجي السلمي أبو بشر نقيب بني سلمة (الصحابيون) رضي الله عنهم».

وفي ٢٦٣/١ - ٢٦٦ مادة سبأ: (وسبأ كجبل) يصرف على إرادة الحي، قال

الشاعر:

أضحت يُنفّرُها الولدان من سبأ كأنهم تحت دفيها دحاريج

ويمنع من الصرف لأنه اسم (بلدة بلقيس) باليمن، كانت تسكنها، كذا ورد في

الحديث، قال الشاعر:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ينون من دون سيلها العرما

وقال تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾^(١) قال الزجاج: سبأ هي مدينة

تُعرف بمأرب، من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال، ونقل شيخنا عن زهر الأكم في الأمثال والحكم في نصه: وكانت أخصب بلاد الله.. قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق سبأ (لقب ابن يشجب بن يعرب) بن قحطان، كذا في النسخ (واسمه عبد شمس يجمع قبائل اليمن عامة)».

وانتقل الآن إلى شواهد تاج العروس من القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب وأمثالهم. فقد استعان بالقرآن وقراءاته لبيان دلالة المفردات المعجمية وهذا هو الأصل في الاحتجاج في المعاجم كقوله في ١٧٣/١ - مادة جزأ: «وفي التزيل ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾^(٢) أي إنثاء، يعني الذين جعلوا الملائكة بنات الله.. قاله ثعلب».

(١) ٢٢ - النمل.

(٢) ١٥ - الزخرف.

وفي ٢٠٥/١ — مادة خبأ: « قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) قال الأزهرى: الصحيح والله أعلم أن الخبء كل ما غاب، فيكون المعنى: يعلم الغيب في السموات والأرض .. ».

وفي ٢٧١/١ — مادة ساء: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢) أي قبح هذا الفعل فعلاً وطريقاً.. ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾^(٣) قيل: معناه ما بي من جنون.. ومنه قوله تعالى: ﴿تَخْرِجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرٍ﴾^(٤) أي من غير برص.. .. ».

وفي ٢٨٨/١ — مادة شأ: « وفي التزيل ﴿إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٥) أي مبغضك وعدوك .. ».

وكان أكثر احتجاجة بالقرآن وقراءاته في المسائل النحوية والصرفية كاحتجاجة في ١٤٩/١ — برأ « البرية: الخلق. وقد تركت العرب همزها، وقرأ نافع، وابن ذكوان على الأصل، قوله تعالى: ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٦) و ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾^(٧) وقال الفراء: إن أخذت البرية من البرى وهو التراب، فأصلها غير الهمز .. ».

كذلك الأمر في ٢٧٢/١ على جواز فتح السين وضمها في القول: « لا خير في قول السُّوء » بالفتح والضم.. وقرأ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾^(٨) بالوجهين، الفتح والضم.. قرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السُّوء بضم السين ممدوداً في

(١) ٢٥ - النمل.

(٢) ٢٢ - النساء.

(٣) ١٨٨ - الأعراف.

(٤) ١٢ - النمل.

(٥) ٣ - الكوثر.

(٦) ٧ - البينة.

(٧) ٦ - البينة.

(٨) ٩٨ - التوبة.

سورة براءة وسورة الفتح. وقرأ سائر القراء « السوء » بفتح السين في السورتين... الخ.

وفي ٢٤١/١ — مادة رجأ: « وقوله تعالى: ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُقْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾^(١).. وقرئ: تُرجي بغير همز، والهمز أجود.. وقرأ غير المدنيين والكوفيين وعياش قوله تعالى: ﴿ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾^(٢) أي مُؤَخَّرُونَ.. وُقرئ « وآخرون مُرْجُونَ » بفتح الجيم وسكون الواو... ». كذلك احتج على منع صرف أشياء بقوله تعالى: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾^(٣) في ٢٩٧/١ بقوله في مادة شيأ: « قلت: قال أبو إسحاق الزجاج في كتابه في قوله تعالى: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ في موضع الخفض إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف ».

وأما الحديث الشريف ورواياته فكان أحد وسائله في أداء معاني المفردات المعجمية كما في ١٥٤/١ — مادة باء: « وفي الحديث « أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي » أي ألتزم وأرجع وأقر.. وفي حديث آخر: « فقد باء به أحدهما » أي التزمه ورجع به ». وفي ١٥٧/١: « وفي الحديث: « الجراحات بواء » يعني أنها متساوية في القصاص، وإنه لا يُقتصرُ للمجروح إلا من جارحه الجاني ».

وفي الجانب اللغوي الصرفي أو النحوي أجده قد احتج على صيغة معينة في لفظ الباءة بحديث نبوي شريف بقوله في بوا — ١٥٣/١: « (والباءة) بالمدّ (الباء) بحذف الهاء، والباهة بإبدال الهمزة هاء، والباه بالألف والهاء فهذه أربع لغات بمعنى النكاح لغة في الباءة.. وفي الحديث « من استطاع منكُم الباءة فليتزوّج ».

وتجدر الإشارة إلى تنوع صيغ استشهاده بالحديث الشريف كقوله وفي حديث عمر، ومن ذلك حديث أبي هريرة، وقد جاء في الحديث، وأهل الحديث يقولون، قال أبو

(١) ٥١ - الأحزاب.

(٢) ١٠٦ - التوبة.

(٣) ١٠١ - المائدة.

منصور سمعنا في غريب الحديث، وفي حديث النبي ﷺ، وأما الحديث، وإليه وجه بعضهم قوله ﷺ، ومنه قول النبي ﷺ، وفي حديث النبي أنه هـى... ».

كذلك تنوعت أغراض الاحتجاج بالشعر في تاج العروس، ومن الطبيعي أن يكون الاستدلال على المعاني هو الغرض الرئيسي للاحتجاج بالشعر خاصة معاني القاموس المحيط ومن ذلك في ١٤٠/١ مادة بدأ حيث قال: « (البدء: السيد) الأول في السيادة. والثنيان: الذي يليه في السؤدد، قال أوس بن مَعْرَاء السَّعْدِي:

ثَنِيَانَا إِن أَتَاهُمْ كَانَ بَدَأَهُمْ وَبَدَأُهُمْ إِن أَتَانَا كَانَ ثَنِيَانَا

وفي ١٥٧/١ — مادة بَوَاء: « (والبواء) بالمد (السَّوَاءُ وَالْكَفَاءُ) يقال: القومُ بَوَاء في هذا الأمر، أي أكفاء نظراء، ويقال دُمُ فلان بَوَاءً كدم فلان إذا كان كفؤاً له، قالت ليلي الأخيلية في مقتل توبة بن الحمير:

فَإِن تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ

وفي مثال ثالث في ١٩٣/١ — مادة حضأ: « (حضأ النار: أوقدها وسَعَرَهَا.. لتلهب، قال تأبط شراً:

وَنَارٌ قَدْ حَضَّتْ بُعِيدَ هَذِهِ بَدَارٍ مَا أُريدُ بِهِ مُقَاماً

ومن أغراض الاحتجاج بالشعر كذلك الاستدلال على المواضع كالجبال كما في ١٢٨/١ — ١٢٩ مادة أَجَأ: « وأَجَأ.. جبل مذكَّر سُمِّيَ باسم رجل، وقد ورد ذكره في أشعارهم فمنها قول عارف الطائي:

وَمِنْ أَجَأٍ حَوْلِي رِعَانٌ كَأَنَّهَا قِبَائِلُ خَيْلٍ مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ

وقال زيد بن مهلهل الطائي:

جَلَبْنَ الْخَيْلَ مِنْ أَجَاءٍ وَسَلَمَى تَخُبُّ تَرَائِعاً خَبَبَ الرُّكَّابِ

وقال لبيد يصف كتبة النعمان:

كَأَرَّكَانَ سَلَمَى إِذَا بَدَتْ أَوْ كَأَنَّهَا ذُرَى أَجَاءٍ إِذَا لَاحَ فِيهِ مُوَاسِلُ

وقد يحتج بالشعر للاستدلال على مسألة صرفية أو نحوية كالاستدلال على الجمع، أي صيغة جمع في ١٤١/١ — مادة بدأ: « (البدء) (ج أبدأ) كجفن وأجفان على غير قياس.. قال طرفة بن العبد:

وهم أي سار لقمآن إذا أغلت الشتوة أبدأ الجُر

يقصد مفصل الجزور. وقد يستدل به على صيغة صرفية كالمصدر في قول المتنبي ١٥٠/١ — مادة بطأ: « (بطؤ ككرم) يبطؤ (بطأ، بالضم) قال المتنبي:

ومن البر بطء سبيك عني أسرع السحب في المسير الجهم

أو على صيغة صرفية فعلية فصيحة كقوله في ١٣٨ / ١ — مادة بدأ « البداية بالكسر والتحتية بدل الهمزة، فقال المطرزي: لغة عامية، وعدّها ابن بري من الأغلاط، ولكن قال ابن القطاع: هي لغة أنصارية، بدأت بالشيء وبدت به: قدمته، وأنشد قول ابن رواحة:

باسم الإله وبه بدينا ولو عبدا غيره شقينا

ومن هذا القبيل أقصد الهمز في ١٨٦/١ — مادة حبطأ: « واحببط الرجل إذا امتنع وكان عبدة يميز فيه ترك الهمز، وأنشد:

إني إذا استنشدت لا أحبطني ولا أحب كثرة التمطي

وفي مادة حيا — ١٨٧/١ — « عن أبي عمرو: احتأت الثوب إذا خطته، (والحتيء كأمير) لغة في الحتي بغير همز وهو (سويق المقل) ويُشد بالوجهين بيت المتنخل الهذلي: لا درّ درّي إن أطعمت نازلکم قرّف الحتيّ وعندي البر مكنوز

وقد يستدل بالشعر على أسماء الأصوات التي كانت تستعملها أي استعملته العرب حكاية لصوت.. قال الشاعر:

في جحفل لجب جم صواهلّه بالليل يُسمع في حافاته آء

فهو اسم صوت أو اسم فعل ذكره ابن سيده في المحكم. ومما يستدرك عليه: الآء بوزن العاع: صياح الأمير بالغلام، عن أبي عمرو.

وقد يكون اسم الصوت أو حكاية الصوت دعوة الإبل إلى الطعام والشراب كم في ١٨٣/١ — مادة ج ي أ: « جأجأ بالإبل » إذا (دعاها للشرب) وهأهاها إذا دعاه للعلف وأنشد لمعاذ الهراء:

وما كان على الهيء ولا الجيء امتدا حيكاً

وفي ٢٦٠/١ — مادة سأسأ « سأسأ بالحمار إذا (دعاه ليشرّب) وقلت له سأسأ، ... أ. أو يمضي) (أي زجرته ليمضي قلت له سأسأ، قاله الليث، وقد يُذكر سَأ ولا يكرّر فيكون ثلاثياً قال:

لم تدر ما سَأ للحمير ولم تضرب بكف مخابط السَلَم

وقد يستدل الشعر على إطلاق لفظ على شيء معروف باسمه المتداول كقوله في ٢٦٥/١ — مادة سبأ: « سبأ الخمر واستباها: اشتراها.. والاسم السبأ ومنه سميت الخمر سبيئة قال حسان بن ثابت:

كان سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

فقد سُمي الخمر سبيئة. وقد استكثر الزبيدي من الشواهد الشعرية التي يستدل بها على أوصاف لناقة أو لفرس أو لثور أو لقطاة أو لغزال أو لجارية أو امرأة وغيرها. ومن ذلك في ١٣٧/١ — مادة بؤبؤ: « البؤبؤ (السيد الظريف) الخفيف، والأنثى بهاء نقله ابن خالويه. وأنشد قول الراجز في صفة امرأة:

قد فاقت البؤبؤ والبؤبيّة والجلد منها غرقى القويقيّة

وفي ١٦٩/١ — مادة جبأ: « قال النابغة الجعدي يصف فرساً:

وغارة تسعر المقانب قــــد سارعت فيها بصلدم صمم
فعم أسيل عريض أوظفة الرّ جلين خاظمي البضيع ملّتم
في مرفقيه تقارب وله بركة زور كجباة الخزم

والجباة هي خشبة الحذاء التي يحذو عليها.

وفي ٢٢٧/١ — مادة دفا: « يقال: أرض (مدفأة) أي ذات دِفءٍ، والجمع مدافئ قال ساعدة (بن جؤبه) يصف غزالاً:

يَقْرُو أَبَارِقَهُ وَيَدْنُو تَارَةً بِمَدَافِيءٍ مِنْهُ بِمَنْ الْحَلَبِ

وتنوعت صيغ الاستدلال بالشعر نحو: قال الراجز، قال طرفة، قالت ليلي، ومنه قول العباس بن مرداس وأنشد، أو وأنشد الأموي لمعاذ الهراء، عن الأصمعي وأنشد، قال ثعلب أنشدوني، وقال ابن السكيت في قول زهير، أو قال الشاعر (دون عزو وهو قليل) أو قال زهير يصف ناقته، قال ابن مقبل يصف الإبل، وقرأت في ديوان الحماسة للقلائخ ويغلب عليه في احتجاجه بالشعر عزوه لأصحابه، ومما يجدر ذكره أنه في أكثر من موضع قام بتصحيح نسبة الأبيات إلى أصحابها نحو قوله في ١٨٨/١ — مادة حجا: « وأنشد الفراء، وهو لرجل مجهول، وليس للراعي كما وقع في بعض كتب اللغة:

فإني بالجموح وأم عمرو ودوّل فاعلموا حجيّ ضنين

وفي ٢٢٢/١ — مادة درأ: « قال المتلمس »:

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه، فتقوما

والرواية الصحيحة: من ميله ومن الناس من يظن هذا البيت للفرزدق وليس له وبيت الفرزدق:

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه تحت الأثنين على الكرد

وفي ٢١٠/١ — مادة خ ر أ: « وقال حوَّاس بن نعيم الضبيّ، ويروى لجوَّاس بن

القعطل ولم يصح:

كأنَّ خروء الطير فوق رؤوسهم إذا اجتمعت قيس معاً وتميم
متى تَسَلَّ الضَّبِّيُّ عن شرِّ قومه يقل لك إن العائذي لئيم

وبقي أن نقول إنه احتج لشعراء من عصور الاحتجاج المعروفة من امرئ القيس إلى ابن هرمة وتعدّى ذلك إلى احتجاج بشعر المولدين، كما يُسمون، كاسحق بن إبراهيم الموصلي في معانيه في ١٩٩/١. وللمتني ٣٥٤هـ في ١٢٤/١، ١٥٠، ٣٣٦.

وكذلك تجب الإشارة إلى أنه استشهد لشعراء مشهورين ومغمورين ومجهولين، من الجاهليين كامرئ القيس وطرفة وزهير والأعشى والنابعة الذبياني وأوس بن حجر وعدي بن زيد العبادي وغيرهم، والمخضرمين كحسان وليبد والنابعة الجعدي والعباس بن مرداس ومن الأسلاميين جرير والفرزدق وكثير وليلى الأخيلية والكميت وذو الرمة وقيس بن ذريح ومن شعر الرجز للعجاج ورؤبة ولغيرهما. وأما من المغمورين أبو مكعث الأسدي وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود، وعمارة بن طارق، وعمارة بن أرطاة وجواس بن نعيم وجواس بن القعطل وللقلّاخ وأبو المثلّم الهذلي ومفروق الشيباني. ومن المجهولين قوله الراجز أو لبعض الأنصار، وقال التغلبي، أو الهذلي أو رجل من بين سعد، أو بعض الأعراب، أو امرأة من العرب، أو أبو حزام.

وأما أقوال العرب وأمثالهم فقد قلّ احتجاجه بها كقوله في ١٨٥/١ — مادة جيا — « وفي المثل: شرُّ ما يجيئك إلى مُخَّةِ عُرقوبٍ » قال الأصمعي: وذلك أن العرقوب لا مخ فيه، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء، وفي مجمع الأمثال: « لا جاء ولا ساء » أي لم يأمر ولم ينه « وفي ٢٠٠/١ — مادة صلا: « ومن الأمثال « حلوةٌ تُحكُّ بالذرايح » يُضرب لمن قوله حسن وفعله قبيح » وفي ٢٧٧/١ — مادة سوا: « وفي الأمثال للميداني: « ترك ما يَسُوؤه وينوءه » يُضرب لمن ترك ماله للورثة.. أي مالا تأكله ورثته ويبقى عليه وزره ».

إنه يضرب المثل ويفسّر محل ضربه. وأما الأقوال فقد تنسب لقائلها كقوله في ٢٠٨/١ مادة خجأ: « قالت ابنة الخس: خير الفحول البازل الخجأة ». أو تنسب لعموم العرب كقوله في ٢٠٨/١ أيضاً: « والعرب تقول: ما علّمت مثل شارفٍ خجأة، أي ما صادفت أشدَّ منها غلّمةً ».

أو يُنسب القول لمجهول كقوله في ٢٢٦/١ مادة دفا: « حكى اللحياني أنه سمع أبا الدينار يحدث عن أعرابية أنها قالت: الصلاء والدّفاء، نُصبت على الإغراء أو الأمر ». وأخلص في الحديث عن تاج العروس إلى التنويه بإيجاز إلى ما استحدثه الزبيدي من زيادات أو إضافات على القاموس المحيط كالاستدراكات والمسائل النحوية والصرفية

والشواهد وما يضيفه من دلالات ومعلومات في القراءات والعروض والأعلام واتخذت الاستدراكات عناوين متعددة وأشهرها قوله ومما يستدرك عليه، أو وهو مستدرك على المؤلف ١٨٦/١ بعد ذكره ما استدركه، وقوله: مما أغفله من هذه المادة ٢٦٩/١ ومما أغفله المصنف ٢٧٦/١، ومما بقي على المصنف ٢٨١/١ — ٣٥٠، ومما بقي على المؤلف ٢٩١/١ — ٤٠٠ وقال شيخنا مما بقي على المؤلف ٢٦١/١، ومما بقي على المؤلف من هذه المادة ٢٦٧/١.

المراجع:

- ١- تاج العروس من جوهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٥م.
- ٢- تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٣- التقفية في اللغة: لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البندنجي، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، بغداد، ١٩٧٦م.
- ٤- القاموس المحيط: لمحمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بلا ت.
- ٥- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، دار الفكر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٨٢م.

الوحدة الرابعة

تحرير النص المعجمي عند العرب

- ٤ - ١ أولاً: الجانب الصوتي.
- ٤ - ٢ ثانياً: الجانب التصريفي.
- ٤ - ٣ ثالثاً: الجانب المعنوي: طرق أداء المعاني وترتيبها.
- ٤ - ٤ رابعاً: المعلومات الموسوعية.
- ٤ - ٤ - ١ البحوث الدلالية والنحوية والصرفية.
- ٤ - ٤ - ٢ الشواهد وتنوعها.
- ٤ - ٤ - ٣ ذكر الأعلام.
- ٤ - ٤ - ٤ الرموز المستعملة.
- ٤ - ٤ - ٥ تميمات وتوضيحات.
- ٤ - ٥ خامساً: النتائج والتوصيات.

الوحدة الرابعة

تحرير النص المعجمي عند العرب

"مادة شعر ومشتقاتها أنموذجاً"

تقديم:

تثار في أيامنا جملة من القضايا المعجمية التي تُعدُّ من المآخذ على المعاجم العربية التي وُضِعَتْ قديماً وحديثاً، وقد تتبعها عفيف عبد الرحمن وعد منها اثنتي عشرة قضية^(١) في بحث له بعنوان "من قضايا المعجمية العربية المعاصرة" وهو في جملته وثيقة تود المحافظة على أصالة القديم وتحديد عناصر التجديد، واكتفى فيه صاحبه بمس القضايا والتنبيه عليها دون توسع، وقد يكون من مقاصد واضعه (أقصد الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن) المشاركة في رسم منهجية علمية لصناعة معجمية عربية.

ومن هذه القضايا ترتيب المشتقات في المادة الواحدة أو قضية الترتيب الداخلي للمادة المعجمية التي غاب عنها النسق في عرض معاني اللغة، وخلت من ترتيب المشتقات تحت المادة الواحدة وأصبح الخلط هو السمة الغالبة في سرد مفردات المادة، بلا منهجية تلتزم بتقديم المعاني الحقيقية على المجازية الحسية على العقلية أو تنقيد بتنظيم معين للأفعال وتقديمها على الأسماء، عدا الاضطراب في إيراد الأسماء وجموعها والأعلام ومواضعها والشواهد وضرورتها.

ومن أجل أن ندرك أبعاد هذه الإشكالية وبصورة علمية وتطبيقية ولا يبقى الأمر مجرد انطباعات لا يسندها دليل رأيت أن أقوم بمقارنة منهجية وموازنة واقعية تبين الكيفية التي عاجلت بها المعاجم العربية القديمة والحديثة الترتيب الداخلي لمادة لغوية واحدة هي مادة شعر ومشتقاتها في المعاجم الآتية :

العين للخليل بن أحمد الفراهيدي والجمهرة لابن دريد وتهذيب اللغة للجوهرى والمجمل لابن فارس والمحكم لابن سيده وأساس البلاغة للزحشري ولسان العرب لابن منظور والمصباح المنير للفيومي والقاموس المحيط للفيروزآبادي وتاج العروس للزبيدي ومحيط المحيط لبطرس البستاني وأقرب الموارد لعبد الله البستاني ومتن اللغة للشيخ أحمد رضا

(١) عبد الرحمن، عفيف، في المعجمية العربية المعاصرة، ٣٧٣-٤٠٠.

والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة والرائد لجران مسعود، والمحيط لأديب اللجمي وزملائه، والهادي لحسن الكرمي، وستناول الدراسة مقارنة النواحي الآتية :

٤-١- أولاً: الجانب الصوتي: العلامات الصوتية المميزة لنطق المداخل وضبطها.

٤-٢- ثانياً: الجانب التصريفي:

١. تقديم منهجي.

٢. البدء بالفعل أو بالاسم.

٣. تقديم المجرد على المزيد من الأفعال.

٤. تقديم الفعل اللازم على المتعدي.

٥. الأسماء (المصادر والمشتقات وجموعها).

٤-٣- ثالثاً: الجانب المعنوي:

١. المعنى العام وطرق أدائه.

٢. الترتيب بين المعاني الحسية والعقلية.

٣. الترتيب بين المعاني الحقيقية والمجازية.

٤-٤- رابعاً: المعلومات الموسوعية:

١. البحوث الدلالية والنحوية والصرفية.

٢. الشواهد وتنوعها.

٣. ذكر الأعلام.

٤. الرموز المستعملة.

٥. تميمات وتوضيحات.

٤-٥ خامساً: النتائج والتوصيات.

٤-١ أولاً: الجانب الصوتي

العلامات الصوتية المميزة للنطق المداخل وضبطها

إن المتأمل للطريقة التي اتبعت في المعاجم العربية لبيان الكيفية التي يجب أن تنطق بها مداخل الكلمات العربية ومشتقاقها المتفرعة عنها، يجد أن السمة الغالبة عليها هي الضبط بالشكل، أي بوضع الحركات: الفتحة، والضمّة، والكسرة، والسكون على الحروف. والحركات هي العلامات الصوتية العربية التي يُستدل بها على نطق الكلمات، وهذه هي الطريقة التي التزم بها معجم العين للخليل ومجمل اللغة لابن فارس والمحكم لابن سيده وأساس البلاغة للزمخشري ولسان العرب لابن منظور ومعجم متن اللغة لأحمد رضا والمعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة والرائد لجبران مسعود والمحيط لأديب اللحمي وزملائه والهادي لحسن الكرمي.

ولم يكتفِ المعجميون العرب بهذه الطريقة، واتبعوا وسائل أخرى من أجل الضبط والتفريق بين صيغة وأخرى؛ فإذا تشابهت الحروف فإنهم يزيدون على الضبط بالشكل صورة إيضاحية أخرى كقول ابن دريد في الجمهرة: والشعر معروف بتحريك (أي فتحها) العين وتسكينها. وفيما اعتقد أن هذه الوسيلة المعجمية منقولة عن الخليل في العين ولكنه يستعمل مصطلحات أخرى كقوله في مادة (ع ق ر) ويقال: وعُقِر الدار وعُقِر الدار بالرفع والنصب^(١).

والرفع والنصب ليسا مصطلحين صوتيين وإنما مصطلحان نحويان تركيبيان، وليسا علامتين صوتيتين وبودي هنا أن أصحح ما أورده حسين نصار في كتابه المعجم العربي نشأته وتطوره في فصل له بعنوان "عيوب المعجم القديم" حيث قال:

لعل أول ما يؤخذ على معاجمنا جميعها التصحيف فالكثيرة العربية لا تبين نطق الحروف التي ترسمها وتحتاج إلى إشارات مضافة (ربما يعني الحركات) فالألفاظ بغير هذه الإشارات من الممكن أن تقرأ على عدة أوجه، ومن الممكن ألا تقع هذه الإشارة المضافة في موقعها الصحيح، بسبب إهمال الكاتب أو تعبه؛ فتسبب الخطأ ولم يأبه أصحاب المعاجم الأولى لدفع هذا الخطر عن كتبهم حتى جاء أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) —

(١) الفراهيدي، الخليل، العين، ط درويش، ١٧١.

فضبط ألفاظه في البارع بالعبارة، ولكن العلماء بعده أهملوا سنته حتى أحيائها المجد الفيروز آبادي في القاموس المحيط، وكانت هذه الخطوة ذات خطر في حماية الألفاظ من تصحيف الحركات ولكنها أرغمت المؤلف أن يذيل كل كلمة بأخرى، أو بكلمات قد تصل إلى خمس ليبين ضبطها؛ فشغل هذا فراغاً كبيراً من المعاجم ويضيع علينا وقتاً طويلاً نضن به أن يذهب هباءً^(١).

قد يلاحظ القارئ طول القطعة المقتطعة ولكن للضرورة أحكام؛ فإن لي ملاحظات اقتضت ذلك فقوله: ولم يأبه أصحاب المعاجم الأولى... حتى جاء أبو علي القالي فضبط ألفاظه في البارع بالعبارة ينقصه الاستقصاء الذي فوت عليه معرفة الحقيقة في هذا الأمر ورد الحق لأصحابه فالعبارة المقتبسة من العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) في قوله.... "بالرفع والنصب" وكذلك ما أورده ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في الجمهرة حين قال: والشعر معروف بتحريك العين وتسكينها يؤيدان ما أثبتناه.

ويمكننا لو بحثنا أكثر في العين والجمهرة أن نجد مثيلاً لعبارتيهما يتنافى مع ما قرره حسين نصار من أن القالي في البارع هو السباق إلى الضبط بالعبارة فهو متوفى سنة ٣٥٦ هـ كما هو معروف، بينما كانت وفاة الخليل سنة ١٧٥ هـ وابن دريد سنة ٣٢١ هـ.

أما المقولة الثانية التي يجب إعادة النظر فيها فهي قول حسين نصار: "ولكن العلماء بعده (أي بعد القالي) أهملوا سنته حتى أحيائها المجد الفيروز آبادي في القاموس المحيط وهي معلومة تحتاج إلى مراجعة من حسين نصار لأن الجوهرى وهو المتوفى في حدود سنة ٤٠٠ هـ في الصباح والفيومي المتوفى في حدود سنة ٧٧٠ هـ في الصباح المنير قد سبقا الفيروز آبادي وهو المتوفى سنة ٨١٦ هـ؛ إذ اعتمدا هذه الوسيلة وهذا ما ورد في العبارات أو الإشارات المقتطفة من معجميهما.

ويمكن أن نضيف إليهما سبق الفارابي (ت ٣٢١ هـ) في ديوان الأدب وإن لم يكن هذا المعجم أحد مراجع دراستنا فلو نظرنا مادة أخرى فيه مثل مادة "حب" لوجدنا فيه "لا يأتي يفعل - بالكسر - في المضاف".

(١) نصار، حسين، المعجم العربي، ٧٤٧/٢-٧٤٨.

كذلك نجد الجوهري في الصحاح يلجأ لهذه الوسيلة بقوله في هذه المادة أقصد مادة (شعر) "الشعرة بالكسر" أي كسر الشين.

وكانت هذه إحدى الوسائل التي استخدمها الفيروز أبادي في القاموس المحيط كقوله شَعَر به.. شعراً وشعرة مثثة ولعله يقصد أن العين في الفعل شعر مثثة الحركة ، أي بالفتح والضم والكسر ثم نجد قوله فيما بعد.. والشعر ويحرك؛ أي إن العين الساكنة يمكن تحريكها بالفتح لأنه يتبعها بقوله الواحدة شَعْرَة.

وقد اعتمد الطريقة نفسها وسيلة معجمية الزبيدي في تاج العروس نحو "وشعرت بالشيء بالفتح أشعر بالضم.. وشعري بالكسر.. وشعري بالضم وقد قيل بالفتح أيضاً. وكذلك المصباح المنير للفيومي الذي جاء فيه الشعر بسكون العين وبفتحها والشعار بالفتح والشعار بالكسرة.

ومحيط المحيط لبطرس البستاني نجد فيه: " وشعر به.. مثثة ونجد النص نفسه في أقرب الموارد للشرطوني إضافة إلى ما ذكره في غير هذا الموضع من قوله الشعار وشعار الحج بالكسر والشعار بالفتح والشعرة بفتح فكسر.

وفي معجم البستان نجد عبد الله البستاني، وكذلك في معجمه الوسيط المسمى الوافي يستعين بهذه الوسيلة ففيه الشعار بالفتح... والشعار بالكسر.. والشعار بالكسر والمد.. والشعرة بفتح فكسر بالفتح والشعرة بالكسر... والشعري بالكسر.

وكذلك لا بد من الإشارة إلى وسيلة أخرى استعملها المعجميون لضبط النطق، غير ما سبق ذكره، وهي التنبيه على أنه من باب كذا أو ككذا أو مثل كذا، أو على وزن كذا من الأفعال والأسماء المعروفة الوزن والضبط، وقد جاء مثل ذلك في القاموس المحيط نحو « شَعَر به كَنَصَر و كَرُم » وفي تاج العروس الشيء نفسه حيث جاء فيه « شَعَر به كنصر و كَرُم » وأحياناً يذكر مثل هذه الوسيلة بعد الضبط بالشكل والنص على الحركة باسمها كقوله شعري بالكسر كذكرى وشعري بالضم كرجعي.

ويلجأ لمثل ذلك صاحب المصباح المنير ولكن دون العناية بالضبط بالشكل، بعكس التاج في قوله الشعر بسكون العين فيجمع على شعور مثل فُلَس فُلوس، وبفتحها فيجمع على أشعار مثل سبب وأسباب. وشعرت بالشيء شعوراً من باب قعد والشعرة وزان سِدْرَة.

وأما محيط المحيط فكان في انتهاجه هذه الوسيلة وإتباعها أقرب إلى القاموس المحيط منه إلى تاج العروس في قوله شَعَرَ باب نَصَرَ وشَعُرَ من باب فَضَّل.... والشرتوني في أقرب الموارد يسلك السبيل نفسه في قوله: وقيل شَعَرَ من باب نَصَرَ وشَعُرَ من باب كَرُم...

وتبدو الفروق في هذه الوسيلة واضحة بين المعاجم فمحيط المحيط وأقرب الموارد فهجا فهج القاموس المحيط من حيث الضبط بالشكل مع ذكر الشبيه أو المثل؛ أي النطق المعروف سماعاً بوزنه وضبطه.

وأما المصباح المنير فنهجه أقرب إلى تاج العروس إذ الفرق بينهما يبدو في عدم عناية المصباح بضبط المداخل بالحركات بعكس التاج.

والخلاصة التي يمكن أن نسجلها هي أن المعاجم العربية قد استعانت بعدة وسائل لضبط نطق المداخل ومشتقاتها وكانت الوسائل كالتالي :

١- الوسيلة الغالبة هي وضع الحركات أي ضبط الكلمات بالشكل التام دون الاستعانة بأية وسيلة أخرى، فقد استخدمتها عشرة معاجم بين قديم وحديث من أصل عشرين معجماً اتخذتها لإقامة هذه الدراسة عليها وهي: العين، ومجمل اللغة، والمحكم، وأساس البلاغة، ولسان العرب، ومتن اللغة، والرائد، والمعجم الوسيط، والمحيط، والهادي.

٢- من المعاجم ما أضاف إليها وسيلة أخرى وهي النص على نوع الحركة، وذلك بعد الضبط بالشكل وهي ثمانية معاجم: الجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمصباح المنير للفيومي، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، وتاج العروس للزبيدي، وأقرب الموارد للشرتوني، ومعجم البستان لعبد الله البستاني وكذلك معجمه المسمّى الوافي.

٣- ومن المعاجم ما أضاف إلى ما سبق وسيلة أخرى وهي الإشارة إلى أن الكلمة من باب كذا أو على كذا أو مثل كذا، من الصيغ المعروفة الوزن والضبط سماعاً، طبعاً إضافة إلى الوصيلتين السابقتين، أي إنها لجأت إلى الوصيلتين السابقتين، أي إنها لجأت للوسائل المعروفة في العربية كلها. وقد ورد ذلك في المعاجم نفسها عدا الجمهرة والصحاح. والمعاجم التي استخدمت الوسيلة

الثانية هي: المصباح المنير، والقاموس المحيط، وتاج العروس، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد.

وأرى أن هذه الوسائل التي استعملتها المعاجم العربية منفردة أو مجتمعة هي أفضل من الطريقة التي تستخدمها اللغة الانجليزية، وهي أكثر لغات العالم حالياً انتشاراً بين البشر، التي تردف كل مدخل في معاجمها بطريقة نطقها Pronunciation بكتابة المدخل ثانية بأبجدية فونيمية صوتية Phonemic Alphabet أو ما يصطلح على توصيفه بقولهم Reading Transcription ولا يُكتفى بذلك بل نجد كل معجم فيها مصدراً بمفاتيح للرموز الصوتية Key to phonetic symbols، وكأنها أبجدية أخرى على الناطق بالانجليزية أو مستعملها أن يحفظها ويلم بها بل يتقنها، حتى يتمكن من القراءة الصحيحة السليمة، أي إن الوحدة الصوتية الواحدة قد يختلف نطقها من كلمة لأخرى، وعليه يجب كتابة الصوت الواحد بأكثر من رمز حسب طريقة نطقه.

وإذا استطعنا أن نصف هذه الأبجدية بالدقة، فإننا لا نتجنّى أو نبالغ إذا وصفناها أيضاً بالتعقيد والصعوبة التي لا تسري إلا على لغة كالانجليزية؛ لما في نظامها الصوتي من تنوع واختلاف يكاد يجعل نطق فونيماتها سماعياً وليس قياسياً، حتى ليظن المتكلم أن لكل كلمة نطقها الخاص بها الذي قد يتفق ويتشابه مع كلمات ليس لها التهجئة نفسها مثل: Red-read و Two-too (في صيغة الماضي) و Week-weak و know-no.

هكذا بعكس ما يتميز به نظام الضبط العربي من بساطة وسهولة يتمثل في وضع رموز للحركات القصيرة هي الفتحة والضمّة والكسرة، وللحركات الطويلة الألف والواو والياء (المديتين)، فهي طريقة اقتصادية في عدد رموزها الكتابية تتناسب مع العربية. وكذلك نستطيع أن نعد اللجوء إلى الأبجدية الصوتية الدولية لترميز الأصوات أمراً لا يمكن استخدامه في المعاجم العربية الحديثة التي يستعملها عامة الناس وخاصتهم، لأنها أكثر تعقيداً في كتابته، وإن كان أكثر دقة، وقد يكون مطلوباً في المحافل العلمية المتخصصة التي لا تعرف الرموز الصوتية الكتابية العربية.

ويبقى أن أشير إلى نقص أو تقصير في معاجمنا وهو عدم التفاتها إلى النبر وتوضيح مكانه. وهو أمر قد نجد له تعليلاً وفيه العذر الوجيه للمعجميين، وهو أن النبر من حيث المبدأ ليس له وظيفة نحوية أو صرفية ثابتة في لغتنا، وهو محل أخذ ورد عند الباحثين فهنري فليش مثلاً يرى أن نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى النحاة العرب بل لم نجد له

اسماً في سائر مصطلحاتهم.. أما علم الصرف فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته جزئياً وذلك في حالة واحدة فحسب حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة)... وهذه الحالة تدع رغم ذلك دوراً ثانوياً للنبر^(١).

وأما تمام حسن فينفي معرفة علماء العربية قديماً لهذا الملمح الصوتي، إذ يقول: "إن دراسة النبر ودراسة التنعيم في العربية تتطلب شيئاً من المجازفة، لأنها لم تعرف ذلك في قديمها، ولم يسجل لنا القدماء شيئاً من هاتين الناحيتين"^(٢).

حتى من حاول من علمائنا ولغويينا المحدثين أن يقيم له دراسة منظمة كتمام حسن لم تكن الدراسة محيطة مستفيضة وضايفة بشكل شاف وكاف، كما يقول المناطقة والأصوليون، حيث أشار إلى نوعين من النبر: نبر الصيغة ونبر الكلمة. وعده من اختصاص البناء ومثل له بينائين هما (اسما الفاعل والمفعول). ثم نبر السياق الذي سماه محمود السعران ارتكاز الجملة، وهو أقرب إلى التنعيم الذي علّق عليه تمام حسن مكتفياً بوصفه بأنه قد يكون تأكيداً أو تقريرياً^(٣) مع توضيح يسير.

ويترتب بالضرورة على ما سبق أنه لا يوجد له علامة مميزة ولم يُعَيَّن له مكان في ألفاظ العربية يمكن استخدامها في المعاجم ويؤكد ما ذكر كله أنيس فريحة بقوله الذي يحسن أن نختتم به كلامنا: "إن قضية النبرة لم يعرها العرب أقل انتباه... ولم يعطها لغويو العرب حقها من العناية، حتى إنهم لم يضعوا لها لفظاً خاصاً ونعني قضية النبرة وأثرها في الحركة من حيث الطول والقصر"^(٤).

(١) فليش، هنري، العربية الفصحى، ٤٩، ١٨٢.

(٢) حسن، تمام، مناهج البحث في اللغة، ١٦٣-١٦٤.

(٣) المرجع السابق ١٦٣، السعران، محمود، علم الفقه، ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) معهد الدراسات العربية العالمية، اللهجات وأسلوب دراستها، ٥٠-٧٠، وكلامه ليس صحيحاً على إطلاقه هو وتمام حسن، فقد ورد إشارات واضحة في خصائص ابن جني^٢، ٣٧٠-٣٧١، قد تصفه وتوضح مفهومه دون أن تذكره باسمه أو مصطلحه وقد شرحت ذلك في الدلالة اللغوية عند العرب، ١٧٤-١٧٥.

٢-٤ ثانياً: الجانب التصريفي

١- تقديم منهجي:

عند النظر في ترتيب المشتقات في المعاجم العربية القديمة خاصة، نجدها تسير على غير هدى، ودون منهج أو خطة مرسومة، فمنها ما كان يبدأ بالفعل ويذكر بعده الأسماء قبل أن يستوفي الأفعال، ثم يعود للفعل ويتركه للاسم، وينتقل من الاسم إلى الفعل، ومنها ما يبدأ بالاسم. هكذا يسودها الاضطراب وعدم الاطراد. وممن وجهوا النقد الشديد لهذا النهج المعجمي القديم أحمد فارس الشدياق في كتابه الجاسوس على القاموس، إذ يقول: "إن من أعظم الخلل وأشهر الزلل في كتب اللغة جميعاً قديمها وحديثها... خلط الأفعال الثلاثية بالأفعال الرباعية والخماسية والسداسية وخلط مشتقاتها... فرمما رأيت أحد معاني الفعل في أول المادة وباقي معانيه في آخره"^(١). ويقول في موضع آخر في الكتاب نفسه: "فالظاهر أن أول من ألف في اللغة لم يكن من همه سوى جمع الألفاظ فقط، مع أن من مستلزمات الجمع، أي جمع كان، الترتيب والانتظام ووضع كل شيء في محله"^(٢). ويقول أيضاً: "ومن ذلك أنهم يتدئون المادة باسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة أو اسم المكان والآلة... عوضاً عن الابتداء بالفعل أو المصدر"^(٣).

كذلك أشار حسين نصار إلى هذا الخلط والاضطراب وعده ضمن المآخذ على المعاجم العربية، ومن أهم أسباب الشكوى فيها، ويذكر في السياق نفسه أنه "إذا كانت المعاجم قد اضطربت في أبوابها وفصولها وموادها، فإن اضطرابها في داخل المواد أشد وأعظم، فلا رعاية لأي شيء، وإنما تخلط المعاني المجازية بالحقيقة... والمشتقات بعضها ببعض... وقد تبدأ بالفعل أو الاسم أو الصفة أو ما إليها بدون سبب"^(٤).

وقد عدّ أحمد مختار عمر "أن أكبر عقبة تصادف الباحث في معاجمنا اللغوية عدم ترتيب المواد ترتيباً داخلياً. ففيها خلط الأسماء بالأفعال، والثلاثي بالرباعي والمجرد بالمزيد، وخلط المشتقات بعضها ببعض"^(٥).

(١) الشدياق، أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، ١٠.

(٢) المرجع السابق، ١١.

(٣) المرجع السابق، ١٤.

(٤) حسين نصار، المعجم العربي، نشأته وتطوره، ٧٥٧-٧٥٨.

(٥) عمر، أحمد المختار، البحث اللغوي عند العرب، ٢٦٠.

ويدرك حلمي خليل بوضوح عدم المنهجية التي سارت عليها المعاجم العربية فلا يتردد في القول: "يصعب على الباحث أن يجد منهجاً واضحاً اتبعه علماء المعاجم القدماء في سرد الكلمات والمشتقات داخل المادة الواحدة، فقد يبدأ المعجمي بعد المدخل بذكر الفعل أو الاسم أو الصفة، وقد يبدأ بالأفعال الرباعية قبل الثلاثية، وقد يقدم المجاز علي الحقيقة، وقد يختلط المتعدي باللازم...."^(١) ويبدو أن أول من أدرك هذا المأخذ حديثاً، بطرس البستاني في محيط المحيط (ظهر الجزء الأول منه عام ١٨٦٦م، والثاني عام ١٨٦٩م)، وقطر المحيط الذي أوجز فيه المحيط وظهر ١٨٦٩م حسبما أورده أحمد الخطيب^(٢). إذ يقول علي توفيق الحمد في بحث "بطرس البستاني وجهوده المعجمية" عن المحيط: "إن هذا المعجم هو أول المعاجم العربية المجددة، ولعله أهمها. وهو يؤيد بهذا ما سبق ذكره أحمد الخطيب من أن البستاني قد وضع لنا أول معجم عربي مجدّد ولعله أهمها، وهو معجم محيط المحيط"^(٣).

والبستاني بما جدّده في معجمه وحقّقه من حيث الترتيب الخارجي والترتيب الداخلي والتزامه منهجاً منسقاً من أول المعجم إلى نهايته... تقتضينا أن نحكم بموضوعية على أن عمله في محيط المحيط متميز في الشكل والمضمون عن المعجمات السابقة، وأنه تخلص من أكثر المآخذ التي تسجل على تلك المعجمات^(٤).

ويكون بذلك قد سبق الشدياق في انتقاداته للقاموس المحيط التي بلغت أربعة وعشرين نقداً تمثل في مجموعها مادة كتاب الجاسوس على القاموس (ظهر ١٨٨١م) الذي أعطى فيه مبدأ ترتيب المشتقات داخل المادة أهمية واضحة، لأن عملية الترتيب عنده يتحقق بها غرضان هامين هما:

- أ. سرعة الوصول إلى المعنى المراد.
- ب. الوقوف على سر الوضع في العربية وبيان خصائصها^(٥).

(١) في المعجمية العربية المعاصرة، ٢١٤.

(٤) حول المعجم العربي الحديث (الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني، ٢٢٣).

(٣) المرجع السابق، ٣١٩.

(٤) المرجع السابق: ٣٢٩-٣٣٠.

(٥) علم المعاجم عند الشدياق، ٢٠٤، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة ولا يوجد في الجاسوس، ٢٧ منه كما أشار حلمي خليل.

ولعل ما ذكرناه سابقاً هو الذي جعل حسين نصّار أن ينوّه بجهود اللغويين في لبنان بقوله: "واتبعت مدرسة اليسوعيين والمجمع اللغوي نوعاً من النظام هو أحسن ما وجد في معاجمنا"^(١).

وهو أيضاً نفسه الذي دفع أحمد الخطيب إلى القول: "وإن هذه النهضة المعجمية المجدّدة تركز وجودها.. ظهورها.. في لبنان".

هذه المقدمة سقتها من أجل أن أصل إلى المنهج الأمثل الذي يجب اتباعه في ترتيب الألفاظ داخلياً تحت المادة الواحدة الأصل أو الجذر وهل نبدأ المادة بالفعل أو بالاسم، وننظر في تحديد البستاني ومقترحات الشدياق ودوزي ومنهج المعجم الوسيط، من أجل استخراج المنهج الأمثل منها الذي سنحاكم من خلاله مناهج المعاجم المدروسة والمقارنة فيما بينها في ترتيبها للمواد المشتقة من مادة (شعر).

وترد الإشارة الأولى في العصر الحديث فيما التزم به البستاني في مقدمة محيط المحيط ميزت بين الأفعال والأسماء، وبين المجرد والمزيد من الفريقين كل نوع على حدته مندرجاً مع نظيره من الأبنية"^(٢).

وهو بذلك كما يقول علي الحمد قد "اختار منهجاً واحداً في الترتيب الداخلي، ففصل بين الأفعال والأسماء وكان يبدأ في المجرد ثم ينتهي إلى المزيد دون خلط بين المستويين، وسجّل صور استخدام الفعل المختلفة، ومعنى الفعل في كل صورة"^(٣).

ويبدو أن ما فعله البستاني في محيطه وفي رسمه الخطوط الكبرى للمعجم، الذي نحتاج إليه في عصرنا الحاضر، في مقدمته لبستان الشيخ عبد الله البستاني، حين وضع التخطيط، وعاب المعجمات القديمة^(٤)، كان الشرارة التي أنارت الطريق وفتحت للشدياق فيما أثاره من انتقادات على القاموس المحيط في الجاسوس على القاموس.

ومما يشجعي على تسجيل مثل هذا التأثير والتأثير بين البستاني والشدياق هو أن منطلقهما كان واحداً هو القاموس المحيط، إذ البستاني اعتمد عليه بتصريحه أن محيط المحيط

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره، ٧٥٨.

(٢) البستاني، بطرس، محيط المحيط، فاتحة الكتاب.

(٣) في المعجمية العربية المعاصرة، ٣٢٣.

(٤) معجم البستان، ١٥، وما بعدها وجهود أحمد فارس الشدياق في تطوير المعجم العربي المعاصر للدكتور يوسف مسلم أبو العدى (ضمن كتاب في المعجمية العربية المعاصرة)، ٣٢٣.

"يحتوي ما في محيط الفيروز آبادي من مفردات وعلى زيادات كثيرة"^(١)، ومن فضول القول أن ننبه إلى أنه أراد أن يتلافى الخلط وعدم التنظيم الذي لاحظته في القاموس المحيط، فخالفه في ترتيب المداخل الخارجي، واتخذه منهجاً منظماً في الترتيب الداخلي حرصاً منه على تحليل محيطه من المطاعن المنهجية والعلمية التي حرص الشدياق، فيما بعد، على إبرازها في صناعة معجم القاموس المحيط مثل خلطه المجاز بالحقيقة والعامي بالخاص ومزج العجمية بالعربية، وغير ذلك من المآخذ التي بلغت أربعة وعشرين، ذكرها صاحب الجاسوس على القاموس.

وكان شيئاً جميلاً من الشدياق ألا يكتفي بوصف الداء بل حاول أن يضع العلاج بما اقترحه من ترتيب للمشتقات والمعاني^(٢) داخل المادة، ولا داعي لذكرها لأننا سنرى المعجم الوسيط قد أخذها في الحسبان مستفيداً منها، ومن منهج الشرتوني في أقرب الموارد الذي ذكر أولاً المجردات ثم الزيدات بحرف واحد ثم بحرفين وهكذا... وذلك في ترتيبه للمشتقات الداخلة تحت المادة الواحدة^(٣).

كما أنني لا أستطيع أن أتجاهل تأثير مبادئ مشروع معجم فيشر (ت ١٩٤٩م) على الفريق أو اللجنة التي اسند إليها وضع المعجم الوسيط، ولم يكن ليضيرها أن تستوحي تنظيم فيشر للمشتقات نصاً وروحاً، فالحكمة ضالة المؤمن، بدءاً بإيراد الفعل المجرد من كل مادة ثم المزيد، ثم يتابع بترتيب أبنية الأفعال، وبذكر الأسماء بعد الأفعال^(٤) وفي ترتيب المعنى الحسي على العقلي، والحقيقي على المجازي... الخ.

يبدو واضحاً أن المعجم الوسيط، باعتباره بداية لجيل جديد في التأليف المعجمي العربي وهو التأليف الجماعي، الصادر عن هيئة رسمية متخصصة وهو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قد استفاد واضعوه خير استفادة من التجارب المعجمية السابقة، بتركهم ما فيها من سلبات كالخلط والاضطراب والجمع العشوائي، وأخذهم بالإيجابي منها كسهولة الترتيب وتنظيم المشتقات والمعاني تحت المادة الواحدة، إضافة لما قهياً للمعجم من وسائل

(١) محيط المحيط، فاتحة الكتاب.

(٢) الجاسوس على القاموس، ١١.

(٣) المعاجم العربية، ١٣٥.

(٤) المرجع السابق، ١٤٣.

التجديد سدّ به النقص في المحاولات المعجمية السابقة مما يمكننا أن نصفه بما طبقه من التبويب والترتيب، بأنه التزم بالفن الحديث للمعاجم.

وبناء على ما تقدم في السطور القليلة السابقة، لا يمكنني أن أتجاوز منهج المعجم الوسيط في الترتيب الداخلي باعتباره ترتيباً محكماً احتوى على عناصر التقليد والتجديد، مما يجعله أنموذجاً أصح من غيره للاحتكام إليه في المقارنة بين المعاجم العربية القديمة والحديثة، ويحسن لذلك أن ننقل هنا المنهج الذي رسمته لجنة وضع المعجم لترتيب مواده^(١):

- أ. تقدم الأفعال على الأسماء.
- ب. تقدم المجرد على المزيد من الأفعال.
- ت. تقدم المعنى الحسي على العقلي.
- ث. تقدم المعنى الحقيقي على المجازي.
- ج. تقدم الفعل اللازم على الفعل المتعدي.
- ح. رتب الأفعال على النحو التالي: الثلاثي المجرد وأقيسته، والمزيد بحرف وحرفين وثلاثة.

٢- البدء بالفعل أو بالاسم:

إنّ الناظر في النصوص المعجمية سيجد اختلافاً بين المعاجم فيما ابتدأت به من المادة. ويمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: نوع من المعاجم القديمة نحو: العين، وجمهرة اللغة، وتهذيب اللغة، ومجمل اللغة، والصحاح، وأساس البلاغة، والمصباح المنير، قدّمت الأسماء ولكن دون منهجية وتنظيم واطراد، إذ قبل أن يستوفي المعجم الأسماء يلتفت إلى الأفعال فيذكر شيئاً منها، وبعدها يعود للأسماء، ويذكر شيئاً منها ويرجع إلى الأفعال، وهكذا دواليك حتى تنتهي المادة بالأسماء بذكر الأعلام والألقاب منها خاصة، كالعين والتهذيب والصحاح، وأما مجمل اللغة وأساس البلاغة والمصباح المنير فلم تهتم بذكر الأعلام. وفي معجم العين بدأت المادة بقوله: رجل أشعر وبعده الشّعار والأشعر والشّعار؟، أي قدّم الأسماء ثم تلا ذلك بذكر الأفعال بقوله: أشعر فلان، وشعرت، وأشعر به، ثم يعود للأسماء بقوله: والشّعور والشعارة والشعائر والشعيرة، فيتركها لذكر الأفعال بقوله: قد أشعرت هذه البدنه لله، ثم يعود للأسماء كالشعرة والشعارير والشّعراء والشّعراء والشّعري.

(١) المعجم الوسيط، ١٤-١٥.

وهنا أيضاً يذكر أسماء هي أعلام نحو (بنو الشعيرة) والشعري وشعر، ثم يعود إلى ذكر الأسماء كالشعران والشعرة، وينهي المادة بشاهد شعري على اسم جبل هو شعر هو:

يَـحِـطُ الْغُفْرُ مِنْ أَفْنَاءِ شَعْرٍ
وَلَمْ يَتْرُكْ بَذِي سَلْعٍ حَاراً

ويمكنني كذلك أن أقول، دون تجاوز، إن جمهرة اللغة قد سار على طريقة العين في الخلط بين الأسماء والأفعال وتوزيع ذكر الأعلام أو الألقاب في موضعين، فذكر الشعراء، في وسط المادة اسماً لامرأة ولقباً لرجل ثم يذكر أسماء أخرى نحو: أشاعر وشعراء والشعرة ومُشعر، وقبل أن ينهي مشتقات المادة يذكر: وشعر جبل معروف، والأشعر والأقعر جبلان بالحجاز معروفان، ثم يتلو ذلك رجل أشعر وامرأة شعراء... الخ.

وأما الأنموذج الآخر من هذا القسم فنأخذ له المصباح المنير، حيث قدّم الأسماء وتثنى بالأفعال كقوله: الشعر بسكون العين فيجمع على شعور... وعلى أشعار فالشعورة والشعار بالفتح والكسر ثم يذكر الفعل شاعرتُها ويعود للأسماء كالشعار وشعائر الحج والشعيرة والمشاعر والمشعر والشعير والشعر العربي والشاعر، ثم يعود للأفعال مثل شَعَرَت أشعر ويلتفت إلى كلمة شاعر ويذكر جمعها ثم يعود إلى الفعل مرة أخرى بقول: شعرت بالشيء ويذكر مصادر القول وينهي المادة بالفعل أشعرت البدنة، ولم يأت على ذكر أعلام المادة سوى ما ذكره عند المشعر الحرام بأنه جبل بآخر مزدلفة (في وسط المادة). ومما يمكننا ملاحظته كذلك أن الأسماء لم ترتب ترتيباً هجائياً فأشعر وشعار، والشعر والمشعر... الخ.

وأما ثانيها فهي المعاجم التي قدّمت الأفعال على الأسماء ولكنها تتفق مع القسم الأول في عدم اطراد هذا الأسلوب، إذ يحصل في سرد مشتقات المادة خلط كالحكم واللسان والقاموس المحيط وتاج العروس.

وعندما نقارن مثلاً بين المحكم والقاموس المحيط لا نجد فرقاً يذكر في المساجلة الدائرة بين الفعل والاسم سوى أن المحكم في إحدى المقارنات لم يذكر علماً مقابلاً للعلم المذكور في القاموس المحيط، وقد عوّضت هذه المخالفة فيما بعد حيث ذكر المحكم علماً وفوّت القاموس ذلك.

ومما يجدر ذكره كذلك، التوازن الذي يبدو حين ترجح كفة أحدهما في عدد المشتقات الفعلية أو الاسمية، نجد تعويضاً لها في كفة أخرى لاحقة أو سابقة وكأنها فوضى منظمة دون ترتيب محسوب.

وأما القسم الثالث والأخير فهي المعاجم التي قدّمت الأفعال وأخرت الأسماء بخطّة مطّردة ومنهج لا تبدأ بالأسماء إلا بعد الانتهاء من الأفعال، إضافة إلى ترتيب الأفعال فيما بينها بتقديم المجرد وصوره ثم المزيد بصيغه. وهي كلها من المعاجم الحديثة نحو محيط المحيط، وأقرب الموارد، والبستان، ومتن اللغة، والمعجم الوسيط، والرائد، والمحيط، والهادي.

٣- تقديم المجرد على المزيد من الأفعال:

قبل أن أجري المقارنة بين المعاجم لنرى التزام كل منها بتنظيم الأفعال التي جاءت من مادة (ش ع ر) في صورها وصيغها المنظمة المرتبة بدقة، ليكون أمامي النموذج الذي أقيس عليه:

الثلاثي المجرد منه	الثلاثي المزيد بحرف
(١) شَعَرَ	(٤) أَشْعَرَ
(٢) شَعُرَ	(٥) شَاعَرَ
(٣) شَعِرَ	(٦) شَعَّرَ
المزيد بحرفين	المزيد بثلاثة أحرف
(٧) تَشَاعَرَ	(٩) اسْتَشْعَرَ
(٨) تَشَعَّرَ	

أمامي تسع صيغ فعلية تفرّعت من الجذر (شعر)، ثلاث صيغ منها من الثلاثي المجرد التزمت بها المعاجم كلها دون استثناء وبالترتيب نفسه (شَعُرَ بفتح العين وضمها وكسرها). أما صور الثلاثي المزيد بحرف لم يذكر المحيط (معجم اللغة العربية) واحدة منها، وأما الرائد فالتزم بصيغة واحدة منها هي صيغة شَعُرَ. وسائر المعاجم التزمت بالصيغ الثلاث دون الترتيب الذي ارتضيانه مقياساً في المعجم الوسيط وهو (أشعر، شاعر، وشعر) وهو ما التزم به المعجم الوسيط.

وهناك صورتان للمزيد بحرفين وهما (تَشَاعَرَ وتَشَعَّرَ) فلم يذكرهما الرائد والمحيط، أما متن اللغة والمعجم الوسيط فأهمل أولهما صيغة تَشَاعَرَ وذكر الثانية، بعكس المعجم الوسيط، وسائر المعاجم من هذا النوع ذكرت تَشَعَّرَ وتَشَاعَرَ أي بعكس ترتيبهما في النموذج.

ومن المزيد بثلاثة أحرف وردت صيغة استشعر في المعاجم إلا اثنين هما الرائد والمحيط.

والخلاصة أن محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والهادي قد ذكرت صيغ المادة التسع بترتيبهما المعهود (مجرد ثلاثي، مزيد بحرف وبحرفين وبثلاثة). وأما متن اللغة والمعجم الوسيط فذكرتا ثمان صيغ من المادة، مع ملاحظة أن أولهما قد أهمل من المزيد صيغة تشاعر مع إخلال واحد في الترتيب، حيث جاءت صيغة شاعر بعد تشاعر، أي قدم المزيد بحرفين على المزيد بحرف واحد، وأما ثانيهما فكان ترتيبه مطابقاً للنموذج (مجرد، مزيد بحرف وبحرفين وبثلاثة) مع إهمال صيغة تشعر.

وبقي معجمان هما الرائد الذي ذكر أربع صيغ من المادة مرتبة (المجردات مع المزيد بحرف) وأهمل الباقي، والمحيط الذي لم يذكر سوى الصيغ الثلاثة المجردة من المادة مرتبة وأهمل باقي الصيغ.

٤- تقديم الفعل اللازم على المتعدي:

أرى أنه يصعب استجلاء الحقيقة ومعرفة اللازم من الصيغ الفعلية للمادة (ش ع ر) والمتعدي منها بنفسه أو بحرف الجر إلا بجدولة هذه الصيغ تحت معاجمها، وحسب الترتيب الذي وردت فيه من أجل إجراء المقارنة فيما بينها واستخلاص النتائج من أرض الواقع. الهادي: إن من يتتبع الأفعال في المعاجم وبحسب الترتيب الذي وردت به سيجد أن الأمر الجامع بينها هو عدم التنظيم، ويخيل إلي أن قضية تقديم اللازم وتأخير المتعدي لم تشغل بال أصحاب المعاجم، على وجه العموم مع استثناء لا يتعدى اثنين من المعاجم هما (المعجم الوسيط والمحيط) اللذان بدءا المادة بصيغة اللازم منها، وهي الصيغة الثلاثية المجردة (بشعر)، بينما نجد بعض المعاجم قد بدأ بالصيغة نفسها ولكن هي متعدية بنفسها وهي محيط المحيط (شعر الخف: بطنه بشعر)، وأقرب الموارد (شعر الخف والجبة وما أشبههما: بطنهما بشعر)، ويكرر الأمر نفسه صاحب البستان في معجمه الوسيط (الوافي)، والهادي (شعر الاسكاف الخف: بطنه من داخله بشعر).

وهناك معاجم أخرى بدأ الأفعال بصيغة المتعدي بالهمزة وهي: العين (أشعر فلان قلبي هما: متعد لمفعولين)، والتهذيب (أشعرها الله) والصحاح (أشعر الهدي)، وأساس البلاغة (أشعر خفه: بطنه بالشعر). وأما المصباح المنير فقد استخدم صيغة متعدية بالألف وبدأ بها الأفعال وهي (شاعرتما).

وهناك نوع من المعاجم بدأت بصيغة المتعدي بحرف الجر وهي جمهرة اللغة (ما شَعَرَتْ به)، ومجمل اللغة (شَعَرَتْ بالشيء)، ولسان العرب ومعه المحكم (شَعَر به)، وتاج العروس ومعه القاموس المحيط (شَعَر به)، ومتن اللغة (شَعَر وشَعُر بالشيء)، والرائد (شَعَر به).

ومن الجدير بالملاحظة كذلك الفوضى التي لا ضابط لها في ترتيب الأفعال. فمنهم من نثى بعد البداية بفعل لازم مثل أساس البلاغة (أشَعَرَ الجنين: نبت شَعْرُهُ)، والمصباح المنير (شَعَرْتُ: فطنتُ، علمتُ) والبستان، والوافي (شَعَر، وشَعُر: علم به)، وكذلك الهادي (شَعَرَ الرجل: قال شعراً) وكلها بدأت بأفعال متعدية سواء بنفسها أو بالهمزة أو بحرف الجر.

ومما يستحق التسجيل كذلك أن الصيغة الواحدة تستعمل مرة لازمة نحو: شَعَرَ (شَعَرَ فلان: شَعَرَ الرجل)، ومرة ثانية متعدية بنفسها نحو (شَعَرَ الحفَّ، شَعَرَ فلاناً) وثالثة متعدية بحرف الجر (شَعَرَ به: شَعَرَ له). وينطبق هذا القول على صيغة (أشَعَرَ): (أشَعَرَ الجنين: نبت عليه الشعر) (وأشَعَرَ القوم: جعلوا لأنفسهم شعاعاً أو نادوا بشعارهم) (وأشَعَرَت الناقة: أَلْقَت جنينها) فتكون لازمة. وتأتي متعدية نحو (أشَعَرَ البدنة، وأشَعَرَ الحفَّ، أشَعَرَ الهدْي، أشَعَرَت السكين)، وقد تكون متعدية لمفعولين نحو: أشَعُرُ فلاناً ما عَمَلَهُ، أشَعَرُهُ الأمر، أشَعَرُهُ غيره، أشَعَرَ الحبَّ فلان شراً، أشَعَرَ فلان فلاناً شراً، أشَعَرَ الحبَّ فلاناً مرضاً).

وكذلك صيغة شَعَرَ فهي مرة لازمة في (شَعَرَ الجنين: نبت عليه الشعر، وأخرى متعدية في (شَعَرَ فلان الحفَّ: بطنه بشعر).

وآخر صيغة تمثل لها وهي استشعر فهي لازمة مرة في (استشعر القوم: تداعوا بالشعار في الحرب، و(استشعر الجنين: نبت شَعْرُهُ) و(استشَعَرَت البقرة: صوتت لوليدها)، وتستعمل مرة ثانية متعدية نحو (استشعر فلان الشعار: لبسه)، (استشعر الرجل خوفاً: أضمره)، (استشعر الثوب: لبسه شعاعاً)، (استشعر خشية الله: اجعلها شعارك).

٥- الأسماء.. المصادر والمشتقات وجموعها:

لقد ذكرت فيما سبق أن منهج المعجم الوسيط بما احتواه منهجه من عناصر التقليد والتجديد، هو النموذج الذي سنحتكم إليه في الترتيب الداخلي. وعليه فإن ترتيبه للأسماء وهو الترتيب الهجائي سنتخذه مثلاً... سنتبين بالمقارنة مدى احتذاء المعاجم، قديمها وحديثها، لمنهجه، ويستحسن لتسهيل المقارنة أن نقل هنا ما جاء من الأسماء بترتيبها في المعجم الوسيط:

الأشعر ج شعر، أشعار

الأشعرية

الشاعر ج شعراء

الشُّعَار، الشُّعَار ج أشعره

الشُّعْر واحدته شُعْره ج أشعار وشُعور

الشُّعْر: ج أشعار

ليت شعري

الشُّعْرَى، الشُّعْرِيَان

الشُّعْرَاء، داهية شعراء

الشُّعْرَانِي

الشُّعْرَة: واحدة الشُّعْر نوع من الرَّمَد

الشُّعْرور

الشُّعْرِيَّة

الشُّعُور

الشُّعِير

الشُّعِيرَة: ج شعائر

المشاعر

المَشُّعَر ج مشاعر

إن المقارنة ستظهر لأول وهلة أن الفوضى ضاربة في توزيع الأسماء خاصة في المعاجم القديمة؛ فهي غالباً ما تبدأ بالأفعال ثم تثني بالأسماء أو العكس، ولا تنهيها حتى تنتقل للأفعال وهكذا، ولننظر إلى ما بدأت به من أسماء ولن نجد سوى معجمي العين وأساس البلاغة قد بدءا بما بدأ به المعجم الوسيط وهو كلمة أشعر وبعدها الشُّعَار ثم الأشُّعَر في أولهما وأما ثانيهما فقد جاء فيه: أشعر وشُعْرَانِي والشُّعْرَة وبقية المعاجم بداياتها كالتالي:

الجمهرة: الشُّعْر، الشاعر، الشعير

التهذيب: الشعائر، إشعار، الشُّعَار

محمل اللغة: الشُّعْر، رجل أشعر، الشُّعَار

الصحيح: الشُّعْر للإنسان، رجل أشعر والأشُّعَر، الشُّعْرَة

المحكم: الشُّعْر، رجل شاعر، الشُّعْر

اللسان: ليت شعري، الشعر، الشُّعار
المصباح المنير: الشعر، الشُّعرَة، الشُّعار
القاموس المحيط: ليت شعري، والشعر، شاعر
تاج العروس: ليت شعري، الشعر، الشُّعر

ومما يمكن ملاحظته في بدايات هذه المعاجم أنها بدأت بالشعر سواء بكسر الشين أو فتحها عدا التهذيب فإنه بدأ بكلمة شعائر وهي سابقة في الترتيب الهجائي الخامس بفتح الشين والسادس بكسرها في المعجم الوسيط.

وأما المعاجم الحديثة التي كان أولها محيط المحيط وهي التي بدأت المادة بالأفعال حتى انتهت منها ثم ذكروا الأسماء، فنجد منها ما بدأ الأسماء بكلمة شاعر مثل محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي والهادي، وآخرها ثنى بمؤنث بشاعره وهي مؤنث شاعر وتلاهما الشُّعار.

وأما المعاجم الأربعة التي ذكرتها قبل الهادي فقد ذكرت شاعرة بعد شُويعر ثم شعور ثم مُشاعِر.

أما الرائد والمحيط فلم يبدأ بكلمة شاعر، وإنما بدأ بالشعر ثم الشعر ثم الشعر والأشعر. ويوافقان بذلك متن اللغة وإن خالفاه في الاسم الثالث حيث ذكر الشُّعرَة والشُّعراء.

وخلاصة الأمر أن ثلاثة من المعاجم قد اتفقت في ذكر الاسم الأول من المادة وهي الصفة المشبهة أشعر، ولكنها لم تتفق في ترتيب سائر الأسماء، وهذه المعاجم هي: العين وأساس البلاغة والمعجم الوسيط وهناك قسم آخر أو مجموعة أخرى من المعاجم بدأت المادة من الأسماء بالاسم الشعر بكسر الشين وفتحها اسماً مصدرًا وهي على التوالي:

الجمهرة ومحمل اللغة والصحاح والمحكم واللسان والمصباح المنير والقاموس المحيط وتاج العروس ويوافقها من المعاجم الحديثة متن اللغة والرائد والمحيط.

وما تبقى من المعاجم الحديثة فهي محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي والهادي بدأت بذكر كلمة شاعر (اسم الفاعل)، وأما التهذيب فقد خالف مؤلفه الجميع وبدأ الأسماء بكلمة الشعائر.

ولما كانت المقارنة بين المعاجم فيما جاء بين المادة ونهايتها من الصعوبة بمكان، لما فيها من اضطراب وعدم انتظام يمنع من الإمساك بخيوط التشابه والاختلاف فإنني رأيت أن أجري مقارنة بين نهايات المادة في المعاجم، بعد أن قدّمنا مقارنة بين بداياتها. كنت

أتوقع أن تكون نهاية المادة في هذه المعاجم متشابهة في ذكر أسماء الأعلام من أماكن أو أشخاص. ولكنني فوجئت أن عدداً قليلاً منها تشابهت نهايتها وهي: العين والتهذيب والصحاح والمحكم واللسان وتاج العروس ومتن اللغة، وكانت النهايات على التوالي:

شعر (اسم جبل) أشعر (اسم قبيلة) الشويعر (لقب لمحمد بن حمران الجعفري)
 الأشعر (جبل بالحجاز) الشويعر (لقب لهانئ بن توبة الشيباني) شَعْر (موضع من أرض الدهناء لبني تميم) (ماء باليمامة).

ومع أن القاموس المحيط من عادة صاحبه أن ينهي مواده بأعلام الأماكن أو الأشخاص وكاد أن يفعل ذلك في هذه حيث ذكر عدة أعلام من مواضع وأشخاص من قوله: الأشعر جبل..... وذو المشعار لقب مالك الهمداني، ويبدو أنه فاتته أن يذكر قبلها أحد المشتقات وهي متشاعر فأفنى المادة بقوله والمتشاعر من يري من نفسه أنه شاعر.

وأما جمهرة اللغة ومحمل اللغة فأفنى المادة بكلمة الشُعراء وهي الأرض ذات الشجر الكثير وكذلك اتفق محيط المحيط وأقرب الموارد والوافي على نهاية واحدة هي شعارير والمصباح المنير والبستان أفنى المادة بكلمة الشَّعيرة. ومن الجدير بالذكر أنه لم يوافق أي من المعاجم النهاية التي ذكرها المعجم الوسيط وهي المَشْعَر وهي النهاية الصحيحة للمادة.

بعد أن انتهيت من بيان ترتيب الأسماء فيما بينها إزاء الأفعال يجدر أن ألتفت إلى ناحية أخرى بها ألا وهي الطريقة التي اتبعتها المعاجم العربية في تصنيف المشتقات والكيفية التي أشارت بها المجموع فالمعجم الجيد هو الذي يعنى بتغطية مداخله بأنواع عدة من البيانات تبلغ أحد عشر عنصراً السابع منها بعنوان: أقسام الكلام بحيث يشير المعجم إلى صنف المدخل من الكلام أهو اسم أم فعل متعدد أم غير متعدد وصف أم ظرف؟ برموز واختصارات خاصة بها⁽¹⁾ لعل العبارة السابقة تبين الطريقة التي تتبعها المعاجم الحديثة خاصة الإنجليزية في تصنيف المشتقات تيسر لي نوعاً من المنهجية لمعرفة أوجه الخلاف بينها والنقص فيها من أجل الوصول إلى مقارنة يمكن الإفادة منها في صناعة المعاجم العربية ولنبداً بالمصادر وكيف تمت الإشارة إليها في معاجننا؟

أ- ورود المصادر تالية للأفعال:

وهي الطريقة التي اتبعتها الغالبية العظمى من المعاجم وأستثني هنا تاج العروس فالهادي مثلاً لم يذكر فعلاً إلا وقرنه بمصدره ويلاحظ هنا أنها لم تنص بالعبارة على أنها

(1) Shaban, Fuad, studies in the literary essay, p:98.

مصادر ولكن يفهم ذلك ضمناً وأما الذي جاء في تاج العروس فهو نصه بالعبرة على أنها مصادر كالتالي : وشُعُورُه قليل إنه مصدر شَعُرَ كالسهولة من سَهْلَ ومَشْعُور كميّسور ومشعوراء من شواذ أبنية المصادر. ما ذكره المصنف (اثنا عشر مصدراً) وزاد عليها التاج ثلاثة أخرى ونص أن مجموع المصادر خمسة عشر مصدراً.

ومن الملاحظات التي يجدر ذكرها أن بعض الأفعال نحو: استشعر وشاعَرَ وشاعَرَ لم يذكر مصدرها في أغلب المعاجم فمثلاً استشعر لم يذكر مصدرها في أغلب المعاجم مثلاً أما شاعَرَ فذكر مصدرها مشاعرة بعدها مع أقرب الموارد والبستان والوافي والهادي، وذكرَت دون مصدرها في المحكم ومحيط المحيط وقد ذكر دون الفعل في المجمل.

ب- ورود المصادر دون أفعالها:

فمن المعاجم ما تورد المصادر مع النص على كونها كذلك دون التخلي عن الطريقة السابقة "أي ذكر المصدر بعد الفعل" كما في محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي، ففيها الشعر مصدر بمعنى العِلْم، وهو من قبيل التكرار لما جاء في التاج حين ذكر الشعر كالعلم وزناً ومعنى.

وأما متن اللغة فلم ينص على كونها مصدراً بل ذكر معناها وهو العلم. وفي الرائد ذكر الشعر ورمز له برمزه المستعمل له في هذا المعجم وهو مص شَعَرَ وشَعُرَ أي ذكر المصدر متبوعاً بفعله، والمصباح المنير ذكر المصدر دون فعله، ومثله المعجم الوسيط والمحيط والهادي. أما المشتقات القياسية كالصفة المشبهة وأسماء الفاعل والمفعول والمكان فيفترض أن تذكر بترتيبها الأبجدي مع النص على نوع المشتق أو الإشارة إليه بالرمز.

وأبدأ بذكر المشتقات التي جاءت في المعاجم وهي:

الصفة المشبهة أشعر، أو الأشعر ومؤنثه شعراء أو الشعراء وشعر والشعرة وقد ذكرتها المعاجم كلها، وبعضها في أكثر من مكان دون الاعتناء بالنص أو بالرمز على نوعهما من الاشتقاق، وربما استغنوا عن ذلك بذكر أشعر، وامرأة شعراء، ورجل شعر، وتيس شعر أو بذكر تركيب إضافي كقولهم: أشعر الحافر أو أشعر الحياء، أشعر الرقبة، أو بذكر الضد نصاً أو تقديرًا كقولهم: الشعراء مؤنث الأشعر أو الأشعر والأنثى شعراء مذكر أشعر، أو الشعراء مقترنة بالأشعر أو الأشعر مقترنة بالشعراء والشعر والشعرة.

وأما الشاعر فقد ذكر في أكثر من سياق نحو: الشعر وقائله شاعر، أو شاعر وجمعه شعراء، أو شاعر وشاعرة أو شعر شاعر قياساً على (طريق سالك) وأحياناً في سياق المقارنة نحو: شاعر شويعر وشعور، ومتشاعر، ونادر ذكره دون غيره، ولم تعين المعاجم

نوعه بالنص علي أنه اسم فاعل سوى محيط المحيط، وإلا ما كان من اللسان وتاج العروس، وما يمثله من المعاجم بقولهما في تعليل جمعه على شعراء "إنهم شبهوا فاعلا بفعيل أو استغنوا بفاعل عن فعيل".

ومن المشتقات التي تكررت مع كلمة شاعر هي: شاعرة وشويعر وشعرور ومتشاعر، وقد جاءت بالطبع بعد كلمة شاعر غالباً إلى المؤنث والمصغر قياساً والمتشاعر تأتي لبيان التكلف في قول الشعر لم ترد إلا في اللسان والتاج ومحيط المحيط وأقرب الموارد، وأما كلمة شعرور فتذكر واحدة للشعارير التي ترد لمعان عدة.

وأما المُشعر بفتح الميم وقد ترد بكسر الميم أيضاً (كاللسان والعين) فغالباً ما ترد سابقة أو لاحقة لكلمة المشاعر في أكثر من موضع، فيمكن أن تكون اسم مكان بمعنى المكان الذي يكثر فيه شيء ما أو معلم أو منسك الحج، وليس بمعنى الحاسة والحواس الذي ورد معنى آخر للمشاعر في بعض المعاجم مثل لسان العرب والتاج ومحيط المحيط وأقرب الموارد.

وكذلك وردت صيغة مُشعر بضم الميم وفتح الشين والعين المشددة، أي اسم مفعول بمعنى مبطن بالشعر في سياق يدل على ذلك نحو: خُفَّ مُشعر، أو بتسكين الشين وفتح العين دون تشديدها أي مُشعر نحو: خُفَّ مُشعر وجنين مُشعر وقد يزداد عليها مشعور كما في التهذيب واللسان والتاج وأساس البلاغة، دون مُشعر.

وقد أورد اللسان شاهداً بصيغة مُشعر أي بسكون الشين وكسر العين، منشداً عن ابن السكيت: "كل جنين مُشعر في الغرس" (مع أن الرواية في طبعة دار المعارف للسان: "كل جنين مُشعر في غرس والغرس المشيمة، انظر مادة غرس").

وكذلك ترد صيغة مُشعرة في قولهم "دية المُشعرة (أي أشعر إذا قُتل) في التهذيب واللسان والتاج، ومثيرة مُشعرة (في الأساس) أي مظهرة بالشعر. بمعنى الشعر على ظهرها. أما الشعيرة فقد وردت في عدة مواضع وبعده معان والاسمية فيها جلية، فإنها مرة تدل على شعائر الحج ومناسكه وعلاماته ومعالمه، وثانية على حبة الشعير، وثالثة على نوع من الحلبي في السيف أو السكين، ورابعة على البدنة التي تُشعر لتكون هدياً، وهي في رأيي، لم تعد وصفاً وإنما هي اسم، وهي صيغة دخلت عليها تاء التأنيث فحوّلتها من الوصفية إلى الاسمية، أي من فاعل الوصف إلى فعيلة الاسم. فقد صرح الرضي في الشافية بهذا التصرف اللغوي بقوله: "انتقل إلى الاسمية ما دخله التاء كالذبيحة والأكلة والضحية والنطيحة"^(١).

(١) الحسن، محمد نور وزملاؤه، شرح الرضي على الشافية، ١٤٢/٢.

أما المجموع فقد انتهجت المعاجم في إيرادها صوراً عدة يمكن تفصيلها على الوجه

التالي:

أ. أن يذكر المفرد ويتلوه جمعه بالنص عليه نحو: والشُّعار وجمعه شُعْر، الأشُّعر ويجمع على شاعر والشَّعيرة وجمعت على الشعائر (العين)، الشُّعار: والجمع شُعْر، الشُّعر: ويجمع على الشُّعور والأشعار، الأشُّعر وجمعه الأشاعر، شاعر وجمعه الشعراء (التهذيب)، الأشُّعر والجمع أشاعر (المحمل)، والشُّعر: والجمع أشعار، وقائله شاعر: والجمع شعراء، والشُّعر وجمعه أشعار وشُّعور، الشُّعار.... والجمع أشعر وشُعْر، الأشُّعر والجمع أشاعر، الشُّعار: ذبابة والجمع شَعار (لسان العرب)، وشاعر وجمعه شعراء (المصباح المنير). المَشعر... وجمعه مشاعر، والأشُّعر والجمع أشاعر (تاج العروس)، الشاعر والجمع شعراء، شاعرة والجمع شاعرات وشواعر، الشُّعار والجمع أشعرة، الشُّعر الجمع شُعور وأشعار (الهادي من المعاجم الحديثة).

ب. إيراد المفرد متلوّاً برمز ج للدلالة على الجمع وهي الطريقة التي بدأها القاموس المحيط كما جاء فيه: والشُّعر... ج أشعار، والشُّعر... ج أشعار وشُّعور، والشُّعار... ج شُعْر، والشُّعورة ج شعارير.

وقد تبعه الزبيدي في تاج العروس والمعاجم الحديثة التي سنمثل لها كالتالي: الشُّعر: ج أشعار وشُّعور وشعار، الشُّعار: ج شُعْر، شعراوات، شَعار. الشُّعار: ج أشعره وشُعْر، الشعيرة: ج شعائر.

الأشُّعر: ج شُعْر، والشُّعورة، ج شعارير (من تاج العروس).

الشاعر: ج شعراء، الشاعرة: ج شاعرات وشواعر.

الشُّعار: ج أشعرة وشُعْر، الشُّعر: ج أشعار وشُّعور وشَعار.

الشُّعر: ج أشعار وغيرها (محيط المحيط).

وعلى هذه الطريقة سارت معاجمنا كالبيستان والوافي وأقرب الموارد ومتن اللغة والمعجم الوسيط والرائد، والمحيط باستثناء الهادي.

ج. إيراد الجمع متلوّاً بمفرده بالنص على واحد أو مفردة بعده أو أنه جمع لكذا نحو: الشُّعارير: الواحدة شُّعورة وشُّعور (العين)، شعائر: واحدتها شعيرة،

والمشاعر واحدها مَشْعَر (الجمهرة)، شعائر الله: واحدها شعيرة، الشعارير: واحدها شُعرور (التهذيب)، الشعائر: مفردها شُعرور، شُعر: جمع الشُّعار ، شعار الحج: جمع شعيرة، شعائر الحج واحدها شعيرة، الشعارير: الواحدة شعيرة أو شعارة، شعارير الذهب: واحدها شعيرة (تاج العروس) شعائر الحج واحدها شعيرة وشعارة، الشُّعارير واحدها شُعرور ، شعرورة (متن اللغة).

د. إيراد المفرد متلواً بجمعه مباشرة بلا نص أو رمز على أنه جمع كما جاء في العين: والمَشْعَر... من مشاعر الحج، الشعيرة من شعائر الحج، وفي أقرب الموارد: الأشعر الأشعرون. وقد يرد المفرد متلواً بالنص على أنه واحد لكذا نحو: الشعرورة واحدة الشعارير (محيط المحيط)، الشُّعارة: واحدة الشُّعار (البستان والوافي وأقرب الموارد)، وقد يرد المفرد مسبوقاً بكلمة جمع (في تركيب إضافي) وبعده جمعه نحو: جمع الشُّعر: شُعرور وشُعر.

هـ. إيراد المفرد في تركيب وصفي يتبعه الجمع في صورة تركيب وصفي نحو: رجل أشعر ورجال شُعر وجمعه بعده على الطريقة نفسها نحو: عليه شِعار وعليهم شُعر (أساس البلاغة).

وفي النهاية لا بد من تسجيل صور من النهج في إيراد الجمع نحو: الشعارير: لا يفرد له واحد إذا كانت لعبة (العين، التهذيب). وقد ورد في اللسان أنها مثل أباييل لا واحد لها، والشُّعراء واحده وجمعه سواء إذا كانت فاكهة الخوخ (العين، التهذيب، الجمل، اللسان، تاج العروس). وقد يرد الجمع دون واحده مع أنه له واحد من لفظه كقولهم: أشاعر الفرس، أشاعر الناقة.

ومن الجدير بالذكر أن أصحاب المعاجم لم تكن لهم عناية تُذكر ببيان نوع الجمع، وقد ذكر المثنى مرتين: الشعرين مثنى للشعري، والأشعران مثنى أشعر.

٤-٣- ثالثاً: الجانب المعنوي

١- المعنى العام وطرق أدائه:

إن مادة ش ع ر قد استوعبت معاني عدة في المعاجم العربية قديمها وحديثها. وقد توزعت إلى معنيين عامين هما الشَّعْر والشَّعَر وقد تغللها معان فرعية أخرى، وقد أدت المعاجم هذه المعاني بأكثر من طريقة يمكن تفصيلها كالتالي:

أ- البدء بتقديم المعنى العام الحسي وهو الشعر:

والمعاجم التي اختارت هذا التقديم اختلفت فيما بينها في تصدير المادة. فالعين أول من بدأ بالشعر مصدراً حديثه بأحد مشتقاته، وهو أشعر. فبعد بيان معناه ذكر جمع الشعر دون أن يذكر له تعريفاً/ويتلوه الجمهرة الذي بدأ يذكر الشعر مباشرة بتحريك العين وسكونها مُرَدِّفاً إياه بكلمة معروف، وهي طريقة قديمة متبعة في المعاجم العربية وهي أقرب إلى الغموض منها إلى الوضوح، وتبعه في ذلك المحمل. وأما الصحاح فقد عرف بإضافته بالإنسان بقوله: الشعر للإنسان وغيره وذكر جمعه وواحد، ولا نصيب من الدقة لهذا التعريف فهناك أشياء كثيرة مشتركة بين الإنسان وسائر المخلوقات الحية، مع أنه لا ينبت على جسم غير الإنسان، أسماء خاصة في اللغة كالصوف للغنم والوبر والإبل والريش للطيور.... الخ وهكذا يزداد الأمر إبهاماً مع هذا التعريف.

الزمخشري في أساس البلاغة صدر حديثه عن الشعر بأن ذكر الشعرة (واحدة الشعر) في تعبير مجازي هو «المال بيني وبينك شق الأبلême وشق الشعرة» أي بمقدار قطعة الحوض أو مقدار شعرة، وهذا التعبير كناية عن قرب المسافة، ويتلو ذلك بأحد مشتقات الشعر بقوله: رجل أشعر وهو ما بدأ به الخليل في العين، ولم يفرد كلمة للشعر أجمعها.

والمصباح المنير أسلوبه توفيق، بجمع ما أخذه مما سبقه العين والجمهرة والصحاح والأساس بقوله: "الشعر بسكون العين فيجمع على شعور... وفتحها فيجمع على أشعار... وهو من الإنسان وغيره، وهو مذكر، الواحدة شعرة" فالشعر بسكون العين وفتحها (من الجمهرة والجمع من العين، وهو الإنسان وغيره من الصحاح، والواحدة شعرة من الأساس).

ومن المعاجم الحديثة ما بدأ حديثه عن المعنى العام الحسي وهو الشعر بذكر أحد مشتقاته التي تؤدي معنى فرعياً حسياً نحو محيط المحيط الذي صدر المادة بقوله: "شعر الخنف، بطنه بشعر، وسار على نهجه أقرب: أقرب الموارد والبستان والوافي والهادي، وإن

لم يفت المعاجم أن تقرن المادة يدل على معناها العام العقلي، بأن تردفها مباشرة بفعل يدل على الشَّعر كقول محيط المحيط « شَعَرَ به شَعْرًا علم به » وعلى النمط نفسه في البستان والوافي، والهادي إلا أن الأخير ذكر جملة أخرى: هي شَعَرَ الرجل قال شَعْرًا "أي ذكر الشَّعر بمعناه الاصطلاحي وليس بمعناه اللغوي.

ومما يهمنا بعد ذلك بيان كيف عرِّفت المعاجم الآنفه الذكر وغيرها الشَّعر مما بدأ المادة بغير هذا المعنى فقد اتفقت المعاجم التالية على تعريف واحد كالتهذيب، والمحكم واللسان والقاموس المحيط، وتاج العروس ومتن اللغة وهو: الشَّعر ما ليس بصوف ولا وبر وهو تعريف أوّل من ذكره الأزهري في التهذيب وزاد عليه المحكم واللسان والقاموس والتاج في أوله: نبتة الجسم، وزاد في آخره صاحب التاج والمتن من الإنسان وغيره وهي عبارة منقولة عن الصحاح، وليس عن الزمخشري كما صرَّح صاحب معجم متن اللغة وتاج العروس، إذ الصحاح سابق على الأساس.

ولا يختلف تعريف محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي عن التعريف السابق إلا بوضع "ما ينبت من مسام البدن" بدلاً من "نبتة الجسم".

ولا يخفى أن هذا التعريف هو تفسير بالمغايرة لا يكشف عن جوهر المعرّف، ومع أنهم أضافوا إليه سياقاً لغوياً آخر لتوضيح المعنى بقولهم: "من نبتة الجسم" وغيره إلا أنهم لم يزدوا في التعريف شيئاً ذا بال ينبئ عن المقصود، فالريش مثلاً لا صوف ولا وبر، ومع ذلك ينبت على الجسم. والعبارة التي أضيفت من الإنسان وغيره تفيد أن الشعر مشترك بين الإنسان وغيره من المخلوقات مما يزيد الأمر إبهاماً.

وتدرك لجنة تأليف المعجم الوسيط قصور هذا التعريف فتضع تعريفاً آخر هو "زوائد خيطية تظهر على جلد الإنسان وغيره من الثدييات ويقابله الريش في الطيور" ومع أن في هذا التعريف شيئاً من المنطقية إلا أنه غير كاف لتمييزه. فإنه إذا كان قد ميّزه عن الزوائد اللحمية فإنه لم يبيّن خصائصه أو لونه أو وظيفته. ومما يدل على ذلك أنهم أضافوا عبارة تفيد المغايرة بقولهم "ويقابله الريش في الطيور" من أجل استكمال التعريف، إلا أن ذلك قد يضطرهم إلى ذكر مغايرات لا نهاية لها من أجل الوصول إلى المقصود.

ويبدو أن أكثر التعاريف (التعريفات) علمية ومنطقية هو التعريف الذي ذكره الكرمي صاحب الهادي بقوله: "ألياف دقيقة أنبوية تنبت على سطح الجلد من جذور منفتحة في داخل الجلد كشعر الرأس" ومع ذلك اضطر إلى اللجوء إلى المغايرة بعد ذلك بقوله: "والشعر ليس بريش ولا وبر، ولا شوك فالشعر للإنسان والصوف للضأن" فكأنما

عزّ عليه ألاّ يستعين بالطريقة القديمة المأثورة في المعاجم العربية، أو أنه شعر أن تعريفه غير كاف فأضاف ما أضاف. وإن هناك شيئاً آخر يلجأ إليه الكرمي في توضيح معاني الكلمات (المدخل أو مشتقاتها) وهو الاستعانة بوضع المقابل الانجليزي وهو ما لم يستخدمه مع المعنى الرئيس للشعر وفعل ذلك مع معان فرعية، أو مسميات كمتفرعة عنه. ومن الجدير بالذكر إن إعطاء الأولوية الحسية في معناها العام يساير الترتيب المنهجي المحكم.

ب- البدء بتقديم المعنى العام العقلي وهو (الشعر):

بمعنى العلم والحس والإدراك لغة، ومنظوم القول الموزون المقفى اصطلاحاً، والإشارة الأولى الواضحة لهذين المعنيين جاءت في العين باعتباره المعجم العربي الأول "وشَعَرْتُ بكذا أشعُرُ به شعراً لا يريدون به من الشَّعر المبيّت (يقصد الشعر بأبياته)، وإنما معناه فطنت له وعلمت له، ومنه ليت شعري أي علمي".

ولكن ما المعاجم التي قدمت المعنى العام العقلي؟

وهل بدأته بالمعنى اللغوي أم بالاصطلاحي؟

المعاجم التي بدأت بهذا المعنى منها ما بدأ بالمعنى اللغوي وتطرق بعده للمعنى الاصطلاحي وهي: المحكم ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس ومعجم متن اللغة والرائد. وهذه المعاجم تبدأ بتقديم الفعل الدال على هذا المعنى. ثم تذكر مصادره وبعدها يصرح بالمعنى ثم ينتقل إلى المعنى الاصطلاحي في تدريج يربط بين المعنيين اللذين يشكلان جانبي المعنى العام العقلي.

ومن المعاجم ما بدأ بالمعنى العقلي الاصطلاحي وليس بالمعنى اللغوي وهو القاموس المحيط والمحيط كما جاء فيهما: شَعَر فلان شعراً قال الشَّعر، وشَعَر له: قال له شِعْراً، ثم ينتقلان إلى المعنى العقلي اللغوي بقولهما: شَعَر به شعوراً: أحس به وعلم، ثم إلى المعنى الحسي نحو: شعر الشيء شِعْراً: بطنه بالشَّعر، في ترتيب لا يختلفان فيه.

ويجدر هنا أن نعقد مقارنة بين التعريفات الواردة للشَّعر في المعاجم قديمها وحديثها. ففي العين "الشَّعر: القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها" وينقله الأزهري في التهذيب وينسبه في اللسان للأزهري خطأ، وهو تعريف بالمرادف وهو ما يؤدي إلى الدور أو التسلسل حيث القريض هو الشعر عندما نريد أن نتعرف معناها في بابها وهو ما وجدته فعلاً في اللسان^(١) على سبيل المثال لا الحصر.

(١) مادة قرض.

وقد أخذت معاجم كثيرة أخرى بتعريف آخر هو: منظوم القول بالوزن والقافية وقد أضافت إليه المعاجم الحديثة النص على القصد، ففي المعجم الوسيط مثلاً: هو كلام موزون مقفى قصداً احترازاً من أن يُضم إليه النثر الذي يمكن أن يتوافر فيه وزن يؤهله للإدراج تحت باب الشعر، وما هو بشعر، كالذي يلاحظ في بعض الآيات القرآنية وهو أقرب إلى الاحتراز الديني منه إلى الاحتراز الفني وهو تعريف ناقص قاصر بوضوح، فالشاعرية ليست محدودة بالوزن والقافية خاصة في عصرنا هذا الذي كشف فيه النقد عن عناصر أخرى دقيقة لا بد من توافرها في الشعر، وهو ما تنبّه إليه صاحب الرائد فأضاف إلى التعريف الذي أورده شيئاً من هذه العناصر بقوله: "هو الكلام الموزون المقفّى على العاطفة والخيال والنغم والدرس والعقل تنساب في البيت أو القصيدة في تجانس إيقاعي عذب" ويبقى هذا التعريف بحاجة إلى شيء من التركيز يرسم حدود الشعر ويبين جوهره بصورة أكثر دقة.

وعلينا أن نقول أيضاً: إن هناك معاجم قديمة لم تورد تعريفاً يرسم حدوداً للشعر مثل جمهرة اللغة والمحمل والصحاح وأساس البلاغة، وإنما اكتفت بربط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي كقول صاحب الجمهرة: "وتقول العرب ما شعرت به شعراً، وسمي الشاعر لأنه يشعر للكلام وقولهم: ليت شعري أي ليتني أشعر بكذا بكذا.."، وفي المحمل شيء من هذا القبيل ولكن بصورة أكثر وضوحاً في الربط وبيان المعنى اللغوي بقوله: "وشعرت بالشيء: إذا فطنت له، وليت شعري، أي ليتني علمت" (بدلاً من ليتني أشعر في الجمهرة)، وسمي الشاعر لفطنته (لما لا يفطن له غيره).

ويبقى أن أشير إلى أن المعاجم التي أعطت الأولوية للمعنى العام الحسي كان أصحابها أكثر دقة في ترتيب المعاني، وهو أمر أوصى به من نظّر للصناعة المعجمية وطبقها في العصر الحديث كالبيستاني والشدياق ودوزي وفيشر ومؤلفي المعجم الوسيط.

٢- الترتيب بين المعاني الحسية والعقلية:

أما الترتيب بين متفرعات المعاني الحسية والعقلية فليس له ضابط أو تنظيم أو منهج، فقد يبدأ المعجم بالمعنى العام العقلي ويتابعه مع عدة مشتقات ويُعَيّن له معنى حسياً فرعياً فيذكره ثم يتابع مع معنى عقلي فرعياً، وبعدها قد يلتفت إلى المعنى العام العقلي ويستمر معه وينتقل إلى معنى حسي وهكذا.

وقد يحدث العكس بمعنى أنه قد يبدأ بالمعنى الحسي ويتدرج إلى معنى متفرع عنه ثم ينتقل إلى معنى عقلي وهكذا.

والخلط والتداخل بين المعاني العقلية والحسية، هي السمة التي تميز منهج اللسان على سبيل المثال، وهو لا يحتاج إلى تأمل كبير لإدراكه، ويمكن كذلك ملاحظة كثرة المعاني الحسية أو غلبتها على المعاني العقلية، إذ كانت مشتقات الشَّعر ومتفرعاته، والمعاني الحسية الفرعية الأخرى هي الأكثر دوراً على معاني المادة.

وإذا ألقينا نظرة على ما جاء من هذه المادة فلا نغالي إذا قلنا: إن تداخل المعاني الواردة فيه هي صورة عن تداخل المعاني الحسية العقلية وتفرعاتها التي جاءت في معجم اللسان، غير أن محيط المحيط قد زاد بعض المعاني التي استجذت كالشُّعُور نوع من السمك والشعرية نوع من العجين والمشعُور بمعنى المشقوق ومختل العقل.

ويمكننا كذلك أن نبدي الملاحظة نفسها وهي غلبة المعاني الحسية على المعاني العقلية مع التزام أكبر بالترتيب الهجائي للمشتقات.

٣- بين المعاني الحقيقية والمجازية:

إن من يتتبع المعاني في مشتقاتها سيجد أن المعاني التي بدأت بها المعاجم هي المعاني الحقيقية للمادة التي انقسمت بين المعاني الحسية الدالة على الشَّعر كما في العين والجمهرة والجمل والأساس والمصباح والمحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي والهادي، وبين المعاني العقلية خاصة المعنى اللغوي في غير ما ذكر من المعاجم، وأينا سابقاً أنها تداخلت. كذلك تخللت المعاني الحقيقية بعض المعاني المجازية، وتاج العروس أكثر المعاجم التي ذكرت وبعبارة صريحة هذه المعاني المجازية وكأنه يسد نقصاً لاحظته في القاموس وفي إغفاله التنبيه عليها؛ لذا يحسن أن نلّم بالمعاني المجازية التي اتخذ من التنبيه عليها منهجاً له وطرحها وردّها إلى مصادرها، ثم ننظرها في المعاجم الأخرى، ومما يحمد له أنه كان يذكر المجاز ويشرحه أحياناً ويربط بينه وبين الحقيقة أحياناً أخرى بقوله: "وربما سَمُوا البيت الواحد شعراً حكاة الأخفش، قال ابن سيده: وهذا عندي ليس بقوي إلا أن يكون على تسمية الجزء باسم الكل "أي مجاز مرسل علاقته الكلية. وينقل لسان العرب العبارة نفسها ويزيد عليها: "كقولك المادة لجزء من الماء والهواء للطائفة من الهواء والأرض للقطعة من الأرض"، ولم تذكره سائر المعاجم.

ومن المجازات أيضاً ما ينقله عن اللسان "والشَّعْرَة: الواحدة من الشَّعر وقد يكنى بها بالشَّعْرَة عن الجمع، يقال: رأى فلان الشَّعْرَة إذا رأى الشيب في رأسه وهي في اللسان من المحكم، ويذكرها أساس البلاغة ولكن ليس في باب المجاز إذ يقول: رأى فلان الشَّعْرَة: الشيب، ويحكي هذه الكناية محيط المحيط والبستان، ومنها داهية شعراء يذهبون بها إلى خبثها، ويقال للرجل إذا تكلم بما يُنكر عليه: جئت بها شعراء ذات وبر. وقد أوردت هذه الصورة من المجاز المعاجم التالية: الجُمهرة والجمل والصحاح والأساس واللسان ومحيط المحيط وأقرب الموارد ومتن اللغة والبستان والوافي والوسيط والمحيط والهادي. وينقل عن الأساس معنى مجازياً آخر بقوله: "ومن المجاز له شَعْرٌ كأنه شَعْرٌ وهو الزعفران قبل أن يُسحق" ويبدو، بعد النظر في المعاجم، أن هذا المعنى المجازي لم يرد إلا في الأساس والتاج. ومن المعاني المجازية كذلك قوله "ومن المجاز" أشعرَ الهمّ قلبي أي لزع به كلزوق الشَّعار من الثياب بالجسد، وأول من أورد هذا المعنى هو الخليل في العين وأن من جاء بعده من أصحاب المعاجم هم تبع له في إيراد هذا المجاز في معاجمهم، ففي العين "وأشعرَ فلان قلبي هما أي ألبسه بالهمّ حتى جعله شعاراً للقلب" وقد جاء في المعاجم الأخرى بالصورة نفسها كالصحاح واللسان والتاج ومحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان ومتن اللغة والوسيط والهادي، وأما في الأساس فقد جاء بصورة أخرى غير (أشعره الهم) وهي: لبسَ شعار الهمّ.

وقد لاكر صاحب التاج عبارات مجازية أخرى أراها صوراً مجازية مشابهة للمعنى المجازي الأنف الذكر، وهي مما استدركه على القاموس.

ومن المجازات التي ذكرت كذلك في التاج وغيره كالتهذيب والأساس واللسان وأقرب الموارد ومتن اللغة: ويقال للرجل الشديد: "فلان أشعرُ الرقبة: شبه بالأسد، وإن لم يكن ثم شَعْر، وهو مجاز".

ومن المعاني المجازية التي اختص بذكرها المحيط "معجم اللغة العربية" قطعه شعرة معاوية معه" كناية عن قطع الاتصال به، ولم يذكرها معجم آخر.

ومما نقله من المجاز عن الأساس: "سكّينُ شعيرته ذهب أو فضة" ويبدو أنهما (أقصد الأساس والتاج) هما المعجمان اللذان انفردا بهذا المجاز.

٤-٤ رابعاً : المعلومات الموسوعية

١- البحوث الدلالية والنحوية والصرفية:

يقصد بها بث التعليقات الصرفية والنحوية والدلالية التي تحكم الاستعمالات اللغوية كالحذف أو الزيادة في الصيغ والأبنية المشتقات، والربط بين الأسماء ومسمياتها، أي محاولة تفسير إطلاق الألفاظ على معانيها أو الأسماء على مدلولاتها. وأول ما نصادف مثل هذا التعليل عند الخليل في العين في قوله: "والشُّعار: ما استشعرت به من اللباس تحت الثياب، سمي به لأنه يلي الجسد دون ما سواه من اللباس تحت الثياب، وهكذا يعلل تسمية ما نسميه اليوم بالملابس الداخلية، بالشُّعار. ونجد التعليل نفسه في التهذيب، ومن المعاجم القديمة ما جعل التعليل هو المعنى بعينه كالصَّحاح "والشُّعار: ما وَلِيَ الجسد من الثياب"، والمحكم واللسان: "ما ولي شَعْر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب". وكذلك المصباح المنير ومعه متن اللغة والهادي من المعاجم الحديثة.

أما القاموس وتاج العروس ومحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي فقد جعلته جزءاً من المعنى كقولهم: "الشُّعار ما تحت الدثار من اللباس وهو ما يلي شعر الجسد". كذلك قد نجد تعليلاً دلالياً لإطلاق لفظ الشُّعار والشاعر على القريض وقائله. ففي العين: "وسُمِّي شعراً لأن الشاعر يَفْطِن له بما لا يَفْطن له غيره من معانيه" وكأنه يعلل ربط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي لكلمة شَعْر ويذكر التعليل نفسه ثلاثة من المعاجم فقط هي (المجمل: وسمي الشاعر لفطنته، لم يَفْطن له غيره) (والمصباح المنير: "وسمي شاعراً لفطنته وعلمه به) (ومحيط المحيط: وسمي شاعراً لفطنته).

وأما الجمهرة والتهذيب واللسان فتسلك سلوكاً لغوياً آخر باستخدامها لفظاً آخر بالمعنى نفسه، ففي الجمهرة سمي الشاعر لأنه يشعر للكلام وفي التهذيب واللسان (الشاعر لأنه يشعر ما لا يشعر غيره، أي يعلم).

وإذا كانت المعاجم لم تربط، ولم تعلق فإن صاحب التاج قد نقل تعليل التهذيب ونقل كذلك تعليلاً آخر سلك به سلوك المناطقة بقوله: "وعَلَّل صاحب المفردات غلبته (أي الشعر) على المنظوم بكونه مشتملاً على دقائق العرب وخفايا أسرارها ولطائفها، قال شيخنا: وهذا القول هو الذي مال إليه أكثر أهل شيخنا: وهذا القول هو الذي مال إليه أكثر أهل الأدب، لرقته وكمال مناسبتة ولما بينه وبين الشُّعر - حركة - من المناسبة في

الركة، كما مال إليه بعض أهل الاشتقاق" وهو تفسير أو تعليل فلسفي منطقي أقرب منه إلى اللغوي. وهناك تعليقات دلالية أخرى نكتفي بذكر ما سبق.

وننتقل إلى التعليقات النحوية فنضرب لها مثلاً مبحثاً نحوياً ساقه صاحب التاج بتوسع زائد عن الحاجة، أو بالأحرى موضعه كتب النحو وليس المعاجم وقد ورد بإيجاز غير محل في الصحاح والمحكم واللسان والمحيط ولم يرد في غيرها.

وما جاء في التاج بعد "ليت شعري": وإن أصلها ليت شعرتي استناداً إلى علة نحوية ينقلها عن سيبويه حيث يذكر وقال سيبويه: قالوا: ليت شعرتي، فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة، كما قالوا: بعذرتها وهو أبو عذرها، فحذفوا التاء مع الأب خاصة، هذا نص سيبويه على ما نقله صاحب اللسان وغيره وقد أنكر شيخنا هذا على سيبويه، وتوقف في حذف التاء فيه. قلت: وهو بحث نفيس إلا أن سيبويه مسلم له إذا ادعى أصالة التاء، لوقوفه على مشهور كلام العرب وغريبه ونادره، وأما عدم سماع شعرتي الآن وقبل ذلك بهجرهم له، وهذا ظاهر، فتأمل من عبارة سيبويه المتقدم، وقد خالف شيخنا في النقل عنه أيضاً فإنه قال: صرح سيبويه وغيره بأن هذا أصله ليت شعرتي بالهاء ثم حذفوا الهاء حذفاً لازماً.

وزاد في محيط المحيط "وشعري اسم ليت، والخبر مضمّر استغنى عنه بمفعول شعري وتقديره واقع، وهو لا يجيء إلا هكذا" وقد جاءت هذه الزيادة وحدها، دون بقية المبحث، في معجمي البستان والوافي.

ومن المباحث النحوية التي ذكرها المحكم ونقلها عنه صاحب اللسان ولم ترد في غيرها مسألة تعليل إعراب قولهم: شاعرٌ هذا الشعر، فقد ورد فيهما: "فليس على حدّ قولك: ضاربٌ زيد، تريد المنقولة من ضرب. ولا على حدها في قولك: ضاربٌ زيداً تريد المنقولة من قولك: يضرب أو سيضرب لأن كل ذلك منقول عن فعل متعدّد. فإنما شاعر هذا الشعر فليس قولنا هذا الشعر في موضع نصب البتّة، لأنّ فعل الفاعل غير متعدّد إلاّ بحرف، وإنّما قولك: "شاعر هذا الشعر، بمنزلة قولك: صاحب هذا الشعر، لأنّ صاحباً غير متعدّد عند سيبويه، وإنّما هو بمنزلة غلام، وإن كان مشتقاً من الفعل، ألا تراهم جعله في اسم الفاعل بمنزلة: درّ في المصادر، من قولهم: لله درّك". ويشير إلى هذه المسألة البستان بقوله "وقال في اللسان وليس قولنا هذا الشعر في موضع نصب البتّة".

وقد انفرد صاحب التاج دون المعاجم بمبحث نحوي هو تعدية الفعل شعر بالهمزة إلى مفعولين تارة بنفسه وتارة بالباء، وهو الأكثر، لقولهم: شعر به دون شعره.

وإذا انتقلنا إلى المباحث الصرفية سنجد توجيهها لجمع شاعر على شعراء إذ جاء في الصحاح مثلاً "والشاعر جمعه الشعراء على غير قياس" ويتابعه في العبارة نفسها صاحب

البستان والوافي من المعاجم الحديثة ونجد لها التخريج الصرفي عند كثير من المعاجم كالمحكم واللسان والمصباح المنير والتاج من المعاجم القديمة، والهادي من المعاجم الحديثة. وفي التاج أيضاً بحوث صرفية أخرى لتعليل فتح العين وسكونها في لفظ الشعر، وتعليل الشعر بكسر الشين في الشعر.

٢- الشواهد وتنوعها:

تساق الشواهد في كتب اللغة والنحو من أجل التدليل على صحة قاعدة نحوية، أو من أجل الاحتجاج لصيغة صرفية، أو من أجل تصويب إيراد لفظ أو عبارة لأداء معنى معين. وفي معاجم اللغة العربية تشيع مثل هذه الظاهرة لأكثر من غرض، بحيث يمكننا أن نقول إنه لا يمكن الاستغناء عنها، أو يكاد أن لا يخلو معجم من شاهد في مادة هنا أو هناك.

فالوجه اللغوية متعددة بتعدد الاستعمالات، فالألفاظ لها جوانب صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، ولا يخلو الأمر أحياناً من استعمال لهجي هنا أو خاص هناك، وكل ذلك يستدعي الاستشهاد لصحته أو صحة وروده بآية قرآنية أو بيت شعر أو حديث شريف أو مثل عربي.

وفي تقديري أن أول من سنّ هذا المنهج في المعجمية العربية هو الخليل ابن أحمد إذ نصادف قوله: وجعل الأعشى الجل الشعار فقال: "وكلّ طويل كان السليط في حيث وارى الأدم الشعار". أي أنه استشهد على استعمال الشعار بمعنى الجل أي اللباس، خاصة اللباس الذي يجلل الفرس، وقد خصّ صاحب اللسان هذا البيت بمبحث بين فيه المعاني التي قد تفهم فيه مما لا مجال لذكره هنا، ومما استشهد به من المعاجم كذلك التهذيب والتاج فقط وبقية المعاجم خلت منه.

ومن مواطن الاستشهاد أيضاً ما تسوقه بعض المعاجم كالتهذيب واللسان معهما المحكم طبعاً والتاج من أبيات شعرية شواهد على استعمال "ليت شعري" مقيدة بحرفي الجر: اللام وعلى أو بدوئهما وهي:

يا ليت شعري عن حماري ما صنع
وعن أبي زيد وكم كان اضطجع

وكذلك:

يا ليت شعري عنكم حنيفا
وقد جدعنا منكم الأئوفا

وكذلك:

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو، وليت يقولها المحزون.

ومن مواضع الاستشهاد بالقرآن الكريم إيراد الآية الكريمة التالية:

﴿وَمَا يَشْعُرْكُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) للاستدلال على أن معنى أشعره الأمر أو أشعره به بمعنى أعلمه إياه في المحكم واللسان والتاج والمعجم الوسيط، وأما محيط المحيط والهادي فيستشهدان على أن معنى الفعل أحسَّ به أو يحس به بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢)، وأما في التاج ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣) والمحيط معجم اللغة العربية فيستشهد بآية ثالثة وهي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) لتؤدي معنى علم وأحس.

وكذلك ورد الاستشهاد بالحديث الشريف في أكثر من موضع كقوله ﷺ للأَنْصار: "أنتم الشُّعَار وغيركم الدُّثَار" كما في التهذيب أراد أنهم أخص أصحابه وفي اللسان، وفي حديث الأنصار "أنتم الشُّعَار والناس الدُّثَار" أي أنتم الخاصة والبطانة وينقله عنه صاحب التاج، وينقل عن المحكم قوله، وفي المثل "هم الشُّعَار دون الدُّثَار، يصفهم بالمودة والقرب، وفي العين رواية أشبه بالآخرية بقوله: "ونقول أنت الشُّعَار دون الدُّثَار" مما يفهم أنه يعامله معاملة المثل وليس الحديث الشريف.

ومن الأمثال ما جاء في الجمهرة "ومن كلامهم للرجل إذا تكلم بما ينكر عليه" جئت بما شعراء ذات وبر، وينقله عنه صاحب الجمل، وذكره الصحاح والأساس في المجازات واللسان والتاج ومحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي ومعجم متن اللغة والمعجم الوسيط والهادي.

ومما تجدر ملاحظته أن الشواهد في المعاجم القديمة كثيرة ومتنوعة بعكس الحديثة التي تقل فيها الشواهد، ومن أجل أن نتبين الفرق أضع بين القاريء إحصائية بعدد الشواهد في كل معجم وأنواعها في الجدول (١).

لا حاجة بنا للقول بأن المصباح المنير والقاموس المحيط قديماً والرائد حديثاً قد خلنا من الشواهد يليها الجمل (شاهد واحد)، فالجمهرة (٣ شواهد متنوعة) ومثله من المعاجم الحديثة، ولكن بشواهد غير متنوعة، أقرب الموارد والبستاني والوافي ومتن اللغة، وتتساوى بعدها شواهد العين والصحاح (٥ شواهد)، يليها بستة شواهد الأساس والمحيط والهادي، ويزيد عليها المعجم الوسيط بشاهدين وبقية المعاجم تكثر فيها الشواهد وتنوع وأكثرها

(١) ١٠٩ - الأنعام .

(٢) ٩ - البقرة .

(٣) ٥٥ - الزمر، ٢ - الحجرات .

(٤) ٩٥ - الأعراف .

استشهداً تاج العروس (٦٣ شاهداً) ويليهِ اللسان (٤٩ شاهداً) فالتهذيب (٢٧ شاهداً)، وأقلها محيط المحيط (١٧ شاهداً).

الجدول (١)

المعجم	الآيات القرآنية	الأحاديث الشريفة	الشعر	المثل
العين	١	١	٢	١
الجمهرة	-	-	١	٢
التهذيب	٣	٦	١٥	٣
المجمل	-	-	-	١
الصحاح	-	٢	٢	١
المحكم	١	١	١٠	٣
الأساس	-	-	٣	٣
اللسان	٤	١٤	٢٨	٣
المصباح المنير	-	-	-	-
القاموس المحيط	-	-	-	-
تاج العروس	٧	١٣	٣٤	٩
محيط المحيط	٦	١	٦	٤
اقرب الموارد	-	-	-	٣
البستان/ الوافي	-	-	-	٣
متن اللغة	-	-	-	٣
المعجم الوسيط	٥	-	-	٣
الرائد	-	-	-	-
المحيط	٣	١	-	٢
الهادي	١	١	٢	٢

نلاحظ كذلك إن الشواهد متنوعة ومواضيع الاستشهاد بها متنوعة متفاوتة في ورودها، فالشعر أكثرها وروداً (١٠٣ شواهد)، يليه المثل (٤٦ شاهداً) وأقل منه الحديث (٤٠ شاهداً)، وأقله الشواهد القرآنية (٣١ شاهداً). ويحسن أن أختتم بالحديث عن نسبة الشواهد الشعرية إلى أصحابها في المعاجم، مما يبدو لي أن المعاجم العربية قد تأثرت بما فُحِجَ المعجم الأول، "وهو العين"، في هذا الشأن حيث ذكر شاهدين شعريين نسب أولهما إلى صاحبه الأعشى، وهو:

وكلُّ طويلٍ كأنَّ السليط في
حيث وارى الأديم الشعارا

وهو شاهد على استعمال لفظ الشاعر بمعنى اللباس أو الجُل، وأما الثاني فقد استشهد به، دون نسبة على إطلاق شعر عَلمَا لجبل والبيت:

يحطُّ العُفْرُ من أفناء شِعْر
ولم يتركْ بذِي سَلْعٍ حمّارا

وقد أصبح هذا هو الظاهرة العامة في المعاجم، فلو نظرنا إلى أكثرها استشهاداً وهو تاج العروس سنجد الأمر كالتالي: أنه قد استشهد بأربعة وثلاثين شاهداً شعرياً نسب منها إلى أصحابها تسعة عشر بيتاً على الترتيب هم (امرؤ القيس ومحمد بن حمران و الأعشى والشامخ وذو الرمة والأخطل وطفيل "وشاهد آخر لذي الرمة" وبشير بن النكت والبريق والطرماح الجعدي وبلعاء بن قيس وأبو عازب الكلابي والنابعة وكثير)، وأما اللسان الذي يلي التاج فقد ورد فيه سبعة عشر بيتاً منسوبة من أصل ثمانية وعشرين شاهداً ساقها، والفرق بينهما بيتان ذكرهما اللسان دون نسبة وهما بيت الأعشى المذكور آنفاً والثاني بيت الجعدي وهو:

فألقي ثوبه حولا كريتا على شِعْراء تُنْقِضُ بالهام

ولم يتركْ بذِي سَلْعٍ حمّارا

ولو أخذنا أنموذجاً من المعاجم الحديثة وليكن محيط المحيط الذي استشهد بستة أبيات شعرية نسب منها ثلاثة للأخنس العدوي وأبي الطيب المتنبّي والزخشي، ولم ينسب للباقي، ويجدر هنا أن نلاحظ أن ما استشهد به من الأبيات المنسوب وغير المنسوب، لم تستشهد بها المعاجم القديمة، وأما أبو الطيب والزخشي فأولهما لم يتفق على الاحتجاج بشعره، والثاني لم يختلف في عدم الاستشهاد بشعره مع أنه اشتهر بشيء آخر غير الشعر.

٣- ذكر الأعلام:

وقد تكون الأعلام أسماء للرجال والنساء وألقابهم والقبائل والشعراء والجبال والبلدان والأماكن والرواة والعلماء واللغويين والنحويين، وغير ذلك، وهو ما يظهر من خلال الاطلاع على المعاجم العربية، وقبل تفصيل القول في الأعلام يجدر أن أذكر أن أكثرها اهتماماً بمثل هذه تاج العروس وأقل منه اللسان فالتهذيب فالقاموس المحيط فالمحكم فالصاح وأقلها اهتماماً وذكرها لها، وعلى قدر متماثل أو متساو بذكر علمين، المجمل والأساس والمصباح والرائد والمحيط (معجم اللغة العربية)، وأكثر منها العين، حيث ذكر ثلاثة أعلام فقط، وسائر المعاجم تأتي في مرتبة وسطى بدرجات متفاوتة بين المجموعتين وهي محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي ومتن اللغة والمعجم الوسيط والهادي. ويمكنني تقسيم الأعلام الواردة في المعجم كالتالي:

أ- أسماء العلماء و الرواة من اللغويين والنحويين والمحدثين:

كأبي زيد، وأبي عمرو الشيباني وسيبويه ويونس والأخفش والليث والكسائي وقطرب والليثاني، والفراء، وأبي عبيدة والأصمعي وشمرو ابن شميل وابن الأعرابي، ابن السكيت وثعلب والزجاج، والفارسي، والأزهري، والجوهري، والصاغاني، وابن سيده وغيرهم (ذكرتها دون ترتيب هجائي أو تاريخي). وأما من وردت أسماؤهم مع الأحاديث فالأنصار وعائشة وأم معبد والزبير ومكحول.

ب- أسماء الشعراء وألقابهم والقبائل:

كالأعشى والنابغة والذبياني، وامرئ القيس وزهير والطرماح وذو الرمة، وبلعاء بن قيس، وطفيل الغنوي، والشماع، وأبي عازب الكلابي أو أبي عارم (كما في المحكم)، وكثير، والأخطل والأخنس والمتني، والزخشي والشويعر لقب لأكثر من شاعر كالجعفي والحنفي والشيباني. والأشعر لقب لشاعر بلوي. وممن وردت لهم ألقاب ولم يذكر أنهم شعراء بل منهم من كان نسبه للشعر نحو: نبت بن أدد لأنه ولدته أمه وعليه شعر وهو الأشعر الذي ينتهي نسبه إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو نفسه اسم القبيلة التي ينتمي إليها أبو موسى الأشعري.

ج- أسماء المراجع ومؤلفوها:

ولو تجاوزنا ما جاء في اللسان من ذكره للصاح أحياناً، وما جاء في محيط المحيط وأقرب الموارد و البستان من ذكر الأول للتعريفات و الكليات و الصاح واشتراك أقرب

الموارد والبستان والوافي في الكليات وإضافة اللسان من الآخرين لاستطعنا أن نعد هذه الفقرة خاصة بتاج العروس الذي أكثر من ذكر المراجع مع مؤلفيها.

د- أسماء الجبال والمواضع الجغرافية وغيرها:

وأول ما جاء ذكره في العين هو شعر جبل لبني سليم أو لبني كلاب، وذكره كل من التهذيب والمحكم واللسان والقاموس المحيط، وتاج العروس ومعجم متن اللغة، وقد ذكرت بعض المعاجم شعر بكسر الشين اسم جبل آخر لبني جُشم كالقاموس المحيط وتاج العروس ومتن اللغة.

هـ- أسماء النبات وغيره:

الشَّعراء لنوع من الفاكهة ومن الذباب ونوع من الحمض والزعفران والشَّعرة اسم لشعر العانة والشعير على الحبوب المعروفة وأرض ذكره التاج، وكذلك الشعرورة نوع من القثاء، والشَّعور نوع من السمك أو اسم فرس لأحد بني تميم، والأشعرية عَلم فرقة من المتكلمين أتباع أبي الحسن الأشعري وقد انفرد به المعجم الوسيط.

٤- الرموز المستعملة:

ظلت المعاجم العربية القديمة منذ العين حتى المصباح المنير ومعها الهادي من المعاجم الحديثة، تعبر عن الجمع والتذكير والتأنيث بالنص على ذلك بصورة مباشرة ودون الترميز ومن صور ذلك في العين: جمع الشَّعر: شعور وشُعُر وأشعار وفي التهذيب الشَّعر يجمع على الشُّعور والأشعار.

وفي مجمل اللغة الأشعر والجمع أشاعر. وفي المصباح: الشَّعر بسكون العين فيجمع على شعور، وجمع الشاعر شعراء وفي الهادي الشاعر: والجمع شعراء.

وبدأ استعمال الرمز للدلالة على الجمع بحرف ج بدءاً بالقاموس المحيط الذي بدأ الترميز المعجمي وانتهاءً بالمحيط "معجم اللغة العربية" مروراً بتاج العروس ومحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والوافي ومتن اللغة والمعجم الوسيط والرائد باستثناء الهادي، ومن صور ذلك ما جاء في القاموس المحيط: شَعر: ج أشعار، والشَّعيرة ج شعائر، والأشعَر ج شُعُر وفي المعجم الوسيط أشعَر، الأشعر ج شُعُر وأشاعر.

أما التذكير والتأنيث فقد كان للمعاجم القديمة صور متنوعة للتعبير عنهما فقد تذكر الجمع وتنص على المفرد كما جاء في العين: والشعارير الواحدة شعرورة، وفي التهذيب الشَّعر: الواحدة شعرة وفي الجمهرة: شعائر الله واحدها شعيرة، المشاعر: واحدها مَشْعَر. وفي المحكم: الشعارير وأحدهم شعورور، وفي الصحاح: الشَّعر، الواحدة شَعْرَة، الشَّعير الواحدة شعيرة، الشعارير الواحدة شعرورة، الشَّعر واحد الأشعار.

وقد يرد التعبير على عكس ما سبق، أي يكون البدء بالمفرد ويليه الجمع كما في يحمل اللغة: الشعيرة واحدة الشعائر، وفي اللسان: الشَّعْرة الواحدة من الشعر وفي الصحاح: المشعَر: أحد المشاعر، والمعجم الوسيط: الشَّعْرة واحدة الشَّعر.

وقد عبرت بعض المعاجم بصورة مباشرة عن التذكير والتأنيث كالمصباح المنير: الشَّعر وهو مذكر الواحدة شعرة.

وفي محيط المحيط: الشَّعراء مؤنث الأشعَر، والأشعَر الأنثى شعراء، وأقرب الموارد: الشاعرة مؤنث الشاعر، وفي متن اللغة: الشَّعراء مؤنث الأشعَر، وفي البستان والوافي: الشاعرة مؤنث الشاعر، وقد استعان الهادي بالضمير الدال على المؤنث والمذكر للدلالة على الجنس كقوله: هو شعير وهي شعيرة، والرجل أشعر وهي شعراء، وأظنه قد نقلها عن المتن الذي ذكرها مرة بقوله: شاعر ج شعراء وهي شاعرة.

وأما المعاجم التي استعانت بالرموز فهي الرائد. فقد رمز إلى المذكر بحرف (م) والمحيط فرمز إليه بـ "مذ" وإلى المفرد برمز "مفـ" كالشعراء مفـ شاعر. ومن الرموز المستعملة في غير ما جاء في القاموس المحيط "والتاج ع: موضع نحو العشير" ع: ببلاد هذيل"، واستعمل متن اللغة رمز "ز" للدلالة على المجاز. وقد أشار المعجم الوسيط لما أضافه المجمع من مفردات برمز "مج" والرائد أشار إلى المصدر برمز "مص".

٥- تميمات وتوضيحات:

وهي مبثوثة في ثنايا شرح المعاني من باب إتمام الفائدة أو توضيح واقعة أو إزالة غموض أو إبهام بيت من الشَّعر أو تجلية لمعنى مجازي. كالذي نبهه مثلاً في العين والتهذيب والصحاح والقاموس واللسان والتاج والأساس، وأرى أن أستشهد بما جاء في التهذيب باعتباره قد شغل نفسه بشرح ما أوجزه العين واعتنى بتوضيحه وتجليته ألا وهو بيان العلاقة بين شعائر الحج

باعتبارها علامات لمناسك الحج وبين الشعر والإشعار أي العلم والإعلام بقوله: "وقال أبو عبيدة: "شعائر الله واحدها شعيرة، وهي ما أشعر ليُهدى إلى بيت الله" وقال الزجاج: "شعائر الله يُعنى بها جميع متعبدات الله التي أشعرها الله، أي جعلها أعلاماً لنا، وهي كل ما كان من موقف أو مسمى أو ذبح. وإنما قيل شعائر الله لكل علم مما تعبد به لأن قولهم، شَعَرْت به: علمته، فلهذا سميت الأعلام التي هي متعبدات الله شعائر. وأما إشعار الهدي فإن أبا عبيد روى عن الأصمعي أنه قال: "إشعار الهدي هو أن يُطعن في أحد أسنمتها في أحد الجانبين بمبضع أو نحوه بقدر ما يسيل الدم، وهو الذي كان أبو حنيفة يكرهه، وزعم أنه مثله وسنة النبي ﷺ بالاتباع. وقال الأصمعي: "الإشعار: الإعلام.

والشُّعار: العلامة. قال: ولا أرى مشاعر الحج إلا من هذا، لأنها علامات. وفي حديث آخر أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال له: "مر أمتك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعار الحج". وقد شغلت بعض المعاجم الحديثة بشيء من هذا كمحيط المحيط وأقرب الموارد والمتن. ومن التعليقات التي سبقت في محيط المحيط من المعاجم الحديثة التي تحدّد ما يصلح أن يطلق عليه مصطلح الشعر وهو ما يجب أن يتوافر له النية والقصد بقوله: "والشعر... عند أهل العربية كلام يقصد به الوزن والتقفية، فإن لم يكن ذلك عن قصد لم يكن شعراً كما وقع في بعض آيات القرآن نحو: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ﴾^(١)، ونحو ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾^(٢) ونحو: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٣) فإن الأولى موافقة لبحر الطويل والثانية للبسيط والثالثة للرجز. ولكن ذلك قد وقع اتفاقاً لا عن قصد فلا يعد شعراً... "وقد جاء مثل هذا التوجيه في المصباح المنير وشغل حيزاً فيه، واكتفى بما أورده محيط المحيط باعتباره معجماً حديثاً.

وهكذا نستطيع أن نقول: إن هذه التسميات والتوضيحات لا تعدو أن تكون معلومات علمية أو تاريخية، لها مكان آخر هو الموسوعات المتخصصة.

(١) ٤٧ - إبراهيم.

(٢) ٣٨ - الأنفال.

٤-٥ خامساً: النتائج والتوصيات

وبعد، فقد كانت هذه مقارنة معجمية حاولت فيها أن أتلمس بموضوعية أبعاد قضية تعتبر من الإشكاليات الحقيقية في المعاجم العربية، خاصة القديمة منها، ألا وهي ترتيب المشتقات ومعانيها تحت المدخل اللغوي الواحد، فلم يعد الحكم في هذه القضية الطباعياً أو من خلال ملاحظة عابرة لأحد المعاجم، بل هي ظاهرة شاملة تقاسم سلبياها المعاجم العربية، فقد تكفلت بالبرهنة على غلبتها، المقارنة التي أجريتها فيما بين عشرين معجماً، قديمة وحديثة، على مستويات عدة: أولها الصوتي حيث استعانت المعاجم بضبط نطق المدخل ومشتقاتها بالحركات وحدها، وبها بالنص على نوعها. ومن المعاجم ما أضاف إليهما الإشارة إلى باب الكلمة أو ما كانت مثله أو على زنته من الصيغ المعروفة سماعاً. وقد بدا لي أن اتخاذ الحركات علامات صوتية قصيرة في العربية أخف مما تلجأ إليه اللغات الأخرى التي ترسم الحركات المتنوعة النطق حروفاً في جسم الكلمات، تضطر بعدها إلى تصوير النطق بكتابة صوتية أخرى، بينما الحركات في العربية علامات صوتية قصيرة ترسم فوق الحروف، وإذا طالت الأصوات رسمت حروفاً من جنسها تتلاءم مع جنس الحركة التي نشأت عنها ويكتفى بذلك ليتم نطقها بشكل صحيح.

وأما الجانب التصريفي فقد جعلت الترتيب الذي رسمه المعجم الوسيط المنهج القياسي بين الأفعال والأسماء بما استفاده من مقاربات التجريب والتحديد التي سبقته من الشدياق والبستاني ودوزي وفيشر، ووجدت أن المعاجم العربية قد توزعها ثلاث طرق، فمنها ما قدم الأسماء على الأفعال دون الثبات على هذا التقديم بل في خلط بينهما، وأما الطريقة الثانية فنقيض الأولى، بمعنى إن من المعاجم ما قدم الأفعال على الأسماء ولكنها تتفق مع الأولى في الخلط وعدم التنظيم، ويبدو أن هذا التناقض مبني على خلاف سابق بين البصريين والكوفيين حول أصل المشتقات، وأما الطريقة الثالثة فهي التي التزمت بتقديم الأفعال بخطة منظمة أجريت فيها الأسماء وهي التي اتبعتها المعاجم الحديثة.

أما بالنسبة للمجرد والمزيد فقد التزمت المعاجم بصيغ الجرد الثلاثي وترتيبها، أما صيغ المزيد فقد تفاوتت المعاجم في الالتزام بها وترتيبها، أما عدم الترتيب بين اللازم والمتعدي فكان الأمر الغالب على المعاجم فلم يلتزم بتقديم اللازم سوى المعجم الوسيط والمحيط (معجم اللغة العربية) وأما بقية المعاجم فقد بدأت بصيغة المتعدي.

أما الترتيب بين الأسماء فيغلب عليه الاضطراب وعدم الانتظام فلم يتفق في البدء بالصفة المشبهة مع المعجم الوسيط، وهو الذي اتبع الترتيب الهجائي، سوى العين وأساس البلاغة، ولم يوافق بالانتهاء بالمُشعر أي من المعاجم.

والمصادر إما أن تذكر تالية للأفعال أو تذكر دون أفعالها. ولم يكن لترتيب المشتقات (الصفة المشبهة وأسماء الفاعل والمفعول والمكان) منهج ينظم ورودها وطريقة إيرادها، مع عدم الاعتناء بالنص بالعبارة أو الرمز على نوع المشتق.

وأما المجموع فقد تنوعت طرق إيرادها فقد يذكر المفرد متلوّاً بالنص على جمعه أو متلوّاً برمز يدل على أنه جمع، وقد يرد الجمع متلوّاً بالنص على مفرده أو واحده بالإشارة إلى أنه جمع لكذا. وقد يرد المفرد متلوّاً بجمعه مباشرة دون النص على ذلك، وهناك أسلوب آخر يورد المفرد في تركيب وصفي متبوعاً بالجمع في صورة تركيب وصفي أيضاً نحو: رجل أشعر ورجالٌ شُعر، وقد ورد الجمع دون واحده أيضاً، ولم تعتن المعاجم بذكر نوع الجمع.

وفي الجانب المعنوي فقد أعطت أكثر المعاجم الأولوية المعنى العام الحسي للمادة وهو الشُّعر مع اتفاقها التقريبي على تعريفه بالمغايرة التي لا تكشف عن جوهره. وكان أكثرها علمية معجم الهادي لاستفادته أو تأثره بالمناهج الغربية، وأما المعنى العقلي بشقيه اللغوي والاصطلاحي وهو الشُّعر فقد نال الأولوية عند ستة من المعاجم القديمة والحديثة، وغلب على تعريفه التنبيه على خاصيتي الوزن والقافية كذلك لا بد من تسجيل تداخل المعاني العقلية والحسية سواء أكان البدء بالمعنى الحسي أم العقلي، مع ملاحظة غلبة المعاني الحسية على المعاني العقلية في المادة.

أما فيما يخص الحقيقي والمجازي من المعاني فقد بدأت المعاجم بداية صحيحة بالمعاني الحقيقية، ولكن للأسف تخللتها المعاني المجازية، وكان الأولى أن تبدأ بالمجازي حين تنتهي من الحقيقي.

وهناك عناصر أخرى أدخلها أصحاب المعاجم إلى النصوص المعجمية كالبحوث النحوية والصرفية والدلالية سقت من أجل تعليل زيادة أو ورود صيغة مخالفة للأصل أو إطلاق لفظ للدلالة على معنى، فإذا كان ورودها بإيجاز مقبول فإن التوسع فيها ليس مكانه المعاجم.

أما الشواهد الشعرية والنثرية فلا ينكر أحد ضرورة الاستدلال بها على وجود لفظ بمعنى ما أو ورود معنى في لفظ ما... الخ، ولم يقصر المعجميون القدماء في هذا الشأن، وكان استخدامهما في المعاجم الحديثة بين القليل والنادر. ومنها ما خلا تماماً من الشواهد كالمصباح المنير والقاموس المحيط قديماً والرائد حديثاً.

وأما الأعلام فقد توزعت على أسماء الرجال من رواة ولغويين ونحاة وشعراء، والمراجع ومؤلفيها كذلك على القبائل والجبال والأماكن الجغرافية وأسماء النباتات والحيوانات.

وكان الفضل في استعمال الرموز في المعاجم للفيروز أبادي في القاموس المحيط كاستعماله رمز (ج) للجمع و(ع) لأسماء المواضع، وسارت على نهجه المعاجم التي تلتها قلة وكثرة، وبعضها استخدمته في التذكير والتأنيث فرمز في الرائد للمذكر بـ (م) وفي المحيط ب (مذ)، وفيه للمفرد (مفـ) وفي متن اللغة رمز للمجاز بـ (ز) وفي الرائد للمصدر برمز (ص) وفي المعجم الوسيط برمز (مح) لما يضيفه مجمع اللغة العربية من مفردات.

وما يعيب الرموز في المعاجم هو عدم الاتفاق على توحيدها فيما بينها فكل معجم له رموزه الخاصة، ولم تتفق إلا على رمز ج للجمع.

ولم يقف الأمر عند هذه العناصر بل كان يضيف كل معجم ما يراه مناسباً من وجهة نظر صاحبه فوجد فيها ما سميته تميمات وهو عبارة عن معلومات أو تعليقات، مكانها المناسب هو الموسوعات الدينية أو التاريخية أو العلمية التخصصية.

ومن التوصيات التي أضعها في ختام هذا المبحث وأرى أنه يمكن الأخذ بها وتطبيقها في معاجمنا القادمة ما يلي:

١ - الالتزام الدقيق بالحركات باعتبارها علامات صوتية تضبط بها الكلمات، وإن عيب استعمالها قديماً وحديثاً، ولكن مع دقة الضبط للكلمات والشواهد تخلص المعاجم من التصحيف، ودليلي على ذلك أن الكتب التي أشرف على طباعتها مجموعة من اللغويين المدققين في بداية عصر النهضة، كتلك التي طبعت في مطبعة بولاق ما زالت هي المرجع في دقة الضبط، لما لقيته من عناية فائقة يمكن توفيرها في أيامنا.

- ٢- بالنسبة لترتيب المشتقات فأرى أن يكون المدخل هو الجذر، ثم البدء بالأفعال المجردة مقرونة بمصادرهما، ثم المزيدة ومصادرهما ثم المشتقات الاسمية مرتبة هجائياً مع جموعها.
- ٣- الأخذ في الاعتبار أن تقدم الأفعال اللازمة، وبعدها الأفعال المتعدية بنفسها أو بأحد أحرف التعدية ثم المتعديات بحروف الجر.
- ٤- مراعاة البدء بالمعنى العام الحسي ثم تفريعاته ثم المعنى العام العقلي وتفريعاته.
- ٥- الحرص على الشرح والتعريف العلمي مع الاستعانة بأي وسيلة توضح المعنى وتحده كالرسم والتصوير أو غيرهما.
- ٦- تقديم المعاني الحقيقية على المعاني المجازية أولى لأنه يتوافق مع الاستعمال اللغوي، ولأنه يصعب فهم المعنى المجازي قبل معرفة الحقيقي السابق عليه.
- ٧- توضع الاستعمالات اللغوية الصحيحة أو الفصيحة أو الصائبة دون اللجوء إلى تعليل صحتها نحوياً أو صرفياً، ويكفي للبرهنة على صحة المعنى بإيراد الشاهد ولا ضرورة للتعليلات الدلالية.
- ٨- ضرورة إيراد الشواهد، شعرية أو نثرية من مصادرهما للاستدلال بها، على المعاني القديمة والمستخدمة، ولا يكتفى بنقلها عن المعاجم القديمة، وعليه فما يستجد من المعاني على المصنف أن يستشهد له من الاستعمال اللغوي، ويستحسن هنا اللجوء إلى ما أقرته المؤسسات والمجامع المختصة، حتى يأخذ المعجم المواصفات المعيارية والوصفية.
- ٩- المعجم ليس دائرة معارف عامة بل هو ديوان جامع لمفردات اللغة بترتيب معين من أجل ضبطها وبيان معانيها من خلال استخداماتها واشتقاقاتها المتفرعة عن جذورها؛ لذا يستحسن فيه تحاشي ذكر الأعلام مهما كان نوعها. لأن مكانها الطبيعي حسب نوعها، فالأعلام التاريخية في الموسوعات التاريخية أو كتب التاريخ، وكذلك أعلام اللغة والنحو مكانها كتب اللغة والنحو، والأعلام الجغرافية مكانها الموسوعات الجغرافية وكذلك النباتات والحيوانات.. الخ.
- ١٠- اللجوء إلى الرموز والاختصارات ضرورة يجب أخذها بعين الاعتبار بشرط توحيدها في المعاجم، لا أن يتخذ كل معجم اختصاراته ورموزه الخاصة به.

المراجع:

- ١- الأزهرى، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٢- الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب، بيروت، ١٩٧٥م.
- ٣- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، إدارة أحياء التراث الإسلامي، قطر، (بلا.ت).
- ٤- البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (بلا.ت).
- ٥- البستاني، عبد الله، البستان، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٢٧م.
- ٦- البستاني، عبد الله، الوافي، مكتبة لبنان، بيروت، (بلا.ت).
- ٧- الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٨- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصري، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٩- الخطيب، أحمد شفيق، حول المعجم العربي الحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٩٨٣م.
- ١٠- درويش، عبد الله، المعاجم العربية، مكتبة الشباب، القاهرة، (بلا.ت).
- ١١- ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية، (بلا.ت).
- ١٢- رضا، أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م.
- ١٣- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بلا.ت).
- ١٤- الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠م.
- ١٥- ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، ط ١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٨م.
- ١٦- الشدياق، أحمد فارس، الجاسوس على القاموس، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٢٩٩هـ.

- ١٧- الشدياق، أحمد فارس، سر الليال في القلب والإبدال، المطبعة السلطانية، الآستانة، ١٢٨٤هـ.
- ١٨- الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، المطبعة اليسوعية، بيروت، ١٨٨٩م.
- ١٩- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).
- ٢٠- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ٢١- الفارابي، اسحق بن إبراهيم، ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ٢٢- ابن فارس، أحمد، مجمل اللغة، تحقيق الشيخ هادي حسن حمودي، ط١، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٥م.
- ٢٣- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، ١٩٦٧م.
- ٢٤- أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، (بلا.ت).
- ٢٥- فريجة، أنيس، اللهجات وأسلوب دراستها، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ٢٦- فليش، هنري، العربية الفصحى، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٢٧- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجليل، بيروت، (بلا.ت).
- ٢٨- الفيومي، أحمد بن محمد علي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
- ٢٩- الكرمي، حسن سعيد، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، (بلا.ت).
- ٣٠- اللحمي، أديب وزملاؤه، المحيط (معجم اللغة العربية)، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٣١- مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر، عمان، ١٩٨٥م.

- ٣٢- مجموعة من الباحثين، في المعجمية العربية المعاصرة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٣٣- مجموعة من الباحثين، ملتقى ابن منظور الأفريقي، الملتقى الثاني في اللغة والأدب والتاريخ، دار المغرب العربي، تونس، (بلا.ت).
- ٣٤- مراد، إبراهيم، دراسات في المعجم العربي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٣٥- مسعود، جبران، الرائد، دار العلم للملايين، (بلا.ت).
- ٣٦- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٠٠هـ.
- ٣٧- نصّار، حسين، المعجم العربي، نشأته وتطوّره، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م.
- 38- Hornby, A.S, Dictionary of Current English, Oxford advanced learners, Oxford university press.
- 39- Shaban, Fuad, Studies in the Literary Essay: Damascus University Press, 1979.

ISBN 9957-16-362-4



9 789957 163624

تصميم وإخراج / مكتب دار الثقافة للنشر والتوزيع والإنتاج

دار الثقافة
للنشر والتوزيع



www.daralthaqafa.com